

جامعة أم القرى  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا الشرعية  
فروع العقيدة

# الشيخ محمد عبد وآرأوه

في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة

لتحليل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد

حافظ محمد عبد الجبوري

إشراف

الدكتور سليمان دينا



١٥

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٢٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَبِذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ  
الَّتِي كُنتُمْ تَعْبُدُونَ

١٥

## شكر وتقدير

=====

رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي ، فقد وفقني في  
اتمام هذا البحث ، واعتني عليه . فالحمد لك اللهم والشكر فقد وفق  
واعنت .

وبعد :

فعملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس  
لا يشكر الله " ١ .

وقوله عليه الصلاة والسلام : " ان اشكر الناس لله عز وجل اشكرهم  
للناس " ٢ .

فاني ازجي خالص شكري وتقديري لاساتذتي الكبير الدكتور سليمان  
دنيا الذي منحني من وقته وتفكيره ونصحه الشيء الكثير ، فله مني كل  
محبة وتقدير ، وادعو الله ان يسبح عليه مزيداً من الصحة وطول العمر ،  
كما واتقدم بالشكر الجزيل لجميع العاملين في كلية الشريعة والدراسات  
الاسلامية بجامعة " ام القرى " .

واشكر كل من كانت له يد من نصح او توجيه او ارشاد لي اثناء اعداده  
هذا البحث .

والله اسأل ان يوفقني ويوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

---

١ - رواه احمد في المسند ( ٢ : ٢٩٥ ) ، وابوداود ( ٤ : ٣٥٣ ) ،  
والترمذي وقال حديث صحيح . انظر تحفة الاحوذى ( ٦ : ٨٧ ) .  
جميعهم عن ابي هريرة .  
٢ - رواه احمد في المسند ( ٥ : ٢١٢ ) عن الاشعث بن قيس .

المقدمة

=====

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور  
انفسنا وسيئات اعمالنا . من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضل فلن تجد له  
وليا مرشدا .

واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده  
ورسوله .

قال الله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا  
اماناتكم وانتم تعلمون ) . " ١ "

وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط  
ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو  
اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ) . " ٢ "

وعن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم اذا قام من الليل يصلي ، يقول : " اللهم رب جبريل وميكائيل  
واسرافيل ، فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون  
اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم " . " ٣ "

ومعد :

فقد اختلف الناس في الشيخ " محمد عبده " اختلافا شديدا ، بين  
قادح مبالغ في القدح ، ومادح مسرف في المدح .

---

١ - سورة الانفال ، اية ( ٢٧ ) .

٢ - سورة المائدة ، اية ( ٨ ) .

٣ - صحيح ، رواه الامام مسلم .

وقد دعاني ذلك الى ان اعرف حقيقة حال الرجل ، وما هو عليه في الواقع  
ونفس الامر . فهل هو من النحوض بحيث ضل الناس السبيل الى معرفته ؟ او هو  
معدد الجوانب فشغل كل فريق بجانب وغفل عما عداه ؟

وان الرجال يعرفون من سلوكهم وسيرتهم ، ومن افكارهم ورائهم ، وان  
السلوك والسيرة تاريخ ، والتاريخ نقل ورواية ، وكلما يصل الامر فيه الى ابعد  
من ظنون ، على ان للمؤرخ اسلوبه في البحث ، ومنهجه في التمحيص ، وهما  
غيرما للباحث في العقيدة من اسلوب ومنهج .

وقد اخذت من التاريخ ما وسعني الاخذ ، ولم احاول - وانا باحث في  
العقيدة - ان اجاوز ما احسن الى ما لا احسن ، فعولت في الجانب التاريخي على  
المؤرخين ، واذا كانوا قد اختلفوا فقد صورت اختلافهم ، ووقفت منهم موقفا محايدا .  
اذ قد بدا لي ان ذلك اقرب الى الانصاف .

فمثلا لما قال التاريخ ( ان الشيخ محمد عبده دخل جمعية الماسونيين ) .  
قال المهضون انه اذا ماسوني ، وان الماسونية حرب على الاديان بعامة  
وعلى الاسلام بخاصة .

وقال المحبون انه دخلها دخول مستطرح ليعرف من امرها ما لا يعرفه

البعيدون عنها .

فوقفت انظر الى هؤلاء مرة لا مكان صدق ما يقولون ، والى هؤلاء مرة لا مكان  
صدق ما يقولون ايضا ، وليس لي الى مجاوزة الامكان سبيل ، خصوصا وانه لم يؤثر  
عنه - فيما اعلم - الكتابة عنها او الحديث بشأنها ، لا تأييدا ولا ردا .

وانا مع ذلك لا انفي ان يكون في قلبه لبعض مبادئها ميل ، ولكن من اين

لي معرفة ذلك ؟

لهذا آثرت ان اتخطى عن هذا الجانب من المعركة لغيري ، مؤثرا الاكتفاء

بتصوير ما دار فيها . والعلماء المهتمون في طعن بعضهم على بعض ، وفي شهادة  
بعضهم على بعض ، ( والامر كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : العلماء  
اشد تغاييرا من التيموس في زروعها . . . . . ) وقول المتناقسين لا يقبل في بعضهم كما قرره

العلماء ، وجرى عليه علماء الجرح والتعديل من المحدثين ) \* ١ \*

اما جانب الافكار والاراء فهو النافذة التي تطل على ما استقر في النفس

واخذ اليه القلب واقتنع به العقل \* وقد اوليت هذا الجانب جل اهتمامي ان لم

يكن كله ، وهذه هي الناحية التي افردت فيها وسعي ، لانها الهدف المقصود

في بحثي .

واذا كان الجانب التاريخي للشيخ محمد عبده تعرض للاخذ والرد ، فان

جانبه الفكري والعقائدي تعرض للاخذ والرد كذلك ، الا ان الاخذ والرد في الجانب

الفكري والعقائدي يمكن التحكم فيه ، والوصول الى راي يقبله المنصف ويرضاه

العدل ، اذا سار البحث على اساس علي سليم ، وتنزه عن الغرض وقصد به وجه

الله تعالى .

وفي هذه الخطة سرت ، وعلى حول الله وقوته اعتمدت ، وجعلت الحق

هدفي ، فاذا تآدى بي البحث اليه قبلته ، لا يهمني بعد ذلك ان يكون هذا

الحق الذي ظهر لي هو في جانب من احب او في جانب من ابغض . بل لا اعتبر

نفسي مع الفريق الذي ظهر الحق معه ، لاني لم اقصد الى متابعتة او الاخذ

بوجهة نظره اذ كان الاتفاق بيننا في النهاية لا في البداية .

وقد اخذت المسائل على هذا النحو مسألة مسألة حتى انتهيت منها جميعا

على هذا النسق .

وقد وجدتني في النهاية مع فريق في بعض المسائل ، ومع فريق اخر في

بعضها الاخر . ولا ادعي ان الصواب حالفني في كل خطوة خطوتها ، وفي كل

مسألة بحثتها ، ولكنني الى هذا قصدت ، وانما الاعمال بالنيات ، ولكل امرئ

ما نوى ، والمعصوم من عصم الله .

وقد كان حديثي عن الشيخ محمد عبده ، وضرورة مقارنة ما ورد عنه بما قاله

السلف — رضي الله عنهم — فرصة لان اعرض وجهة نظر السلف فيما تعرض له الشيخ

محمد عبده بالموافقة او بالمخالفة ، بل وان اتعرض لما لم يتكلم فيه الشيخ محمد عبده

---

١ — تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر

السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية

١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م ، ص ١٧ .

من وجهة نظر السلف ، استكمالا للبحث من حيث عرض صورة واضحة كاملة عن  
العقيدة الاسلامية الصحيحة .

ولقد رتبنا الرسالة على اربعة ابواب وخاتمة .

اما الباب الاول :

=====  
فقد تكلمت فيه عن حياة الشيخ محمد عبده ، وجملته في

ستة فصول :

تحدثت في الفصل الاول عن عمره واهم مظاهر الحياة فيه : السياسة  
واهم احداثها ، والاقتصاد واهم مظاهره ، والثقافة وابرز ملامحها ، والادب  
واشهر رجاله ، والدين وواضح مفاهيمه ، والاجتماع واطهر صورته .  
وتحدثت في الفصل الثاني عن اطوار حياة الشيخ محمد عبده وقسمتها الى  
طورين :

الطور الاول : ذكرت فيه مولده ، ونشأته ، وتعلمه .

والطور الثاني : ابرزت فيه بعضا من حياته العملية قبل النفي ، وفي المنفى ،  
وبعد عودته من منفاه الى وطنه .

وتحدثت في الفصل الثالث عن شخصيته واخلاقه .

وفي الفصل الرابع ترجمت لاشهر شيوخه ، وابرز تلاميذه ، فتحدثت عن

الشيخ " درويش بن خضر " ، والشيخ " محمد عيش " ، والسيد " جمال

الدين الافغاني " ، وبينت اثرهم على تكوين شخصيته ، وذكرت ابرز تلاميذه في

ميدان الحياة العلمية والعملية ، فتحدثت عن السيد " رشيد رضا " ، والشيخ

" محمد مصطفى المراغي " ، والشيخ " مصطفى عبد الرازق " ، واحمد لطفي

السيد ، وقاسم امين ، وسعد زقلول .

وفي الفصل الخامس تحدثت عن ثقافته ومواهبه واثاره . فقد بينت مصادر

ثقافته العربية والغربية ، وابرزت بعض مواهبه واهمها الشعر والنقالة ، وذكرت

ما تركه الشيخ محمد عبده من التراث الفكري الكبير المتمثل في دراساته وبحوثه

الدينية والادبية والنفسية والاجتماعية .

وفي الفصل السادس وضحت مذهب الشيخ محمد عبده في الاصلاح ،  
ومنهجه في الدعوة والبحث ، وابرز ما ظهر في هذا الفصل اهداف تفكيره ،  
وجوانبه : الوطني والقومي ، والاجتماعي ، والتربوي ، والمقدي الذي هو  
موضوع هذه الرسالة .

واما الباب الثاني : فموضوعه الالهيات في فكر الشيخ محمد عبده ، وقد  
اشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل للالهيات على اربعة فصول :  
بينت في الفصل الاول راى الشيخ محمد عبده في معرفة الله ، والطريق  
الموصل اليه ، واهم الطرق التي سلكها في اثبات وجوده . . . . ، ووضحت راى  
السلف في ذلك .

وفي الفصل الثاني ذكرت راى الشيخ محمد عبده في الوجدانية ، وسقت  
الادلة التي ذكرها في اثبات انه تعالى واحد لا شريك له ، ووضحت راى السلف  
في ذلك ، واشرت الى الجهات التي وافق فيها الشيخ محمد عبده السلف في هذا  
الموضوع .

وفي الفصل الثالث بينت راى الشيخ محمد عبده في صفات البارى عز وجل ،  
وكلماته ، فوضحت رايه في الصفات الثبوتية ، خاصة صفات المعاني السبع :  
الحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والكلام ، والسمع ، والبصر .  
اما الصفات الخبرية فبينت انه مع اهل التأويل فيها ، ثم وضحت راى السلف في الصفات ،  
خاصة الصفات الخبرية ، وموقفهم من التأويل . . . .

وفي الفصل الرابع تحدثت عن راى الشيخ محمد عبده في افعال الله تعالى ،  
فبينت رايه في تحليل افعال الله ، ورايه في خلق افعال العباد ، ورايه في  
حسن الافعال وقبحها ، وفي القضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته تعالى في الآخرة .  
وذكرت ان رايه في ذلك يوافق مذهب السلف في معظم الاحيان .

اما الباب الثالث :

فموضوعه النبوات . وقد اشتمل هذا الباب بعد تمهيد  
يبين مجمل الامور التي يدور بحث النبوات حولها وموقعها في علم العقائد على خمسة



فصول :

ذكرت في الفصل الاول تعريف الشيخ محمد عبده " للنبي " و " الرسول " ،  
والفرق بينهما .

وذكرت في الفصل الثاني المسالك التي رسمها الشيخ محمد عبده في بيان وجه  
الحاجة الى الرسالة .

وفي الفصل الثالث بينت رأى الشيخ محمد عبده في الوحي ، وامكانه ،  
ووقوعه .

وفي الفصل الرابع سقت كلامه في وظيفة الرسل عليهم السلام .  
وفي الفصل الخامس وضحت اعتقاده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورأيه في  
القران ، والمعجزات .

وفي هذا الباب وضحت رأى السلف في النبوات ، والقران والمعجزات  
وبينت ما وافق الشيخ محمد عبده فيه السلف فابرزته ، وما خالف فيه السلف  
فبينته وحددته .

اما الباب الرابع :

=====  
فموضوعه السمعيات . وقد اشتمل هذا الباب بعد التعريف

بالسمعيات على ما يلي :

: اولا : رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن .

ثانيا : رأى الشيخ محمد عبده في الحقائق النفسية التي اخبر الوحي بها ،

مما يكون بعد الموت .

وقد حصرت هذه الحقائق في ثلاثة امور ، بينت رأى الشيخ محمد عبده فيها ،

وهي :

أ : رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالموت . وهذا يشمل رأيه في فتنة القبر

وسؤال الملكين ، ورأيه في عذاب القبر ونعيمه .

ب :- رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بالساعة واشراطها • وهذا يشمل رايه  
في اهم واشهر ايات الساعة وهي كما وردت في الحديث : الدخان ،  
الدجال ، الدابة ، طلوع الشمس من مغربها ، نزول عيسى بن مريم ،  
ياجوج وماجوج ، ثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب  
وخسف في جزيرة العرب ، واخر ذلك نارتخرج من اليمن تطرد الناس  
الى محشرهم •

ج :- رأى الشيخ محمد عبده فيما يتعلق بيوم القيامة واحداثه • وهذا يشمل :-

١ - راية في بداية يوم القيامة •

٢ - راية في البعث والحشر •

٣ - رايه في العرض والحساب والجزاء •

٤ - رايه في الميزان والوزن •

٥ - رايه في الصراط والممرور عليه •

٦ - رايه في الجنة والنار والخلود في كل منهما •

ووضحت في هذا الباب رأى السلف فيما تعرض له الشيخ محمد عبده  
بالموافقة او بالمخالفة ، وعرضت صورة واضحة عن السمعيات من وجهة نظر السلف ،  
استكمالا للبحث ، لان الشيخ محمد عبده لم يتكلم في هذا الباب كثيرا •

بخلاف الباب الثاني والثالث •

اما خاتمة هذه الرسالة ، فقد رايت ان اوضح فيها موقف الشيخ محمد عبده

من القضيتين التاليتين : =====

القضية الاولى هي :

رأى الشيخ محمد عبده في حجية خبر الواحد في الامور والمسائل

الاعتقادية •

القضية الثانية هي :

رأى الشيخ محمد عبده في الامور بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتبع

ذلك من ذم البدع والخرافات . . .

وهذا اكون قد انهيت موضوع الرسالة التي اتقدم بها الى كلية الشريعة  
والدراسات الاسلامية ، بمكة المكرمة في جامعة " ام القرى " ، لنيل درجة  
الدكتوراه في الشريعة الاسلامية = فرع العقيدة =

واملي بالله كبير ان اكون قد احسنت اختيار هذا الموضوع ، واحسنت  
الكتابة فيه ، ووقت فيه ، ووفيته ما هو جدير به من عناية واهتمام ، راجيا  
من الله تعالى ان يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وان ينفع  
به ابناء المسلمين . . . فانه تعالى نعم المولى ونعم النصير . . . والحمد لله  
رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين .

## الباب الأول

=====

" الشيخ محمد عبده ، عصره وحياته ومصادر ثقافته "

وفيه ستة فصول :

- الفصل الأول : عصره
- الفصل الثاني : اطوار حياته
- الفصل الثالث : شخصيته و اخلاقه
- الفصل الرابع : شيوخه وتلاميذه
- الفصل الخامس : ثقافته ومواهبه ومؤلفاته
- الفصل السادس : مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة
- والبحث

## الفصل الاول

=====

عصره واهم مظاهر الحياة فيه :

=====

تمهيد :

=====

من المعروف الثابت ان الظروف التي تحيط بشخص ما ، والبيئة التي يحيا فيها ، لهما دخل كبير في تكييف حياته ، وطبعها بطابع خاص ...  
فالشخصية انما تتكون وتبرز من خلال تلك البيئة التي تنشأ في ظلها ، وما القراءة ، والمطالعة ، والمدرسة ، والبيت ، والمجتمع ... وما يكون فيه من احوال سياسية واقتصادية واجتماعية ... ما كل اولئك الا عناصر هامة في تكوين الشخصية ، وابرازها ، وتحديد اتجاهها ... فيقال : هذه شخصية اسلامية ، وهذه شخصية غير اسلامية ... وهكذا " ١ "

فمن الضروري اذا للباحث ، الدارس لشخصية من الشخصيات ان يدرس الظروف والبيئة المحيطة بتلك الشخصية حتى يقف منها على العوامل التي ادت الى ظهورها ، وكان لها اثر في تكييف حياتها وتحديد سلوكها واتجاهها ...  
والشيخ " محمد عبده " واحد من الشخصيات التي برزت في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، وكان له اثر في الحياة المعاصرة ، وشأن بين الناس على اختلاف مللهم وطبقاتهم ...

---

١ - انظر كتاب : الشخصية الاسلامية ، للشيخ تقي الدين النههاني ، مطبعة دار السياسة ، بيروت ( ١ : ٥ ) وما بعدها .

فهو من مشاهير العلماء ، ورجال السياسة ، ودعاة الإصلاح . . . .  
شارك في الثورة " ١ " ، ونفي من وطنه ، واشتغل بالتدريس ، والقضاء  
والفتيا ، وكلها مناصب عالية في الدولة .

ولما كان لروح العصر الذي عاشه اثر واضح في سلوكه وفي تحديد  
هويته وشخصيته . . . . كان من الضروري ان يسبق دراسة شخصه وموقفه من  
العقيدة الاسلامية دراسة عموره الذي عاش فيه ، ورسم ملامح بارزة لمختلف  
مظاهر الحياة في ذلك العصر السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ،  
والادبية ، والدينية ، والاجتماعية — من بداية القرن التاسع عشر الى نهايته  
لان ما حصل خلال هذه الفترة من تلك الاحوال كان له انعكاس على حياته ،  
وتأثير على خط سيره ، وتحديد لاتجاهه . . . .  
ولد محمد عبده في فترة عصيبة تعد بحق من اعظم فترات التاريخ  
اثرا في الامة الاسلامية عامة ، وفي مصر بلدا الازهر خاصة . " ٢ "

---

١ — في سنة ١٨٨١ م قام احمد عرابي — ضابط في الجيش المصري —  
بثورة على الخديوى توفيق ، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية .  
انظر : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، لعبد الرحمن الرافعي ،  
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ م .  
وانظر : تاريخ الشعوب الاسلامية لكارل بوكلمان ، نقله السي  
المصرية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي . ط ٦ ، دارالعلم  
للملايين ، بيروت ص ٥٩١ .

٢ — اقول هذا لان ما ينطبق على مصر ينطبق على غيرها من دول العالم  
الاسلامي .

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر ٥ وخمس سنوات من

القرن العشرين •

وسأرسم في هذا الفصل صورة واضحة لاهم مظاهر الحياة في هذه الفترة لانها هي

التي كان لها اثر مباشر على الشيخ محمد عبده ٥ وكان له فيها دور بارز

لموس ٥ كما سنرى •

١ - الحياة السياسية واهم احداثها ٥ والاقتصادية واهم مظاهرها •

٢ - الحياة الثقافية وابرز ملامحها ٥ والادبية واشهر رجالها •

٣ - الحياة الدينية ووضح مظاهرها ٥ والاجتماعية واطهر صورها •

ونشرع في الكلام على هذه العناصر على هذا الترتيب في البلاد

الاسلامية عامة وفي مصر بلد الشيخ محمد عبده على وجه الخصوص •

## اولا : الحياة السياسية والاقتصادية

=====

كان عصر النهضة في اوروبا قد اثمر في معظم قطاعات الحياة العلمية ،  
والتطبيقية ، والاقتصادية . . . وكان من آثار ذلك تماظم نفوذ كثير من الدول  
الغربية واشتهارها في العالم ، وتطلعها الى بسط نفوذها على اكبر بقعة من  
الارض عن طريق الغزو المسلح والتوسع الاستعماري ، بحجة انتشار الامم  
والشعوب مما هي فيه من الجهل والتخلف . . .  
ومقدار ما كانت الدول الغربية آخذة في التقدم والازدهار كانت الدول  
الاسلامية ، وفي مقدمتها الدولة العثمانية آخذة في التدهور والانحلال . " ١ "  
يقول صاحب كتاب حاضر العالم الاسلامي " لوثروب ستوادارد "  
الامريكي : ( ان سيطرة الغرب الحديثة على الشرق لا مثيل لها في التاريخ من  
حيث العظمة والخطورة ، والمدى والجمال ، فما كان لليونان ورومية من قبل من  
السيطرة المحدودة النطاق على بعض من العالم ، لا يعد بالاضافة الى سيطرة  
الغرب اليوم شيئا مذكورا ، والغريب في حديث هذه السيطرة الغربية انها  
بنت خمسة عقود من السنين لا اكثر ، بدأ سيلها يتدفق على الشرق منذ نحو  
منتصف القرن التاسع عشر ، ومنذ ذلك الحين ، لم تنزل وسائلها واسبابها تنتشر  
وتعم ، ذلك كالطرق ، والمسالك الحديدية ، والبرق ، والبرق ، والكتب ،

---

١ - انظر كتاب اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، الكتاب الاول للدكتور

عبد المجيد عبد السلام المحتسب ، دار الفكر ، الطبعة الاولى ،

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ٦ ، ٧ ، ٨



والصحف ، والمجلات ، وكشيع جديد الآراء والأفكار المتوالية الأزد ياد في كل  
مصر شرقي ( ١٠ هـ ٠ " ١ "

وفي هذا العصر وصلت " المسألة الشرقية " قممها ، تلك التي كانت  
عنوانا بارزا لخطط الغرب للسيطرة على العالم الاسلامي ، ونهب ثروته ،  
وكسر شوكته والعمل على اضعاف القوة السياسية للإسلام .

يقول الاستاذ العقاد مبينا ذلك وموضحا له : ( وكانت  
المسألة الشرقية قد تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية ، وهو  
دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركه الرجل المريض ، فبعد ان كان الغرض  
من المسألة الشرقية انتزاع الاقطار المسيحية من املاك الدولة العثمانية اصبح هذا  
الغرض هو تقسيم اقطارها جميعا من مسيحية واسلامية ، وتبادل الاضياء عن كل  
نصيب متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة ، وصاحبها  
على قيد الحياة ) ( ١٠ هـ ٠ " ٢ "

وظل النفوذ الغربي على العالم الاسلامي يزداد حتى وصل الى  
منتهى ما يصل اليه نفوذ قوي على ضعيف ، من الناحيتين السياسية والاقتصادية ،  
فلم يقف استخدام هذا النفوذ عند حد الاستغلال الاقتصادي في كشف او  
استغلال موارد الثروة لاجل ، رفع مستوى الغرب وتقدم صناعته من جانب  
واضعاف مستوى المسلمين والحرص على تخلفهم من جانب اخر ، بل تعداه الى  
استخدام النفوذ العسكري للتفيس عن الحقد الصليبي ضد المسلمين . " ٣ "

- 
- ١ - حاضر العالم الاسلامي ، تأليف لو ثروب ستوادارد الامريكي ، نقله  
الى العربية الاستاذ عجاج نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر المجلد  
الثاني الجزء الرابع ص ٢ .
  - ٢ - عمقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، لعباس محمود العقاد ،  
دار الكتاب العربي بيروت - لبنان - ١٩٧١م ص ٨ .
  - ٣ - انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين ،  
بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩م ص ٧ وما بعدها .

يقول لوشوب ستودارد الامريكي : - ( وفي الواقع فان ذلك الفتح الاقتصادي قد كان العامل الاكبر في سرعة تقدم اوربا وبلوغها اوج الكمال وقمة العظمة اما امر اخضاع البلدان الشرقية فقد كان بعضه يتم على ايدي القوى العسكرية كحملة فرنسا على الجزائر ، وفتح روسيا لاسيا ، وغزو ايطاليا لطرابلس الغرب ، وبعضه الاخر على يد الوسائل الاقتصادية الصرفة وذلك ما هو معروف بـ " الفتح السلمي " اعني به : القبض على خناق بلاد شرقية مستقلة استقلالاً مخترق السياج برووس الاموال الغربية تمتد بها الدولة الفاتحة تلك البلاد على شكل القروض والامتيازات ، ومتى ما تم ذلك اخذت السيطرة السياسية تبدو شيئاً فشيئاً حتى تنتشر انتشاراً يطبق على البلاد وعلى هذه الطريقة تم فتح مصر ، ومراكش ، وبلاد المعجم ، بينما كانت الهند من قبل ذلك تستعمرها " شركة الهند الشرقية " بوسائل تجارية بحته ( ٠٠٠ ) " ١ "

ويعد ان تحقق للمستعمر ما يريد ، وسط سلطته في رقعة الشرق الاسلامي ، بدأ يفكر في الطريقة التي توجهه للبقاء في المنطقة ، وتمكنه من العيش فيها بسلام ، وتضمن له تحقيق اهدافه وغاياته ، ٠٠٠

وليس له هنا طريق لتحقيق ما يريد سوى الدخول الى معتقدات المسلمين وتغيير مفاهيمهم ، وتصوراتهم ، وتشويه التراث الاسلامي ، والتشكيك في الاسلام حتى يبعد المسلم عن دينه وعقيدته ٠٠٠

وامام هذا الواقع المؤلم ظهر من الناس فريقان :

فريق نسب نفسه الى الاسلام زوراً وبهتاناً فنادى باتباع الغرب فيما وصل اليه ، والاخذ عنه ، غشه وسمينه . كما نادى بتقريب الاسلام ، وتأويل ما فيه مما يخالف الغرب ، فلاقى هؤلاء كل عون من المستعمر الغربي .

وكان من نتيجة ذلك ظهور صحبات تنادي بالوطنية ، وحب الوطن  
بالمعنى القومي الحديث في اوربا ، الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة  
من الارض ، وتنادي بحرية خارجة عن حدود الدين باعتبارها حجر الزاوية في نهضة  
اية امة ، وفي مقدمها ، وتنادي بتحرير المرأة من قيود الدين ، وبالثورة على  
القديم ، واتباع النظم الاقتصادية الغربية واحلالها محل التشريع الاسلامي ،  
وايهام المسلمين انها تتفق مع احكام الاسلام ونظمه . " ١ "

اما الفريق الثاني فقد اخذ على عاتقه مهمة الدفاع عن الاسلام والوقوف  
في وجه الافكار ، والبهادى الهدامة ، وتفهم المسلمين حقيقة الاسلام والدعوة  
الى التمسك به ، على اكمل وجه ، ونهذ حضارة الغرب وثقافته ، ودفع حملات  
التشويه والتضليل ، ومواجهة المستعمر وتحديه ، وقد مثل هذا الفريق علماء  
وشيوخ الازهر الشريف المخلصين ومن هؤلاء الشيخ محمد عبده . " ٢ "

- 
- ١ - ومن هؤلاء حركة السيد احمد خان في الهند التي سماها تجديدا ، وحركة  
ميرزا غلام احمد / انظر كتاب الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار  
الغربي تأليف الدكتور محمد الهبي ص ٢٠ ، ٢١ ، الطبعة الخامسة  
دار الفكر بيروت ١٩٧٠م .  
ومنهم رفاة رافع الطهطاوى في مصر ، وخير الدين التونسي في تونس ،  
انظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ١٨ وما بعدها / واتجاهات  
التفسير في مصر الحديث للدكتور عبد المجيد المحتسب ص ١٠ /  
واصول الفكر الغربي الحديث عند الطهطاوى للدكتور محمود فهمي حجازى  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .
- ٢ - انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٠  
وما بعدها بتصرف .  
ويرى البعض ان الشيخ محمد عبده وتلاميذه في مصر قاموا بدور  
التوفيق بين الاسلام وبين الحضارة الغربية . / انظر اتجاهات التفسير  
في مصر الحديث ص ١٧ .

## ثانيا : الحياة الثقافية والأدبية

=====

كانت الحياة الثقافية والأدبية في عصر الشيخ محمد عبده ضعيفة المستوى وذلك بسبب اتصال الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي ، اتصال اعتداء مسلح موجه ضد المسلمين من ناحية واتصال مسخ وتزييف للشخصية الاسلامية والتطورات الاسلامية والفاهيم الاسلامية والسلوك الاسلامي من ناحية اخرى ، بقصد اضعاف المسلمين وتأويل وتحريف ما في الاسلام من مبادئ ونظم . . . بما يوافق مدنيهم الحديثة .

وكان من نتيجة هذا الهجوم على الدين والمثدين انعدام المدارس والمعاهد والجامعات ، وقلة المعلمين والمتعلمين ، ولم يبق لطلاب العلوم مجال يملكون فيه سوى ما يسمى " بالكتائب " التي كانت تعنى بطالب العلم منذ طفولته ، وتحفظه القرآن ومبادئ العلوم ثم ينتقل بعد ذلك الى حلقات الجوامع ، او ملاحقة العلماء والتلمذ عليهم ، او الدروس الخاصة في البيوت الموسرة ، القادرة على تحمل نفقات التعليم . . . " ١ " .

يقول الاستاذ الندوي في وصف هذه الحالة : ( ويبدو ان التخلف كان عاما في المجتمعات الاسلامية ، وان العالم الاسلامي كان مصابا بالجذب العلمي والشلل الفكري ، لاننا نجد ان كتب المتقدمين رحلت عن حلقات العلم وحطت معها كتب المتأخرين التي غصت بالمتون والشروح والحواشي والتقارير ولم يكن تخلف المسلمين في العلوم النظرية والحكمة " ٢ " والمدنية فحسب بل تخلفوا

---

١ - انظر كتاب : سيد قطب ، الشهيد الحبي ، بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدي  
مكتبة الاقصى - عمان - الاردن - الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ،

في صناعة الحرب ايضا فسبقتم اوروبا باختراعاتها وقوة ابداعها وحسن تنظيمها " ١ " الى جانب هذا وفي الجانب الاخر كانت هناك المدارس التبشيرية التابعة الى الغرب الصليبي ، وكان التعليم فيها بغير اللغة العربية ، غير ان بعض هذه المدارس كانت تعنى باللغة العربية لتخدع الناس وتوهمهم بأنها غير على العرب والعروبة بينما كان هذا خلافا في المدارس التبشيرية كانت المدارس التركية تقلل من اهمية اللغة العربية ، وذلك تمهيدا وتشجيمًا من المستعمر لكي يثور العرب على الدولة العثمانية ، واستدراجا ومطية لفتح الافكار الغربية الخبيثة في صفحات الكتب ، وحجر التدريس لتسميم العقول العربية ، وتشويه المعتقدات الاسلامية ، والسير بالطلاب في خط الانحراف المطلوب " ٢ "

ففي مصر مثلا اظهر سعيد باشا " ٣ " اهتماما بالغًا بالمدارس الاجنبية ، المؤسسة بحضر بمعرفة الرسائل التبشيرية ، ومنح المساعدات السخية للراهبات في اميرة القاهرة والاسماعيلية ، ووهب الابنية الفخمة للرساليات

- 
- ١ - ماذا خسرت العالم بانحطاط المسلمين ، لابي الحسن الندوي ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ، الطبعة العاشرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ١١ ، ١٢٠ .
  - ٢ - انظر كتاب : رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته ، تأليف الدكتور احمد الشرباصي ص ٥٣ - ٧٩ .
  - ٣ - الخديوي سعيد ، خليفة الخديوي عباس ، والخديوي لقب اطلق على طسوك مصر من ورثة محمد علي باشا ، وكان عصره بلاه على الشعب المصري ، في جميع المجالات وخاصة في المجال الاقتصادي والقيم والاخلاق .
- انظر كتاب : تطور الرواية العربية الحديثة في مصر لعبد المحسن طه بدر ص ٢٣ ، ط ٢ / وكتاب : المسرحية في الادب العربي الحديث لمحمد يوسف نجم ص ٢٤ ، ٢٥ ، دار الثقافة بيروت ، ط ٢ ، سنة ١٩٦٧ م .

الامريكية ، وتبرع بسخاء للمدارس الايطالية . " ١ "

وازدادت حالة التعليم سوءا في عصره ، ويبدو ان وراء ذلك رغبة في نفسه وهي ان يحكم مصر حكما صارما ما دام الشعب سادرا في ظلمات الجهل ، فقد قال لسكرتيره مرة : ( ولم نعلم الشعب ؟ لكي يصبح الحكم عليه والتصرف فيه اعسر ما هو عليه ، ؟ دعهم في جهلهم فالامة الجاهلة اسلس قيادا في ايدي حاكميها ) . " ٢ "

هذا نموذج لحال هذا العصر من الزمان ، ولقد كانت مصر اذا ما قيست الى الدول الاسلامية الاخرى الاسيوية منها والافريقية احسن حالا ، واغنى ماقا من الناحية التعليمية ، لان فيها الازهر الشريف ، الشجرة الطيبة يتفوق ظلالها طلاب العلم ، ويقطف من ثمارها العالم الاسلامي من اقصاه الى اقصاه .

وفي مواجهة ذلك كله كان الازهر بثقافته الاسلامية وجهوده في نشرها هنا وهناك يقاوم الثقافة الاجنبية ، والمبادئ ، والنظم الهدامة والشعارات البراقة المزيفة والمفاهيم الخاطئة التي سرت في جسم الامة الاسلامية سريان النار في الهشيم ، ويقف حاجزا منيعا دون انتشارها ، وسدا حصينا يصد عنها ويجعل مهمتها صعبة جدا وغير مأمنة . . . .

ومهمة الغرب المستعمر هي العمل على اضعاف وتوهين النشاط العلمي عند المسلمين في جميع المجالات ، وفي اسلامهم اولا وبالذات . والوصول به الى ادنى درجات التفكير .

- 
- ١ - انظر كتاب : تاريخ مصر في عهد اسماعيل ، لالياس الايوبي ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣ م ص ٨٤ .
  - ٢ - كتاب : حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، لجاك تاجر ، دار المعارف بمصر ١٩٤٥ م ، ص ٧٥ و ٧٦ .

لذلك فقد استخدم كافة الوسائل في تحريف الفكر الاسلامي ، تحريفا يهدم السلم عن التمايم ، الاسلامية الصحيحة ويقربه من الافكار الغربية ، وهذه الوسائل يمكن ردها الى ما يلي :-

١ - تنشئة جيل جديد من ابناء المسلمين ، يربى تربية خاصة على اسس اوربية ليقرب من الاوربيين في طريقة التفكير ، والسلوك ، من امثال " رفاة الطهطاوى " في مصر " و " خير الدين التونسي " في تونس اللذين كان لهما اثر كبير في نقل الافكار الاوربية الى المجتمع الاسلامي في مصر وتونس والترويج لها بشكل يدعو الى العجب ... " ١ "

يقول الدكتور محمد حسين : ( ولكن اهمية الطهطاوى وخير الدين ترجع الى انهما قفا جلبا هذه البذور الغربية والقيام بها في التربة الاسلامية ) " ٢ "

٢ - في تشويه الاسلام واعادة عرضه بحيث يبدو متفقا مع الفكر الغربي ، او قريبا منه ، وفي هذا خطر على الاسلام واهله ، لان فيسره تأويلا للنصوص ، وتحريفا لها ، مما يؤدي بالمسلمين الى الفرقة والاختلاف ،

---

١ - انظر الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ الطبعة الاولى بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

وانظر الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوى دراسة وتحقيق محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ م .  
وانظر : رفاة رافع الطهطاوى تأليف الدكتور جمال الدين الشيال ، دار المعارف بمصر ، سلسلة نوابع الفكر العربي ١٩٧٠ م .

٢ - الاسلام والحضارة الغربية ص ١٧ .

وهو ما يريدُه اعداء الاسلام ، وقد حصل لولا ان الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ

هذا الدين من ايدي العابثين ، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه . " ١ "

٣ - الدور الذي لعبه النصارى المقيمون في ظل الدولة

المثمانية ، الذين كانت تتملق امالهم بالعيش في جو غير اسلامي ، لان الدين الاسلامي يفرض عليهم امورا يصعب عليهم الانفلات منها ، والعمل بحرية لاستكمال

صالحهم .

فانشروا الصحف والمجلات ، والكتب التي كان معظمها يروج للمذاهب

الاجتماعية والتربوية المنقولة من كتب الغرب وثقافته .

وقد برز هذا الدور في صورتين :-

الاولى :

===== قيام بعض العملاء بحركة سموها تقدمية - هدفها تقرير سلطة

المستعمر ، وموافقته في كل جديد يدخله على الاسلام .

ويمثل هذه الصورة " السيد احمد خان " في الهند ، " وميرزا غلام

احمد " زعيم لحركة القاديانية " ٢ " ، " ومولاي محمد علي " ، " وخواجه

---

١ - انظر : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ ، ١١ ، نقلًا

عن الاسلام والحضارة الغربية ص ١٩ وما بعدها .

٢ - ولد ميرزا غلام احمد سنة ١٨٤٠م ، من اصل سلالة مغولية ، تلقى تعليمه

في بيته على معلمين : فضل الهي ، وفضل احمد ، ادعى النبوة وقال

ان عيسى حل فيه ، وكذلك محمد ، توفي سنة ١٩٠٨م /

انظر : كتاب القادياني والقاديانية ، دراسة وتحليل ابو الحسن الندوي

ص ٢٢ - ٢٩ ، الدار السعودية للنشر الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ /

١٩٦٧م / وانظر كتاب : المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ،

للدكتور عبد الرحمن عميرة الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م ص

٢٧٥ وما بعدها .



كمال الدين " زعيما الحركة الاحمدية " ١

الثانية :

=====  
قيام بعض المستشرقين بابراز الخلافات المذهبية ، وتعميق  
الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشعبهم ، بقصد تشكيك المسلمين في  
دينهم ، وتمكين المستعمر في الديار الاسلامية من ضمان استمرار بث الروح  
الصليبية ، والافكار الكهنوتية في الكتب والمؤلفات التي تقدم بالمجان للمسلمين " ٢"  
وفي مقابل هاتين الصورتين برز اتجاه فكري اسلامي معاكس ، تمثل  
في حركة اسلامية هدفها مقاومة الاستعمار الغربي ، وتحطيم وسائله ، ورد كل  
دخيل على الاسلام ، وبيان وضوح المنهج الاسلامي والفكر الاسلامي وشموله .  
هذا الاتجاه كان يمثله الازهر الشريف الذي دعا الى تمسك المسلمين  
باسلامهم كما ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والتثقف بثقافة الاسلام ،  
وعدم انصار ابناء المسلمين في بوتقة الفكر الغربي ، والتحذير من الوقوع في شركه  
واحليله .

يقول لوثروب : ( ان الامم الاسلامية في الشرق لم تقبل على انتحال

الافكار والاراء الغربية انتحالا شديدا ماخوذا به الى حد امتزاجه بطبائعها  
واخلاقها ) " ٣ " كان ذلك بفضل الله اولا ثم بقوة الازهر وحموده .

---

١ - حركة منشقة عن الحركة القاديانية ، حاولت التوفيق بين الاسلام والمسيحية ،  
اظهرت نشاطا كبيرا في مجال التبشير في الملثم العربي والاسلامي كفلسطين  
وباكستان / انظر الموسوعة العربية الميسرة البرت ريحاني ، وآخرون  
من الاساتذة ، دار الشعب بالقاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعة  
الثانية ١٩٧٢ م ص ٢٣ .

٢ - انظر الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي الطبعة الخامسة

١٩٧٠ م ، دار الفكر بيروت ص ٢٩ وما بعدها .

٣ - حاضر العالم الاسلامي المجلد ٢ الجزء ٤ ص ٣ .

ومما تجدر الاشارة اليه في هذا المقام تلك المحاولة الفكرية لتوضيح المفاهيم الاسلامية بنحية الملائمة بينها وبين روح العصر ، واحداثه المتلاحقة المتجددة ، دونما خروج عن دائرة الاسلام ، كتلك المحاولة التي قام بها " محمد اقبال " " ١ " في الهند ، والشيخ محمد عبده في مصر .

- 
- ١ — الشاعر الاسلامي محمد اقبال ( ١٨٧٣ — ١٩٣٨ ) باكستاني ولد في مدينة سيالكوت درس الفلسفة والادب ، واشتغل بالمحاماة دعا الى نهضة التصوف الذي يؤدي الى ائمة الامة . وله عدة مؤلفات باللغة الاردية .
- / انظر : الموسوعة العربية الميسرة باشراف محمد شفيق غريال ، دار الشعب مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

### ثالثا : الحياة الدينية والاجتماعية

=====

ما ان استقرت اقدام المستعمر الغربي فوق الارض الاسلامية ، حتى اخذ يفكر بكل حيلة ووسيلة لتوهين عقيدة المسلم ، وتفكيك الروابط الاسلامية وتجزئ المجتمع الاسلامي ، وطمس الشعائر ، واظهار البدع ، والتشجيع على تعاطي المحرمات والكبائر ...

فكتبوا الكتب ، ونشروا الرسائل ، ووزعوا المنشورات ، والقوا المحاضرات للطمس في الاسلام ، والتشكيك فيه وفي صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، عدا عن السباب ، والصاق التهم به والكذب عليه ، ...  
والحقيقة ان المستعمر نجح في اسلومه هذا ، وحقق كثيرا مما اراد ، فانسلخ كثير من الناس عن دينهم ، وشوهت صورة الاسلام ، وصورة المجتمع الاسلامي ، وصارت المبادئ ضررها من الاوهام والعادات في غالبية البلاد ، وعند كثير من الناس .

والكاتب الامريكي لوثروب استطاع ان يشخص الحالة الدينية عند كثير من المسلمين في هذه الفترة فقال :-

( واما الدين فقد غشيت غاشية سوداء ، فالهست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخطت المساجد من ارباب الصلوات ، وكثر عدد الادعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين

يخرجون من مكان الى مكان يحملون في اعناقهم التمام والتعاويد والسبحات ،  
ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويغيبونهم في الحج الى قبور الاولياء ، ويزينون  
للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور ، وغابت عن الناس فضائل القران ، فصار  
يشرب الخمر والافيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على  
غير خشية ولا استحياء ، ونال مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ما نال غيرها من  
سائر مدن الاسلام ، فصار الحج المقدس الذي فرضه النبي " ا " على من استطاع  
ضربا من المستهزآت ، وعلى الجدة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا  
مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة الى الارض في ذلك العصر ورأى ما  
كان يدهي الاسلام لغضب واطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما  
يلعن المرتدون وعبدة الاوثان ( ١٠ هـ )

هذا من الناحية الدينية ، اما الناحية الاجتماعية فقد ضيق المستعمر

الغربي سبل المعيشة على المسلمين ، وشد وطأته عليهم ، واضر بهم من كل  
جهة ، فكان من نتيجة ذلك ، انتشار البطالة ، وقلة الانتاج ، وتضييق السبيل  
على من يطلب الرزق ، ورافق ذلك انتشار السرقة ، ونفي وسجن كل من تسول  
له نفسه من علماء المسلمين وروء سائهم ، العمل على مقاومة الاستعمار وكبح جماحه ،

---

١ - لم يفرضه النبي عليه السلام ، بل فرضه الله سبحانه ، والنبي مبلغ . وقد  
قال : " يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " رواه احمد ومسلم  
والنسائي .

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية تأليف  
عبد العزيز المحمد السلطان . من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث العلمية  
والافتاء والدعوة والارشاد - السعودية - الطبعة الرابعة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م  
الجزء الثاني ص ٢٠٠ .

وهذه شهادة من لا يدين بالاسلام ، ودينه النصرانية .

يقول لوثوب : " ١ "

( ما اشبه غالب الدول النصرانية في سلوكها هذا الذي ما برحت

سالكته منذ عدة سنوات ازاء الامم الشرقية ، بمصائبهم من اللصوص يهبطون على الخلل " ٢ "

الآمنة ، اهلها ضعفاء ، عزل ، فيثخنون فيهم ثم ينقلبون بالفخام والاسلاب ،

ما بال هذه الدول لا تنفك تدوس حقوق الامم المجاهدة في سبيل النهضة ٢٠٠٠ ؟

وعلام هذا المسف الذي تضرب به الشعوب المستضعفة ؟ وهذا الجشع الكلي .

لا تتيأس ما بين ايديها وما خلفها ؟ ان هذه الدول الغربية النصرانية هي بعملها

هذا مؤيدة للدعوى الباطلة ان القوى الشاكي السلاح يحق له الانقراض على الضعيف

الاعزل ، وآتية بالبرهان القاطع على ان مكالم الاخلاق والاداب الاجتماعية لا شأن

لها البتة حيال القوة المسلحة . اجل ، ان هذه الدول قد تجردت عن كل حسنة

في معاملة الشعوب الشرقية تجردا لم يسبق له مثيل حتى بين اشد الجيوش الشرقية

هجمية في الزمن القديم ) " ٣ "

ومن ناحية اخرى ، فقد نجح المستعمر الغربي ايضا في اختيار فريق من

الناس ، لبسوا لباس الاسلام ، ونطقوا باسمه ، وفي نفوسهم نحل وحقد على اهل

وفي قلوبهم ريخ وزندقة ، سخرهم لمصلحته في افساد دين المسلمين ، وتقيدتهم

---

١ - حاضر العالم الاسلامي المجلد الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٢ .

٢ - يقصد المحطة ، اي المكان او المنطقة .

٣ - لم يبين مقصده بجيوش الزمن القديم ، فان كان المقول فصحيح ،

اما الفتوحات الاسلامية فسيرتها هطرة من حيث المعدل والامانة

والرحمة ، ٠٠٠٠ الخ .

وفي توهين الرابطة الاسلامية بينهم ، وتبديد جمعهم ، وتشتيت شملهم ، من هؤلاء كما ذكرنا سابقا " احمد خان " و " ميرزا غلام احمد " . . .  
أما الأول فقد تنصرا لسيادة الانجليز ، ثم ظهر بمظهر  
الطبيعيين ، ولقب نفسه بالطبيعي ، واستمال بعض الشبان الطائشين ،  
فراى فيه الانجليز خيرا وسيلة لتحقيق غرضهم ، فمزوه وكرموه .  
وكان من اعماله : تفسير القران الكريم حرف فيه الكلم عن مواضعه ،  
واشترى بايات الله ثمنا قليلا ، فأنكر المعجزات والخوارق ، الحاصلة على يد  
مدعي النبوة صلى الله عليه وسلم ولكنه مع ذلك ظل يقرب ختم النبوة والرسالة  
بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما الثاني : فقد ادعى انه المهدي ، وقال ان عيسى ومحمد عليهما  
السلام خلا فيه فهو نبي " ١ " والذى فرضته الجهاد ، وواجب طاعة الانجليز  
باختبارهم اولي الامر الحاكمين .  
وهو اول مؤسس للمذهب القادياني ، الذى نشأ منه فيما بعد ما يسمى  
بالحركة " الاحمدية " وهي تختلف عن القاديانية في انها تنظر الى " ميرزا "  
على انه صلح ديني لا نبي " ٢ " .

ومساعدة المستعمر لهذه الحركات وغيرها ، شهد العالم الاسلامي كله  
فرقة في العقيدة والدين ، وفي القيادة والولاء ، وتفجير اتجاه كثير من الناس ،  
وفسدت فطرهم ، وانحرفت تصوراتهم ، اضافة الى هذا ، الجهد ، المتواصل

---

١ - انظر كتاب : كهرو اليقينيات الكونية تأليف الدكتور محمد سعيد رمضان  
البوطي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٠ هـ  
ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

٢ - انظر كتاب : الفكر الاسلامي الحديث واصلت بالاستعمار الغربي ص ٣٧  
وما بعدها .

الذى بذله المستشرقون في ابراز الخلافات المذهبية وتمحيق الفجوات بين طوائف المسلمين ، من الوجهة الشعبية ، او الجغرافية ، او من ناحية نظام الحكم . . . مع شرح كثير من الافكار والمبادئ الاسلامية شرحا مشوها ، بالإضافة الى تهيسة جيل جديد يمجّد القيم المسيحية ، والاخلاق المسيحية ، والمعادن المسيحية ، والحضارة المسيحية ، والانظمة المسيحية ، وكل ما هو مسيحي ، ويدعو الى تقليدها بحجة انها لا تتعارض مع الاسلام . " ١ "

حصل هذا في معظم البلاد الاسلامية ولا زالت آثاره شاخصة في . . .

العالم الاسلامي حتى وقتنا اليوم . " ٢ "

ولكن المستعمر الغربي واعوانه واجهوا موجة عنيفة من قبل

المسلمين ، في جميع الاقطار المستعمرة ، ففضلاى فريق من العلماء لهذه الجبهة المعادية ، بكل ما يملكون فابهرت فرقة تلقّد نظرياتهم وافكارهم وتنقضها ، واخرى وضعت منهاجها فكريا اسلاميا لتقوية عقيدة المسلمين ، وثالثة هبت للدفاع عن الشعب وحقوقه ، واسترجاع ما سلب منه .

وكان الشيخ محمد عبده في مصر من الذين دانعوا ونقدوا

وخططوا ، وله في ذلك مواقف وآراء ، وسأبين هذا في الفصول القادمة باذن الله تعالى .

---

١ - انظر : الاسلام والتجديد ، تأليف تشارلز آدمز ، ترجمة عباس محمود ،

مطبعة الاعتماد ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م ص ١٠ وما بعدها .

وانظر : الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني . جمع وتحقيق محمد

عمارة ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ص ٢٥٠ وما بعدها .

٢ - انظر كتاب : مذكرات قليني فهدى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ص ٧

وما بعدها .

وانظر : تربية المرأة والحجاب ، لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ،

## "عصر الضعف الاسلامي العام"

=====

واقصر الكلام على عصر الشيخ محمد عبده فأقول :-

انه عصر الضعف الاسلامي العام : السياسي ، والاقتصادي

والثقافي ، والادبي ، والاجتماعي . . . الخ .

وفي هذا العصر دخلت الدول الغربية مرحلة طابعها الاستعمار

والسياسة ، وقوامها العلوم والفنون والصناعات ، والثروة والنظام . . . واما اخرى

غيرها بما يمكن لفئة قليلة ان تغلب فئة كبيرة في وقت قصير .

فباتت الامة الاسلامية بفعل هذا الاستعمار مغلوبة على امرها ،

تتقاذفها التيارات من كل جانب ، وتتقاسم الدول ديارها وهي غارقة في بحار

من الجدليات والاهام والخيالات . . .

يتكلم الشيخ رشيد رضا عن حال الناس في هذا العصر وما يقتضيه

من التجديد ، يقول :-

( اتسعت مسافة الخلف بين الشعوب في العلم والعمل ووسائلهما ،

واشدت الحاجة الى تجديد الحياة في المتخلفة منها عن المقدمة ، لا ينهض

بمثله امثال اولئك الجدد بين القدماء بالوسائل القديمة وحدها ، ولا يطمح اليه

صوفي يستمد قوته من الاموات ، ويتكل على الكرامات ، وينترب بالمنامات ، ولا يطمح

في تدليل صحابه واقتحام عقابه غريق في بحار النظريات العقلية ، ومشتق الافكار

بنظريات الفلسفة ، ولا يطلع ثنياه ، ويجتلي خفاياه منقطع الى كتب الشرائع ،

واستنباط احكام الوقائع ، يتساقى اليه من تعلم العلوم والفنون المصرية تعليما

---

= الطبعة الثانية ١٩٧١م ص ١٠ وما بعدها .

وانظر : حديث عيسى بن هشام ، لمحمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ،

الطبعة الرابعة ص ٤٠ وما بعدها .



ألمّا ليكون أحد العمال في دائرة من دوائر الحضارة أو ديوان من دوائرها حكومتها ) .

وليس يبلغ واصف لحال هذا العصر ما بلغه النبي صلى الله عليه وسلم

حين مثل حال المسلمين وقد تألّبت عليهم أم اقوية بالعلم والنظام والفن والعمل  
والسلاح والتعاون تسلب ملكهم . . . . فقال :

" يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " فقال

قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : " بل انتم يومئذ كثير ولكن غطاء كفضاء

السيل " وسينزل من الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن "

قال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : " حب الدنيا وكراهية الموت " .

صدقت يا سيدي يا رسول الله صلى الله عليك وسلم . . . .

فهذه الدول تتداعى علينا بجيوشها ، ومذاهبها وثقافتها وآدابها ،

فتستولي على أفكارنا وعلى بلادنا وعلى ثرواتنا وتتكلم وحدتنا وتجهنمنا وتصرف في العمل

على الحلال أخلاقنا وقيمنا ، فانصرفنا عن الحق إلى الباطل حتى صارت الدنيا

أكبر هتافا والموت من أشد أهدافنا . . . . لولا بركة من أيمان احتفظت بها أرض الجزيرة

العربية بجوار البيت الحرام ، والأزهر الشريف في مصر ، وفي بعض المدن

الإسلامية ، ليتم الله نوره ولو كره الكافرون .

---

١ - تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، تأليف محمد رشيد رضا ، الطبعة

الاولى ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م . الجزء الاول صفحة " هـ " .

٢ - الحديث صحيح ، رواه ابو داود في السنن والبيهقي في دلائل النبوة من

حديث ثوبان رضي الله عنه .

## الفصل الثاني : أطوار حياته

=====

يمكن تقسيم حياة الشيخ محمد عبده الى طورين :-

الطور الاول :

===== ومدته عشرون عاماً .

مولده ، ونشأته ، وتعليمه ، ويمتدأ بمولده سنة ١٨٤٩م /

١٢٦٦ هـ حتى اول لقاء له مع السيد جمال الدين الافغاني سنة ١٨٦٩م .

الطور الثاني :

===== طور حياته العملية ، ومدته ستة وثلاثون عاماً ، من سنة

١٨٦٩م حتى وفاته سنة ١٩٠٥م .

ويقسم هذا الطور الى ثلاث مراحل على النحو التالي :-

١ - مرحلة ما قبل النفي ، وتمتد من سنة ١٨٦٩م - ١٨٨٢م .

٢ - مرحلة النفي ، وتمتد من سنة ١٨٨٢م - ١٨٨٩م .

٣ - مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه وتمتد من سنة ١٨٨٩م الى وفاته

سنة ١٩٠٥م . رحمه الله .

ولنبتدىء بالكلام على " الطور الاول " من سنة ١٨٤٩م حتى سنة

١٨٦٩م .

١ - قرينته :-

===== ولد الشيخ محمد عبده ب " حصة شبشير " من قسرى

اقليم الغربية ، ولكنه شب وترعرع في قرية اخرى تسمى " محطة نصر " من قسرى

مركز " شبراخيت " باقليم " البحيرة " حيث عاش والده ، وطاشت اسرته " ١ " .

---

١ - انظر كتاب : عمقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده تأليف الاستاذ :

عباس محمود العقاد ص ٦٥ .

وإذا كانت دراسة حياة أي إنسان لا بد أن تستوعب كل مراحل حياته ،  
وتبين المؤثرات في كل مرحلة فمن الضروري معرفة مؤثرات قرية الشيخ محمد عبده على  
الطور الأول من حياته وعلى بقية مراحل حياته . . . .

أقول : أن قرية الشيخ محمد عبده كغيرها من قرى القطر المصري ،  
تتأثر بخصب أرضها ، وطيب أهلها ، وجمال منظرها ، مما يكون له أثر كبير  
في تكوين شخصية الطفل ، ونفسيته ، وهذا هو السبب المباشر في أن غالبية  
الزعماء والقادة والمفكرين هم من الأرياف ، لصفاء الحياة هناك وساطقتها والبعد  
عما في المدينة من تعقيدات تمكر الحياة . . . .

وهكذا كان لقرية الشيخ محمد عبده الأثر الكبير في تكوين شخصيته ونفسيته ،  
وسلوكة ، فكان خصب الفكر ، دسم الانتاج ، كبير العقل ، جرى القلب ،  
قوى الشخصية ، شديدا الاعتداد بنفسه ، إلا أنه كان حاد الطبع حسبي  
المزاج ، بخلاف أبناء الأرياف الذين يكتسبون من بيئتهم الهدوء والسكينة . . . .  
٢ - أصله :-

=====

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله التركماني ، من أسرة تنتمي  
إلى بيت " التركمان " .

فهو إذا تركماني الأصل بلا خلاف . جاء جده إلى مصر وسكن  
فيها ، ولا نعرف سبب مجيء جده إليها . . . .

يقول الشيخ محمد عبده : ( كنت أسمع المداحين من أهل بلدتنا  
يلقبون بيتنا ببيت التركمان فسألت والدي عن ذلك فأخبرني أن نسبنا ينتمي إلى جسد  
تركماني ، جاء من بلاد التركمان في جماعة من أهلنا ، وسكنوا في الخيام بمدينة  
" البحيرة " مدة من الزمن ، ثم اتفق أن اتصل بهم شيخ يسمى " عبد الملك " لا

يصرف نسبه ، ولكنه كان معتقدا ان له كرامات تنسب اليه ، واتخذ له خلوة في  
المحل الذي اسست فيه قرية " محطة نصر " فلما توفي واى جدنا ومن كان من اهل  
بيت الشيخ وبيت اخريسى بيت " الفرناوي " ان يثوا له قبة ثم يقيموا لهم بيوتا  
من البناء حول تلك القبة ويسكنوها ) . " ١ "

٣ - أسرته :-

=====

تحدث الشيخ محمد عبده عن أسرته ، ومكانتها في القرية ،  
ومركز والده فقال : " ٢ "

( اول ما عقلت من انا ، ومن والدى ، ومن والدتي ، ومن هم  
اقاربي ، وجيران بيتي ، عرفت اني ابن " عبده خير الله " ) .  
ومعد ان يبين مدى احترامه لاهله وجهه له يقول :  
( وجهت والدى يقرى الضيف ، ويؤوب الضريب ، ويفتخر  
باكرام النزير ، وذلك كان يزيد منزلته من نفسي علوا ، وانا لا افهم من هذا الا  
انه هي ، يفتخر به بدون ان اقل له طعة . . . ) .

- 
- = وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور  
سليمان دنيا القسم الاول ، ص ٥٤٦ ، دار احياء الكتب العربية ،  
عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الاولى ١٩٥٨م - ١٣٧٧ هـ .  
١- انظر : الاعمال الكاملة للإمام ( ٢ : ٣٢٤ ) .  
٢- كتب الشيخ محمد عبده سيرته هذه في اخريات ايامه ، في شكل ترجمة  
موجزة لحياته ، طلبها منه الكاتب الانجليزي " بلنت " .  
/ انظر الاعمال الكاملة للإمام ( ٢ / ٢٣٧ ) .

والشيخ محمد عبده يعتقد ان والده لهذا العمل كان اعظم رجل في  
القرية ( وكان يمدني في اعتقادي هذا رأيي لبعض الحكام كناظر القسم  
" مأمور المركز " وحاكم الخط " معاون المركز " ينزلون عندنا ، ولا ينزلون في  
بيت العمدة مع انه كان اوسع رزقا من والدي ، واكثر دورا وارضين ) .  
ومع هذا فقد كان والده حاد الطبع عصبي المزاج قاسيا في معاملة  
اعدائه ( وكنت اغفل من صغري ما كان عليه والدي من ثباته في عزمته ،  
وشدته في المعاملة ، وقسوته على من يماديه ) .

كما حدثنا عن اسرة والدته قائلا :

( وهو بيت كبير في بلدة تسمى " حصة شبشير " في الخريبة ،  
يعرف ببيت عثمان ، وكان كبيره ان ذاك جدي " ابراهيم عثمان " الكبير )  
وعن والدته قال : ( اما والدتي فكانت منزلتها بين نساء القرية لا  
تنزل عن مكانة والدي ، وكانت ترحم المساكين ، وتمطف على الضعفاء ، وتمعد  
ذلك جدا وطاعة لله وحمدا ) .  
وعن اخوته واخواته قال : ( ولم يولد له منها - يعني والديه -  
غيري الا بنتان احدهما تسمى " زهيم " وهي بكره ، وتوفيت قبل ولادتي ،  
والاخرى تسمى " مريم " وهي لم تمت حتى تزوجت وانما في اخر سني طلب  
العلم ) .

وحدثنا عن اعمامه فقال :

( عرفت لي عم يسمى " بهنمي " ، ولا اعرف من احواله شيئا  
لانه مات قبل ان احفظ عنه ، وكان لوالدي ابن عم يسمى " ابراهيم " ولم يكن  
له بين الناس ما يذكر به ) .

وعن جده لابيائه قال :

( جدي لابي كان يسمى " حسن خير الله " ، توفي عن ابي

وهي " بالهواء الاصفر " الذي فتك بسكان القطر المصري في اواسط القرن الماضي .  
ويقال انه كان له قبل موته من بني عمه وذوي عصبته نحو اثني عشر رجلا ،  
وشي بهم واش من بيت اخر جاء البلدة وسكن فيها ، وحسد اهل الحسب من  
سكانها ، فسقى بأهل هذا البيت - بيت خير الله - عند الحكام ، بحجة  
انهم ممن يحمل السلاح ، ويقف في وجه الحكام واعوانهم عند تنفيذ المظالم ،  
فأخذوا جميعا ، وزجوا في السجون واحدا بحد واحد ، ومن دخل منهم السجن  
لا يخرج الا ميتا ، وكان جدي " حسن " شيخا بالبلدة وهو الذي بقي من  
البيت مع ابن اخيه ابراهيم ( الذي سبق ذكره ) .  
هذه هي اسرة الشيخ محمد عبده ، التي رأى النور في جوها ،  
والحنان في احضانها ، والقوة بين اذرعها . . . .  
اسرته جمعت بين الوجاهة الريفية ، والمدالة الاجتماعية ،  
والتحدى المستمر للظالم ، . . . . وكان كل من في القرية ينظرون لوالده بعين  
الاكبار والاحلال ، حيث ثبوا مركز الصدارة في القرية ، لدرجة ان كان هو الممثلة  
القملي للبلد وان لم يكن الممثلة الرسمي لان جميع موظفي الدولة الذين يعملون في  
القرية كانوا يترددون عليه باستمرار .  
فلا غرابة ان في ان يشعر الشيخ محمد عبده ان والده يمتاز عن غيره  
بذلك المركز المرموق ( ووقرني نفسي احترام والدي ، ونظرت اليه اجل الناس  
في عيني . . . )

ويقول : ( وقد اخذت عنه ما عدا القسوة ) .

ولقد غرست هذه المشاعر في نفسه معاني المزة والكرامة ، وهي المعاني

---

١ - اى اواسط القرن التاسع عشر ، واذا كان يعني بالقرن الهجري وهو الاربع

فانه منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

التي صاحبته طيلة حياته رحمه الله . " ١ "

٤ - نشأته وتربيته ومشاهد من حياته :-

=====

في هذا المصر الذي وصفنا فيه حالة الامة الاسلامية ، عاش الشيخ محمد عبده ، وفي هذه القرية الجميلة الهادئة - الا من بعض الاحداث - نشأ وترعرع ، وفي ساحات وملاعب حاراتها درج ، وفي احضان تلك الاسرة الكريمة تربي ، وبين اعمامه واخوته " ٢ " قضى احدى ايام حياته ، ايام الطفولة التي لا تنسى . . .

لقد رسم الشيخ محمد عبده صورة حية ، تنطق بجميع مراحل نشأته وتربيته وطلبه للعلم ، منذ تعلمه القراءة ، والكتابة حتى انهى العقد الثاني من عمره .

لذلك احببت ان اقل كل ما كتبه هر عن نفسه وكفاني ان اضح بعض

العناوين المناسبة لبعض الفقرات الواردة ، واشرح ما غرض منها . . .

١ - تربية قوية ونشأة سالحة :-

=====

حرص والدا الشيخ محمد عبده على ان يربياه التربية القوية ، وينشأه النشأة السالحة ، ليكون انسانا سالحا ، مستقيما ، وليحقق الآمال التي يرجوانها منه ، يقول :-

---

١ - انظر : كتاب الاعمال الكاملة للامام ( ٢ / ٣٢١ - ٣٣٤ ) .

وانظر : تاريخ الاستاذ الامام ( ١ / ٩٥٢ ) .

٢ - كان للشيخ محمد عبده اخ من امه " الشيخ مجاهد " ، واخوان من ابيين " علي " و " محروس " .

انظر : الاعمال الكاملة ( ٢ / ٣٢٨ ) .

وعبقرى الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ص ٦٥ .

( تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ للقران ،  
قرأت عليه وحدي جميع القران اول مرة ، ثم اعدت القراءة حتى اتمت حفظه  
جميعه في مدة سنتين ، ادركني في ثانيتهما صبيان من اهل القرية جاؤا من مكتب  
اخر ليقرأوا القران عند هذا الحافظ ، بعد ذلك حملني والدي الى طنطا ،  
حيث كان اخي لامي الشيخ " مجاهد " لاجود القران في المسجد الاحمدى ،  
لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية ) \* ١ "

ب- في دروس المعلم :-

=====

( ثم في سنة احدى وثمانين " ٢ " ، جلست في دروس المعلم ،  
وبدأت بتلقي " شرح الكفراوى على الاجرومية " في المسجد الاحمدى بطنطا ،  
وقضيت سنة ونصفا لا افهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فان المدرسين كانوا  
يفاجؤننا باصطلاحات نحوية او فقهية لا نفهمها ، ولا عناية لهم بتفهم معانيها  
لمن لا يعرفها فادركني اليأس من النجاح ، وهربت من الدرس ، واختفيت عند  
اخوالي مدة ثلاثة اشهر ، ثم عسر علي اخي ، فأخذني الى المسجد الاحمدى ،  
واراد اكرهني على طلب العلم فأبيت ، وقلت له : قد ايقنت ان لا نجاح لي في  
طلب العلم ، ولم يبق علي الا ان اعود الى بلدي ، واشتغل بملاحة الزراعة  
كما يشتغل اقاربي ، وانتهى الجدال بتفليبي عليه ، فأخذت ما كان لي من  
ثياب ومقاع ورجعت الى " محلة نصر " على نية ان لا اعود الى طلب العلم ،

١ - توافق سنة ١٨٦٢ ميلادية .

٢ - والف ومائتين ، ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م .



وتزوجت في سنة ١٢٨٢هـ<sup>١</sup> على هذه النية .

( فهذا اول اثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا ، وهي بعينها طريقته في الازهر ، وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون في المائة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السهيل في التعليم " ٢ " ، غير ان الاغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تفشهم انفسهم ، فيظنون انهم فهموا شيئا ، فيستمررون على الطلب الى ان يبلغوا سن الرجال ، وهم في احكام الاطفال ، ثم يتلى بهم الناس ، وتصاب بهم العامة ، فتعظم بهم الرزية ، لانهم يزيدون الجاهل جهالة ، ويضلون من توجد عنده داعية الاسترشاد ، ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه ) . " ٣ "

ج - عودة الى طلب المعلم :

=====

يقول الشيخ محمد عبده عن نفسه ( بعد ان تزوجت بأرمين يوما جاءني والدي ضحوة نهار ، والزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم ، وبعد احتجاج وتمنح واباء لم اجد مندوحة عن اطاعة الامر ، ووجدت فرسا اخضر لي فركبته .

١ - توافق ١٨٦٥ م .

٢ - يقصد سبيل القاء المعلم على الطلاب ما يعرفونه ولا يعرفونه دون ان يراعي

درجتهم واستعدادهم للفهم .

٣ - ان الشيخ محمد عبده يتخذ من حاله مقياسا يقيس به حال غيره ، ويصمم حكمه بناء على ذلك ، وما سوء البلوة وعظم الرزية الا بمخالفة منهج الازهر القديم وطريقة حفظ المتون . ومحض علماء الازهر القرييين من عصر الشيخ محمد عبده ممن لا يزالون على قيد الحياة يؤكدون هذا ، ومنهم الاستاذ المشرف .

واصحبني والدي بأحد اقاربي - وكان قوى البنية شديد البأس - ليشيمني الى محطة " ايتاي البارود " التي اركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا .  
كان اليوم شديد الحر ، والريح عاصفة ملتهمبة سافيا " ١ " تحجب الوجه بشبه الرضاء " ٢ " لم استطع الاستمرار في السير ، فقلت لصاحبي :  
اما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ، ولا بد من التمرح على قرية انتظر فيها ان يخف الحر . فأبى علي ذلك فتركته ، واجريت الفرس هاربا من مشادته " ٣ " ، وقلت : اني ذاهب الى " كنيسة اورين " " ٤ " ، وقد فرج بي شبان القرية لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح ، واملوا ان اقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه .

أدركني صاحبي ، وقي معي الى العصر ، وارادني على السفر ، فقلت له : خذ الفرس وارجع ، وسأذهب صباح الغد ، وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا ، فانصرف واخبر بما اخبر ، وقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي ومدلت فيها رغبة غير رغبتي ( .

د - مع الشيخ درويش : " ٥ "

=====

( ذلك ان أحد أخوال أبي وأسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء " ليبيا " ، ووصل في أسفاره الى " طرابلس الغرب " وجلس الى

- 
- ١ - السافيا : الفجار المتطاير وقت شدة الحريفعل الرياح .
  - ٢ - الرضاء : لهب يلفح الوجه من شدة الحر .
  - ٣ - مشادته : مخاصمته ومجادلته مما قد يؤدي الى ان يشد الواحد الاخر .
  - ٤ - بلدة في مصر غالب سكانها من خولة أبيه .
  - ٥ - سنترجم له فيما بعد .

السيد محمد المدني " ١ " والد الشيخ " ظافر " المشهور ، الذي كان قد سكن  
" الآستانة " وتوفي بها ، وتعلم عنده شيئا من العلم ، واخذ عنه الطريقة  
" الشاذلية " " ٢ " ، وكان يحفظ " الموطأ " ومض كتب الحديث ، ويجيد  
حفظ القرآن وفهمه ، ثم رجع من اسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل  
به الناس من فلاح الارض وكسب الرزق بالزراعة .

وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي كتبها ، في " الكنيسة " " ٣ "

ويده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد " محمد المدني " الى بعض  
مريديه بالاطراف " ٤ " بخط مغربي دقيق ، وسألني ان اقرأ له فيها شيئا  
لضعف بصره فدفعته طلبه بشدة ، ولحنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت  
منه اشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدي رميته الى بعيد ، ولكن الشيخ  
تبسم وتجلى في الطف مظاهر الحلم ولم يزل يني حتى اخذت الكتاب وقرأت منه  
بضعة اسطر ، فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعباراة واضحة تغالب اعراضني  
فتغلبه وتسبق الى نفسي ، وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل  
واللعب بالسلاح والسياحة في نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت  
اليهم .

---

١ - من مشايخ الدقاوية ، وهي طريقة صوفية ، وهو من نسل الامام الحسن ،  
قيقه مالكي . / انظر كتاب : الامام محمد عبده ، لعبد الحلیم  
الجندي ص ٩ .

٢ - اتباع ابي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المتوفي سنة  
٦٥٦ هـ وهو من نسل الامامين الحسن والحسين رضي الله عنهما ، نشأ  
في بلاد المغرب ، وساح في البلاد الاسلامية ، واستقر بمصر ، حيث مات  
ودفن على شاطئ البحر الاحمر ، وكان ققيا مالكي . / انظر الامام  
محمد عبده لعبد الطيم الجندي ص ٩ .

٣ - القرية المسماة " بكنيسة اورين " .

٤ - في الجهات المتباعدة .

بعد العصر جاءني الشيخ بكتاب ، وألح علي في قراءة شيء منه ،  
فقرأت وفسرت ، ثم تركته الى اللعب ، وفعلت في اليوم الثاني كما فعلت في اليوم  
الاول .

اما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأ له فيه وهو يشجع لي معاني ما اقرأ نحو  
ثلاث ساعات لم امل فيها ، فقال لي : انه في حاجة الى الذهاب الى المزرعة  
ليعمل بعض العمل فيها ، فطلبت منه ابقاء الكتاب معي ، فتركه ومضيت  
اقرأه ، وكلما مررت بعبارة لم افهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، الى  
ان جاء وقت الظهر ، وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب ، وهوى بقلبي  
ينازعني الى البطالة . وفي عصر ذلك اليوم سألته عما لم افهمه ، فأبان معناه  
على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة في المطالعة والميل  
الى الفهم .

هـ - مفتاح سعادتني :

=====

( وكانت هذه الرسائل تحتوى على شيء من معارف الصوفية ، وكثير  
من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الاخلاق ، وتطهيرها من دنس  
الرزائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحيلة الدنيا .  
لم يأت علي اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء الي ما كنت احبه  
من لعب ، ولهو ، وفخفة ، وزهو ، وطد احب شيء الي ما كنت ابغضه  
من مطالعة وفهم ، وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الي ما كنت احب  
وزهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله ، فكنت لا احتمل ان ارى واحدا منهم ،  
بل افر من لقاءهم جميعا كما يفر السليم من الاجرب .

وفي اليوم السابع سألت الشيخ : ما هي طريقتم ؟ فقال : طريقتنا  
الاسلام . فقلت : اوليس كل هؤلاء الناس بمسلمين ؟ قال : لو كانوا مسلمين

لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الامر ، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب  
وخير سبب .

هذه الكلمات كانت كأنها نار احرقت جميع ما كان عندي من المتاع القديم  
- متاع تلك الدلاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة ، متاع الخور بأنا مسلمون ناجون ،  
وان كنا في غمرة ساهين - سألته : ما وردكم الذي يتلى في الصلوات او عقب  
الصلوات ؟ فقال : لا ورد لنا سوى القران ، نقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع  
مع الفهم والتدبر . قلت : اني لي ان افهم القران ولم اتعلم شيئا ؟ قال : اقرأ  
معك ويحك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك بالتفصيل ، واذ اخلوت  
فاذكر الله - على طريقة بينها - واخذت اعلم على ما قال من اليوم الثامن ،  
فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيته اطيبر بنفسي في ظلم اخر غير الذي كنت  
اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم  
عندي من امر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفرقت عني  
جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو ان اكون كامل المعرفة ، كامل  
ادب النفس ، ولم اجد اما ما يرشدني الى ما وجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ  
الذي اخرجني في بضعة ايام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود  
التقليد الى اطلاق التوحيد ، هذا هو الاثر الذي وجدته في نفسي من صحبتة احد  
اقاربي وهو الشيخ " درويش بن خضر " من اهل " كنيسة اورين " من مديرية  
" البحيرة " . وهو مفتاح سعادتي ، ان كانت لي سعادة في هذه الحياة  
الدنيا ، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني  
مما اودع في فطرتي ( ) .

---

١ - الجزء الواحد = ٨ أرباع ، و = ٢ حزب ، وكل حزب = ٤ أرباع  
والربيع = يعني ربع الحزب ويساوي ثمن الجزء . فالاربعة أرباع =  
حزب أو نصف جزء .

وفي اليوم الخامس عشر من بي احد سكان بلدتنا " محطة نصر " فأخبرني ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني ، فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا ازال في " الكنيسة " فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم ، لانني لو كنت اقمته الف دليل على انني وجدت في مهربي مطالبه ومطلبي لما اقتنع .

و - من جدّ وجد :

===== ( ذهبت الى طنطا ، وكان ذلك قرب اخر السنة الدراسية ، في شهر جمادى الاخرة من سنة ١٢٨٢ هـ " ١ " ، لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن اتمام ( شرح الزرقاني على العزية ) ، و آخر عرض له طارض منعه عن اتمام ( شرح الشيخ خاله على الاجرومية ) فأدركت كلا منهما في اوائل الكتاب الذي كان يدرس ، وجلست في الدرسين ، فوجدت نفسي افهم ما اقرأ وما اسمع والحمد لله . " ٢ "

وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لا طالع معهم قبل الدروس ما سنتلقاه .

وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت اطالع بين الطلبة واقدر لهم معاني ( شرح الزرقاني ) ، فرأيت اما مي شخصا يشبه ان يكون من اولئك الذين يسمونهم " بالمجانيب " فلما رفعت راسي اليه قال ما معناه : ما احلى حلوى مصر البيضاء فقلت له : واين الحلوى معك ؟ فقال : سبحان الله من جدّ وجد ، ثم انصرف فعدهت ذلك القول منه الهاما ساقه الله الي ليحيطني على طلب العلم في مصره ووطن طنطا .

---

١ - توافق سنة ١٨٧٥ م .

٢ - هو الان يفهم ما يقرأ وما يسمع من المشايخ بعد ما لم يكن يفهم ، فما تغير المشايخ ، ولا تغير العلم ، ولكن تغير هو بزوال الحجب التي كانت تحول بينه وبين المشايخ وعلومهم .

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر ، وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة .

وفي أواخر كل سنة دراسية كنت اذهب الى " محلة نصر " لاقيم بها شهرين — من منتصف شعبان الى منتصف شوال — وكنت عند وصولي الى البلد أجد خال والدي الشيخ " درويشا " قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له ما درست فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من مبادئ الهندسة ؟ وهكذا . وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر ، فيقول : — طالب العلم لا يعجزه عن تحصيله في اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت " اخطى " في الطلب واخرى اصيب الى ان جاء المرحوم السيد " جمال الدين الافغانى " الى مصر او اواخر سنة ١٢٨٦ هـ " ٢ " .

ز — حسن الصبغة :

=====

( وقد صاحته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة والكلامية ، وادعو الناس الى التلقي عنه كذلك واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يقولون عليه وعلينا الاقاويل ، ويزعمون ان تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة ، وقد يهوى بالنفس في ضلالات تحرمها خيرى الدنيا والاخرة ، فكنت اذا رجعت الى بلدى عرضت ذلك على الشيخ

- 
- ١ — سترجم له فيما بعد .
  - ٢ — توافق ١٨٦٩ ميلادية ، وهي الزيارة القصيرة الاولى لمصر ، وكان في طريقه الى الحجاز ، ثم عاد بعد ذلك ليقوم بمصر من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٧٩ م .

" درويش " فكان يقول لي : ان الله هو المعلم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه  
وحكمته ، وان اعدى اعداء المعلم هو الجاهل ، واعدى اعداء الحكيم هو  
السفيه ، وما تقرب احد الى الله بأفضل من العلم والحكمة " ١ " ، فلا شيء  
من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه ، الا ما يسميه  
بعض الناس علماً وليس في الحقيقة بعلم كالسحر ، والشعوذة ونحوهما اذا  
قصد من تحصيلهما الاضرار بالناس ) . " ٢ "

" تعليق " :

===== الى هنا وينتهي الحديث عن الطور الأول من حياة

الشيخ محمد عبده ، واذا كان لي من كلمة اقولها فهي :  
كان لوالد الشيخ محمد عبده فضل كبير عليه ، اذ انه استفاد منه  
حسن التربية والتعليم ، ولولم يكن له من عمل سوى تحفيظه القرآن الكريم ،  
ودفعه لطلب العلم لكفى ذلك فضلا من والد على ولده .  
كما كان للشيخ " درويش " فضل على الشيخ محمد عبده ، اذ انه فتح  
له الطريق الى تحصيل العلم ، واعاده اليه ، اضف الى ذلك بعض العلوم التي  
حفظها عنه . ولكنني ارى انه كان له اثر سلبي عليه وهو انه تسبب في  
احداث وتكوين فجوة بينه وبين علماء الازهر الشريف ، لان الشيخ محمد عبده  
الذي نشأ نشأته الدينية في بيت ابيه ، وامه ، وفي قريته ، كان من المتوقع  
له ان يسير في طريق الازهر وعلى نهج شيخ وعلماء الازهر ، ولكن اتصاله بالشيخ  
" درويش " اوجد عنده الرغبة في دراسة الفلسفة والمنطق ، والاهتمام بمثل هذه  
العلوم ، فأخذ الشيخ محمد عبده منها بما اثار سخط الساخطين عليه .

---

١ - الانسان يتقرب الى الله بالطاعات ويعتمد عنه بالمعاصي ، بعد العلم  
بهما ، قال الشاعر : وعالم بعلمه لم يعمان : معذب قبل عباد الوثن .  
وقال آخر :

لو كان للمعلم من دون التقى شرف - لكان افضل خلق الله ابليس .  
٢ - انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، وقد نقله عنه الكاتب  
محمد عمارة في كتاب الاعمال الكاملة للامام ، الجزء الثاني ص ٣٢٨ - ٣٣٣ .



الطور الثاني :

===== " وهو طور حياته العملية من سنة ١٨٦٩م - ١٩٠٥م " =====

=====

١ - مرحلة ما قبل النفي ١٨٦٩ - ١٨٨٢ م \*

=====

أهم أحداث هذه المرحلة هي :-

=====

١ :- في قاعة الامتحان :-

===== ( عرضت نفسي على مجلس الامتحان في ١٣ جمادى

سنة ١٢٩٤ هـ وابتليت في الامتحان اشد الابتلاء ، وتمصب الاكثرون اغنيائه

مع المرحوم " عيش " " ١ " وكان يعاديني على الخيب ، اتباع آراء من لا رشد

عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد اجتمعوا امرهم على ان لا يمنحوني درجة ما

في العلم ، وجرت امور قبل الامتحان يطول شرحها ، ولكن كان امر الله اغلب ،

فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية ، وصرت مدرسا من مدرسي الجامع

الازهر ، واخذت اقرا العلوم الكلامية والمنطقية (٠٠٠) " ٢ " .

ولعل السبب الغالب في هذا الابتلاء ، هو ان علماء الازهر الشريف

كانوا يرونه : فوجا يصيح بين الديكة ، حيث انه ابتداء التدريس في

حلقات الازهر قبل ان يدخل الامتحان وينال الشهادة العلمية المطلوبة ، مما أوفر

صدور بعض زملائه ممن هم دونه ، فوشوا به .

---

١ - سنترجم له فيما بعد .

٢ - انظر : الاعمال الكاملة للامام ( ٢ : ٣٣٤ ) .

أما قصة عدائه مع أساتذته فلأنه لم يكن يصبر على طريقة الأزهريين في  
التدريس ، ولا على المعلوم التي يدرسونها ، وكان يطالبهم بتدريس كتب المنطق  
مثل " ايساغوجي " ، وكتب الفلسفة ، بل انه كان يتحداهم فيدوسها لبعض  
الطلبة امام اساتذته .  
وسبب آخر هو علاقته مع جمال الدين الافغاني ، وتبنيه لآرائه ، وافكاره .

ب : — في مدارس الحكومة :

=====

وفي سنة ١٨٧٨م " ١ " ، عين مدرسا للتاريخ بمدرسة دارالعلوم ،  
وكان فيها عاملا نشيطا ، فقرأ على طلابها مقدمة الفيلسوف الاسلامي " ابن  
خلدون " رحمه الله . " ٢ "  
وألف لهم كتابا في علم الاجتماع سماه : " علم الاجتماع والعمران " ،  
ضاعت أصوله ولم يبر النور بعد .  
وعين الشيخ محمد عبده بعدها مدرسا في مدرستي اللسن والادارة ،  
كان يدرس فيهما المعلوم العربية على طريقته التجديدية ، بالاضافة الى ما كان يقوم  
به من التدريس في الجامع الأزهر .

١ — سنة ١٢٩٥ هجرية .

٢ — العلامة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الاشبيلي  
الاصل ثم التونسي ثم القاهري المالكي ( ولي الدين ابوزيد ) عالم ،  
اديب ، مؤرخ ، اجتماعي ، حكيم ، ولي كتابة السرب مدينة فاس ،  
وولي قضاء المالكية بالقاهرة . رحل الى عدة بلاد منها غرناطة ، واعتقل  
فيها ، من مؤلفاته : العبد روديوان المبتدأ والخبر ، ولباب المحصل في  
اصول الدين . مات في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ ودفن فيها .  
انظر : معجم المؤلفين ( ٥ : ١٨٨ ) .

ج : في التنظيمات السياسية :-

=====

اشترك مع استاذہ السيد جمال الدين في التنظيمات السياسية السرية التي  
انشأها الافغاني بمصر ، فدخل في عدة جمعيات " ١ " ، ومع بعض الاحزاب " ٢ " ،  
وكان له فيها دور كبير ، وأثر بارز ملموس ، وكان لها فيه أثر أيضا ، لانه لا  
يمقل ان ينتمي الانسان الى جهة ما ، دون ان يكون لهذه الجهة سلطة - ولو  
بسيطة - على طريقة تفكيره ، وسلوكه ، او قل على شخصيته ودعوته الاسلامية .

١ - أشهرها : الجمعية الماسونية ، التي كانت تخفي حقيقتها الصهيونية ،  
ونواياها الخبيثة ، وكانت تهدف الى اقامة حكومة عالمية ، برئاسة اجبار  
هيكل سليمان ، وعندما تحقق الشيخ محمد عبده من مهادنتها للاستعمار  
وصلاتها بالنفوذ الاجنبي ، خاب امه فيها ، فخرج منها ، ودعا الى  
مقاطعتها وبين اهدافها ونواياها ، وكشف بعض اسرارها .  
انظر كتاب : تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٣ ) .

وكتاب : اسرار الماسونية ، او السرا المصون في شيعة الفرمايون ، للاب  
لويس شيخو ، دار منشورات البصرى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ص ١٩٥ .  
وكتاب : جذور البلاء ، تأليف الاستاذ عبد الله التل ، دار الارشاد  
بيروت . ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م ص ١٣٧ .  
وكتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، محمد محمد حسين ،  
القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ط ٢ ، ١٣٨٢ هـ / ص ( ١ : ٣٠٨ ) .  
٢ - منها : " الحزب الوطني الحر " الذي كان يدعو الى القومية الفرعونية تحت  
شعار " مصر للمصريين " .  
انظر كتاب : الاعمال الكاملة ( ١ : ٣٦٧ - ٣٧٠ ) .  
وكتاب : جمال الدين الافغاني ، لمحمود ابورية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ /  
١٩٦٦ م ص ١٢٣ .

ى - : في ادارة المطبوعات والجريدة الرسمية :-

=====

في سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م ، عزّل الشيخ محمد عبده من مدرسة  
اللسن الخديوية ، كما عزّل من منصب التدريس في مدرسة دارالعلوم بالقاهرة ،  
ويبدو ان السبب في هذا هو صلته بالسيد جمال الدين الافغاني الذي نفى من  
مصر في نفس الفترة ، والذي لم يكن الخديوى توفيق راضيا عنه ، بعد ان كان  
في يوم من الايام موضع امله في مصر ( انك انت موضع امل في مصر ايها السيد ) " ١ "  
ثم طرده فيما بعد منها . " ٢ "

وبعد عام تقريبا صدر العفو عن الشيخ محمد عبده واستدعي من قريته  
" مطلة نصر " بعد ان فرضت عليه الاقامة الجبرية فيها ، ومنع من الخروج منها . " ٣ "  
وعين الشيخ محررا في صحيفة " الوقائع المصرية " ، ثم عين في نفس  
السنة رئيسا لتحريرها ، وتولى مسؤولية الرقابة على المطبوعات فيها . " ٤ "

ه : - في المجلس الاعلى للمعارف العمومية :-

=====

في سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٨١ م انشئ المجلس الاعلى للمعارف العمومية ،  
ومهمته الحكم الفصل في ادارة المعارف ، وعين الشيخ محمد عبده عضوا فيه .

- 
- ١ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، لجرجي زيدان ، منشورات دار  
مكتبة الحياة ببيروت ( ٢ / ٧٧ ) .
  - ٢ - انظر : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر من ١٧٩٨ -  
١٩٤٥ م ، رسالة دكتوراه اعدّها عادل محمد محمود ابو عيطة ، اشرف  
الاستاذ : السعيد السيد عبادة ، مطبوعة على الالة الكاتبة ١٤٠١ /  
١٩٨١ م ص ٧٦ .
  - ٣ - انظر مقالة بعنوان ( موقفي من الثورة ) للشيخ محمد عبده ضمن الاعمال  
الكاملة للامام ( ١ : ٥٦٣ ) .
  - ٤ - نفس المصدر ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

وفي هذه الفترة ، انقطع عن العمل في التدريس ، وابتعد عن الازهر ،  
وعمل بالصحافة وكان له نشاط سياسي ، وميل الى الثورة فيما بعد ، وذلك بحكم  
عمله الصحفي ، وانخراطه في السلك السياسي .

و : - مع الشوار :

=====  
كلنا يعرف الثورة المرابية ، وما كان لها من اثر على

الحياة المصرية ، . فما هو موقف الشيخ محمد عبده منها ؟

لم تكن الثورة في بادئ الامر من رأيه ، بل كان من المعارضين

البارزين لها ، وكان يرى في قيام الثورة ، نكسة تحل بالبلاد ، وبلاد اجنبية  
ستحتل بلاد .

( لم تكن الثورة من رأيه ، وكنت طالما بالحصول على الدستور في ظرف

بعض سنوات ، فلم وافق على عزل " رياض باشا " ، وقبل مظاهرة عابدين

بمشرة ايام التقيت " بعرايبي " في " دار " عصمت " . . . فنصحت عرايبي بالاعتدال

وقلت له : اني ارى ان بلاد اجنبية ستحتل بلادنا ، وان لعنة الله ستقع على

رأس من يكون السبب في ذلك . . . ) " ١ "

ثم انضم وبقية اعضاء " الحزب الوطني الحر " الى الثورة ، وذلك بعد

مظاهرة " عابدين " المشهورة سنة ١٨٨١م ، والقي بكل قواه فيها ، ويذكر رشيد :

انه كان حلقة الوصل بين الثورة والانجليز . وانه كثيرا ما كان ينصح عرايبي بالترث ،

وقد قال لعرايبي مرارا : طيبك بالهدوء والسكينة ، وانا اضمن لك اكثر مما تطلب

في بضع سنين ونهاه عن محاربة الانجليز . " ٢ "

---

١ - المصدر السابق ص ٥٦٤ .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٤٩ ) .

ولكن بدء مرحلة انحياز الشيخ محمد عبده للثورة ، الفعلي كان سنة  
١٨٨٢م ، بعد ان رأى التهديد الفعلي ، الانجليزي الفرنسي ، ضد الحركة  
الوطنية في مصر .

يقول : ( ولكن لما منح الدستور انضمامنا جميعا الى الثورة لكي نحسي  
الدستور ، ولكن عرابي لم يتمكن من ضبط الجيش ، وكانت عند الضباط مظالم  
عديدة ) . " ١ "

و شاء الله ان تفشل الثورة ، وسجن الشيخ ثلاثة اشهر ، ثم حكم  
عليه بالنفي خارج البلاد ثلاث سنوات بدأت في ٢٤ / ١٢ / ١٨٨٢م .  
وامتدت الى ما يقرب من ست سنوات . " ٢ "

وبهذا المشهد من حياته يكون قد دخل مرحلة اخرى جديدة من مراحل  
حياته ، هي مرحلة البعد عن الاهل والوطن . " النفي " .

- 
- ١ - انظر الاعمال الكاملة ( ١ : ٥٦٤ ) .
  - ٢ - الامام محمد عبده ، تأليف عبد الحلیم الجندی ، سلسلة اعلام الاسلام ،  
دار المعارف بمصر ص ٢٣ - ٢٥ .

٢ - مرحلة النفي : ( ١٨٨٢ - ١٨٨٩ م ) .

=====

كان نصيب الشيخ محمد عبده ، بعد هزيمة الثورة العربية النفي خارج البلاد ، وما جزاء الداعية المخلص الا القتل أو النفي أو السجن .  
وانذا كان قتل الداعية شهادة ، وسجنه خلوة ، فان نفيه يكون سياحة ،  
والله سبحانه وتعالى يقول : " قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة  
الذين من قبل كان اكثرهم مشركين " . " ١ "

سار الشيخ محمد عبده الى بيروت في ١٣ صفر سنة ١٣٠٠ للهجرة ،  
الموافق ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٨٢ م . وقد بلغ من العمر اربعة وثلاثين سنة .  
أ : - في بيروت :

===== في بيروت احدى مدن بلاد الشام المشهورة حل  
الشيخ محمد عبده ضيفا على خاصة اهلها ، فلاقى من الاجلال والاكرام ما  
يلاقيه القادة ، والزعماء ، المنتصرون ، او كما قال رشيد : " ابناء الوطن  
العائدون الى بلادهم بعد طول غريبتهم " . " ٢ "

كانت المدة التي اقامها هناك نحو عام ، عمل خلالها على اخراج الانجليز  
من مصر ، وكان له نشاط بارز في محافل سوريا ، ولبنان ، وعلاقة وطيدة مع  
رجال القطر السوري آنذاك . الى ان دعاه استاذاه الافغاني الى اللحاق به  
في باريس العاصمة الفرنسية سنة ١٨٨٣ م .

---

١ - سورة الروم اية ( ٤٢ ) .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٢٧٥ ) .

ب : - في باريس :

===== من حجرة صغيرة متواضعة فوق سطح احد المنازل  
في العاصمة الفرنسية ، اصدر الشيخان جريدة ( الصروة الوثقى ) ، وقد سميت  
بهذا الاسم ، لتكون لسان حال جمعية " الصروة الوثقى " الناطقة باسم  
المسلمين . " ١ "

اظهر الشيخ محمد عبده نشاطا بارزا خلال هذه الفترة فشغل منصب  
رئيس تحرير الجريدة او المحرر الاول لها ، كما شغل منصب نائب رئيس الجمعية ،  
ومارس العمل التنظيمي السرى فيها ، وقد سمحت له هذه الصفة ان يتنقل  
كثيرا بين البلدان الاوروبية والشرقية ، فزار لندن بغية الالتقاء بكبار القادة  
والمفكرين ، ووجوه البرلمان ، والصحافة ، داعيا الى وجوب جلاء الانكليز عن  
مصر .

وذكر رشيد رضا في كتابه تاريخ الاستاذ الامام ، ان الشيخ محمد عبده دخل  
مصر مختفيا سنة ١٨٨٤م ، اثناء اشتداد ثورة المهدي في السودان ، " ٢ "  
كما باشر في هذه الفترة قيادة عمل الجمعية السرية ، وكتب عددا من  
الرسائل الى بعض فروع التنظيم ، ثم عاد الى باريس ثانية الى ان توقف اصدار  
الجريدة ففكر في العودة الى بيروت .

- 
- ١ - جمعية الصروة الوثقى ، جمعية سرية قامت في بلاد الشرق ، خاصة مصر  
والهند ، الغرض منها اطاعة الحكم الاسلامي على قاعدة الخلافة الراشدة ،  
ولها نظام خاص وقانون خاص لا يطلع على اسرارها الا خواص رجالها .  
/ تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٣٠٠ - ٣٠٦ ) .
  - ٢ - يقال لها الثورة المهدية ، قام بها محمد المهدي ، من ليلب جزيرة في دنقلا  
لمقاومة وطرد المستعمر ، قضى الانكليز عليها سنة ١٨٩٦م . انظر كتاب :  
مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط ، للدكتور مكي شبكة طبعة ١٩٧٢  
ص ٥ وما بعدها . / وانظر : المهدوية في السودان . ب . م . هولست  
ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي ص ٢٥٠ وما بعدها .



ج : - عودة الى بيروت :

=====

بعد توقف " العروة الوثقى " عن الصدور ، يئس الشيخ محمد عبده من العمل السياسي كوسيلة ، لنهضة الامة الاسلامية ، ولعن السياسة الا ما كان منها بشأن جمعية " العروة الوثقى " وذلك بحكم الصلات التي لا زالت قائمة بينه وبين السيد جمال الدين الافغاني .

فغادر باريس الى بيروت سنة ١٨٨٥م على امل العودة الى مصر ثانية .  
وفي بيروت مارس العمل الثقافي والتربوي والفكري الى جانب قليل ممن العمل السياسي وكان له نشاط بارز في تقريب وجهات النظر بين الاديان . " ١ "

د : - مفتاح الفرج :

=====

" صالون الاميرة نازلي فاضل " " ٢ " يعرفه كثير من رجال السياسة ،  
والوزراء وعلية القوم في مصر ، في القرن الماضي .

١ - يقال انه اسس جمعية سرية للتقريب بين الاديان ، شارك فيها رجال الدين ممن ينتمون الى الاديان السماوية في حدود ما ورد في القران بشأن اهل الكتاب .

انظر : الاعمال الكاملة للامام ( ١ : ٢٦ ) .

٢ - بنت مصطفى فاضل اخي اسماعيل وولي عهده ، اهتم والدها بتربيتها فدرست على ايدي جماعة من الاساتذة الاوربيين ، تزوجت من خليل باشا وزير خارجية السلطان ، كانت تتقن الانجليزية والفرنسية والالمانية والتركية الى جانب العربية . ( - )

عرفت الصالونات الوروبية ، والتقت من خلالها بكبار رجال السياسة ( - ) ، ولما عادت الى مصر نقلت معها فكرة الصالونات المختلطة ، حيث فتحت صالونها لرجال السياسة وكبار الدولة ، في مصر ، وافسحت المجال للافغاني =

واللورد " كرومر " : من رواد هذا الصالون ، يقضي فيه معظم

وقته . " ١ "

أما " سعد زغلول " فوكيلها الشرعي . " ٢ "

ظلي " سعد زغلول " تلميذ الشيخ محمد عبده على اتصال

مستمر بالشيخ محمد عبده اثناء نفيه ، فذكر استاذة في مجلس " نازلي فاضل "

= وتلاميذه امثال الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ( - ) ، وكان الافغاني  
يسمى لدى السلطان كي يمنحها وساما ، لمنزلتها في قلبه لدرجة ان  
الافغاني رد على الشيخ محمد عبده حين سألها عما اذا كانت موجودة  
في الاستانة ام لا ، بقوله :

( ) وأما تمثال الكمال والجمال حضرة " البرنسي " التي لها من قلبي المنزل  
الاسني والمقام الابهي ، فلا اعلم من امرها شيئا ) . ( - )

ويبدو انها كانت مولعة بالسياسة لدرجة ان قال عنها الشيخ محمد عبده  
( فاشتغال هذه المرأة بالسياسة كاشتغال السيد جمال الدين بها ) . ( - )

( - ) مجلة " فتاة الشرق " ، لبيبة هاشم ، القاهرة ، ١٩٠٦ م ،  
السنة الثامنة ( ٤ : ١٥١ ) .

( - ) مجلة " المقتطف " ، يعقوب معروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦ م  
حزيران ١٩٣٧ م ص ٢٩

( - ) المجلة " المصرية " ، السنة الاولى العدد الرابع نيسان ١٩٣٧ م ،  
ص ٧ .

( - ) تاريخ الاستاذ الامام ط ١ ( ١ : ٨٩٧ ) .

( - ) نفس المرجع ( ١ : ٨٩٥ ) .

١ - انظر كتاب : سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية ، تأليف عبد الخالق

لاشين دار المعارف بمصر ( ١٩٧١ م ) ص ٣٥ .

٢ - انظر مذكرات محمد فريد ، حققه دكتور روف عباس حامد ، مطبعة الجبالوى ،

الناشر عالم الكتب القاهرة ١٩٧٥ ، القسم الاول ص ١٢٨ .

التي كانت مقبولة الرجاء عند كرومر ، فضغط على الخديوي توفيق وارغمه ان يصدر  
عفو عن الشيخ محمد عبده ، على الرغم من اتهامه للخديوي بالخيانة اثناء  
نفيه . " ١ "

واشترط الانجليز على الشيخ محمد عبده شرطا ان هو طرد الى مصر ،  
وهو الا يشتغل بالسياسة ، فقبل ، ولما عاد من المنفى اصدر تصريحاً لمن فيه  
السياسة " ٢ " .

ثم عمل على تقريب وجهات النظر بين الشعب والحكومة ، وبين الشريعة  
الاسلامية والحضارة الغربية . مما سببه في المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة  
ما بعد عودته من منفاه الى وطنه .

- 
- ١ - انظر كتاب : زعماء الاصلاح في مصر الحديث ، لاحمد امين ، مكتبة  
النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٢٩م ص ٣٣٦ .
  - ٢ - انظر كتاب : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام .  
لانور الجندی ، مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ١٩٦١م ص ٤٦ .  
وانظر : تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٨٩٥ ) .

٣ - مرحلة ما بعد عودته من منفاه الى وطنه : ( ١٨٨٩ م - ١٩٠٥ م ) :

انتهت رحلة العذاب التي وصفناها ، والتي من أبرز سماتها القلق والياس والحزن ، والشكوى والالام . . . . عند بوابة صالون " نازلى فاضل " ومفضل من التلميذ " سعد " .

ووجد الشيخ محمد عبده نفسه في طريق جديد ، يحتاج منه الى مزيد من الفكر والرؤية ، فسار في هذا الطريق بخطى ثابتة ، وازا به يتحول كمية من حال الى حال ، وازا بأحاسيسه ومشاعره ، وافكاره ، تولد ولادة جديدة وتتكيف مع الوضع الجديد وازا بيه انسان اخر واضح الملامح والسمات ، مقطوع الصلة بالماضي الذي وصفنا ، ولا يكاد المرء يصدق ان الشيخ محمد عبده الذي عرفه بالامس هو نفسه الشيخ الذي يحرفه اليوم ، بل يكاد يجزم انهما شخصان مختلفان .

هذا في مجال السياسة ، اما في بقية المجالات التربوية والثقافية

والاجتماعية وغيرها ، فقد بقي الشيخ على ما كان عليه .

ويؤول الاستغراب وتنقبي الحيرة اذا علمنا ان السياسة في هذه الايام

تحتاج الى المراوغة والمرونة والذكاء اكثر من حاجتها الى القوة والاعتماد على الجيوش . وهذه هي سبيل الشيخ اليوم ، ولعل الشرط الذي بينه وبين " اللورد كرومر " سبب اخر في بعده عن السياسة ، وممارسته اعمالا غيرها .

ويمكن سرد اهم مشاهد حياته في هذه المرحلة على النحو التالي :-

١ - لما عاد الشيخ محمد عبده الى مصر عمل على عقد صلات مباشرة

مع اللورد كرومر لسوء العلاقات مع الخديوى ، وانعدام الود بينهما .

واهم حدث في هذه الصلات : وضع لائحة لاصلاح التربية والتعليم بمصر .

٢ - اراد الشيخ محمد عبده ان يعود الى عمله في " دارالعلوم " مدرسا ، فرفض الخديوى خوفا على الاجيال من آرائه وافكاره ، وعينه قاضيا بعيدا عن القاهرة وعن التدريس .

٣ - ظل الشيخ ينتقل من محكمة الى اخرى ، ثم ارتقى الى منصب مستشار في محكمة الاستئناف سنة ١٨٩١م .

٤ - ساءت علاقته بالسيد جمال الدين الافغاني ، ويبدو ان السبب في ذلك هو موقف الشيخ من السياسة ، والانجليز ، الى حد ان غضب عليه الافغاني ، واتهمه بالخوف والجبن ، وكان يبعث اليه برسائل يعنفه فيها على سوء ما فعل .

ولما مات الافغاني امتنع الشيخ عن رثائه في الصحف ، واكفي بالحزن عليه وقال كلمته المشهورة :

( والدى اعطاني حياة يشاركني فيها " علي ، ومحروس " . والسيد جمال الدين اعطاني حياة اشارك بها محمدا وابراهيم وموسى وعيسى ، والاولياء والقديسين .

ما رثيته بالشعر لاني لست بشاعر ، ما رثيته بالنثر لاني لست

بناثر ، رثيته بالوجدان والشعور لاني انسان اشعر وافكر ) . ؟

ومن قال ان الشيخ محمد عبده لا يحسن صنعة الشعر والنثر ؟ فانه لا يعرف الشيخ محمد عبده ، لذلك فاني ارجح ان يكون سبب امتناعه عن رثائه ، هو : فساد الصحة وانقطاع العلاقة ، واختلاف السبل .

٥ - وبعد موت الخديوى توفيق وتولي الخديوى عباس حلمي الثاني

السلطة قامت حالة من الوفاق بين الشيخ وبين القصر . عمل الشيخ خلالها في مجال الاصلاح التربوي والتعليمي . . . .

ودخل ممثلا للحكومة في مجلس ادارة الازهر برئاسة الشيخ " حسونة النواوى " .

٦ - اصطدمت سياسة الوفاق هذه بعاملين اساسيين :

اولهما : مهادنة الشيخ للانجليز ، ومماجنته الاكيدة " لكرور " .

ثانيهما : مقاومة الشيخ اطماع الخديوى في استبدال بعض اراضيه بأخرى من

ارض الاوقاف .

وانتهت حالة الوفاق الى حالة الحذر ، ووصلت في نهايتها الى حد المهادنة

بسبب اجتماع الشيخ " بمرابي " بعد عودته من المنفى على مائدة الغذاء في

منزل صديقيهما " بلنت " " ١ " .

٧ - اشترك الشيخ في تأسيس " الجمعية الخيرية الاسلامية " ،

وتولى رئاستها بعد انشائها بثماني سنوات .

٨ - وقبل ان يصير رئيسا للجمعية بسنة ، عين في منصب " مفتي

الديار المصرية " ، واصبح عضوا في مجلس الاوقاف الاعلى ، وعضوا في مجلس

شورى القوانين .

٩ - اسس " جمعية احياء العلوم العربية " لاهياء التراث العربي

الاسلامي ، وكان له نشاط بارز في الصحف والمجلات والمخاطب والندوات والكتيب

والمطبوعات .

١٠ - وفي يوم ١١ يوليو سنة ١٩٠٥ م " ٢ " ، مات الشيخ محمد

عبد ، رحمه الله واسكنه في جناته .

وقد مات في مدينة الاسكندرية ، عن عمر يناهز السابعة والخمسين عاما ،

قضاها في ثلاث مراحل كما وصفنا باختصار ، وترك خلفه ثلاث بنات . ولم يكن

---

١ - انظر مذكرات " بلنت " سنة ١٩٠١ م ، ٢ نوفمبر ، عن " كوكب الشرق "

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٢ م . نقله الاعمال الكاملة ( ١ : ٣٠ ) .

٢ - توافق ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ هـ .

له عقب ذكر \*

عاش الشيخ محمد عبده رائدا ، ومات رائدا والرواد في تاريخ

الانسانية قليلون بل نادرون ،

أما طبيعة هؤلاء الرواد فكما بين لنا الشهيد سيد قطب في افراح الروح " ١ "

قال :

( ان الرواد دائما ، كانوا وسيكونون هم اصحاب الطاقات الروحية الفائقة ،

هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة القدسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات

المعارف ، وتكشف في ضوئها طريق الرحمة ، مزودة بكل هذه الجزئيات ،

قوية بهذا الزاد ، وهي تغذ السير نحو الهدف البعيد ، هؤلاء هم الرواد

الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة ، المتعددة المظاهر في :

العلم والفن والمقيدة والعمل ...

انهم قليلون في تاريخ البشرية ... بل نادرون ، ولكن فيهم الكفاية ...

فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم ، وتبحث بهم في الوقت

المقدر المطلوب ) \*

---

١ - افراح الروح ، سيد قطب ، الدار العلمية ، بيروت ، ص ١٩ - ٢٠ .

### الفصل الثالث : شخصيته واخلاقه

=====

ان الدارس لسيرة الشيخ محمد عبده في مختلف مراحل حياته ، منذ طفولته الى موته ، والمتبع لارائه وافكاره ، واثاره ، والمطلع على مشاهد حياته ، . . . يستطيع ان يتخيل له صورة واضحة القسما ت ، تبدو فيها بوضوح ملامح شخصيته ، وتبرز فيها العوامل المختلفة المؤثرة في نفسيته ، وعقليته ، واطهر ما فيها سجاياه ، واخلاقه .

والشيخ محمد عبده قد يبدو لك من بعيد على خلاف ما لو رأيتَه من قريب . وان تقويم الشخصيات امر في غاية الصعوبة .  
وبحكم دراستي لشخصية الشيخ محمد عبده ، فقد اطلعت على معظم ما كتب عنه وقيل فيه . وتوصلت الى النتيجة التالية ، وهي :-

ان حقيقة الامر في شخصيته واخلاقه لا تزال تحتاج الى مزيد من الاستطلاع والتشخيص ، والى استجواب كثير من العلماء المخلصين . اعني من هم قريون منه في الزمن ممن تتلمذوا عليه او تتلمذوا على ايدي تلاميذه ومعاصريه . فربما تساعد هذه الطريقة على ان نرسم صورة واضحة له ، ونزيل ما يحيط به من غموض وتناقض فيما اجتمع حوله من اخبار .

فبينما ينزله رشيد ، وسعد ، وقاسم ، والحقاد ومن معهم منزلة

المجتهد في الدين ، ويرفعونه الى اعلى درجات البطولة والاخلاص . . . اذا كثيرون يتهمونه بالمروق من الدين والانحراف عن سبيل المسلمين ، بل وتسخير الدين لخدمة اعدائه ومحاربيه .

فاذا تركنا هؤلاء ، واولئك من قد يجد الباحث سبيلا الى رميهم بالتحيـز والمحاباة له ، او التزمت والتحامل عليه ، وسلكتا المسلك الصحيح في تقويم شخصيته ،



واخلاقه ، كان في وسعنا ان نرسم صورة واضحة المعالم لشخصية الشيخ محمد  
عبده ونفسيته وسجاياه ، ثم نبرزها امام الاعين بكامل اوصافها ومتطلباتها ، لا  
نزيد في ذلك ولا ننقص .

وسأحاول في هذه المجاللة ان ارسم صورتين مختلفتين للشيخ محمد عبده

من وجهتي النظر المشار اليهما .

١ - الصورة الاولى :-

=====

ذكر الشيخ رشيد رضا في المقصد السابع من الفصل السابع ، في

" تاريخ الاستاذ الامام " ما ملخصه : " ١ "

" ان الله طبع هذا الرجل على عزة النفس وعلو الهمة ، هبة ووراثة

وتربية ، مما حدا بأستاذه الافغانى ان يخاطبه قائلاً : ( قل لي اى ابناء

الملوك انت ) .

وهو ابن فلاح يسكن قرية متواضعة ، لكنه ترفع عن المداينة ، والتعلق ،

والنفاق ، واعرض عن يمارضه في مقاصده وان كان من الكبراء العظام ( ولو

اختبروه ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون ، ولرأوا

كيف كان يخدم الفقير ويساعد المسكين . . . ويتجافى جنبه عن ضججه ) كما

قال رشيد .

ولكن الخديوى كان يقول : ( انه يدخل على كانه فرعون ) .

كان مهيب الطلعة ، حسن المباشرة ، وقور المجلس ، لطيف

الحديث ، دقيق الملاحظة من نظرائه بديهته هابه ، ومن عاشره معرفة

اجه ، . . .

---

١ - بتصريف : عن ، تاريخ الاستاذ الامام للشيخ رشيد رضا ( ١ / ٩٥٠ / -

كان سليم الصدر ، صافي القلب ( ما انتقم من سيء ) ، ولا سعى في  
ضرر احد وانا استنجده احد انجده ، وانا استرفده ارفده ولو كان منه منفضيه  
او قد تكلم فيه ( ٠٠٠ ) .

كثيرا ما كان يلتمس الحجة لغيره ، او يحمل كلامه على حسن قصد ،  
ويحسن الظن به ، ويتفاضى عن الشر ، فيصنع المعروف مع من لا يعرفه ،  
لا يؤذي احدا ، ولا يضر الشر لاحد ، يعفو عن ظلمه ، ويدفع بالتى هي  
احسن ، وكان يعجبه قول افلاطون ( استصلاح العدو خير من استهلاكه ) " ١ " .  
ولما كان يبيده تصريف بعض الامور وهو في المناصب المالية ، كان يضع  
كل رجل في المكان الذى يناسبه ، لا يقبل الرشوة ، ولا يرقى من لا يستحق الترقية  
ولو كان من تلامذته واصدقائه ، ٠٠٠ .

وفي نفس الوقت كان وفيا لاصدقائه وتلاميذه ، يهتم بهم كثيرا ، يدفع  
الشر عنهم ما استطاع ، ويسوق الخير اليهم بقدر المستطاع ، وكان اصدقاؤه  
وتلاميذه يجلونه ويحترمونه ، ويبادلونه الوفاء والاخلاص ، مما احدا برشيد ان  
يصفه فيقول : ( انه اوفى الاوفياء لاصدقائه ) .

وهو في الشجاعة شجاع ، لا يبالي بتهديد وره اليه ، ولو بالقتل ،  
ولم يكن احد يتجرأ على ان يقول له : اخطأت فكيف يتجرأ على ان يمد يده ليقتله " ٢ " .  
وهو في الكرم كريم ، يكرم الصدقة ويخفي البذل ، ويكثر العطاء ، كان  
يدخن ثم ترك التدخين ، وجعل ما كان ينفقه فيه صدقة ( ولم يكن في ايام السراء  
ابسط يدا منه في ايام الضراء ) " ٣ " .

- 
- ١ — تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٩٥٢ ) .
  - ٢ — نفس المصدر ( ١ : ٩٦٠ ) .
  - ٣ — نفس المصدر ( ١ : ٩٦٦ ) .

وهو من اهل المروءة والنجدة ، و ( لا يزال في الناس كثير من اهل  
المعروف والمروءة ، ولكننا لا نعرف احدا ، لا يشك من يعرفه في نجدته اياه اذا  
عراه خطب بكل ما يقدر عليه في نفسه او في تأثيره عند غيره كما كان يفعل هذا  
الرجل لمن يلتحق اليه ) " ١ " .

اما عاداته ، فمخالفة لعادات علماء مصر ، كما خالف طبوسه ملبوسهم ،

كتطويل الاردان ، وتوسيمها ، وجرالانديال — الا في العمامة .

كان يكره ان تقبل يده ، بل يصافح الناس مصافحة ، ومنع الطلاب

من تقبيلها بعد الدرس كما هي عادتهم مع اساتذتهم في الازهر .

كان يحتذى النعال المدنية دون سائر العلماء ، — انيقا في لبسه —

يركب الخيل احيانا ، ويمشي على رجليه احيانا . كما كان يأكل الطعام في

الشوارع اذا جاع . . . . . ويملئ ذلك تعليلا طريفا .

يقول رشيد : ( ومشيئا مرة من الازهر قاصدين سكة الحديد ، فلما

جاوزنا شارع الموسكي ، مال الى دكان فاشترى منها قليلا من البسكويت ، وطلق

يأكل منه بلطف ، بعد خروجنا من السوق ، فقلت له مازحا ، : امفتي الديار

المصرية يأكل في الطريق ؟ قال : اما قرأت انه قيل " لديوجين " الفيلسوف :

لماذا تأكل في الطريق ؟ فقال : لانني اجوع في الطريق . ، ونحن قد

فاتنا عشاء الدار الان فنكتفي بهذا ) " ٢ " .

ونحن نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنضع عليها

اللمسات الاخيرة التي تطل على القارئ المتفحص ، والمشاهد المتأمل ،

فنقول :

١ — نفس المصدر ( ١ : ٩٦٩ ) .

٢ — تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٩٧٢ ) .

ان في الشيخ محمد عبده عدة خصال منها : الصدق ، والامانة ،  
والجدية ، والحركة ، والمصامية والمزة ، والشجاعة والكرم ، والمثالية  
والنزاهة ، والمناد في الحق ، والتواضع له ، ومنها : حبه ووفائه ،  
واخلاصه وتجرده ، ويقظته وجراته ، وسمو روحه ورضا نفسه ، والمصق  
في فكرته ، والشمول في مجالستها ، وغير ذلك من السمات الواضحة في  
شخصيته والتي سيرت خطاه في حياته ، وحدده مواقف ، وحددت  
للناس اخلاقه .

## ٢ - الصورة الثانية : —————

=====

الصورة الثانية له على العكس تماما في كل شيء ، في صدقه ، وامانته ،  
ومثاليته ونزاهته ، واخلاصه وتجرده ، الى آخر ما ذكرنا من صفات  
في الصورة الاولى .

وقد كان المصور في هذه المرة ، غيره في المرة الاولى ، انه من رجال  
الازهر ومن اصدقاء الشيخ ايضا ، انه الشيخ " الجنيبي " " ١ " ، واحد  
من علماء الازهر المعروفين بالصلاح والتقوى . . . . . ومعه الشيخ " النهباني " " ٢ "

- 
- ١ - نسبة الى " جنبيه " قرية في اقليم البحيرة ، كان الشيخ الشنقيطي متزوجا  
اخته ، وله عدة مؤلفات من بينها : " الزايات المصرية " ، " بلايا  
بونزا " ، توفي سنة ١٩٢٥ م / الاعلام للزركلي .
  - ٢ - يوسف بن اسماعيل النهباني ، نسبته الى بني نهان " من عرب البادية  
" بفلسطين " تعلم في الازهر ، وعمل في القضاء ، في بيروت ، ذهب  
الى الاستانة ، وسافر الى المدينة مجاورا ولما نشبت الحرب العالمية الاولى  
عاد الى قريته . وتوفي بها سنة ١٩٣٢ م .  
/ الاعلام للزركلي .

الازهرى ايضا ، وشيخ الاسلام ، " مصطفى صهرى " ، " ١ " وقد حمل اللواء  
من بعد هؤلاء في هذا اليوم الكاتب الاسلامي " محمد محمد حسين " " ٢ " .  
في هذه الصورة ، نجد الشيخ محمد عبده ضالا لا يعرف الصراط  
المستقيم ، حائرا في معظم امور الدين ، مضروبا وهو اجهل من الجاهلين ، ذا  
لسانة وسفه ، فقد مزيا الادباء ، وهد عن مناهج الفضلاء ، مثلها بمناد  
واصرار شيطاني ، لا يعلم ما يقول ، ولا يقدر عاقبته ولا يستطيع ان يقيم على صحته  
دليلا . " ٣ "

وايضا نجد الشيخ " الجنبهبي " يتهمه بالخيانة ، ولم يكن فيه الا  
خطة لرفع شأنه ، واعلاء كلمته ، ولخداع الناس به ، وليفتن به اهل بلاد  
الشام . " ٤ "

وهو في حقيقة الامر جبان ، متعاس عن الجهاد ، مهالي ، للاستعمار . . .  
ووصل الامر بالشيخ الجنبهبي الى حد اتهامه بالكفر ، ولمن يستغرب  
هذا يقول : ( ولا غرابة في ذلك لان الله تبارك وتعالى جعله من الائمة الذين

- 
- ١ - من العلماء المعاصرين ، سياسي وفقه ، احد اعضاء المجلس النيابي ،  
ومجلس المحسوخ في الدولة العثمانية ، شغل منصب نائب الصدر الاعظم  
في رئاسة الوزراء بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الاولى .  
/ الاعلام للزركلي .
  - ٢ - انظر كتاب : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ص ٣٠٠ - ٣٢٥ .  
وانظر كتاب : الاسلام والحضارة الغربية ص ٦٣ - ١٠٨ .
  - ٣ - انظر كتاب : بلايا بوذا تأليف الجنبهبي ص ٢٨ ، نقله محمد  
محمد حسين في كتابه الاسلام والحضارة الغربية ص ٨٧ .
  - ٤ - انظر نفس الكتاب ص ٥٢ ، نقله محمد محمد حسين في نفس  
الكتاب ص ٩٢ .

يسارعون في الكفر) •

اما الشيخ " النبهاني " فقد كان ارحم به من " الجنبهبي " فقد ذكر

انه دخل في الجمعية الماسونية وانه ممن حق عليه قول الحق سبحانه :  
" واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون  
ولكن لا يشعرون " •<sup>١</sup>

ولكن هذه الرحمة تلاشت في ديوانه المسمى ، ب " ديوان العقود  
اللؤلؤية في المدائح النبوية " • ٢ " حين ذهب الى ابعد بكثير ما ذهب اليه الشيخ  
" الجنبهبي " ، في ذم الشيخ محمد عبده ، بل في الاسراف في ذمه وقدمه ،  
بل في تكفيره وضلاله ، والتحذير من كتبه ومؤلفاته وخاصة تفسيره القران الكريم •  
وسوف اقتطع للقارىء مقطعين فقط من قصيدته الرائية المشهورة •  
حتى تتضح الرؤية ، كلية في هذه الصورة • وهي مما لا غنى لنا عن كتابتها •  
لتظهر المقارنة الدقيقة بين الصورتين •

أ - المقطع الاول :

===== في بيان صداقته " لكرومر " ، وتأنيبه الانجليز ،  
والاقتداء بهم ، وبيان كفره ، وضلاله ، يقول :

تولج بالدينيا وصير دينيه	اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن	يسارا سعى يعدو اليها من اليسرى
فمن جهة يدعى الامام ويقتدى	بأعمال اهل الكفر من جهة اخرى
يدم خيار المسلمين وعند ما	يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال الشيخ حمر في ضميره	فيبلغ عند القوم مرتبة اخرى

١ - سورة البقرة ( ١١ - ١٢ ) •

٢ - انظر كتاب : الاسلام والخضارة الغربية ص ٩٨ - ١٠٢ ، تقلا عن هذا  
الديوان ص ٣٧٠ - ٤٠٠ بتصرف •

وايد اعداء البلاد بمسـميه  
فمن رهبة او رغبة كم سمى له  
والقى لهم درسا يخالف حكمه  
وقد ضل في القران مع عظم نوره  
احذر كل الناس من كتب دينه  
واوهم اهل الجهل ان بهم خيرا  
طغام من الجهال اكسبهم خسرا  
بأزهرها المعمور دين ابي الزهرا  
كما خبطت عشواء في الليلة القمر  
وبالرد والاعراض تفسيره احـرى

ب : المقطع الثاني :

===== في فساد سيرته ، وانحلال اخلاقه اثناء اقامته

في بيروت يقول :

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى  
ويأكل معهم كل ما يأكلونـه  
ويفتي بحل المسكرات جميعها  
ويأكل مخنوقا ويفتي بحلـه  
وتحطيله لبس الهراييط والريـا  
وقد كنت في " لبنان " يوما صحبته  
وصليت فرض الظهر والعصر بعـده  
وقبل غروب الشمس صاحب شيخه  
ولم اراه ادى فريضة مـنـزب  
اما الشيخ " مصطفى صبرى " فقد قال ان الشيخ محمد عبده قرب كثيرا  
من الازهريين الى اللادينييين خطوات ، ولم يقرب اللادينييين الى الدين خطوة ،  
وهو الذى ادخل الماسونية في الازهر بواسطة شيخه الافغاني ، كما انه هو الذى  
شجع قاسم امين على تزويج السفور في مصر . " ١ "

١ - انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ،

مصطفى صبرى ( ١ : ١٣٣ ) .

وهنا ايضا نكتفي بهذا القدر من الرسم ، ونأتي الى ختام الصورة فنجدها  
صورة سوداء مظلمة ، لا ترى فيها نقطة بيضاء ، او شبه بيضاء ، وهذه الصورة  
انما تدل على فساد الاصل الذي تنطبق عليه تمام الانطباق ، وعلى عدم وجود  
خطوط محددة ينتهي اليها ، لا يتعدها ، الامر الذي ادى الى سوء سيرته  
وفساد اخلاقه .

وخير لي ، ان اترك القارئ والمشاهد امام هاتين الصورتين ، من ان  
اغض احدى عيني عن صورة ، وانظر بالآخرى الى الاخرى ، والله سبحانه  
وتعالى يقول :

" تلك امة قد خلت لهما اما كسبت ولكم اما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا  
يعملون " . " ١ "



## الفصل الرابع :- " شيوخه وتلاميذه "

=====

قلنا فيما مضى ان دراسة شخصية الشيخ محمد عبده ، ونفسيته ، وسلوكه ، لا بد من ان تستوعب جميع مراحل حياته منذ نشأته الى حين وفاته ، وتبين مؤثرات كل مرحلة عليه .  
فمن الضروري ان نعرف شيوخه الذين اثروا عليه في بداية حياته ، واثناء نشأته ، وفي عنفوان شبابه ، ونبين اثرهم على تكوين شخصيته التي نحن بصدده معرفتها .

ونذكر ثلاثة من اشهر اساتذته ومربيه وهم :-

" الشيخ درويش بن خضر " ، الشيخ محمد عيش ، " والشيخ جفال الدين الافغاني " ، وقد رتبهم حسب اقدميتهم في تعليم الشيخ محمد عبده وتربيته .

ونذكر ايضا تلاميذه الذين اثر عليهم ، بجهادته وافكاره ، ومنهجيه وسلوكه .

وسنمى هنا بذكر ابرز تلاميذه في ميدان الحياة العلمية والعملية وهم :  
" رشيد رضا " ، " محمد مصطفى المراغي " ، " مصطفى عبد الرازق " ،  
" احمد لطفي السيد " ، " سعد زغلول " .

ولا يعنى هذا ان هؤلاء وحدهم هم شيوخه ، وتلاميذه ، فالشيخ محمد عبده تلقى العلم من الكثيرين من العلماء " ١ " ، ولقى العلم على الكثيرين

---

١ - منهم الشيخ " حسن الطويل " الذي علمه الفلسفة والمنطق ، والشيخ محمد البسيوني الذي علمه الادب العربي وقواعد اللغة .

من الطلاب ، وانما اقتصرنا على ذكر هؤلاء ، لانه كان لهم نشاط بارز في جميع مجالات الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية . . . . . ولان اولئك هم اكثر من اثروا عليه في تكوين شخصيته وهؤلاء هو اكثر من اثر فيهم ، وكان عاملا قويا في تكوين شخصياتهم .

ونحاول ان نبين الصورة الحقيقية لكل واحد منهم على حدة ونبين الى اي حد كان الشيخ محمد عبده رائدا في حياته . وانيا بـ  
موتـه .

ولنبتدى بذكر شيوخه اولا . . . .

١ - " شيوخه "

=====

وهؤلاء يقسمون الى قسمين :-

أ : شيوخه الذين كان لهم فضل تنشئته وتربيته وتعليمه ... حتى

العقد الثاني من عمره . وهم :

" الشيخ درويش بن خضر " و " الشيخ محمد عيش "

ب : أستاذ الريادة والسيادة ، السيد : " جمال الدين الافغاني "

١ - " درويش بن خضر " :

=====

احيانا تنطبق الاسماء على مسمياتها تمام الانطباق ، والشيخ " درويش "

من الذين تنطبق اسماءهم عليهم تماما . فقد كان درويشا ، لا بمعنى الدروشة

التي يفهمها كثير من الناس ، ولكن بمعناها الاصلي الدال على قوة العبادة

وكثرتها ، وكثرة القراءة والذكر والمداومة عليها .

هذا الدرويش كان كثيرا الاسفار ، وخاصة في الصحراء الغربية ، رحل

الى مدينة " طرابلس الغرب " ١ " وجلس الى احد شيوخها المشهورين ويدعى

" محمد المدني " والد الشيخ الصروف " ظافر الطرابلسي " . وتعلم عنده

بعض الملوم ، واخذ عنه الطريقة " الشاذلية " ، وعاد الى قريته .

حفظ موطأ الامام " مالك " ٢ " رحمه الله ، وبعض كتب الحديث ،

واجاز حفظ القران وفهمه ، وكان هذا الدرويش يشتغل بما يشتغل به اهل القرية

---

١ - احدى المدن الجماهيرية الليبية اليوم .

٢ - امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ، ابوجهاد الله واحد الائمة

الاربعة عند اهل السنة واليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته في المدينة =

من فلاحه الارض وكسب الرزق بالزراعة .

أ : " اللقاء الأول " :

=====  
يصف الشيخ محمد عبده الأول لقاءه بينه وبين الشيخ

" درويش " فيقول :

( جاءني هذا الشيخ صبيحة الليلة التي بتها في " الكنيسة " " ١ " ،

ويده كتاب يحتوي على رسالة كتبها السيد " محمد المدني " الى بعض مريديه

بالاطراف ، بخط مغربي دقيق ، وسألني ان اقرأ له فيها شيئا لضعف بصره ،

... فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه اشد النفور ،

ولما وضع الكتاب بين يدي ، رميته الى بعيد ، ولكن الشيخ تبسم وتجلى في

الطاف مظاهر الحلم ، لم يزل بي حتى اخذت الكتاب ، وقرأت منه بضعة

اسطر ، فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت ، بمباراة وأفضحة تغالب اعراضه فتغلبه ،

وتسبق الى نفسي ، وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب

بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت اليهم ) . " ٢ "

وتبع هذا اللقاء لقاءات اخرى ، ظل الشيخ يقرأ له وهو يشرح تلك الرسائل

التي تحتوي على معارف الصوفية ، وكلام مهم في اداب النفس وترويضها على مكارم

---

= المنورة ، كان صلها في دينه بحمدا عن الامراء والملوك ، صنف الموطأ ،

وله رسالة في الوعظ وله ايضا تفسير غريب القران ، توفي سنة ١٧٩ هـ .

انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ( ١٠ : ٥ ) / والاعلام للزركلسي :

( ٦ : ١٢٨ ) .

١ - البلدة المسماة " كنيسة اورين " .

٢ - انظر فصل " سيرته " ضمن الاعمال الكاملة ( ٢ / ٣٣٠ ) .

الأخلاق ، وتطهيرها من دنس الرذائل ، وتزهيدها في الباطل من مظاهر الحياة الدنيا . . . حتى جاء اليوم الذي صار أحب شيء إليه ما كان يخضه من مطالعة وقراءة ، وأبتدا يطرح على الشيخ أسئلة تتعلق بالطريقة الصوفية ، وما فيها من أذكار وأوراد ، والشيخ يجيب على جميع أسئلته بأسلوب المعلم العزيم والمرشد الأمين .

يقول الشيخ محمد عبده : ( ولم أجد أمة ما يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد . . . هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبتة أحد أقاربي وهو الشيخ " درويش خضر " . . . وهو مفتاح سعادتي . . . وهو الذي رد لي ما كان غائبا من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي ) " ١ "

ب - " ثقله بعبيدة " :

===== قلنا فيما مضى ان الشيخ محمد عبده ، ترك الدراسة ، وأحب اللهو واللعب مع لداته ، " ٢ " بعيدا عن عين والده ، وهذه الفترة القصيرة التي مربها الشيخ محمد عبده بحق لي ان اسمها ب " رحلة الضياع " ، وهي مما يحصل مع معظم الطلاب في سني التعليم الأولى ، لان الأطفال في هذه الفترة يجهون اللعب أكثر من أي شيء آخر ، والشيخ محمد عبده واحد منهم .

ولو استمر الشيخ محمد عبده في رحلة الضياع التي وصفها هو نفسه في سيرته لقص عمره كله في ضياع ، قلقا ، حائرا ، يسأل ولا يجد جوابا ، ولا يجد

١ - نفس المصدر ( ٢ / ٣٣١ ) .

٢ - أصدقائه الذين في عمره ، ويقال بالنسبة للأنثى أترا بها .

لقلبه ولا لنفسه راحة وسكونا ، ولظل يبكي ويصرخ ، ويتعذب ويتألم مثل كثير من الناس الذين فاتتهم فرصة التعليم ، ولطواه التاريخ مثل ما يطوى ملا بين البشر من غير ان يشعر بهم أحد .

ولكن الله قدر له امرا آخر ، ورسم له طريقا جديدا ، واعد له مهمة كبرى ، من اول لحظة عرف فيها " درويشا " ، فاذا به يسير في الطريق الجديد ، بخطى ثابتة مشرقة ، واذا به يتحول كلية من حال الى حال ، كل شيء فيه تغير حسه ، وشعوره ، وقيمه ، وافكاره ، وتصوراته ، ومفاهيمه . . . . . كأنه ولد من جديد ، وتكيف مع الوضع الجديد ، واذا به انسان اخر جديد . كل ذلك من السر الجديد الذي كشفه له " الشيخ درويش " رحمه الله .

فأقبل الشيخ محمد عبده على القران ، وعاش في ظلاله ، ودرس معانيه ومرامييه ، كما درس بعض معارف الصوفية وادابها ، فاذا به يعيش في دنيا غير التي كان يعيش .

يقول : ( فلم تمض علي بضعة ايام الا وقد رأيتني اطيير بنفسي في عالم اخر غير الذي كنت اعهد ، واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عندي من امر المرقان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا وتفردت عني جميع المهوم . . . ) " ١ " .

ج : - حسن الصجبة :

===== ( وكنت عند وصولي الى البلد اجد خال والدي الشيخ " درويشا " قد سبقني اليه ، فكان يستمر معي ، يدارسني القران ، والعلم الى يوم سفرى ، وكل سنة كان يسألني ، ماذا قرأت ؟ فاذا ذكر له ما درست ، فيقول : ما درست المنطق ؟ ما درست الحساب ؟ ما درست شيئا من هادى الهندسة ؟ وهكذا ، وكنت اقول له : بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في

الازهر . فيقول : طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في اى مكان ، فكنت اذا رجعت الى القاهرة التمس هذه العلوم عند من يعرفها ( ٠٠٠ ) " ١ "

هكذا كان العلماء ، فيما مضى ، يعطون بهمة عالية ، وروح طيبة ونفس مشرقة اخاذة ، ولا يدخلون بمعلمهم على من يطلبه ، ويعطون من وقتهم لمن اراد ان يعيش معهم وفي كنفهم ، ولا يصلح العالم الا بهذا ، ولا يكون عالما الا اذا ظهر علمه بين الناس .

ولكني آخذ عليه انه كان يحث على دراسة المنطق والفلسفة " ٢ " التي قد تهودى بدارسها - غير المشرس - الى زعزعة عقيدته الصحيحة ، وقد تهوى بالنفس فى ضلالات تحرمها خيري الدنيا والاخرة . هذا وقد كان الشيخ محمد عبده صغيرا ، لا يقوى على فهمها ومعرفته ما يصلح منها وما لا يصلح من خلال المنظار الاسلامي .

- 
- ١ - فصل في سيرته ، ضمن الاعمال الكاملة ( ٢ / ٣٣٢ ) .
  - ٢ - المنطق : آلة عاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق فيه ، هكذا عرفه ابن سينا ، وهذا الفن انما دخل على الاسلام بعد اتساع الدولة الاسلامية ودخول كثير من الامم في الاسلام ، وخاصة ما كان من جهة اليونان انظر كتاب : المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ، عوض الله جاد حجازى - الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة ، صفحة ٢٣٠ / وانظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٠ .
- اما الفلسفة فالمراد منها الحكمة ، وهي من العلوم النظرية التي تعتمد على العقل والفكر .
- انظر كتاب : عقيدة العرب في المذم والفلسفة ، لعمر فروخ ، الطبعة الثانية - المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٧٢ هـ ١٩٥٢ م .

وهذا لا ينقض قولنا : ان الشيخ " درويش " هو الذي اعاد الشيخ محمد عبده الى الجادة وحببه في العلم والمثابرة عليه ، وانه اتقده بالقران ، وطمه الطريقة الصحيحة في تلاوته ، وارشده الى اقصر الطرق في فهمه ، وتدبره وخلصه من قيود التقليد الى اطلاق التوحيد - حسبها قال الشيخ محمد عبده واخرجه من عالم الزهو واللهو الى عالم العبادة والزهادة ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ولم ينقطع جبل الاتصال بينهما الى ان مات الشيخ " درويش " سنة ١٢٨٩ هـ . " ١ " رحمه الله تعالى .

وكان ممن اثنى عليه من الكتاب ، " احمد امين " في كتابه :

" من زعماء الاصلاح . . . "

قال : ( وشخصية الشيخ " درويش " من الشخصيات اللطيفة التي تظهر في البيئات المصرية على قلة . . . وهي شخصية متصوفة ، تمتاز بنور البصيرة اكثر مما تمتاز بسعة العلم ، تعرف الدنيا وشؤونها ، وتزهد في قيمتها عن علم لا عن غيباء ، وخير عبادتها ذكر الله بالقلب لا باللسان ولا بالاوراد ، تحمل في الدنيا كما يحمل اهلها ولكن في رفق وتسامح ، وميل الى الخير ، هي شخصية من اولئك الذين يرون الدنيا جسرا الى الاخرة ، فلا بد ان يعبر الجسر في امان ، يألومون لفظة الناس وطفحان المادة عليهم ، وتورطهم في المفاصد ، ويشفقون عليهم ، ويعملون ما امكنهم لانقاذهم في هواده ، يشع النور في قلوبهم على وجوههم ، فيكون منظرهم وتصرفهم وحركاتهم وسكناتهم منظرًا جذابا يستدعي الحب والاعجاب ) . " ٢ "

١ - توافق ١٨٧٣ ميلادية .

٢ - من زعماء الاصلاح محمد عبده تأليف احمد امين ، مؤسسة الخانجي -



٢ - \* محمد عيش :

===== ان مقاله \* احمد امين \* مثيابه على

شخصية الشيخ \* درويش \* يصح ان يقال هنا .

لان الشيخ \* محمد عيش \* من الشخصيات الاسلامية النادرة فسي

المحافظة على الدين من البدع والخرافات ، ومن كل دخيل على الاسلام .

وضح الاستاذ العقاد قدر الشيخ عيش ، قال :-

( وقد كان الشيخ \* محمد عيش \* رجلا صالحا هنيئا عن المطامع

الدينية التي كانت تستهوي طلاب المظاهر من علماء عصره ، وكان مخلصا صادق

النية في كراهة البدع التي يخش منها على الدين ) . " ١ "

كان له كبير فضل في تعليم الشيخ محمد عبده بعض العلوم الدينية في

الازهر الشريف ،

درس الفقه المالكي ، وله في ذلك كتب وشرح نذكر منها :

- شرحه على مختصر خليل .

- فتح العلي المالكي على مذهب الامام مالك .

- مجموع فتاوى عيش .

\* فروع يصحح بين الديكة \* ؟

=====

كان الشيخ محمد عبده لا يزال طالبا في الازهر الشريف ، وكان يقوم

الى جانب هذا بالقاء الدروس في بعض مساجد القاهرة . " ٢ "

ولما كان قد درس الفلسفة والمنطق بين يدي بعض الاساتذة ،

وفي مقدمتهم \* جمال الدين الافغاني \* ، ونز في هذا الفن ، احب ان لا يحرم

---

١ - عبرى الاصلاح والتعليم الشيخ محمد عبده ، عباس محمود العقاد

ص ١٤٠ .

٢ - وهو مسجد محمد بك ابو الذهب .

طلبة العلم من الانتفاع به ، فصار يدرس شرح العقائد النسفية في علم الكلام ،  
وبعض ما درسه في الحكمة والمنطق ،  
وحصل ان احد التلاميذ ، وشي به عند الشيخ " محمد عيش " ،  
فأبلغه أن طالبا بالازهر يحضر على " جمال الدين " ، ويقرا كتب الممثلة  
والمتكلمين ، يدرس العقائد النسفية " ١ " للتلاميذ ، وانه يرجح مذهب الممثلة " ٢ "  
على مذهب الاشاعرة " ٣ " ،  
فاستدعاه الشيخ " عيش " ، وكلمه في ذلك ، ودار بينهما الحوار

### التالي " ٤ " :-

- ١ - متن صغير الحجم ، مؤلفه عمر بن محمد النسفي ، شرحه السعد التافازاني ،  
وقد كتب عليه مجموعة كبيرة من الحواشي ، وهو في غاية الاختصار / انظر  
العقائد النسفية مطبعة ونشر مكتبة المشي - بغداد .
- ٢ - من الفرق الاسلامية ، اول من اطلق عليها هذا الاسم " الحسن البصري " ،  
حينما قال : اعترلنا واصل بن عطاء ، وقيل : لا اعترلهم قول الامة . وقيل  
غير ذلك ، ولهم آراء خاصة في العقيدة وهم اصحاب الاصول الخمسة : التوحيد ،  
العدل ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي  
عن المنكر .  
/ انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد  
ص ١١٥ / وانظر الفصل لابن حزم مكتبة المشي ببغداد ص ( ١ : ١٥٤ )  
/ تاريخ المذاهب الاسلامية لابي زهرة ( ١ : ١٣٨ ) .
- ٣ - اصحاب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري  
رضي الله عنهم ، والاشاعرة يقتضون على الصفات الالهية السبع ،  
الثبوتية اللازمة لذاته تعالى والتي لا يتصف بظدها .  
انظر / المل والنحل للشهرستاني ( ١ : ١١٩ ) ، مطبعة المشي  
ببغداد .
- ٤ - انظر الاعمال الكاملة ( ٣ : ١٩٢ ) .

عليش : بلغني انك تقراً شرح المقائيد النسفية درساً ؟

محمد عبده : نعم .

عليش : وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشاعرة ؟

محمد عبده : اذا كنت اترك تقليد الاشعري فلماذا اقلد المعتزلي ؟ اذن

اترك تقليد الجميع واخذ بالدليل .

عليش : اخبرني الثقة بذلك .

محمد عبده : هلم الثقة الذي يشهد بذلك ، ؟ فليفرق امامنا هنا بين المذهبين

وليخبرنا ايهما رجحت .

عليش : او مثلك يفهم شرح المقائيد ؟

محمد عبده : الكتاب حاضر وانا حاضر ، فسلني ان شئت .

وانتهبي مشهد الحوار ، وكان مشهداً رائعاً ، من اوضح سماته الحدة

في الكلام ، والجديية في الحديث ، والصدق في القول .

واستغرب " الشيخ عليش " ، ومن معه هذا الموقف من الطالب

" محمد عبده " ، وكبرت مراجعته على الحاضرين ، وقالوا للشيخ " عليش "

كلاماً ، وأغر صدره ، واتقل همه وخمه ، مما زاد الموقف حدة ، وخطورة ،

واحتدم الجدل بين الطرفين فعمد الشيخ " عليش " الى عصاه وضرب بها الطالب

" محمد عبده " على رأسه ، فسقطت عمامته ، وشفى صدر استاذة .

هذه هي نهاية المشهد الصاخب بين استاذ وتلميذه ، بطل

هذا المشهد " شيخ معمم يحمل في يده عكازاً " وتلميذ معمم ايضاً يحمل في يده

كتاباً " ، والجمهور يشاهد من بعيد كل احداث القصة .

انه بلا شك مشهد حي يمثل الصراع بين القديم والحديث ، او قل بين

الشرعية الاسلامية بصفائها وسهولتها ، وبين كلام الفلاسفة والمناطق بصعوبته وتمقيداته

... وهو الصراع الذي لا تزال نعاني منه الى اليوم .

وكان من اثر ذلك ان الشيخ محمد عبده لما عاد في اليوم التالي  
ليواصل عمله احضر معه عصا ، استعداده للقاومة ، مما يصح ان نقول انه  
جراة من الشيخ " محمد عبده " على من لا يحق له ان يعصيه . . . .  
وان تعجب فعجب قوله : ( اذا جاء الشيخ بمكازه فله العصا )  
وظل الشيخ محمد عبده على عداوة مع الشيخ " طيش " ، يحكي الشيخ  
محمد عبده ان اثره قد ظهر في قاعة الامتحان في ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هـ  
حين عرض الشيخ محمد عبده نفسه على مجلس الامتحان وابتلي فيه اشد الابتلاء  
( لتمصب الاكثر من اعضائه مع المرحوم " طيش " ) ،  
ويذكر السبب في هذا العداوة وهو الذي عده الشيخ محمد عبده : ( اتجاها الآلام )  
من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ) حتى ظن انهم لن يمنحوه درجة ما في العلم ،  
لولا امر الله الغالب .

وفي سنة ١٢٩٩ هـ مات الشيخ " طيش " ، بعد ان ترك  
في نفس الشيخ محمد عبده اثرا ظل يلازمه طول حياته :  
انه الحقد على الازهريين ، وطريقتهم ، ورميهم بالتقليد والجمود  
والسير بالدين الى الوراء . ( لذلك كان عنيفا في حديثه عن الازهريين ، يلوم  
ويعتب في حدة وعنف ، وله في ذلك كلمات متناثرة يصادفها القارئ في مواضع  
من كلامه ) . " ٢ " .

---

١ - توافق ١٨٨٢ م .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا

( ١ : ٧ ) .

٣ - " جمال الدين الافغانسي " :

=====

( ان ابي وهبني حياة يشاركني فيها " علي " و " محروس "

والسيد جمال الدين وهبني حياة اشارك فيها محمدا و ابراهيم وموسى وعيسى والاولياء  
والقديسين ) .

" محمد عبده "

لقد عرفنا في الفصل الثاني والده " عبده بن حسن خيرالله التركماني "

... الذى كان سببا في مجيئه الى الدنيا ...

ونريد ان نعرف من هو هذا الرجل الذى وهبه حياة يشارك فيها

الانبياء والاولياء والقديسين ...

أ : - " أصله ونسبه " :

=====

روى في نسبه واصله انه " ايراني " ينتمي الى مذهب الشيعة .

بينما زعم هو انه سني من بلاد " الافغان " ، وانه شريف النسب حسيني الجذ .

وقد اورد الدكتور " محمد محمد حسين " الادلة على انه ايراني شيعي

اخفى اصله ونسبه تحمية على اهل السنة في البلاد التي ينزل فيها حتى يتسنى له

ان يلعب نفس الدور الذى لعبته الاسماعيلية " ١ " فى الدعوة الى خلافة اهل بيت

النبوة " ٢ "

من هذه الادلة :-

١ - ذكر ابن اخته المدعو " ميرزا الطف الله خان " " ٣ " انه من بلدة " اسد اباد "

١ - طائفة باطنية ، تستروراء التشيع لآل البيت .

٢ - انظر الاسلام والخضرة الخيرية ص ٦٤ و ٨٣ .

٣ - وكان يلازمه في كثير من زيارته ليران .

- بالقرب من " همدان " ، وأنه شيعي ولم يكن حنفي المذهب .
- ٢ — ذكر الشيخ محمد عبده أنه كان في الحقيقة فارسياً ، وأنه انتسب  
للاقنان لسببين : — " ١ " .
- الاول : ان يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السني لا الشيعي .  
الثاني : ان يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها في  
الخارج .
- ٣ — ذكر احد العلماء " ٢ " ثبوت تشييعه في دوائر الدولة الرسمية ، جاء هذا  
في رسالة بحثها هذا العالم الى " رشيد رضا " بتاريخ ٢٩ رجب ١٣١٦  
هجريه .
- قال فيها : ( اني ارى جريدتك طافحة بشقايق المتأفنين " جمال  
الدين " المطلقة ، وقد تدرجت به الى الحسينية التي يزعمها زورا ،  
وقد ثبت في دوائر الدولة رسمياً انه " مازنداري " من اجلاف الشيعة . .  
وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية ) . " ٣ " .
- ويقول الشيخ " مصطفى عبد الرازق " " ٤ " في مقدمته لكتاب " الصورة  
الوثقي " : ( هذا خلاف لا سبيل الى تحجيره ، فان ما يتعلق بنشأة  
" جمال الدين " وحياته قبل اتصال الشيخ " محمد عبده " به سنة ١٨٧١ م  
هو على قلة مصادر مطاط بغموض واضطراب ) . " ٥ " .

- 
- ١ — انظر كتاب " الصورة الوثقي " — المقدمة — تأليف جمال الدين ، ومحمد  
عبده ، الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م — دار الكتاب العربي —  
بيروت ص ١٨ .
- ٢ — هو الشيخ " ابو الهدى " / انظر تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٩٠ ) .
- ٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة : وانظر كتاب : " رشيد رضا " ل احمد الشراصي  
ص ١٤٣ .
- ٤ — من تلاميذ الشيخ محمد عبده ، وسنترجم له فيما بعد .
- ٥ — انظر مقدمة كتاب " الصورة الوثقي " ص ٢ .

ويبدو من كلام الشيخ " مصطفى " ان حقيقة هذا الامر قد انكشفت  
للشيخ " محمد عبده " بعد اتصاله به . . .  
فهو يقول : ( ويدل على هذا اقول الشيخ " محمد عبده " في فاتحة  
تعميره لرسالة " الرد على الدهريين قال : ويحملني على ذكر شي من سيرة هذا  
الرجل الغاضل ما رايناه من تخالف الناس في امره ، وتباعد ما بينهم في معرفة  
حاله ، وتباين صورته في مخيلات اللائقين لخبره ، حتى كان حقيقة كلية تجلت  
في كل ذهن بما يلائمه ، او قوة روحية قامت لكل نظري بشكل يشاكله " ) . " ١ " .  
وقد اعترف الشيخ " محمد عبده " في نفس " الصورة الوثقى " انه من

شعبة الفرس .

ويظهر ان الذي اوقع في هذا اللبس هو " البلدة " التي منها  
" السيد جمال " هل هي " اسعد اباد " من اعمال كابل في افغانستان ؟  
ام انها " اسد اباد " من اعمال همدان في ايران ؟  
ولعل السيد " جمال الدين " قد استغل هذا التشابه بين البلدتين ،  
فاخفى تشيعه وادعى انه من اهل السنة .  
واما زعمه انه شريف ينتسب الى " الحسين " رضي الله عنه ، فقد يكون  
له طريق الى الصحة ، وقد يكون من اختراجه للتزويد في الفضل . وان كنت استبعد  
قوله ، لانه لا دليل عليه ، ولان من يكذب على الناس في بلده ، خليق ان لا  
يصدق في نسبه .

ب : - " لقاءه بالشيخ " محمد عبده " واثره فيه " :

=====

نزل جمال الدين مصر سنة ١٨٢٠م ، بدعوة من " رياض باشا " عندما  
اجتمع به في الاستانة ، فقررت له الحكومة المصرية راتباً شهرياً ، مقداره " عشرة  
جنيهاً " . " ٢ " .

١ - نفس الكتاب . نفس الصفحة .

٢ - انظر زعماء الاصلاح لاحد امين ص ٦٩ .

حاول ان يدرس في الازهر فلم يستطع ، لكره الازهرين له ،  
فاتخذ له بيتا في " حارة اليهود " مالم يث ان صار منتدبا للعلماء وللطلاب ومنهم -  
محمد عبده ، عبد الكريم السلطان ، ابراهيم اللقاني ، ابراهيم الهلباوي ،  
سعد زغلول - ثم اتخذ من " طهس " قرب " الازهكية " مجلسا له يلتقي فيه  
مع طلابه حتى الفجر " ١ " يلتقي فيه مع هؤلاء ومع غيرهم مثل : محمود سامي  
البارودي ، عبد السلام المويلحي ، ابراهيم المويلحي ، علي مظهر ،  
سليم النقاش ، اديب اسحاق ، حيث كانوا يسألونه عن ادق المسائل ، فيجيب  
عليها . " ٢ "

احب السيد " جمال الدين " مصر ، واحب منها " محمد عبده " .  
يقول : ( مصراحب بلاك الله الي ، وقد تركت لها في الشيخ  
محمد عبده ، طودا من العلم الراسخ ، وعمودا من الحكمة والشلم ، وطس  
الهم ، واني ليذهب بي المعجب ويأخذ مني كل مأخذ ، عندما اري المصريين  
في جمود واولي الهمة منهم في قمود ) . " ٣ "

وقال مرة وهو يوضي بمصر : ( حسبكم محمد عبده من وصي امين ) . " ٤ "

ولقد كانت نظرة السيد " جمال الدين " صائبة ، فيه وكان " محمد  
عبده " امينا على حكمة استاذة وقائما على مذهبه . . . .

- 
- ١ - انظر كتاب : جمال الدين الافغاني تاريخه ورسالته وجمادته ، محمود  
ابوربه ص ٤٥ .
  - ٢ - انظر : زعماء الاصلاح لاحمد امين ص ٧٠ - ٧٣ .
  - ٣ - خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني ، لمحمد باشا الخزوي ،  
الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م ص ١٩ .
  - ٤ - عقري الاصلاح والتعليم الامام محمد عبده ، العقاد ص ١٠٣ .



يقول محمد الفاضل بن عاشور : ( وكان في مقدمة المنتسبين اليه  
والاخذين عنه من هو عمده في عمله ، والقائم على حكمته ومذهبه الاصلاحى من  
بعده الاستاذ الامام " محمد عبده " ) . " ١ "

والحديث عن الاثر الذى تركه " الافغانى " في شخصية الشيخ  
" محمد عبده " يطول كثيرا ولا تكفى صفحات قليلة في كتابة شي \* كثير .  
والمهم هنا ان نقول :-

ان الشيخ " محمد عبده " لم يكن في الحقيقة الا اثرا من آثار السيد  
" جمال الدين " .

وما من مناسبة يذكر فيها اسم " الافغانى " الا وتهتز السنة الذاكرين  
" بمحمد عبده " فكان هناك اتصالا روحيا بين الشخصيتين ، او اتفاقا سرىا  
يحتم اجتماع الشيخين .

لقد تشربت روح الشيخ محمد عبده الحكمة والمعرفة من روح استاذه  
( فلم ينفذ الى لباب المعارف الا بتوجيهه ، ولم يتذوق روح حكمها الا بنفحاته ،  
فلا عجب ان يكون بطا اتيح له من رفقة وما تأتى له من تشرب افكاره وضمونها  
والتصرف فيها تصرف الايضاح والضبط والتركيب والتحرير صورة منه تشرب روحه ،  
وتنفس حكمته ، وامن بها نبي عمله على القواعد التى وضعها " جمال " بيده ) " ٢ "

يقول الشيخ محمد عبده : ( وقد صاحبت من ابتداء شهر المحرم  
١٢٨٧ هـ " ٣ " واخذت اتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمة والكلامية ، وادعو  
الناس الى التلقى عنه كذلك ) . " ٤ "

- 
- ١ - التفسير ورجاله ، لمحمد الفاضل بن عاشور ، الطبعة الثانية ، دار الكتب  
الشرقية ، تونس ص ٢٣٠ .
  - ٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .
  - ٣ - توافق ١٨٧٠ ميلادية .
  - ٤ - ترجمة سيرته ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ( ٢ : ٣٣٢ ) .

ولعل هذه الصحبة ، وتلك المودة ، وبينهما ، هي التي جلبت  
للشيخ " محمد عبده " الصاعب وابعده كثيرا عن طريق الازهر ، وصيرته حديث  
المشايع والطلاب فيه — هو وشيخه —  
" ١ " .  
( واخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يقولون عليه وعلينا الاقاول ) .

والشيخ محمد عبده يرى ان اثره لم يقتصر عليه وعلى بعض جلساء  
الشيخ الافغاني ، بل تعداه ، ليعم ضربا سرها ، وكان لم يكن في مصر الازهر  
" ام العلوم " الا الاستاذ الافغاني ، ولكن كما يقولون — : الحب يعمي ويصم .  
يقول الشيخ " محمد عبده " في ترجمة سيرة الافغاني وبيان اثره :-  
( عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم ، واستجزلوا افوائد الاخذ  
عنه ، واعجبوا بدينه ، وادبه ، وانطلقت الالسن بالثناء عليه ، وانتشر صيته  
في الديار المصرية .

ثم وجه عنايته لحل غل الاوهام عن قوائم العقول ، فنشطت لذلك  
الباب واستضاءت بصائر ، وحمل تلامذته على العمل في الكتابة ، وانشاء الفصول  
الادبية والحكمية ، والدينية ، فاشتغلوا على نظره ، وروعوا ، وتقدم فن الكتابة  
في مصر بسعيه ، وكان ارباب القسم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في  
المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري ،  
وخيري باشا ، ومحمد باشا سيد احمد ، على ضعف فيه ، ومصطفى باشا وهي ،  
على اختصاص فيه .

ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون في المراسلات الخاصة ، واما مصنفون

في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها .

ومن عشر سنوات تولى كتيبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ  
مضمارهم ، واغلبهم احداث في السن شيخ في الصناعة ، وما منهم الا من اخذ عنه  
او عن احد تلامذته ، او قلد المتصلين به ، ومنكر ذلك مكابر ، وللحق مداير " ١ "

واني ارى ان الشيخ " محمد عبده " قد غض الطرف عن الجانب

الآخر من حياة استاذنا والاثرا الذي تركه في مصر ، وهو موقف يؤخذ عليه ،

وسأبين هذا الاثر ، وذلك لاهميته بين الناس ، واستحقاقه ذلك . . . .

فأقول :-

انضم جمال الدين الافغاني الى المحفل الماسوني الاسكتلندي في

القاهرة وكان يضم كثيرا من طيبة القوم " ٢ " ، فأزاد - كما يقول رشيد رضا -

( ان يربي فيها رجالا يصفون كيف يحفظون بلادهم ، وانفسهم ، فوجه همه الى

استخدام الماسونية ، في تعليم تلامذته ما لا يمكن التصريح به الا في جمعية سرية ،

فدخل في الماسونية ودخل معه تلامذته النابغون ، فجعل بهم قوة للمصريين ،

وصار رئيس محفلهم ، ولكنه كان غالبا ما يتكلم في مضادة الانجليز ، لما كان من

زحفهم على بلاده ، ولما كان يعتقد من طمطمهم في مصر . . . . فقاوموه حتى اضطره

الى ترك الماسونية مع كبار حزبه . . . . " ٣ "

---

١ - ترجمة سيرة جمال الدين ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده

( ٢ : ٣٤٩ - ٣٥٠ ) .

- وانظر كتاب : مذكراتي في نصف قرن لاحمد شفيق باشا . الجزء الاول

مطبعة مصر . الطبعة الاولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م . ( ١ : ١١٠ - ١١١ ) .

٢ - انظر من زعماء الاصلاح محمد عبده ، احمد امين ص ٧٩ .

٣ - نفس المصدر ص ٧٣ ، / وانظر المنار ، الجزء الخامس ، ايار

١٩٠٣ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

ولما ترك المحفل الاسكتلندي انشأ محفلاً وطنياً تابعاً للشرق الفرنسي ،  
دعا اليه مريدياً من العلماء والوجهاء ، وبلغ عدد المشتركين فيه نحو ثلاثمائة عضو ،  
من نخبة المفكرين والناهضين المصريين ٠٠٠ فكان لذلك هزة في الاندية والمجتمعات  
كما قال احمد امين ٠ " ١ "

والماسونية كانت في نظر الافغاني شيئاً مثالياً ، ومثلاً يحتذى به ،  
ولكنه سرعان ما لاحظ انها تستغل لاهداف خاصة خلاف ما كان ينتظر منها .  
يقول : ( كنت انتظر ان اسمع وارى كل عجيبة غريبة ، ولكن ما كنت  
لاتخيل ان الجبن يمكنه ان يدخل بين اسطواناتي المحافل الماسونية ، اذا لم تدخل  
الماسونية في سياسة الكون ، وفيها كل بلاء حر ، واذالات البناء التي في يدها  
لم تستعمل لهدم القديم ، ولتشديد معالم حرية صحيحة ، واخاء ومساواة ، وترك  
صروح الظلم والعتو والجور ، فلا حطمت يد الاحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنايتها  
زاوية قائمة ٠٠٠ ) " ٢ "

ويعبر الافغاني عن خيبة امله في الماسونية بأن القائمين عليها تسيطر  
عليهم الانانية وحب الرئاسة والاهواء ٠٠٠ ( ولكن مع الاسف ارى ان جرائم الاثرة  
والانانية وحب الرئاسة والعمل من جماعات بمقتضى اهوائهم ، وخضوع الشرق عن بعد  
سحيق ، يمتوره تهديد ووعيد ، وغير ذلك من الامور التي ما تأسست الماسونية  
الحرية الا لملاشاتها ٠٠٠ ) " ٣ "

- 
- ١ - من زعماء الاصلاح ص ٧٣ . / وانظر تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٤٠ )
  - ٢ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ، تحقيق الكاتب محمد عمارة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ص ٥٢١ ، ( مقالة بعنوان " نقد الماسونية " وهي منقولة عن كتاب :  
خاطرات جمال الدين الافغاني ) .
  - ٣ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ص ٥٢١ .

والمؤسف حقا ان يصر الافغاني ان يبقى ماسونيا عاملا بدل ان يهجرها  
ويهاجمها ويحذر الناس من مقبة الوقوع في جائلها "١" . . . على الرغم من اعترافه  
بانها رموز غير مفهومة وانها من اساطير الاولين التي تخل بعقيدة الداخل فيها  
( فالماسونية على شكلها هذا وتقاليدها ليست فقط قديمة العهد ، بل هي لم تنزل  
في العهد ، ولسوف اذا اصررت واصرا بناؤها على الوقوف عند حد رموز اكثرنا لا يفقه  
معناها ولا المراد من وضعها انها ستختنق في العهد ولا تدج منه ، ماسونيتكم  
ايها الاخوان لا تتجاوز " كس اعمال وقبول اخ " يتلى عليه من اساطير الاولين  
ما يعل ويخل في عقيدة الداخل ، ويسقط مكانة الماسونية في عينيه ، انتم اليوم بين  
رئيس ومروءوس ، تابع وتبع ، شرق يا مرموستشرق يوضح ، مال يجمع وجزية  
للسرف تؤدي ، وليس من عمل يدل على ادنى اثر من الحياة للماسونية في الشرق . . )  
ويبدو لي ان انغمسه فيها ، وعمله في السياسة لم يتح له ان  
يتشدد مع تلاميذه ويربيهم تربية خلقية وه ينية فكان كثير منهم غير متدينين . . "٣"  
نذكر الى جانب هذا ان الافغاني اول من نادى بأن " مصر للمصريين " "٤"  
فجذب اليه هذا الشعار عدد من مريديه من اليهود والنصارى ، وهذا يعني  
ان الافغاني احل رابطة الوطن محل رابطة الدين ،  
والى جانب ذلك كان الافغاني يؤمن بوحدة الاديان الثلاثة واتفاقها  
وعدم تخالفها كما يبدو من قوله : ( واما ما نراه من اختلاف اهل الاديان ، فهو  
صنع رؤساء بعض تلك الاديان الذين يتجرون بالدين ) وهذا يعني الشعار الثاني  
للماسونية وهو " الاخاء " .

- 
- ١ - انظر المروة الوثقى ص ٢٥ .
  - ٢ - الاعمال الكاملة لجمال الدين ص ٥٢٢ .
  - ٣ - انظر كتاب الاسلام والتجديد ، تشارلز ادمز ص ١٠ ، ٩٥ .
  - ٤ - انظر : جمال الدين الافغاني لمحمود ابورية ص ١٢٣ .

ويؤمن ايضا بالاشتراكية ( التي ستودي حقا مهضوما لاكثرية من الشعب

الغافل ) " ١ "

- حسب قوله - .

ويقول ايضا عن الثورة البرجوازية الفرنسية - التي هاش العالم في حرارتها

اجيالا متعددة ، وعن الثورة الاشتراكية المنتظرة .

( والدعوة لطلب الحرية في فرنسا ، وهي دعوة ومطلب حق ، كم

صادف اهلها من المحن ، وكيف استخر فيها القتل ، وسالت الدماء .

واليوم فالعالم يقدرهم ، ولسوق يقتدى بهم ، وهكذا ادعوى الاشتراكية .

وان قل نصرانها اليوم فلا بد ان تسود في العالم ، يوم يعم فيه العلم الصحيح

ويعرف الانسان انه واخاه ، من طين واحد ، او نسمة واحدة ، وان التفاضل انما

يكون بالانفع من المسمى للمجموع ) " ٢ "

فهو الى جانب جه للاشترائية وتأييده لها ، ودعوته اليها ، يتنبأ .

لها مستقبلا تعم فيه الارض .

فهي اذن حتمية ، وكلامه هذا قريب الشبه من التفسير المادى للتاريخ

عند الشيوعية " ٣ " ، ( فلا بد ان تسود في العالم ) .

---

١ - خاطرات جمال الدين ، لمحمد باشا المخزومي ص ١٨٩ / وانظر الاعمال

الكاملة لجمال الدين ص ٨٨ .

٢ - خاطرات جمال الدين ص ٢١١ .

٣ - انظر كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية ، للدكتور محمد سعيد

رضان البوطي ، دار الفكر - بدمشق الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ -

١٩٧٩ م ، ص ٢١٢ .

وفيه ايضا جملة من مبادئ الشيوعية في هذا العصر . تجده في قوله  
( وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسمى للمجموع ) وهو قريب الشبه من قولهم :  
( من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته ) .

وفي قوله : ( ويعرف الانسان انه واخاه من طين واحد او نعمة واحدة )  
فيه اشارة الى قولهم ، ان الشيوعية ستقيم حكومة عالمية كل الناس فيها شركاء في كل  
شيء .

ولعل الافغاني ايضا اول من نادى باشتراكية الاسلام ، وان الاسلام  
دين اشتراكي ، لانه يذهب الى ان اول من دعا الى الاشتراكية هو الصحابي  
الجليل " ابو ذر الغفاري " " ١ " .

ويقول الافغاني ( كل اشتراكية تخالف في روحها واساساتها اشتراكية  
الاسلام " ٢ " فلا تكون نتيجتها الا ملحة كبرى ، وسيل الدماء ، وسيل المعر من

- 
- ١ - صحابي جليل - جندب بن جنادة ، اسلم بمكة قد يما ثم رجع الى قومه ثم هاجر  
الى المدينة وهو اول من حيا بتحية الاسلام روى له عن النبي صلى الله عليه  
وسلم ماقتان وواحد وثمانون حديثا ، مات بالبيعة سنة احدى وثلاثين /  
انظر رياض الصالحين للنووي ، تحقيق محيي الدين الجراح ص ٥٤ .
  - ٢ - الاولى ان نعتد عن مثل هذه المصطلحات " اشتراكية الاسلام " " ديقراطية  
الاسلام " . . . لان الاسلام هو الاسلام ، انه وان كان يلتقي مع بعض هذه  
المذاهب في بعض النقاط فلا يعني هذا انه مثلها ، لوجود الفرق الاساسي  
بين الاسلام وغيره وهو ان الحاكم والمشرع والمعبود في الاسلام هو الله ، وفي  
غير الاسلام هو غير الله . فبدلا من ان نقول الاشتراكية الاسلامية ، نقول :  
" التضامن الاجتماعي في الاسلام " او " التكافل الاسلامي " . . . الخ .  
انظر كتاب العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، طبعة دار  
الشروق ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

الأبرياء ، ومن تخريب لبناء لا يشاء عليه شيء ينتفع به احد من الخلق ) . " ١ "

محمد :- فهل كان للسيد جمال تأثير على شخصية الشيخ " محمد عبده "

في هذا المجال ؟

والجواب نعم " ٢ " . ولعل هذا هو السبب في اهمال الشيخ " محمد عبده "

لهذا الجانب من تاريخ استاذنا والله اعلم .

١ - خاطرات جمال الدين ص ٢٠٣ .

٢ - استطيع ان اقول في غير مجانبه للحق ان الشيخ محمد عبده تأثر بفكر استاذنا

جمال الدين الافغاني فكان خادما لاهدافه يرى بعينيه ويعمل بمقله ،

ويكتب بوحيه . . . . . فدخل الماسونية وانشأ جمعية سرية هدفها التقرب بين

الاديان الثلاثة : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام .

اضف الى ذلك ما درسه الشيخ محمد عبده من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وما

كان له من اثر في تكوين شخصيته العلمية .

- تاريخ الاستاذ الامام الجزء الاول ، الصفحات ( ٤٠ ، ٤٦ ، ٤٨ )

( ٨١٩ ، ٨٧٣ ) .

- الاعمال الكاملة للامام الجزء الاول ، ص ٣٥ .

- جذور البلاء ، الاستاذ عبد الله التل ص ١٣٧ .

- اسرار الماسونية لويس شيخو ص ١٩٥ .

- رائد الفكر المصري محمد عبده ، عثمان امين ، الطبعة الثانية ص ٤٠ .

- الاتجاهات الوطنية في الاهدب المعاصر ، محمد محمد حسين

( ١ : ٣٠٨ ) .

- اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، دكتور عبد المجيد المحتسب

( ١١٥ - ١١٩ ) .



٢ - تلاميذه

=====

تمهيد :-

=====

لا شك ان الشيخ " محمد عبده " صاحب مدرسة فكرية تربية ...  
تخرج منها كثير من القادة ، والزعماء والمفكرين ، واصحاب الاقلام ، ورجال  
السياسة والحكم ...

كان " الشيخ محمد عبده " هكذا لانه كان رائدا ومرشدا ومربيا  
والرواد في تاريخ البشرية قليلون ...

هذا الرائد ، شهد له بالريادة اهل السياسة ، والاجتماع ،  
والادب ، والصحافة ، ورجال الدين " ا " ، ورجال الاقتصاد ...

فكان من هؤلاء :

سعد زغلول ، وحسين رشدي ، وعبد الخالق ثروت ، وعطلي

يكن في مجال السياسة والحكم .

واحمد لطفي السيد ، ومنصور فهمي ، ومحمود عزبي ، في حقل

الصحافة .

وحافظ ابراهيم ، ومصطفى المنفلوطي ، وعبد الرحمن البرقوقي ،

في الادب .

وظلمت حرب في الاقتصاد .

وقاسم امين في الاجتماع .

وفي الازهر الشيخ مصطفى عبد الرازق ، والشيخ المراغي .

أما رشيد رضا الطرابلسي فأشهر من ان يعرف .

وسأترجم تقط لخمس من هؤلاء ، هم :

- ١ - رشيد رضا
  - ٢ - الشيخ العراقي \*
  - ٣ - مصطفى عبد الرازق
  - ٤ - احمد لطفي السيد \*
  - ٥ - قاسم امين \*
- واشير الى سادس \* هو " سمد زفلول " \*
- وقد اكتفيت بالحديث عن هؤلاء لانهم اشهر قلاميده \*
- الذين حملوا اللواء من بعده ونشروا مذهب \* ودعوا اليه \* . . . الامر الذي ادى الى تحول كبير في مجرى الحياة المعاصرة في طامة العالم الاسلامي \* وفي مصر على وجه الخصوص \*
- وفي التعريف بهؤلاء تعريف بالاثرا الذي تركه الشيخ محمد
- عده بصدده \* والطراز الخاص بمدرسته \* والطابع الذي تشكلت به
- الحياة العامة \*

وهؤلاء للتلاميذ قسمان :

أ : رجال دين ، تخصصوا في دراسة وتدريس الشريعة . . .

ب : رجال سياسة واقتصاد واجتماع . . .

من الصنف الاول : الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ محمد

مصطفى المراغي ، والشيخ مصطفى عبد الرازق .

ومن الصنف الثاني : احمد لطفي السيد ، وقاسم امين ، وسعد

زغلول .

أ = الصنف الاول :

=====

١ - " محمد رشيد رضا " :

=====

في قرية القلمون من جبل لبنان ، ولد الشيخ " محمد رشيد رضا " ،

بتاريخ ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ هـ " ١ " ، " ٢ "

التقى بالشيخ " محمد عبده " سنة ١٨٩٨ م ، اللقاء الثالث الذي

صيره تلميذا للشيخ محمد عبده .

اما اللقاء الاول فقد حصل في طرابلس الشام بعد عودة الشيخ من

اوربا .

وتم اللقاء الثاني ايضا في طرابلس سنة ١٨٩٤ م ، وكان الشيخ

محمد عبده يصفاه هناك ، فلزمه رشيد ليل نهار ووثق علاقته به . واحبه كما

يحب والده ، وهو اول من اطلق عليه لقب " الاستاذ الامام " ، وكان يؤمن ان

الشيخ محمد عبده هو ( بقية رجال المسلمين ) . " ٣ "

- 
- ١ - توافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٦٥ م .
  - ٢ - رشيد رضا عصره وحياته ومصادره وثقافته ، الدكتور احمد الشواصي ص ١٠٢ .
  - ٣ - انظر تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٩٩٥ ) .

١ - " ترجمان افكاره " :

=====

وتق الشيخ محمد عبده برشيد فجمله ترجمان افكاره ، وكان  
يجه كثيرا ، ويؤثره على غيره حتى انه قال مرة لصديقه الشيخ " عبد الكريم  
سليمان " ،

( اما ان تكف عن السيد رشيد ، واما ان استغني انا عن

صحبة اربعين سنة ) " ١ " .

وكان الشيخ عبد الكريم ، اراد النيل من اخلاص السيد رشيد للشيخ

محمد عبده .

وقال :-

( ان الله بعث بهذا الشاب ليكون مدادا الحياتي ، ومزيذا في عمري ،  
ان في نفسي امورا كثيرة اريد ان اقولها او اكتبها للامة ، وقد ابطيت بما اشغلني  
عنها ، وهو يقوم ببيانها الان ، كما اعتقد واريد ، وانا اذكرت له موضوعا يكتب  
فيه ، فانه يكتبه كما احب ، ويقول ما كنت اريد ان اقول ، وانا اقلت له شيئا  
مجملا ، بسطه بما ارتضيه من البيان والتفصيل ، فهو يتم ما بدأت ، ويفصل  
ما اجملت ، وقد رايت في سفرى هذا من آثار عمله وتأثيره ، ما لم اكن اظن ولا  
احسب ، فهو قد انشا لي احزابا واوجد لي تلاميذا واصحابا ، ٠٠٠ ) " ٢ "

وعن الرابطة الروحية بينهما يقول رشيد : ( علاقتي بالاستاذ

روحية اصلاحية محضة ) " ٣ " ،

---

١ - الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ( ٣ : ١٣١ ) .

٢ - الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ١٣١ ) .

٣ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٠١١ ) .

وفي موضع آخر يقول : ( طاربي هذا العشق الروحي بعد وفاة السيد  
" جمال الدين " الى الاستاذ الامام ، وكان قد علم بحبي له ، وظن انه كحسب  
الالوف من الناس للعلماء والنصحاء ، والكتاب ، والخطباء ، وبعد محاورات  
ومسايرات كثيرة تتابعت من اواخر رجب الى العشرة الاخيرة من شوال ، علم ان هذا  
الحب نوع آخر لم يعرف له ضربا الا حبه للسيد " جمال الدين " . " ١ " .  
وعن علاقتهما في المعاشرة العادية يقول رشيد ( ولكثرة ما يراني الناس  
معهم كما كاللزام والملزوم اللذين لا ينفك احدهما عن الاخر ) . " ٢ " .  
وعن حياتهما العملية قال رشيد : - ( كنا كروح واحدة في جسدين ،  
كان يكاشفني بجميع افكاره واسراره في علاقته بالحكومة ، والخدمى ، واللورد كرومر ،  
ورئيس النظار ، وفي اعماله في الازهر ، ومجلس الشورى ، ومجلس الاوقاف الاعلى  
وبعهد الي بكتابة بعض المقالات في الجرائد لتأييد رأيه ، وتفنيده آراء مخالفيه ) .  
" ٣ " .

٢ - " الوارث الاول " :

=====

يقول الامير شكيب ارسلان عن الشيخ رشيد رضا : ( وهو الاولى بأن  
يخلف الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في مشروعه ) . " ٤ " .  
ومحمود ساهي البارودى صديق قديم للشيخ " محمد عبده " : قال له  
مرة : - ( ان السيد جمال الدين قد ترك لنا ، فقمنا بالاصلاح بعده ، خير قيام ،  
واني لخائف ان تنقطع السلسلة بعدك ، فبشرني هل عندك احد ترجوان يتصل بسره  
سير الاصلاح ؟

- 
- ١ - نفس المصدر ص ١٠١٢ .
  - ٢ - نفس المصدر ص ١٠١٣ .
  - ٣ - نفس المصدر ص ١٠١٦ .
  - ٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوشوب ستودارك ( ١ : ٢٨٣ ) .

قال : نعم ، عندي شاب سوري يقوم بذلك ، وسأرسله اليك لتتعارفا ( " ١ " ) .  
ويقول صاحب كتاب : " التفسير والمفسرون " ، الشيخ محمد حسين

الذهبي :-

( ان الشيخ رشيد هو الوارث الاول لعلم الاستاذ الامام اذ انه  
اخذ عنه فوعى ما أخذ ، والف في حياته ، وبعد وفاته ، فكان لا يحيد  
عن منهجه ، او ينحرف عن افكاره ) ( " ٢ " )

٣ - " المدافع الاول " :

=====

كان الشيخ رشيد متقفا في الجملة مع لسانه في العقيدة والفكر والرأى  
والخلق والعمل ، وكان يدافع عنه دفاع الابن عن ابيه عند تعرضه للخطر ،  
ويرد على منتقديه ، وايضا على الذين ينتقدون الافخاني ويوجهون اليه التهم .  
فمثلا : حين ترجم السيد " سليم العنجوزي " للسيد جمال ذكر  
انه كان ( يكثر من شرب الشاي والتبغ ، واذا تعاطى مسكرا فقليل من الكونياك ) ( " ٣ " )  
والشيخ رشيد الذي اورد هذا القول : يرد عليه ويبرر فعله بقوله  
( ولم نسمع حتى من اعدائه انه كان يشرب المسكرات ، فان لم يكن ما قيل من  
شربه لقليل من الكونياك الافرية ، فيحتمل ان يكون له شبهة ، كان يكون رآه  
الناقل يشرب شيئا ، يشبه الكونياك ، او يكون شرب ذلك القليل تداويا " ٤ " فظنه  
الناظر عادة .

١ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٩٥ ) .

٢ - التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ص ٢٤٢ ، دار الكتب

الحديث ، الطبعة الاولى ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

٣ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٤٩ ) .

٤ - ان التداوى بالمحرمات يحرم لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ما جعل =

وهذه الشبهات كثيرة ، وقع لي منها ما ظن به من لا يعرفني الا

بالسمع انني افطر في رمضان متعمدا ) . " ١ "

ومثلا : لما اجتمع الشيخ " يوسف النبهاني " بالشيخ رشيد سنة

١٣٢٦ هـ " ٢ " ، ذكره بشأن " الشيخ محمد عبده " وقال له : ( من المعلوم

المسلم انه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر ، وانا نفسي راقته من وقت الضحى

الى قبيل المغرب ، عند رجل كان دطانا في جبل لبنان ، فلم يصل الظهر ولا

العصر ، ولم يكن له عذر ، بل كان بكامل الصحة ، ورأيت الظهر والعصر

ولم يصلهما ) . " ٣ "

فعلم الشيخ رشيد تركه لبعض الصلوات ، وقال في الجواب عنه

( لعل مذهبه يجوز الجمع في الحضر ) . " ٤ "

---

= الله شفاء امتي فيما حرم عليها " . وما جوزه رشيد هو القول الثاني للشافعي ،

وهو خلاف مذهب احمد ومالك وابي حنيفة . / انظر كتاب : الاضاح عن

معاني الصحاح ، ليحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض

( ٢ : ٢٧٠ ) .

١ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ٥٣ ) .

٢ - توافيق ١٩٠٨ م .

٣ - العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ، يوسف بن اسماعيل البهاني ، ص

٣٤ وما بعدها .

٤ - يجوز عند مالك الجمع في الحضر للمطر في المغرب والعشاء دون الظهر والعصر

وعند الشافعي واحمد يجوز ايضا الظهر والعصر . وقال ابو حنيفة : لا يجوز

ذلك على الاطلاق ، الا بعرفة والمزدلفة في حق المحرم .

انظر : الاضاح عن معاني الصحاح ( ١ : ١٥٧ - ١٥٨ ) .

ولم يقل احد من الائمة ان الظهر والعصر يجزمان مع المغرب والعشاء .

٢ - " محمد مصطفى المراغي "

=====

ولد الشيخ " المراغي " " بالمرافة " من " جرجا " من " صعيد مصر " عام ١٨٨١م ، ونشأ كما ينشأ الطلاب من أبناء الصعيد حفظ القرآن وارتقى في الدرس حتى دخل الازهر الشريف ، فدرس فيه وتلمذ على " الشيخ محمد عبده " .

كان " المراغي " اخلص اخوان الشيخ محمد عبده ومريديه ، وذلك بسبب مكابذته في سبيل ما يسمى " باصلاح الازهر " .  
فقد استطاع ان يرسم طريقا جديدا للزهر ، وان يغير الكثير من مناهج التعليم وطرأقه ، وهو المراد " باصلاح الازهر " .  
كان الشيخ " محمد عبده " من المعجبين به ، فرشحه للقضاء في السودان ، فوليه سنة ١٩٠٤م .

وفي السودان قامت بينه وبين الانجليز صلات ومودة ، فتعلم لغتهم ، وتشرب من افكارهم وآرائهم . . . فأحضر الى مصر واسندت اليه مشيخة الازهر سنة ١٩٢٨م .

ويبدو انه فرض فرضا في هذا المنصب ، واما عن الملك فؤاد وعن المشايخ الازهريين ، فحدثت ضجة ، قام بها الازهريون بحجة انه لا يصلح لهذا المنصب ، وليس اهلاله . . . الى ان استقال بعد عام تقريبا ، لهذا السبب ، ولعدم استجابة الملك فؤاد لبرنامج الاصلاح " ١ " .

ظل المراغي بعيدا عن مشيخة الازهر حتى سنة ١٩٣٥م ، فولي المشيخة من جديد ، وفي هناك عشر سنوات ، انشأ خلالها ، كلية اللغة العربية وكلية اصول الدين وكلية الشريعة ، ووافد البحوث الازهرية الى البلاد الاوروبية ، واحيا تقليد



الشيخ " محمد عبده " في التدريس " بالرواق العباسي " ١٠ " ١ "

يقول " المراغي " في حفل تكريم اقيم له ، بمناسبة عودته للازهر الشريف عام ١٩٣٥م : ( لا ننسى ذلك الكوكب الذي انبثق منه النور ، الذي نهتمى به في حياة الازهر العامة ، ويهتدى به علماء الاقطار الاسلامية في فهم روح الاسلام وتعاليمه ، ذلك الانسان الذي نشر الحياة العلمية ، والنشاط الفكري ، ووضع المنهج الواضح لتفسير القران ، وجر الطريق لتذوق سر العنبرية وجمالها ، وصاح بالناس يذكرهم بأن العظمة والمجد لا ينيان الا على العلم والتقوى " ٢ " ، ومكارم الاخلاق ، وذلك الرجل الذي لم تعرفه مصر الا بعد ان امن في التاريخ " الاستاذ الامام محمد عبده " قدس الله روحه وطيب ثراه ( ٠٠٠ ) " ٣ " شهد العلماء بتلمذته ، وتقمص شخصية شيخه ، فقال الشيخ شلتوت رحمه الله : ( ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الاستاذ الامام " محمد عبده " ) " ٤ " ويقول صاحب كتاب " مناهج المفسرين " : ( واظهر نبوغا وذكاء وجد في التحصيل والدرس ، ولازم دروس الاستاذ الامام " محمد عبده " ونهل من معينه وهو يمد من مدرسته ) " ٥ "

- 
- ١ - الامام محمد عبده ، للجندى ص ١٢٠ .
  - ٢ - وذلك في قول الشيخ محمد عبده ( سرية للمجد هوفا فيرندي عجل : على اساس من التقوى اراعيه ) .
  - ٣ - تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ، بقلم انور الجندى ، الطبعة الاولى ١٩٢٠م ص ٨٨ .
  - ٤ - الامام محمد عبده ، عبد الحليم الجندى ص ١٧٠ .
  - ٥ - مناهج المفسرين ، تأليف الدكتور : منيع عبد الحليم محمود ، الطبعة الاولى ١٩٢٨م ص ٣٣٩ .

ويقول " الجندی " في تراجم الاعلام المعاصرين : ( والحق ان الامام " محمد مصطفى المراغي " ثمرة من ثمار الازهر ، ورائد طريق اليقظة الاسلامية ، والتجديد ، والاصلاح ، والاجتهاد ، وانه خطوة تالية لاستاذه الامام " محمد عبده " ) . " ١ "

ويقول الشيخ الذهبي رحمه الله : ( لم نعرف من رجال هذه المدرسة رجلا ثائرا بروح الاستاذ الامام ، ونهج على طريقته من التجديد ، واطراح التقليد ، والعمل على تنقية الاسلام من الشوائب التي الصقت به ، وتنبيه الغافلين عن هديه وارشاده مثل الاستاذ الاكبر الشيخ " محمد مصطفى المراغي " رحمة الله ورضوانه عليه ) . " ٢ "

" انفع الناس بحلمك تكن عالما " :

=====

يذكر الشيخ المراغي " وصية " اوصاه بها الشيخ محمد عبده ليلة سفره الى السودان لتولي القضاء في احدى مدنها فيقول :-  
( ودعته ليلة سفرى الى السودان لتولي قضاء مديرية " دنقلة " فمما قال لي : انصحك بأن تكون للناس مرشدا اكثر من ان تكون قاضيا ، واذ استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم ، فان الاحكام سلاح يقطع العلاقات ، بين الاسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجروح .

---

١ - تراجم الاعلام للمعاصرين ص ٤٣٢ .

٢ - التفسير والمفسرون ، للشيخ الذهبي ص ٢٥٦ .

وسألني هل تعرف تعريف " العلم " ؟ فقلت نعم : وكنت

أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم . فسردت بعضها .

قال : اسمع مني تعريفا مفيدا : " العلم هو ما ينفعك وينفع الناس "

وقال : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت : لا . قال : اذا انت

لست بعالم فانفع الناس بعلمك تكن عالما . " ١ "

جلس الناس يستمعون الى الشيخ المراغي في المساجد ، وتلاحقت

دروسه في كل مكان ، وانتفع الناس بعلمه حتى واقته المنية سنة ١٩٤٥ م ،

فخلف من بعده مشيخة الازهر تلميذ آخر من تلاميذ الشيخ " محمد عبده " ،

لا يقل اهمية عن الشيخ " المراغي " انه الشيخ " مصطفى عبد الرازق " .

٣ - " مصطفى عبد الرازق "

=====

في صعيد مصر أيضا ، في قرية " ابي جرج " من اعمال  
" المنيا " ، ولد الشيخ " مصطفى عبد الرازق " عام ١٨٨٢ م .  
ونشأ كما نشأ " المرافي " طفلا صعيديا ، وكثيره من اطفال  
القرية ، المصرية المحافظة ، وتعلم في الازهر الشريف ، حتى نال الشهادة  
المالمية وعين مدرسا في القضاء الشرعي .  
تتلمذ في الازهر على الشيخ " محمد عبده " ، فسمع دروسه ،  
وتلقى توجيهاته ، وارشاده ، وخاصة ما يتعلق منها في الادب .  
يقول الشيخ مصطفى : ( وطالمت بارشاد " محمد عبده " ،  
" ديوان الحماسة " ، " ونهج البلاغة " ، فحسنا ما كان خبا من نوحى  
الادبي ( ٠٠٠ ) " ١ )

أ :- " تأثيره بالشيخ محمد عبده " :

=====

اما الاثر الذي تركه الشيخ " محمد عبده " في هذا التلميذ

فيرويه هو نفسه وهو يصور حالة الازهر يومئذ فيقول :-

( لم تكن دراستي في الازهر على طول مدتها بالتى تشبع رغبتى في

العلم ، وتحقق لروحي ما تتطلع اليه من الاطمئنان ، ولكن الدروس التى كنت احضرها

في الازهر على الاستاذ " محمد عبده " كانت تنسينى ما اشعر به من مرارة ، وتصد

عن نفسى السأم واليأس ، اللذين كانا يساورانها اذ ذاك ، فلما انقطع رضوان الله

عليه عن التدريس في الازهر طودني هذا اليأس وذاك السأم ، واسودت دنياي

الدراسة في الازهر امام عيني فكرهت المضي فيها ، بيد انى رأيت ان لا اتركها قبل

ان استتير برأى الاستاذ الامام ، فبعثت اليه بكتاب فيه :  
اني نظرت في امرى بعد ان قضيت ما قضيت في " الجامع الازهر " واضعت ما  
اضعت من صحتي وشبابي ، في طلب العلم فلم اجد ثمنا لما بذلت ، الا حشدا من  
الصور والخيالات لا تضيء البصيرة ولا تبعث المعزومة ، ولا تعدد للسعادة في الحياة  
الدنيا ولا في الحياة الاخرى . . . .

طلبت السبيل الى العلم النافع فما وجدت الدليل ، ولا اهتديت الى  
السبيل وقد هدتني اليك خاتمة اللطاف ، وفاتحة اللطاف ، فحجتك امالك ان  
تعلمني مما علمك الله . . . .

وها انذا ابسط يد الرجاء اليك ، ولم ابسط لغيرك يدا ، وارفع  
اليك اميتي في الحياة ، وقد وضعت املتي ببابك ، ومثلك من لا يخيب ببابه الامل . . .  
فاستدعاني الامام وقال لي : " ان الحق معك ، وقد مررت مثل  
حالتك ، وغاية ما استطيت ان ارشدك اليه ، - قبل نيلك شهادة الازهر - هو  
ان تعنى الى جانب راسك الازهرية بالتزود من الدرامات الادبية " .  
واختار لي طائفة من الكتب لاطالعها في اوقات فراغي ، وما اشك ان  
هذا التوجيه الصائب كان له اثر كبير في ثقافتى الادبية ، ان صار مني ميلا الى هذه  
الناحية كان يغذيه والدى رحمة الله عليه ) " ١ "

ب - " ثقافته الغربية " :

=====

سافر الشيخ " مصطفى " الى باريس ، شيخا ازهريا ممعنا ، يغدو  
وينوح بين الباريسيين ، بكل فخر واعتزاز ، على رأسه تاج الازهر ، يتباهى  
به على اعين الناس ، لا يمنعه من لبسه ، عزيمة باريس ، ومفاتيحها . . . .

وفي " السوربون " " ١ " ، تلقي دروس علم الاجتماع على " دوركايم " " ٢ " ثم التحق في " ليون " بمدسة اللغات الشرقية .  
ج - العودة الى مصر " :

=====

عاد الى مصر عام ١٩١٤م ، واشترك في تحرير " الجريدة " والسياسة الاسبوعية " . ثم عين سكرتيراً عاماً للمعهد الدينية ، ثم مفتشاً بالمحاكم الشرعية ، ثم استاذاً بالجامع الأزهر .  
ولي الشيخ " مصطفى " وزارة الاوقاف مرات ، وتولى مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ " المرافي " سنة ١٩٤٥م .  
سار على درب استاذة الامام محمد عبده في اصلاح الأزهر نحو عامين الى ان توفاه الله سنة ١٩٤٧م ، وان لم يكن له في توجيه سياسة الأزهر اثر بارز .

- 
- ١ - جامعة السوربون ، من اعظم واشهر الجامعات في اوروبا ، وقد درس فيها عدد كبير من المهتمين العرب .
  - ٢ - يهودى نمساوى ، صاحب نظرية " المقد الاجتماعي " ، وهو استاذ " طه حسين " وغيره من الادباء المصريين .

ب : " تلاميذه من الصنف الثاني "

=====

رجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع . . .

١ - احمد لطفي السيد . . .

٢ - قاسم امين . . .

٣ - سعد زغلول . . .

١ - " احمد لطفي السيد "

=====

" الخليفة الأول " :

=====

كان اللقاء الاول بين " احمد لطفي " والشيخ محمد عبده ،  
سنة ١٨٩٤م وهو ما زال طالبا ، في مدرسة الحقوق ، حين انتدب الشيخ  
محمد عبده للاشتراك في امتحان الطلبة المقبلين على التخرج ، ومن بينهم  
" احمد لطفي السيد " .

وهذا يعني انه صحبه في المرحلة النهائية في مدرسة الحقوق .

يقول احمد لطفي : ( ومنذ ذلك اليوم لزمته ) " ١ " .

يرى الدكتور " عثمان امين " ان " احمد لطفي " يعد بحق خليفة

الاستاذ الامام في نضاله الوطني ، وثورته الاجتماعية ، وانطلاقه للاصلاح . . .

---

١ - انظر كتاب رشيد رضا صاحب المطار ، الشواحي ص ٢٧٠ ، نقلا  
عن كتاب : احمد لطفي السيد ( استاذ الجيل ) تأليف الدكتور /  
حسين فوزي النجار ، المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف  
والترجمة ص ٤٨ .

وانه اكمل لرسالته في ميادين السياسة ، والاخلاق ، والاجتماع ، ، ، ،  
اول ما برز اسمه في صحيفة " الجريدة " لسان حال  
" حزب الامة " ، وقد عرفت هذه الصحيفة في عهد اشرافه عليها باصرارها على  
الدفاع عن دعوة الاصلاح والتجديد التي نادى بها " الشيخ محمد عبده " ، ، ،  
ومن ناحية اخرى يرى الدكتور " عثمان امين " ان احمد لطفي  
السيد قد كمل بالفعل رسالة الشيخ محمد عبده في وجه آخر من وجوه الدعوة الى  
التنبيه والتنوير " ١ " ، حيث اسهم مع سعد زقلول ، وقاسم امين في مواصلة  
الجهود لتحقيق امنية الشيخ محمد عبده ، في انشاء جامعة هصرية الى جانب  
الازهر الشريف . " ٢ "

## ٢ - قاسم امين

=====

ولد قاسم امين لاب " تركي " وام " هصرية " سنة ١٨٦٣ م " ٣ "  
تلقى تعليمه الابتدائي في الاسكندرية ، ثم رحل مع أسرته الى  
القاهرة ، ودخل المدرسة " التجهيزية " - القسم الفرنسي - .  
التحق بمدرسة الحقوق والادارة ، ونال شهادة " الليسانس "  
وهو في العشرين من عمره .  
اتجه الى العمل بالمحاماة ، فعمل في مكتب " مصطفى فهمي "  
للمحاماة .

- 
- ١ - هي في الحقيقة دعوة الى التوبة والتعميم ، تلك التي دعا اليها  
قاسم امين .
  - ٢ - المصدر السابق ص ٢٧٠ نقلا عن كتاب احمد لطفي السيد  
ص ٣٤ ، ٣٥ .
  - ٣ - انظر معجم المؤلفين ، لمحمد رضا كحالة .



أ - " في باريس " :

=====

سافر الى فرنسا سنة ١٨٨١م ، في بعثة دراسية ، وانظم في جامعة

" مونبليه " .

التقى بالشيخ محمد عبده في باريس حوالي سنة ١٨٨٣ ، وكان

مترجما له ، اثناء اقامته في باريس ، وجعله عضوا في جمعية " الصوة الوثقى " . " ١ "

قرأ قاسم لكل من " نيتشه " ، " وداروين " ، " وماركس " .

عد الى مصر ، فعمل في سلك القضاء فبرز اسمه ولكن على نطاق ضيق .

ب - " في مصر " :

=====

عمل قاسم بعد عودته الى مصر ، في سلك القضاء ، في وظيفة نائب

قاض ، في الاستئناف ، مع " سعد زغلول " وقرار واحد عام ١٨٩٢م " ٢ " .

وكان تعيين " سعد " امرا ادعش كثيرا من قضاة المحاكم الابتدائية

واغضبهم " ٣ " .

ومن هذا التاريخ بدأت صلة قاسم بسعد تزداد قوة على حد قول سعد

( فاخططنا مع بعض اختلاطا شديدا ، وتلا زمنا تلازما عظيما ، فلم يعرفوا لم

تأكل فيه معا ، وكلما عرض لاحد امرا او فصل مهما كان ، حدث فيه الاخر

عند اول اجتماع معه ) . " ٤ " .

---

١ - قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر القاهرة ، وزارة

الثقافة والارشاد القومي ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة ص ٤٧ .

٢ - سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٢ .

٣ - انظر مذكرات محمد فريد القسم الاول ص ١٢٧ - ١٢٨ ، ( لانهم يرون

انه قلا يستحق هذا قبل ان يتدرج اليه ، وهم احق به منه ) .

٤ - سعد زغلول لعبد الخالق لاشين ص ٢٥٣ .

ج : - " في الطريق الى صالون نازلي فاضل " :

=====

ولما كان سعد ركننا مهما في صالون " نازلي فاضل " ، نظرا لصلته  
القوية بها فقد قاد صديقه قاسم امين معه ، وهناك التقى قاسم بالشيخ " محمد  
عبد " ثانية . وصارا صديقين حميمين تحت سقف واحد .  
وفي هذه الفترة ظهر كتاب باللغة الفرنسية للدوق " داركور " تناول  
فيه مختلف مظاهر الحياة في مصر بالنقد والتجريح " ١ " .  
ولما كان قاسم اكثر اعضاء الصالون فهما للفرنسية ، وكانت للصدمة التي  
شعر بها من تناولهم الاتهام قوية ، فقد كلف قاسم برك الاتهامات التي الصقها  
الكاتب الفرنسي ، بمصر والمصريين ، فقال للمؤلف الصاع صاعين وثلاثة ، ورد  
هجومه على الحضارة الاسلامية ، والنظام الاجتماعي في مصر " ٢ " .  
ويبدو ان دفاع قاسم عن مصر والمصريين ، لم يكن نابعا من صميم قلبه ،  
وانما كان يقصد الدفاع عن " الذات " فقط ذات مصر والمصريين ، لانه مصرى احب  
مصر واهل مصر . والا لما تراجع عن افكاره وآرائه التي ضمنها كتابه الاول  
" الرد على الدوق داركور " ، ولف كتاب " تحرير المرأة " واتبعه بكتاب  
" المرأة الجديدة " اللذين كان لهما اكبر الاثر في سفور المرأة المصرية .

د : - " محمد عبده وقاسم " :

=====

الحديث عن الاثر الذي تركه الشيخ محمد عبده " في قاسم امين " على  
جانب كبير من الاهمية ، ذلك ان " قاسم امين " تعرض الى هجمة من البرنس  
نازلي فاضل لان الرد في نظرها لم يكن في صف النهضة النسائية التي تتزعمها ،

---

١ - قاسم امين ، تأليف ماهر حسن فهمي ص ١٠٠ - ١٠٥ .  
٢ - الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٧٩م ص ١٨ .

ففكرت في تكليف شخص آخر "١" ان يرد على "قاسم" .  
ولكن الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول وغيرهما ، توسطوا  
في الامر ، على ان يتقدم "قاسم" بالاعتذار الى "نازلي" ، ففعل ، ثم عاد  
يتردد على صالونها . "٢"  
وفي هذه الاثناء تزوج قاسم من "فتاة تركية كانت تحت رعاية مربية  
انجليزية" . "٣" فكان لهذا الزواج اثره على تفكير قاسم .  
وتوسط "قاسم" لصديقه "سعد" فزوجه من ابنة استاذ  
"مصطفى فهمي" رئيس النظارة ، "٤" فأصبحت زوجة قاسم ، وزوجة سعد  
صديقتين ، حتى ان زوجة قاسم كانت توسط عائلة سعد عندما تغضب من زوجها ،  
او يغضب منها . "٥"  
وعندما تصدى قاسم امين ، لموضوع المرأة ثانية ، وجد من الشيخ  
"محمد عبده" كل تشجيع .  
ويتردد ان الشيخ محمد عبده له ضلع في اخراج هذا الكتاب "٦" ،  
فقد اجتمع قاسم امين به ، وتلا عليه بعض فصول كتابه "تحرير المرأة" في

- 
- ١ - فارس نمر صاحب المقطم / انظر الاعتصام | ص ١٩ .
  - ٢ - الاعتصام ، العدد التاسع ، آب / اغسطس ١٩٢٩ م / ص ١٨ - ١٩ .
  - ٣ - قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ، ص ٦٩ .
  - ٤ - سعد زغلول ، سيرة وتحية ، تأليف عباس محمود العقاد ، مطبعة  
حجازي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م | ص ٥٢٨ .
  - ٥ - قاسم امين ، ماهر حسن فهمي ص ١٥٨ - ١٥٩ .
  - ٦ - ويقال : ان اللورد كرومر هو صاحب الفكرة في هذا الكتاب / انظر كتاب  
قاسم امين ، لماهر حسن فهمي ص ١٥٨ .

جنيف عام ١٨٩٧م . " ١ "

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تعداه لدرجة ان الشيخ  
محمد عبده اتخذ من " المنار " مجلة تؤيد " قاسم امين " فكلف رشيد رضا  
ليمدح هذا الكتاب ويثني عليه ويثبم المعارضين من الازهر الشريف بالثرثرة والسير  
على غير هدى . " ٢ "

هـ : — " المرأة الجديدة " !

=====

اثارت الآراء التي عرض لها قاسم امين في " تحرير المرأة " ثائرة  
كثير من المفكرين في عصره ، وشغلت الصحافة ، وكان ردا الفعل تجاه كتابه  
مفارقة فبينما ايده بعض المفكرين ، ندد آخرون بما جاء فيه .

= تحت عنوان " علاقة محمد عبده بالكتاب " قال محمد عمارة : ( والرأي الذي  
أؤمن به والذي نبع من الدراسة لهذه القضية ، هو ان هذا الكتاب انما جاء  
ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده ، وقاسم امين ، وان في  
هذا الكتاب عدة فصول ، قد كتبها الاستاذ الامام وحده ، وعدة فصول اخرى  
كتبها قاسم امين ثم صاغ الاستاذ الامام الكتاب صياغته النهائية ) .  
انظر الاعمال الكاملة للامام محمد عبده ( ١ : ٢٥٢ ) .

١ — قاسم امين ص ١٥٨ — ١٥٩ .

٢ — الغريبان " المنار " اول صحيفة بادرت الى تأييد قاسم امين ، فقالت :  
( ان اكثر المنتقدين يسيرون على غير هدى ، ويشترشون بما اتعليه عليهم  
خيالاتهم التي اثارتها احوالهم وطوائفهم ) .  
انظر : قاسم امين ، لياهر حسن فحفي ص ١٧١ .

ومن المندوبين " الشيخ محمد احمد حسنين البولاقي " الذي الف كتابا في الرد عليه اسماه " الجليس الانيس في التحذير عما في تحرير المرأة من تلبيس " ١ " ٠ "

ومنهم " محمد فريد وجدى " الذي وضع كتابا اسماه " المرأة

المسلمة " ٢ " ٠ " ردا على كتاب قاسم .

ومنهم : " محمد طلعت حرب " في كتابه " تربية المرأة والحجاب " ٣ " ٠ "

أما موقف الصحافة فكان يتأرجح بين التأييد الذي لا حد له ، وبين

المعارضة لبعض جوانب دعوته ، وحملت صحيفة " اللواء " ٤ " ٠ " لواء المعارضة وفتحت صفحاتها لأقلام المعارضين .

أما صحيفة " المؤيد " ٥ " ٠ " و " مجلة المنار " ٦ " ٠ " ، وجميع

المجلات التي يحررها النصارى الذين يعيشون في الارض " الفساد " ٧ " ٠ " فكانت تؤيد الكتاب وصاحبه .

وهكذا وجد قاسم امين نفسه بين فئتين من الناس ، فئة تؤيده ، وطى

---

١ - الجليس الانيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس " تأليف

محمد احمد حسنين البولاقي مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ /

١٨٩٩ م ص ٣ وما بعدها .

٢ - المرأة المسلمة ، تأليف محمد فريد وجدى . الطبعة الاولى ، مطبعة الترقى

١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م ص ٥ وما بعدها .

٣ - تربية المرأة والحجاب ، تأليف محمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بصر ،

الطبعة الثانية ١٣٢٣ هـ . ص ٩ وما بعدها .

٤ - اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠ م / في ٣١ يناير كانون ثاني ١٩٠١ م

وفي ٢٤ ، ٢٧ فبراير ، شباط ١٩٠١ م .

٥ - المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩ م / ٣٠ سبتمبر ايلول

١٨٩٩ م .

٦ - المنار ، السنة الثانية الاعداد ١٨ ، ٢٤ سنة ١٨٩٩ م .

٧ - منها : - مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي القاهرة ١٨٩٨ م .

رئيسها الشيخ محمد عبده ، وتلميذه رشيد ، واخرى تعارضه وتنتقده يمثلها علماء الازهر ومعظم المخلصين .

فأخرج كتابه الثالث " المرأة الجديدة " هذا واستكبارا ، واستمرارا في دعوته اصرفه على الاخذ بالقيم الخيرية ، والقسوة في الحكم على الحضارة الاسلامية والسخط على المعارضين من العلماء والمشايخ " ١٠٠٠ " وهكذا ذاع صيته في الافاق حتى صار يطلق عليه محرر المرأة والصلح الاجتماعي قاسم امين .

أما سعد ، فما الظاهر انه اراد ان يكمل سيرة قاسم امين في ضرورة تحرير المرأة ، فأظن انه شارك " قاسما " افكاره في الكتاب الثاني الذي اهداه قاسم اليه . " ٢ " .

واعتبر نفسه من انصار تحرير المرأة ، وبالفصل عمل على سفور المرأة حتى لقب بلقب الزعيم السفوري الجليل . " ٣ " .  
ويبدو ان تصرفاته الطائشة هي التي جعلت رشيد ضايفه  
" بالتفريح " في قوله :

( ثم ان سعدا دخل في اطوار التفريح في معيشته وافكاره الاجتماعية ، والقانونية ، وغلبت الترفة الوطنية عنده على فكرة الجامعة الاسلامية ) . " ٤ " .

---

= : - والفتتاف ، ليعقوب صروف ، وفارس نمر ، القاهرة ١٨٧٦م .

: - انيس الجليس ، الكسندرة اقريئوه ، الاسكندرية ١٨٩٨م .

١ - انظر رسالة : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر ص ٨٢ - ١٢٠ ، بتصرف .

٢ - اثار الزعيم سعد زغلول ، جمع وترتيب محمد ابراهيم الجزيري ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧م ( ١ : ٦٨ - ٧٣ ) .

٣ - صورة المرأة في الرواية العربية المعاصرة ، تأليف الدكتور طه وادي ، مركز كتب الشرق الاوسط ١٩٧٣م ص ٤٠ .

٤ - الاسلام والتجديد ، لتشارلز ادمز ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

الفصل الخامس : ثقافة الشيخ محمد عبده ، مواهبه ، اثاره

=====

وهو ثلاثة مباحث :

- المبحث الاول : مصادر ثقافته واثرها على فكره .
  - المبحث الثاني : مواهبه .
  - المبحث الثالث : تراثه الادبي والفكري .
- 1 - " مصادر ثقافته " :

=====

وهي ثلاثة :-

- أ - القرية وما تعلمه فيها .
- ب - مصادر ثقافته العربية .
- ج - مصادر ثقافته الغربية .

أ : " في القرية "

=====

في جو القرية المصرية ، نشأ الشيخ محمد عبده ، وفي " محطة

نصر " تلقى دراسته الاولية ، وفي غرفة صغيرة اسمها " الكتاب " تعلم بهادى

القراءة والكتابة ، وعلى يد حافظ للقران ، حفظ كتاب الله ،

وفي الطريق الى " المسجد الاحمدى " بطنطا ، تلقى لونا اخر

جديدا من المعرفة امتازبه عن معظم لداته ، فتعلم صفاء القلب ، وسمو الروح ،

وتهذيب النفس ، وتوكيد اوامر الاخوة والمحبة .

في قريتين ، قريتين ، " محطة نصر " و " كنيسة اورين "

جمع لونين من المعرفة :

1 - في قريته : حفظ القران فاستفاد بذلك زادا ثقافيا جديدا ، بالاضافة

الى تقويم السانه وحسن بيانه .

٢ - وفي قرية الشيخ " د رويش " : تعلم الصوفية التي تسمو بالروح وتهذب

النفس . . .

فهو بهذين اللونين استفلاح ان يكون معرفة عقلية للمعلوم

الاسلامية ، ومباشرة عملية لتهديب النفس وترويضها . . .

كان في هذه المرحلة لا يقنع بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقف في تعليقه

عند حلقة من حلقات اسبابه ، بل يرجع الى اسبابه الاولى ويصمد للتعرف على

نتائجه الاخيرة .

يقول الاستاذ سليمان دنيا : ( والشيخ محمد عبده رجل كبير

المقل ، جرى القلب ، يستطيع ان يفهم ما يقوله الناس على الوجه الذي

ارادوه ، ولا يتهمب ان يقول فيه ما يبدو له انه حق ، وهو الى جانب كبر

عقله وجراة قلبه ، قد اتبح له من الفراغ ما ملاهه بالقراءة والاطلاع ) . " ١ "

---

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان دنيا

القسم الاول ، الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م دار احياء الكتب

العربية ص ٨ .



ب- مصادر ثقافته العربية

=====

وصل الشيخ محمد عبده الى " القاهرة " ، ليتم دراسته في  
" ازهرها " ومنه حصيله علمية ، بز فيها لداته ، وتفوق على معظم اقرانه .  
وهناك في الازهر راح ينهل من معين الثقافة الصافي ، فدرس  
القواعد العربية من نحو وصرف وعروض ، والبلاغة باقسامها .  
كما درس التاريخ الاسلامي ، وصر الصحابة والتابعين ، والدولة  
الاموية والعباسية حتى تاريخ الدولة العثمانية .  
ودرس علوم الدين الاسلامي : الفقه واصوله ، والحديث ورواته  
والتفسير والمفسرين ومناهجهم ، والقران وطومه واعجازه . . . .  
لم يقنع الشيخ محمد عبده بهذا ، وكان يرى انه غير كاف في تنمية  
ملكة الطالب ، وتكوين عقليته ، نتيجة للتشجيع الذي وجده من الشيخ درويش  
على التزود بالفلسفة والمنطق والهندسة والرياضيات .  
وفي ضوء ذلك لجأ الى الشيخ " حسن الطويل " ليعلمه الفلسفة ،  
والمنطق ، والى الشيخ " محمد البسيوني " ليعلمه الادب العربي وقواعد اللغة  
على غير الطريقة التي تدرس في الازهر .  
كان الشيخ محمد عبده لا يزال يبحث عن معلم يركن اليه ليدرس له  
الحكمة واخيرا ساقط الصدف السيد " جمال الدين " فتعلم منه الحكمة وعلم  
الكلام ، وعلم الاصول ، وعلوم اخرى .  
كان الشيخ محمد عبده في هذه المرحلة مثال الطالب الواعي ،  
الذي يتقن كل ما يدرس ، ويتفاعل معه ، ويتأثر به ، حتى غلب زملاءه ،  
وصاح في جنبات الازهر ، وبين اعمدة المساجد بدعوته الى الاصلاح وعقيدته . . . .  
الى ان نال الشهادة الازهرية ، وحاز على الدرجة الثانية .

يقول الدكتور " محمد البهي " : ( وهكذا اجمع الشيخ محمد عبده  
في معرفته بين بيئة القرية وبيئة المدينة ، وبين المعرفة العقلية ، والتهذيب  
الروحي الصوفي المتزن ) \* ١ \*

---

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ١٣٠ .

ج - مصادر ثقافته الفرنسية

=====

خرج الشيخ محمد عبده من الأزهر إلى الحياة العملية ، بحصيلة علمية كبيرة وثقافة دينية وغير دينية ، واسعة .

ولما تحصل له كل هذا ، بدأ مرحلة جديدة من مراحل تفكيره ، فتناول الأزهر الشريف بالنقد واخذ ينقده ، وينقد علماءه ، وينقد كتب الدراسة وطرق التدريس .

كما ابتدأ يعي ما حوله من سوء السياسة ، والاقتصاد والاجتماع بسبب الاحتلال الاجنبي للبلاد .

ولما قامت الثورة العربية وشارك فيها دفاط عن الدستور ، نفي إلى بيروت ، وهناك التقى بكبار رجال الفكر والادب ، فزادت حصيلة ما عنده من علوم إلى ان تم استدعاه إلى باريس ليعمل من هناك بجانب استاذة السيد " جمال الدين " .

وفي باريس اقبل على تعلم اللسان الفرنسي ، فتعلم لغة القوم ، واتقنها وكان من افصح الناس نطقاً بها ، وفهما لها ، حتى انه ترجم كتاب " التربية " للفيلسوف الفرنسي " هيربرت سبنسر " .

وقد شهد بفصاحته وحذقه للغة الفرنسية " قاسم امين " ، ( وكان في الذروة من المصريين الذين حذقوا اللغة الفرنسية فهما ونطقاً وانشاءاً ) .

ويقال : انه اطلق في اثناء مرضه الاخير مقالة باللغة الفرنسية ، نشرت في بعض المجلات الفرنسية .

ولقد كان اثر الثقافة الغربية على فكرة كبريا ، بل وعلى نفسه ،  
واحاسيسه ، فأراد ان يطوع كل شي في مصر لما يشعربه في نفسه وما يمليه عليه  
فكره ...

يقول الاستاذ سليمان دنيا :-

( عاش الشيخ محمد عبده في الازهر وبين الازهرين ، فكان  
ازهريا مثلهم ، يفهم الكتب الازهرية ، ويتعمق معانيها ومراميها ، كما يفهمون  
ويتعمقون ، ولكنه عاش الى جانب ذلك مع الناس خارج الازهر ، فانفعلت  
نفسه بالمجتمع ، مثلما انفعلت بالبيئة الازهرية .  
وربما كانت نفس الشيخ محمد عبده ، سريعة الانفعال والتأثر ،  
فانطبع فيها اثر من هذا ، واثر من ذاك ، وتفاعل الاثران ، فكان منهما  
مزيج عكس على المجتمع شيئا من اثر الحياة الازهرية ، وعكس على الازهر -  
او حاول ان يعكس - شيئا من اثر الحياة الخارجية .  
ويظهر ان هذا التكوين الثنائي قد خلق متاعب للشيخ محمد عبده ،  
اذ حاول ان يرضي احاسيسه كلها ، فينتقل شيئا من الازهر الى المجتمع ،  
وينقل شيئا من المجتمع الى الازهر .  
اقصد انه ربطا حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا  
الناس ودينهم ، وعساه لقي معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ،  
كما لقي معارضة من الناس في داخل الازهر . ) " ١ "  
كل ذلك حصل بفعل الثقافة الغربية ، التي اخذت عليه عقله  
وتفكيره ، وظهر اثرها في سيرته وسلوكه .

وحاصل ذلك كله ان الشيخ محمد عبده ، مليء علما ، يصح ان يقال عنه ، " موسوعة علمية " جمعت من العلوم ، بشتى انواعها ، اشياء كثيرة جدا .

( فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق الناس فهما للقران والحديث ، ولغيرهما من فصيح الكلام ، وبلغ الكتاب ، وخطب الخطباء ) . . .

أما العلوم العقلية : فقد ارتقى فيها الى ان صار فيلسوفا ، اعترف له بذلك من يعتد بمعرفتهم . " ١ "

وأما علوم التصوف : فكان فيها من الراسخين ، " ٢ " . . .

وأما العلوم الشرعية : فقد كان فيها اماما مجتهدا . . .

وأما العلوم العصرية : فكان يعرف منها الرياضيات ، ويلم

بالطبيعيات ، ويتقن الفلسفة ، العقلية ، وعلوم التربية والنفس والاخلاق والاجتماع ، وتاريخ الملل ، والامم ومذاهبها ، وكان يطالع دائما ما يصدر عند الافرنج من المصنفات في هذه العلوم ، وفي شأن الاسلام ، وكان قد عزم على تعلم اللغة الالمانية وشرع فيه لان الالمان سبقوا غيرهم في جميع العلوم . . . وقد درس علم الخط المسند ، وكتب فيه كتابا لاجل تحقيق التاريخ العربي القديم . " ٣ "

- 
- ١ - كالاستاذ المشرف في كتابه ( محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ) .
  - ٢ - فزاء الفتوحات المكية كما قرأ تاريخ ابن الاثير / انظر تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٠٣١ ) .
  - ٣ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٠٣ ) .

٢ - " مواهب " -

=====

حيا الله الشيخ " محمد عبده " مواهب كثيرة ، فكان ذكيا المعيا ، استطاع بما حباه الله ان يحسن استخدام هذه المواهب ، وان يقويها بالمطالعة والبحث والتفكير ، ففدا شاعرا مع الشعراء ، واديبا مع الادباء ، وكاتبا مع اصحاب الاقلام وقائدا مع القواد ، ومصاحبا مع المصلحين ، وناقدا وفيلسوبا ، وخطيبا ، ومتصوفا ، وباحثا ، ومحللا ، ومرشدا ، وموجها ، ومربيا . . . ان الناظر الى تراثه يتملكه العجب من المساحة العريضة الفسيحة ، التي جعلها ميدانا له ، والتي اجاد فيها بما قدمه للناس من عرض بارع ، دقيق .

ولا اريد ان اطيل البحث فأقدم للقارئ جميع ما انتجه الشيخ محمد عبده في المجالات المختلفة ، فان ذلك يحتاج الى سنين طويلة ، وفي الحقيقة انه يستحق ان يفرد في كل مجال بدراسة مستقلة لخصب انتاجه ودماسته . . . . . ويكفي ان نشير اشارات خاطئة الى ابرز مواهبه ، فمنها : الشعر ، والمقالة ، وترك بقية مواهبه لبحث الباحثين . . . . .

أ - الشيخ " الشاعر " :-

ب - الشيخ " الكاتب " :-

أ : الشيخ محمد عبده الشاعر :-

=====

لم يكن الشيخ " محمد عبده " كثيرا من قول الشعر ، فلم اعثر له على الكثير منه ، وكل ما عثرت عليه له قصيدة نظمها وهو في السجن ، عند ما قبض عليه عقب فشل الثورة المرابية " ١ " ، وحض ابيات قالها عندما احس بدنو اجله

١ - انظر الاعمال الكاملة للإمام ( ١ : ٤٦٨ - ٤٧٤ ) .

في مرضه الاخير \* ١ \*

ولكن شعره على قلته يدل على ان له فيه موهبة ، ولعله لم يكثر منه

تأسيا بقول الامام الشافعي رضي الله عنه :

ولولا الشعر بالعلماء يبرى : اكنت اليوم اشعر من لبيد

او ليس هو القائل :

سريت للمجد هونا غير ذي هجل : على اساس من التقوى اراعيه

وهو القائل :

وقمت للحق اجلو من مطالعه : نورا وكان غمام الظلم يخفيه

وهو الذي يقول على فراش الموت :

ويخرج وهي الله للناس طريبا : عن الراى والتأويل يهده ويلهم<sup>٢</sup>

وقصيدته التي نظمها وهو في السجن تنس على مائة بيت ، من الشعر

يصور فيها :-

١ - مذهبه في الاصلاح .

٢ - مذهب العربيين وتطلعاتهم .

٣ - علاقته بالعربيين اثناء الثورة .

٤ - ما حدث للثورة من فشل ، ولجيشها من هزيمة .

ومطلع قصيدته يقول فيه :

دهر يخالخ في عجب وفي تيسه

مالي يعنف قلبي من تخاضيه

١ - نفس المصدر ( ٢ : ٣٣٧ ) .

٢ - هذا البيت ، من قصيدة انشدها قبيل وفاته ، وهو على فراش الموت :

يقول فيها :

ولست ابالي ان يقال محمد

اهل او اكتظت عليه المآثم

ولكنه دين اردت صلاحه

احاذر ان تقضي عليه العمائم

لقد قام الشيخ " محمد عبده " مع الثوار ، وسار سيرهم ، وقاتل معهم ضد عدوهم اعتقادا منه ان عزته في عزة بلاده ، وايمانا منه ان مجده في مجدها . . . . يقول :

مجدى بمجد بلادى كنت اطلبه : وشيعة الحر تآبى خفض اهليته  
ولما آل امر الجيش الى الفوضى ، خشي الشيخ " محمد عبده " .  
على وطنه من العدو والاجنبي ، يقول :

فولدت مهجتي حزنا على وطني : وقلت خطب لعلي ان اجليته  
لقد امل الشيخ في وضع قاعدة اصلاحية ، يسير الناس بمقتضاها فيسعدون  
يقول :

وكان لي امل في وضع قاعدة : لكل نوع من الاعمال تحويته  
ويؤخذ القوم طرا في مهاجمهم : ان لا يجوروا عن المشروع او فيه  
حتى يكون نظاما كل سيد هم : بمقتضى الالف مع فهم يزيكته  
وياخذ العلم والتهذيب مأخذه :: من النفوس فتزحو من دار ربه  
ويصبح العدل طيفا من جبلتنا : ويشهد الكون انا من مواليته  
هذى سبيلي حبيبت السير فيهل على : رخم الانوف من البله المعاتيه  
وعن مذهب العربيين قبل ان ينضم اليهم . . . . يقول :

قامت عصابات جند في مدينتنا : لعزل خير رئيس كنت راجيته " ١ "

---

= وللناس لامل يرجون نيلهم : اذا امت ماتت واضمحلت عزائم  
فيارب ان قدرت رجعى قريسة : الى عالم الارواح وانفض خاتم  
فهارك على الاسلام وارزقه مرشدا : رشيدا يضيء النهج والليل قاتم  
يما علمني نطقا وعظما وحكمة : ويشبهه مني السيف والسيف صارم  
ويخرج وحي الله للناس عارضا : عن الراى والتأويل يهدى ويلهم

١ - الاشارة الي رياض باشا ناظر النظار الذي طلب عرابي خلعه في يوم عابدين



قاموا عليه لامر كان سيدهم " ١ " يخفيه في نفسه والله بهديسه  
كان الرئيس حليف العدل منقبة وسيد القوم يهوى الجور يائسه  
وعن علاقته مع زعماء الثورة ونصحه لهم يقول :  
لوا رؤوسهم عجا بقوتهم واستكبروا النصح ان يصفوا الساقيه  
مزجت بالمهزل جدى عل يعجبهم كوالد الطفل يلبيه بمرضيه  
ولم يزالوا حيارى في تردد هم حتى دهاهم ابو الهيجا بداهيه  
ويصف معركة " التل الكبير " ، ومصير الجيش المهزوم فيقول :-  
ساق النظام على الاشتات عسكره فصبح التل طودا من سواريه  
منا قتيل ومنا هائم جزعنا قلبي الجريح فهلا من يداويه ؟  
في موقع الشرق كانت شر هزيمتهم والشرق ضأن وذئب الغرب راعيه ؟  
وقائد الجند وافانا بلحيتيه يسيل رجا وثوب العار كاسيه  
وسلم السيف واستجدى بغفلتته عفوا من الخنق المفزوخد يويه  
ويختتم قصيدته بالحديث عن الايام ومصائبها ، وعن الثبات ومضائفه ،  
وانه خير وسيلة لعلاج المحن والمصائب . . . حتى يدرك الموت كل انسا . . .  
ان المنايا سهام الله سدد ها وليس يخطئ سهم الله مرميه

ب- " الشيخ محمد عبده الكاتب " :

=====

مقالات الشيخ محمد عبده تربي على " الخمسين " مقالة كتبها

بنفسه ونشرها في الصحف ، وأغلبها نشر في " الوقائع المصرية " .

فهو اذا كتب في الادب اديب ، وفي السياسة سياسي ماهر ،

وفي البدع والخرافات تراه محاربا شجاعا ، وفي العلم تراه عالما ، وفي

النقد نقادا ، وفي المجتمع يعرف الداء فيضع له الدواء ، وهو في الدين

فقيه فطن . . . وفي كل شيء له باع طويل ، ورأي حصيف ، ونظرة

فاحصة فهو اذن صاحب فكر مستنير .

فمن مقالاته مثالا : " ١ "

" مقابلة الشكر بالشكر " و " عادات المآثم " و " التملق "

و " الخرافات " و " العفة ولوازمها " و " حاجة الانسان الى الزواج "

و " ما اكثر القول وما اقل العمل " و " الحشيش " و " وضع الشيء في

غير محله " و " الصياح خلف الجنائز " و " الوطنية " و " مصر

والحجشة " و " نيل المعالي بالفضيلة " و " الحياة السياسية " و

" الشورى والاستبداد " و " الناس من خوف الذل في ذل " و

" لا تتم نكاح الا ببيعة الاصدقاء " .

ولو ابرزنا كل ما قاله الشيخ محمد عبده ، - وهذا ما لا نستطيعه هنا

لتبين لنا المساحة العريضة التي جال فيها فكره ، وتحدث بها قلمه \* وهذا

يدل على الموهبة العظيمة التي كان الشيخ يتمتع بها في الكتابة ، الموهبة التي

فاق بها الكثير من الناس والتي يتمناها الكثيرون منهم ، انها افضل الله يختص به

من يشاء .

٣ — تراثه الادبي والفكري

=====

عرفنا ان الشيخ محمد عبده ظل يكتب المقالات المتنوعة في مختلف المجالات مدة طويلة ، وهذه المقالات مملوءة بالعلوم المفيدة التي تدل على موهبته في فن الكتابة والخطابة .

كذلك ترك لنا الشيخ محمد عبده تراثا فكريا كبيرا يمثل في دراساته وحواشيه العميقة ، الادبية والدينية ، والنفسية والاجتماعية . . . ويمكن تقسيم هذا التراث الى قسمين :

القسم الاول : مقالاته المختلفة التي بثها في المجالات والجرائد وخاصة " الوقائع المصرية " والتي استمرت طيلة حياته ، منها الادبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والنفسية ، واغلبها اسلامية .  
القسم الثاني : مؤلفاته وكتبه المطبوعة .

قلت ؛ ليس في مقدوري ان اتحدث عن القسم الاول من تراثه ، لمساحته الواسعة ولان كل نوع منها يستحق دراسة خاصة .  
اما القسم الثاني فسوف اذكر فيه مؤلفاته ، وتعليقاته ، وشروحه ، حسب تاريخ تأليفها على وجه التقريب ، مع ذكر تعريف موجز بهذه الكتب .

" كتبه المطبوعة " :

=====

١ — " رسالة الواردات " : وهي رسالة في الكلام على طريقة الصوفية واسلوبهم .  
وهي اول تأليفه .

٢ — " رسالة في وحدة الوجود " : بين فيها مراتب الوجود وتعدد ها من وجه ، ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر .

- ٣ - " تاريخ اسماعيل باشا " : مجموعة فصول نشرت في جريدة " الطائف " .
- ٤ - " فلسفة الاجتماع والتاريخ " : وهو الكتاب الذي افه وهو يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم وقد ضاعت اصوله . ويعتبر مفقودا .
- ٥ - " حاشية عقائد الجلال الدواني " : في علم الكلام ، وتحقيق مسائله ، وتحرير الخلاف بين المتكلمين ، وبيان ما هو لفظي منه وما هو حقيقي وقد اهتمت في كثير من ابحاثها الى ان الحق في العقائد هو مذهب السلف .
- ٦ - " شرح نهج البلاغة " : وهو شهير ، وسبب شرحه تيسر فهمه وحمل طلبة العلم على مطالعته لتحصيل ملكة البلاغة ، من كتاب تفيض البلاغة منه ايضا .
- ٧ - " شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني " : وهو الوحيد الذي شرحها ، ولم يصرف لغيره شرح عليها .
- ٨ - " شرح البصائر النصيرية " : في المنطق ، وهو شرح وجيز ، اطلق عليه لفظ التعليقات وقد قرأه د روسا في الجامع الازهر .
- ٩ - " نظام التربية والتعليم في مصر " : وهي رسالة موجزة في الطريقة المثلى لتربية المصريين ، وتعليمهم ، وهي من احسن ما كتب في موضوعها .
- ١٠ - " رسالة التوحيد " : من اشهر كتبه ، بل اشهرها ، قرأها د روسا في بيروت ثم في الازهر وترجمت الى اللغة الفرنسية ، وطبعت .

- ١١ - " تقرير المحاكم الشرعية " : ضمنه كثيرا من الفوائد الادارية ،  
والاجتماعية ، والادبية وهو كتاب  
مفيد للقضاة والحكام .
- ١٢ - " الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية " : وهي مقالات كتبها لمجلة  
المنار ، غرضه منها ، تنبيه المسلمين  
وارشادهم الى اسباب تاخرهم ، وضيق  
مجدهم ، وزوال ملكهم ، والى طريق  
الخلاص ، ووسائل العلاج .
- ١٣ - " تفسير سورة المص " : القاه دروسا على علماء ووجهاء الجزائر ،  
ثم دونه في كتاب مستقل .
- ١٤ - " تفسير جزء عم " كتبه في بعض اسفاره الصيفية الى اوربا وكان تمامه في  
مدينة جنيف " بسويسرا سنة ١٣٢١ هـ ،  
وقد كتبه ليقرأ في مدارس الجمعية الخيرية  
الاسلامية ، وليتفح به اساتذتها ،  
وظلابها .
- هذه هي مؤلفاته التي اتمها ، وله ابحاث اخرى بدأها ولم  
يتمها مثل بحث " العلم وتأثيره في الارادة والاختيار " .

" تفسير المنار " :

=====

من آثار الشيخ محمد عبده في التفسير ، تلك الدروس التي  
القاه في الازهر الشريف على تلاميذه ومريديه تحقيقا لرغبة تلميذه رشيد رضا كما

هو المذكور في مقدمة تفسير المنار . " ١ "

وقد ابتدأ الشيخ محمد عبده دروس التفسير في غرة المحرم من سنة ١٣١٧ هـ  
ففسر سورة الفاتحة ، والبقرة ، وال عمران ، واول سورة النساء ، وتوقف عن  
قوله تعالى : من هذه السورة " ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله  
بكل شيء محيطا " . آية ( ١٢٦ )

وكان ذلك في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ .

وهذه الدروس تعد اثرا من اثاره في التفسير ، وان لم يدون هو  
شيئا منها ، بل قيدها عنه طلابه ، وخاصة " محمد رشيد رضا " الذي يوضح  
ذلك في مقدمة تفسير " المنار " يقول :-

( وكنت اكتب في اثناء الدروس مذكرات اودعها ما اوام . أهم ما قاله  
واحفظ ما اكتب ، لاجل ان ابيض ، وامده بكل ما اذكره في وقت الفراغ ، ولم  
البت ان اقترح علي بعض الراقبين في الاطلاع ، عليه ، من قراء المنار في البلاد  
الاسلامية ، ومن الحريصين على حفظه من الاخوان بمصر ، ان الشرح في المنار ،  
فشرعت في ذلك ، في اول المحرم سنة ١٣١٨ هـ ، وذلك في المجلد الثالث من  
المنار ، وكنت اولا اطلع الاستاذ الامام على ما اعدته للطبع ، كلما تيسر ذلك ،  
بعد جمع حروفه في المطبعة ، وقبل طبعه ، فكان ربما ينشج فيه بزيادة قليلة ،  
او حذف كلمة او كلمات ، ولا اذكر انه انتقد شيئا مما يراه قبل الطبع ، بل كان  
راضيا بالمكتوب ، بل معجبا به ، على انه لم يكن كله نقلا عنه ، وممزوا اليه ،  
بل كان تفسيرا للكاتب ، من انشائه ، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما  
استفاده منها ، لذلك كنت اغزو اليه القول المنقول عنه ، اذا جاء بعد كلام لي  
في بيان معنى الآية او الجمل على الترتيب ، فاذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي

بعده قلت في بدئه : ( اقول ) .

ولما كان رحمه الله تعالى يقرأ كل ما كتبه اما قبل طبعه ، وهو  
الغالب واما بعده ، وهو الاقل ، لم اكن ارى حرجا فيما اعزوه اليه ، مما  
فهمته منه وان لم اكن كتبه عنه في مذكرات الدرس ، لان اقراره اياه ، يؤكد  
صحة الفهم ، وصدق العزو ( " ١ " ١٠ هـ .

وكان للشيخ محمد عبده - فيما فسر من كتاب الله - وقفات عالج

فيها بعض مشكلات القران ، ودفع بها بعض ما اثير حوله من شكوك " ٢ " .

وذلك مثل شرحه اية ( ٧٨ ) واية ( ٧٩ ) من سورة النساء .

١ - قال تعالى : " اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ، وان

تصيهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وان تصيهم سيئة يقولوا هذه

من عندك ، قل كل من عند الله ، فمال هؤلاء القوم لا يكادون

يفقهون حديثا " .

٢ - وقال تعالى : " ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن

نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا " .

وقد جمع بينهما وحاول التوفيق بين ما يظن فيهما من تناف ، وتضاد ،

وهو نسبة افعال المباد تارة الى الله تعالى ، وتارة الى العبد . وسيأتي بيانه

في الباب الثاني من هذه الرسالة بحسب مشيئة الله تعالى .

---

١ - تفسير المنار ( ١ : ١٥ ) ، الطبعة الرابعة .

٢ - التفسير والمفسرون ، تأليف محمد حسين الذهبي ( ٣ : ٢١٨ - ٢٢٠ ) .

ومثل شرحه لقوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى انقى الشيطان في اميته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد ، وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم ، ولا يزال الذين كفروا في مرة ملة حتى تأتهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم " . " ١ " .

وقد رد قصة الشرائق ، وفند ما بثي عليها من تفاسير ، فقدح في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتضعف الثقة بالوحي الذي تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : " انا نحن لازلنا الذكر وانا له لحافظون " . " ٢ " .

وله ايضا من البحوث : تفسير لقصة زيد بن حارثة ، وزينب بنت جحش ، رد فيه ما الصق بها من احاديث باطلة ، تصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة الرجل الشهمواني وابطل ما اثير حول هذه القصة من مطاعن روي بها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم زورا ، ونبهنا " . " ٣ " .

- 
- ١ - سورة الحج الايات ( ٥٢ - ٥٥ ) .
  - ٢ - سورة الحجر اية ( ٩ ) .
  - ٣ - انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ( ١ : ١٠٦ ) .



الفصل السادس : " مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث "

=====

قلت في الفصل الثاني - اطوار حياة الشيخ " محمد عبده " -

انه بدأ حياته العلمية ، وهو صغير السن ، فحفظ القرآن الكريم ، وعاشر  
اهل التصوف ،

ولما دخل الازهر ، عاشر الازهريين فترة طويلة ، فدرس العلوم

العربية ، والشرعية ... الخ .

وحين قدم السيد " جمال الدين الافغاني " الى مصر ، لازمه الشيخ

" محمد عبده " وتلقى من العلوم الحكيمة ، والمطوية ، ... الخ ،

وفي المنفى التقى بكبار رجال الفكر الاسلامي ، وبعض المفكرين

الغربيين ، وسأحتماله الظروف ان يتعلم الفرنسية ، وان يطلع بها على شي

من ثقافة اهلها .

ولما عاد من منفاه ، تقلد عدة مناصب في الدولة ، فأكسبه ذلك خبرة

في شؤون العمل ، والعمال ، واطلع على نظم الحياة في مصر وقوانينها ،

فتكون له بذلك رصيد ضخم من العلم والمعرفة في جوانبها المختلفة ، فاستحق

بذلك ان يلقبه رشيد رضا بلقب " الاستاذ الامام " ، وان يعده الاستاذ عباس

المقاد " عمقيرة الاصلاح والتعليم " ، وان يعتبره الدكتور عثمان امين

" رائد الفكر المصري " ، وان يعده الاستاذ احمد امين " من زعماء الاصلاح "

اما الاستاذ محمد حسين الذهبي فقد عده " رائد اللون الادبي الاجتماعي

للتفسير في العصر الحاضر " .

والشيخ محمد عبده ، لم يستقر على مذهب بعينه ، ولم يلتزم بمنهجاً

معيناً ، فهو مع الصوفية صوفي ، ومع الفلاسفة فيلسوف ، ومع الادباء اديب ،

... انه شخصية مستقلة قائمة بذاتها وقد اعطى عقله حريته في البحث والفهم

والنقد .

يقول الأستاذ : " سليمان دنيا " : ( وكذلك كان الشيخ محمد  
عده رحمه الله ، فهو لم يقتح بطلاً فتح به كثير من المؤلفين ، من حكاية آراء العلماء  
من قبله ، وتصوير وجهة نظرهم ، ليقوم بدور هو أشبه بالتبليغ فقط ) " ١ " .  
ومنهج الذي سببته هنا ، استقى مصادره من كتب السلف ،  
والاشاعرة ، والمعتزلة ، والفلاسفة ، والمتصوفة ، وبعض ما اطلع عليه من  
كتب الغربيين بعد تعلمه الفرنسية .

فلا غرابة ان يكون مع السلف مرة ، وضدهم مرة ثانية .  
ولا غرابة ايضا ان يكون مع المعتزلة في مسائل ، وان لا يكون معهم في

مسائل اخرى .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع المتصوفة في وجوب ترويض النفس وتهذيبها

وان يأخذ عليهم نهذهم لما احله الله ، وعزوفهم عن الدنيا ، وعن الواقع .

ولا غرابة ايضا ان يكون مع الكلاميين في استخدام القضايا المنطقية

وان يرميهم بالانزلاق الى السفسطة احيانا .

فهو بهذا قد سلك مسلكا مستقلا في التفكير النظري والفهم العميق

والتدقيق والتطيق في سبيل ما دعا اليه واراده . . . . . " ٢ " .

ولكي ازيد الامروضوح ، واتعرف على منهجه في الاستدلال بمائة

وفي الجانب المعدي بخاصة لا بد ان ادرس اهداف تفكيره ، وجوانبه .

١ - محمد عده بين الفلاسفة والكلاميين و القسم الاول ص ٨ .

٢ - انظر عمقري الاصلاح والتعليم ص ١٨٨ - ٢١٦ يتصرف .

اولا : " اهداف تفكيره " !

=====

أ : تحرير الفكر من التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف ، على  
الاساس من القران والسنة .

ب : العودة الى النطق بالفصحى ، واصلاح اساليب الكتابة في جميع  
المجالات .

ج : التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب  
من حق العدالة على الحكومة .

يصور الشيخ محمد عبده اهداف تفكيره ، وما ادعا اليه ، فيقول : " ١ " ( وارتفع صوتي بالدعوة الى امرين عظيمين :

الاول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على

طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف " ٢ " ، والرجوع

في كسب معارفه الى ينابيعها الاولى ، واهتباره من ضمن موازين العقل البشري  
الذي وضعها الله لتردد من شططه ، وثقل من خلطه وخبثه ، لتتم حكمة الله في  
حفظ نظام العالم الانساني ، وانه على هذا الوجه يعد صديقا للملم باعطاء  
البحث في اسرار الكون داعيا الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتمويل طيبها  
في ادب النفس ، واصلاح العمل ،

كل هذا اذنه امرا واحدا وقد خالفت في الدعوة اليه راي الفقيين

المظيئين اللتين يتركب منها جسم الامة :

- طلاب علوم الدين ، ومن على شاكلتهم .

- وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم .

- 
- ١ - انظر تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١١ ، ١٢ ) .
  - ٢ - لم يلتزم الشيخ محمد عبده بهذا ، وسلك مسلكا مستقلا ، جمع فيه بين  
طريقة السلف ، وطرق الفلاسفة والمتكلمين ، كما سنرى في هذه الرسالة .

أما الامر الثاني :

=====

فهو اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومجالسها ، او فيما تنشره الجرائد على الكافة ، منشأ او مترجما من لغات اخرى ، او في المراسلات بين الناس .  
وكانت اساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يجه الذوق ،  
ولتكبر لغة العرب :

الاول :-

=====  
ما كان مستعملا في مصالح الحكومة ، وما يشبهها ،  
وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات ، رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده  
الى لغة من لغات العالم ، لا في صورته ولا في مادته .  
والنوع الثاني :-

=====  
ما كان يستعمله الادباء والمثخرون من الجامع

الازهر وهو ما كان يراعى فيه السجع وان كان باره .

( الامر الثالث ) :

=====  
وهناك امر آخر كنت من دعائه ، والناس

جميعا في عن عنه ، ومد عن تعقله ، ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم  
الاجتماعية .

وما اضايهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو :  
التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب ، وما للشعب من حق المعاملة  
على الحكومة .

نعم : كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها ، دعواتها الى  
الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطون ، وتخليهم  
شهواتهم ، وانه لا يرد عن خطاه ، ولا يقف طغيان شهوته الا تصح الامة له

بالقول والفعل ( أ . هـ .

ثانياً : " جوانب تفكيره " :

=====

نشاط الشيخ محمد عبده في دعوته ، وحارب على عدة جبهات ،

وسخر ما عنده من امكانيات . . . . فكانت النتيجة تلك المدرسة الاصلاحية التي

اسمها ، والتي تدرس فيها العلوم بشتى انواعها ، واولئك التلاميذ الذين تخرجوا

منها وعملوا في معظم مجالات الحياة ، وكان لهم اثر كبير في مصر ، وفي بعض

الاقطار المجاورة ، وهذا التراث وهو - رقم قلته - يعد بحق اوضح اثر تركه

الشيخ محمد عبده في هذا المجال .

ونفس النظر عما في هذه المدرسة ، مما يؤخذ على الشيخ محمد

عبده ، فاني اسجل له تعدد جوانب نشاطه في دعوته .

فالي جانب نشاطه الفكري في الجانب المقدي نشاط في الجانب

القومي وفي السياسة الوطنية ، كما نشاط في الجانب الاجتماعي ، في الكشف عن

عيوب المجتمع ، وبيان مقوماته ، كما نشاط في الجانب التربوي ببيان اقوم السبل

لايجاد المسلم الصالح الذي يتمشى مع روح العصر وشكله .

ولست هنا بسبيل ان اتحدث عن كل هذه الجوانب ، فان القيام

يفرض علي ان اقصر حديثي - في هذه المعجالة - على منهج الشيخ محمد عبده

فيما يتصل بالجانب المقدي ، لان هذا الجانب هو موضوع الرسالة المهمة .

غير اني ساقف بالقارئ وقتاً قصاراً عند بقية الجوانب لتحصل عنده

صورة كلية وان كانت اجمالية عن : الشيخ " محمد عبده التركماني " .

١ - الجانب القوي والوطني :

=====

تناول الشيخ محمد عبده في هذا الجانب ضرورة شعور كل مواطن

بوطنه ، ومعرفة الصلة الوثيقة ، والرابطة الاكيدة التي تربطه به .

كما تناول في هذا الجانب نظام الشورى في الحكم ، وضرورته

لاصلاح الراعي والرعية ، كما نبه الى الصلة بين ما يشرع من قوانين وبين احوال

البلاد القائمة وعاداتها وتقاليدها . . . " ١ " .

وبالجملته فهذه امور يرى الشيخ " محمد عبده " انها حقائق هامة

يجب على كل مواطن ان يحرص عليها ، ويدافع عنها لان بها تقوم شخصيته -

كإنسان - ووجوده .

والمعروف ان ديار الاسلام هي وطن كل مسلم ، ويجب على كل

مسلم ان يحافظ على وطنه ، ويدافع عنه .

وليس معنى كلام الشيخ " محمد عبده " بالوطن والوطنية وحب

الوطن ، والمعنى القومي الحديث ، والذي جاء من اوربا ، وهو : التعصب

لمساحة محدودة من الارض ، تتخذ وحدة وجودية يرتبط تاريخها القديم بتاريخها

المعاصر ليكونا شيئاً واحداً متكاملًا له شخصية مستقلة تميزها عن غيرها من البلاد

الآخري . " ٢ " .

ولكن معنى تأكيد الرابطة بين المواطن ووطنه ، وتوثيق الصلة بين الحاكم والمحكوم على

اساس من الحب ، والشورى ، والعدل .

---

١ - تاريخ الاستاذ الامام ( ٢ : ١٩٩ ) وما بعدها .

٢ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث ص ١٠ .

٢ — الجانب الاجتماعي :

=====

نبه الشيخ " محمد عبده " الى ضرورة التربية الجماعية على اساس  
رعاية التعاليم الاسلامية والمثل الاسلامية والقيم الاسلامية والتمسك بالاخلاق الفاضلة  
المؤدية الى الاتحاد . . .

يقول : ( الا ان الاتحاد ثمرة لشجرة ذات فروع ، واوراق ،  
وجذوع ، وجذور ، : هي الاخلاق الفاضلة بمراتبها ، فعلى المسلمين ان  
يبروا اللصم تربوية اسلامية حقيقية ليجنوا تلك الثمرة . . . . . يغير ذلك كل امل باطل ،  
وكل الاماني احلام واوهام ، وكل احتجاج بخير رسمي عجز ) " ١ " .  
وطالب " الشيخ " بمساهمة الاغنياء في تعليم الفقراء ، وفتح  
المدارس والمعاهد ، حتى تتسع دوائر التعليم ، ومن ثم تعم التربية وتتهذب  
النفوس .

ومن ناحية اخرى يرى الشيخ " محمد عبده " ان المجتمع بحاجة الى  
موجهين ، خلقت ثقافتهم من عوامل الضعف والجمود ، المؤدى الى القصور في التعليم .  
وحمل الشيخ محمد عبده ، على الازهر وعلمائه ، وحاول ان يقرب  
بين دنيا الناس ودينهم فلقى معارضة شديدة ، شوهدت فيما بعد سيرته .  
يقول الاستاذ سليمان دنيا : —

( ربطا حاول ان يقرب بين الازهر والمجتمع ، بين دنيا الناس  
ودينهم ولم يلق معارضة شديدة ، من الناس خارج الازهر ، كما لقي معارضة من  
الناس في داخل الازهر .

---

١ — تاريخ الاستاذ الامام ( ٢ : ٤٦٩ ) / انظر الاعمال الكاملة ج ١

فالناس في خارج الازهر ، تقصم الروح الدينية التي تدخل في حياتهم عناصر من العزة والكرامة ، والشم والاباء ، تحلو بهم عن سقاسف الامور ، والانحدار في مسالك الحيوان والاعجم .

والناس في داخل الازهر ، لا يحاولون ان يتصرفوا في بضاعتهم تصرفا يجذب الانظار اليها ، ويوجب الناس فيها ، ويعرفهم بقدر الحاجة اليها . هكذا كان المجتمع المصري وكان الازهر في عهد " الشيخ محمد عبده " كلاهما لا يحاول الالتقاء بالآخر ، فلا الازهر يحاول مطولة جديدة ان يدنو من المجتمع ولا المجتمع يحاول ان يدنو من الازهر .

وظلا كذلك كالماء في البئر ، والظمان على شاطئه . فلا الماء يصعد من تلقاء نفسه الى الظمان ، ولا الظمان يحتال على الاعتراف من ماء البئر .

ومثل هذه الحال ، تفرض على المصلح ان ينظر الى كلتا الجهتين ، ولقد عمل الشيخ محمد عبده في كلا الميدانين ، وكان له في كل منهما اثر ( ١ ) .

٣ - الجانب التوسوي :

=====

هذا الشيخ " محمد عبده " الى محاربة الحزبية والمذهبية والتقليد الاعى ، وبين ان لها اثرا سيئا ليس فقط على وحدة الجماعة الاسلامية وتماسكها ، بل ايضا على دينهم الذي يشوه سمعته انتسابهم اليه ومخلفاتهم لتوجيهها ته كما جاء في الكتب والسنة .



كما دعا الى محاربة كتب المتأخرين التي تلفت في عهد الركود والضعف لها من آثار سيئة على التوجيه ، ولانها حجبت العقل الاسلامي من ان يرى الحياة المعاصرة فيسايرها في احداثها وتطوراتها . . . .

يقول : ( وما دنا مقيدين بمهارات هذه الكتب المتأخرة ، والمتداولة ، ولا نعرف الدين والعلم الا منها فلا نزهاد الا جهلا ) . " ١ "

ويقول : ( ان الناس تحدث لهم باختلاف الزمان امور ووقائع لم ينص عليها في هذه الكتب ، فهل توقف سير العالم من اجل كتبهم ؟ هذا لا يستطاع ) " ٢ "

ومن ناحية اخرى دعا الى احياء التراث القديم ، كأساس يجب ان يقوم عليه اى اصلاح ، وتبنى عليه نهضة الشرق في مسيرته للحياة المعاصرة ، ولقد اسهم بنفسه في احياء هذا التراث . . . فيما عمل ، ودعا ، ووجه .

٤ - " الجانب العقدي " :

=====

لم يستقر الشيخ محمد عبده على مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولم يلتزم منهجا معيناً يسير عليه .

لذلك يخطئ من يقول انه سلفي ، او يدعي انه فيلسوف او صوفي ، او متكلم يسلك في الاستدلال على العقائد مسلك المتكلمين .

انه شخص مستقل ، نهج منهجا مستقلاً فاعطى عقله حريته الكاملة في البحث والفهم والنقد . . . ثم في الايمان والعمل .

---

١ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٤٣ ) .

٢ - تاريخ الاستاذ الامام ( ١ : ١٤٤ ) .

والذي لا شك فيه عندى ان الشيخ محمد عبده سلك في العقيدة  
مسلكا جمع فيه بين مناهج السلف والفلاسفة والمتكلمين ، اى اخذ فيه مآرجه  
من كل منهم .

فهو على طريقة السلف ، في اشياء ، ومع الفلاسفة والمتكلمين في

اشياء اخرى .

والسبب في ذلك انه عول على العقل كثيرا ، وقال انه هو الطريق

الاكيد لكل عقيدة يراه اعتقادها .

فهو مع السلف في معظم امور الغيب ، خاصة في الامور السمعية التي

تكون بعد الموت . كالبعث والحشر ، والعرض والميزان ، والحساب ،

والصراط ، والجنة والنار ، الا في بعضها ، فانه كان يسلك طريق

المتكلمين في التأويل .

كما اول الميزان : بالقدر والقيمة عند الله .

واول الكوثر : بالهدى والرشاد .

وله رأى في ان البعث يكون للارواح " ١ " ، لكنه فيما بعد رأى

ان البعث يكون للارواح والاجساد . وترك مسلك الصوفية والالهييين من الفلاسفة

في كيفية البعث .

وسئى ذلك كله مفصلا وبيننا في الباب الاخير من هذه الرسالة .

وهو مع السلف في النبوة وامكانها ، وشروط النبي ، وصفاته ،

وفي المعجزة وامكانها وشروطها ، ودالاتها ، وفي اثبات نبوة نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم ، وفي ان القران معجزة الاسلام الخالدة ، واثبات ماله صلى الله

عليه وسلم معجزات وردت في القران او بطريق الخبر المتواتر .

ولا يخالف السلف الا في بعض المعجزات ، المروية بطريق خبر الواحد ، لان خبر الواحد عنده ليس حجة في الامور الاثباتية . " ١ " وهو مع السلف في قضية افعال الله تعالى :- في تعليل افعال الله ، وخلق افعال العباد ، والقضاء والقدر ، وفي جواز رؤيته سبحانه وتعالى . اما في طريق معرفة الله ، واثبات وجوده ، فهو مع السلف ومع غيرهم ، بمعنى انه جمع بين منهج السلف والفلاسفة والمتكلمين . فهو مع السلف في معرفة الله بطريق الفطرة والنظر . ومع الفلاسفة في طريقهم في البرهنة والاستدلال بان :- الموجود ان كان واجبا فهو المطلوب ، والا استلزمه استحالة الدور والتسلسل . والواجب هو الله تعالى . " ٢ " .

ومع المتكلمين في قولهم :- ان الاجسام وما يجرى مجراها حادثة وحدوقها يقتضي بالضرورة ان لها محدثا . وهو الله تعالى . ولا يفوتني ان انبه الى امر مهم ، اعتقد انه السبب في بعد الشيخ " محمد عبده " عن منهج السلف في بعض المسائل . وهو ان الشيخ محمد عبده بالغ في الاعتماد على عقله ، حتى جاوز به حده ، فحكمه في كل شيء ، ووكل اليه حل جميع المشاكل التي قد تواجه الانسان .

---

١ - هووضح هذا الامر في الخاتمة .

٢ - وهذا الطريق ضعيف ، سترى ضعفه فيما بعد .

يقول الدكتور سليمان دنيا :

(وعندى ان الشيخ محمد عبده اذا كان لم ينقص العقل حقه ،

فهو قد جاوز به حده ) " ١ "

فكان بذلك فيلسوفا سلك سبيل الفلاسفة ، ( فان سبيل الفلاسفة

ان يتخذوا عقلهم طريقا الى اية عقيدة يعتقدونها ، فالقدمات العقلية اولا والنتائج

ثانيا واخيرا ) " ٢ "

هذا هو سبيل الفيلسوف وبخيره لا يكون المرء فيلسوفا .

واليك هذا النص الذى رسم فيه الشيخ محمد عبده منهجه ، وقال : انه

الطريق الى رضوان الله تعالى :-

( والحق الذى يرشد اليه الشرع والعقل ان يذهب الناظر المتدين

الى اقامة البراهين الصحيحة على اثبات صانع واجب الوجود ، ثم انه الى اثبات

النبوة ، ثم يأخذ كل ما جاء به النبوات بالتصديق والتسليم ، بدون فحص فيما

تكنه الالفاظ ، الا فيما يتعلق بالاعمال على قدر الطاقة .

ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين

الصحيحة ، كان ما ادعى اليه ما كان . لكن بغاية التحرى والاجتهاد .

ثم اذا افاء من فكره الى ما جاء من عند ربه ، فوجد به بظاهره

ملائما لما احقته فليحمد الله على ذلك . والا فليطرق عن التأويل ويقول :

" آمننا به كل من عند ربنا " " ٣ " فانه لا يعلم مراد الله ونبيه الا الله ونبيه .

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٩ ) .

٢ - نفس المصدر ص ٥٩ .

٣ - سورة ال عمران اية ( ٧ ) .

فعلى هذا المنوال يكون نسجه ، فيؤد من الله برضوان ، حيث أسس  
عقائده ، على السديد من البراهين ، واستعمل الاخبار الالهية بالقبول والتسليم  
وتناولها بقلب سليم ) \* ١ \*

وان الشيخ محمد عبده بهذا يضع الدين الوارد عن طريق الوحي في المرتبة  
الثانية ، ويضع العقل في المرتبة الاولى ، حيث حكم بضرورة الاخذ بما يتأدى اليه  
العقل اذا اختلف مع النص ، ولم يعط النص من عناية اكثر من ان يقول له :

( انك من عند الله ) .

وان الشيخ محمد عبده بهذا يرسم طريق النجاة بأن : ( ياخذ المرء  
طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده ، بالبراهين الصحيحة كان ما ادهت اليه  
ما كان ) ،

( ذلكم هو كل ما في الامر ، اما النصوص الالهية ، وما تنطوى عليه من  
آراء ، فأمرها دأربين : ان تكون موافقة لما ادهت اليه هذه البراهين .

او ان تكون مخالفة لها .

والامر في كلتا الحالتين سهل يسير ، في نظر الشيخ محمد عبده .

فانها ان كانت موافقة ، فقد كفى الله المؤمنين القتال .

وان كانت مخالفة فلا قتال ايضا ، لانه يكفي بأن يقول ، آمنت بما

جاء به الى جانب الايمان بما ادهت اليه البراهين ) \* ٢ \*

---

١ - المصدر السابق ص ٥٨ - ٥٩ .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، الاستاذ سليمان دنيا ،

( ١ : ٥٩ ) .

يقول الاستاذ سليمان دنيا :-

( ولا يخدمنا قول الشيخ محمد عبده " فليطرق عن التأويل ،

ثم يقول : آمنابه كل من عند ربنا " فان ذلك ايمان بالفاظ جوفاء لا

لا معنى لها ، ما دام اقد آمن من طريق آخر باراء تعارض هذه الالفاظ

معارضة تامة ) . " ١ "

ذلكم هو سبيل الفلاسفة - كما قلت - اما سبيل السلف - الذي ارتفع

صوت الشيخ محمد عبده بالدعوة اليه ، بينما آمن من قلبه بخلافه - فانهم

بعد ان يثبتوا وجود الصانع ، بطريق القطرة ، مستعينين بالادلة التي

يرشد هم اليها من يدعي انه رسول الله ، وبعد اثبات الصانع يثبتون صدق

النبوة بالمعقل ايضا .

ثم اذا صح عندهم هذان الاصلان تلقوا ما اتاهم من عند الله على ما تفيد

عبارات النصوص مفوضين غير مؤولين ولا مشبهين .

هذا هو منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم .

واين هذا من ذاك ؟ " ٢ "

---

١ - نفس المرجع ص ٦٠ .

٢ - بتصرف : انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين .

( ١ : ٥٨ - ٦١ ) .

## الباب الثاني

=====

### \* الالهيات \*

يشتمل هذا الباب بعد تعريف مجمل " للالهيات " على

أربعة فصول هي :

- ١ - الفصل الأول : وجود الله تعالى .
- ٢ - الفصل الثاني : وحدانية الله تعالى .
- ٣ - الفصل الثالث : صفات الله تعالى وكمالاته .
- ٤ - الفصل الرابع :: أفعال الله تعالى .

تعريف "الالهيات" :

===== "الالهيات" : جمع "الهيئة" . وهي

نسبة للصفة .

يقال : هذا علم الهي ، وصفة الهيئة ، واله بين الالهيّة . " ١ "

" واله " : من اله بمعنى مجد ، على وزن " فعال " بمعنى

" مفعول " . لأنه مأثوم أي مهبود .

ويجمع " الاله " على " آلهة " " ٢ "

وإذا اطلق لفظ " الاله " فالقصد هو " الله " جل جلاله .

ولفظ " الاله " وضع في الأصل لكل معبود ، لكن غلب " بال " " ٣ "

على المعبود بحق " ٤ " ، وهو " الله سبحانه وتعالى " .

---

١ - لسان العرب لابن منظور ، مطابع كونستانس ماس ، طبعة مسورة

عن بولاق ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ( ١٧ : ٣٥٩ ) .

وانظر : المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية ، مطبعة دارالكتب

١٩٧٠ م ( ١ : ٤٤٢ ) .

٢ - مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي ، دارالكتاب

العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م ص ٢٢ .

وانظر : القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،

مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة ( ٤ : ٢٨٠ ) .

وانظر : المصطلحات الاربعة بين المودودي ومحمد عبده ، لعبد

التمثال الجبري ، الطبعة الثانية ، دارالاعتصام للطباعة والنشر

ص ١٣٦ .

٣ - الأفضل أن يقال : اختص " بال " لأن الغالب في شيء قد يستعمل

على قلة في شيء غيره . وكلمة " الله " لا تستعمل في غير الحق

اطلاقاً .

٤ - لسان العرب ، ابن منظور ( ١٧ : ٣٦١ ) .

المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية ( ١ : ٤٤٠ ) .



جاء في تفسير المنار : لفظ الجلالة علم على ذات واجب الوجود " ١ " .  
" والالهيات " : اصطلاح يطلق على كل ما يتعلق بذات اللـع ،  
وصفاته ، وافعاله " ٢ " .  
وعلماء العقيدة يبحثون تحت هذا العنوان " الالهيات " ، في الذات  
الالهية وتنزيهها ، وفي وحدانية الله ، وفي أسمائه وصفاته وافعاله " ٣ " .  
وانا على طريقة علماء العقيدة في البحث في موضوع " الالهيات في فكر  
الشيخ محمد عبده " .  
ولقد قسمت البحث في هذا الباب الى اربعة فصول ،  
هي :-

- 
- = دلشرة المعارف الاسلاميه ، لجماعة من المستشرقين ، نقلها السي  
العربية محمد ثابت الفندي ، انتشارات جهان - طهران  
بوندر جمهورى ( ٤ : ٢٨٦ ) .  
١ - تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، ( ١ : ٤٤ ، ٤٦ ) .  
٢ - المعجم الكبير ، لمجمع اللغة العربية ( ١ : ٤٤٣ ) .  
- والمعجم الوسيط ، اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على طبعه  
عبد السلام هارون ( ١ : ٢٥ ) .  
- ومحيط المحيط ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة  
، ص ١٥ .  
- وشرح المواقف في علم الكلام ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي  
الجزجاني ، تحقيق الدكتور احمد المهدي ، مكتبة الازهر ، دار  
المحامي للطباعة - الموقف الخامس في الالهيات .  
٣ - انظر المواقف ، لعبد الدين الايجي ، الموقف الخامس  
في الالهيات .  
وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن ابي العز الحنفي علي بن علي .

- ١ - الفصل الاول : وجود الله تعالى .
- ٢ - الفصل الثاني : وحدانيته .
- ٣ - الفصل الثالث : صفاته وكمالاته .
- ٤ - الفصل الرابع : أفعاله تعالى ، وكونه موجداً وخالقاً لأفعال العباد

• أم لا .

ولسوف أعرض رأى الشيخ " محمد عبده " في كل فصل على حدة ،  
ثم أنقد ما يستحق النقد منه ، في ضوء مذهب السلف ، وجمهور  
العلماء ، وأبين الى اى حد كان الشيخ " محمد عبده " متمسكاً  
مع هؤلاء العلماء . رضي الله عنهم أجمعين .

===

الفصل الاول : " وجود الله تعالى "

=====

أ : معرفة الله .

ب : اثبات وجوده .

أ : " معرفة الله "

=====

رأى الشيخ " محمد عبده " :

===== يرى الشيخ " محمد عبده " أن الواجب

المعني على كل مكلف ، هو اليقين من اي طريق اخذ .  
وان ما دار من خلاف بين علماء الأصول " ١ " في اول ما يجب على كل  
مكلف ، لا طائل تحته ، ولا حاجة الى الاكثر من الكلام فيه ، فان الجميع  
متفقون على ان المقصود من المكلف هو المعرفة بربه خالقا وصانعا . فلا حاجة  
الى النزاع في مقدمات هذه المعرفة ، هل هي النظر " ٢ " ، أو القصد الى  
النظر " ٣ " ، أو جزؤه . . الى آخر هذا الكلام " ٤ " .

١ - أصول العقيدة ، وعظم الكلام .

٢ - وهو قول المعتزلة ، والاستاذ ابو اسحق الاسفرائيني ، قالوا : اول

واجب على المكلف هو النظر في معرفة الله ، اذ المعرفة موقوفة عليه ،

وما توقف عليه الواجب فهو واجب .

انظر كتاب : شرح الاصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبار بن احمد ،

تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م ،

مطبعة الاستقلال الكبرى ص ٥٢ - ٥٥ .

وانظر كتاب : مذاهب الاسلاميين ، دكتور عبد الرحمن بسدوي ،

طبعة بيروت ، دار الملايين ، ( ١ : ٣٧٩ ، ٣٩٦ ) .

٣ - وهو قول امام الحرمين ، والقاضي ابوبكر ، وابن فورك ، قالوا : اول واجب

على المكلف هو القصد الى النظر ، لتوقف الافعال الاختيارية واجزائها على القصد

انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، القسم

الاول ص ٢٠٩ .

٤ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، دكتور سليمان دنيا ، ( ١ / ٢١٠ ) .

يقول الشيخ " محمد عبده " ( وحاصل الكلام ان الواجب العميني هو اليقين  
من اى طريق اخذ .

وقد كان ذلك حاصلًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ،  
وانما احتيج الى طريق التفصيل بعد ذلك ، ولردع المعاندين ، مخافة طغى عقول  
القاصرين ) " ١ " .

وحكم الاشتغال بمثل هذه المسائل " فرض كفاية " يقوم به البعض ،  
للذود عن الاسلام ، ولردع ارباب الكفر ، والطغيان . الخ .  
يقول : ( ومثل هذا يجب كفاية ، خصوصا في زماننا هذا ، الذى  
قد قام فيه القسيسون على ساق ، واخذوا يدعون الناس الى التنصر في الاسواق ،  
واخذت كلمة الكفر في الطغيان ، ووهت من كلمة الحق أركان ، والناس عن هذا  
غافلون ، فاننا لله ، وانا اليه راجعون ، فنسأل الله تعالى ان يؤيد هذا الدين  
بروح المعرفة ، وان يقطع هابر ارباب الجهالة والسفه ) " ٢ " .  
ولكن الشيخ " محمد عبده " في موضع نقاشه لآراء العلماء يميل الى  
قول الاشاعرة ويؤيده ، ويقول انه حقيق بالقبول ، وقد اتفق عليه الملبسون ،  
وجماهير الحكماء " ٣ " .

قال الشيخ الاشعري " ٤ " :

اول الواجبات هو معرفة الله تعالى بما يحصل اليقين الذى لا

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٢٠٩ ) .

٢ — نفس المصدر ص ٢٠٩ .

٣ — نفس المصدر ص ٢١١ .

٤ — أبو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري رضي  
الله عنه ، وهو مؤسس مذهب الاشاعرة ، من الائمة المتكلمين المجتهدين  
ولد في البصرة ، حمل لواء المذهب المعتزلي ، ثم رجع عنه وجاهر =

• يحتمل النقيض بوجه

وبعبارة اخرى : هو معرفة الله تعالى ، ان يتفرع عليها ، وجوب

الواجبات ، وحرمة المنهيات " ١ " .

لقد انتصر الشيخ " محمد عبده " لهذا الرأي وقال : انه

لا سبيل الى وجوب معرفة الله تعالى ، الا طريق الشرع الحنيف .

وتصدى لرأى المعتزلة القائلين : ان اول واجب هو النظر في معرفة

الله ، ان المعرفة موقوفة عليه ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب .

وقد برهنوا على هذا بقولهم :-

ان شكر المنعم واجب \* وشكر المنعم لا يتصور من الشاكر ،

الا بعد معرفة المنعم ، ومعرفة انما تكون بالنظر . فالنظر ما يتوقف عليه

المعرفة التي يتوقف عليها الشكر ، الذي هو واجب .

فالنظر ما يتوقف عليه الشكر بالواسطة ، وما توقف عليه الواجب فهو

واجب ، فالنظر واجب .

وكل ذلك احكام عقلية ، فوجوب عقلي ، وهو المطلوب .

فقال :-

ان استدلال المعتزلة هذا بارد للاسباب التالية :-

---

= بخلافه ، بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب اشهرها ( مقالات الاسلاميين )

توفي في بغداد سنة ٣٢٤ هـ .

انظر : تاريخ المذاهب الاسلامية ، للشيخ محمد ابوزهرة ،

دار الفكر العربي ( ١ : ١٨٠ ) .

( ١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٢٠٩ )

١ - أما أولا :- فلأن مقدمته الاولى ليست برهانية ، بل هي خطابية

مشهورة .

٢ - وأما ثانيا :- فانهم ان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ،

بمعنى انه يترتب عليه الثواب والعقاب . . . . . فلا نسلم هذا ،

فان العقل ليس له سبيل ان يعلم هذه الامور .

وان ارادوا : ان العقل حاكم بأن شكر المنعم واجب ،

بمعنى انه حسن ولازم ، فلا نزاع في ان مثل هذا يمكن ان يعلم بطريق العقل ،

فليكن النظر واجبا بهذا المعنى ولا ضير فيه .

٣ - وأما ثالثا :- فلأن العقل يحكم بأن فقيرا لو وجد في سبيله قرطاسا

من الذهب ولا يعلم من اين هذا ، ولا من اتى به ، فلا يجب على هذا

الفقير ان يفتش عن من اتى به حتى يسدى اليه نفعا او شكرا .

ولو انه قابل هذا المحسن بالاساءة ، لا يذم ، لعدم

علمه بأنه محسن .

ولو ان المحسن سلب احسانه عنه ، مع علمه بأنه لا

يعرفه ، كان سفيها اذ لم يخبره بأنه المحسن .

بل هذا الصنع دليل على ان المحسن غير طالب للمقابلة والشكر ، ولو كان طالبا

لذلك ، ولم يظهر نفسه ، فقد سفه نفسه .

ومن لم يعلم له الهيا ، ولا خالقا ، ولم يدرا للعالم

صانعا من اصله ، ولم يشهد الاحسان ، والاساءة الا من بني نوعه ، وكان

محصلا لرزقه من صنعه ، وكسب يده ، فكيف يجب عليه شكر ، أو عبادة ،

أو معرفة ، الا من طريق ما يرى ان تحصيل العلم كمال . ومن اعظم

الكلمات علم مبدأ العالم ، وما يشبه ذلك .

بل لو علم صانعه وخالقه ، وانه الرازق ، لم يجب عليه

شكره الا بايجاب منه ، وايدان بأنه يطلب منه ذلك .

كيف وهو لا يعلم ما اذا يليق بذلك المنعم من انواع التعظيم والشكر .  
فربما كان ما يظنه شكرا ، كقرا .

فلا بد في ذلك من معلم صادق يخبره بما يرضاه ذلك المنعم  
من انواع الشكر على ما علمه ، فلا سبيل الى ذلك الا طريق الشرع . " ١ "

هذا القول من الشيخ " محمد عبده " هو نفس ما ذهب اليه  
الاشاعرة ، فان وجوب معرفته تعالى لم يثبت من طريق العقل ، لان علم  
مثل هذا مما لا يهتدى العقل الى معرفته .

بل لا بد فيه من مخبر صادق ، وهو النبي صلى الله عليه وسلم ،  
وكذلك علم الامور الحسية " ٢ " ، فانها لا تكتسب بطريق النظر ، بل لا يسه  
فيها من الحس أو الاخبار .

" دور العقل في معرفة الله تعالى " :

===== يوضح الشيخ " محمد عبده " في

" رسالة التوحيد " مقدار الصلة بين العقل وبين معرفة الله ، ومدى تفاوت  
الناس في عقولهم في معرفة الله ، كما يبين مدى احتياج العقل الى  
النبوة في معرفة كثير مما لا يستقل العقل بمعرفته .

فيقول :-

( وليست عقول الناس سواء في معرفة الله تعالى ، ولا في معرفة  
حياة بعد هذه الحياة ، فهم وان اتفقوا في الخضوع لقوة اسم من قواهم ،  
وشعر معظمهم بيوم بعد هذا اليوم ، ولكن افسدت الوثنية عقولهم وانحرفت  
بهم عن مسلك السعادة ، فليس في سعة العقل الانساني في الافراد كافة ان  
يعرف من الله ما يجب ان يعرف ... )

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٢٠١ ) .

٢ - كالجنة والنار ، وما فيهما من النعيم والمذاب .

لهذا كله كان العقل الانساني محتاجا في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما هو خير له في الحياتين ، الى معين يستعين به في تحديد احكام الاعمال ، وتمييز الوجه في الاعتقاد بصفات الالهية ، ومعرفة ما ينبغي ان يعرف من احوال الآخرة ( ٥٠٠ ) " ١ "

" ادراك حقيقة الباري " :

===== يرى الشيخ " محمد عبده " ان ادراك

حقيقة الباري سبحانه وتعالى غير ممكن .

وهذا الرأي انما استمده من الفلاسفة الاسلاميين ، منهم الشيخ " ابو

نصر الفارابي " " ٢ " الذي برهن على استحالة العلم بحقيقة الواجب . بقوله :-

( ان علمنا بحقيقة من الحقائق موقوف على العلم بجميع لوازمها ، حتى

نميز العرضي من الذاتي ، ونحصر كلا منهما ، وذلك غير ممكن ، فانا الى اى

حد وصلنا يحكم العقل بجواز ذاتي غير ما علمنا ، لم نصل اليه حكما حقيقيا ،

وجوازا واقعيا ، فعلمنا بحقيقة من الحقائق محال ، فعلمنا بحقيقة الواجب

محال بالاولى ، وانما ندرك الاشياء بالخواص واللوازم ) " ٣ " .

---

١ - رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٩٦ ) .

٢ - فيلسوف اسلامي ، يعرف بالمعلم الثاني ، تركي الاصل ، من اكبر

فلاسفة المسلمين ، ولد في " فاراب " على نهر جيحون ، رحل الى

بغداد ومصر والشام ، كان يحسن اليونانية ، واكثر اللغات الشرقية ،

مات بدمشق سنة ٣٣٩ هـ /

انظر البداية والنهاية ( ١١ / ٢٢٤ ) / والاعلام للزركلبي

( ٧ : ٢٤٢ ) .

٣ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ١٩٤ ) .



يسلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا برهانيا علميا في بيان هذه الحقيقة

لكنه لا يخلو من الكلام عليه ، وفيه مجال للتعميق عليه ...

فهو يريد ان يقول : ان للمقل حدا لا يتعداه ، وهو الوصول الى

معرفة عوارض بعض الاشياء التي له مجال في معرفتها ، ثم التوصل بذلك الى

معرفة مناشئها .

اما الوصول الى معرفة الاشياء ، وتصورها بالكنه والحقيقة فغير ممكن ، وليس

له من القوة ما يحقق ذلك .

واليك نص كلامه : ( اذا قدرنا عقل البشر قدره ، وجدنا غاية ما ينتهي

اليه كماله ، انما هو الوصول الى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت

الادراك الانساني حسا كان او وجدانا ، او تعقلا ، ثم التوصل بذلك الى

معرفة مناشئها ، وتحصيل كليات لانواعها ، والاحاطة ببعض القواعد لمعرض

ما يعرض لها ، اما الوصول الى كنه وحقيقة فمما لا تبلغ قوته ، لان اكتناه

المركبات انما هو باكتناه ما تركيبته منه ، وذلك ما ينتهي الى البسيط الصرف ،

وهو لا سبيل الى اكتناه بالضرورة ، وغاية ما يمكن عرفانه منه ، هو عوارضه

واثاره ) .

ويضرب الشيخ " محمد عبده " مثل " الضوء " حيث لم يستطع العلماء

حتى الآن التوصل الى معرفة حقيقته ، ولا الى تحديد معنى الاضاءة نفسه .

يقول :-

( خذ اظهر الاشياء واجلاها ، كالضوء : قرر الناظرون فيه له

احكاما كثيرة ، فصلوها في علم نخاص به ، ولكن لم يستطع ناظران يفهم ما هو

ولا ان يكتنه معنى الاضاءة نفسه ، وانما يعرف من ذلك ما يعرفه كل بصير له

عينان ، وعلى هذا القياس ) .

ويرى الشيخ ( محمد عبده ) أيضا ان الاشتغال في معرفة الكنه

والحقيقة لا فائدة منه ، بل يعود على صاحبه بالخسران ...

يقول :

( ثم ان الله لم يجعل للانسان حاجة تدعو الى اكتناه شيء من الكائنات وانما حاجته الى معرفة العوارض والخواص ، ولذة عقله ، ان كان سليما ، انما هي تحقيق نسبة تلك الخواص الى ما اختصت به ، وادراك القواعد التي قامت عليها تلك النسب .

فلاشتغال بالاكتناه اضاءة للوقت ، وصرف للقوة الى ما سيقت اليه ) .

ثم ان الشيخ " محمد عبده " اراد ان يقرب هذا المعنى الى

الافهام ، فلجأ الى ضرب مثل آخر هو " نفس الانسان التي بين جنبيه .

فقال :-

( اشتغل الانسان بتحصيل العلم بأقرب الاشياء اليه ، وهي نفسه ،

ارد ان يعرف بعض عوارضها ، وهل هي عرض او جوهر ؟ هل هي قبيل

الجسم او بعده ؟ هل هي فيه او مجردة عنه ؟ ... كل هذه صفات لم

يصل العقل الى اثبات شيء منها ، يمكن الاتفاق عليه .

وانما مبلغ جهده انه عرف انه موجود حي ، له شعور وارادة ، وكل

ما احاط به بعد ذلك من الحقائق الثابتة فهو راجع الى تلك العوارض التي وصل

اليها بيديته .

اما كنه شيء من ذلك ، وكيفية اتصافه ببعض صفاته ، فهو مجهول

عنده ولا يجد سبيلا للعلم به ) .

ثم قال : اذا كان هذا هو الحال مع بعض المظنقات ، فكيف يكون

حال العقل مع خالقه تعالى ؟ ...

( هذا هو حال العقل الانساني مع ما يساويه في الوجود ، او ينحط

عنه ، بل وكذلك شأنه فيما يظن من الافعال انه صادر عنه كالفكر وارتباطه

بالحركة والنطق ، فما يكون من امره بالنسبة الى ذلك الوجود الاعلى ؟ ماذا

يكون اندهاشه ؟ بل انقطاعه " ١ " اذا وجه نظره الى مالا يتناهى من  
الوجود الازلي الابدى ؟ ) .

ثم يقول : ان النظر في صحيفة هذا الكون يقود الى معرفة الله  
تعالى ، وذلك لمن صفت نفوسهم ، وسلمت عقولهم ، وانجلت فطرهم . . . .  
( النظر في الخلق يهدى بالضرورة الى المنافع الدنيوية ، ويضيء للنفس  
طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره ، والى اتصافه بما  
لواه لما صدرت عنه هذه الاثار على ما هي عليه من النظام ) .

وهنا يضح الشيخ " محمد عبده " اللمسات الاخيرة ، ويقرر النتيجة  
الاكيدة التي يريد ان يتوصل اليها من وراء هذا البحث فيقول :-

( اما الفكر في ذات الخالق ، فهو طلب للاكتناه من جهة ،  
وهو ممنوع على العقل البشرى ، لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ،  
ولا استحالة التركيب في ذاته ، وتناول الى مالا تبلغه القوة البشرية من جهة  
اخرى .

فهو عثم ، ومهلكة ، لانه سعي الى مالا يدرك ، ومهلكة لانه  
يوهى الى الخبط في الاعتقاد ، لانه تحديد لما لا يجوز تحديده ، وحصر لما  
لا يصلح حصره ) ا . هـ " ٢ "

---

١ - الانقطاع هنا بمعنى " المعجز " .

٢ - بتصريف عن رسالة التوحيد الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده

( ٣ : ٣٧٩ - ٣٨٠ ) .

تقويم كلام الشيخ " محمد عبده " :

===== لقد سلك الشيخ " محمد عبده " مسلكا  
مستقلا في معرفة الله ، فلم يتقيد بمذهب ، من المذاهب ، ولم يخرج عما  
يمليه عليه عقله ، ويصل اليه تفكيره .  
فلا غرابة ان يكون مع السلف تارة ، ومع الاشاعرة تارة اخرى ، ولا غرابة  
ان يستمد بعض آرائه من الفلاسفة وغيرهم . فهو صاحب فكر حر مستقل كما  
ذكرت .

وهو هنا مع الاشاعرة في قولهم انه لا سبيل الى معرفة الله تعالى الا  
بالشرع ، ولا بد لذلك من مخبر صادق ، وهو النبي .  
ومع السلف في قولهم بوجوب النظر في مخلوقات الله ، لان الانسان خلق  
مستعدا ، وفي مكنته وقدوره ان ينظرو ويستنتج ، وذلك ما ميز الله به الانسان  
عن بقية المخلوقات .

وهو مع الفلاسفة حين استمد منهم فكرة : استحالة التركيب في ذاته  
سبحانه ، وهذا خلاف مذهب السلف وجمهور المتكلمين على ما قرره الخزالي " ١ "  
وشيخ الاسلام ابن تيمية " ٢ " رحمهما الله تعالى ، مما سنبينه بعد قليل باذن  
الله .

- 
- ١ - محمد بن محمد الخزالي الطوسي ، ابو حامد ، حجة الاسلام ، فيلسوف  
متصوف ، له نحو مائتي تصنيف ، ولد بخراسان سنة ٤٥٠ هـ ورحل الى  
الشام والحجاز ومصر ، وغيرها ، نسبتها الى صناعة الفزل ، او الى غزله  
من قرى " طوس " مات سنة ٥٠٥ هـ / الاعلام للزركلي ( ٧ : ٢٤٧ ) .
  - ٢ - احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الدمشقي ابو العباس ، شيخ  
الاسلام ، نشأ في دمشق ورحل الى مصر ، سجن عدة مرات في سبيل  
الدعوة الى الله ، وصنف كثيرا من كتبه في السجن ، ثم منع من ذلك ،  
كان كثيرا البحث في فنون الحكمة . داعية اصلاح في الدين ، آية في =

والصواب هو : ما ذهب اليه السلف في معرفة الله تعالى وهو ان الله سبحانه وتعالى ، خلق الانسان مستعدا ، وفيه قوة — حينما يصل الى درجة البلوغ الى ان يبحث ويستنتج ، ويستدل في الشؤون الدينية ، وهذا الاستعداد وهذه القوة ، مما لا يصح ان يرتاب فيه .  
فان كل انسان يشعر اذا بلغ مهلخ الرجال ، ان فيه هذه القوة ، بل ، هذا هو ما ميز الله به الانسان عن بقية المخلوقات .  
وقد استدل السلف رضي الله عنهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابو هريرة رضي الله عنه :  
قال صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او يمجسانه او يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " " ١ " .  
ولنستمع لشيخ الاسلام ابن تيمية — شيخ المذهب السلفي — حين سئل عن المراد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (( كل مولود يولد على الفطرة . . . )) الحديث ، قال : — ( على السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة ) " ٢ " .  
ويقول في تفسير قول الله عز وجل " اقرأ باسم ربك الذي خلق " " ٣ " ،

- 
- = التفسير واصله مات في السجن في قلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ /  
دائرة المعارف الاسلامية ( ١ : ١٠٩ ) .  
١ — الحديث متفق عليه رواه البخارى ومسلم بروايات متعددة / انظر  
البخارى في كتاب الجنائز ، ومسلم في باب القدر .  
٢ — مجموع افتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، وابنه محمد الطبعة الاولى سنة ١٣٨١ هـ  
( ٤ : ٢٤٥ ) .  
٣ — سورة العلق اية ( ١ ) .

وقوله : " اقرا وربك الأكرم " " ١ " :-

( ذكر في الموضعين بالاضافة التي توجب التعريف ، وأنه معروف عند المخاطبين ، ان الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق . وان المخلوق مع انه دليل ، وانه يدل على الخالق ، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال ، ومعرفة فطرية منروزة في الفطرة ضرورية بديهية اولية ) " ٢ " .

ومع هذا فان السلف رضي الله عنهم ، يوجبون النظر في الكون والانسان على السواء ، لان في ذلك عاملا من عوامل تجلية الفطرة ، ان النظر فيهما يؤدي قطعا الى ما تنطق به الفطرة البشرية من معرفة الحقيقة العلييا ، وهو الرب تعالى .

كما ان الامرالاهي بالنظر في الايات الكونية - ومنها الانسان يشهد لهذه الفطرة البشرية . وذلك في كثير من الايات القرانية .

قال تعالى : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والسما كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت " " ٣ " .

وقال تعالى : " افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب " " ٤ " .

---

١ - سورة العلق اية (٣) .

٢ - مجموع الفتاوى ( ١٠ : ٣٢٤ ) .

٣ - سورة الفاشية الايات من ( ١٧ - ٢٠ ) .

٤ - سورة ق الايات من ( ٦ - ٨ ) .

وقال عز وجل : " افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " ١ " .

وقال : " فلينظر الانسان الى طعامه ، انا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فانبثنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا ، متاعا لكم ولانعامكم " ٢ " .

وقال : " فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب " ٣ " .

فالامر بالنظر شاهد صدق على ان الانسان في مكنه ومقدوره ان ينظر ويستنتج ، والشيخ محمد عبده مع السلف في هذا ، يقول في رسالة التوحيد :-

( قد امر الكتاب بالنظر واستعمال العقل فيما بين ايدينا

من ظواهر الكون ، وما يمكن النفوذ اليه من دقائقه ، تحصيلا لليقين بما

هدانا اليه ، ونهانا عن التقليد بما حكى من احوال الامم في الاخذ بما عليه ابائهم . . . . . فالتقليد مهلة يعذر فيها الحيوان ، ولا يجمل بحال الانسان )<sup>٤</sup>

ولكنه لا يقف عند هذا بل يتعداه الى قول الاشاعرة : ان معرفة الله لا سبيل لها الا الشرع ، ولا بد في ذلك من النبي .

---

١ - سورة يوسف اية ( ١٠٩ ) / الروم اية ( ٩ ) / فاطر اية ( ٤٤ )

غافر اية ( ٨٢ ) / محمد اية ( ١٠ ) .

٢ - سورة عبس الايات من ( ٢٤ - ٣٢ ) .

٣ - سورة الطارق الايات من ( ٥ - ٧ ) .

٤ - رسالة التوحيد ، الامام محمد عبده ، القاهرة ، مكتبة الجامعة الازهرية

١٣٨٦ هـ سنة ١٩٥٦ م ص ١٥ .

" الرأي المختار في هذا الموضوع "

=====

وانا اميل مع السلف رضي الله عنهم في هذا ، وأؤيده ، وأؤكد

بالحقائق التالية :

اولا :

===== هذه القوة اصيلة عند كل انسان ، يجدها الانسان غير المتدين

كما يجدها اطلع الناس تفكيراً ، واعظمتهم تحقلاً ، وستبقى اصيلة في النفوس ،  
متطورة بتطور الانسانية ، متجاوبه مع درجة الثقافه التي يلبسها الانسان نفسه ،  
وستزداد فيه هذه القوة كلما ارتقى بفكره ، واتسمت ابحاثه ودراساته .

ثانياً :

===== حتى ان الطفل الصغير فيه هذه النزعة الفكرية ، وهذا مما

اثبتته علماء النفس - ان صح التعبير - عند كثير من الاطفال .

يقول العلامة الدكتور محمد عبد الله دراز : - ( فان كثيراً من الاطفال ذوى  
الفطر السليمة ، لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في تعليقه عند  
حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائماً الى اسبابه  
الاولى ، ويسترسلون في تصريف نتائجه الاخيرة ، فهذه صورة مصغرة من تلك  
النزعة الفكرية الانسانية التي هي ابدأ في حركة وتقدم يابيان الوقوف والجمود ) . " ١ "

ثالثاً :

===== لقد اخذ التفكير في الموضوعات الدينية ، هل لهذا العالم

رب وخالق ؟ مساحة كبيرة من التفكير البشرى ، لا فوق في ذلك بين جنس .

---

١ - كتاب : الدين ، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، دكتور محمد

عبد الله دراز ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ /

١٩٦٩م ص ٩٧ .



• جنس ، حتى اشد الناس همجية واقربهم الى الحياة الحيوانية .  
يقول معجم ( لاروس ) للقرن العشرين : ( ان الغريزة الدينية  
مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدّها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية  
وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالية  
الخالدة للانسانية ) " ١ " .

رابعا :

=====  
هكذا كان اجماع الناس في التفكير البشري ، خاصة فيما يتعلق  
بالموضوعات الدينية وهو اجماع ينادى به الواقع الملموس ، في كل زمان ومكان .  
هذه القوة اذن ، هي القوة التي حباها الله للانسان ، وهي قسوة  
الفطرة الالهية في الناس جميعا .

يقول " د راز " : ( ما هذه اذا تلك القوة الخالصة التي لا تزيدنا  
المقاومة الا عنفا ، واشتمالا . والتي تقهر في النهاية انصارها ، واعداءها  
على السواء ؟ )

أليست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما طودها الريح فيل ثراها وسقى  
اصولها ؟

بلى ، وان هذا الريح قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ،  
فما هي الا طرفة من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات  
العزم . . . . . فاذا أنت تسبح بخيالك في عالم الغيب . . . ( " ٢ " للوصول الى  
الحقيقة العلوية الفطرية والتعرف عليها بوضوح .

---

١ - نفس المصدر ص ٨٤ .

٢ - الدين ص ٩٧ .

خامسا :

===== بعد الاعتراف بأن الانسان خلق مستعدا لان يفكر ويستنتج  
في مرحلة معينة وفي سن معينة ، سواء أكان استنتاجه هذا صوابا أم خطأ ، نقول :-  
ان الانسان مع هذا الاستعداد الفطرى للنظر ، والتفكير ، والاستنتاج ،  
قد فطره الله على الايمان برب خالق في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من  
التفاصيل الدينية التي جاء بها الانبياء ، والرسل صلوات الله عليهم اجمعين .

سادسا :

===== بقي لي وقفة قصيرة مع قول الشيخ " محمد عبده " السابق  
وهو أن ( النظر في الخلق يهدى بالضرورة الى المنافع الدينية ، ويضيء للنفس  
طريقها الى معرفة من هذه آثاره ، وعليها تجلت انواره ) .  
هذا القول ، مضافا اليه قوله " ١ " في تفسير ، قوله تعالى :  
" ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر  
بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأخيل به الارض بعد موتها وبث فيها  
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم  
يعقلون " ٢ " يزيد الامر جلاء ، ووضوحا ، ويدخل الشيخ " محمد عبده "  
في ركب السلف رضي الله عنهم اجمعين فيكون فكر الشيخ " محمد عبده " موافقا  
لفكر السلف في هذا الموضوع ، ويصبح تقرير رأى الشيخ " محمد عبده " هكذا :-

— ان معرفة البارئ تعالى يشعر بها كل انسان في اعماق نفسه ،  
وتنادى بها فطرته التي فطره الله عليها . ولكن هذه الفطرة قد تتعرض لـ

---

١ — سيأتي بأكمله في الفصل الثاني ، عند التدليل على وحدانيته تعالى .

٢ — سورة البقرة آية ( ١٦٣ ) .

يحجبها عن طريق الاهتداء الى الله ، لكن الانسان في كل حين لا يبعد عن سماع نداء الفطرة من داخله ، لان الله تعالى اودع في الفطرة ما يهديها الى خالقها عند اول انذار .

وأما بقية التفاصيل فلا سهيل الى معرفتها الا بارسال الرسل ، صلوات الله عليهم أجمعين . وان ما جاء به الرسل ، وما يدركه العقل يلتقيان عند نقطة واحدة لا يقاظ الفطرة وتنبيهها وتوجيهها .

قال تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " ١ .

يقوى هذا ويدعمه ، ما لخصه السيد رشيد رضا من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه . قال :

( ان الشعور بوجود اله يتصرف في الاكوان تصرفا غيبيا ، فوق تصرف المخلوقات بما يكون من افضاء الاسباب الى المسببات ، قد عرف في جميع البشر من ادنى القبائل الهمجية الى ارقى الشعوب المدنية ، فهو شعور يستوى فيه الحفاة العراة في صحارى افريقيا وجزائر المحيط ، وفلاسفة اليونان في الماضى ، وفلاسفة الافرنج الآن ، وقد عرف في الفريقين عن قدام الامم كالمصريين ، والكلدانيين والهنود ، كما هو معروف في هذا العصر .

ومثل هذا الاتفاق بين الشرقي والغربي والشمالى والجنوبي في جميع الازمان من غير تواطؤ ولا تقليد ، ولا تلقين ولا تعليم لا يعقل الا انه فطرى نفس البشر ) ٢ .

---

١ - سورة القمر الايات ( ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ) .

٢ - الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٨٦ ) وقال : لخص الشيخ رشيد

رضا هذه السطور من حديث للاستاذ الامام في احد دروسه .

ولا يفوتني أن أنبه الى قول الشيخ " محمد عمده " ( لاستحالة التركيب في ذاته ) .  
فهذه الفكرة ربما ابعدهت قليلا عن مذهب السلف ، لانها فكرة فلسفية  
صرفه ، استمدتها من اقوال بعض الفلاسفة الاسلاميين الذين تأثر بهم الى حد  
كبير .

فهو لم يذهب بعيدا في قوله هذا عما ذهب اليه الكندي " ١ " ، في  
الاستدلال على الوجدانية ، وهو ايضا مسلك الفيلسوف ابن رشد " ٢ " في كتابه  
" مناهج الادلة " .

وهناك ملخص ما قالوه :-

( ان محدث العالم واحد لا شريك له ولا تركب في ذاته ، ولو فرض ان  
العالم مخلوق ، لاكثر من اله ، لكانوا مركبين من صفة تعميم ، ومن جملة  
اوصاف تميز كلا منهم ، والتسليم بوجود الصفات تسليم بوجود الكثرة في كل اله ،  
فيجب ان نقف على العلة في وجود التركيب في كل اله ، ولو فرض وجود علة ،  
وجب البحث عن علة لهذه العلة وهكذا دواليك ، ولا يمكن الانتقال في سلسلة  
العلل فيجب الوقوف عند حد ، فيلزمنا القول بوجود اله برى من كل كسرة أو

---

١ - أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي ، فيلسوف العرب ، درس  
الفلسفة والمنطق والهندسة والحساب والموسيقى والنجوم وغيرها ، وله كتب  
ومؤلفات فيها .

انظر الفهرست لابن النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،  
لبنان ص ( ٣٥٧ - ٣٦٥ ) .

٢ - محمد بن احمد بن محمد بن رشد الاندلسي ابو الوليد ، الفيلسوف  
من اهل قرطبة ، درس لارسطو ، وترجم معظم كتبه الى العربية ، صنف  
اكثر من خمسين كتابا ، كان دمث الاخلاق ، حسن الرأي ، اتهمه  
خصومه بالزندقة ، مات في مراكش ودفن في قرطبة سنة ٥٩٥ هـ /  
شذرات الذهب ( ٤ : ٣٢٠ ) .

تركيب لأن الكثرة في كل الخلق وليست فيه البتة ( "١" .

ولست هنا بسبيل الرد على هذا القول والاعتراض عليه ، ولسوف

يأتي هو الرد عليه عندما نتحدث عن رأى الشيخ محمد عبده في الوجدانية

بإذن الله .

---

١ - التفكير الفلسفي في الاسلام ، لعبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ،

ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م

( ٢ : ٣٢٠ ) .

ب : اثبات وجود الله تعالى "

=====

مسلك الشيخ " محمد عبده " :

===== لقد سار الشيخ " محمد عبده " في

الاستدلال على وجود الباري في طريقين :-

الاول : اثبات وجود الممكن ، والممكن يقتضي بالضرورة وجود الواجب

• هو الله سبحانه

الثاني : اثبات حدوث العالم ، وحدث العالم يقتضي بالضرورة أن له

محدثا وهو الله سبحانه

واليك البيان :-

١ - الطريق الأول : " دليل الامكان " :

===== قسم الشيخ " محمد عبده " العلوم الى ثلاثة

اقسام ، هي :-

١ - ممكن لذاته : وهو ما لا وجود له ولا عدم من ذاته ، وانما يوجد لموجد

• ويعدم لعدم سبب وجوده

٢ - واجب لذاته : وهو ما كان وجوده لذاته من حيث هي

٣ - مستحيل لذاته : وهو ما كان عدمه لذاته من حيث هي

ثم شرع الشيخ " محمد عبده " في بيان حكم المستحيل ، وهو أن لا يطرأ

• عليه وجود ، وان العدم من لوازم ما هيته من حيث هي

وانتقل الى بيان احكام الممكن وهي :-

أ : الممكن لا يوجد الا بسبب ولا ينعدم الا بسبب

ب : الممكن ان وجد يكون حادثا

ج : الممكن لا يحتاج في عدمه الى سبب وجودي

د : الممكن كما يحتاج للسبب في وجوده يحتاج اليه في بقاءه

ثم انتقل الى البرهنة على ان الممكن موجود قطعاً فقال :-  
( نرى أشياء توجد بعد أن لم تكن ، واخرى تنعدم بعد ان كانت ،  
كأشخاص النباتات والحيوانات .

فهذه الكائنات : اما مستحيلة أو واجبة أو ممكنة .  
لا سبيل الى الاول ، لان المستحيل لا يطرأ عليه الوجود .  
ولا الى الثاني ، لان الواجب له الوجود من ذاته ، وما بالذات  
لا يزول فلا يطرأ عليه العدم ، ولا يسبقه ، فهي ممكنة ،  
فالممكن موجود قطعاً ) " ١ "

وفي النهاية أخذ يستدل على وجود الواجب ، بعد أن أثبت قطعياً  
وجود الممكن فقال :-

( جملة الممكنات الموجودة ، ممكنة بداهة ، وكل ممكن محتاج  
الى سبب يعطيه الوجود ، فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها الى  
موجد لها ،

فاما أن يكون عينها : وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه .  
واما أن يكون جزأها : وهو محال لاستلزامه ان يكون الشيء سبباً  
لنفسه ولما سبقه ، ان لم يكن الأول .

ولنفسه فقط ان فرض أول . وطلانه ظاهر .  
فوجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات ، والموجود الذي ليس بممكن هو  
الواجب .

اذ ليس وراء الممكن الا المستحيل والواجب ،  
والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب .

فثبت ان للممكنات الموجودة موجدا واجب الوجود .  
وايضا الممكنات سواء كانت متناهية او غير متناهية قائمة بوجود  
فذلك الوجود :- اما ان يكون مصدره ذات الامكان وماهيات الممكنات  
وهو باطل لما سبق في احكام الممكن ، من أنه لا شيء من الماهيات الممكنة  
بمقتضى للوجود .

فتعني ان يكون مصدره سواها ، وهو اللواجب بالضرورة ) " ١ "

٢ - الطريق الثاني : " حدوث العالم "

=====

لقد سار الشيخ " محمد عبده " شوطا طويلا في هذا الطريق ،  
وتكلم كثيرا في هذا الموضوع ، فأورد مقالات الفلاسفة ، وحللها وناقشها ،  
وبين ان الناس في ذلك فريقان :-

١ - فريق قال بحدوث العالم ، وهؤلاء أصابوا .  
٢ - وآخر قال بقدمه ، وهؤلاء اجتهدوا فأخطوا في نظرهم ،  
ولم يسددوا مقدمات أفكارهم .  
ولا شك عندي في أن الشيخ " محمد عبده " كان فيلسوفا  
كبيرا ، ماهرا وهو يشقق القول ويبرهن على حدوث العالم ، ويرد على الحكماء  
والفلاسفة .

فلم يترك مسألة الاوتراه يدلي بدلوه فيها ، فجاء برهانه في  
غاية الدقة ، وقوة الملاحظة ، وديح الكلام . . .

---

١ - نفس المصدر ص ٣٦٩ .

وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ، للدكتور سليمان  
دنيا ( ١ : ١٥٤ - ١٥٥ ) ، ( ١ : ٢٥١ ) .



وجملة ما استدل به على حدوث العالم هو :-

هذا العالم واجب الحدوث ، لأن لكل معلول علة ، وذات العلة مهايئة لذات المعلوم ، ولا بد أن يكون وجود المعلوم في الآن الثاني لوجود العلة حتى تتحقق الافادة والاستفادة .

لأن معنى العلة : ما هو معطي الوجود .

ومعنى المعلوم : ما هو مستفيد الوجود من غيره .

وبعبارة أخرى :

ان هذا العالم لا يد وان يكون واجب الحدوث ، لان لكل حادث محدث .

والحادث غير المحدث قطعا .

والمحدث سابق للحادث بالضرورة حتى يكون هناك مفيد ومستفيد .

وحتى تتصور الافادة .

وبعبارة هو يقول :-

( وأما وجوب حدوثه ، فلأننا لا نعلم من معنى العلة إلا ما هو معطي

الوجود ، ولا من معنى المعلوم إلا ما هو مستفيد الوجود من غيره . . . .

ومن البين أنه لا بد ان تكون ذات العلة ، مهايئة لذات المعلوم ،

حتى يتحقق المفيد والمستفيد ، وتتصور الافادة .

والمستفيد بذاته ليس واجدا ما يستفده . ان لو كان واجدا له ،

لم تتحقق الاستفادة . ان تكون تحصيل الحاصل . وهو محال .

وليس المفاد ههنا إلا نفس الذات المملولة ، ووجودها .

وانا كان المفاد مسلوما ، فقد كان الذات معدوما .

واقادتها اخراجها من العدم .

فان : رجع معنى الافادة الى اخراج الممكن من العدم الى الوجود .

والاخراج من العدم يستدعي سبق العدم .

فما من ممكن ومعلول إلا وقد سبق وجوده عدمه ، سببية لا تجتمع  
مع المسبوقية • ان لو اجتمعا للزمه كونه مخرجا من العدم ، في حال كونه  
لم يكن فيه •

اي في حال وجوده وهو تحصيل الحاصل •  
والحاصل أن البداهة شاهدة بأن اعطاء شيء لشيء ، في أن كون  
ذلك الشيء حاصلًا للمعطى له ، انما هو تحصيل حاصل •  
بل لا بد أن يتحقق حال للمعطى له ، لم يكن له المعطى حتى  
يتصور اعطاء ، وهذا ظاهر •

فقد ثبتت كلية المقدمة القائلة : العالم حادث ، وهو  
المطلوب ( ١٠ )

===

---

١ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين • دكتور سليمان دنيا ،

( ١ : ١٧٩ — ١٨٠ ) •

" التعليق على مسلك الشيخ محمد عبده "

=====

لقد سلك الشيخ محمد عبده في الاستدلال على وجود الهاري

عز وجل مسلكين هما :-

الاول : مسلك الفلاسفة

وخلاصته : الموجود ان كان واجبا فهو المطلوب ،

والأ استلزمه ، لاستحالة الدور " ١ "

والتسلسل " ٢ "

الثاني : مسلك جمهور المتكلمين .

وخلاصته : هذا العالم حادث ، ولا بد له من محدث ،

هو الله تعالى .

١ - مناقشة المسلك الاول :

===== أما هذا المسلك فقد قلده فيه الشيخ محمد

عبده ، جمهور الفلاسفة ، في الاستدلال على وجود الواجب . وهو مسلك

١ - الدور : معناه أن الموجد المؤثر قد أوجد شيئا هو المعبود عنه " بالأثر " ،

وأن يكون ذلك الأثر هو الموجد للمؤثر فيه . بمعنى أن يتوقف

الشيء على نفسه .

٢ - التسلسل : معناه أن يتوقف كل موجود على موجد ، وهذا الموجد يتوقف

على آخر يوجد له ، وذلك على موجد أيضا الى ما لا نهاية . بلا

نتيجة .

انظر كتاب : الله بين الفطرة والدليل بقلم الشيخ محمد حسن الياسين ،

المكتب العالمي للطباعة والنشر - بيروت ، الطبعة الثالثة

لا يخلو من النقد والاعتراض عليه .

لأن الشيخ محمد عبده يريد أن يقول :-

ان الموجود اما واجب لذاته أو ممكن .

لأن الموجود اما ان تستلزم وتقتضي حقيقته الوجود ، بحيث

يأبى العدم ولا يقبله ، او لا تقتضي حقيقته الوجود ولا تستلزمه بل الوجود

والعدم اليها سواء .

• فالاول هو الواجب لذاته

• والثاني هو الممكن

ولما كانت جملة الممكنات ، ممكنة . والممكن لا يوجد الا بسبب يمنحه الوجود .

فهذا لا يخلو من أحد احتمالات ثلاثة :

الأول : اما ان يكون عينها ،

الثاني : اما ان يكون جزأها ،

الثالث : اما ان يكون غيرها .

والاول باطل ، وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه ، ولأن الشيء

لا يكون علة لنفسه .

والثاني باطل ، وهو محال ايضا لاستلزامه ان يكون الشيء سببا لنفسه ،

ولما سبقه اذا كان ذلك الجزء علة لجميع السلسلة .

فثبت الثالث ، ووجب ان يكون السبب وراء جملة الممكنات ، والخارج عن جملة

الممكنات واجب بالذات . فثبت المطلوب .

وهنا يتعارض قول الشيخ " محمد عبده " : " ان احتياج الممكن الى اجزائه

يؤدي الى احتياج الشيء الى نفسه وهو باطل " . مع قول الفلاسفة في الواجب:

" انه يتركب من ذات وصفات ، ولا يجوز ان يتركب من أجزاء ، وحاجته الى

اجزائه هي حاجته الى نفسه ، وحاجة الواجب الى نفسه ليست مستحيلة " .

كان الأولى بالشيخ " محمد عبده " وهو يركب سنن الفلاسفة  
أن يدل على وجود الباري عز وجل بأسلوب سهل يسير من غير تعقيد ولا  
تضييق .  
فيقول مثلاً " ١ :-

هل خالق العالم واجب لذاته أو ممكن كسائر المخلوقات ؟  
والجواب : ان هذا الصانع الخالق لا بد ان يكون واجبا لذاته ، والا كان  
ممكنا قطعاً . فلا يصلح خالقا .  
لأنه وقد فرض ممكنا لا وجود له من حيث ذاته كما هو حقيقة  
الممكن . فهو من حيث ذاته فاقده الوجود ، واذنا فلا يكون مانعا لغيره  
الوجود ، لأن فاقده الشيء لا يعطيه أو كما يقول أهل الفقه : " ان  
الايجاد بعد مرتبة الوجود " .  
بمعنى : أن الحديث عن الايجاد انما يكون بعد ثبوت الوجود ، اذ لا  
يعقل ايجاد شيء الا بعد وجود ذلك الشيء .  
فان قيل : لعل وراء هذا الخالق الممكن ، خالقا آخر منحه  
الوجود وأوجده ، فيصلح اذا ان يكون خالقا ومانعا الوجود لهذا العالم .  
ويجاب عليه : ذلك الخالق الاخر ان كان ممكنا لا يصلح ان  
يمنح الوجود لغيره لانه وقد فرضناه ممكنا فلا وجود له من حيث ذاته كما هو  
حقيقة الممكن . واذنا فلا يمنح الوجود لغيره .  
وان كان واجبا لذاته كان هو الخالق الواجب لذاته فيكون هو الاله  
المطلوب .

---

١ - من كلام الشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله ، في محاضرة ألقاها على  
طلاب السنة التحضيرية في مادة " نصوص عقيدة " لعام ١٣٩٧هـ /

فان قيل : نختار ان الخالق الثاني ممكن •

فيرد عليهم بأنه لا يصلح ان يمنح الوجود للخالق الاول لأنه وقد

فرضناه ممكنا فهو فاقد الوجود لذاته •

فان قيل : ان وراء الخالق الثاني خالقا ثالثا ممكنا أيضا منح الوجود

للخالق الثاني •

قلنا : ومن منح الخالق الثالث الوجود ؟

قالوا : منحه خالق رابع ، وهكذا الى ما لا نهاية • فليس هناك

خالق واجب الوجود لذاته كما هو معروف في العقيدة الاسلامية •

ويجاب على قولهم هذا بما يلي :-

• ان هذا يعني وجود سلسلة من الخالقين كل فرد منها ممكن •

اذا كل فرد منها لا وجود له من حيث ذاته • فهو فاقد الوجود من حيث

ذاته •

اذا فلا يكون اى فرد من هذه السلسلة خالقا ، واذا لا مخلوق أصلا لانه

لا خالق •

وهذا باطل مشاهدة وحسا ، فهناك ارض مخلوقة ، وسماء

مخلوقة ، وحيوان مخلوق ، ونبات مخلوق ..... الى آخر المخلوقات •

وخلاصة القول :

• اذا كان هناك مخلوق ، فلا بد في النهاية من خالق واجب الوجود لذاته •

• والا فلا مخلوق اصلا وهو باطل مشاهدة وحسا •

• واذا كان هناك خالق واجب لذاته فقد ثبت الاله والالوهية • وهذا هو المطلوب •

والا لنزم أحد أمرين

• الأول : الدور : وهو باطل لأنه ينتهي الى توقف الشيء على نفسه •

• الثاني : التمسلس : وهو باطل لأنه لا يوصل الى نتيجة •

ولما كان الدور والتسلسل باطلين ، فقد ثبت أنه لا بد من الاقرار بوجود صانع

• مجرد واجب الوجود لذاته ، وهو الله تعالى •

٢ - مناقشة المسلك الثاني :-

===== أما المسلك الثاني فقد سلكه كثير  
من العلماء ، كابي منصور الطائري "١" ، وابن حزم الظاهري "٢" ،  
وعند الدين الايجي "٣" ، والقاضي عبد الجبار "٤" من الممتزلة ،  
وهؤلاء جميعا على اختلاف مذاهبيهم ، وتباين طرقهم واستدلالاتهم في اثبات  
المحدث فانهم اتفقوا في النتيجة النهائية وهي :-

- 
- ١ - انظر كتابه : التوحيد ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة  
دارالمشرق بيروت لبنان - ص ١٢ •
  - ٢ - انظر كتاب : ابن حزم حياته وعصره وآراؤه وفقهه ، للشيخ محمد  
ابوزهرة ، ص ٢٢ دارالفكر العربي •
  - ٣ - انظر كتاب : المواقف ص ٥ الموقف الخامس • بشرح الجرجاني •  
عبد الرحمن بن احمد بن عبد الفغار البكري الايجي الشيرازي • عند  
الدين • كان اماما في المعقولات ، والمعاني والبيان ، والنحو ،  
أشهر مؤلفاته : المواقف ، والمقائد العضدية ، وجواهر الكلام •  
توفي سنة ٧٥٦ هـ
  - انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين ابي نصر عبد الوهاب  
ابن علي السبكي • تحقيق محمود محمد الطناجي ، وبعد الفتاح  
الخلو ، الطبعة الاولى ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م عيسى البابسي  
الطبي ( ١٠ : ٤٦ - ٤٧ ) •
  - ٤ - انظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٩٤ - ٩٦ •  
وانظر كتاب : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدريسة ،  
دارالكتب العلمية ، تحقيق الدكتور رشاد سالم ( ١ : ١٠٧ ) •

" هذا العالم حادث ولا بد له من محدث هو الله تعالى "

وهذا المسلك الذي أخذته الشيخ محمد عبده عن المتكلمين ، لا

يتعارض دليله مع العقل السليم ، ولا يتناقض مع الشرع الحنيف .

وقد استدل به السلف بطريقة علمية مختصرة هي :-

اننا نشاهد من حدوث الحوادث ، حدوث المخلوقات من حيوان

ونبات وجماد ..... الى آخرها . وهي ليست مستنعة حيث وجدت ، ولا هي

واجبة الوجود بنفسها لانها كانت بعد ان لم تكن .

فحدثها دليل على المحدث لها ، المخالف لما هي

عليه ، وهو الله تبارك وتعالى . " ١ "

وهذه الطريقة كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية شرعية

وعقلية .

فهي شرعية :

لأن القرآن ارشد اليها وبينها ، وهدى الناس اليها في

كثير من آياته :

قال تعالى : " ويقول الانسان انا انا ما مت لسوف اخرج حيا اولا

يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا " ٢ "

وقال : " وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي

رميم ، قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق

---

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، تقديم حسين محمد

مخوف ، دار الكتب الحديثة الطبعة الاولى ص ١٥ - ١٦ .

وانظر : شرح حدوث النزول ، لابن تيمية ص ٢٨ المكتب الاسلامي

الطبعة الخامسة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

٢ - سورة مريم الايات ( ٦٦ ، ٦٧ ) .



علم "١".

وهي عقليه :

لأن العقل السليم استطاع ويستطيع أن يتنبه اليها ، ويدركها

من غير أن يرشده اليها شرع حنيف . "٢"

وحاصله :

فان اثبات وجود الله أمر في غاية اليسر والسهولة . لا يحتاج

الى مقدمات ونتائج ، ولا يكون بهذا التعقيد الذي قد لا يفيد القارئ شيئاً ،

ولا يقربه الى الايمان خطوة .

ومع تحفظي من المسلك الأول الذي سلكه الشيخ محمد عبده ،

وهو مسلك الفلاسفة ، وقبولي للمسلك الثاني وهو مسلك المتكلمين ، فاني أرى

أن طريق القرآن الكريم هي أقوى الطرق وأسهلها وأقربها الى عقول العامة

فضلا عن الخاصة في اثبات وجود الله سبحانه . وذلك ببيان عظمته في خلقه

وسيطرته على كل ما في العالم ، وبيان عنايته ورعايته لما في الكون ، واتقائه

لكل ما فيه من قوى ونواميس ، وسنن وقوانين . . . الخ .

وهذا الطريق استخدمه الصحابة رضوان الله عليهم ، والتابعون ،

ومن تبعهم ، ولا يزال يستخدمه كثير من المسلمين الى يومنا هذا .

وهو الطريق الذي أوهده وأسير عليه ، لأنه الأولى ،

والأسلم ، وبه يثاب العبد ، ويجزى الخير الكثير .

---

١ - سورة يسن الايات ( ٧٨ ، ٧٩ ) .

٢ - انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ، ص ٤٨ ، مكتبة الرياض

الحدیثة .

"الرأى المختار في الاستدلال على البارى تعالى"

=====

وأنا على طريق القران في الاستدلال على الخالق عزوجل ، لأن في القران براهين عقلية واضحة ، يفهمها الجميع ، تعود الى الحق والى صراط مستقيم .

قال تعالى : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

فتفرق بكم عن سبيله " ١ "

لذلك كله ، وحتى لا اتبع سبيل الفلاسفة وغيرهم ، اخترت

طريق القران الكريم . الطريق الوحيد الذى يهدى من اتبعه سهل السلام ،

ويصل به الى معرفة البارى عزوجل على اكمل وجه .

وهذا الذى اخترت ، هو طريق السلف أيضا ، فهم يصرحون

بان وجود الله أمر فطرى ، تشهد به الفطر السليمة من غير دليل .

وايضا : فان اثبات وجود الله من حيث هو موجود لم يكن

هدفا من الأهداف القرانية ، ولا مما جاء به الرسل عليهم السلام ، لأنه سبحانه

أبين وأظهر من ان يجهل فيطلب الدليل على وجوده . وهذا ما سرح به كبار

أئمة السلف وعلمائهم .

قال حجة الاسلام أبو حامد الخزالي : ( بعث الانبياء ) - صلوات الله

عليهم - لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا " لا اله الا الله " وما أمروا أن يقولوا :

لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم من مبدأ نشوئهم ،

وفي عنقوان شبابهم ، ولذلك قال عزوجل " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض

ليقولن الله " ٢ " . وقال : " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر

١ - الانعام اية (١٥٣) .

٢ - لقمان اية (٢٥) ، الزمر اية (٣٨) .

الناس عليها " ١ " .

فاذا في فطرة الانسان وشواهد القران ما يخفي عن اقامة البرهان " ٢ " .

وسمع الامام ابن القيم رحمه الله " ٣ " ، شيخ الاسلام ابن تيمية يقول :-

كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شي " ؟

وانه كثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت :-

وليس يصح في الازهان شئ " اذا احتاج النهار الى دليل " ٤ "

قال ابن القيم ؛ ( ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للمقول

والفطر من وجود النهار ، ومن لم يرد ذلك في عقله وفطرته فليشبههها ) " ٥ " .

١ - الروم آية ( ٣٠ )

٢ - احياء علوم الدين ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفسة

للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ( ١ : ١٥٥ ) .

٣ - محمد بن أبي بكر بن ايوب الزري دمشقي . الشهير بابن القيم ، ركن

من اركان الاصلاح الاسلامي ، وأحد كبار العلماء ، تتلمذ لشيخ الاسلام

ابن تيمية ، حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله ، وهو الذي هذب

كتبه ونشر علمه ، وسجن معه في قلعة دمشق ، وأهين وعذب بسببه

ما ت سنة ٧٥١ هـ / الاعلام ( ٦ : ٢٨٠ ) .

٤ - هذا البيت من كلام أبي الطيب المتنبي . انظر ديوانه بشرح المكبري

المسمى بالتبيان في شرح الديوان ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم

الأبياري ، وعبد الحفيظ شلي ، طبة سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ،

مصطفى البابي الحلبي بمصر . ( ٣ : ٩٢ ) وفيه بدل " الازهان "

" الافهام " .

٥ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، لابن القيم ،

دار الفكر العربي ( ١ : ١٦٠ ) .

”١“  
وهناك من انحرفت فطرهم ، فقالوا : ان العالم لم يزل ، وهم الدهرية .  
وقد رد القران عليهم بما يضطرهم الى الاعتراف بالحق ، والرجوع الى الصواب .  
وفي عصرنا هذا وجد من ينكر الله تعالى ، ويتهم الدين بأنه مخدر  
للشعوب وذلك تحت تأثير المذاهب الهدامة ، بسبب تعارض الدين ، و عقيدة  
الاله مع صالح هذه المذاهب أو مبادئها . . . .  
والقران الكريم في معرض الحديث عن الباري عز وجل ، والاستدلال عليه  
سلك مسلكين متوازيين متقابلين .

فهو ان يرد على من انحرفت فطرهم أو اختلفت بسبب عوامل اختلفت فيهم  
هذه المعرفة الالهية ، يوجه الناس الى النظر في الكون الفسح للتعرف على  
عظمة الله وقدرته ، واحكام صنعه واتقانه ، وعنايته التامة بكل ما في العالم  
من تناسق ، وتضامن ، وانسجام واختلاف ، وترباط بين اجزائه  
ووحداته . . . .

١ - المسلك الاول : الرد على من انحرفت فطرهم :

=====

أقول : ان تحقق التدوين الاجمالي أمر مركز في النفوس . وان معرفة  
الرب والاتقار به خالقا وصانعا فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا  
بين مسلم ويهودي ، ونصراني . . . . وملحد .

---

١ - طائفة قديمة تانكرت الصانع وزعمت ان العالم قديم ، ولم يزل الحيوان  
من النطفة ، والنطفة من الحيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون ،  
فالجامع هو الطبع ، والمهلك هو الدهر ، او كما يقولون : ارحسام  
تدفع وارض تبلع والمهلك هو الدهر . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية  
لابن تيمية ص ١٠٩ - ١١٠ .

الا ان هذه الفطرة قد تختفي وراء غواش طارئة ، أذكر منها :-  
١ - تلك الشبهات المختلفة ، والأفكار الخبيثة التي يشيعها الملاحدة ،  
والاباحيون في مختلف العصور ، وفي كل مكان ، صدا عن سبيل الله ،  
وتحلا من الشرائع والأديان ، ومن القيم النبيلة ، ومكارم الأخلاق ،  
ولا سيما تلك المذاهب الحديثه كالشيوعية " ١ " ، والعلمانية " ٢ " ،  
والمقلانية " ٣ " . . . الخ ، التي تسعى في اصرار عنيد الى هدم  
المثل العليا الفاضلة ، تدعو اول ما تدعو الى نهد الدين والكفر برب  
العالمين . " ٤ "

- 
- ١ - انظر نقض أوهاام المادية الجدلية ، للبوطي .
  - ٢ - معناها : اقامة الحياة على غير اساس من الدين / انظر كتاب :  
العلمانية نشأتها وتطورها واثارها في الحياة الاسلاميه  
المعاصرة ، سفر عبد الرحمن ، دار مكة للطباعة  
والنشر ١٤٠٢ / ١٩٨٢م ، ص ٢١ - ٢٤ .
  - الطبعة الاولى .
  - ٣ - التي تؤمن بما يقع تحت مجهر الحس والعقل فقط ، وتنكر ما وراء الطبيعة  
او ما يسمى بالميتافيزيقا .
  - ٤ - انظر كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء  
الاوروبيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ترجمة الدمرداش  
عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، دار  
احياء الكتب العربية ١٩٦١م ص ٣٣ .

- ٢ - انصراف الانسان الى ملذاته و شهواته ، لا سيما تلك التي حرمها الله تعالى وحث على تركها الرسل الكرام . بل ان الانسان في مشاغله الجاهلة الضرورية ينس في كثرتها ، وقسوتها ما استكن في نفسه من الفطرة ، خصوصا اذا توفرت له الهيئة الفاسدة التي هي من اشد العوامل خطورة على الفطرة . " ١ "
- ٣ - التقليد والتعصب الأعمى للمذهب ، وفي ذلك ابطال شرف العقل ومكانته ، لأنه انما خلق للتأمل والنظر ، وفيه ايضا حجر على المواهب واقفال لمنافذ المعرفة . " ٢ "
- ٤ - المبالغة في تعظيم بعض المخلوقات وتقديسها ، الى حد عبادتها والتوجه اليها ، وهذا يخفي في الانسان ما فطر عليه من عبادة الخالقية والربوبية وتقديسها . " ٣ "
- تلك هي بعض العوامل التي قد تختفي وراءها الفطرة ، والتي لو انقشعت ، لظهرت الفطرة واضحة جليلة ، وليرجع الانسان بفطرته الى ربه .

- 
- ١ - انظر كتاب : عقيدة المسلم ، للشيخ محمد الخزالي ص ١٧ .
- ٢ - انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، محمد المجذوب ، ط ٢ ، دار الاعتصام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ص ٢٢ .
- ٣ - انظر كتاب : دستور الاخلاق في القران ، محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق الدكتور : عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوي ، مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية ، الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ص ١٩٨ / وانظر كتاب : تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ، لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق خير الدين علي ، بيروت ، دار الوحي العربي ص ٦٩ .

ولقد جاء في القرآن ما يرد على هؤلاء في كثير من الايات . فقد رد

على الدهرية :

قال تعالى : " وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا

الا الدهر " . " ١ " .

فكذبهم وقال :

" وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون " " ٢ " .

اي ان قولهم هذا مني على الظن والتخمين ، لان من كان يريد الحق يكتفي النظر الى حدوث الحياة في الاجسام ، وفي هذا الدليل الكافي علي ان هناك موقدا للحياة ، ومنعما بها وهو الله سبحانه . وان ظهور الحياة في حد ذاته دليل للاقناع بوجود

الاله الخالق .

قال تعالى : " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين

تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له " " ٣ " .

وقال : " فلينظر الانسان مما خلق ، خلق من ماء دافق " " ٤ " .

وقال : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت " " ٥ " .

وقد رد الله عليهم بضرورات فكرية ، وايات فطرية .

منها : —

١ — قوله تعالى حاكيا قول رسل الامم المنكرة للخالق : " قالت رسلهم افسى

١ الله شك فاطر السموات والارض " " ٦ " .

١ — سورة الجاثية اية ( ٢٤ ) .

٢ — سورة الجاثية اية ( ٢٤ ) .

٣ — سورة الحج اية ( ٧٢ ) .

٤ — سورة الطارق الايات ( ٥ — ٦ ) .

٥ — سورة الفاشية اية ( ١٧ ) .

٦ — سورة ابراهيم اية ( ١٠ ) .

فهو سبحانه لا يحتجب الشك ، لظهور الأدلة وشهادتها عليه .

٢ - قال تعالى : " ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ، إن يشأ

يدهبكم ويأت بخلق جديد " ١ "

٣ - وقال تعالى : " ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين " ٢ "

٤ - وقال تعالى : " قل أئنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له

اندادا ذلك رب العالمين " ٣ "

٥ - وقال تعالى : " ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة

وهو على جمهم إذا يشأ قدير " ٤ "

٦ - وقال تعالى : " أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من

شيء " ٥ "

٧ - وقال تعالى : " قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار " ٦ "

٨ - وقال تعالى : " أم ينسأ الخلق ثم يميدده ومن يرزكم من السماء

والأرض أله مع الله قل هاأوا برهانكم إن كنتم صادقين " ٧ "

٩ - وقال تعالى : " ومن آياته إن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر

تنتشرون " ٨ "

---

١ - سورة إبراهيم آية (١٩) .

٢ - سورة المؤمنون آية (١٧) .

٣ - سورة فصلت آية ( ٩ ) .

٤ - سورة الشورى آية ( ٢٩ ) .

٥ - سورة الاعراف آية ( ١٨٥ ) .

٦ - سورة الرعد آية ( ١٦ ) .

٧ - سورة النمل آية ( ٦٤ ) .

٨ - سورة الروم آية ( ٢٠ ) .



١٠ - وقال تعالى : " أفعمينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد " <sup>١</sup>

هذا غيضي من فيض من آيات الله الدالة على الخالق سبحانه ،  
وهي أدلة بينه في نفسها ، لا تحتاج الى فلسفة متفلسف ، أو كلام  
متكلم .

هذا وان الوقوف على الاختراع الحقيقي في الموجودات يهب قطعا  
معرفة المخترع وهو الله سبحانه .

وقد أكد الله سبحانه هذا بقوله : " أم خلقوا من غير شيء أم  
هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون " <sup>٢</sup>

هذه الآية الكريمة تضطر المتفكر ، المتمعن فيها الى الاعتراف  
بأن الشئ لا يخلق نفسه ، ولا يخلق من غير خالق . فلا هذا ولا هذا بل هو  
الله خالق كل شيء ابتداء ، واعادة . <sup>٣</sup>

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ،

انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا " <sup>٤</sup>

---

١ - سورة ق آية ( ١٥ ) .

٢ - سورة الطور الايات من ( ٣٥ - ٣٦ ) .

٣ - انظر تفسير ابن كثير " تفسير القران العظيم " ابو الفداء اسماعيل بن

كثير القرشي الدمشقي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت ،

الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م ( ٦ : ٢٦٩ ، ٤٣٦ ) ،

وانظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو

تفسير القران الكريم ، لمحمود بن عمر الزمخشري . مطبعة الاستقامة ،

الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م ( ٢ : ٣٦٩ ) ،

( ٣ : ٥١٢ - ٥١٣ ) ، ( ٤ : ٢٥ ) .

٤ - سورة الانسان الايات من ( ١ - ٢ ) .

وهي ايضا دليل واضح يفهمه كل من اوتي نصيبا من التفكير ، وسمح لعقله  
أن ينظر فيها من غير تعقيد أو تقليد ، بعيدا عن التعصب الأعمى والمكابرة  
البغيضة .

وله أن يقول فيها كما تقول :-

يستنكر الله في هذه الآية حالتين وفرضين ، هما :

١ - يستنكر ان يخلقوا من غير خالق .

٢ - ويستنكر ان يخلقوا أنفسهم .

وهذا الذي استنكره واضح البطلان بالضرورة ، اذ كيف يخلق

الشيء من العدم من غير خالق وموجد ؟

وأبعد من هذا ان يخلقوا أنفسهم .

فالخالق بدهة غير المخلوق ، بل هو مقدم عليه ، فكيف يكون المخلوق

هو الخالق ؟

وكيف يتقدم الشيء على نفسه ؟

فالنتيجة الحتمية أنه لا يد لهم - بل لكل مخلوق - من خالق آخر غيره .

وهكذا ، جرى الكتاب المبين في عديد من آياته البينة أن يستدل بالخلق

على الخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( ان الاستدلال بهذه الطريقة فطري بديهي ، مستقر في النفوس

لا يمكن لأحد أن ينكره ، يقول :- أخلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا ممنوع

في بدهة العقل . أم هم خلقوا أنفسهم ؟ ، فهذا أشد امتناظا . فعلم

ان لهم خالقا خلقهم وهو الله سبحانه . . . . . وقد ذكر الدليل بصيغة استفهام

الانكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس

لا يمكن لأحد انكارها ، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعي وجود حادث بدون

محدث أحدثه ، ولا يمكنه أن يكون هو أحدث نفسه ( " ١ " )  
والاستدلال بهذه الطريقة ، وبهذا الأسلوب ، استدلال علي ايضاً -

لا ينكره الا مسلوب العقل ، أو غافل ، أو ممطل جاحد .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

( فصل الممطل الجاحد ما تقول في دولا ب دائر على نهر ،

قد أحكمت آلاته واحكم تركيبه ، وقدرت آلاته أحسن تقدير ، وقد جعل على  
حديقة عظيمة فيها من انواع الثمار والزروع ، يسقيها حاجتها ، وفي تلك الحديقة

من يلم شعشها ، ويحسن مراعاتها . اترى ذا اتفاقاً " ٢ " من غير فاعل ،

ولا قيم " ٣ " ولا مدبر ؟ أفترى ما يقول لك عقلك في ذلك لو كان ؟

وما الذي يفتيك به وما الذي يرشدك اليه ؟ ( " ٤ " )

وان من اكثر الايات القرآنية دلالة ووضوح في الاستدلال ، اية

سورة العلق ، وهي قوله تعالى :

( اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق ) ( " ٥ " )

---

١ - الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، طبعة بومباي ، ١٩٦٨ م ، ص

( ٥٢ - ٥٣ ) .

٢ - يعني صدفة .

٣ - القيم : الخادم الذي يوعى شؤون الحديقة .

٤ - كتاب : مفتاح دار السعادة ، ومشور ولاية العلم والارادة ، لابن القيم ،

طبعة القاهرة ١٣٢٣ هـ ( ١ : ٢٢٥ ) .

٥ - سورة العلق الايات من ( ١ - ٢ ) .

فهذه أول آية من أول سورة انزلت في القرآن الكريم "٢" ، تضع الانسان مباشرة امام كثير من الاسئلة والتساؤلات التي لا مناص ازاءها من الاقرار ، والتسليم بمقصودها الا وهو الاعتراف بالخالق .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

فذكرت الخلق مطلقا ومقيدا ، لتنبه الانسان في كل أحواله ، ان هذا الخلق لا بد له من خالق ، ثم ذكرت خلق الانسان من طقة ، ليكون الانسان نفسه هو الدليل الذي يستدل به على خالقه ، وهذا دليل قطري يعرفه كل فرد من داخل نفسه . "٢"

وهكذا يتفق السلف "٣" ، ومعهم جمهور فقهاء المتكلمين "٤" ، وبعض الفلاسفة "٥" من المسلمين ، على أن أدلة القرآن في الاستدلال على وجود الله هي أدلة سمعية ، وعقلية ، وشمورية ونفسانية فطرية ، لا يسح الانسان سوى ، صاحب العقل السليم والنفس المطمئنة ، والاحساس الحي الا ان يسلم بها تسليما ، ويقول ربي الله خالق كل شيء .

- 
- ١ - انظر كتاب الثقافة الاسلامية ، تأليف نخبة من العلماء المسلمين ، تقديم الدكتور راشد الراجح الشريف ، جامعة أم القرى ، المستوى الثاني ص (١٠) / ومجموع الفتاوى ج ١٦ ص ٢٥٤ .
  - ٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٦ ( ٢٦٠ : ٢٦٢ ) بتصريف ، تصوير الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ .
  - ٣ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد ، تأليف الدكتور محمود احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ( ١ : ١٥٤ ) .
  - ٤ - انظر : الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ( ٣ : ٧٩ - ٨٠ ) .
  - ٥ - انظر : مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٢ - المسلك الثاني : العناية الالهية بما يرى في العالم :

=====

النظر الى هذا الكون الفسيح ، وما فيه من اتقان وابداع ،  
ونظام دقيق رتيب ، يشهده اجمالا جميع الناس ، لا فرق بين عالمهم  
وجاهلهم ..... ويشهده تفصيلا اولئك الذين تخصصوا في كثير من العلوم الكونية  
كعلم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم الحيوان والنبات ، وعلم طبقات الارض ،  
وعلم الفضاء في العصر الحاضر ..... الخ .  
لقد اكتشف هؤلاء من أسرار الكون ، واياته ، ما خفي على جماهير  
الناس ، وعلمتهم ، وصدق الله العظيم " سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم  
حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد " (١) .  
فان هذه النظرات في الانفس والافاق ، تشهد بما لهذا الكون  
من رب وصانع ، ومن هنا كان هذا العامل ، منبها للفطرة ، حيث ينتهي هذا  
النظر الى النتيجة التي فطر الناس عليها .  
وتتكلم في هذا المسلك القرآني بشيء من التفصيل ،

فنقول :

ان الحس المجرد ، بواسطة العين ، وما تراه من سماء مرفوعة  
بغير عمد ، امتلأت بالكواكب والنجوم ، كل منها يتحرك في مدار لا  
يخطي " لا الشمس ينهي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في  
فلك يسبحون " (٢) .

وأرض مبسوطة فيها البحار والانهار ، والجبال والسهول والوديان  
وفي بطنها ألوان من المعادن كثيرة " وفي الارض ايات للمؤمنين " (٣) .

- 
- ١ - سورة فصلت اية ( ٥٣ ) .
  - ٢ - سورة يس اية ( ٤٠ ) .
  - ٣ - سورة الذاريات اية ( ٢٠ ) .

كل ذلك يكفي الناظر الى الالتفات الى موجد ذلك ومبدعه .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

( فالآيات المخلوقة والمتلوة ، فيها تبصرة ، وفيها تذكرة ،

تبصرة من العمى ، وتذكرة من الخفلة ، فيبصر من لم يكن عرف فيعرف ،

ويذكر من عرف ونسي ) " ١ " .

وفي عجائب الكون آيات والآلاء ، واسرار وحكم ، ١٠٠٠ دهشت الباحثين

حتى حيرتهم ، ولفتت انتباه السالكين حتى أوصلتهم الى ربهم ، فهذا البدوى

البسيط ، استجاب لنظرة الى السماء والارض ، فما اروع ما قال : " ان البعرة

تدل على البعير ، واثرا الاقدام يدل على المسير ، فهيكل علوى بهذه اللطافة

ومركز سفلي بهذه الكثافة ، اما يدلان على اللطيف الخبير ؟ بلى .

يقول الاستاذ ابو الحسن الندوى :

( ان هذا الكون مليء بالأسرار ، مليء بالعجائب ، وان جماله

ليشهر الألباب ، ويشير الدهشة والاستغراب ) " ٢ " .

ويقول الاستاذ دراز :

( فما ظنك بقصر السماء سقفه ، والارض قراره ، والجبال اوتاده

والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحها ، ١٠٠٠ او لا يكون احق بلفست

النظر الى بارى ومصور حي قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ) " ٣ " .

---

١ - كتاب : الايمان ، لابن تيمية ، تصحيح وتعليق محمد خليل هراس ،

دار الطباعة المحمدية ص ٢٠٠ .

٢ - كتاب : النبوة والانبياء في ضوء القرآن ، ابو الحسن الندوى ص ١٣٧ .

٣ - كتاب : الدين ، محمد عبد الله دراز ص ١٢٢ .

أفلا يكون هذا أكبر شاهد على صدق الفطرة ، وان لهذا الكون صانعا ،  
فالتقى النظر والفطرة ، فتضافرت الفطرة والنظر الى هدف واحد وهو ان لهذا  
العالم صانعا مدبرا ، فكان النظر مجليا للفطرة حيث ينتهي النظر الى ما  
فطر عليه .

ولنستمع الى ما قاله علماء الغرب المتخصصون في هذا الموضوع " ١ " :

١ - يقول ا . كريس موريسون " ٢ " : ( لو أن حجم الكرة الأرضية كان  
أكبر مما هو عليه أو أصغر ، ولو أن سرعتها كانت مختلفة عما هي عليه ،  
لكانت أبعد أو أقرب من الشمس مما هي عليه ، ولكانت هذه الحالة  
ذات اثر هائل في الحياة ، من كل نوع ، بما فيها حياة الانسان ، ولما أمكن  
وجود الحياة فوقها ) " ٣ "

٢ - يقول فرانك ألن : " ٤ "

١ - انما استشهد بأقوالهم لان كثيرا من المرتدين من ابناء جلدتنا ، درسوا  
في الغرب نظريات داروين ، وماركس ، وهيغل ، وفرويد . . . .  
ولكي أقول لهؤلاء : شهد شاهد من أهله .

٢ - رئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك ، ورئيس الاكاديمية العلوم فيها .

٣ - كتاب : العلم يدعو الى الايمان ، تأليف كريس موريسون ، ترجمة

محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن الباقوري ، تقديم احمد زكي ،

الطبعة السادسة ، نيويورك ، القاهرة مؤسسة فرانكلين للطباعة

والنشر ١٩٧١ م ص ( ٥٣ ) .

/ وانظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ، الطبعة الخامسة ١٣٨٦ هـ

— ١٩٦٧ م ( ٣ : ٢٥٥ - ٢٥٨ ) .

٤ - عالم الطبيعة البيولوجية ، دكتوراة من جامعة كورنك ، استاذ الطبيعة

الحيوية بجامعة مانيتو بكندا ، اخصائي في ابصار الألوان والبصریات

الفسيولوجية ، ونتاج الهواء السائل حائز على وسام تورى الذهبي للجمعية

الملكیة بكندا .

( ان البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية ،  
وهي تتكون من خمسة عناصر : الكربون ، والايدروجين ، والنيروجين ،  
والاكسجين ، والكبريت ، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد  
( ٤٠٠٠٠ ) ذرة . أما الذرة فهي مؤلفة من جزيئات كهربائية سالبة ، وموجبة  
والموجبة يطلق عليها اسم البروتون ،  
والسالبة يطلق عليها اسم الالكترون ، وبعض الذرات فيها زيادة على ذلك شحنة  
متعادلة تسمى " نيوترون " ، والبروتون ، والنيوترون يشكلان نواة الذرة ،  
بينما الالكترون يشكل كواكبها السيارة التي تدور حولها بسرعة هائلة ، وبحركة  
اهليجية ) " ١ "

يكفي هذا من علماء أجنب ، خصصوا معظم وقتهم للاطلاع والبحث ،  
وصدق الله العظيم " أنتم اشد خلقا أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ،  
واغطش ليلها واخرج ضحاها ، والارض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها  
ومرعها ، والجبال ارساها مثاقيلكم ولأنعامكم " " ٢ "

أما الانسان :

=====  
ففي خلقه اتقان واحكام ، وهو اقرب وأظهر من بقية المخلوقات  
ومن ثم ، صيغ الأمر بالنظر في الآية في صورة الاستفهام الذي يشعر باللوم  
والتقصير ،

---

١ - عن كتاب : الله يتجلى في عصر العلم ص ١٢ .  
وانظر : كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقربان ، للشيخ نديم  
الجسر ، الطبعة الثالثة بيروت ، المكتب الاسلامي - لبنان ١٣٨٩ هـ  
- ١٩٦٩ م .

٢ - سورة النازعات الايات من ( ٢٧ - ٣٣ ) .



قال تعالى : " وفي أنفسكم أفلا تبصرون " ١٠٠ " .  
فان أقرب شيء الى الانسان نفسه ، فاذا نظر فيها وجد آثار التدبير  
فيه ظاهرة ، والعناية الالهية تامة .  
ومن أظهر ما يدركه المدرك ما جعل الله في الانسان من عينين وأذنين  
وفم ، وفتحات البول والغائط وقد هيأها الله لتؤدي ما جعل اليها من اعمال ،  
فكلمها بما يصونها مما يؤذيها ، لتؤدي مهمتها ، وقد وضعها في أماكن على  
وضع تبدو منه جميلة " فتبارك الله أحسن الخالقين " ٢٠٠ " .  
وقوام الانسان جميل ورشيق قال تعالى : " لقد خلقنا الانسان في  
أحسن تقويم " ٣٠٠ " ومهياً لعمارة الارض والمعيش فيها الى الاجل المحتوم ،  
قال تعالى " هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها " ٤٠٠ " .  
يمشي ، ويقعد ، يتحرك ويسكن ، خلق فيه القدمين والساقين ،  
والفخذين ثم الجذع وعلى جانبيه الذراعان ، ثم العنق ثم الرأس ، وفيه من  
الحواس الظاهرة والباطنة ما هو في امس الحاجة اليه :  
قال تعالى : " ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهدىناه النجدين " ٥٠٠ " .  
وقال تعالى : " والله اخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع  
والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " ٦٠٠ " .

- 
- ١ — سورة الذاريات اية ( ٢٠ ) .
  - ٢ — سورة المؤمنون اية ( ١٤ ) .
  - ٣ — سورة التين اية ( ٤ ) .
  - ٤ — سورة هود اية ( ٦١ ) .
  - ٥ — سورة البلد الايات ( ٨ — ١٠ ) .
  - ٦ — سورة النحل اية ( ٧٨ ) .

فكل مفكر يدرك في الانسان وخلقته ، اتقاناً واحكاماً بيننا ، ويدرك تمام الادراك  
ان وراء هذا الاتقان الظاهر والاحكام البين أسراراً من الحكم ،  
ومن ثم كان النظر في الأنفس عاملاً ينبه الفطرة ، حيث انه يسوق الى  
ما تنطق به وهو الرب تعالى .

قال الشيخ الاشعري رحمه الله :

( الانسان اذا فكر في خلقته من أى شيء ابتداء ، وكيف دار  
في أطوار الخلق ، طورا بعد طور ، حتى وصل الى كمال الخلقه ..... عرف  
بالضرورة أن له صناعاً ) " ١ "

وقال الامام ابن الجوزي " ٢ " رحمه الله :

( من أكبر الأدلة على وجود الخالق ، ان هذه النفس الناطقة  
المحيية ، المحركة للبدن ، على مقتضى ارادتها ، والتي دبرت مصالحها ،  
ولتقت الى معرفة الأفلاك ، واكتسبت ما امكن تحصيله من العلوم وشاهدت الصانع  
في المصنوع فلم يحجبها ستر وان تكاثف ، ولا يعرف مع هذا ما هيئتها ، ولا  
كيفيتها ولا جوهرها ولا محلها ، ..... ولا يفهم من اين جاءت ، ولا يدري اين  
تذهب ، ولا كيف تعلقت بهذا الجسد ، وهذا كله يوجب طيها ان لها مديراً

---

١ - انظر : الطل والنحل ، للشهرستاني ، الناشر مكتبة المشفى ببغداد

( ١ : ١١٩ ) .

٢ - ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، احد كبار العلماء ،  
جمع نحواً من ثلاثمائة مصنف ، عالم بالتفسير والحديث ، والتاريخ والحساب  
والنجوم والطب ، والفقه . اثنى عليه كثير من العلماء ، كابن تيمية ،  
والحافظ الذهبي ، وابسن خلكان توفي سنة ٥٩٧ هـ ببغداد ،  
ودفن بالقرب من مدفن احمد بن حنبل . / انظر مقدمة كتاب صيد  
الخطير .

وخالفا تعرفه ، وكفى بذلك دليلا عليه ( "١" )  
وأنا لا أستطيع أن أحصي كل شيء عن الانسان ، وما زال العلم عاجزا عن معرفة كنهه . فهناك علم الاجنة ، وعلم الوراثة ، وعلم الانسجة ، وعلم التشريح وعلم الشكل الخارجي . . . . . وعلوم اخرى غيرها ، يقف اصحابهما مههورين امام آيات الله في الانسان ، وكلما ازداد الانسان علما ، كلما ظهر جهله . "٢"

يقول ابن تيمية رحمه الله :

( والاستدلال على الخالق بخلق الانسان في غاية الاستقامة

والحسن ، هي طريقة عقلية صحيحة ، وهي شرعية ، دل عليها القران ،

وهدى الناس اليها وبينها وارشد اليها ) "٣"

وصدق الحق تعالى قال :

١ - " أفرايتم ما تمنون أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون " "٤"

٢ - " فلينظر الانسان مما خلق خلق من ماء دافق " "٥"

٣ - " ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون " "٦"

- 
- ١ - كتاب : صيد الخاطر ، لابن الجوزي ، مراجعة وتعليق الشيخ عيسى الطنطاوى ، تحقيق ناجي الطنطاوى ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص ٢٢٧ .
  - ٢ - انظر كتاب : الانسان ذلك المجهول تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت ١٩٧٤ م .
  - وانظر كتاب : الطب محراب الايمان ، لخالص جلي ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
  - ٣ - كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٥٢ الطبعة السلفية .
  - ٤ - سورة الواقعة آية ٥٨ .
  - ٥ - سورة الطارق الايات ( ٦ - ٧ ) .
  - ٦ - سورة الروم آية ( ٢٠ ) .

٤ - " والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون " ١ "

٥ - " الذى خلقك فسواك فعدلك في اى صورة ما شاء ركبك " ٢ "

وأقسم بثلاثة محال بعث في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم ،

اصحاب الشرائع الكبار " ٣ " فقال :

" والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الامين ، لقد

خلقنا الانسان في احسن تقويم " ٤ "

===

---

١ - سورة النحل اية ( ٧٨ ) .

٢ - سورة الانفطار الايات ( ٧ - ٨ ) .

٣ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي

الصابوني ، دارالقران الكريم ، بيروت ، الطبعة الرابعة ،

١٤٠١ هـ ، المجلد الثالث ، ص ٦٥٤ .

٤ - سورة التين الايات ( ١ - ٤ ) .

" آيات قرآنية تجمع بين المسلكين "

=====

في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا ، جمعت بين دليلي الخلق

والعناية •

خذ مثلا : قول الحق تبارك وتعالى :

١ - " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم

تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً . وانزل من السماء

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم

تعلمون " ١ "

في هذه الآية تنبيه على دلالة الخلق ، وإشارة إلى العناية

الإلهية الدالة على الخالق •

فإن المقطع الأول من الآية " الذي خلقكم والذين من قبلكم " يفيد

الأول والمقطع الأخير " الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وانزل من السماء

ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم " يفيد الثاني •

٢ - " الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به

من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم

الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائمين وسخر لكم الليل والنهار " ٢ "

في هذه الآية أيضا تنبيه على دلالة الخلق ، وتنبيه على العناية

الإلهية بالإنسان ، الدالة على الخالق المسخر •

---

١ - سورة البقرة الآيات ( ٢١ - ٢٢ ) •

٢ - سورة إبراهيم الآيات ( ٣٢ - ٣٣ ) •

فان صدر الاية " الله الذى خلق السموات والارض " يفيد الأول •  
واقية الاية " وانزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك  
لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الانهار ٠٠٠ " الى اخر الاية " يفيد الثاني •  
٣ - " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه  
ياكلون " ٠ " ١ "

ففي احيائه تعالى للارض الميتة بالنبات اشارة الى الخلق ، وفي اخراجه  
منها ما يؤكل منه قوام الحياة عليها ، تنبيه على دلالة العناية الالهية بهذا الانسان  
٤ - " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، والفلك  
التي تجرى في البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء  
من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف  
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يوقنون " ٢ •  
٥ - " واية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه

ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من  
العيون لياكلوا من ثمره وما عملته ايد يهم افلا يشكرون سبحانه الذى  
خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون •  
واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري  
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قد رناه منازل حتى  
عاد كالمرجوج القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا  
الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون " ٣ "

١ - سورة يسن اية (٣٣) •

٢ - سورة البقرة اية (١٦٤) •

٣ - سورة يسن الايات (٣٣ - ٤٠) •

٦ - " يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى

الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنثرون ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٥ ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السننكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يرزقكم الهرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون " ١ "

٧ - " خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق

الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفيء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالفيه الا بشق النفس ان ركب لرؤوف رحيم ٥ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حليه تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقي في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسهلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون

أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله  
لغفور رحيم "١" .

ففي هذه الايات ، وغيرها ، تنبيه على دلالة الخلق ، وعلى مدى  
عناية الله سبحانه بالمخلوق البشرى .

وفيهما بيان كرمه تعالى عليه بأن جعل بقية المخلوقات طوع ارادته ،  
وفي خدمته الا بعضها مما لا يقدر عليه الانسان .

ونحن نرى كيف أن الانسان يستفيد من نزول الماء ، وحلول الليل ،  
ومجئ النهار ، وضياء القمر ، وشروق الشمس ، وزينة الكواكب ، وركوب البحر  
والجمال ، والخيول ، والبغال ، والحمير ، . . . . الى اخر هذه النعم  
التي لا تعد ولا تحصى .

انها ايات ربانية ، عقلية واضحة وفي غاية اليسر والبساطة ، وتصلح  
لجميع المستويات العقلية ، وليس فيها اي تعقيد يفرضه الناس .

انه مسلك قرآني فريد جمع فيه بين المسلكين ، ومنهج مستقل أغنى به  
الناس عن منهج الفلاسفة والمتكلمين ، وهو منهج عقلي شرعي واضح متميز ، دل



عليه القرآن وهدى الناس اليه " ١٠ "

١ - بتصريف عن :

- كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، دكتور  
محمود احمد خفاجي ( ١ : ١٥٨ - ١٦٣ ) .
- كتاب : مناهج الادلة في عقائد الملة لابن رشد مع مقدمة  
محمود قاسم وتحقيقه ص ١٥٠ - ١٥٢ .
- كتاب : جامع البيان عن تأويل القرآن للطبري ، تحقيق وتخريج  
محمود شاکر ، دارالمعارف بمصر ، وطبعة دارالمعرفة  
للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ( ١٦ : ٣٢٦ ) .
- كتاب : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، أو  
نقص تأسيس الجهمية لابن تيمية ، تصحيح وتكميل محمد  
بن عبد الرحمن بن قاسم ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ،  
الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ ( ١ : ١٧٤ - ١٧٦ )
- كتاب : التبيان في اقسام القرآن لابن القيم ، تصحيح طه يوسف  
شاهين ، دارالطباعة المحمدية بالازهر ص ٢١٧ .

الفصل الثاني : " وحدانية الله تعالى " :

=====

قدمة :

=====

توحيد الله سبحانه وتعالى ، من أهم الأركان التي قامت

عليه رسالات الرسل ، عليهم السلام ، وأول منازل الطريق

وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل . " ١ "

قال تعالى : " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا

أنا فاعبدون " . " ٢ "

وقال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت " . " ٣ "

وفي هذا الفصل سأبين رأي الشيخ " محمد عبده " في :

الوحدانية ، وتفرد المولى عز وجل بالألوهية ، وأدلته على ذلك ، ثم

انقد ما يستحق النقد منها على ضوء كلام السلف ، وأهل الحق جميعا رضي

الله عنهم .

" رأي الشيخ محمد عبده في الوحدانية "

=====

تحدث الشيخ " محمد عبده "

في وحدانية الله ، كثيرا عند تفسيره قول الحق سبحانه وتعالى " والمهكم اله

واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم " . " ٤ "

وقول الحق أيضا " الله لا اله إلا هو الحي القيوم " . " ٥ "

---

١ — انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٤ .

٢ — سورة الأنبياء آية ( ٢٥ ) .

٣ — سورة النحل آية ( ٣٦ ) .

٤ — سورة البقرة آية ( ١٦٣ ) .

٥ — سورة البقرة آية ( ٢٥٥ ) .

كما بين في " رسالة التوحيد " المعنى المراد بالوحدانية ، وقال انها  
ما يجب لله تعالى ذاتا ووصفا وافعالا .  
وفي هذا الفصل ، سأقتصر على الكلام ، في : " الوحدانية في الذات "  
فقط مرجحا الحديث عن الصفات ، والافعال الى الفصلين اللاحقين ، وذلك  
لأهمية كل واحد ، واستحقاقه فصلا خاصا .

١ - رأيه وأدلته :

=====

أ : - رأيه العقلي في اثبات الوحدة :

بمعنى عدم تعدد الذات

=====

الواجبة .

يرى الشيخ محمد عبده ان مما يجب الاعتقاد به : استحالة التركيب

في حقه تعالى ، ويمزق ذلك للأسباب التالية :- " ١ "

١ - لانه تعالى لو تركب لتقدم وجود كل جزء من اجزائه على وجود

جملة التي هي ذاته .

وكل جزء من اجزائه ، غير ذاته بالضرورة ، فيكون وجوده جملة

محتاجا الى وجود غيره .

٢ - ولانه تعالى لو تركب لكان الحكم له بالوجود موقوفا على الحكم

بوجود اجزائه ولا مرجح لان يكون الوجوب له دون كل جزء من

اجزائه ، بل يكون الوجوب لاجزائه ارجح فتكون هي الواجبة

دونه .

---

١ - انظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،

( ٣ : ٣٢٠ ) .

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا : استحالة ان يقبل الواجب القسمة لانه  
لو قبل ذلك لعاد الى غير وجوده الواجب ، وصار الى وجودات متعددة فيكون  
ذلك قبولا للمعدم او تركها وكلاهما محال \* ١ \*  
هذا رأيه وادلته في اثبات ذات واجبة غير متعددة ، وهو مسلک عقلي اقتضى  
فيه طريق الفلاسفة ، فان هذا هو عمدتهم فيما يدعون من التوحيد ، وهو حجة  
باطلة كما سترى .

ب : - رأيه الشرعي في اثبات اله واحد .

=====

يرى الشيخ \* محمد عبده \* ان في القرآن الكريم كثيرا من  
الآيات التي تشير الى ان في الكون ، من الآيات ما يدل على وحدانية الله تعالى .  
وأظهر هذه الآيات وأشهدها قوله تعالى \* واليهكم اله واحد لا اله الا  
هو الرحمن الرحيم . ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلک التي  
تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد  
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض  
لايات لقوم يعقلون \* ٢ \*

قال : وهذه الآيات اجتناس : - ٣ \*

( ٢٤ ) : الأول والثاني :

=====  
منها خلق السموات والارض ، ففيه آيات بينات  
كثيرة الانواع يدعش المتأملين بعض ظواهرها . فكيف حال من اطلع على ما اكتشف  
العلماء من عجائبها ، الدال على ان ما لم يعرفوه اعظم مما عرفوه منها ؟

- 
- ١ - نفس المصدر ( ٣ : ٣٧١ ) .
  - ٢ - سورة البقرة الآيات ( ١٦٣ - ١٦٤ ) .
  - ٣ - انظر تفسير المنار ( ٢ : ٥٧ - ٦٤ ) ، بتصريف الطبعة الثالثة .

تألف هذه الاجرام السماوية من طوائف يبعد بعضها عن بعض بما يقدر  
بالملايين ، وألوف الملايين من سني سرعة النور ، ولكل طائفة منها نظام كامل  
محكم ، ولا ييطل نظام بعضها نظام الاخر ، لان للمجموع نظاما عاما واحدا يدل على  
انه صادر عن اله واحد ، لا شريك له في خلقه وتقديره ، وحكمته وتدبيره ،  
واقرب تلك الطوائف اليانا ما يسمونه " النظام الشمسي " نسبة الى شمسنا هذه التي  
تفيض انوارها على ارضنا ، فتكون سببا للحياة النباتية والحيوانية فيها ، والكواكب  
الطابعة لهذه الشمس مختلفة في المقادير والابعاد ، وقد استقر كل منها في مداره  
وحفظت النسبة بينه وبين الاخر ، بسنة الهية منتظمة حكيمة يعبرون عنها بالجاذبية  
العامة ، ولولا هذا النظام لانفلتت هذه الكواكب السابحة في افلاكها تصدم  
بعضها بعضا ، وهلكت العوالم بذلك .  
فهذا النظام اية على الرحمة الالهية ، كما انه آية على الوجدانية .  
هذه هي السموات تشير الى اياتها عن بعد . ( وفي الارض ايات  
للموقنين ) " ١ " ، في جرمها ، وماداتها ، وشكلها ، وعوالمها المختلفة  
من جماد ونبات وحيوان ، فلكل منها نظام عجيب ، وسنة الهية مضطردة في تكوينها  
وتوالد ما يتوالد من احيائها ، وغير ذلك حتى لو دقت النظر في انواع الجمادات  
من الصخور المختلفة الانواع ، والجواهر المتعددة الخواص والالوان لشاهدت من  
النظام فيها ومن انواع المنافع في اختلافها وتنوعها ما تعلم به علم اليقين انها  
ترجع في ذلك الى ابداع اله حكيم ، رؤوف رحيم ، لا شريك له في الخلق  
والتدبير .

٣ - الجنس الثالث :

===== قوله " واختلاف الليل والنهار " .

وهو ان يجيء احدهما ، فيذهب الاخر ، ويطول هذا فيقصد ذلك  
وكل ذلك بحسبان ، مضطربه في جميع الاقطار والبلدان ، ومثله اختلاف  
الفصول باختلاف مواقع العرض والطول .

وقد ذكر هذه الآية بعد خلق السموات والارض ، لان هذا الاختلاف  
هو اثر مقابلة الارض للشمس ، وحركتها بازائها ، وتفصيل ذلك مشروع في محله  
من العلم الخاص بهذه المسائل .

وفي المشاهد من اختلاف الليل والنهار ، والفصول وما للناس في  
ذلك من المنافع والمصالح ايات بيينات على وحدة مدع هذا النظام المضطرب ورحمته  
بعباده ، يسهل على كل احد ان يفهمها وان لم يعرف اسباب ذلك الاختلاف  
وتقديره .

وفي القران بيان لذلك في مواضع كثيرة كقوله تعالى : " وجعلنا الليل  
والنهار ايتين ، فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مهصرة ، لتبتهتوا فضلا من ربكم ،  
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا " . " ١ " .  
فهذه الآية تهدي الى ما في اختلاف الليل والنهار من المنافع العامة ،  
وفي معناها ايات اخرى ، قال تعالى : " يكور الليل على النهار ويكور النهار على  
الليل " . " ٢ " .

وقوله تعالى : " يفشي الليل النهار يطلبه حثيثا " . " ٣ " .

وصفوة القول في هذا المقام ان اختلاف الليل والنهار اثر من آثار النظام  
الشمسي . قلنا ان ذلك النظام يدل على وحدة واهبة ومقدرة ، ونقول ان اشارته

١ - سورة الاسراء اية ( ١٢ ) .

٢ - سورة الزمر اية ( ٥ ) .

٣ - سورة الاعراف اية ( ٥٤ ) .

تدل على ذلك ايضا .

٤ - الجنس الرابع :-

=====  
قوله : " والفلك التي تجرى في البحر " .

واما كون الفلك اية فلا يظهر بادي الرأي كما يظهر كونها رحمة من  
قوله " بما ينفع الناس " اى في اسفارهم وتجاراتهم ، وما يعرف في هذا العصر  
بالمشاهدة والاختبار اكثر مما كان يعرف في العصور السالفة ، اذ كانت الفلك  
شراعية ، فلم يكن البخار يسير امثال هذه البواخر والهواج العظيمة التي تحكي  
مدنا كبيرة ، فيها جميع المرافق التي يتمتع بها المترفون ، والملوك ، في  
الهرم من الاراك والسرر والحمامات وغير ذلك ، أو قلاط وحصونا فيها اقتل الات الحرب .  
وكل ذلك رحمة الاله الذى خلق هذه الاشياء ، وهدى اليها  
الانسان ، فلا بد لفهم كونها آية على وحدانيته ، من فهم طبيعة الماء ،  
وطبيعة قانون الثقل في الأجسام ، وطبيعة الهواء ، والريح ، وزد على ذلك  
معرفة طبيعة البخار والكهرباء التي هي العمدة في سير الفلك الكبرى ، في زماننا ،  
فكل ذلك يجرى على سنن الهية مضطردة منتظمة ، تدل على انها صادرة عن قوة  
واحدة هي هدر الابداع والنظام وهي قوة الاله الواحد الحكيم الرحمن الرحيم .

٥ - الجنس الخامس :-

=====  
قوله : " وما انزل الله من السماء من ماء " هذا

هو الماء في كونه مطرا وفي كونه سببا للحياة ، وهو اية في كيفية وجوده وتكونه ،  
فانه يجرى في ذلك على سنن الهية حكيمة تدل على " الوحدة " والرحمة .  
ثم انه اية في تأثيره في الموالم الحية ايضا ، فان هذا النبات  
يسقى بماء واحد هو مصدر حياته ، ثم هو مختلف في الوانه وطعمه ، وروائح ،  
فتجد في الارض الواحدة نبتة " الحنظل " مع نبتة " البطيخ " متشابهتين في  
الصورة متضادتين في الطعم ، وتجد في " النخلة " وتمرها ما تذوق حلاوة ولذة ،

وتجد في جانبها شجرة " الليمون " الحامض ، " والنارج " في ثمرها ما تعرف  
حموضة وملوحة ، وتجد بالقرب منها شجرة " الورد " لها من الرائحة ما ليس  
" للنخلة " ، وما يخالف في أريجها زهر " النارج " ، بل يوجد في الشجر  
ما له زهر ذكي الرائحة ، فاذا قطعت الفصن الذي فيه هذا الزهر تهبث  
منه رائحة خبيثة .

فتلك السنن التي يتكون بها المطر وينزل ، جارية بنظام واحد دقيق ،  
وكذلك طرق تغذى النبات بالماء هي جارية بنظام واحد ، فوحدة النظام وعدم  
الخلل فيه تدل على ان مصدره واحد ، فهو من هذه الجهة يدل على الوحدةانية  
الكاملة ، ومن جهة ما للخلق فيه من المنافع والموافق يدل على الرحمة الالهية  
الشاملة ، وكل مثل هذا فيما بث الله تعالى في الارض من كل دابة فانها آيات  
على الوحدة .

٦ - الجنس السادس :

=====  
قوله " وتصريف الرياح :

وتصريف الرياح تدبيرها ، وتوجيهها على حسب الارادة ووفق الحكمة  
والنظام ، فهي تهب في الغالب من احدى الجهات الاربع ، وتارة تأتي نكباء " ١ "  
بين بين ، وقد تكون متناوحة " ٢ " اي تهب من كل ناحية ، ومنها العقيم ومنها  
الملقحة للنبات وللسحاب ، واذا هبت حارة في بعض الاماكن والاقوات فهي تهب  
عقب ذلك لطيفة الحرارة او باردة ، وكل ذلك يجري على سنة حكيمة تدل على وحدة  
مصدرها ورحمة مدبرها .

٧ - الجنس السابع :-

=====  
قوله : " والسحاب المسخر بين السماء والارض " .

اي النسيم المذلل المسحوب في الجو لاتزال المطرفي البلاد المختلفة .

---

١ - اي مائلة عن مهبها .

٢ - اي اشتدت في هبوبها .



ذكر السحاب هنا بعد ذكر تصريف الرياح ، لانها هي التي تثيره وتجمعه  
وهي التي تسوقه الى حيث يمطر ، وتفرق شمله احيانا فيمتنع المطر .  
ولم يذكره عند ذكر الماء ، مع انه سببه المباشر ، ليرشدنا الى انه في  
نفسه آية . فانه يتكون بنظام ، ويعترض بين السماء والارض بنظام ، فهو في  
ظاهره آية تدهش الناظر الجاهل بالسبب ، لولم يألف ذلك ويأنس به ، وانما  
يعرفها معرفتها من وقف على السنن الالهية في اجتماع الاجسام اللطيفة وافتراقها ،  
وعلوها وهبوطها ، وهو ما يعبر عنه العلماء بالجاذبية ، وهي انواع :  
جاذبية الثقل ، والجاذبية العامة ، وجاذبية الملاصقة ، وغيرها . ا . هـ  
ومعد ان انتهى الشيخ " محمد عبده " من تفسير الآية ، والاستدلال  
بما فيها من ايات كونية على وحدة الله تعالى ، ورحمته ، قال :  
( ومن لا يعرف اسرار هذه الكائنات ، وانما ينظر الى ظواهرها ،  
فيراها كما تراها العجموات ، فهو لا يفهم معنى كونها ايات ، لانه اهل آلة الفهم  
التي امتاز بها وهي العقل ، ولذلك اخبر الله تعالى عن هذه الاجناس كلها  
ان فيها آيات لقوم يعقلون . فانهم هم الذين ينظرون في اسبابها ، ويدركون  
حكما واسرارها ويميزون بين منافعها وضارها ، ويستدلون بما فيها من الاتقان  
والاحكام ، والسنن التي قام بها النظام على قدرة مدعها وحكمته ، وفضل ورحمته  
وعلى استحقاقه للمعبادة دون غيره من برئته ، وبقدار ارتقاء العقل في العلم  
والعرفان ، يكمل التوحيد في الايمان ، وانما يشرك بالله اقل الناس عقلا واكثرهم  
جهلا ) ا . هـ .

## مناقشة رأى الشيخ محمد عبده في الوجدانية ١ -

=====

أقول : لما أثبت الشيخ " محمد عبده " الواجب ه على طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، أخذ يثبت وحدانيته فقال رأيه العقلي السابق في اثبات الوحدة بمعنى بساطته وعدم تركبه في الخارج ، وعدم تركبه في الخارج يقتضي عدم تركبه في العقل لأن الحقيقة العقلية صورة من الحقيقة الخارجية .  
وفي اثباته واحد لا شريك له ، تكلم الشيخ محمد عبده ، كلاما وافيا لا غبار عليه ، فقد أثبت الاله الواحد على طريقة القران الكريم في نفي الشريك عن الله تعالى ، وهو مسلك طيب احمده عليه .  
ولا أريد أن أضيف جدا الى هذا المسلك ، فان الشيخ محمد عبده لم يترك لأحد مجالا للتعقيب عليه ، وسأكتفي ببيان المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف في حينه .

وما جاء في " رسالة التوحيد " يحتاج الى توجيه ، ووجه نظمه ان يقال : واجب الوجود لا تركيب فيه ، وما لا تركيب فيه فهو واحد ، فواجب الوجود واحد وانما قلت لا تركيب فيه ، لان المركب مفترقا الى ما تركب منه ، وما تركب منه ، غيره . وواجب الوجود لا يفترقا الى غيره ، فواجب الوجود لا تركيب فيه . " ١ "  
أما ما ذكره الشيخ " محمد عبده " في " رسالة التوحيد " ، فهو كلام نقله عن بعض المتكلمين في اثبات الوحدة ، منهم الشيخ شمس الدين محمد بن الاصفهاني " ٢ " ، حيث قال : ( والدليل على وحدته أنه لا تركيب فيه بوجه

---

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ص ٢٣ .

٢ - محمد بن محمود بن عبد الله الكافي الاصفهاني . الامام المتكلم المشهور الذي قيل انه لم يدخل الى الديار المصرية احد من رؤوس علماء الكلام مثله ، ولد بأصفهان سنة ٦١٦ هـ ، رحل الى بغداد واشتهر بالفقه والعلوم ، ورحل =

والا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الى ما تركب منه ( " ١ " )  
وقد تصدى له شيخ الاسلام ابن تيمية ، وذكر ان أصل كلامه مأخوذ  
من كلام أبي عبد الله الرازي " ٢ " وقد سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا " ٣ "  
وامثاله .

ثم قال : ( فان هذا هو عمدتهم فيما يدعونه من التوحيد وهو  
حجة باطلة . . . وقد تفتن لفساد هذه الحجة من تفتن لها من الفضلاء كأبي حامد  
الغزالي وغيره وذلك من وجوه : - نكتفي بذكر ثلاثة منها : -

( احدها ) :  
===== أن يقال قول القائل : انه يلزم افتقاره الى ما ركب منه ،  
وذلك ينافي وجوب الوجود ممنوع ، لان غاية ما فيه : ان ما ركب منه جزء من  
أجزائه . وقول القائل ان المركب مفتقر الى جزئه ليس بأعظم من قوله : انه  
مفتقر الى كله ، فان الافتقار الى المجموع أشد من الافتقار الى بعض المجموع ،

---

= الى دمشق والقاهرة ، وعمل فيها قاضيا ، له من المؤلفات : شرح المحصول  
القواعد في العلوم العربية ، اصول الفقه ، اصول الدين ، المنطق  
والجدل ، قال الذهبي : له يد طولى في العربية والشعر . مات  
سنة ٦٨٨ هـ . / انظر شرح الاصفهانية ص ٣ و ١٧٢ .

١ - شرح الاصفهانية ص ٣ .

٢ - محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري ، فخر الدين الرازي ، الامام -  
المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمعقول ، وعلوم الاوائل ، رحل الى  
خوارزم ، وبلاد ما وراء النهر ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية  
والفارسية ، مات سنة ٦٠٦ هـ / الاعلام للزركلي ( ٧ : ٢٠٣ ) .  
٣ - الحسين بن عبد الله بن سينا ، ابو علي ، شرف الملك ، الفيلسوف  
الرئيس ، صاحب التصانيف في الطب والمنطق ، والطبيعات والالهييات ،  
اصله من يلخ ، مولدى في احدى قرى بخارى ، قال ابن القيم وابن تيمية  
انه من اهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين ، صنف نحو مائة كتاب ، =

فالمفتقر الى المجموع مفتقر الى كل جزء منه ، والمفتقر الى جزء منه لا يلزم ان يكون مفتقرا الى الجزء الاخر ، ومعلوم ان افتقاره الى الجميع هو افتقاره الى نفسه ، وهو معنى قوله واجب بنفسه ، فعلم ان وجوبه بنفسه لا يوجب الافتقار المتنافي لوجوب الوجود .

( الوجه الثاني ) :

=====  
أن يقال : وجوب الوجود الذي دل عليه الدليل ينفي ان يفتقروا أن يكون مفتقرا الى شيء خارج عن نفسه ، اذا كانت الممكنات لا بد لها من موجود غير ممكن ، موجود بنفسه . وهذا ينفي ان يفتقروا الى شيء خارج عن نفسه .

فلوقيل انه موجود بنفسه ، مستثنى عن غيره ، وانه مفتقر الى غيره

للزم الجمع بين النقيضين .

فأما ما هو داخل في معنى نفسه فليس هو شيئا خارجا عن نفسه حتى يقال :

افتقاره اليه ينافي وجوده بنفسه .

( الوجه الثالث ) :

=====  
ان يقال : قول القائل واجب الوجود بنفسه هل يقتضي

ان يكون مفتقرا الى نفسه أم لا يقتضي ذلك ؟

فان اقتضاه كان افتقاره الى جزئه أولى وأحرى بالالتزام ، فلا يكون

متنما .

وان قيل لا يقتضيه . قيل : وكذلك التركيب لا يقتضي أن يكون المركب

مفتقرا الى جزئه ، فانه اذا كانت نفسه لا توجد الا بنفسه ولم يحسن ان يقال هو

---

= انظر لسان الميزان ( ٢ : ٢٩١ ) / وفيات الاعيان ( ١ : ١٥٢ )

الاعلام ( ٢ : ٢٦١ ) .

مفتقر الى واحد منها ، اذ المركب ليس الا اجزاء وصورة التركيب ( " ١ " .  
وشمة قضية أخرى ، تعرض لها الشيخ " محمد عبده " في رسالة التوحيد  
استلزمها الحديث عن الوحدة الذاتية ، وهي : " الوحدة في الوجود وفي  
الفعل " حسبما قال " ٢ " .

" ٣ " .  
ويعني بها : التفرد بوجود الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات .  
أحب في هذا الفصل أن أتناولها ، وأطلق عليها ، لأن الشيخ محمد  
عبده استند فيها الى بعض الايات القرآنية ، التي تشير الى معنى كلامه ،  
وتؤيد نتيجة ما استدل به كقوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " .  
" ٤ " .

قال الشيخ محمد عبده : " ٥ " .

( واما الوحدة في الوجود وفي الفعل ، ونعني بها التفرد بوجود  
الوجود ، وما يتبعه من ايجاد الممكنات ، فهي ثابتة .  
لانه لو تعدد واجب الوجود ، لكان لكل من الواجبين تعين " ٦ " يخالف تعين  
الآخر بالضرورة ، والا لم يتحصل معنى التعدد ، وكلما اختلفت التعينات ،  
اختلفت الصفات الثابتة للذوات المتعينة ، لان الصفة انما تتعين وتنال تحققها  
الخاص بها بتعين ما ثبتت له بالبداية ، فيختلف العلم والارادة باختلاف  
الذوات الواجبة . ان يكون لكل واحدة منها علم وارادة يباينان علم الاخرى وارادتها  
ويكون لكل واحدة علم وارادة يلائمان ذاتها وتعينها الخاص بها .

- 
- ١ - شرح العقيدة الاصفهانية ، لابن تيمية ، ص ١٩ - ٢٩ .
  - ٢ - اما الحديث عن افعال الله فقد خصصت له فصلا مستقلا .
  - ٣ - انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٦ ) .
  - ٤ - سورة الانبياء اية ( ٢٢ ) .
  - ٥ - المصدر السابق ، نفس الجزء ، ونفس الصفحة .
  - ٦ - كيان ، أو ذات .

هذا التخالف ذاتي ، لأن علم الواجب واراדתه لازمان لذاته من

- ذاته ، لا لأمر في الخارج ، فلا سبيل الى التغيير والتبدل فيهما كما سبق .
- وقد قد منا ان فعل الواجب انما يهدر عنه على حسب علمه وحكم
- ارادته ، فيكون فعل كل صادرا على حكم يخالف الاخر مخالفة ذاتية .

فلو تعدد الواجبون لتخالفت افعالهم بتخالف علومهم واراדתهم ، وهو خلاف يستحيل معه الوفاق ، وكل واحد يحتض وجوب وجوده وما يتبعه من الصفات له السلطة على اليجاد في عامة الممكنات . فكل له التصرف في كل منها على حسب علمه واراדתه ، ولا مرجح لنفاذ احد القدرتين دون الاخرى ، فتتضارب افعالهم حسب التضارب في علومهم واراדתهم ، فيفسد نظام الكون ، بل يستحيل ان يكون له نظام ، بل يستحيل وجود ممكن من الممكنات ، لان كل ممكن لابد ان يتعلق به اليجاد على حسب العلوم والارادات المختلفة ، فيلزم ان يكون للشيء الواحد وجودات متعددة ، وهو محال .

فلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، ولكن الفساد ممنوع بالبداهة ، فهو جل شأنه واحد : لا شريك له في وجوده ولا في افعاله ( أ . ه .

” مناقشة وتعليق ” :

===== ان هذا الذي ذكره الشيخ محمد عبده في اثبات وحدة

الله في الوجود وفي الفعل ، ليس بخريب على دارس العقيدة الاسلامية .

فهذا الذي ذكره هو ما اشتهر عند المتكلمين واهل النظر بدليل التمانع

ومعناه باختصار :

- انه لو كان للعالم صانعان ، فان العقل يجوز اتفاقهما ، كما يجوز اختلافهما .
- فعند اختلافهما : مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ، ويريد الاخر تسكينه .
- أو يريد أحدهما احياءه ، ويريد الاخر اماتته :

فاما أن يحصل مرادهما ،

أو مراد أحدهما .

- اولا يحصل مراد واحد منهما •
- والأول ممتنع لانه يستلزم الجمع بين الضدين •
- والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم من الحركة والسكون ، أو من الموت والحياة وهو ممتنع • ويستلزم ايضا عجز كل منهما ، والعاجز لا يكون لها •
- وانا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هو الاله ، والاخر ليس باله ••

- 
- ١ - انظر : شرح الطحاوية ، الطبعة السادسة ص ٧٨ •
- وانظر : شرح المواقف في علم الكلام ، الموقف الخامس في الالهيات ، للشريف الجرجاني ( ٦٨ - ٧١ ) •
- وانظر : احياء علوم الدين ، للفرزالي ، مؤسسة الطحي وشركان القاوه ١٣٨٧ هـ ( ١ : ١٠٨ )
- وانظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ( ٢٧٧ - ٢٧٨ ) •
- وانظر : المغني في ابواب التوحيد والمدل ، للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور ، محمد مصطفى حلمي والدكتور ابو الوفا النخعي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ( ٤ : ٢٧٥ ) •
- وانظر : الانصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر الطيب الباقلائي تحقيق زاهد الكوشى ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ١٣٨٢ / ص ٣٤ •
- وانظر : الشامل في اصول الدين ، ابو محمد الجويني ، والد امام الحرمين تحقيق الدكتور علي سامي النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ، دار المعارف بالاسكندرية ص ٣٥٢ •
- وانظر : التوحيد ، ابو منصور الماتريدي ، تحقيق الدكتور فتح الله خليف ، طبعة دارالمشرق ، بيروت ، لبنان ص ( ٢٠ - ٢١ ) •

وهذا الدليل ، انما استند فيه المتكلمون الى قوله تعالى :  
" لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " وتابعهم في ذلك الشيخ محمد عبده .  
ودليل التمانع هذا دليل عقلي على اثبات وحدة الصانع ، وتفرد  
بالألوهية .

أما الآية القرآنية ، فليس فيها ما يثبت ذلك مباشرة ، وانما تشير اليه ، وتفيد  
نتيجة الدليل ، والنتيجة هي فساد السموات والارض حالة تعدد الالهة .  
وقد ذكر الأستاذ : محمد يوسف الشيخ رحمه الله " ١ " ، أن  
بعض المتكلمين يرى أن قوله تعالى " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا " حجة  
اقناعية للمسترشد وان لم تفد افحاطا للجاحد . وتفصيل ذلك كما يلي :  
قال الأستاذ : - " ٢ "

( قال الباحثون : ان الفساد في الآية يحتمل أمرين :

الاول : عدم تكون السموات والارض وعدم خلقهما .  
الثاني : خروج السموات والارض عما عليهما من هذا النظام الحاصل  
بالفعل .

١ - فان كان المراد الاول فتقرير الدليل هكذا :

لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض لكن عدم تكونهما باطل .

---

١ - مدرس مادة " العقيدة " بجامعة الملك عبد العزيز سابقا ، له باع

طويل في الفلسفة وعلم الكلام ، مات سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٢ - مذكرة مادة " العقيدة " لطلاب السنة التحضيرية بجامعة ام القرى ،

سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .



في هذا الدليل مقدمتان :

• الاول : لو تعددت الالهة لم تتكون السموات والارض

• الثانية : ان عدم تكونهما باطل

اما الاولى : فلأنه اذا تعددت الالهة ، فهل تتكون السموات والارض

بمجموع قديرتيهما تعاونا ، أو بكل منهما استقلالاً ، أو

باحداهما فقط ؟

والاول باطل : لأن شأن الاله كمال القدرة

والثاني باطل : لأنهما اذا تكونتا باحداهما استقلالاً ، فاذا تكونتا

مرة ثانية بالاخرى لزم تحصيل الحاصل

والثالث باطل : لانه يلزم الترجيح بلا مرجح ، لأن كلا من الالهين

تام القدرة وجميع الممكنات بالنسبة الى كل منهما على سوا

واذا كانت هذه الفروض الثلاثة باطلة لزم عدم تكون السموات والارض ، على تقدير

تعدد الالهة

أما المقدمة الثانية ، القاظة :

• ان عدم تكونهما باطل ، فهذا ما يشهد به الحس والمشاهدة

اذا تعدد الالهة لزمه باطل ، وما ادى الى الباطل فهو باطل ، فالتعدد

باطل • فثبت نقيضه وهو وحدة الاله تعالى

٢ - وان كان المراد الثاني ، فتقرير الدليل هكذا :

لو كان في السموات والارض الهة غير الله ، لاختلوا وتنازعا ،

واذا حصل هذا ، فسدت السموات والارض واختل النظام الذي صار العالم فيسه

كشخص واحد استقرت فيه الحياة للانسان والحيوان والنبات الى غير ذلك مما ظهر

وخفي • لكن العالم لم يطرأ عليه الفساد والخلل ، بل ما زال في نظام تام

" لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون "

" ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " . " ١ "

كل ذلك بنظام دقيق وقوانين صحيحة ،

اذا لو تعددت الالهة ، لختلفوا وتنازعا ، ولو حصل ذلك لفسدت

السموات والارض ، لكن الفساد باطل ، فبطل ما أدى اليه وهو التعدد ،

فالاله واحد .

" اعتراض وتوجيه " :

===== واعترض البعض على هذا التصوير ، بما يجعله

حجة اقناعية غير يقينية كما يلي :

انا لا نسلم أنه اذا تعددت الالهة يلزم فعلا ان يختلفوا ،

ويتنازعا بل يجوز ان يتفقوا وحينئذ لا فساد .

غاية الأمر انه يغلب على الظن كما جرت به العادة أنه اذا

تعدد الرؤساء اختلفوا وتنازعا ، ولكن العقل - بقطع النظر عن العادة - يجوز

اتفاقهم .

فالاستدلال بالاية ظني مهني على ما جرت به العادة من

الاختلاف فعلا عند تعدد الرؤساء .

لهذا عدل بعضهم عن التصوير الظني الى تصوير الاية تصويرا

آخر ، بحيث تفيد اليقين . قالوا :

معنى الاية : لو كان فيهما الهة غير الله لا يمكن ان يختلفوا

ويتنازعا ، ولو أمكن ذلك ، لا يمكن ان تفسد السموات والارض ، لكن إمكان الفساد

باطل ، بالحس والمشاهدة ، فما أدى اليه وهو تعدد الالهة باطل .

وفي هذا التصوير لم يلاحظ اختلاف الالهة فعلا ، بل الملاحظ فيه

امكان الاختلاف بينهم ، وهذا الامكان قطعي يحتمه العقل .

"اعتراض وتصويب":

=====  
هذا التصوير لم يسلم من الاعتراض عليه ، فقد اعترض

البعض عليه بقولهم :

انا نسلم ان امكان الاختلاف عند التعدد قطعي ، وما يلزمه من

امكان الفساد قطعي ايضا .

لكن : هل امكان الفساد باطل حتى يكون ما ادى اليه باطلا ،

وهو تعدد الالهة ؟

كلا . بل امكان الفساد صحيح ، لان العالم ممكن يجوز عليه

الوجود والعدم ، والنظام والفضى ، والفساد والاختلال ، بل الفساد سيقع

فعلا .

قال تعالى " يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب " . " ١ "

وقال تعالى " اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتثرت ،

واذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت " . " ٢ "

وقال تعالى " اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال

سيرت " . " ٣ "

وقال تعالى " يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ويرزوا لله

الواحد القهار " . " ٤ "

وقال تعالى " اذا زلزلت الارض زلزالها ، واخرجت الارض اثقالها

وقال الانسان مالها " . " ٥ "

---

١ - سورة الانبياء اية ( ١٠٤ ) .

٢ - سورة الانفطار الايات ( ١ - ٤ ) .

٣ - سورة التكويد الايات ( ١ - ٣ ) .

٤ - سورة ابراهيم اية ( ٤٨ ) .

٥ - سورة الزلزلة الايات ( ١ - ٣ ) .

فما معنى هذه الايات الا خراب السموات والارض ؟

اذا ، فهذا التصوير فاسد لا يصار اليه .

والصواب

==== في معنى الاية هو التصوير الاول ، والاستدلال حينئذ بالاية ظني ،

ولا ضير في ذلك ، فقد سبقت الاية لاقناع الجماهير وعامة الناس بالوحدانية ،

وليس بعيدا ان يكون في مناهج القران ما هو ظني ، فان القران نزل لجميع

البشر ، فهو يخاطب كل طائفة بما يتفق مع مستواها العقلي ، وهذا مبدأ قرره

القران الكريم . قال تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن " . " ١ "

فان قيل :

ان العقائد الدينية لا يكفي فيها الظن ، بل المطلوب فيها

العلم واليقين ،

قال تعالى " فاعلم انه لا اله الا الله " . " ٢ "

وقال تعالى " وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا

يفني من الحق شيئا " . " ٣ "

يجاب عليه :

بأن الناس في الاستفادة من هذه الاهدان الظنية الخطابية

فريقان :

أ : فريق لا يستفيد منها الا الظن فحسب ، وهؤلاء هم الطائفة الممتازة من البشر

الذين اوتوا حظا وافرا من العقل والفكر ، فمثل هؤلاء نظروا في هذا الدليل

١ - سورة النحل اية ( ١٢٥ ) .

٢ - سورة محمد اية ( ١٩ ) .

٣ - سورة النجم اية ( ٢٨ ) .

بعمق فاهتدوا الى ان الاختلاف بين الالهة بالفعل حتى تفسد السموات والارض  
انما هو بحكم المادة فحسب ، فهو حكم ظني كسائر الاحكام المادية •  
أما العقل فيجوز اتفاقهم ، فلا يلزم الفساد ، ومن هنا كان مبلغ

ما يقيده هذا الدليل عندهم انما هو الظن فحسب •

ب- : و فريق آخر يستفيد منه العلم واليقين ، وهم الجمهور وطامة الناس •  
الذين منحوا حظا عاديا من العقل والفكر ، فلا يتعمقون في تفكيرهم كاولئك  
المتأثرين ، فلا يفرقون بين المادة وحكم العقل •

فتعدد الالهة عندهم ، وفي مستوى تفكيرهم يستلزم الاختلاف والنزاع  
قطعا فيلزم الفساد قطعا ، فيعلمون انه اله واحد قطعا ، وهذا هو

المطلوب •

" برهان التمانع "

===== وهنا يقال :

اذا ، فقد اغفل القران الكريم اقتناع المتأثرين بهذه العقيدة

• بالدليل القطعي

يرد عليه :

ان هذه الاية البينة ، كما تمنع بظاهرها الصريح الواضح الجماهير

وطامة الناس بالوحدانية ، تشير وترشد الطائفة الممتازة الى حجة قطعية تنادي

• بالوحدانية

• تلك الحجة هي : برهان التمانع •

وتقريره هكذا :

لو كان فيهما الهة غير الله لا يمكن بينهما التمانع والتعارض ، كأن

يريد أحدهما حركة شي ، بينما يريد الآخر سكونه • لكن امکان التمانع باطل •

وهو محال ، واذا أدى تعدد الالهة الى باطل كان التعدد باطلا •

في هذا الدليل مقدمتان :

• الاولى : ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع .

• الثانية : ان امكان التمانع باطل .

• اما الاولى ، فواضحة قطعية .

نعم : التمانع بالفعل عند التعدد ظني جرت به العادة ،

• لكن امكان التمانع لازم قطعا عند التعدد .

• اما الثانية ، وهي ان امكان التمانع باطل ، فلأن التمانع محال

• لا ممكن .

وبيانه هكذا :

ان التمانع كما صورنا : ان يريد احد هما حركة شيء ، ويريد الاخر

• سكونه .

نقول : هذا التمانع محال . لانه لا يخلو الحال من احد احتمالات ثلاثة :

وهي :

أ : ان ينفذ مرادهما .

ب : ان لا ينفذ مراد واحد منهما .

ج : ان ينفذ مراد احد هما دون الاخر .

• والكل محال .

• اما الاولى : فلأنه يستلزم اجتماع الحركة والسكون ، وهو محال ، لأنه اجتماع

• النقيضين .

• اما الثاني : فلأنه يستلزم ارتفاع النقيضين ، الحركة والسكون ، وهو محال .

• كما يستلزم محالا آخر ، وهو عجز الالهين .

• اما الثالث : فمحال ، لأنه يستلزم الترجيح بلا مرجح ، ويلزم عليه عجز الاله

• الذي لم ينفذ مراده .

ونجمل هذا الدليل هكذا :

ان تعدد الالهة يستلزم امكان التمانع ، وامكان التمانع باطل ، لأنه

• محال

فالتعدد أدى الى باطل ، فيكون باطلا ، واذ كان التعدد باطلا كان الاله

• واحدا

فالاية اذا : اقناع للجماهير صراحة ، واقناع للخواص الممتازين ،

من هذا الوجه ( أ . ه .

وحاصل الكلام أن يقال :

ان في الاية الكريمة الدليل الكافي على اثبات وحدانية الله تعالى ،

سواء حصل هذا بدليل التمانع ونفي صدور الفعل الواحد عن فاعلين ، حيث ان

الفعلين من نوع واحد اذا اجتمعا على محل واحد فسد المحل ضرورة • أو حصل

بطريق آخر غيره • " ١ "

ومعد : فهذه هي طريقة المتكلمين ، في اثبات وحدة الصانع • وهذا

هو الشيخ محمد عبده يسير في نفس الطريق ، ويسلك نفس المسلك •

يضاف الى ذلك ما ذكره سابقا عند تفسير قوله تعالى :

" والهمك اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم " •

والاية التي تليها ، وقد سبق الحديث عنه •

---

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٦ •

وانظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ )

" المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف "

===== التوحيد عند سلف الامة : هو افراد ا

الله بالمعبادة وحده ، لتفردہ بالخلق ، وهذا هو الذي جاء به الشرع الحنيف

ودعت اليه الرسل الكرام ، وبه يكمل ايمان المسلم .

وهذا يقتضي اخلاص الدين لله ، ومحبة ، وخوفه ، ورجاءه ،

والتوكل عليه ، والثقة به ، والطاعة له ، والرضا به ، الها واحدا لا اله

الا هو ، وخلق ما عداه من الالهة ، المزيفة .

وهذا النوع من التوحيد يسمى توحيدا في الطلب والقصد . أو

التوحيد الارادى الطلبي .

وهناك نوع اخر من التوحيد الذي دعت اليه الرسل ، وهو التوحيد في

الاثبات والمعرفة . أو ما يسمى ب : التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادي

المتضمن اثبات صفات الكمال لله وحده ، وتنزيهه عن الشبيه والمثل ، وعن

كل ما لا يليق بجلاله .

والتوحيد المطلوب اولا هو توحيد الالهية المتضمن توحيد الربوبية ، لا

العكس . لان من يعجز عن الخلق لا يصلح ان يكون الها .

ولا يتم احد التوحيدين الا بالآخر ، فهما متلازمان تلازم الظاهر للباطن ،

كوجهي عملة واحدة ، لا يقوم احد هما من غير الآخر .

وقد دل القران الكريم على هذين النوعين من التوحيد في آيات كثيرة ، منها :

١ - من الايات الدالة على النوع الاول : التوحيد الطلبي القصدى ،

أ : قال تعالى " قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون

ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ، ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم

ولي دين " . " ١ "



ب- : قال تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون " ١

ج : قال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ، انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، الا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " ٢

د : قال تعالى : " قل أفغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين " ٣

هـ : قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامرا من شفيح الا من بعد اذنه ذلك الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون " ٤

و : وقال تعالى : " قل ياأيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين " ٥

ز : وجملته سورة ( الانعام ) " ٦

- 
- ١ - سورة ال عمران اية ( ٦٤ )
  - ٢ - سورة الزمر الايات ( ١ - ٣ )
  - ٣ - سورة الزمر الايات ( ٦٤ - ٦٥ )
  - ٤ - سورة يونس اية ( ٣ )
  - ٥ - سورة يونس اية ( ١٠٤ )
  - ٦ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٨٨

٢ - من الايات الدالة على النوع الثاني : توحيد الالتهات والمعرفة

أ : قال تعالى : " قل هو الله احد الله الصمد لم يله ولم يولد

ولم يكن له كفوا احد " ١ " .

ب : قال تعالى : " الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنی " ٢ " .

ج : قال تعالى : " هو الله لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن

الرحيم " هو الله لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن

العزیز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون " ٣ " .

د : قال تعالى : " هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم " ٤ "

هـ : قال تعالى : " الم الله لا اله الا هو الحي القيوم " ٥ " .

ويدخل في معنى النوع الثاني " توحيد الاسماء والصفات " ومعناه ان

يوصف الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف " ٦ " أو

تعطيل " ٧ " ومن غير تكيف " ٨ " ولا تمثيل " ٩ " .

١ - سورة الاخلاص واياتها اربع .

٢ - سورة طه اية ( ٨ ) .

٣ - سورة الحشر الايات ( ٢٢ - ٢٣ ) .

٤ - سورة الحديد اية ( ٣ ) .

٥ - سورة ال عمران الايات ( ١ - ٢ ) .

٦ - التحريف : هو التفسير والتبديل ، واصطلاحا تغيير الفاظ الاسماء الحسنی

والصفة العلی ، ومعانيهما ، وهو ينقسم الى تحريف لفظ مثل استوى باستولى

وتحريف معنى كمثل الیدين بالنعمة .

٧ - التعطيل ماخوذ من العطل الذي هو الخلو والفرغ والترك . والمراد بالتعطيل

هنا : نفي الصفات الالهية وانكار قيامها بذاته تعالى .

٨ - التكيف : تعيين المكنه ، يقال كيف الشيء اي جعل له كيفية معلومة .

٩ - التمثيل : هو التشبيه وهو ينقسم الى قسمين :

الاول : تشبيه المخلوق بالخالق كتشبيه اليهود والنصارى عزیرا =

• والملاقة بين انواع التوحيد الثلاثة هي علاقة تلازم وتضمن وشمول •

• فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالهية •

• وتوحيد الالهية متضمن لتوحيد الربوبية •

• وتوحيد الاسماء والصفات شامل للنوعين فهو يقوم على افراد الله تعالى بكل ما له

• من الاسماء الحسنى ، والصفات العليا التي لا تنبغي الا له •

• فهذه الانواع الثلاثة متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضا • ولا ينفج

احداها بدون الاخر • كما لا ينفج توحيد الربوبية بدون توحيد الالهية • وكذلك

لا يصح توحيد الالهية بدون توحيد الربوبية • فلا يكمل لاحد توحيده الا باجتماع

انواع التوحيد الثلاثة • " ١ "

• وعيسى بالله =

الثاني : تشبيه الله بخلقه بأن يقال له وجه كوجه المخلوق • ويسد

كيد •••

انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية تأليف

عبد العزيز محمد السلطان • من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث

العلمية بالرياض • الطبعة العاشرة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م •

ص ( ٣٩ - ٤٢ ) •

١ - في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٢٣ - ٢٢٤ ) •

### الفصل الثالث : صفات الله تعالى وكلماته :

=====

تمهيد :

===== يبحث علماء اصول العقيدة ، في موضوع الصفات الالهية عن صنفين

من الصفات الثبوتية .

( الأول ) صفات وكلمات جاء بها الكتاب المبين ، والوحي الأمين ،

ونادى بها العقل السليم . ككونه تعالى قادرا ، ومريدا ،

وعالما ، وحيا ، وسميما ، وصيرا ، ومكلما .

فقد جاء القران في " القدرة " فقال : " قل اللهم مالك الملك

تروي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء " . " ١ "

وجاء في الارادة ، فقال : " فعال لما يريد " . " ٢ "

وجاء في العلم ، فقال : " عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " . " ٣ "

وجاء في الحياة ، فقال : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " . " ٤ "

وجاء في السمع ، والبصر ، فقال : " وهو السميع البصير " . " ٥ "

وجاء في الكلام فقال : " وكلم الله موسى تكليما " . " ٦ "

وكما شهد القران بهذه الصفات ، فقد أرشد العقل اليها ، وثبتت بالدليل

العقلي كما سيأتي بيانه ان شاء الله .

---

١ - سورة ال عمران اية (٢٦) .

٢ - سورة البهوج اية (١٦) .

٣ - سورة الرعد اية ( ٩ ) .

٤ - سورة البقرة اية ( ٢٥٥ ) .

٥ - سورة الشورى اية ( ١١ ) .

٦ - سورة النساء اية (١٦٤) .

( الثاني ) : صفات جاء بها القران والسنة كالوجه ، والعين ، واليد ، والاصبع ، والساق ، والقدم ، . . . . وكان موقف العقل من هذا الصنف مضطربا . . . . وانقسم الناس من هذا الصنف الى فريقين :

أ : فريق من الناس اثبت هذا الصنف له تعالى ، على نمط ما في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجه الانسان ، ويد كيده ، وعين كمينه . . الى اخر هذه الصفات . وهؤلاء هم المشبهة . " ١ "

ب : الفريق الثاني ذهب الى استحالة ان يكون له وجه كالوجوه ، وعين كالاعين ، ويد كالايدي البشرية ، كما قال المشبهة .

بل نزهوا الله سبحانه عن هذا وتبرؤا من التشبيه وأهله . ثم اختلف هؤلاء المنزهون بعد هذا التنزيه فيما هو المراد بهذه الصفات . وما معناها ؟

١ - فمنهم من فوض العلم بالمراد اليه تعالى ، واثبت لله سبع صفات فقط ، وهؤلاء هم الاشاعرة . مع ايمانهم القطعي بصفات اخرى زائدة على الصفات السبع كالقدوس ، والسلام ، والمؤمن ، والرازق . . . . الى اخر هذه الصفات ، ولهم في هذا الاقتصار تخريج جيد ، لا حاجة لذكره هنا .

---

١ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ١٠٣ ، ٢٣٩ ، الطبعة السادسة

وانظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٣٩ .

وانظر : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، محمد خليل هراس ،

مراجعة الشيخ عبد الرزاق غنفي ، ص ( ٢٣ ) .

وانظر : الرسالة التدمرية ، مجمل اعتقاد السلف ، تأليف شيخ الاسلام

ابن تيمية ، تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي

بيروت ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ . بيروت . ص

١١ وما بعدها .

٢ - ومنهم من صور المراد بهذه الصفات في معنى يليق بجلاله وعظمته ،  
وزاد على ذلك صفات اخرى كالخالق ، الوازق ، المحيي ، المميت ،  
العظيم . . . الخ

وهؤلاء هم علماء السلف رضوان الله تعالى عليهم . " ١ " .  
ويمكن تقسيم الصفات الالهية ، عند السلف والاشاعرة كما يلي :-

أولا : تقسيم السلف : " ٢ " .

يقسم السلف رضي الله عنهم ، الصفات الى قسمين : " ٣ " .  
صفات ذاتية ، و صفات فعلية .

وكل منها ، تقسم الى قسمين ، فيكون المجموع اربعة اقسام على هذا النحو :-  
أ : الصفات الذاتية ، وهي الصفات الملازمة للذات المقدسة ، فلا تنفك  
عنها ، وهي قسمان :

١ - صفات عقلية : كالقدرة والارادة والعلم . . .

ب - صفات خبرية : كالوجه ، والعين ، واليدين . . .

ب : الصفات الفعلية ، وهو الامور المتعلقة بمشيئة الله وارادته .  
وهي قسمان :

١ - صفات عقلية : كالخلق ، والرزق ، والاعطاء ، والمنع . . .

٢ - صفات خبرية : كالنزول ، والمجيء ، والاستواء . . .

---

١ - مذكرة مادة العقيدة الاسلامية ، اعداد الاستاذ محمد يوسف الشيخ .

٢ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٠٥ .

وانظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ، لعبد العزيز السلطان ص ٥٧ ،  
الطبعة المباشرة .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ( ١٢٧ - ١٢٨ ) الطبعة  
السادسة .

٣ - باعتبار لزومها للذات وعدم لزومها .

ثانيا : تقسيم الاشاعة :

===== يقسم الاشاعة رضي الله عنهم الصفات الى اربعة

اقسام : " ١ "

نفسية ، وسلبية ، ومعاني ، ومعنوية .

١ - نفسية : وهي الوصف الدال على الذات ، دون معنى زائد عليه ، وهي

" الوجود " .

٢ - سلبية : وهي الصفات التي تنفي عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله ،

كالقدم ، والبقاء .

٣ - صفات المعاني : ويقصد بها ما يدل على معنى زائد على الذات وهي

الصفات السبع السابقة الذكر .

٤ - الصفات المعنوية : ويقصد بها الاحوال الثابتة للذات ، اذا قامت بها

المعاني عند من يثبت الاحوال ، ككونه عالما ، وكونه قادرا

وكونه مريدا . . . الخ . " ٢ "

أما الشيخ محمد عبده ، فيقسم الصفات الى :

اولا : صفات البرهان : وهي ما ارشد اليه البرهان ، وجاءت به الشريعة

الاسلامية ، لتأييده والدعوة اليه .

---

١ - باعتبار مفهومها .

٢ - انظر رسالة : ابن حزم وموقفه من الالهيات ، اعداد الطالب : احمد

الناصر الحمد ، اشراف الدكتور عبد العزيز عبيد ، جامعة ام القرى ،

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، فصل الصفات نقلا عن كتاب الشامل في اصول

الدين للجويني ص ٣٠٨ ، وحاشية البيجوري على متن السنوسية

مطبعة دار الكتب العربية ص ١٩ ، وحاشية الصاوي على شرح

الخريدة البهية ، مطبعة الاستقامة ص ٥٩ .

كالقدم : بمعنى ان يكون الواجب قد يما ازليا .

والبقاء : بمعنى ان لا يطرأ عليه عدم .

ونفي التركيب : بمعنى الوحدة ذاتا ووصفا ووجودا وافعالا .

والحياة ، والعلم ، والارادة ، والقدرة ، والاختيار .

ثانيا : الصفات السمعية :

===== وهي ما جاء ذكرها على لسان الشرع ، ولا

يحيلها العقل ، لكن لا يهتدى اليها النظر وحده ، ويجب الاعتقاد بأن الله

متصف بها اتباعا لما قرره الشرع ، وتصديقا لما اخبر به .

وهي صفة الكلام ، وصفة السمع ، وصفة البصر . " ١ "

وهذا تقسيم للصفات من حيث ثبوتها ، فهي اما عقلية ايدها الشرع

ولم يأت بها ، او شرعية ، جاءت على لسان الشرع ، والعقل لا يحيلها .

اما الصفات الخيرية التي جاء بها القران والسنة كالوجه ، واليمين

واليد ، . . . الخ فان الشيخ محمد عبده ، لا ينكرها ، لكنه يفوض العلم

بالمراد منها الى الله تعالى ، ويقتصر على ما ذكره من صفات البرهان ، والصفات

السمعية . كما فعل الاشاعرة رضى الله عنهم اجمعين . لكنه يرى ان الكلام في

مثل هذه الصفات لا يد له من فائدة يحمل عليها لان الله عز وجل لم يخاطبنا

بما لا نستفيد منه معنى . " ٢ "

---

١ - انظر رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة

للإمام ( ٣ : ٢٧٠ - ٣٧٧ ) .

٢ - انظر الاعمال الكاملة للإمام ( ٤ : ١٣٠ ) .



" العلاقة بين الذات والصفات "

=====

نطرح هذا السؤال :

هل الصفات عين الذات ، أو غيرها ، أو لا هي ولا غيرها ؟

وما رأى الشيخ " محمد عبده " في ذلك ؟

وللاجابة على هذا السؤال نقول :-

لقد عرف الشيخ محمد عبده قدر نفسه ، ومبلغ علمه حين سلك

في هذا الموضوع مسلكا استطاع فيه ان يفلت من طريق الجدل الذي وقع فيه

الفلاسفة والمتكلمون ، وان يسير في طريق يحمده عن هذا الطريق ، يقدر

ما يقربه من طريق السلف ، وجمهور اهل الحديث والتفسير رضي الله عنهم

أجمعين .

ولقد اعمل الشيخ " محمد عبده " فكره ، واستفرد وسعه ،

في مناقشة معظم المذاهب في الصفات ، والرد عليها ، وخاصة مذهب الفلاسفة

الاسلاميين ، ومذهب المعتزلة من اهل الكلام ، ومن ثم وصل الى النتيجة

النهائية التالية :-

١ - في شرحه على العقائد المضدية : " ١ "

قال : ( والواجب عليك شرعا ان تعتقد انه عالم ، قادر ، مرید . . .

الى اخر الصفات وانه موصوف بالعلم ، والقدرة ، وغيرها ، على ما يفهمه

الناظر ، من الآثار ، وليس لك ان تنظر فيها وراء ذلك ، فانك قاصر عن ان

تدركه ) .

٢ - في رسالة التوحيد : " ١ "

أ : قال : ( فيكفينا من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك فهو مما يستأثره بعلومه ، ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه ، ولهذا لم يأت الكتاب العزيز ، وما سبقه من الكتب الا بتوجيه النظر الى المصنوع ، لينفذ منه الى معرفة وجود الصانع ، وصفاته الكمالية ، اما كيفية الاتصاف بها ، فليس من شأننا ان نهتد فيه ) .

ب : قال : ( فالذى يوجه علينا الايمان هو ان نعلم انه موجود ، لا يشبه الكائنات اذلي ، ابدى ، حي ، عالم ، مرید ، قادر ، منفرد في وجوده ، وفي صفاته ، وفي صنع خلقه ، وانه متكلم ، سميع ، بصير ، وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء الشرع باطلاق اسمائها عليه .

اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر ، غير العلم بالمسموعات والمبصرات ، ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب فمما لا يجوز الخوض فيه ، ان لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه . والاستدلال على شيء منه بالالفاظ الواردة ضعف في العقل ، وتخفيف بالشرع ، لان استعمال اللفظة ، لا ينحصر في الحقيقة ، ولئن انحصرت فيها فوضع اللفظة لا تراعى فيه الوجودات بكنهها الحقيقي ، وانما تلك مذاهب فلسفة ان لم يضل فيها امثلهم فلم يهتد فيها فريق الى مقنع .

فما علينا الا الوقوف عندما تبلغه عقولنا ، وان نسأل الله ان يخفر لمن آمن به ، وما جاء به رسله ممن تقدمنا ) .

٣ - في تفسير القرآن : " ١ "

قال : ( فاذا جاء في نصوص الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهره التنزيه

فلمسلمين فيه طريقتان :

" ٢ "

احدهما : طريقة السلف ، وهي التنزيه كقوله تعالى " ليس كمثله شيء " =====

وقوله عز وجل " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " " ٣ " ، وتفويض الامر الى

الله تعالى في فهم حقيقة ذلك ، مع العلم بأن الله يعلمنا بضمون كلامه ط

نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من

عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا .

والثانية : طريقة الخلف وهي التأويل .

=====

يقولون : ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا

يخرج شيء منها عن المعقول .

فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه ، ويكون الحكم العقلي

القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى موافق يحتمل

عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله

تعالى وصفاته ، وعالم الخيب ، واننا نشير في فهم الايات على كلا الطريقتين ،

لانه لا بد للكلام من فائدة يحتمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا

نستفيد منه معنى ) .

---

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٤ : ١٢٩ - ١٣٠ ) .

٢ - سورة الشورى اية ( ١١ ) .

٣ - سورة الصافات اية ( ١٨٠ ) .

٤ — في تفسير جزء عم : " ١ "

قال : ( فنحن مأمورون ان نعترف لله جل شأنه بأنه القادر ،  
العالم ، الحكيم ، الذي شهدت بصفاته هذه آثاره في خلقه ، التي ذكرها  
في وصف نفسه في قوله : " الذي خلق فسوى " ٢ " ولا ندخل في هذه —  
الصفات معنى مما لا يليق به ، كما ادخل الملحدون الذين اتخذوا من دونه  
شركاء له ، او عرفوه بما يشبهه به خلقه ، وانما توجه الينا الامر بتسبيح الاسم  
دون تسبيح الذات " ٣ " ليرشدنا الى ان مهلخ جهدنا ، ومنتهي ما تصل اليه  
عقولنا ان نعترف الصفات بما يدل عليها ، اما الذات فهي أعلى وأرفع من ان تتوجه  
عقولنا اليها الا بما نلاحظ من هذه الصفات التي تقوم عليها الدلائل وترشد اليها  
الآيات ) .

هذا هو مجمل ما توصل اليه الشيخ محمد عبده في الكلام في الصفات  
وهو كما يبدو لي كلام في غاية الدقة ، ولمعرفة قيمته ارى ان القى الضوء على مذهب  
السلف في الصفات . وتحديد العلاقة بينها وبين الذات .

- 
- ١ — تفسير جزء عم الموجود ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٨٢ ) .
  - ٢ — سورة الاعلى اية ( ٢ ) .
  - ٣ — يقصد الامر في قوله تعالى : " سبح اسم ربك الاعلى " ، سورة الاعلى  
اية ( ١ ) .

” مذهب السلف في الصفات ”

=====

للعلماء في تحديد مذهب السلف في الصفات اقوال متعددة : ” ١ ”

(( القول الاول )) :

يرى الامام ابن الجوزي رحمه الله ان السلف كانوا مفوضة ” ٢ ” .

وينسب هذا الرأي الى الامام احمد بن حنبل ” ٣ ” رضى الله عنه .

فقد ذكر في كتابه : ” مناقب احمد ” ان عقيدة الامام احمد تلخص

في الايمان والتسليم فيما جاء وصفا لله تعالى على مراد الله تعالى ، ومراد رسوله

صلى الله عليه وسلم ، بلا تأويل ولا تشبيه ، ولا كيف ولا معنى ،

(( القول الثاني )) :

ير

١ — انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٢٥ —

٢٢٨ ) .

٢ — بمعنى انهم كانوا يفوضون معاني الالفاظ التي جاءت بها النصوص الى الله

تعالى ، ويقرونها تلاوة فقط ، ولا يثبتون ما تضمنته من صفات ، لانهم

يرون ان هذا من التشابه الذي لا يعلمه الا الله تعالى .

٣ — شيخ اهل السنة ابو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني ، الذهلي ،

المروزي ، البخاري ، واحد الاعلام ببغداد ، وشيخ الاسلام في

عصره ، وناصر السنة ، وقامح البدعة ، كان اماما في الحديث وفنونه ،

واماما في الفقه ، واماما في الورع ، مات في ثاني عشر من ربيع الاول سنة

٢٤١ هـ وقد جاوز سبعا وسبعين سنة . / انظر طبقات الحفاظ لمجد

الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ،

القاهرة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ص ٤٣١ .

يرى حجة الاسلام الخزالي رحمه الله ان السلف كانوا يؤولون تأويلا  
اجماليا " ١ " . ونسب هذا الرأي الى الامام احمد رضي الله عنه . " ٢ "

(( القول الثالث ))

وهو قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : فهو يرى ان  
السلف كانوا يفهمون معاني النصوص ، ويثبتون لله ما تضمنته من صفات ، ثم  
يفوضون علم كیفيتها الى الله عز وجل .  
ولقد اختار هذا الرأي كثير من اتباع الشيخ وتلاميذه ، اشهرهم  
الامام ابن القيم رحمه الله .  
" تقرير مذهب السلف "

=====  
قرر شيخ الاسلام مذهب السلف الصالح هذا بما يدل  
عليه كلامهم ، واستشهد بجواب الامام مالك رضي الله عنه لمن سأل عن كيفية  
الاستواء في قوله تعالى " الرحمن على العرش استوى " . " ٣ "

قال : ( الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ) ،  
فان " مالكا " رحمه الله تعالى لم ينف حقيقة الصفة ولكنه نفى علم الكيفية .  
وأما قول كثير من السلف في آيات الصفات واحاديثها : امرها كما  
جاءت بلا كيف ، فليس مرادهم به : الايمان باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ،

- 
- ١ - بمعنى انهم يصرفون النصوص عن ظاهرها ، ثم يقفون عند ذلك ، فلا يحددون  
معنى ما يؤول اليه اللفظ ، بل يقولون لا ندرى ما اراده الله ورسوله مع  
علمنا ان ظاهر ذلك غير مراد .
  - ٢ - انظر كتاب : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، ابو حامد الخزالي ،  
تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، طبعة البابي الحلبي ١٩٦١م ص ١٨٤ .
  - ٣ - سورة طه آية ( ٥ ) .

ولا اثبات لما تضمنه من صفة والا كان قولهم بلا كيف لا معنى له ، فان من ينفي  
الصفة لا يحتاج ان يقول : بلا كيف ، بل المراد من قولهم ، أمرها  
كما جاءت ، الامر بابقاء دلالتها على ما هي عليه ، فانها الفاظ دالة على معاني  
فلو كانت دلالتها منتفية لوجب ان يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد ان الظاهر  
منها غير مراد .

ولا يقال حينئذ بلا كيف . ان نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من  
القول . وكذلك قال الامام احمد زعيم اهل السنة في عصره : لا يوصف الله الا  
بما وصف به نفسه او بما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القران ،  
والحديث . " ١ "

ويرى ابن تيمية رحمه الله ان اسماء الله تعالى وصفاته كلها  
" توقيفية " لا يجوز لنا ان نطلق شيئا منها على الله في حالتنا الاثبات  
او النفي الا بتصريح من الشرح ،  
قال : ( ما أثبتته الله ورسوله اثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفينا ،  
والالفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الاثبات والنفي ، فنثبت ما اثبتته  
النصوص من الالفاظ والمعاني ، وننفي ما نفته النصوص من الالفاظ والمعاني ) " ٢ "

وقال الامام ابن القيم :  
( ونقول هو الحكيم ولا نقول هو الماقل ، ونقول هو خليل ابراهيم  
ولا نقول هو صديق ابراهيم وان كان المعنى واحدا . لاننا لا نسويه ، ولا نصفه ،

- 
- ١ - انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٢٧ )  
نقلا عن كتاب : مذهب ابن تيمية في صفات الله . للدكتور خليل هراس ،  
طبعة الامام ص ( ١٢٦ - ١٢٧ ) .
  - ٢ - نفس المرجع ( ١ : ٢٢٩ ) نقلا عن منهاج السنة ( ٢ : ٤٤٣ ) ،  
تحقيق الدكتور رشاد سالم ، والرسالة التدمرية ص ٤٥ ، ومجموعة الرسائل  
الكبرى - الفرقان بين الحق والباطل ( ١ : ١٠٢ ) .

ولا نطلق عليه الا بما سمى به نفسه ( " ١ " )

ويؤكد ابن القيم انه لا يصح لاحد ان يشتق لله تعالى من كل فعل من

أفعاله اسماء له . وانما يقتصر على ما ورد في الشرع .

فيقول : ( ودخل في اسمائه سبحانه " الواجد " دون الموجد

وهو بمعنى ذو الوجد والخشي . فان الموجد صفة فعل ، وهو معطي الوجود ،

كالمحيي معطي الحياة ، وهذا الفعل لم يجيء اطلاقه في افعال الله ولا في

الكتاب ولا في السنة . فلا يعرف اطلاق اوجد الله كذا وكذا ، وانما الذي جاء

خلقه ورأه ، وصوره واعطاه ، ونحو ذلك .

فلما لم يكن يستعمل فعله ، لم يجيء اسم الفاعل منه في اسمائه الحسنی

فان الفعل اوسع من الاسم ، ولهذا اطلق على نفسه افعالا لم يتسم منها بأسماء

الفاعل ، كآراد ، وشاء ، واحداث ، ولم يسم بالمرید ، والشائي ،

والمحدث . . . . كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمقتن وغير ذلك من الأسماء

التي اطلق افعالها على نفسه .

فباب الافعال اوسع من باب الاسماء ، وقد اخطأ اقبح الخطأ من

اشتق له من كل فعل اسما ، وبلغ بأسمائه زيادة عن الالف فسماء : الماكر

والخادع ، والكائد ، والفاتن ، ونحو ذلك ( " ٢ " )

وبناء عليه استطيع ان اقول : ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذه

المسألة ، ومع ما قرره ابن تيمية وتلميذه .

---

١ - نفس المرجع ( ١ : ٢٣٠ ) نقلا عن : اجتماع الجيوش الاسلامية على

غزو المعطلة والجهمية ص ٥٧ .

٢ - نفس المرجع ( ١ : ٢٣١ ) نقلا عن : مدارج السالكين ( ٣ : ٤١٥ ) .



فهو يرى أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، وما يجب له أو  
يقتض عنه ، لا سبيل إلى ادراكها بالعقل ( والواجب عليك شرعا ان تعتقد أنه  
عالم ، قادر ، مرید . . . إلى آخر الصفات وليس لك ان تنظر فيما وراء ذلك  
فانك قاصر عن ان تدركه ) لأنها من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق  
وظيفة العقل ، وانما وظيفته في ذلك ان يفهم ما تضمنته النصوص من معاني اسماء  
الرب وصفاته ( فيكفيها من العلم بها ان نعلم انه متصف بها ، اما ما وراء ذلك  
فهو مما يستأثر هو بعلمه ، ولا يمكن لعقولنا ان تصل اليه ) .

وقوله : ( واما كيفية الاتصاف بها فليس من شأننا ان نهتج فيه ) .  
وهو يرى ايضا : انه لا يجوز التحويل في اثبات الاسماء والصفات  
او نفيها على غير ما جاء به الرسل الكرام ، ومن رجح في شيء من ذلك الى القضايا  
العقلية ، او الاستحسان بالرأى او غير ذلك فقد قال على الله بخير علم ولا هدى  
ولا كتاب منير ، وذل عن سواء السبيل ، فلنسال الله له المغفرة .  
( فما علينا الا الوقوف عند ما تبلغه عقولنا ، وان نسال الله ان يخفر  
لمن آمن به وما جاء به رسله ممن تقدمنا ) .

وفي قول الشيخ " محمد عبده " في الاستدلال على شيء من الصفات  
من اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب بالالفاظ الواردة في اللغة انه  
( ضعف في العقل وتفرير بالشرح لان استعمال اللغة لا ينحصر في الحقيقة . . . )  
بمعنى آخر : انه يجب علينا ان نؤمن بما ورد في اللغة أوصافا أو أسماء له في  
كتابه أو سنة رسوله مع تفويض علمها الى الله تعالى وحده . . . . . نظر ، فهو  
لا يتفق فيه مع مقرري مذهب السلف .

ويكفي للرد عليه ما ورد لهم من كلام في منع المجاز والتأويل ، وسيأتي  
بيانه فيما بعد باذن الله .

ونسوق نصا للامام ابن القيم في هذا المقام ، يثبت فيه الحقيقة المتبادرة

من ظاهر النص الوارد في صفات الله واسمائه ، ان لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الداعي الى الله على بصيرة ( ان يكون قد اخبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله بما الهدى في خلاف ظاهره ، والحق في اخراجه عن حقائقه ، وحمله على وحشي اللغات ، ومستكرهات التأويلات وان حقائقه خلال ، وتشبيهه ، والحاد ، وان الهدى والعلم في مجازه واخراجه عن حقائقه ) " ١ "

اما ما ورد في رسالة التوحيد وهو قوله : ( اما كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني الكتب السماوية ، وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فما لا يجوز الخوض فيه . ان لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه ) .

فشير مسلم له فيه ، لان مذهب السلف في الصفات واضح كل الوضوح ، وهو مبني على ثلاثة اساس هي : " ٢ "

- ١ - صفات الله قديمة .
- ٢ - صفات الله قائمة بذاته .
- ٣ - صفات الله زائدة عن ذاته .

وحتى تتكون الصورة الواضحة الجلية لتحديد العلاقة بين الذات والصفات

الالهية ، ارى ان اوضح معنى كل واحد من هذه الأمور . .

١ - صفات الله قديمة :-

===== يرى علماء السلف ان صفات الله تعالى قديمة ،

كلها فقد ورد عن الامام احمد رضى الله عنه انه قال : من قال ان الله عز وجل

لم يكن موصوفا ، حتى وصفه الواصفون ، فهو بذلك خارج عن الدين " ٣ "

---

١ - انظر في العقيدة الاسلامية ، ص ٢٤٤ ، نقلا عن : مختصر الصواعق

المرسله ( ١ : ٦ ) .

٢ - نفس المرجع ص ٢٤٦ . الجزء الاول .

٣ - نفس المرجع ( ١ : ٢٤٦ ) نقلا عن اعتقاد احمد ، ابو الفضل التميمي

( ٢ : ٢٣٨ ) طبع طبقات الحنابلة .

قال شارح الطحاوية : ( ان الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال ، صفات الذات ، وصفات الفعل ، ولا يجوز ان يمتد ان الله وصف بصفة بعد ان لم يكن متصفا بها ، لان صفاته سبحانه صفات كمال ، وقد هنا صفة نقص ، ولا يجوز ان يكون قد حصل به الكمال بعد ان كان متصفا بضمه ، ولا يريد على هذه صفات الفعل والصفات الاختيارية ونحوها ، كالخلق ، والتصوير والامانة ، والاحياء ، والقبض ، والبسط ، والطي ، والاستواء ، والاتيان ، والسجين ، والنزول ، والغضب ، والرضا ، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ، وان كنا لا ندرك كنهه ، وحقيقته التي هي تأويله ولا ندخل في ذلك متأولين بأرائنا ، ولا متوهمين بأهوائنا ، ولكن اصل معناه معلوم لنا ) " ١ " .

فقدم صفاته تعالى ، اذن لا ينفي قيام الحوادث في ذاته ، ولا يتعارض معه ، بل يرى ابن تيمية ان ذلك ضرورة لا مناص منها لفهم كثير من النصوص ، التي تدل على حدوث احاد تلك الصفات ، بصراحة لا تقبل التأويل . ويرى ان الصفات قديمة ، الا ان منها ما هو قديم الجنس حادث الاحاد بمعنى ان الصفة قديمة ولكن تحدث في ذاته تعالى آحادها ، وذلك مثل العلم والسمع ، والبصر ، والكلام .

ويفصل شارح العقيدة الطحاوية في حلول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام فيقول :

( فان اريد بالنفي انه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه ، اولا يحدث له وصف متجدد لم يكن - فهذا نفي صحيح . وان اريد به نفي الصفات الاختيارية من انه لا يفعل ما يريد ، ولا يتكلم بما شاء اذا شاء ، ولا انه يفض ويبرئ لا كأحد من الورى ولا يوصف بما وصف به

نفسه من النزول والاستواء والاتيان كما يليق بجلاله ، وعظمته - فهذا نفي  
باطل ( ١٠٠ )

وزهب السلف ايضا الى ان كل ما وصف به تعالى من افعاله الاختيارية ،  
فهو قائم به ، وان هذا ما دل عليه العقل ، واقتضته اللغة ،  
فاللغة ليس فيها ان من اوجد شيئا في غيره كان متصفا بذلك الشيء ،  
فلا يقال لمن اوجد حركة في جسم من الاجسام انه متحرك بهذه الحركة ، بل  
الجسم الذي قامت به الحركة هو المتحرك ، لانه لا يشتق لمحل اسم من صفة لم  
تقم به .

كما ان العقل يقتضي ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل  
ولا يتأثر ان يكون حكم هذه الصفة عائدا على غير ذلك المحل . فالحياة ،  
والعلم ، والقدرة اذا قامت بمحل كان ذلك المحل حيا عالما قادرا ، ولا  
يكون الحي حيا بحياة تقوم بخيره ولا العالم عالما بعلم يقوم بخيره ، ولا القادر  
قادرا بقدرة تقوم بخيره .

وكذلك الامر في الافعال ، فلا يكون باتفاق العقلاء تحركا بحركة تقوم  
بخيره ، بل المتحرك هو من قامت به الحركة ، وطرده هذا انه لا يعقل فاعل  
الا من يقوم به الفعل . ٢٠

وابن تيمية يرى ان هذا ما دل عليه الشرح والعقل فهو يقول :  
( فان قلت لنا : فقد قلت بقيام الحوادث بالرب . قلنا لكم نعم ، وهذا  
قولنا الذي دل عليه الشرح والعقل ، ومن لم يقل ان الهاري يتكلم ويريد ويحسب  
ويستغنى ويبرض ويجيى . فقد ناقض كتاب الله . ومن قال انه لم يزل ينادى

---

١ - نفس المصدر ص ١٢٩ .  
٢ - انظر : في العقيدة الاسلامية ص ٢٥٠ - ٢٥١ نقلا عن منهاج السنة  
النهوية لابن تيمية ( ٢ : ٢٩٣ ) تحقيق الدكتور رشاد سالم .

موسى في الازل فقد خالف كلام الله مع مكابرة العقل ، لان الله تعالى يقول  
" فلما جاءها نودى " ١ " وقال : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له  
كن فيكون " ٢ " ، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال فقيام الحوادث بذات  
الله لم ينكره احد من السلف والائمة ، ونصوص القران تتضمن ذلك مع صريح العقل )  
" ٣ "

٢ - صفات الله قائمة بذاته :

===== يرى السلف ان صفات الله تعالى ، ليست  
قائمة بنفسها وانما هي قائمة بذاته سبحانه وتعالى ، لان الصفات لا تقوم الا  
بموصوف ،

ورأوا أنه لا يصح ان تقوم صفات الله تعالى بغيره ، والا لما صح

وصف الله بها ، بل كانت صفات من قامت به .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

( فيمتنع ان تقوم هذه الصفات الا بموصوف قائم بنفسه ، ولا

يجوز ان تقوم صفات الله بأنفسها بل بموصوف ، وكذلك صفات العباد ، لا يجوز

ان تقوم بأنفسها بل بموصوف ) . " ٤ "

ويقول : ( وايضا فالرسل الذين خاطبوا الناس ، واخبروهم ان الله

تعالى قال ، ونادى وناجى ، ويقول ، لم يفهموهم ان هذه مخلوقات منفصلة

---

١ - سورة النمل اية ( ٨ ) .

٢ - سورة يسن اية ( ٨٢ ) .

٣ - انظر : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، نقلا عن منهاج السنة النبوية

( ١ : ٢٢٤ ) ،

وعن كتاب : الصواعق المرسله ، لابن القيم ( ١ : ٢٦٣ ) .

٤ - انظر في العقيدة الاسلامية ( ١ : ٢٥٧ ) نقلا عن منهاج السنة

النبوية ( ٢ : ٤٧٩ ) .

عنه ، بل الذي افهموه اياه ان الله تعالى نفسه هو الذي يتكلم والكلام قائم به لا بغيره . . .

وبالجملة : لا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم الا من يقوم به القول والكلام ولا يعقل في لغة احد ، لا لغة الرسل ولا غيرهم ، ولا في عقل احد ان المتكلم يكون متكلماً بكلام لم يقم به قط ، بل هو بائن عنه ، اخبره في غيره ، كما لا يعقل انه متحرك بحركة خلقها في غيره ، ولا يعقل انه متلون بلون خلقه في غيره . . . . وطرد ذلك انه لا يعقل انه يريد بارادة احدثها في غيره ، ولا محب ، وراض ، وغضبان ، وساخط ، برض ومجبة وغضب ، وسخط ، خلقه في غيره ) .

ويخلص الى القول بأن ( الكلام والقدرة والعلم وسائر الصفات انما يتصف بها من قامت به ) . " ١ "

ويؤكد الامام ابن القيم هذا فيقول : ( ان اتباع الرسل الذين نقلوا هذا الباب عنهم ، اثبتوا لله صفة الكلام ، كما اثبتوا له سائر الصفات ، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها ، لا كما يقوله بعض المكابرين انه خلق الكلام لا في محل ، ومحال قيامها بغير الموصوف بها ، وكما يقوله المكابرا الاخر ، انه خلق في محل ، فكان هو المتكلم به دون المحل ) . " ٢ "

٣ - صفات الله زائدة عن ذاته :

=====  
يري محرروا مذهب السلف ، ومقرروه ان الصفات الالهية ، كالقدرة ، والعلم ، والارادة . . . . معان قائمة بالذات

---

١ - نفس المرجع ، ( ١ : ٢٥٨ ) نقلا عن منهاج السنة النبوية

( ٢ : ٢٩٠ - ٢٩١ ) .

٢ - نفس المرجع : / نقلا عن مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية

والمعطله ( ٣ : ٢٩٣ ) .

زائدة عليها .

قال ابن تيمية ، حاكيا مذهب جمهور مشبهة الصفات الذين

يقولون بأن لله تعالى صفاتا زائدة عن ذاته :

( واما جمهور مشبته والصفات فيقولون : لا يكون عالما ، الا بعلم ،

ولا قادرا الا بقدره ، اي يمنع ان يكون عالما من لا علم له ، وان يكون قادرا

من لا قدرة له ، وان يكون حيا من لا حياة له ، ولا ريب ان هذا معلوم ضرورة

فان وجود اسم الفاعل بدون مسمى المصدر ممتنع ، وهكذا كما لو قيل : نصل

بلا صلاة ، وصائم بلا صيام ، وناطق بلا نطق ) . ( ٣ )

وعارض منكرى الصفات ، ودلل على فساد رأيهم ، وقال ان الذات

بدون صفات لها امر لا وجود له في الازهان ، وليس لها وجود في الخارج ،

فان الذهن قد يفرض أحيانا المظالم ويتخيلها ، فانه لا يمكن وجود شيء قائم

بنفسه في الخارج لا يتصف بصفة ثبوتية اصلا ، ( ففرض ذاته بدون صفاته

اللازمة الواجبة له فرض ممتنع ) . ( ٢ )

وقال شارح الطحاوية : ( ولهذا كان أئمة السنة رحمهم الله تعالى ،

لا يطلقون على صفات الله وكلامه انه غيره ، ولا انه ليس غيره ، لان اطلاق

الاثبات قد يشعر ان ذلك مباهين له ، واطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو ،

اذا كان لفظ الغير فيه اجمال ، فلا يطلق الا مع البيان والتفصيل :

فان اريد به ان هناك ذاتا مجردة قائمة بنفسها منفصلة عن الصفات

الزائدة عليها - فهذا غير صحيح .

وان اريد به ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير

ما يفهم من معنى الصفة - فهذا حق . ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن

١ - منهاج السنة النبوية ( ٢ : ٣٨٨ ) .

٢ - نفس المصدر ص ٣٩٠ .

الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال ، الثابتة لها ، لا تنفصل عنها ،  
وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة كلا وحده . ولكن ليس في الخارج ذات غير  
موصوفة ، فان هذا محال .

ولو لم يكن الا صفة الوجود ، فانها لا تنفك عن الموجود ، وان كان  
الذهن يفرض ذاتا ووجودا ، يتصور هذا وحده ، وهذا وحده ، لكن لا ينفك  
احدهما عن الاخر في الخارج ) . " ١ "

فالسلف رضي الله عنهم يرون ان اثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا  
يتصور لها وجود في الخارج . وان كان الذهن قد يفرض المحال ويتخيله ،  
وهذا كما يقول السلف " غاية التعطيل " .

وهو بمنزلة من يقول : اثبت انسانا لا حيوانا ولا ناطقا ، ولا قائما  
بنفسه ، ولا بخيره ، ولا له قدرة ولا حياة ولا حركة ولا سكون ولا . . . . ولا .  
أو قال : اثبت شجرة لا ساق لها ولا جذع ، ولا ثمر ولا ورق ولا  
غير ذلك فان من يقول هذا يثبت ما لا حقيقة له في الخارج ولا يمكن تصوره .  
وقد استدل السلف بأصل اللغة فقالوا :

ان لفظ " ذات " في اصل معناها لا تستعمل الاضافة .  
تقول : ذات وجود ، ذات قدرة ، ذات ارادة . . . الى اخر ذلك  
وقالوا : يشهد لهذا ما ورد في القران الكريم :—  
١ — قال تعالى " عليم بذات الصدور " . " ٢ "

---

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٩ .

٢ — سورة ال عمران اية ( ١١٩ ) ، ( ١٥٤ ) / سورة المائدة اية ( ٧ ) /

وسورة الانفال ( ٤٣ ) / وسورة هود اية ( ٥ ) / ولقمان اية ( ٢٣ ) /

وفاطرية ( ٣٨ ) / والزمراية ( ٧ ) / والشورى اية ( ٢٤ ) /

والحديد اية ( ٦ ) / والتغابن اية ( ٤ ) / والملك اية ( ١٣ ) .



٢ - وقال تعالى : " فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم " . " ١ "

وايضا : فقد كثر استعمالها مضافة عند العرب وفي اشعارهم ،  
فيقولون : " ذات الاله " ، وذات كذا بمعنى صاحبة كذا ، وهي تأنيث ذو  
وهو اصل معناها . " ٢ "

وفي الاسلام استعملها الشعراء كخبيب بن عدى ، وحسان بن ثابت  
رضي الله عنهم ، فكانوا يقولون : " وذلك في ذات الاله " " ٣ " ، " يجاهد  
في ذات الاله " . " ٤ "

فلا يتصور انفصال الذات عن الصفات ، ووجود ذلك في الذهن شيء فوضي  
له كما يفرض عرض يقوم بنفسه لا بخيره ، وصفة لا تقوم بخيرها ، فما هو قائم  
بنفسه فلا بد له من صفة ، وما كان صفة فلا بد له من قائم بنفسه متصف به ،  
وقد سلم المنازعون انهم لا يعلمون قائما بنفسه لا صفة له ، سواء سموه جوهرًا  
او جسما او غير ذلك .

ويقولون : وجود جوهر مصرى عن جميع الاعراض متمتع " . " ٥ "

١ - سورة الانفال اية ( ١ ) .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٣ - من قول الصحابي الجليل خبيب بن عدى ، حين قتلوه طعنا ، ووجهوه  
بخلاف جهة الكعبة ،

قال : ولست ابالي حين اقتل مسلما على اى جنب كان في الله مصري .

وذلك في ذات الاله وان يشأ يبارك على اوصال شلومس

انظر : بدائع الفوائد ، لابن القيم ، طبعة دار الطباعة المنيرية ،

بيروت ( ٢ : ٦ ) .

٤ - من قول شاعر الاسلام حسان بن ثابت ، وهو ينشد النبي صلى الله عليه

وسلم .

قال : شهدت باذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عمل

وان أخوا الاحقاف ان قام فيهم يجاهد في ذات الاله ويعمدل

انظر : شرح الطحاوية ص ٣١٥ .

٥ - شرح الطحاوية ص ١٢٩ - ١٣٠ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

(ولهذا كان السلف والائمة يسمون نفاة الصفات معطلة ، لان حقيقة قولهم  
تمطيل ذات الله تعالى ، وان كانوا هم لا يعلمون ، ان قولهم مستلزم للتمطيل  
بل يصفونه بالوصفين المتناقضين ، فيقولون هو موجود ، قديم ، واجب ثم ينفون  
لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم ، موجود ليس بموجود ، حق ليس بحق ، خالق  
ليس بخالق ، فينفون عنه النقيضين ، اما تصريحها بنفيهما ، واما امساكها عن  
الاخبار بواحد منهما ) " ١ "

والامام ابن القيم قد رآه لا بد من اثبات صفات الكمال لله تعالى ، وانها  
معاني زائدة على ذات الاله ، فقال :-

( ان أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله ، فهي مشتقة من  
الصفات ، فهي أسماء وأوصاف ، لأنها لو لم تدل على معاني زائدة وأوصاف ،  
لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ، لكن الله أخبر عنها بمصادرها ،  
وأثبتها لنفسه ، وأثبتها له رسوله ، وكوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو  
القوة المتين " " ٢ " فعلم ان القوة من أسماء ، ومعناه الموصوف بالقوة ،  
فلولا ثبوت القوة لم يكن قويا .

وايضا لو لم تكن أسماؤه مشتتة على معان وصفات لم يسح أن يخبر عنه  
بأفعاله ، فلا يقال : يسبح ، ويرى ، ويعلم ، ويقدر ، ويريد .

فان ثبوت احكام الصفات فرع ثبوتها ، فاذا انتفى أصل الصفة استحال ثبوت

حكما .

وايضا لو لم تكن اسماؤه ذوات معان واوصاف ، لكانت جامدة ، كالاعلام  
المحضة التي لم توضع لسمائها باعتبار معنى قام به ، فكانت كلها سواء ، ولم يكن  
فرق بين مدلولاتها .

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٥ : ٣٢٦ - ٣٢٧ ) .

٢ - سورة الذاريات اية ( ٥٨ ) .

وهذه مكابرة صريحة ، وهت بين ، فان من جعل اسم القدير هو معنى اسم السميع البصير ، ومعنى اسم الثواب هو معنى اسم المنتقم ، ومعنى اسم المعطي هو معنى اسم المانع ، فقد كابر العقل واللغة والدين ، فنفى معاني أسماؤه من اعظم الالحاد فيها ) . " ١ "

هذا ما قرره علماء السلف ، وقد ردوا على من خالفهم من المعتزلة وغيرهم الذين نفوا ان يكون لله تعالى صفات زائدة عن ذاته ، بحجة أنه : لو كان لله تعالى صفات قديمة زائدة على ذاته سبحانه ، لشاركت الله في أخص وصفه ، ولتعدد القدماء ، وهذا يتنافى مع الوحدة الواجبة لله تعالى .

وقد حكم الله تعالى على النصارى بالكفر لقولهم : " ان الله ثالث ثلاثة " وقال " وما من اله الا اله واحد " " ٢ " لا صفات له زائدة على ذاته الواحدة ، ومن هنا كان التوحيد هو الأصل الأول في أصول المعتزلة . " ٣ " فقالوا :

ان المنوع هو وجود ذوات قديمة متعددة ، لان هذا هو الشرك المنافي للتوحيد وقد حكم الله تعالى بكفر النصارى لأنهم قالوا بوجود ذوات متعددة يستحق كل واحد منها ان يعبد ، فقالوا : " ان الله ثالث ثلاثة " فقال الله تعالى ردا عليهم : " وما من اله الا اله واحد " ولم يقل ما من قديم الا قديم واحد .

---

١ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ( ١ : ٢٨ - ٢٩ )

٢ - سورة المائدة اية ( ٧٣ ) .

٣ - انظر : شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٨٢ وما بعدها .

وانظر : الملل والنحل للشهرستاني ( ١ : ٤٤ ) .

وانظر : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ، تحقيق وتحضير

وتصحيح : الفرد خيوم ص ٢٠١ .

وقد رأيت ما قاله شارح الطحاوية : ( ان الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة ، والذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها ) .

ويقول أيضا :

( وقد يقول بعضهم : الصفة لا عين الموصوف ولا غيره ، هذا له معنى صحيح ، وهو ان الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفوضها الذهن مجردة بل هي غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد .

فاذا قلت : اعوذ بالله . فقد عدت بالذات المقدسة الموصوفة

بصفات الكمال المقدسة الثابتة التي لا تقبل الانفصال بوجه من الوجوه .  
واذا قلت اعوذ بعزة الله ، فقد عدت بصفة من صفات الله تعالى ولم

أعذ بغير الله ( " ١ " )

وقال : ( وهذا المعنى يفهم من لفظ الذات ) .

وقد ذكرت قبل قليل اصل معنى الذات ، وانها لا تستعمل في اصل

معناها الا مضافة ويستشهد شارح الطحاوية على ما قال بحديث الرسول صلى الله

عليه وسلم : " اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " . " ٢ "

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

٢ - الحديث صحيح ، أخرجه مسلم رقم ( ٢٢٠٢ ) ونصه بتمامه : عن عثمان بن ابي العاص الثقفي أنه شكأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في جسده منذ اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضحك يدك على الذي تألم من جسدي وقل : بسم الله ثلاثا ، وقل سبع مرات : اعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر " ورواه مالك في " الموطأ " ( ٢ : ٩٤٢ / ٩ ) ، وعند ابوداود رقم ( ٣٨٩١ ) والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . =

ويقوله ايضا : " اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " . " ١ "   
 ولا يعوذ عليه السلام بخير الله ، وكذا قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم اني   
 اعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك ، واعوذ بك منك " . " ٢ "   
 وقال صلى الله عليه وسلم : " ونعوذ بمظلمتك ان نفتال من تحتنا " . " ٣ "   
 وقوله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات " . " ٤ "   
 وقد ذكر ذلك ايضا شيخ الاسلام ابن تيمية ، مستشهدا بقول أئمة   
 السلف ومنهم الامام أحمد رضي الله عنهم .

قال :

( وقد نص الائمة كأحمد بن حنبل وغيره ، على ان القائل اذا قال :   
 الحمد لله ، أو قال : دعوات الله وعبدته ، او قال : عذت بالله ،   
 فاسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته ، وليست صفاته زائدة على مسمى   
 أسمائه الحسنى ) . " ٥ " )

---

= بلفظ : " اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد " دون لفظة احاذر ،   
 وكذلك رواه احمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد . / انظر شرح الطحاوية   
 ص ١٣٠ .

١ - صحيح اخرجه مسلم ( ٢٧٠٨ ) ، وابوداود ( ١٨٩٨ ) ، ( ٣٨٩٩ ) ،   
 وسنده صحيح .

٢ - رواه مسلم وغيره وهو من ادعية السجود .

٣ - صحيح اخرجه ابوداود ( ٥٠٧٤ ) ، واحمد ( ٢ : ٢٥ ) بسند صحيح   
 وهو من ادعية الصباح والمساء .

٤ - حديث ضعيف رواه ابن اسحق بسند ضعيف معضل .

انظر شرح الطحاوية ص ١٣١ .

٥ - مجموع الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، تعليق الشيخ محمد

رشيد رضا ( ٥ : ٥١ ) .

ويرى السلف ايضا أن كل صفة من الصفات ملازمة للاخرى لا تنفك عنها

يقول ابن تيمية :

( فان البارئ تعالى خالق لكل ما سواه ، فله تعلق بمخلوقاته ،  
وذاته ملازمة لصفاته ، وصفاته ملازمة لذاته ، وكل من صفاته اللازمة ملازمة  
لصفته الاخرى ) " ١ "

ولا يصح عند السلف اطلاق لفظ الغير على الصفات لما فيه من الاجمال

الموهوم للشركة ، ولا لفظ العين لانه يوهم نفيها .

وأساس ذلك أنه لا يصح في مسألة الصفة أن تستعمل الالفاظ التي لم

يورد بنفيها ولا اثباتها شي \* في الكتاب والسنة .

وهذا ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية :

قال : ( فاذا لا نطلق على صفاته أنها غيره ولا انها ليست غيره

على ما هو عليه ائمة السلف كالامام احمد بن حنبل وغيره ، وهو اختيار حذاق

المثبتة كابن كلاب وغيره ، ومنهم من يقول : أنا لا اطلق عليها أنها ليست

هي هو ، ولا اطلق عليها أنها ليست غيره ) " ٢ "

وعد :

فقد بينت مذهب السلف رضوان الله عليهم في العلاقة بين الذات

الالهية ، وصفاتها ، وقلت انهم يثبتون لله تعالى أوصافا قديمة قائمة بذاته ،

زائدة عليها ، حسبما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

١ - منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق دكتور رشاد سالم ( ٢ : ٩٦ ) .

٢ - مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية ( ٥ : ٥٠ )

وانظر مجموع الفتاوى ( ٥ : ٣٢٦ ) ، ( ٦ : ٩٧ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ )

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٣٠ .

وانظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٥٥ )

وما بعدها .

وذلك : فقد أعطوا تصورا واضحا لتحديد العلاقة بين الذات ،

والصفات الالهية ، في الفكر الاسلامي .

وبناء عليه ، وعلى ضوء ما قرره السلف أستطيع أن أقول :-

ان الشيخ " محمد عبده " توقف في موضوع زيادة الصفات على الذات

ولم يعط القارئ ، تصورا واضحا في ذلك ، بل تركه رهين قوله : ( أما

كون الصفات زائدة على الذات ، وكون الكلام صفة غير ما اشتمل عليه العلم من معاني

الكتب السماوية وكون السمع والبصر غير العلم بالمسموعات والمبصرات ونحو ذلك من

الشؤون التي اختلف عليها النظار ، وتفرقت فيها المذاهب ، فمما لا يجوز

الخوض فيه ، اذ لا يمكن لعقول البشر ان تصل اليه ) " ١ " من غير ان يذكر

شيئا مما قاله السلف في هذا الموضوع ، ويبين مذاهبهم فيه .

وأنا لا اعيب على الشيخ " محمد عبده " أن يتوقف في مثل هذه

المسألة فان المرء يتوقف عن الشيء عند شعوره بالمعجز عن التماهي فيه ،

ولكن الذي أخذه عليه هو ما عطل به هذا التوقف ، فقد عطله بأمرين :-

الامر الأول : المعجز البشري عن الوصول الى تحديد كنه هذه

العلاقة بين الذات الالهية وصفاتها .

يقول : ( اذ لا يمكن لعقول البشر أن تصل اليه ) " ٢ " .

ويقول : ( فانك قاصر عن ان تدركه ) " ٣ " .

ويقول : ( ولا يمكن لمقولنا ان تصل اليه ) " ٤ " .

١ - رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٨٠ - ٣٨١ ) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٣٣٢ ) .

٤ - رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٨٠ ) .

ويقول : ( ومنتهي ما تصل اليه عقولنا ان نعرف الصفات بما يدل عليها  
أما الذات فهي اعلى وارفع من ان تتوجه عقولنا اليها ) \* ١ \*  
ولو كلف الشيخ " محمد عبده " نفسه في البحث ، عن وجهة نظر  
السلف في هذا الموضوع ، واستعمل عقله في فهم مقصودهم ، لتبين له ان  
الانسان يستطيع ان يحدد نوعية العلاقة القائمة بين ذات الله وصفاته ، في ضوء  
ما ورد من اخبار على لسان الشرع . بل ان العقل واللغة يدلان على هذا .

### الأمر الثاني :

انه اعترض على من التمس أدلة من السمع لا يوضح هذه العلاقة  
بمغلا اعترضه هذا بأن القران الذي نزل بلسان العرب ليس قاصدا في استعمالاته  
على الحقيقة وحدها . لكنه يتجاوزها الى المجاز .  
وحتى على فرض اقتضاره على الحقيقة فان الواضح للالفاظ لا يراعي كنه  
الحقائق ، وما هياتها ، كما هي عليه في نفس الأمر ، بل يراعي ما يفهم منها  
في عرف الناس واصطلاحاتهم .  
وهذا غير مسلم للشيخ " محمد عبده " ، ولن اقبله منه بحال ،  
لأن القران كلام الله ، لا ككلام البشر ، والله سبحانه يعرف حقائق الاشياء  
وما هياتها ، والبشر لا يعرفون ، وانما استعمل الالفاظ في الدلالة فانه  
يستعملها فيما يدل على الحقائق والماهيات الاصلية .  
هذا هو عين الرأي الذي ثبت عليه السلف مع من يدعون المجاز في القران .  
فالواجب عندهم على كل مسلم أن يعلم ويعرف ان كل لفظ موجود في

---

١ - تفسير جزء عم ، الموجود ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٨٢ ) .

٢ - سوف يأتي بحث الحقيقة والمجاز ، بعد قليل عند البحث في الصفات  
الخبرية .



كتاب الله مقيد بما يدل على معناه ، وليس في القرآن شيء من ذلك المجاز ،  
بل كله حقيقة . لانه ليس هناك ضابط مميز لما هو حقيقة ، ولما هو مجاز ،  
بل يجوز ان يدعى المجاز فيما هو حقيقة ، والحقيقة فيما هو مجاز .  
وايضا : فالسلف ينتهون الى انه لا يجوز اخضاع لغة القرآن لتقسيم اللفظ الى  
لفظ على الحقيقة ، ولفظ على المجاز ، لان هذا التقسيم لم يكن معروفا عند  
المقدمين ، وما كانوا يستعملونه ، وانما هو محدث ، استحدث بعد القرون  
الثلاثة الاولى . " ١ "

وبناء على ذلك يقرر السلف ان جميع الصفات الالهية يجب ان تظل على

حقيقتها ولا داعي لصرافها عن ظاهرها استنادا لما يأتي :-

١ - التبع اللغوي :

فان من يستقصي لغة العرب في عصر الاستشهاد ، لا يجد من يقول

بتقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز .

٢ - العرف السائد في اللغة :

فالعرف الذي كان سائدا بين العرب ، وقت نزول القرآن ، لم يعرف

هذا التقسيم ، فلم يقل به احد من الصحابة ، وكان خطاب القوان للناس نصا

في معناه ، من غير تجوز ولا تأويل ، بناء على التداول المعروف في الخطاب

في لغتهم .

٣ - ان تقسيم اللفظ الى حقيقة ومجاز يستلزم القول بأن اللغات وضعية ، وهذا

قول لا يمكن لاحد ان يقدم الدليل عليه .

٤ - يوجد نوع من التجوز في الاستعمال اللغوي لبعض الالفاظ المتواظفة التي

هي من قبيل المشترك اللفظي .

والتجوز في التعبير بهذا اللفظ المعين عن هذا المعنى أو ذاك ليس  
تجوزا في الدلالة ، بمعنى ان لا يكون حقيقة في احدهما مجازا في الاخر ،  
بل هو حقيقة فيهما ، والتجوز انما هو في التعبير فقط .  
ومن هذا النوع الفاظ مثل " المين " ، " واليد " فهذه الألفاظ  
يوجد قدر مشترك بين عامة موارد ها في الاستعمال ، ولهذا كانت حقيقة في معناها  
المراد . " ١ "

هذا هو المنهج الواضح الذي سار عليه السلف ومن تبعهم ، قد  
عرفنا في ضوءه نقاط الالتقاء ، والافتراق بينهم وبين الشيخ محمد عبده .  
والآن أريد أن ادرس الصفات الالهية في فكر الشيخ محمد عبده ،  
وأعرضها على منهج السلف الذي تفهم في ضوءه هذه الصفات ، لأرى ، هل  
الشيخ محمد عبده مع السلف في تحديد معنى الصفات أم لا ؟

===

---

١ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٢٨٥ )  
تقلا عن كتاب : ابن تيمية وموقفه من التأويل ، للدكتور الجلبيد ، طبع  
مجمع البحوث العلمية ص ٣٧٩ .

١ - " الحياة "

=====

يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما يجب ان يكون لله تعالى صفة

• الحياة

معناها :

=====  
وبيان معناها أنها صفة لله تستتبع العلم والارادة • " ١ "

أو : ( انما معنى الحياة بالنسبة اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة ،

أى الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة ) • " ٢ "

اثباتها :

===== استدل الشيخ محمد عبده على انه تعالى " حى " بوجوه :

الاول : قوله تعالى " الله لا اله الا هو الحي القيوم " • " ٣ "

وجه الاستدلال :

قال : وأما الحي فهو ذو الحياة ، وهي مبدأ الشعور والادراك

والحركة والنمو ، وذلك كمثل النبات والحيوان ، فان كلا منهما حي وان تفاوتت

الحياة فيهما ، فكانت في النبات اكمل منها في الحيوان •

والحياة بهذا المعنى مما ينزه الله تعالى عنه ، لانه محال عليه •

ويستبعد الشيخ محمد عبده تفسير الجلال " ٤ " " الحي " بالدائم

---

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٢ ) •

٢ - انظر تفسير المنار المجلد الاول ، عند قوله تعالى " الله لا اله الا هو

الحي القيوم " •

٣ - سورة البقرة اية ( ٢٥٥ ) •

٤ - تفسير الجلالين ص ( ٤٥ ) ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر

السيوطي ، جلال الدين محمد بن احمد المحلي ، الطبعة الثالثة •

مكتبة ومطبعة مصطفى الهادي المحلي واولاده بمصر ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م •

البقاء ، ويقول انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ، ويقرر ان معنى الحياة بالنسبة  
اليه سبحانه مبدأ العلم والقدرة •  
الوجه الثاني : عقلي :

وهو : ان الحياة مصدر النظام ، وناموس الحكمة ، وهي كمال  
للوجود ، ولولم تثبت له هذه الصفة ، لكان في الممكنات ما هو اكمل منه  
وجودا ، والمعلوم انه اعلى الموجودات واكملها •  
وايضا : الواجب هو واجب الوجود وما يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا  
للحياة يعطيها ؟

فالحياة له ، كما أنه مصدرها •  
” مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده ”

===== في بيان مفهوم الحياة قال الشيخ محمد

عبده : انها صفة تستتبع العلم والارادة •  
ولا ندري هل يريد بالاستتباع في قوله تستتبع الاستلزام ؟ لكن يريد  
على ذلك انه ليست الحياة دائما تستلزم العلم والارادة ، فالحيوان يريد غير  
عالم ، والنبات لا يريد ولا عالم وكلاهما حي •

ولو فسرنا الاستتباع بمعنى ان العلم والارادة تابعتان في الدرجة  
والتعقل للحياة ، بمعنى أنه لا يعقل ان غير الحي يكون عالما أو مريدا • لكان  
ذلك أولى • ولعله يريد ذلك •

ويؤيده ما ذكره في تفسير قوله تعالى ” الله لا اله الا هو الحي القيوم ”  
فقد استبعد ان يكون الحي هو دائم البقاء ، وقال انه لا يفهم من اللفظ مطلقا ،  
وذلك لان دوام البقاء لا يستلزم الحياة كالجماد مثلا اذا دامت بقاؤه •

ولا أسلم للشيخ محمد عبده قوله : الواجب هو واهب الوجود وما  
يتبعه ، فكيف لو كان فاقدا للحياة يعطيها ؟ •

لأنه يصلح للبشر ، ففاقد الشيء من البشر لا يستطيع أن يعطيه  
لكن بالنسبة لله ، يستطيع ان يعطي ما هو كمال وما هو نقص ، مع أن النقص  
ليس فيه •

فقضية ان فاقد الشيء لا يعطيه هي من المشهورات وليست من العلوم  
الصحيحة •

أما بقية كلامه في بيان مفهوم واثبات صفة الحياة لله تعالى • فهو  
موافق لما عليه السلف ، وكثير غيرهم •

قد اثبتوا لله صفة حياة حقيقية أزلية لا تفتك بكماله وجلاله • " ١ "  
فهو سبحانه وتعالى حي ، وله حياة يباين بها صفة من ليس

بحي •

أدلة السلف :

===== استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب ، واجماع أهل

الأديان ، والعقل •

١ - الكتاب الكريم :

===== ورد في الكتاب ذكر " الحي " الذي فيه معنى الحياة

لله تعالى ، في الايات التالية :

---

١ - انظر : الفقه الأكبر في التوحيد ، لمحمد بن ادريس الشافعي ، الطبعة

الاولى ، المطبعة الادبية ، بالازبكية على نفقة احمد افندي ،

ص ١٤ •

وانظر : الفقه الأكبر لابن حنيفة النعمان بن ثابت ، بشرح عبد الكريم تان

نشر وتوزيع مكتبة الفزالي ، ومكتبة ابن الفارض حماة ، ص ١٠ •

وانظر : منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ، لمحمد الامين الشنقيطي ،

طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، توزيع الجامعة الاسلاميية

بالمدينة المنورة ص ٦ •

- أ : قال تعالى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " ١
- ب : قال تعالى : " الم ، الله لا اله الا هو الحي القيوم " ٢
- ج : قال تعالى : " وعنت الوجوه للحي القيوم " ٣
- د : قال تعالى : " وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده " ٤
- ه : قال تعالى : " هو الحي الذي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين " ٥

وجه الاستدلال :

===== هذه الايات تفيد بأن الله حي ، وهذا يدل على أنه لا يكون حيا الا بحياة هي صفة من صفاته ، وهي صفة كمال ، بل هي مستلزمة لجميع صفات الكمال ، وكل كمال لا نقص فيه ثبت لمخلوق ، وامكن ان يتصف به الخالق فهو أولى به " ٦ "

قال شارح الطحاوية ما معناه :

ان الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال ولا يتخلف عنها صفة منها ، وان اسم الحي انتظم صفات الكمال ، ثم انتظام عطية مدار الاسماء الحسنى كلها ، واليه ترجع معانيها " ٧ "

- 
- ١ - سورة البقرة اية ( ٢٥٥ ) .
  - ٢ - سورة ال عمران الايات ( ١ - ٢ ) .
  - ٣ - سورة طه اية ( ١١١ ) .
  - ٤ - سورة الفرقان اية ( ٥٨ ) .
  - ٥ - سورة غافر اية ( ٦٥ ) .
  - ٦ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٨٩ .
  - ٧ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ، ص ١٢٥ .

٢ - اجماع اهل الاديان :

===== ذكر كثير من العلماء "١" " أن أهل الاديان السماوية

وغيرهم ، استدلوا على ان الله تعالى " حي " .

وقال العلماء : ان اثبات ذلك مما اتفق عليه الكل . "٢"

٣ - العقل :

===== قال السلف : ثبت أنه تعالى قادر عالم فمن كان

كذلك فهو حي .

أما المقدمة الاولى : فدليلها ما يأتي في بحث العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى

وأما المقدمة الثانية : فلأنه لا يتصور قادر عالم ليس حيا ، بمعنى انه يستحيل

قيام العلم والقدرة بخير الحي .

فثبتت النتيجة وهي اثبات صفة الحياة لله تعالى . "٣"

وهذا الدليل العقلي معناه عند ابن تيمية أن من شرط من يتصف

بالعلم والقدرة ان يكون حيا ، اذ أن ما ليس بحيي يمتنع ان يكون عالما ، والعلم

---

١ - انظر شرح المواقف ، الموقف الخامس في الالهيات ص ١٢٩ / وانظر

الملل والنحل للشهرستاني ( ١ : ٤٤ ) .

٢ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية ، تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد ، ومحمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ هـ -

١٩٥١ م ( ١ : ١٤ - ١٥ ) .

وانظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ١٦٠ وما بعدها .

٣ - انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين . لأبي يعلى ، محمد بن الحسين

ابن خلف الجنبلي ، تحقيق الدكتور / وديع زيدان حداد ، دار المشرق

بيروت - لبنان ص ٤٧ .

بهذا ضروري وهذه الشروط العقلية لا تختلف شاهدا ، ولا غائبا ، فتقدير عالم  
بلا حياة ممتنع بصريح العقل . " ١ "

هذا هو مذهب السلف وجمهور العلماء في اثبات صفة الحياة لله

تمالي . وبيان مفهومها . وهو مذهب واضح .

لكن الشيخ محمد عبده في بيان مفهوم الحياة قال : انها مبدأ

العلم والقدرة ،

ثم قال : اي الوصف يعقل معه الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة ، وقبلها قال :

انها صفة تستتبع العلم والارادة .

وقد ناقشت هذا القول ، وقي على أن أقول :

أن أراد الشيخ محمد عبده بالحياة انها صفة توجب صحة الاتصاف

بالعلم والارادة والقدرة ، فهو مع جمهور اهل السنة .

اما اذا اراد بالحياة انها صحة الاتصاف بالعلم والقدرة والارادة فقط ،

دون غيرها من الصفات فهذا لا بد له من مرجح ، لان الحياة كما يصح معها الاتصاف

بالعلم والقدرة والارادة يصح معها الاتصاف بالسمع والبصر والكلام . . .

ولعل الشيخ محمد عبده قد ذكر العلم والارادة والقدرة في تعريف

الحياة للتمثيل لا للحصر . فان للحياة خواص متعددة ، منها صحة الاتصاف

بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام أو ببعض ذلك أو بجميعه فيكون

الشيخ محمد عبده بذلك قد عرفها بالرسم باحدى خواصها ، فيكون قد أخذ

العلم والارادة والقدرة في التعريف للتمثيل ، لانه يجوز ان تعرف الحياة بخاصة

اخرى كصحة الاتصاف بالسمع أو البصر مثلا . " ٢ "

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٢٦ .

٢ - من مذكرات الشيخ محمد يوسف الشيخ في مادة " العقيدة " لسنة



٢ - الملهم

=====

تعريفه ، وثبوته :

===== يذهب الشيخ محمد عبده الى انه مما يجب ان يكون

لله تعالى " صفة العلم " .

أ : تعريفه :

===== وقد بين الشيخ محمد عبده المراد به فقال : ويراد به :

ما به انكشاف شيء عند من تثبت له تلك الصفة . اي مصدر ذلك الانكشاف منه .<sup>١</sup>

ب - ثبوته :

===== وقد استدال الشيخ محمد عبده على ثبوت تلك الصفة

بالاستدلالات التالية :

١ - الاستدلال الاول : قال :

=====

ان العلم من الصفات الوجودية التي تعد كمالا في الوجود ، ويمكن

ان تكون للواجب ، وكل ما كان كذلك ، وجب ان يثبت له ، فواجب الوجود عالم .

٢ - الاستدلال الثاني : قال :

=====

ان الابداهة تقضي بأن العلم كمال في الموجودات الممكنة ، ومعلوم

ان من الممكنات من هو عالم ، فلو لم يكن الله عالما لكان في الموجودات الممكنة ما هو

اكمل منه ، وهو محال عليه تعالى .

وهذا استدلال بقياس الاولى ، وهو طريق اثبات الكمال لله .

---

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٢ ) .

٣ - الاستدلال الثالث : بالمقل

=====

قال : ان الله هو مصدر العلم ، وهو واجب العلم في عالم  
الامكان ، ولا يقبل العقل ان مصدر الشيء يقده ،  
وفي الرد على هذا يرجع الى ما قلناه في التعليق عليه تحت الكلام  
على صفة الحياة .

٤ - القسم الرابع من الاستدلال :

=====

قال : ما نشاهده في نظام الممكنات من الاحكام والاشقان ،  
ووضع كل شيء في موضعه ، يدل على ان مصدره هو العالم بكل شيء الذي اعطى  
كل شيء خلقه ثم هدى .

وفي الختام : يرى الشيخ محمد عبده ان علم الواجب من لسوازم  
ذاته ، وهو محيط بكل ما يمكن علمه ، وعلمه تعالى لا يفقر الى شيء ، بل وراء ذاته  
فهو ازلي ، ابدى ، غني عن الآلات .

ويقول : ما يوجد من الممكنات فهو موافق لما انكشف بذلك العلم

والا لم يكن علما .

" مناقشة كلام الشيخ محمد عبده "

=====

قول الشيخ محمد عبده ، في صفة العالم ، في غاية الصراحة  
والوضوح لم يخرج فيه عن مذهب السلف في هذه الصفة ، الا في نقاط بسيطة لي عليها  
بعض الملاحظات ، سوف اذكرها خلال هذه المناقشة .

فمن ناحية التعريف : ذكر العلماء تعريفا للعلم الالهي ، وهو صفة

• قديمة قائمة بذاته تعالى ينكشف بها جميع المعلومات على وجه الاحاطه والشمول  
• ومعنى الانكشاف : الظهور والايضاح • وتميز العلم بهذا عن القدرة لان  
القدرة بها اليجاد والاعدام ، لا الانكشاف •

• وتميز عن الكلام لان الكلام لا فاداة المخاطب لا الانكشاف •

• وتميز عن الارادة لان الارادة بها التخصيص لا الانكشاف •

• وتميز عن الحياة لان الحياة ليست صفة تعلق •

والمعلومات : ما شأنها أن تعلم سواء كانت واجبة أو مستحيلة أو ممكنة

وهذا تميز العلم عن السمع والبصر لانهما انما ينكشف بهما بعض المعلومات وهي

المبصرات والمسوعات •

ومن ناحية ثبوت علمه تعالى : فقد استدل العلماء على اتصافه تعالى

بالعلم بأدلة من الكتاب الكريم ، وبالمقول ، على النحو التالي :

١ - الاستدلال بالكتاب :

=====

تحدث الكتاب المبين في علم الله تعالى وصفا واثباتا ، في كثير من

الآيات ، اذكر منها :

١ - قوله تعالى : " لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه " • " ١ "

٢ - قوله تعالى : " فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله " • " ٢ "

٣ - قوله تعالى : " يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه

الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض " • " ٣ "

٤ - قوله تعالى : " ويعلم ما في السموات وما في الارض " • " ٤ "

---

١ - سورة النساء آية ( ١٦٦ ) •

٢ - سورة هود آية ( ١١٤ ) •

٣ - سورة البقرة آية ( ٢٥٥ ) •

٤ - سورة ال عمران آية ( ٢٩ ) •

- ٥ — قوله تعالى : " يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور " . " ١ "
- ٦ — قوله تعالى : " عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين " . " ٢ "
- ٧ — قوله تعالى : " ان الله بكل شيء عليم " . " ٣ "
- والآيات الدالة على اضافة العلم اليه كثيرة جدا في القران ، وكذا الآيات التي تدل على اتصافه بالعلم .
- فهو عالم بعلم قائم بذاته ، قديم ازلي متعلق بمعلومات غير مشناهية . " ٤ "

٢ — الاستدلال بالمعقول :

=====

قالوا : ان الذي يعلم كل شيء ، لا بد ان يعلمه بعلم ، اذ من غير المعقول ان يكون عالم بلا علم . فهو عالم بعلم . " ٥ "

وايضا : فان من المخلوقات من هو عالم ، والعلم صفة كمال ، وكل كمال اتصف به المخلوق ، فالخالق متصف به من باب أولى .

ثم ان كل علم في المخلوقات فهو منه تعالى ، فهو واهب العلم في عالم الامكان ويستحيل ان يكون مهدح الكمال وواهبه عالميا منه ، بل هو احق

---

١ — سورة سبأ اية ( ٢ ) .

٢ — سورة سبأ اية ( ٣ ) .

٣ — سورة العنكبوت اية ( ٦٢ ) .

٤ — انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ١٢٥ .

وانظر : الاربعين في اصول الدين ، للفرزالي ، تحقيق محمد مصطفى

ابو الملا ، مكتبة الجندي ، ص ١٦ .

٥ — انظر كتاب : الابانة فن اصول الديانة ، للاشعري مطبوعات الجامعة الاسلامية =

به ، وهو احق بكل كمال ، واولى بالتنزه عن كل نقص . " ١ " .  
أقول :

=====

تحدث القرآن الكريم عن علم الله تعالى مرشدا الى قسمين من اقسام  
الاستدلال عليه هما :

القسم الاول : الاستدلال بما يرى في هذا الكون من اتقان الصنع  
واحكامه ، فقد عرض القرآن بدائع هذا الكون العظيم على الناس ليرشد هم الى ما  
فيه من وجوه الاتقان والاحكام ، كما مر معنا سابقا .  
وحاصله : أن العالم متقن محكم لانه يسير بنظام دقيق لم يطرأ  
عليه خلل واضطراب لي لحظة من عمره المديد ، وما كان كذلك فصانعه العليم  
الخبير .

وهذا القسم من الاستدلال ذكره الشيخ محمد عبده في القسم الرابع  
من الاستدلال .

القسم الثاني :

===== ارشد القرآن الى دليل مختصر مفيد قال " الا يعلم

من خلق وهو اللطيف الخبير " ٢ " .

قاله سبحانه وتعالى هو الخلق ، وهو قادر يفعل بالقصد والاختيار  
ومن كان كذلك فهو عالم ، فانه لا يتصور ان يقصد الله شيئا ويختاره الا اذا علمه .

= ١٩٧٥ م ص ٤٠ .

• وانظر : الفقه الاكبر للشافعي ص ١٢ .

١ - انظر : شرح الطحاوية ص ١٤٨ .

• وشرح الاصفهانية ص ( ٢٤ - ٢٦ ) .

٢ - سورة تبارك اية ( ١٤ ) .

الى هنا وصل الشيخ محمد عبده مع السلف وجمهور العلماء في اثبات  
صفة العلم لله تعالى فهو لا يختلف معهم في مفهوم هذه الصفة ولا في الاستدلال  
عليها ، وان كان استدلالهم عليها اتم واكمل .

وهو معهم في قوله ( فهو ازلي ابدى غني عن الالات ) لا يفقر  
الى شيء ما وراء ذاته . ان ادراك الجزئيات المتشكلة وغير المتشكلة بالات جسمية  
انما هو في الحوادث ، دون الواجب تعالى ، وقياس الواجب تعالى على الحادث  
قياس فاسد في هذا .

أما قوله : ( ما يوجد من الممكنات ، فهو موافق لما انكشف بذلك  
العلم والآن لم يكن عالما ) ، فان من يريد به : ان علم الله تعالى محيط بالممكنات  
فقط يكون قوله فاسدا ، وذلك من وجوه :

أحدها : ان علم الله تعالى يحم المفهومات كلها ، واجبة ومستحيلة  
وممكنة وان لم يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، كما قال تعالى  
أ : " لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون " . " ١ "

ب : " لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خيالا ولا ضموا خلالكم ينفونكم الفتنة " . " ٢ "

بل ان العولى عز وجل يعلم نفسه ، وذلك باعتبار انه متصف  
بصلاحيته لان يعلم . فيكون بهذا الاعتبار عالما . واعتبار انه يتصف بصلاحيته لان  
يعلم يكون معلوما .

ولا شك انه سبحانه وتعالى بالاعتبار الاول مفاير لنفسه بالاعتبار

• الثاني

١ - سورة الانفال اية ( ٢٣ ) .

٢ - سورة التوبة اية ( ٤٧ ) .

والدليل على علمه تعالى بمعلومات غير متناهية : انه لو لم يتعلق علمه بجميع المعلومات لكان كماله بالنسبة الى ما لم يتعلق به علمه من المعلومات انقص بالنسبة الى حال من تعلق به علمه من المخلوقين وهو محال .

يقول ابو يعلى في المعتمد :

( انه قد ثبت انه تعالى قادر في كل وقت على خلق حوادث اكثر مما فعلها ابدا ، ولا يجوز ان يأتي عليه زمان لا يصح ان يخلق فيه شيئا . ان لو جاز ذلك عليه افض الى مجزه ، واذا ثبت ان مقدراته غير متناهية ثبت ان معلوماته كذلك ، لانها لو لم تكن كذلك افض الى جواز الجهل عليه ويتعالى عن ذلك ) . " ١ "

والشيخ محمد عبده انما اراد به ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له ، هو صفة من صفاته ، وهو بذلك موافق للسلف .

والدليل على ان الله تعالى عالم بعلم لا حد له هو صفة انكشاف له ،

انه لا يخلو من احتمالات ثلاثة :

أ : ان يكون تعالى عالما بذاته .

ب : ان يكون تعالى عالما بعلم هو ذاته .

ج : ان يكون تعالى عالما بعلم ليس ذاته .

والاول باطل : لنفي صفة العلم نهائيا عنه تعالى ، واثبات

ذات بلا صفات ، وهو خلاف مذهب السلف ، وهو محال لعدم وجود ذات في الخارج

غير متصفة بالصفات .

والثاني باطل : لاثبات ذات هي بعينها صفة ، او صفة هي بعينها

ذات ،

وهذا لا يصح . لان الذات غير الصفة ، والذات شي ، والصفة شي .

آخر .

فثبت الثالث : وهو ان الله سبحانه عالم بعلم ليس ذاته ، بل هو صفة قائمة به ينكشف له بها جميع المعلومات على وجه الاحاطة والشمول .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الاشعري :

( ان الذات بذاتها ليست بعالمة ، الا باضمام مغايرها

في الوجود وهو صفة العلم ) . " ١ "

وفي كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل : ( فأعلمنا الله أنه

انزل القرآن بعلمه ، واخبرنا جل ثناؤه ان انشئ لا تحمل ولا تضع الا بعلمه ،

فأضاف الله جل وعلا الى نفسه العلم الذي اخبرنا انه انزل القرآن بعلمه ،

وان انشئ لا تحمل ولا تضع الا بعلمه . فكفرت الجهمية وانكرت ان يكون لخالقنا

علم مضاف اليه من صفات الذات تعالى الله عما يقول الطاعنون في علم الله علوا

كبيرا .

فيقال لهم : خبرونا عن هو عالم بالاشياء كلها اله علم ام لا ؟

فان قال : الله يعلم السر والنجوى ، وهو بكل شيء عليم .

قيل له : فمن هو عالم بالسر والنجوى وهو بكل شيء عليم ، اله علم

ام لا علم له ؟

فلا جواب لهم لهذا السؤال الا الهرب ، فبهت الذين كفروا ،

والله لا يهدى القوم الظالمين ) . " ٢ "

---

١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٤٥٣ ) .

٢ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، تأليف الامام محمد بن اسحق بن

خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد خليل هواس ، دار الكتب العلمية -

بيروت - لبنان ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ، ص ١٠ .



٣ - الارادة

=====

الصفة الثالثة التي اثبتها الشيخ محمد عبده لواجب الوجود " الارادة " .

ثمرتها :

===== عرفها الشيخ محمد عبده بأنها : الصفة التي تخصص فعل العالم بأحد

وجوهه الممكنة .

الدليل :

===== استدلل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة لله تعالى بما يلي :

اولا :

===== ثبت بالدليل ان الله تعالى هو واهب وجود الممكنات ، كما ثبت ايضا انه

عالم . وان ما يوجد من الممكن لا بد ان يكون على وفق علمه .

ومن كان كذلك ثبت بالضرورة انه ملابذ ، لانه انما يفعل على حسب علمه .

ثانيا :

===== ان كل موجود انما وجد بقدر مخصوص ، وصفة معينة ، في وقت محدود ،

ويمكن محدود ، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة . وتخصيصها

كان على وفق العلم بالضرورة . ولا معنى للارادة الا هذا .

انكار :

===== وقد انكر الشيخ محمد عبده على الذين عرفوا الارادة بأنها : ما به يصح

للفاعل ان ينفذ ما قصده ، وان يرجع عنه .

وقال : ان ذلك محال في جانب الواجب ، وعلل ذلك بأن هذا المعنى

من توابع النقص في العلم ، فتفسيره على حسب تخير الحكم ، وتردد الفاعل بين البواعث

على الفعل او الترك . " ١ "

الى هنا • ينتهي مذهب الشيخ محمد عبده في صفة الارادة ، وهو  
في رأي لا يخلو من بعض النقاط التي تحتاج الى توضيح ، وزيادة بيان ،  
وسأقوم بعرض مذهب علي مذهب السلف وجمهور العلماء ، لأرى كم هو موفق في بيان  
مفهوم الارادة ، واين يلتقي مع ائمة السلف الصالح في تحديده وبيان هذه الصفة •

أقول :

لا شك عندي ان الشيخ محمد عبده ، قد افاد في عرض مفهوم صفة  
الارادة لله تعالى • لكنه وضع نفسه في مركز الدائرة ، التي يلف حولها كثير من  
الحكام والمعتزلة في بيان وتحديد معنى الارادة •

فالارادة كما هي عند الشيخ محمد عبده هي : الصفة التي تخصص

فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة •

وهذا التعريف يحتاج الى توضيح :

فان اراد الشيخ انها انما تعني علمه تعالى بالحكمة فيما يصدر

عنه من الممكنات ، فهو مع الحكماء في هذا •

وان اراد انها انما تعني علمه تعالى بنفع فيما يصدر عنه من الممكنات

فيكون بذلك قد وافق ابا الحسين البصرى المعتزلي ، وجماعة من رؤساء الاعتزال • " ١ "

ولعلي ، استطيع ان أقول : ان الشيخ محمد عبده قصد بهذا

التعريف عين ما ذهب اليه اهل السنة في المعنى المراد بالارادة ، لان معناها

واضح بين ، يكاد يكون بديهيا ، لا يخفى على من هو مثل الشيخ محمد عبده من

العلماء •

فالارادة انما تعني قصد الشيء واختياره ، ولا شك ان هذا المعنى

الواضح للارادة مغاير للمعنيين السابقين ، لان العلم بالحكمة او العلم بالمنفعة قد

---

١ - من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للشيخ محمد يوسف الشيخ رحمه الله

يكون احدهما هو الداعي للاختيار الذي يدعو اليه ، لا الاختيار ،

• وفق واضح بين الاختيار وبين الداعي اليه .

ولعل ما يؤيد هذا ان الشيخ محمد عبده استحال في جانب الواجب

تعالى ان يكون معنى ارادته : ( ما به يصح له ان ينفذ ما قصده وان يرجع عنه ) .

لان هذا يقتضي الاضطراب في مراده تعالى على حسب تفسير الحكم ،

• وتردد الفاعل بين البواعث على الفعل وشركه . حسب قول الشيخ محمد عبده .

• وبناء عليه يستقر رأى الشيخ محمد عبده ، مع رأى أهل السنة في ان

الارادة : صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى يختار بها بعض الممكنات دون بعض .

ولكن تعليل الشيخ محمد عبده : ( بعد ما ثبت ان واهب وجود

الممكنات هو الواجب وانه عالم ، وان ما يوجد من الممكن لا بد ان يكون على وفق علمه

ثبت بالضرورة انه مرید ) غير مستقيم تماما ، فهو يعطل بهذا اثبات وجود صفة الارادة

ولكن الناظر في التعريف الذي ذكره اهل السنة يجد انه لا وجود له في تعليل الشيخ

محمد عبده لثبوت الارادة .

• والشيخ محمد عبده مع السلف في متعلق الارادة بالممكنات فقط .

• دون الواجب والمحال .

• وذلك لان الارادة اذا تعلق بالواجب فاما ان تخصصه بالوجود من

الفاعل او بالعدم منه وكلاهما باطل .

• اما الواجب : فلا انه موجود لذاته وحقيقته ، فلا معنى لتخصيصه

• بوجود من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالعدم من غيره لانه لا يقبل عدم .

• واما المستحيل : فلا انه معدوم لذاته وما هيته فلا معنى لتخصيصه

• بالعدم من غيره ، ولا معنى لتخصيصه بالايجاد من غيره لانه لا يقبل الوجود .

• اما ادلة ثبوت الارادة عند الشيخ محمد عبده ، فهي من الادلة

العقلية التي استدل السلف بها على ثبوت صفة الارادة .

فما استدلل السلف به واوردته الشيخ محمد عبده :-

١ - ان الله سبحانه وتعالى " عالم " وهو بكل شيء عليم . فاذا لم يكن عالما بشيء اصلا ، كان موصوفا بضد ذلك من الجهل وغيره . فيستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضد الارادة كالسهو والنفلة وغيرهما ، لان هذا يقتضي ان لا يريد شيئا على وجه من الوجوه ، لان الله تعالى اذا كان لم يزل متصفا بضد الارادة ، وجب ان لا يكون قديما ، ومحال عدم القديم وحدوثه ، فاذا استحال عدمه ، وجب ان لا يريد الباري شيئا على وجه من الوجوه ، وذلك فاسد .

واذا فسد هذا صح ان الباري لم يزل مريدا . " ١ "

ثانيا :

==== ما يرى في هذا الكون من التخصيمات . فكل ما في العالم فهو على قدر مخصوص . وصفة معينة ، من طول وعرض وارتفاع . ولون ، وطعم ، ورائحة ، وعلم ، وسمع ، وبصر ، وله وقت ومكان محدودان . وهو ممكن . ويمكن ان يكون على خلاف ما هو عليه ، وهو ليس واجب الوجود بنفسه .  
ومعلوم ان الذات المجردة عن الارادة لا تخصص . فلا بد من صفة

وراء الذات تبها كان التخصيص ، وتلك الصفة هي " الارادة " . " ٢ "

ومما زاده السلف من الادلة ، ولم يذكره الشيخ محمد عبده :-

---

١ - كتاب : اللحم ، لعلي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، صححه وقدم له : الدكتور حمود غرابية ، مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ١٩٥٥ م ص ٣٧ بتصرف .

٢ - انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ : وغاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ، القاهرة ، ( ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م ص ٥٨ وما بعدها .

ثالثا :

==== ان الله سبحانه وتعالى لو لم يكن ذا ارادة ، لاستحال منه ترتيب  
الافعال ووضعها مواضعها اللاتمة بها ، ولا استحالة ذلك من ليس بعالم بأفعاله  
المرتبة دليل على انه سبحانه يريد ذلك بارادة هي صفة من صفاته . " ١ " .  
هذا الدليل في حقيقته لا يخرج عن دليل الشيخ محمد عبده السابق ،  
والاختلاف في اللفظ فقط . والمعنى واحد .

رابعا :

==== ان من المخلوقات من يتصف بالارادة ، كالانسان مثلا ، ومنها الذي لا  
ارادة له كالجماد . وعدم الارادة صفة نقص ، وثبوتها صفة كمال ، وكل كمال  
هو في المخلوق مستفاد من الخالق ، فالخالق به أحق وأولى . " ٢ " .  
وهذا الدليل هو ما اشتهر عند السلف بقياس الأولى ، لان الله تعالى  
له المثل الأعلى فلا يستوى هو والمخلوق في قياس تمثيلي ، ولا في قياس شعولي ،  
بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال فالخالق به أحق ، وكل نقص تنزه عنه بمخلوق  
فتنزه الخالق عنه أولى .  
والذي عليه السلف رضي الله عنهم ان الارادة صفة قد يمتد زائدة على ذاته

تعالى ، يختار بها بعض السمكات دون بعض .  
فهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه ، وما وصفه به رسوله صلى الله  
عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكهيف ولا تمثيل ، امثالا لقوله  
سبحانه وتعالى وليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير . " ٣ " . فلا يماثله شيء لا في

---

١ - انظر : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، لابن تيمية ( ٢ : ١١٩ )

والمعتمد لابي يعلى ص ٧٣ .

٢ - المرجح السابق لابن تيمية ( ٢ : ١١٩ ) / وانظر شرح العقيدة الطحاوية

ص ١١٩ .

٣ - سورة الشورى اية ( ١١ ) .

ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله •

يقول السلف : ان الارادة هلى نوعين : — " ١ "

النوع الاول :

===== ارادة كونية ، ترادفها المشيئة ، وهي تتعلق بكل ما يشاء

الله فعله فهي شاملة لجميع الموجودات • وهي ما يسميها المحققون من اهل السنة :

ارادة : قدرية ، كونية ، خلقية •

ومن هذا النوع قوله تعالى : —

أ : " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد ان يضله يجعل

صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " • " ٢ "

ب : " وقوله تعالى عن نوح عليه السلام " ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح

لكم ان كان الله يريد ان يفويكم " • " ٣ "

ج : " ولكن الله يفعل ما يريد " • " ٤ "

النوع الثاني :

===== ارادة الدينية الشرعية الامرية ، وهذه تتعلق بما يأمر

الله به عباده مما يحبه ويرضاه • اى المقصنة للمجة والرضا •

---

١ — انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم

دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت ، لبنان ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م ص ٣٢ •

• ٢٧٠

• وانظر : شرح الطحاوية ص ١١٦

• وانظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ( ٦ : ١١٥ ) •

٢ — سورة الانعام اية ( ١٢٥ ) •

٣ — سورة هود اية ( ٣٤ ) •

٤ — سورة البقرة اية ( ٢٥٣ ) •

كقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " . " ١ "

وقوله تعالى : " يريد الله ليمين لكم ويهد بكم سنن الذين من قبلكم

ويتوب عليكم والله عليهم حكيم " . " ٢ "

وقوله تعالى : " والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين تتبهمون

الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما . يريد الله ان

يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا " . " ٣ "

وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد

ليطهركم وليتم نعمته عليكم " . " ٤ "

وقوله تعالى : " انما يريد الله ليزهبن عنكم الرجس اهل البيت

ويطهركم تطهيرا " . " ٥ "

ومن حيث تعلق الارادة فقد قسمها شيخ الاسلام ابن تيمية الى اربعة

اقسام هي : " ٦ "

القسم الاول :

===== ما تعلقته الارادتان ، الكونية والدينية . وهو كل ما وقع

في الوجود من الاعمال الصالحة ، فان الله تعالى اراده ارادة دين

وشرع فامر به واجبه ، ورضيه ، واراده ارادة كون فوقع ولولا ذلك

لما كان .

---

١ — سورة البقرة اية ( ١٨٥ ) .

٢ — سورة النساء اية ( ٢٦ ) .

٣ — سورة النساء الايات ( ٢٧ — ٢٨ ) .

٤ — سورة المائدة اية ( ٦ ) .

٥ — سورة الاحزاب اية ( ٣٣ ) .

٦ — في العقيدة الاسلامية ( ١ : ٢٩٤ ) نقلا عن منهاج السنة ( ٢ : ٢٩ )

الطبعة الاميرية .

القسم الثاني :

=====  
ما تتعلق به الارادة الدينية فقط وهو ما امر الله به من  
الاعمال الصالحة ، فعصى ذلك الكفار والفجار ، ففلك كلها ارادة دين وهو  
يحيها ويرضاها وقمت اولم تقع .

القسم الثالث :

=====  
ما تتعلق به الارادة الكونية فقط ، وهو ما قدره وشاءه  
من الحوادث التي لم يأمر بها كالمحاحات والمعاصي ، فانه لم يأمر بها  
ولم يرضاها ولم يحيها ، لانه لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ،  
ولو لا مشيئته وقدرته متعلقة بها لما كانت ولما وجدت .

الرابع من الاقسام :

=====  
التي لم تتعلق به هذه الارادة ولا هذه . فهذا ما لم يكن  
من انواع المحاحات والمعاصي .  
ويذهب السلف ايضا الى ان ارادة الله تعالى قديمة ، وينقسم جنسها الى  
مذموم ومحمود . بمعنى انها قديمة النوع حادثة الآحاد .  
يقول ابن تيمية في هذا المعنى :

( ان الله تعالى لم يزل يريد بارادات متعاقبة ، فنوع الارادة قديم ،  
واما ارادة الشيء المصين فانما يريد في وقته ) \* ١ \*  
وهذه الارادة ينقسم جنسها الى محمود كالصدق والعدل ، والسى  
مذموم كالكذب والظلم . \* ٢ \*

- 
- ١ - انظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ( ٦ : ٣٠٣ ) .
  - ٢ - انظر شفاء العليل لابن القيم ص ٣٢ ، ٢٧٠ .  
وانظر شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٥ .  
وانظر مجموع الفتاوى ( ٦ : ١٤٢ ) .



والله سبحانه لا يوصف الا بما هو محمود • فمن اسمائه الحكيم •  
الرحيم • والمؤمن • والبروف • والحليم • والفتاح ونحوه مما يتضمن معنى  
الارادة •

ونزه الحق سبحانه نفسه عن بعض انواع الارادة في كثير من الايات:

- كقوله تعالى : " وما الله يريد ظلماً للعباد " • " ١ " •  
وكقوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " • " ٢ " •  
وقوله تعالى : " يريد الله ان يخفف عنكم " • " ٣ " •  
وقوله تعالى : " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج " • " ٤ " •

" ادلة السلف على قدم ارادة الله تعالى " :

=====

الادلة على قدم ارادة الله تعالى كثيرة • ذكر السلف منها :

١ — قال تعالى : " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " • " ٥ " •

وجه الاستدلال :

===== ان الفعل والارادة في الاية متلازمان • فما ازاد ان يفعل

فعل وما فعله سبحانه فقد اراده • فهو سبحانه يفعل بارادة • ولم ينزل كذلك •

لانه انما ذكر فعله لما يريد في معوض المدح والثناء على نفسه • وهذا من كمال

الحق سبحانه • ولا يصح ان يكون طامدا لهذا الكمال في وقت من الاوقات ازلا وابدا •

---

١ — سورة غافر اية ( ٣١ ) •

٢ — سورة البقرة اية ( ١٨٥ ) •

٣ — سورة النساء اية ( ٢٨ ) •

٤ — سورة المائدة اية ( ٦ ) •

٥ — سورة البروج الايات ( ١٥ — ١٦ ) •

٦ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ( ١٣٢ — ١٣٨ ) •

٢ — ان الله تعالى اذا لم يتصف بالارادة اتصف بضعدها ، كالسهو والغفلة  
ويستحيل ان يكون الله تعالى لم يزل موصوفا بضعد الارادة ، لانه  
اذا كان لم يزل موصوفا بضعد الارادة وجب ان لا يكون قديما ، ومحال  
عدم القديم وحدوثه . " ١ "

٣ — ان القول بنفي الارادة القديمة يلزم منه التعطيل ، بمعنى ان الله  
سبحانه وتعالى لم يزل غير مرید ثم صار مریدا .  
ولا يلزم من قدم الارادة قدم المراد ، بل ان المراد متأخر عن الارادة .  
والجملة :

فان السلف رضي الله عنهم يثبتون الارادة لله تعالى ، صفة  
قديمة ، ويقولون ان الاسماء الحسنى الثابتة لله تعالى دالة على وصفه تعالى  
بالصفات ، فهو مرید بارادة . " ٢ "

وهم متفقون ايضا على القول بأن الله سبحانه وتعالى " مرید " .  
لأن معناه حق ، ولانه لا يعقل ان يكون المتصف بارادة قائمة به ليس مریدا .  
فالله سبحانه لا يفنى ولا يبيد ولا يكون الا ما يريد . " ٣ "

- 
- ١ — انظر : اللمع ، للاشمري ص ٣٧ وما بعدها .
  - ٢ — انظر : شرح العقيدة الاصفهانية ص ٥ .  
وانظر : شفاء العليل لابن القيم ص ٢٧١ .
  - ٣ — انظر : شرح المقيدة الطحاوية ص ١١٦ ، ٨ ، ١٣٧ .  
وانظر : المرجعين السابقين ، نفس الصفحات .  
وانظر : رسالة الارادة والامر ، لابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى  
( ١ : ٣٢٦ ) .

٤ — القدرة

=====

مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة :

=====

ذهب الشيخ محمد عبده الى أنه مما يجب لله تعالى من الصفات :

• " القدرة "

تعريفها : " ١ "

=====  
عرفها الشيخ محمد عبده بقوله : انها صفة بها اليجاد والاعدام .

وفي شرحه على المقائد المضدية قال :

( أقول : ومن الصفات الكمالية التي يجب أن يتصف بها الحق الواجب

تعالى انه قادر على جميع الممكنات • اى قادر على احداث كل فرد من افراد

الممكنات على الاطلاق ، بدون استثناء ) • " ٢ "

وانما قال الشيخ " على احداث " لان علة الاحتياج عنده هي الحدوث

لا الامكان •

وقال " كل فرد " لما ان المراد ان لا يخرج فرد من افراد الممكنات

عن قبوله للتأثر عن البارى تعالى ، لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات

بأسرها ، فانه من المحالات لان الممكنات غير متناهية ، وايجاد مجموع مالا يتناهى

مطل • " ٣ "

اثباتها :

=====  
أ : من النقل : نفى كثير من الايات كقوله تعالى :—

---

١ — رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٣ : ٣٧٥ ) .

٢ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٤٥٦ ) .

٣ — نفس المصدر ونفس الصفحة •

١ - " ان الله على كل شيء قدير " ٠ " ١ "

٢ - " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " ٠ " ٢ "

وجه الاستدلال :

===== هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة

لله تعالى ، فهو على كل شيء قدير ، فالقدرة صفة قديمة ملازمة له .

ب- من العقل :

=====

قال : ( لما كان الواجب هو مبدع الكائنات على مقتضى علمه و ارادته ،

فلا ريب يكون قادرا بالبداهة لان فعل العالم المرید فيما علم و اراد ، انما يكون

بسلطة له على الفعل ولا معنى للقدرة الا هذا السلطان ) ٠ " ٣ "

" مناقشة مذهب الشيخ محمد عبده في القدرة " :

=====

لا شك ان الشيخ محمد عبده مع السلف في تعريف " القدرة " وفي

اثباتها صفة لله تعالى .

فقد اقام عليها البرهان من النقل والعقل ، اما النقل ففي كثير من الايات

التي فسرها " ٤ " ، والتي تفيد هذه الصفة الثبوتية لله تعالى .

---

١ - سورة البقرة اية ( ٢٠ ) .

٢ - سورة ال عمران اية ( ١٨٩ ) .

٣ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٥ ) .

٤ - انظر تفسير الشيخ محمد عبده للقران ، ضمن الاعمال الكاملة للامام

( ٤ : ٩٦ ) ، ( ٥ : ١٤٨ ) .

واما العقل : فيداهته تضي بأن الشيء الموجود على وفق العلم  
والارادة لا بد أن يكون له موجدا قادرا ، لان من ظم و اراده وفعل انما يأتي فعله  
هذا بسلطة له عليه ، وهذه السلطة هي القدرة .  
أما ما جاء له من كلام على الحاشية المضدية فقير مسلم ، بالنسبة لقوله :  
ان الله تعالى غير قادر على ايجاد مجموع ما لا يتناهى من الممكنات . بمعنى عدم  
قدرته على ايجاد جميع الممكنات لانها غير متناهية .  
وسوف ارد على هذا في نهاية عضي لمذهب السلف في هذه الصفة .  
مذهب السلف :

=====

قال صاحب الطحاوية : - ( ذلك بأنه على كل شيء قدير ، وكل شيء اليه  
فقير وكل امر عليه يسير ) .  
قال الشارح : - ( ذلك اشارة الى ثبوت صفاته في الازل قبل خلقه ) .  
فالسلف يثبتون القدرة : صفة قديمة ملازمة للذات المقدسة ازلا وابدا .  
قائمة بها لا تنفك عنها .  
ويقررون ثبوت هذه الصفة لله تعالى في كثير من الايات في القرآن ، وفي  
السنة .  
أما القرآن :

=====

فكوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " . " ٢ " .  
وقوله تعالى : " وكان الله على كل شيء مقتدرا " . " ٣ " .

---

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٢ .

٢ - سورة البقرة آية ( ٢٠ ) .

٣ - سورة الكهف آية ( ٤٥ ) .

- وقوله تعالى : " انه كان عظيمًا قديرًا " ١
- وقوله تعالى : " قل هو القادر على ان يبعث عليكم غداً بما من فوقكم " ٢
- وقوله تعالى : " ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير " ٣
- وقوله تعالى : " ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين " ٤
- وقوله تعالى : " اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة " ٥
- وقوله تعالى : " عند مليك مقتدر " ٦

وأما السنة :

=====  
انني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، واسألك من فضلك العظيم ، فانك  
تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب " ٧  
وجه الاستدلال :

=====

هذه الايات فيها دلالة واضحة على اثبات صفة القدرة لله تعالى ، كما هي  
في الحديث ايضا ، والايات والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، ولا يعقل ان يكون  
قادر الا من له القدرة التامة ، القائمة به كما قال تعالى " وما كان الله ليعجزه  
من شيء " في السموات ولا في الارض انه كان عظيمًا قديرًا " ٨

- 
- ١ - سورة فاطر اية ( ٤٤ ) .
  - ٢ - سورة الانعام اية ( ٨٥ ) .
  - ٣ - سورة ال عمران اية ( ١٨٩ ) .
  - ٤ - سورة الذاريات اية ( ٥٨ ) .
  - ٥ - سورة فصلت اية ( ١٥ ) .
  - ٦ - سورة القمر اية ( ٥٥ ) .
  - ٧ - انظر : صحيح البخارى - كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة  
( ١ : ١٤٤ ) ، ( ٤ : ٧٨ ، ١٩٥ ) .  
ومسنن الترمذى - ( ٢ : ٣٤٥ - ٣٤٦ ) .  
ومسنن الامام احمد - ( ٣ : ٣٤٤ ) .
  - ٨ - سورة فاطر اية ( ١١ ) .

قال شارح الطحاوية : ( فنبه الله تعالى في اخرا لاية على دليل  
انتفاء المعجز ، وهو كمال العلم والقدرة ، فان المعجز انما ينشأ اما من الضعف  
عن القيام بما يريد ، الفاعل ، واما من عدم علمه به ، والله تعالى لا يعجز  
عنه مقال ذرة في السموات ولا في الارض وهو على كل شيء قدير ، وقد عليم  
ببدائه العقول والفطر ، كمال قدرته وعلمه ، فانتهى المعجز لما بينه وبين  
القدرة من التضاد ، ولان المعجز لا يصلح ان يكون لها ، تعالى الله عن ذكر  
ذلك علوا كبيرا ) . " ١ "

وفي تعريف القدرة يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

( ان القادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل ) . " ٢ "

بمعنى انه متمكن من الامرين : الفعل والتحرك ، يقع كل واحد منهما

باختياره ومشيئته فابن تيمية اخذ الاختيار والمشيئة في تعريف القادر ، كما ان

الشيخ محمد عبده اخذ العلم والارادة في تعريفه .

ونناء عليه استطيع ان اضح الدليل العقلي على قدرته تعالى

فأقول : " ٣ "

ان العالم حادث ، وفاظه تعالى قديم ، فصدور هذا العالم بهذا  
النظام الخاص دون غيره من النظم ، وفي هذا الوقت الخاص دون غيره من الاوقات  
السابقة او اللاحقة عن هذا الفاعل القديم ، لا بد له من مرجح يرجح حدوثه على  
هذا النظام دون غيره ، كما يرجح ايضا حدوثه في ذلك الوقت دون غيره مسبقا

١ - شرح العقيدة الطحاوية ( ١١١ ) .

٢ - شرح العقيدة الاصفهانية ( ٢٥ ) .

٣ - من مذكرات مادة " نصوص عقيدة " للاستاذ محمد يوسف الشيخ ، بتصريف .

الاقوات •

ذلك المرجح هو اختيار الله ان يوجد العالم كذلك على هذا النظام الخاص وفي

ذلك الوقت الخاص •

فاذا اوجد الله هذا العالم على هذا النظام الخاص في هذا الوقت

الخاص دون غيرها كان مهتم ذلك ومرجح على غيره انما هو اختياره ومشيئة ايجاده

على هذا النظام وفي ذلك الوقت •

فثبت انه تعالى يفعل او لا يفعل باختياره ومشيئته •

ويورد على كلام الشيخ محمد عبده في شرحه على الحاشية المضدية بان

يقال : ان جميع الممكنات داخله تحت قدرته تعالى •

فقد ذهب السلف واهل الحق جميعا الى ان قدرته تعالى يمكن ان

تتعلق بكل ممكن •

والدليل على ذلك : ان المقضي للقادرية ذاته تعالى ، والمصحح

للقدرية هو الامكان • والذات الاقدس نسبتها الى جميع الممكنات على سواه •

فقدرته تعالى يمكن ان تتعلق بكل ممكن •

ومعنى هذا الدليل : ان قدرة الله تعالى تتعلق بكل الممكنات بلا

استثناء ، المتناهية وغير المتناهية خلافا لما يقوله الشيخ محمد عبده •

قال شارح الطحاوية :

( واما اهل السنة فعندهم ان الله على كل شيء قدير ، وكل ممكن فهو

مندرج في هذا ، واما المحال لذاته " ١ " فهذا لا حقيقة له ولا يتصور وجوده ولا

يتم شيئا باتفاق العقلاء ، ومن هذا الباب : خلق مثل نفسه ، واهدام نفسه

وامثال ذلك من المحال ) • " ٢ "

---

١ - هو الممتنع لذاته مثل كون الشيء الواحد موجودا ومعدوما في حال واحدة •  
اما المحال المطلق : فهو ما اوجب على ذات البارئ تعالى تغييرا في ذاته او  
صفاته • وهذا غير داخل تحت القدرة ، وهو المشهور عند اهل العلم •  
٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٤٣ •



ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

( ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة ، فان ما شاء الله  
كان ، ولا يكون شيء الا بقدرته ، وما تعلقت به القدرة تعلقت به المشيئة فانه  
لا يكون شيء الا بقدرته ومشيئته ، وما جاز ان تتعلق به القدرة جاز ان تتعلق  
به المشيئة وكذلك بالعكس ، وما لا فلا .

وقوله تعالى : " ان الله على كل شيء قدير " ١ " اي على

كل ما يشاء ، فانه ما قد شيء فوجد ، ومنه ما لم يشأ لكنه شيء في العلم بمعنى  
انه قابل لان يشاء ، فقله على كل شيء " قدير " يتناول ما كان شيئاً في الخارج  
والعلم ، وما كان شيئاً في العلم فقط ، بخلاف ما لا يجوز ان تتناوله المشيئة وهو  
الحق تعالى ، وصفاته او المتع لفسه ) . ٢ "

وبناء على كلام شيخ الاسلام احمد بن تيمية فانه يتحصل لي خطأ

قول الشيخ محمد عبده ( لا انه قادر على ان يوجد جميع الممكنات بأسرها ) ،  
وفساد استدلاله لان قدرة الله تعالى تتعلق بجميع الممكنات ما فعله وما لم يفعله ،  
والا كان الله عاجزاً وهو نقص في حقه تعالى يتنزه الله عنه .

وقد ظننا ايضا ان قدرته تعالى لا تتعلق بما هو محال فبقي ان

قدرته تتعلق بكل ممكن وهو ما ايدته الادلة السابقة ، ويؤكد قول العلماء :  
يجب علينا ان ننزه الخالق عما نزه عنه نفسه فنفاه عن نفسه ، كالظلم والكذب  
والسهو ، والغفلة . . . . . الخ .

---

١ - سورة البقرة اية (٢٠) .

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٨ : ٢٨٣ ) .

والذى نقول عن القدرة انها : صفة من صفات ذات الله تعالى  
فهو قادر بقدره قديمة قائمة بذاته متعلقة بجميع المقدورات غير متناهية بالنسبة الى  
ذاتها ولا بالنظر الى متعلقاتها \* " ١ )

تمليق :

=====

هل صحيح ما يقوله الشيخ محمد عبده : ان ثبوت العلم والارادة  
والقدرة يستلزم بالضرورة ثبوت الاختيار ؟  
ان الشيخ محمد عبده ينفي عن الله تعالى ان يكون مكلفا من قبل  
غيره بفعل شيء ما او تركه .

وينفي عنه ايضا ان يصدر عنه شيء من غير شعور منه به .  
لكن الشيخ محمد عبده يثبت ان ما يصدر عنه كانا هو صادر  
بطريق اللزوم على نحو ما يقول به الحكماء ويسمونه " المتناهي الالهية " .  
ثم انه يلاحظ عليه ايضا انه يريد ان يثبت لله تعالى ارادة  
واختيارا كالمزمن متفايرين . وهذا خلاف ما عليه السلف . ان المعروف عندهم  
وعند غيرهم من العلماء ان الاختيار ثمرة للارادة ، وان الباري سبحانه اذا اختار  
شيئا فله ارادة يختار بها ذلك الشيء قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " .

يقول الشيخ محمد عبده : ( ثبوت هذه الصفات الثلاث يستلزم  
بالضرورة ثبوت الاختيار . ان لا معنى له الا اصدار الامر بالقدرة على مقتضى  
العلم وعلى حكم الارادة .

---

١ - انظر شرح المواقف ، للشريف الجرجاني ، ص ٩٥ .

٢ - سورة القصص اية ( ٦٨ ) .

فهو الفاعل المختار ، ليس من افعاله ولا من تصرفه في خلقه ما يصدر عنه بالعلية المحضة والاستلزام الوجودي بدون شعور ولا ارادة .  
وليس من مصالح الكون ما يلزمه مراعاته لزوم تكليف ، بحيث لو لم يراع له توجه عليه النقد ، فيأتيه تنزهها عن اللامعة تعالى عن ذلك علوا كبيرا . .  
ويقول :

( ولكن نظام الكون ومصلحه المطلق انما تقررت له بحكم انه اثر الوجود الواجب الذي هو اكمل الوجودات وارفعها .  
فالكمال في الكون انما هو تابع للكمال المكون . واتقان الابداع انما هو مظهر لسمو مرتبة المبدع ، وهذا الوجود البالغ اعلى غايات النظام ، تعلق العلم الشامل ، والارادة المطلقة ، فصدر ويصدر على هذا النمط الرفيع ) . " ١ "

نعم :

ان اراد الشيخ محمد عبده ان الله تعالى علم كاشف ، و ارادة مختارة وقدرة منفذة ، فهو الحق الذي لا مرية فيه . لان الله سبحانه وتعالى يريد مختار يخلق ما يشاء ويختار .

اما ان اراد ان الله تعالى صفة اختيار مغايرة لصفة الارادة ، فهو ما لومه عليه ولا اقبله منه . لان معنى الارادة واضح بين تشهد به البديهة .

انها القصد الى الشيء واختياره . وقد تأيد ذلك بالتنزيل الحكيم

قال تعالى : " وربك يخلق ما يشاء ويختار " . " ٢ "

وقال تعالى : " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " . " ٣ "

---

١ - رسالة التوحيد / انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٥ ) .

٢ - سورة القصص اية ( ٦٨ ) .

٣ - سورة يس اية ( ٨٢ ) .

- فله سبحانه قدرة يقدر بها ايجادا واعداما • وله علم يعلم به
- وكذلك اذا اختار شيئا فله ارادة يختار بها • وهي كما عرفها اهل السنة :
- صفة قديمة لله تعالى • زائدة على ذاته • يختار بها بعض
- الممكنات دون بعض • والله اعلم •

=====

٥ - صفة الكلام

=====

١ - ( مذهب الشيخ " محمد عبده " ) :

=====

اثبت الشيخ " محمد عبده " لله تعالى صفة " الكلام " ، قال :-  
( فمن تلك الصفات صفة الكلام ) . " ١ "  
ولم يبين الشيخ محمد عبده مفهوم هذه الصفة ، ولم يحدد معناها ،  
كما فعل بالنسبة الى صفة العلم ، وصفة الارادة ، وصفة القدرة ، وغيرها من  
الصفات .

وانما رد على قول من قال : ( ان الله تعالى متكلم )  
والتكلم من اتصف بالكلام ، فقد ثبت انه تعالى متصف بالكلام ، والله تعالى لا  
يتصف بحادث فوجب ان يكون الكلام قديما ) . " ٢ "

فقال : باننا لا نعلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلم  
هو من احدث الكلام في شيء اخر ، ضرورة ان نطلق المتكلم حقيقة على " زيد "  
المتلفظ بلفظ كذا ، مع ان اللفظ ليس الا صوتا مخصوصا ، والصوت كيفية من كيفيات  
الهواء ، وقائمة بالهواء ، فالتكلم كل من احدث هذه الكيفية المخصوصة في الهواء .  
وقد استدلل الشيخ محمد عبده على ثبوت هذه الصفة للحق تعالى ،  
بان الله كلم بعض انبيائه كما ورد في الكتاب والسنة ، وان القران نطق بأنه كلام  
الله سبحانه وتعالى .

- 
- ١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٧ ) .
  - ٢ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٥٨٣ ) .

وتعرض الشيخ محمد عبده لخطر قضية جرّ بها علماء السلف ،  
وأهل السنة في القرن الثالث الهجري ، وهي قضية " خلق القرآن " ، وادخل  
نفسه في هذا الباب ، وألقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في غير الماء السذي  
يستقي منه أهل السنة فتابع المحتزلة مؤثرا رأيهم ، ومؤكدا ان هذا غاية ما  
دعا الدين الى اعتقاده وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

فقال :

( فصدر الكلام المسموع عنه سبحانه لا يد ان يكون شائئا من شؤونه ،  
قدما بقدمه ، أما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم ، فلا  
خلاف في حدوثه ، ولا في انه خلق من خلقه ، وخصص بالاسناد اليه لاختياره  
له سبحانه في الدلالة على ما اراد بلاغه لخلقه ، ولانه صادره عن محض قدرته  
ظاهرا وباطنا ، بحيث لا مدخل لوجود اخرفيه بوجه من الوجوه سوى ان  
من جاء على لسانه مظهر بصدوره ) .

ويرى الشيخ محمد عبده ان القول بخلاف ذلك صادرة للبهادة ،

وتجروء على مقام السقدم بنسبة التخمير والتبدل اليه .

ويقرر ان ما يقرأه القارئ من الايات القرآنية تحدث وتنفى بالبهادة

كلما تليت .

ويشنع على من يقول بقدم القرآن المقروء ويقول ( انه أشنع حالا

واضل اعتقادا من كل ملّة جاء القرآن نفسه بتضميلها والدعوة الى مخالفتها ) .

ويصرح بأن ( ليس في القول بأن الله اوجد القرآن بدون دخل

لكسب بشر في وجوده ما يمس شرف نسبته ) .

بل يرى الشيخ محمد عبده ان ذلك غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ،

فهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

ويرى أيضا أن موقف الامام أحمد رضى الله عنه من مسألة  
" خلق القران " منشؤه مجرد التحجج ، والمبالغة في التأدب مع الله ،  
( فيجمل مقام مثل الامام احمد بن حنبل عن ان يعتقد ان القران المقروء قديم وهو  
يتلوه كل ليلة بلسانه ويكفيه بصوته ) • " ١ "

بل ويدعي الشيخ محمد عبده ان القول بقدم كلام الله ،  
هو مذهب جماعة من الحنابلة ، خلافا لما عليه الجمهور •

فيقول عن كلام الله : ( اى الالفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله ،  
باعتبار ما دلت عليه ، وهي حادثة عند عموم الفرق ، ما خلا جماعة من الحنابلة ) • " ٢ "

ويذهب الشيخ محمد عبده الى ابعد من هذا حين يثبت للـ

صفة الكلام التي هي منبع لافاضة الاقوال القدسة على النبيين - عليهم الصلاة  
والسلام •

ويرى ان هذه الاقوال القدسة انما كان منبع فيضها ( ذلك الوصف

الحقيقي القائم بذاته الذى هو الحب الحقيقي ، لمفيض ما فيه الصلاح الحقيقي  
لجملة العالم ) • " ٣ "

وهذا كلام غير صحيح ، ولانه من اقوال بعض الصابئة والمتفلسفين ،

راج الشيخ محمد عبده يقول :

- 
- ١ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٧٨ ) •
  - ٢ - انظر : نهج البلاغة للامام علي ، ص ١٢١ ، اختيار الشريف محمد  
الرضي ، شرح الشيخ محمد عبده ، الجزء الاول ، منشورات مكتبة  
الاندلس ، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م •
  - ٣ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٠٢ ) •

( وهذا قول مجمل فاطلب تفصيله من غير هذا الكتاب ، بل تحته

سر عجيب ، فأدخل يدك في جيبيك تخرج اية اخرى ، فافهم ) . " ١ "

" مناقشة هذا المذهب " :

=====

لعل أقرب ما يصح أن أصف به الشيخ محمد عبده في هذا المذهب  
الذي ذهب اليه ، انه كان اعتزاليا مقترفا " ٢ " ، لم يستطع ان يتقرب من  
مذهب السلف خطوة واحدة في هذه المسألة .

على أن موقف الشيخ محمد عبده من مسألة " خلق القرآن " هو  
دون ماله بصددها في مسألة الفيض ، او ما يسمى " بنظرية الفيض " .  
ودعني اناقش كلامه نقطة ، نقطة ، من غير ترتيب . . .

فقوله : ان لله صفة حقيقية قائمة بذاته تكون منها لافاضة الاقوال المقدسة  
على النبيين ، ويطلق على هذه الصفة لفظ الكلام . . . . . شبيه بقول الصابئة  
والمتفلسفة الذين يقولون ان كلام الله هو ما يفيض على النفوس من معاني ،  
اما من العقل الفعال عند بعضهم او من غيره ، كما هو معلوم عندهم وهو  
ما يسمى بنظرية الفيض . " ٣ "

وهو كما ترى كلام هراء ، لا يمت الى الحقيقة في شيء . كما انه  
خلاف قول الجمهور ، وعلى رأسهم أئمة السلف رضی الله عنهم .

لذلك فاني لا أريد أن أكون من الخاصة الذين يصعدون لطلب تفصيل

- 
- ١ - انظر : نفس المرجع ، ونفس الصفحة .
  - ٢ - انظر كتاب : العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة  
ص ٥٧٥ .
  - ٣ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٩ .



هذا الكلام من غير هذا الكتاب ، ليضعوا ايديهم على السر العجيب بعد ان يدخلوا ايديهم في جيوبهم لكي تخرج اية اخرى .

بل اقول ان هذا الرأي هو احد تسعة اقوال باطلة ، ضلت الحق ، الذي دلت عليه الادلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما ، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تفسر بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة . " ١ "

- وانتقل لمناقشة قوله : ان كلام الله يعني الالفاظ والحروف .  
فالالفاظ والحروف : هي التي يطلق عليها كلام الله ، عنده . وهي حادثه .  
وهذا كلام غير سليم لأن للناس في معنى الكلام عند الاطلاق أربعة اقوال هي :-
- ١ - اسم اللفظ فقط ، والمعنى ليس جزء مسماه ، بل هو مدلول مسماه . وهذا قول جماعة من المعتزلة . وهو عين قول الشيخ محمد عبده كما ترى .
  - ٢ - اسم للمعنى فقط ، واطلاقه على اللفظ مجاز ، لأنه دال عليه . وهذا قول ابن كلاب ومن معه .
  - ٣ - انه مشترك بين اللفظ والمعنى ، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية .
  - ٤ - انه يتناول اللفظ والمعنى جميعا ، كما يتناول لفظ الانسان : الروح والجسد معا وهذا هو قول السلف . " ٢ "
- وشيخ الاسلام يؤكد هذا في كلامه في كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم . " ٣ "

ولشرح الطحاوية كلام طويل في الرد على المخالفين .

- 
- ١ - نفس المرجح ونفس الصفحة .
  - ٢ - نفس المرجح ص ١٩٧ .
  - ٣ - انظر : مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ( ٣ : ٥٥ ) .

ثم انتقل لمناقشة قوله : ( انا لا نسلم ان المتكلم من قام به الكلام ، بل المتكلم هو من أحدث الكلام في شيء آخر ) .  
فأقول : قوله هذه مردود ، وقد استمر هذا الرأي من المعتزلة ، وقد أبطله السلف وشنعوا على من قال به ، واعتبروه مهتدعا في دين الله ما لم يأذن به الله .

يقول مقرر مذهب السلف ابن تيمية رحمه الله :

( وكانوا أول ما أظهروا بدعتهم قالوا : ان الله لا يتكلم ولا يكلم ، كما حكى عن الجعيد " ١ " ، وهذه حقيقة قولهم ، فكل من قال القرآن مخلوق فحقيقة قوله ان الله لم يتكلم ، ولا يكلم ، ولا يأمر ، ولا ينهى ، ولا يحب . فلما رأوا ما في ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا : انه يتكلم مجازا ، يخلق شيئا يعبر عنه لا انه في نفسه يتكلم . فلما شنع المسلمون عليهم قالوا : يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام ، وفعله ولو في غيره . فكل من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلما بذلك الكلام حقيقة .

وقالوا : المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام وهذا الذي استقر

عليه قول المعتزلة ) . " ٢ "

وقد مر معنا ان الكلام اصفة من صفات الله تعالى ، وصفات الله تعالى قديمة قائمة بذاته زائدة عليه . فلا يكون الله سبحانه متكلما بكلام يقوم في غيره ، وكذا سائر الصفات .

---

١ - الجعد بن درهم ، ثم صاحبه الجهم بن صفوان ، وكلاهما قتل ، بسبب

هذا . / انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٦٠ .

٢ - شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ( ٦٠ - ٦١ ) .

يقول ابن تيمية :

( اذ المتكلم من قام به الكلام ، فلا يكون متكلماً بكلام يكون في غيره  
كسائر الصفات ، والافعال ، فانه لا يكون عالماً بعلم يقوم بغيره ، ولا قادراً  
بقدرته تقوم بغيره ولا حياً بحياة تقوم بغيره ، وكسائر الموصوفين فان الشيء  
لا يكون حياً عالماً قادراً ، بحياة او علم او قدرة تقوم بغيره ، ولا يكون متحركاً  
او ساكناً بحركة او سكون يقوم بغيره ، كما لا يكون متلوئاً بلون يقوم بغيره ) " ١ "

وبه شيخ الاسلام الى ان المعتزلة يموهون على الناس فيقولون اجمع  
المسلمون على انه الله متكلم ، ولكن اختلفوا في معنى المتكلم هل هو من فعل  
الكلام او من قام به الكلام .  
قال شيخ الاسلام : ( وما زعموه من ان المتكلم يكون متكلماً بكلام قائم بغيره ،  
قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة ) " ٢ "

وكان قداماً الصفاتية من السلف والائمة ، والكلائية ، والكرامية ،  
والاشعرية ، يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم .  
ثم اتى شيخ الاسلام بأربعة مسائل اكد فيها مذهب السلف ، مسألتان  
عقليتان ، ومسألتان سمعيتان لغويتان :

( الاولى ) : ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل فكان هو  
الموصوف بها فالعلم والارادة والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك  
المحل هو العالم المرید القادر المتكلم المتحرك الساكن . . .

( الثانية ) : ان حكمها لا يعود على غير ذلك المحل ، فلا يكون عالماً بعلم  
يقوم بغيره ولا قادراً بقدرته تقوم بغيره ، ولا متكلماً بكلام يقوم بغيره ولا متحركاً  
بحركة تقوم بغيره .

١ - شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٦٢ .

٢ - نفس المصدر ص ٦٣ .

وهاتان عقليتان •

أما السميتان اللغويتان ، فهما :-

( الثالثة ) : انه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم اذا كانت تلك الصفة مما يشتق لمحلها منها اسم ، كما اذا قام العلم أو القدرة أو الكلام بمحل • قيل عالم ، أو قادر أو متكلم بخلاف أصناف الروائح التي لا يشتق لمحلها منها اسم •

( الرابعة ) : انه لا يشتق الاسم لمحل لم يقم به تلك الصفة ، فلا يقال لمحل لم يقم به العلم أو القدرة أو الارادة أو الكلام انه عالم أو قادر أو متكلم •

ويعجبني في الرد على الشيخ محمد عبده ، ما ألزمه الامام عبد العزيز المكي " ١ " بشرا المرسي بين يدي الخليفة المأمون ، بعد ان تكلم معه ملتزما ان لا يخرج عن نص التنزيل ، والزمه الحجة • بعد ان دار بينهما هذا النقاش : " ٢ "

قال بشر : يا أمير المؤمنين ، ليدع مطالبتي بنص التنزيل وينظرني بنفسي ، فان لم يدع قوله ويرجع عنه ويقرب خلق القرآن الساعة ، والا فدي حلال •

قال عبد العزيز : تسألني أم أسألك ؟

قال بشر : اسأل أنت •

---

١ - هو عبد العزيز بن يحيى الكتاني • احد الفقهاء من اصحاب الشافعي • قدم بغداد ايام المأمون وجرى بينه وبين بشر المرسي مناظرة في خلق القرآن بخضرة الخليفة المأمون • وصنف كتاب " الحيدة " اثبت فيه نص مناظرته لبشر • لكن في ثبوت هذه المناظرة نظر ، فانه تفرد بروايتها محمد بن الحسن بن ازهر الدط ، وقد اتهمه الخطيب بأنه يضع الحديث • وذكر الذهبي أنه هو الذي وضعها / الميزان ( ٣ : ٤٤ ) • شمس الدين الذهبي •

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٤ و ١٨٥ •

قال عبد العزيز : يلزمك واحدة من ثلاث لا بد منها ، اما ان تقول : ان الله خلق القرآن - وهو عندي انا كلامه - في نفسه ، او خلقه قائما بذاته ونفسه ، او خلقه في غيره ؟

قال بشر : اقول خلقه كما خلق الاشياء كلها .  
وحاد عن الجواب فقال المؤمن : اشرح انت هذه المسألة ودع بشرا فقد انقطع .  
قال عبد العزيز : ان قال : خلق كلامه في نفسه فهذا محال ، لان الله لا يكون محلا للحوادث المخلوقة ، ولا يكون فيه شيء مخلوق .  
وان قال : خلقه في غيره فيلزم في النظر والقياس ان كل كلام خلقه الله في غيره فهو كلامه . فهو محال ايضا لانه يلزم قائله ان يجمل كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله .  
وان قال : خلقه قائما بنفسه وذاته فهذا محال ، لا يكون الكلام الا من متكلم كما لا تكون الارادة الا من مرید ، ولا العلم الا من عالم ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته .  
فلما استحال من هذه الجهات ان يكون مخلوقا علم انه صفة لله .

ولا ارید ان اقف مع هذا الكلام اكثر من ذلك فانه ليس بيت القصيد في الموضوع بل انتقل الى بقية كلامه في مسألة " خلق القرآن " ، الذي يخطوبه الشيخ محمد عبده خطوة اجراً من سابقتها .

انه فيما سبق - كما رأينا - يلتزم القول بنظرية الفيض ، الفلسفية .  
ويقول ايضا ان المتكلم هو من احدث الكلام في شيء آخر غيره .  
اما في مسألة " خلق القرآن " فيلتزم الشيخ محمد عبده ، قول الممترلة ايضا ، ويذهب الى ان القرآن كلام الله المخلوق .

وخلاصة ما قال هـ : —

- ١ — ان صدر الكلام المسموع عن الحق سبحانه قديم .
  - ٢ — اما الكلام المسموع نفسه المعبر عن ذلك الوصف القديم فحدث .
  - ٣ — الايات التي يقرؤها قارئ القرآن تحدث وتفنى كلما تليت .
  - ٤ — القول بأن الله خلق القرآن غاية ما دعا الدين الى اعتقاده .
  - ٥ — مذهب الامام احمد القول بخلق القرآن . لكنه كان لا ينطق بهذا حتى لا يقع في الحرج ، وبالفئة في التأديب مع الله .
- وهذا من الشيخ محمد عبده موقف لا احمد له . لانه مع الاعتراف له بالجراة ليس اجراً ولا اشجع من الامام احمد بن حنبل ، الذي اهين وسجن وعذب وظل ثابتاً على رأيه يقول : القرآن كلام الله القديم ، ليس بمخلوق ، وهو صفة من صفاته . وهذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ومن قال بخير هذا فقد اوقع نفسه في الحرج ، وبالغ في الجراة على الله .
- " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم " . " ١ "
- وحتى لا يتخذ احد بكلام الشيخ محمد عبده ، ويظن ان الامام احمد كان ينطق بما لا يعتقد ، وان عموم الفرق تقول بحدوث كلام الله ، خلا جماعة من الحنابلة . فاني اسوق اليك مذهب السلف ، واهل السنة في مسألة كلام الله ، المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الكريم ، ثم المتلو :

والمسموع منه ، ثم المكتوب في المصاحف ، ثم ما اضيف الى الخلق من القراءة  
والكتابة . . . فهو الحكم الوحيد بين ايدينا ، القاضي بالحق بين الامام احمد  
واتباعه من الحنابلة ، وبين الشيخ محمد عبده ، واسبابته من المعتزلة .

اولا : " القرآن كلام الله ليس بمخلوق " :

=====

حكى الطحاوي رحمه الله قال : ( وان القرآن كلام الله ، منه  
بدا ، بلا كيفية قولاً ، وانزله على رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك  
حقاً ، وايقنوا انه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن  
سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه واوعده بسقر حيث قال  
تعالى " سأصليه سقر " ١ " فلما اوعد الله بسقر لمن قال " ان هذا الا  
قول البشر " ٢ " علمنا وايقنا انه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر ) .

والذي يفهم من كلام الشيخ الطحاوي رحمه الله تعالى ان القرآن كلام  
الله انزله على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام ، وهو  
المتكلم به ابتداءً ، لم يخلقه في غيره ، وفي ذلك رد على الشيخ محمد عبده  
الذي يزعم ان القرآن خلقه الله منفصلاً عنه .

وقال الامام احمد رضي الله عنه : ( كلام الله من الله ليس ببائس

منه ) . " ٤ "

- 
- ١ - سورة المدثر اية ( ٢٦ ) .
  - ٢ - سورة المدثر اية ( ٢٥ ) .
  - ٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ( ١٧٩ ) .
  - ٤ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ( ٦ ) .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ( اتفق سلف الامة واثمها على ان كلام الله

منزل غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ) . " ١ "

ومعنى قولهم " منه بدأ " : اى هو المتكلم به لم يخلقه في غيره .

ومعنى قولهم " اليه يعود " : ما جاء في الاثار ان القلبن يسرى به حتى

لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه اية .

وقد تكلم الله القران باللفظ والمعنى بصوت نفسه بلا كيفية ( اى لا تعرف

كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز ) . " ٢ "

قال تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام

الله ) . " ٣ "

فبين الله تعالى ان الكلام المسموع هو كلامه ، وهو عين ما سمعه جبريل

من ربه وهو عين ما سمعه محمد من جبريل ، وهو عين ما سمعه الصحابة منه صلى

الله عليه وسلم . وهو عين ما تقرأه نحن وهو الذى بين دفتي المصحف .

وما في الصدور كله كلام الله غير مخلوق . " ٤ "

لعل في كلام العلماء هذا مقنع للشيخ محمد عبده ، والا فهناك من كلام

الله ما يقنع .

---

١ - نفس المرجع ص ( ٥ ) .

٢ - شرح المقيدة الطحاوية ص ١٩٥ .

٣ - سورة التوبة اية ( ٦ ) .

٤ - انظر كتاب : خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل ،

لمحمد بن اسماعيل البخارى مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة

١٣٩٠ هـ ص ٧ .



- قال الله تعالى : " قل نزله روح القدس من ربك بالحق " ١ " ٠ "
- وقال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون مسن المنذرين بلسان عربي مبين " ٢ " ٠ "
- وقال تعالى : " قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بأذن الله " ٣ " ٠ "
- وقال تعالى : " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا " ٤ " ٠ "
- وقال تعالى : " انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين " ٥ " ٠ "
- وقال تعالى : " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم " ٦ " ٠ "
- وقال تعالى : " والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق " ٧ " ٠ "
- والايات في هذا كثيرة فيها اخبار من الله تعالى انه نزل القرآن بواسطة جبريل عليه من لدنه تعالى على قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على الحقيقة ، وليس شي نزل من القرآن مخلوق " ٨ " ٠ "

- 
- ١ - سورة النحل اية ( ١٠٢ ) ٠
  - ٢ - سورة الشعراء الايات ( ١٩٣ - ١٩٥ ) ٠
  - ٣ - سورة البقرة اية ( ٩٧ ) ٠
  - ٤ - سورة الاسراء اية ( ١٠٦ ) ٠
  - ٥ - سورة الدخان اية ( ٣ ) ٠
  - ٦ - سورة الزمر اية ( ١ ) ٠ وسورة الجاثية اية ( ٢ ) ٠ وسورة الاحقاف اية ( ٢ ) ٠
  - ٧ - سورة العمل اية ( ١٠٢ ) ٠
  - ٨ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٥ ٠

ثانيا : الكلام المتلو والمسْموع :

=====

اما هذا فلا خلاف في حدوثه - على مذهب الشيخ محمد عبده - ولا في انه خلق من خلقه . ( وان ليس معنى القران او الكلام الا هذه الالفاظ المقررة باللسن ، المكتوبة في المصاحف المتفق على حدوثها ) . " ١ "

وكل ما ورد في النصوص من ان القران غير مخلوق فهو كلمة بغير " مختلق " ، وان قول الانبياء عن الله انه متكلم فهو كلمة ايضا بانه مجاز او ما يشبهه . " ٢ "

والحق : ان هذا الكلام هو اخر ما استقر عليه الممتزلة ، وهو اخر قولهم في هذه المسألة ، وهم يموهون على الناس فيقولون " اجمع المسلمون " ، " المتفق على حدوثها " ، " ولا خلاف في ذلك " . " ٣ "

فجاء الشيخ محمد عبده ، ونقل هذا عنهم ، وزعم ان عقله دله عليه وهداه اليه ، وادعى ان هذا غاية ما دعا الدين الى اعتقاده ، وهو السنة ، وهو ما كان عليه النبي واصحابه ، وكل ما خالفه فهو بدعة وضلال .

أقول : ان دعوى اتفاق العلماء ، واهل المذاهب على حدوث الكلام المسموع والمقرء ، باطلة . بل الحاصل تنازعهم في هذا ، والسلف على خلافه . واليك تقرير مذهبهم :

- 
- ١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٠١ ) .
  - ٢ - انظر نفس الكتاب ونفس الصفحة .
  - ٣ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ( ٦١ ) .  
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

يقول السلف ان كل من تكلم بكلام نسب هذا الكلام اليه ان كان هو  
اول من ابتدأه ، وان جرى هذا الكلام على لسان غيره ، فتبقى نسبة الكلام اليه  
حتى بعد مماته ، ولو رددته غيره بصوته وحركاته . وان من يسمع هذا الكلام  
يقول انه كلام من ابتدأه لا من نقله وبلغه .

يقول شارح الطحاوية في هذا المعنى :

( والكلام كلام من قاله مبتدئا لا من قاله مبلغا ، ومن سمع  
قائلا يقول : " قفا نهك من ذكرى حبيب ومنزل " . " ١ " قال : هذا شعر  
امرى القيس .

ومن سمعه يقول " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرى ما نوى " . " ٢ " قال :  
هذا كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وان سمعه يقول : " الحمد لله رب  
العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد و اياك نستعين " .  
قال : هذا كلام الله . ان كان عنده خبر ذلك ، والا قال لا ادري كلام من  
هذا ؟ ولو انكر طيه احد ذلك لكذب .

ولهذا من سمع من غيره نظما او نثرا ، يقول له : هذا كلام من ؟

هذا كلامك او كلام غيرك ؟ . " ٤ " .

- 
- ١ - عجز البيت : بسقط اللوى بين الدخول فحومل ، وهو من المعلقات العشر .
  - ٢ - الحديث متفق عليه ، روى بطريق التواتر ، من حديث عمر بن الخطاب رضي  
الله عنه ، وهو اول حديث في صحيح البخارى ، وفي الاربعين النووية ،  
وتكلمته " فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ،  
ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه " .
  - ٣ - سورة الفاتحة الايات ( ٢ - ٥ ) .
  - ٤ - شرح المفيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ويقول شيخ الاسلام مؤكدا :

( اذا قرأ الناس كلام الله تعالى فكلام في نفسه غير مخلوق اذا كان الله قد تكلم به . واذا قرأه المخلغ لم يخرج عن ان يكون كلام الله . فان الكلام كلام من قاله مبتدئا امرا يأمر به او خبرا يخبره ليس هو كلام المخلغ له عن غيره ان ليس على الرسول الا البلاغ المبين .

واذا قرأه المخلغ فقد يشار اليه من حيث هو كلام الله فيقال : هذا كلام الله ، مع قطع النظر عما بلغه به العباده من صفاتهم ، وقد يشار اليه نفس صفة العبده كحركته وحياته ، وقد يشار اليهما .

فالمشار اليه الاول غير مخلوق ، والمشار اليه الثاني مخلوق ،

والثالث : منه مخلوق ومنه غير مخلوق ) . " ١ "

وحقيقة كلام الله الخارجية : هي ( ما يسمع منه او من المخلغ عنه ، فاذا سمعه السامع علمه وحفظه . فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ ، فاذا قاله السامع فهو مقروء له مثلوه ، فاذا كتبه فهو مكتوب له مرسوم . وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه . والمجاز يصح نفيه فلا يصح ان يقال : ليس في المصحف كلام الله ، ولا : ما قرأ القارئ كلام الله ) . " ٢ "

ويستشهد شارح الطحاوية بقوله تعالى : " وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله " ٣ " . فهو لا يسمع كلام الله من الله ، وانما يسمعه من مبلغه عن الله .

---

١ - انظر رسالة ابن حزم وموقفه من الالهيات و " صفة الكلام " في الباب الثاني ،

نقلا عن كتاب مذهب السلف القويم ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ،

( ٣ : ٥٨ - ٥٩ ) .

٢ - شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .

٣ - سورة التوبة اية ( ٦ ) .

قال الشارح : ( والاية تدل على فساد قول من قال : ان المسيح  
عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله ، فانه تعالى قال : " حتى يسمع كلام الله " ،  
ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله . والاصل الحقيقة ) . " ٢ "

ويذهب الشارح الى ان من قال : ان المكتوب في المصاحف عبارة عن  
كلام الله ، او حكاية كلام الله ، وليس فيها كلام الله ، فقد خالف الكتاب والسنة  
وسلف الامة وكفى بذلك ضلالا .

وليس ادل على ان الشيخ محمد عبده يحكي عين مذهب المعتزلة من  
هذا الذي ذكرت . بل انه يقول كل ما ورد في نصوص الائمة والعلماء في قولهم  
" غير مخلوق " " بغير مخلوق " . وقد يطلق بعض المعتزلة على القران انه غير  
مخلوق ، ومرادهم انه غير مخلوق " ٣ " ، فهو ادعاء باطل . بل هو حق وصدق ،  
ولا ريب ان هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين . " ٤ "

===

- 
- ١ - سورة التوبة اية ( ٦ ) .
  - ٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٩٤ .
  - ٣ - بمعنى : مفترى مكذوب .
  - ٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ١٨٨ .

ثالثا : المكتوب في المصاحف :

=====

والسلف ايضا يقررون ان ما هو مكتوب في المصاحف ، كلام الله غير مخلوق  
ومثله المكتوب في التوراة الربانية والانجيل الرباني والزبور ايضا فكلها من كلام الله .  
حقيقة .

وهذا ظاهر من كلام الامام ابي حنيفة النعمان رض الله عنه في الفقه  
الاكبر ، فانه قال : ( والقران في المصاحف مكتوب ، وفي القلوب محفوظ ،  
وعلى اللسان مشروء ، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزل ، ولفظنا بالقران  
مخلوق ، والقران غير مخلوق ) .<sup>١</sup>

وما في القران من مداد ، وخطوط واشارات وتشكيلات ، ورسومات ،  
وورق وما يخرج من حروف الهجاء في الهواء ، وكل ما هو من كسب العبد وفعله  
فمخلوق . وما ليس بفعله فغير مخلوق .

وهذا المعنى مفاير لمعنى قول القائل : فيه كلام الله . وفرق كبير بين  
قولنا : المراد في المصحف بخط فلان وكتابته وقولنا فيه كلام الله ، ومن لم  
يتنبه للفرق بين هذين الممنيين فقد ضل ولم يهتد للصواب . وكذلك الفرق بين  
القراءة التي هي فعل القارئ ، والمشروء الذي هو قول الباري .

( ولو ان انسانا وجد في ورقة مكتوبا : " الا كل شي ما خلا الله باطل " .<sup>٢</sup>

---

١ - انظر شرح المقيدة الطحاوية ص ١٨٩ .  
٢ - البيت من كلام لبيد بن ربيعة وتكلمته : وكل نعيم لا محالة زائل . -  
الا نعيم الجنة . -

من خط كاتب معروف لقال : هذا من كلام " لبيد " حقيقة ، وهذا خطأ  
فلان حقيقة ، وهذا كل شيء حقيقة ، وهذا خبر حقيقة ولا تشبه هذه الحقيقة  
بالأخرى ( ١ )

والدليل على ان ما كان من فعل العبد فهو مخلوق قول الرسول  
صلى الله عليه وسلم " زينوا القرآن بأصواتكم " ( ٢ )

ففيه ان لقراءة القرآن زينة ، وزينته الصوت المذب الحسن ،  
الذى تخشع له النفوس ، وتوجل منه القلوب ، وتذرف منه العيون .

فصاحب الصوت الندى يضيف بصوته على القرآن زينة وحلاوة ، وكل  
هذا مخلوق ، أما القرآن كلام الله فخير مخلوق .

وقد طلب الرسول عليه السلام من قارئ القرآن ان يرفع صوته به  
ويحسنه ، وان يبكي وهو يقرأه ، فان لم يبكي يتباكى . وفعل القارئ هذا  
كله مخلوق ، ونطقه وصوته بالقرآن غير القرآن . فكلام الله غير مخلوق ، وما  
نسب الى العبد فمخلوق .

وهذه قاعدة شريفة ، وهي اصل من اصول الدين ، دل عليه  
القرآن ، وايدته السنة ، وشهدت به الفطرة .

---

١ - شرح المقيدة الطحاوية ص ١٩٢ .

٢ - صحيح البخارى ( ٤ : ٢١٦ ) .

"تهيبه" :

=====

ليس في وسمي أن أتجاهل ما ذكره لي الاستاذ المشرف على

هذه الرسالة • "١"

فقد ذكر لي أن أحد تلاميذ الشيخ محمد عبده "٢" • راجعه  
في هذه المسألة ، وذكر له كلام السلف ، وطلب منه ان يرجع عن رأيه  
هذا لكي تكون رسالة التوحيد ، رسالة سلفية خالصة ، فوافق الشيخ على  
هذا ، وأوصاه أن يحذف هذا الرأي في الطبعة الثانية ، أو المقبلة ،  
ومقي على هذا الى أن أماته الله قبل أن تتحقق وصيته في حياته ، فحقت  
بعد موته ، وتم حذف كلامه المخالف ، أسأل الله له المغفرة •

---

١ - الاستاذ الدكتور : سليمان دنيا •

٢ - لعله يكون : الشيخ محمد رشيد رضا •



( ٧٤٦ ) : السمع والبصر

=====

" مذهب الشيخ محمد عبده " :

=====

يذهب الشيخ محمد عبده الى انه ما ثبت لله تعالى بالنقل :

• صفة البصر ، وهي ما به تنكشف المصبرات •

• صفة السمع ، وهي ما به تنكشف المسموعات •

• فهو سبحانه السميع البصير •

قال الشيخ محمد عبده : ( يجب على كل مسلم ان يعتقد ان

هذا الانكشاف للمصبرات والمسموعات ليس بالكسبة جارحة ، ولا حذقة ولا باصرة ) •

وفي شرحه على " العقائد العنصرية " : اثبت لله تعالى

صفتي السمع والبصر ، وبين مفهوم كل صفة فقال :

( والسميع من قام به صفة السمع ، والبصير من قام به صفة البصر ) •

وفي اثباتهما قال :

ولما وجب ان يتصف بجميع صفات الكمال وجب ان يكون سميما

بصيرا ( •

وايضا ، استدل على ثبوت هاتين الصفتين بما ورد من نصوص في القرآن الكريم

تفيد بصراحة ثبوت السمع والبصر لله تعالى •

وقرر الشيخ محمد عبده ان هاتين الصفتين مخايرتان للعلم ،

وليس معناهما العلم بالمسموعات ، والعلم بالمصبرات ، كما يقوله بعض الفلاسفة •

ورد على قول من قال : ان هاتين الصفتين ينكشف بهما المسوع والمبصر

بعد حدوثه ، فقال :

( ان للواجب تعالى علم بالكائنات قبل وجودها على وجه ليس يساوى ادراك المحسوس بالحاسة ، وله ادراك لها بعد وجودها على وجه اجلى وارفع ، كما يحصل لنا من العلم بالشيء قبل رؤيته ، والعلم به بعد رؤيته ، اذ الثاني اعلى وارقى من الاول ) . " ١ " )

ويقول :-

( هذا الادراك الاجلى ، والانكشاف الاعلى ، الذى يحصل للبارى ، بعد حدوث المحسوسات ، اما ان يكون حاصلا له قبل الحدوث ايضا ، او لا . على الثاني : هو نوع من الانكشاف اعلى واكمل ، فيكون للبارى تعالى كمال حادث ، ويكون بدونه ناقصا ، وهو محال . وايضا : اكملية الانكشاف ، اما تكون بكشف ما لم يكن منكشفا عند فقدان هذا الاكمل فيلزم الجهل عليه تعالى . وهو محال .

وان كان الاول : اى انه حاصل له قبل حدوث المحسوسات ، فليس الا تعلق الصفة الازلية ، وهي العلم بجميع الكائنات على الوجه الاكمل . اذ لا تفاوت بين ما هو مبصر او مسوع وما هو معقول فيما هو قبل الوجود ، بل الكل معقول ) .

ثم يضع الشيخ محمد عبده القاعدة الأساسية في هذه المسألة ، ويقول انها الأصوب للمسلم ، ويطلب منه أن يدقق الفكر ولا يلتفت لما هوس به الجهلة في هذا المقام .

فيقول :

( فالأصوب الرجوع الى أن يبدأ الانكشاف في الواجب شيء واحد متعلق

بجميع الأسماء على وجه لا يتصور ما هو أجل وأعلى منه ، ولا ضرورة الى تكثير ما ياديه ،  
في ذاته تعالى ...

ومثل هذا يقال ، في المذوقات ، والمشويات ، والطموسات .

غايته . لا يصح اطلاق اسمائها على الباري تعالى .

لعدم ورود الشرح بها .

ولا يهام الفاظها الجسمية .

فدقق الفكر ، ولا تلتفت لما هوس به الجهلة ، في هذا المقام .

من التمشدق ، بالاضاع اللغوية والغالطات غير البرهانية ( ١٠ ) .

" توبيخ هذا المذهب " :

=====

لا شك أن الشيخ محمد عبده هذا مع أهل الأئمة قاطبة ، من أهل السنة

والجماعة من السلف والأئمة ، وأهل الحديث والفقهاء ، وأهل التصوف ، ومصنف

المفكرين من الصفاتية ، وطائفة من المعتزلة البصريين .

فهؤلاء جميعا يثبتون لله صفتي السمع والبصر ، والسمع والبصير من

أسمائه سبحانه ، وله سمع يسمع به ، وبصر يبصر به على نحو يليق بجلاله وكماله .

فهو معهم في بيان مفهوم السمع والبصر ، وفي إثباتهما .

وهو معهم في الرد على ما قالته بعض الطوائف من ان المراد بسمعه تعالى

وبصره مجرد العلم بما يسمع ويرى .

١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٥٠٠ ) .

٢ - انظر : شرح المقيدة الاصفهانية ص ( ٧٣ ) .

ومعنى السميع والبصير عند السلف يمينه شارح العقيدة الواسطية

بقوله :

( ومعنى السميع : المدرك لجميع الاصوات مهما اخفتت فهو يسمع السر

والنجوى ، يسمع هو صفة لا يماثل اسماع خلقه .

ومعنى البصير : المدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما

لظقت أو بعدت . فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار ، وهو من فعيل بمعنى

مفعل ، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه على الوجه الذى يليق به ) " ١ "

وكان رد الشيخ محمد عبده في مطه ، على من ذكر ان سمعه وبصره

تعالى هما العلم بالمسموع والبصر ، لا ادراك الخرز غيره ،

والسلف وأهل السنة لهم طريقة أخرى في الرد على هؤلاء ، القائلين :

ان السمع والبصر اذا كانا غير العلم بالمسموع والبصر ، فهما تآثر الحاسة البصرية

والسمعية بالمسموع والبصر .

أو ادراك للنفس مشروط بهذا التأثير . ومثل ذلك محال في حقه

تعالى . " ٢ "

وليفضا : سمعه وبصره اما قديمان فيلزم المسموع والبصر . ان سميع

وبصير بلا مسموع وبصير باطل .

فانما كان سمعه وبصره قد يمين لزم قدم المسموع والبصر وهو باطل .

واما ان يكون سمعه وبصره حادثين فيلزم قيام الحوادث بذاته ،

وهو باطل . ا . هـ

١ - شرح العقيدة الواسطية ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

٢ - انظر : الفرق بين الفرق ، للبغدادي ص ١٨١ .

وانظر : أصول الدين ، له ايضا ص ٩٦ ، الطبعة الاولى ، مطبعة

الدولة ، استانبول ١٣٤٦ / ١٩٢٨ م .

هي :

- ١ - ان صفاته تعالى مخالفة في الحقيقة لصفات الممكنات .  
فان سلمنا ان السمع والبصر في الممكنات ما قالوه ، فلانسلم ان سميع  
الله تعالى وبصره هو تأثير الحاسة بالمسموع والبصر .
  - ٢ - ان سميعه وبصره تعالى قديمان ، ولا يلزم قدم المسموع والبصر لأن  
سمعه وبصره صفتان قديمتان لكل منهما عمل حادث .  
فالبصر قديم بصره البصرات عند حدوثها ، والسمع قديم يسمع به  
الاصوات عند حدوثها .
- أقول : لا شك ان ماورد من نصوص في القران وفي السنة انما يفيد  
قطعا انه تعالى يسمع ويبصر .

- ولا شك ايضا ان الادراك السمعي والبصري مقياران للادراك العملي .  
وهذا حقيقة قول السلف ، وايداه الشيخ محمد عبده .  
فقد توصف لك مدينة " مكة المكرمة " فتدركها ادراكا عظيما فحسب .  
ثم قد يهيا الله لك زيارة البيت العتيق ، فترى مكة ، فيحصل لك قطعا ادراك  
آخر غير الادراك الأول وأجلى منه .

اذا علمنا ذلك . فهل نحيل على الله تعالى السمع والبصر ، ونقول ما  
ورد من السمع مثل قوله تعالى " وهو السميع العليم " " ١ " ، وقوله تعالى :  
" انه بكل شيء بصير " " ٢ " ، وقوله تعالى " وهو السميع البصير " " ٣ "

- 
- ١ - سورة البقرة اية ( ١٣٧ ) / سورة الانعام اية ( ١٣ ) / واية ( ١١٥ )  
/ سورة الانبياء اية ( ٤ ) / سورة العنكبوت اية ( ٥ ) ، واية ( ٦٠ ) .
  - ٢ - سورة الملك اية ( ١٩ ) .
  - ٣ - سورة الشورى اية ( ١١ ) .

بالعلم بالمسموع والبصر ، لاستحالة ان يكون له تلك الحواس الجسمية • أو  
نثبتهما له تعالى لورود النص بهما ، لكن مع الجزم بأنهما في حقه تعالى ليسا  
بحاسة جسمية على نمط ما في الحوادث ؟؟

الراجع الثاني ، فقد جاء في الكتاب المبين الاخبار بأنه تعالى سميع  
بصير • كما جاء فيه الاخبار بأنه تعالى عليم ، وتكرر كلاهما في الكتاب ، وليس  
هناك ما يبرر تأويل السمع والبصر في حقه تعالى ، الا ما ذكره بعض الطوائف وقد  
علمت بطلانه •

واذن ، فلا وجه لهذا التأويل ، بل يجب بقاء الصفتين على ظاهرهما ،  
لكن مع الجزم بأنهما ليسا بحاستين جسميتين ، على نمط ما في الحوادث •  
فالحق اذا ، مع السلف ، واهل السنة ، وهو ما ذهب اليه الشيخ  
محمد عبده •

واليك بعض ما استدل به اهل الحق في حقهم :

- اولاً : من السمع • - بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة •
- ثانياً : العقل • - اذ العقل مؤيد للنقل ومؤازر له •

١ - الأدلة النقلية :

=====

وهي ما في الكتاب والسنة من آيات واحاديث وصفته تعالى بأنه سميع  
بصير ، ولا يجوز ان يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى ، لان الله فرق بين العلم  
وبين السمع والبصر ، كما فرق بين السمع وبين البصر • ( وهو لا يفرق بين علم وعلم  
لتنوع المعلومات ) • " ١ "

أ : من القرآن الكريم :

=====

قال تعالى : " واما ينزعك من الشيطان فرغ فاستعذ بالله انه هو

السميع العليم " ١ . ٠ "

وقال تعالى : " وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " ٢ . ٠ "

وقال تعالى : " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي

الى الله والله يسمع تطوركما ان الله سميع بصير " ٣ . ٠ "

وقال تعالى : " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن

أغنياء " ٤ . ٠ "

وقال تعالى : " ام يحسبون اننا لا نسمع سرهم ونجواهم ابلى ورسلا

لديهم يكتبون " ٥ . ٠ "

وقال تعالى : " الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو

السميع العليم " ٦ . ٠ "

وقال تعالى : " الم يعلم بأن الله يرى " ٧ . ٠ "

ذكر الله تعالى فى هذه الايات سمعه لاقوالهم وورؤيته لافعالهم

وعلمه بأحوالهم ( ليتناول باطن احوالهم ) ٨ . ٠ "

وقال لموسى وهارون : " اننى معكما أسمع وأرى " ٩ . ٠ "

---

١ - سورة الاعراف اية ( ٢٠٠ ) .

٢ - سورة البقرة اية ( ٢٢٧ ) .

٣ - سورة المجادلة اية ( ١ ) .

٤ - سورة ال عمران اية ( ١٨١ ) .

٥ - سورة الزخرف اية ( ٨٠ ) .

٦ - سورة الشعراء الايات ( ٢١٨ - ٢٢٠ ) .

٧ - سورة العلق اية ( ١٤ ) .

٨ - شرح المفيدة الاصفهانية ص ٧٤ .

٩ - سورة طه اية ( ٤٦ ) .

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر قول الحق تعالى : " ان الله يأمركم ان تعودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمًا يعظكم به ان الله كان سميعًا بصيرًا " ١ •  
فوضع ابهامه على اذنه وسبابته على عينيه • " ٢ •  
ولا ريب ان مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق •  
فلو كان السمع والبصر هما العلم لم يصح ذلك • " ٣ •  
قال الامام ابن القيم رحمه الله : ( وانما وضع ابهامه على اذنيه  
دفعًا لتوهم اى مفهوم ) • " ٤ •  
وقد بينت عند تعريف صفة العلم ان المعلومات ما شأنها ان تعلم •  
سواء كانت واجبة او مستحيلة او ممكنة •  
وهذا تمييز العلم عن السمع والبصر • لانها انما يتكشف بهمحصا  
بعض المعلومات • وهي البصريات والمسموطات •  
فلا يجوز ان يكون كل معلوم مسموط او بصريا • فثبت الفرق بين العلم  
وبين السمع والبصر بالدليل وبالنظر •

ب : من السنة النهيية :-

=====

١ - روى ابن خزيمة قال : حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن وهب  
قال : حدثنا عبي قال : حدثني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : حدثني

- 
- ١ - سورة النساء اية ( ٥٨ ) •
  - ٢ - رواه ابو داود • / انظر شرح المقيدة الاصفهانية ص ٧٤ •
  - ٣ - انظر شرح المقيدة الاصفهانية ص ٧٤ •
  - ٤ - انظر مختصر الصواعق المرسله • لابن القيم ( ١ : ٧٢ ) •



عروة بن الزبير : " ان عائشة رضي الله عنها ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم  
حدثته انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : هل أتى  
عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيت من قومك وكان أشد ما  
لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني الى  
ما أردت . فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب ،  
فرفعت رأسي فاذا بسحابة قد أظلمتني ، فلظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام  
فنادى فقال : يا محمد : ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا  
عليك ، وقد بعث الله ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال  
فسلم علي ثم قال : يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك ، وانا ملك  
الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني أمرك ، وما شئت ، ان شئت ان اطبق  
عليهم الأخشبين " ١ " فعلت .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله  
من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " ٢ "

٢ - روى ابن خزيمة ايضا حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال :  
كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فلما اقبلنا واشرفنا على  
المدينة كهر الناس تكبيرة رفعوا بها اصواتهم فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : " ان ربكم ليس بأصم ولا غائب " .  
وفي رواية ثانية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان ربكم  
ليس بأصم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا " .  
وفي رواية الثالثة قال : " أيها الناس انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انما  
تدعون قريبا " ٣ .

- ١ - جيلان في مكة ، الاول : ابوقيس ، والثاني : الذي يقابله .
- ٢ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٨ ، والحديث متفق عليه .
- ٣ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٤٩ .

- ٣ - ومثله عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة ، فجعلنا لا نصعد شرفا ، ولا نهبط في واد ، الا رفعنا اصواتنا بالتكبير ، فدنا منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم ما تدعون اصم ولا غائبا ، فانما تدعون سميعا بصيرا ، ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس " ١ " الا علمك كلمة من كنوز الدنيا : " لا حول ولا قوة الا بالله " . " ٢ "
- ٤ - خير عائشة رضي الله عنها " سبحان ربي وسبحه وسبح سمعه الأصوات " ان المجادلة " ٣ " تشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيخفى علي بعض كلامها ، فأنزل الله " قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها " .  
وفي رواية ثانية قالت : " سبحان من وسع سمعه الأصوات " . " ٤ "
- هذه النصوص ، يفيد مجموعها ان الله سبحانه وتعالى يسمع ما يتكلمون ، ويبصرهم فهو ليس بأصم ولا غائبا ، ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير .

- 
- ١ - هو راوى الحديث ابو موسى الاشعري رضي الله عنه .  
٢ - انظر صحيح البخارى . كتاب الدعوات ، باب " لا حول ولا قوة الا بالله " .  
٣ - هي خولة بنت ثعلبة .  
٤ - انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لابن خزيمة ص ٤٥ .  
وانظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٤٥٨ ) .

٢ - الأدلة العقلية :-

=====

ما سبق من الأدلة السمعية هو احدى الطرق التي اتبعتها الناس في اثبات

كونه تعالى سميما بصيرا .

وقد سلك الناس طرقا اخرى غير طريق النقل في اثبات ذلك ، ذكرها

شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح العقيدة الاصفهانية " ١ " . وردها الى ثلاث طرق

هي :-

( الطريق الأول ) :

=====

ان الله سبحانه وتعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو

العمى والصمم ، كما قالوا مثل ذلك في الكلام .

وذلك لأن المصحح لكون الشيء سميما بصيرا متكلما هو الحياة ، فاذا

انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك .

فالجملادات لا توصف بذلك لانتفاء الحياة فيها .

واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك ، فان لم يتصف به

لزم اتصافه بأضداده بناء على ان المقابل للضدين لا يخلو من اتصافه بأحدهما

اذ لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها ، وهو

وجود جوهر بلا عرض يقوم به .

وقد علم بالاضطرار امتناع هذا ، ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام

والفلسفة وغيرهم على انكار زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الاعراض ، وهو الذي

يحكى عن قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور . " ٢ "

---

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٧٤ - ٨٨ .

٢ - نفس المرجع ص ٧٤ .

( الطريق الثاني ) :

=====

لأهل النظر في اثبات السمع والبصر ان صفات الكمال  
فان الحي السميع البصير أكمل من حي ليس بسميع ولا بصير ، كما أن الموجود الحي  
أكمل من موجود ليس بحيي ، والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم ،  
وهذا معلوم بضرورة العقل .

وإذا كانت صفة فلولم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص .  
وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه ، وما كان جائزا عليه من  
صفات الكمال فهو ثابت له ، فانه لو لم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير  
نفسه ، فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له ، وهذا ممنوع اذا لم يتوقف  
كمال الا على نفسه ، فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها ، وكل ما ينزه عنه فانه  
يستلزم نقصا يجب تنزيهه له .

وايضا فلولم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل  
منه . ومن المعلوم في بدائه المقول ان المخلوق لا يكون اكمل من الخالق .  
ويبين ابن تيمية ان الله سبحانه وتعالى يجوز أن يستعمل في حقه  
قياس الأولى ، كما جاء بذلك القران ، وهو الطريق التي كان يملكها السلف والائمة .  
فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به ، وكل نقص ينزه عنه مخلوق  
فالخالق أولى ان ينزه عنه . " ١ "

---

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٥ .  
وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ( ٦ : ٨٨ ) .

( الطريق الثالث ) :

=====

ان نفى هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وكل من انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ، ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى كما قال الخليل " يا أيتها لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا " ١ " وقال : " هل يسمعونكم اذ تدعون او ينصرونكم اذ يصرن " قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " ٢ " .

وقد طاب الله المشركين اذ يعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ، ولا يتكلم ، ولا يهتدى الى سواء السبيل ، ولا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . . . .

قال تعالى : " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين " ٣ " .

وقال تعالى : " فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي ، افلا يهون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا " ٤ " .

وهذا لانه من المستقر في الفطران ما لا يسمع ولا يبصر لا يكون ربا معبودا ، كما ان ما لا يفني شيئا ولا يهتدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا . . . .

كذلك من المستقر في العقول ان ما لا يسمع ولا يبصر ناقص عن صفات الكمال ومن المعلوم بالفطرة ان الخالق ابعده عن هذه النقائص والعيوب من كل ما يفني عنه ،

- 
- ١ - سورة مريم آية ( ٤٢ ) .
  - ٢ - سورة الشعراء الايات ( ٧٢ - ٧٤ ) .
  - ٣ - سورة الاعراف آية ( ١٤٨ ) .
  - ٤ - سورة طه الايات ( ٨٨ - ٨٩ ) .

وان اتصافه بهذه العيوب من اعظم المقتنعات \* ١ \*  
واختتم الكلام هنا بما اثاره بعض العلماء ، وعلق عليه الشيخ محمد عبده  
في شرحه على " العقائد المضدية " ، وهو : هل لله تعالى ادراك الملموسات  
والمشهورات والمدقوقات ؟

ولعل الذى اثار هذه المسألة هو ماورد في الكتاب الجمين في انه تعالى  
سميع بصير . فهو اذا يدرك المسموعات والمصرات ، فهل له ان يدرك بقبسة  
المحسوسات ؟

١ - ذهب القاضي ابوبكر الباقلاني ، وامام الحرمين واتباعهما الى ان له تعالى  
ادراكا يدرك به المشهورات ، وادراكا يدرك به المدقوقات ، وادراكا يدرك  
به الملموسات .

واستدلوا على ذلك بان هذه الادراكات كلمات يصح ان يتصف بها كل حي  
، فاذا لم يتصف بها الله تعالى اتصف بضمها وهو نقص محال عليه تعالى .

٢ - وذهب فريق آخر الى نفي الادراكات الخاصة عنه تعالى .  
واستدلوا على ذلك ، بان لهذه الادراكات لوازم لا تنفك عنها ، كاتصال  
المدرك بهذه المدركات والانفعال بها لذة أو ألما وكل ذلك محال على  
الله تعالى .

٣ - وذهب فريق ثالث الى أنه يجب التوقف في هذا الموضوع . اى لا ندرى  
اله تعالى تلك الادراكات ام لا .

---

١ - انظر شرح العقيدة الاصفهانية ص ٨٧ .  
وانظر مجموع الفتاوى ( ٦ : ٨٩ ) .

وقالوا : ان ادلة الفريقين متعارضة ، والمتمتع في أمثال هذه الصفات هو السمع ولم يرد نقل بهذه الادراكات .  
ويرى الاستاذ محمد يوسف الشيخ رحمه الله أن الحق الذي لا مريسة فيه أن اثبات هذه الادراكات الثلاثة على نمط ما هو معروف في الحوادث .  
محال .  
ونفي الادراك بها مطلقا محال . لأن فيه جهالة بها ، فلم يبق إلا ادراكها على وجه لا يستلزم محلا ، وذلك مما يجب له تعالى .  
والأ لزم الجهل .  
أما البحث في أن هذا الادراك مغاير للملم أو هو نفس العلم فالبحث عنه بحث لا ينتهي الى فائدة . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . " ١ "

## الصفات الخيرية

=====

تمهيد :

=====

لكي نعرف مذهب الشيخ " محمد عبده " في الصفات الخيرية ،  
فاني أرى أن أعرض باختصار مجمل آراء الفرق الاسلامية فيما جاء في نصوص القران  
الكريم أو السنة الشريفة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث والممكنات .

لقد اجتمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهة  
المخلوقات وقد ثبت ذلك بما لا يدع مجالاً للظن ، وقد قام البرهان من النقل  
والمقل على هذا .

فالمماثلة بين الواجب والممكن منفية سواء كانت في الذات أو في الصفات  
قال تعالى " ليس كمثل شي " ١ " .

فاذا كان هذا التنزيه حقا هو ما يؤمن به السلف واهل السنة ،  
والمعتزلة ، واهل الحق جميعا ، تلبية لهذا النص المحكم " ليس كمثل شي " ،  
فماذا نفهم فيما جاء في الكتاب والسنة مما يفيد بظاهره مماثلة الله للحوادث  
والممكنات ؟

أقول : جاء في الكتاب المبين أنه تعالى مستو على العرش :  
قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " ٢ " .

كما جاء فيه أيضا اثبات الاستواء للحوادث والممكنات :

---

١ - سورة الشورى اية ( ١١ ) .

٢ - سورة طه اية ( ٥ ) .



- قال تعالى : " واستوت على الجودي " ١
- وقال تعالى : " فاذا استويت انت ومن معك على القلك " ٢
- وجاء في الكتاب أيضا اضافة الوجه اليه تعالى :
- قال تعالى : " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام " ٣
- وقال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " ٤
- كما جاء فيه أيضا اضافة الوجه الى الحوادث :
- قال تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة " ٥
- وقال تعالى : " فول وجهك شطر المسجد الحرام " ٦
- كما جاء أيضا اضافة اليد اليه تعالى :
- قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " ٧
- وقال تعالى : " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي " ٨
- وقال تعالى : " والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " ٩

- 
- ١ - سورة هود اية ( ٤٤ ) .
  - ٢ - سورة المؤمنون اية ( ٢٨ ) .
  - ٣ - سورة الرحمن اية ( ٢٧ ) .
  - ٤ - سورة القصص اية ( ٨٨ ) .
  - ٥ - سورة عيسى الايات ( ٣٨ - ٣٩ ) .
  - ٦ - سورة البقرة اية ( ١٤٤ ) .
  - ٧ - سورة الفتح اية ( ١٠ ) .
  - ٨ - سورة ص اية ( ٧٥ ) .
  - ٩ - سورة الزمر اية ( ٦٧ ) .

كما اضاف اليد الى الحواشي :

قال تعالى : " فوق ايديهم " ١

وقال تعالى : " غلت ايديهم " ٢

وجاء ايضا اضافة الميمين اليه تعالى :

قال تعالى : " تجرى بأعيننا " ٣

وقال تعالى : " ولتضع على عيني " ٤

كما اضاف العين الى الحواشي :

قال تعالى : " ألم نجعل له عينين " ٥

وجاء في الكتاب أيضا اضافة الجنب اليه تعالى :

قال تعالى : " يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله " ٦

كما اضاف الجنب الى الحواشي :

قال تعالى : " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " ٧

وقال تعالى : " والصاحب بالجنب " ٨

وجاء في السنة اضافة الاصبح اليه تعالى :

- 
- ١ - سورة المائدة اية ( ٦٤ )
  - ٢ - سورة القمر اية ( ١٤ )
  - ٣ - سورة طه اية ( ٣٩ )
  - ٤ - سورة البلد اية ( ٨ )
  - ٥ - سورة الزمر اية ( ٥٦ )
  - ٦ - سورة الزمر اية ( ٥٦ )
  - ٧ - سورة ال عمران اية ( ١٩١ )
  - ٨ - سورة النساء اية ( ٣٦ )

قال صلى الله عليه وسلم : " ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الله

عز وجل " ١ " .

وفي رواية اخرى : " ان قلوب العباد كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن

قلب واحد . . . . " الى اخر الحديث .

ان العلماء في الجواب عن هذا فريقان :

أ : فريق كيس يخش الزلل فيؤمن بما جاء به الكتاب والسنة مقتنعا بالتنزيه

وحده ، دون استظهار للمراد ويبحث عنه وتعرف عليه :

قال تعالى : " والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا " ٢ " .

بل ذلك المراد مما استأثر الله بعلمه :

قال تعالى : " وما يعلم تأويله الا الله " ٣ " .

مع العلم بأن الله يعلمنا بضمون كلامه ما نستفيد به في دنيانا ،

ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، وبصورها لمخيلاتنا .

وهذا هو مذهب علماء السلف وأئمتهم ، فقد قالها الامام مالك كلمة

جامعة وترجمة صادقة لهذا المنهج الناصح : ( الاستواء معلوم والكيف

مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ) ٤ " .

---

١ - انظر صحيح مسلم ( ٤ : ٢٠٤٥ ) / كتاب التوحيد لابن خزيمة ص

٨١ / والمستدرک للحاکم ( ٤ : ٣٢١ ) / سنن الترمذی ( ٤ : ٤٤٨ )

/ سنن ابن ماجه ( ١ : ٧٣ ) / ومسند الامام احمد ( ٢ : ١٦٨ ) .

٢ - سورة ال عمران آية ( ٧ ) .

٣ - سورة ال عمران آية ( ٧ ) .

٤ - انظر كتاب نفس المنطق لابن تيمية ، ص ٣ ، الطبعة الأولى

وروى عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن " ١ " شيخ مالك ، رحمهما الله ،  
لما سئل عن قوله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " . " ٢ " قال :  
الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة  
وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ وطينا التصديق . " ٣ "  
وجاء بعد الامام مالك شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، وتلميذه ابن القيم  
الجوزية " ٤ " ليقرا مذهب السلف في تفصيل وايضاح . " ٥ "  
يقول ابن القيم رحمه الله :

( تنازع الناس في كثير من الأحكام ، ولم يتنازعا في آيات الصفات

واخبارها في موضع واحد .

بل اتفق الصحابة والتابعون على اقرارها وامرارها مع فهم معانيها

- 
- ١ - المعروف بريبعة اللأى ، او أبو عثمان ربيعة بن ابي عبد الرحمن ، ادرك  
جماعة من الصحابة وعنه اخذ مالك بن انس ، كان ققيه اهل المدينة . قال  
عنه مالك : ذهبت حلوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي . توفي سنة ١٣٦ هـ .  
انظر : وفيات الاعيان ( ٢ : ٢٨٨ ) / وميزان الاعتدال ( ٢ : ٤٤ )  
وشذرات الذهب ( ١ : ١٩٤ ) .
  - ٢ - سورة طه اية ( ٥ ) .
  - ٣ - انظر : شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٣٢ .
  - ٤ - اسم المدرسة التي كان يعمل فيها والد الامام ابن القيم .
  - ٥ - انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ( ٣ : ١٥ ) وما بعدها .  
وانظر مجمل اعتقاد السلف ص ٤٧ وما بعدها . - المسمى بالرسالة  
التدمرية .

وابتات حقائقها ، وهذا يدل على أنها اعظم النوعين بياناً ، وأن العناية بها أهم ، لأنها من تمام تحقيق الشهاداتتين واثباتها من لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله بياناً شافياً لا يقع فيه لبس للراسخين في العلم .

وايات الاحكام لا يكاد يفهم معناها الا الخاصة من الناس ، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها الخاص والعام . أعنى فهم اصل المعنى لا فهم الكنه والكيفية ) . " ١ "

ب : وفريق آخر ، وهم المعتزلة ومن شايعهم ابوا ان يفتوا هذا الموقف ، بل حددوا ما جاء في هذه الايات والاحاديث بمفاهيم لا يمتنع عقلاً وصف الله بها ، وقالوا :

ان مثل هذه الايات من الكتاب ، وهذه الاحاديث من السنة جاءت كما جاء غيرها بلسان عربي مبين .

فاذا كان ظاهرها المعهود في الحوادث والممكنات متمماً في جانب الله تعالى ، فهناك المجاز والكناية في اساليب العرب وكلامهم ، وهناك علوم البلاغة والبيان قد فصلت فيها قواعد المجاز والكناية اوضح تفصيل . وهناك محاورات العرب ومساجلاتهم في مثل هذه المعاني وتلك الشؤون . فلنسترد بكمل اولئك في بيان المراد من هذه الايات والاحاديث . " ٢ "

---

١ - مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة ( ١ : ٢١ ) .

٢ - انظر : مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين ، للاشمري ، تحقيق محمد

محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ، مكتبة

النهضة المصرية ( ١ : ٢٣٥ ) .

وانظر : اساس التقديس في علم الكلام ، للرازي ، مطبعة

مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م ص ١٤٠ .

وبعبارة أخرى أقول :

ان هذا الفريق هو الذي يسميه البعض " بالخلف " ، أو أهل

الكلام . وهؤلاء عمدوا الى الأخذ بالتأويل فهم يقولون :

ان قواعد الدين الاسلامي وضمت على أساس العقل ، فلا يخرج

شيء منها عن المعقول . فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه ، ويكون

الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ، ولا بد له من معنى

موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

ج : ولا يفوتني أن أنبه الى فريق ثالث من الناس اثبت هذا الصنف من الآيات

والاحاديث ، لله تعالى ، على نمطا في الحوادث والممكنات .

فله تعالى وجه كوجهنا ، ويد كأيدينا ، وعين كأعيننا ، وجنسب

كجنسنا واصبع ، وقدم ، وساق كالتي للبشر . . . . . وهؤلاء هم المشبهة

قبهم الله . " ١ "

وقد رد الطحاوي على هؤلاء بقوله :

( وتعالى عن الحدود والغايات والاركان والاعضاء والادوات ) .

قال الشارح :

والشيخ رحمه الله أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة كداود الجوارسي

وامثاله ، القائلين : ان الله جسم ، وانه جثة واعضاء ، وغير ذلك ، .

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . " ٢ "

( موقف الشيخ محمد عبده ) :

=====  
قلت فيما مضى ان الشيخ محمد عبده

صاحب مذهب مستقل ، يسير وراء عقله وفكره ، فهو سلفي ومتكلم وفيلسوف ، وهو صوفي ، وثائر ، ومدافع ، ومهادن ، لا يثبت على مذهب معين ، ولا يسير في طريق واحد ،

وهنا اراد ان يصطاد عصفورين بحجر واحد ، فهو يريد ان يجمع بين سنتين طريقة السلف ومن خالفهم ، وبين تفويض السلف وتأويل الخلف ، وليس ادل على ذلك من قوله :

( وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق باللله

تمالى وصفاته وعالم الغيب .

واننا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من

فائدة يحتمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى ) .

ويظهر لى ان الشيخ محمد عبده غير محق فيما ذهب اليه ، فكان

معنى كلامه ان طريقة السلف ناقصة لا تكمل الا بالتأويل .

وايضا لا يمكن الجمع بين طريقة السلف ، وطريقة المأولين ، لانهما

في نظري خطان لا يلتقيان ، بل السلف وهم اهل التسليم لله والتفويض ،

يعيرون على اهل الطريق الثاني الذين يقولون بالتأويل .

فيقولون : ان هذا التحديد الذى ذهب اليه المأولون لمعنى الاستواء

بالاستيلاء ، ووجه الله بذاته ، ويد الله بقدرته او بنعمته ... الى آخر

ما ورد ، جرأة لا تحمد عقباها .

وقالوا ايضا : ان هذا التحديد مهما ظاهرتة اساليب العرب ،

ومخاوراتهم ، ومهما اجازته قواعد وقوانين البلاغة ما هي الا ظنون ليس هذا مقامها .

وان الدلالات المجازية انما تفيد الظن فحسب ، والقام هنا مقدم العلم واليقين ،  
فلا مكان للظن والتخمين " وان الظن لا يفني من الحق شيئا " . " ١ " .  
ثم ان طريق السلف ، ومنهجهم في فهم الايات والاحاديث واضح تماما  
ولا يمكن الجمع بينه وبين طريق المعتزلة ومن شايعهم . وهو مما يفهمه الناس ،  
وتتحقق منه الفائدة ، فلا داعي يدعوا الى التأويل وغيره ما دامت النصوص قد  
فهمت .

هذا من ناحية ، ومن لآحية اخرى فان الشيخ محمد عبده لم يكن  
محقا في قوله : وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض . . . الخ  
والحق انه كان يسير على طريقة اهل التأويل في الصفات الخبرية .  
يدل على هذا قوله في كتاب : " الاسلام والرد على منتقديه " تحت عنوان  
" التوحيد " .

قال : ( وما ورد من الفاظ الوجه واليدين والاستواء ونحوها له معان  
عرفها العرب المخاطبون بالكتاب ، ولم يشتهروا في شيء منها ) وان ذاته  
وصفاته يستحيل ان تبرز في جسد أو روح أحد من العالمين ) . " ٢ " .

ويدل عليه أيضا : رأيه الصريح في بعض أمور الغيب مما يكون بعد

الموت .

المخالف لطريقة السلف ، والمتناقض مع قوله : وانا على طريقة السلف . . . الخ

وسأبين هذا في موضعه في الباب الرابع باذن الله تعالى .

- 
- ١ - سورة النجم اية ( ٢٨ ) .
  - ٢ - انظر الدين الاسلامي ، أو الاسلام والرد على منتقديه ، ضمن الأعمال  
الكاملة ( ٣ : ٤٤٠ ) .



هذا ما بدا لي ، ولعله هو المصواب .  
وانا كان لا بد من التوفيق فاني اقول : قد يفهم من كلام الشيخ  
محمد عبده أن التأويل ليس عقيدة له ، ولا مهذا يتمسك به ويدعو اليه . . . . وانما  
عقيدته التي يطمئن لها قلبه ، ويستقر عليها جنانه هي عقيدة السلف رضوان الله  
عليهم ، فهي الاحق بالقبول ، وطريقتهم هي الاولى بالاتباع ، وان اولى الناس  
بقبولها والتمسك بها هم العلماء ، وان العلماء هم ورثة الانبياء . . . .

ولكن الشيخ محمد عبده يرى ان العالم ، والعلماء معرضون  
للاسئلة والمناقشة والمقابلة من الناس ممن تختلف درجاتهم في العلم والمعرفة ،  
ويتفاوتون في الذكاء . فيجدون انفسهم احيانا مضطرين الى ان يخرجوا قليلا عن  
مهذا السلف في التفهيم . لان مهذا السلف انما يطمئن قوى الايمان ، الذي عنده  
نوع من التفويض والتسليم لله عز وجل .

اما ضعيف الايمان ، او المتشككون ممن يهزهم هصر العلم فانهم  
يحتاجون الى شيء يدخل في مجال وضمن دائرة افهامهم ، بتمبير ما لوف عندهم  
تقبله عقولهم ، وطريقة الخلف - من وجهة نظر الشيخ محمد عبده - تفي بهذا  
الغرض والله اعلم .

وفي نظري ان الشيخ محمد عبده ان لم يرد هذا الذي قلت ، فهو  
مخطأ ، اذ لا يمكن الجمع بين الطريقتين .

وايضا : فلا داعي يدعو الى التأويل ، وليس مهما ان يفهم الناس  
المنحرفون اذا كان هذا يؤدي الى خروج عن الحق ، والحق احق ان يتبع سواء  
فهمه الناس او لم يفهموه ، لان العلة حينئذ فيهم ، والمرض آت من وجهتهم ،  
وما هي الا حجب الفطرة التي ابعدهم عن الحق ، فاذا زالت تنبهوا فمرفوا الحق  
فاتبعوه " فطرة الله التي فطر الناس عليها " . " ١ "

وحتى يتبين الحق ، ونعلمه ، أرى أن القلي نظرة خاطفة على موقف  
السلف من التأويل ، ومنهجهم في الصفات الخبرية ، ثم أتعرض لأهم ما اشتهر  
منها ، وأبين مذهبهم فيها ، وذلك يرتفع الشك ، ويزول الالتباس ،  
وتعود الفطرة إلى ما فطرت عليه .

موقف السلف من التأويل :

=====

لقد طالع السلف رضوان الله عليهم قضية التأويل علاجاً ناجماً ،  
معتمدين في ذلك على أساس من القرآن والسنة . فما اتفق مع الوحي أقروه ونههوا  
إليه ، وما لم يتفق نهذوه مهما كان مصدره .

فهم يرون أن التأويل بالمعنى الذي عرف واشتهر عند المتأخرين من  
المتكلمين ، والأصوليين ، والفلاسفة ، لم يكن معروفاً عند الصحابة والتابعين ومن  
تبهمهم ، وهو :

صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ للدليل يقترب به  
مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي . " ١ "

لذلك نرى شيخ الإسلام ومن تبعه ، يركزون على دحض التأويل بهذا  
المعنى بالأدلة الدامغة ، والبراهين القاطعة ، ويشددون القول في الإنكار عليه .  
ويذهبون إلى أن المعروف من معاني التأويل عند السلف معنيان :

---

١ - انظر مجموع الفتاوى ( ٢ : ٣٥ ) ، وانظر كتاب : في العقيدة الإسلامية  
بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٧١ ) نقلاً عن ابن الأثير في : النهاية  
في غريب الحديث ( ١ : ٨٠ ) .  
وعن ابن رشد في : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٨ .

(الاول ) : التأويل بمعنى الحقيقة الخارجية ، والأثر الواقعي المحسوس

لمدلول الكلمة .

اذا الكلام نوطان :

انشاء ، وخبر .

أما الانشاء : فالتأويل فيه أمرا كان أو نهيا هو في الأمر فعمل

المأمور به .

وفي النهي : ترك المنهي عنه .

مثال ذلك :

قول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول في ركوعه وسجوده " سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لي " يتأول

القران . " ١ "

وأما الاخبار : فهو نفس الحقيقة المخبر عنها الموجودة في الخارج .

وهذا يشتمل على اخبار الله عن امور الغيب كالبعث والقيامة والحساب

والميزان ، والصراط . . . الى آخر ما يكون بعد الموت .

ومن هذا النوع الكلام في الصفات . وهذا لا يعلم حقيقته كيف الا

الله عز وجل ، وصدق الله " وما يعلم تأويله الا الله " . " ٢ "

( الثاني ) التأويل بمعنى التفسير والبيان ، وهو اصطلاح قدامى المفسرين " ٣ "

---

١ - متفق عليه ، أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب ما يقال في

الركوع والسجود ، ( ٢ : ٥٠ ) ، وفي صحيح البخاري ( ٢ : ١٥٦ ) .

٢ - سورة ال عمران اية ( ٧ ) .

٣ - كابن جرير الطبري في تفسيره في كل اجزائه .

وأهل الفقه والحديث ، وهو الذي استعمله الرسول صلى الله عليه وسلم حين دعا لعبد الله بن عباس " ١ " فقال : " اللهم فقهه في الدين وطمه التأويل " .

ولذلك لما كان ابن عباس يقرأ قوله تعالى : " هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به " ٢ " .

كان يقول : " أنا ممن يعلم تأويله " ، أي تفسيره وسياقه " ٣ " يتضح من هذا ان السلف كانوا يفهمون التأويل بهذا المعنى ، وهو

التفسير المطلوب المحمود ، وما عداه غير جائز في القران والسنة .

ويرى ابن تيمية : ان التأويل بهذا المعنى ، هو الذي سار عليه

السلف ، لانه لا بد من فهم كلام الله ، وفهم ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم .

واستشهد على ذلك بقول مجاهد : " عرضت المصحف على ابن عباس

من فاتحته الى خاتمته ، أقف عند كل آية وأسأله عنها " .

---

١ - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقه والحكمة في الدين ،

وكان يقال له جده هذه الأمة . كان عمر بن الخطاب يقره مع الصحابة

تقدمه لساد رأيه ومبلغ علمه ، تولى الامارة على البصرة في عهد علي ثم

أقصى آخر أيامه في الطائف ومات فيها سنة ٦٨ هـ .

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ( ٢ : ٣٣٠ ) .

٢ - سورة ال عمران آية ( ٧ ) .

٣ - انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٧٢ ، ٨٠ ) .

ومجموع الفتاوى ( ١٧ : ٣٦٧ - ٣٧٠ ) .

وقال ابن مسعود : " ما في كتاب الله اية الا وأنا أعلم فيما نزلت " .  
وقال الحسن البصري : " ما أنزل الله آية الا وهو يحب أن يعلم ما أراد  
الله بها " .

وقال الشامي : " ما ابتدع قوم بدعة الا في كتاب الله بيانها " .  
ونخص من ذلك كله الى ان السلف رضي الله عنهم فهموا ما في القران ،  
من غير التأويل المعروف - وفسروه ، وبيّنوه للناس .  
كما بينوا ، وبرهنوا على ان كلام الله لا يتعارض بحال مع العقل  
السليم ، والفطرة الصحيحة ، وكتب شيخ الاسلام : موافقة صحيح المنقول لصريح  
المقول ، او دور تناقض العقل والنقل وناقش من يدعون التعارض بين العقل  
والنقل ، ونقد المأولين وقال في تفسير سورة الاخلاص :  
" والعقل الصريح دائما موافق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا  
يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب والله انزل الكتاب بالحق والميزان . لكن  
قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته  
وحاروا فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه " .

فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحيرات العقول ، ولا تخبر بمحالات

العقول " . " ١ " .

والآن . وبعد أن عرضت لك المنهج السلفي الذي تفهم في ضوءه  
الصفات الخيرية ، أرى أن أوضح لك مذهبهم في بعض ما اشتهر من هذه  
الصفات ، ودار حوله جدل طويل بين السلف والخلف ، تطبيقا لهذا المنهج ،  
حتى يكتمل البحث ، وتتجلى الحقيقة .

---

١ - انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٨٢ )  
نقلا عن شيخ الاسلام في تفسير سورة الاخلاص ، المطبعة المحمدية بالقاهرة  
ص ١٥٥ .

وسأعرض نماذج منها فيما يأتي : " ١ "

- ١ — ما يوهم الجهة والمكان ، كالاتواء والنزول .
- ٢ — ما يوهم نسبة الاعضاء لله تعالى ، كالوجه ، واليمين ، واليد ،  
والعناق ، والقدم ، ..... الخ
- ٣ — ما يوهم انه تعالى يتفصل بانفعالات وعواطف كالعجبة والكراهية والبغض .

---

١ — انظر في العقيدة الاسلامية بين السلفية والامتزلة ( ١ : ٣١٨ ) .

١ - ما يوهم كونه تعالى في جهة :

=====

• أ : الاستواء

• ب : النزول

أ : الاستواء

=====

مذهب السلف :

===== مذهب السلف في الاستواء ان الله تعالى مستوعلى عرشه

بذاته حقيقة استواء يليق بجلاله ، وكماله •

وينفي السلف ان يكون معنى الاستواء القعود ، والتماسة ، أو أى معنى

آخر يوجب حدوثه •

• وليس معناه أيضا : الاستيلاء • كما يقول أهل التأويل

• وحقيقة الاستواء عند السلف ، العلو والارتفاع •

• فان فعل الاستواء اذا عدى بالحرف " على " لا يفهم منه الا ذلك •

ولهذا روى البخارى عن ابي العالىة ، ومجاهد تفسير الاستواء بالعلو

• والارتفاع

ورد السلف على أهل التأويل بأن الله سبحانه اخبر عن استوائه على عرشه

في سبعة مواضع من القرآن الكريم ، وكلها جاءت بلفظ " استوى " ، مما يدل اعظم

• دلالة على انه تعالى اراد بالاستواء حقيقة معناه الذى هو العلو والارتفاع •

- ١ - قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ١ "
  - ٢ - قال تعالى : " ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٢ "
  - ٣ - قال تعالى : " الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش " ٠ " ٣ "
  - ٤ - قال تعالى : " الرحمن على العرش استوى " ٠ " ٤ "
  - ٥ - قال تعالى : " الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٥ "
  - ٦ - قال تعالى : " الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٦ "
  - ٧ - قال تعالى : " هو الذى خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش " ٠ " ٧ "
- وبعد ان ذكر صاحب " اضواء البيان " <sup>" ٨ "</sup> هذه الايات وسين ما تشتمل

- 
- ١ - سورة الاعراف اية ( ٥٤ ) ٠
  - ٢ - سورة يونس اية ( ٣ ) ٠
  - ٣ - سورة الرعد اية ( ٢ ) ٠
  - ٤ - سورة طه اية ( ٥ ) ٠
  - ٥ - سورة الفرقان اية ( ٥٩ ) ٠
  - ٦ - سورة السجدة اية ( ٤ ) ٠
  - ٧ - سورة الحديد اية ( ٤ ) ٠
  - ٨ - الشيخ محمد الامين الشنقيطي رحمه الله ، صاحب كتاب : اضواء البيان في تفسير القران بالقران ٠



عليه من تمدح الرب تعالى بقلك الصفات التي لا تليق الا به ، اتهم من ينفي  
بعض صفات الله بالتأويل ، " بالجهل والهوس " فقال :  
( فالشاهد ان هذه الصفة التي يظن الجاهلون انها صفة نقص ،  
ويتهجمون على رب السموات والارض بأنه وصف نفسه بصفة نقص ، ثم يسببون عن  
هذا ان ينقوها ، ويؤولوها مع ان الله جل وعلا تمدح بها وجعلها من صفات الجلال  
والكمال مقرونة بما يبهر العقول من صفات الجلال والكمال ، وهذا يدل على جهل  
وهوس من ينفي بعض صفات الله جل وعلا بالتأويل ) . " ١ "

وايضا : فالاحاديث الواردة في ذكر استوائه تعالى على العرش

كثيره " ٢ " اذكر بعضها بعد قليل باذن الله ،

ومما استدل به السلف الايات السبعة الواردة في القرآن الكريم ،

التي تفيد معنى العلو والارتفاع .

ووجه الاستدلال هو ان استواء الخالق على العرش جاء في جميع

هذه الايات مقيدا بحرف الجر " على " .

وانا قيد بهذا الحرف فلا يحتمل الاستواء من المعاني الا العلو

والارتفاع وما في معناه .

ولا يكون الاستواء بمعنى الانتهاء الا اذا جاء مطلقا .

---

١ - منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات ص ١٧ .

٢ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ( ١٠١ - ١١٥ ) / وشرح الاصفهانية

ص ٢٨ .

وانظر كتاب : حادي الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ، تصحيح محمود

حسن ربيع الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ م ، مطبعة محمد طسي

صبيح واولاده ص ( ٢٤٠ - ٢٤٥ ) .

يقول الامام ابن القيم :

( ان لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم ،

وأنزل بها كلامه نوحان :

مطلق ، ومقيد .

فالمطلق : ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله " ولما بلغ أشده واستوى " )

وهذا معناه كمل وتم .

وأما المقيد فثلاثة أضرب :

( احدها ) : مقيد " بالى " كقوله تعالى : " ثم استوى إلى السماء " ،

واستوى فلان إلى السطح وإلى الخرفة ، وقد ذكر الله سبحانه هذا المعنى

" بالى " في موضعين من كتابه في البقرة وفي سورة فصلت .

١ - قال تعالى : " هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى

السماء " . " ٢ " .

٢ - قال تعالى : " ثم استوى إلى السماء وهي دخان " . " ٣ " .

وهذا بمعنى العلو والارتفاع باجماع السلف .

( الثاني ) : مقيد " بحلى " كقوله تعالى : " لتستووا على ظهوره " . " ٤ " .

وقوله تعالى : " واستوت على الجودي " . " ٥ " .

وقوله تعالى : " فاستوى على سوقه " . " ٦ " .

---

١ - سورة القصص آية ( ١٤ ) .

٢ - سورة البقرة آية ( ٢٩ ) .

٣ - سورة فصلت آية ( ١١ ) .

٤ - سورة الزخرف آية ( ١٣ ) .

٥ - سورة هود آية ( ٤٤ ) .

٦ - سورة الفتح آية ( ٢٩ ) .

- وهذا ايضا معناه الملو والارتفاع والاعتدال باجماع أهل اللغة •
- ( الثالث ) : المقرون بواو " مع " " ١ " التي تمدى الفعل الى المفعول معه •
- نحو : استوى الماء والخشبة ، بمعنى ساواها •
- وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ، وليس فيها معنى
- " استولى " البتة • ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما
- قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية ( " ٢ " )
- يؤيد هذا الذي ذهب اليه الامام ابن القيم - أحد تلاميذ مدرسة
- السلف - ما أورده الحافظ محمد بن اسحق بن خزيمة من نصوص قرآنية •
- واحاديث نبوية دلت على علو الله عز وجل في السماء ، وارتفاعه فوق المرش •
- وانه فوق ملائكته ، وفوق ما في السموات وما في الارض مما خلق الله • " ٣ " )
- قال تعالى : " أأنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي
- تمور ، أم أنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
- فستعلمون كيف نذير " • " ٤ " )
- وقال تعالى : " اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه " • " ٥ " )
- وقال تعالى : " يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي " • " ٦ " )
- وقال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده " • " ٧ " )

- 
- ١ - المشتهرة بواو المعية •
  - ٢ - مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والممطله ، مختصر الموصلي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ( ٢ : ٣٢٠ ) •
  - ٣ - انظر كتاب التوحيد ص ( ١١٠ - ١٢٥ ) •
  - ٤ - سورة الملك الايات ( ١٦ - ١٧ ) •
  - ٥ - سورة فاطر اية ( ١٠ ) •
  - ٦ - سورة ال عمران اية ( ٥٥ ) •
  - ٧ - سورة الانعام اية ( ١٨ ) •

وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة  
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " ١ " .  
قال ابن خزيمة : ( والايات في هذا كثيرة فسيحان ربي الأعلى ) .

ومن الاحاديث :

١ — حديث الجارية التي قالت للرسول صلى الله عليه وسلم : ( الله  
في السماء ) ، وقالت له ( أنت رسول الله ) .  
روى مسلم بسنده عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : كانت  
لي جارية ترضع غنما لي قهل " أحد " ، فاطلمت ذات يوم فاذا الذئب قد ذهب  
بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون ، لكنني صككتها صكة ،  
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك علي .  
قلت : يا رسول الله : أفلا اعتقها ، قال : اتعتني بها ،  
فأتيتها بها فقال لها : " أين الله " ؟ قالت في السماء ، قال : " من  
أنا " ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : " اعتقها  
فانها مؤمنة " ٢ " .

- 
- ١ — سورة النحل آية ( ٥٠ ) .
  - ٢ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ( ١٢١ — ١٢٥ ) ، وشرح العقيدة  
الواسطية ص ٨٨ ، وصحيح مسلم ( ١ : ٣٨١ — ٣٨٢ ) ،  
ومسند احمد ( ٢ : ٢٩١ ) ، وسنن الداريمى ( ٢ : ١٨٧ ) ،  
وموطأ الامام مالك ( ٢ : ٧٧٦ — ٧٧٧ ) .

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟

قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون " ١ " .

والاحاديث في هذا الباب كثيرة ، يفهم منها ان الله تعالى في السماء بذاته ، فوق عرشه فوق سماواته ، بائن من خلقه كما قال السلف رضوان الله عليهم .

فهم يثبتون لله تعالى ما أثبتته لنفسه ، وأثبت له رسوله من غير

تكييف ولا تمثيل ، ولا تشبيه ولا تعطيل .

ولقد قالها الامام مالك رحمه الله كلمة جامعة ، لما سئل عن قوله

تعالى " الرحمن على العرش استوى " قال :

( الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول ، والايمان به

واجب والسؤال عنه بدعة ) . " ٢ " .

وحاصل الكلام في الاستواء : ان المولى عز وجل اخبرني سبع مواضع في القران الكريم باستوائه على العرش . وهي قطعية في معناها لا تحتمل تأويلاً ،

---

١ - انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ( ١١٧ - ١١٨ ) ، وشرح العقيدة الواسطية ص ( ٨٩ - ٩٠ ) ، وصحيح البخاري ( ١ : ٧٧ ) ، ( ٢ : ١٤٥ ) ، وصحيح مسلم ( ١ : ٤٣٩ ) ، وموطأ مالك ( ١ : ١٧٠ ) .

٢ - انظر كتاب : نقيض المنطق لابن تيمية ص ٣ .  
وانظر شرح العقيدة الواسطية في لهران ، ص ٨٧ .

لأن لفظ "استوى" في اللغة اذا عدى "بعلى" لا يفهم منه الا العلو والارتفاع .

لهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ، ذكرها الامام ابن القيم في قصيدته النونية ، فقال :-

فلمهم عبارات عليها ارســــــــــــــــع : قد حصلت للفارس الطمان  
وهي " استقر " وقد " علا " وكذلك : " ارتفع " الذي ما فيه نكران  
وكذاك قد " صعد " الذي هو رابع : وابو عبيدة صاحب الشيبانسي  
يختار هذا القول في تفسيره : ادرى من الجهمي بالقــــران

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بما أخبر به سبحانه عن نفسه من أنه  
مستو على عرشه ، بائن من خلقه ، ، بالكيفية التي يعلمها هو جل شأنه ،  
كما قال الامام مالك وروى عن شيخه ربيعة الرأي ، وعن الامام أحمد ( الاستواء  
معلوم والكيف مجهول .

وأما ما يشغب به أهل التعطيل ، من ايراد اللوازم الفاسدة على  
تقرير الاستواء . فهي لا تلزم أهل السنة والجماعة ، لانهم يقولون بأن فوقيته  
على العرش كوقية المخلوق على المخلوق .  
وأما ما يحاولون به صرف هذه الايات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات  
الفاسدة ، كتفسيرهم استوى : باستولى ، او حطهم " على " على معنى " الى " ،  
واستوى بمعنى قصد . . . الى آخر ذلك كله ، فكلها تشييب  
بالباطل وتفسير في وجه الحق . " ١ "

---

١ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ( ٨٧ - ٨٨ )  
بتصرف .

ب : النزول

=====

ومما أثبتته السلف - رضوان الله عليهم - من الصفات الخيرية :

• خبير النزول

فقد ثبت ذلك من عدة طرق ، وروى حديث النزول : ابو بكر ، به  
وعلي ، وابو هريرة ، وابن مسعود ، . . . ورواه عن الرسول صلى الله عليه  
وسلم اكثر من عشرين صحابيا ، وتواتر ذلك عنهم .  
( نص الحديث ) :

=====

عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال : " ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الآخر ،  
فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟  
من يستغفرني فأغفر له ؟ " " ١ " ١ " هـ .  
يقول شارح العقيدة الواسطية :

( الكلام على هذا الحديث من جهتين :

( الاولى ) : صحته من جهة النقل ، وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه

الله انه متفق عليه .

ويقول الذهبي : ان احاديث النزول متواترة تفيد القطع ، وعلى

هذا فلا مجال لانكار او جحود .

---

١ - رواه مسلم في صحيحه ( ١ : ٥٢١ ) / وفي كتاب التوحيد ص

( الثانية ) : ما يفيد هذا الحديث ، وهو اخباره صلى الله عليه وسلم

بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة ...

ومعنى هذا ان النزول صفة لله عز وجل على ما يليق بجلاله

وعظمته ، فهو لا يماثل نزول الخلق ، كما ان استواءه لا يماثل استواء الخلق ) " ١ "

وذكر شارح الواسطية نصا لابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص ،

هو ( فالرب سبحانه اذا وصفه رسوله بأنه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة ،

وانه يدنو عشية عرفة الى الحجاج ، وانه كلم موسى في الواد الايمن في البقعة

المباركة من الشجرة ، وانه استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا

طوعا او كرها . لم يلزم من ذلك ان تكون هذه الافعال من جنس ما نشاهده من

نزول هذه الاعيان حتى يقال ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل مكان آخر .

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عز وجل ،

على الكيفية التي يشاء ، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في

الكتاب وفي السنة ويقفون عند ذلك ، فلا يكيفون ولا ينفون ، ولا يمتطلون ، ويقولون

ان الرسول صلى الله عليه وسلم اخبرنا أنه ينزل ، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل ،

وقد علمنا انه فعال لما يريد ، وانه على كل شيء قدير ) " ٢ "

فالسلف اذا يرون ان النزول والمجيء والاتيان من صفات الله

تعالى حقيقة لا مجازا ، فهو سبحانه ينزل ويجيء ويأتي على شكل يليق به ،

فلا يشبه ما يكون من خلقه ، ولا يلزمه ما يلزمهم اذا نزلوا أو جاؤا .

---

١ - شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / وانظر مجموع الفتاوى ( ٥ : ١٠٣ -

١٠٤ ) .

٢ - شرح العقيدة الواسطية ص ١١٠ / انظر مجموع الفتاوى

( ٥ : ١٠٣ ، ١٠٤ ) .



وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله ينزل الى السماء الدنيا ، كما تقدم .

والمفهوم منها النزول الحقيقي ، وليس فيها ما يدل على أن المراد بهذا النزول المجاز ، كما قاله البعض ، ونسب هذا القول الى الامام احمد بن حنبل ، فقد روى عنه انه قال في قوله تعالى : " وجاء ريك " ١ " ، معناه : وجاء امر ريك .

وهذه الرواية رواها عن الامام احمد ، ابو علي حنبل بن اسحق " ٢ " ، وهي انهم لما احتجوا عليه في المحنة بالقول بخلق القران ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم " تجىء البقرة وال عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان " ٣ " أو فرقان من طير صواف " ٤ " .

وقالوا له : لا يوصف بالاتيان والمجىء الا مخلوق ، فعارضهم بأن المراد : مجىء ثواب سورتي البقرة وال عمران ، ثم عارضهم بقوله تعالى : " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظل من الغمام " ٥ " . قال : - انما يأتي

- 
- ١ - سورة الفجر اية ( ٢٢ ) .
  - ٢ - حنبل بن اسحق بن حنبل بن هلال الشيباني ، ابو علي ، من حفاظ الحديث ، عمه الامام احمد بن حنبل ، سمع المسند من الامام احمد ، وله عدة مؤلفات في التاريخ ، والفقه .
  - وله : محنة الامام احمد . توفي في مدينة " واسط " سنة ٢٧٣ هـ .
  - انظر : شذرات الذهب ( ٢ : ١٦٣ ، ١٦٤ ) .
  - وانظر : الاعلام للزركلي ( ٢ : ٢٨٦ ) .
  - ٣ - واحدها غياية ، وهي كل ما أظلل الرأس من سحب وغيره / انظر مختار الصحاح ص ٤٨٨ .
  - ٤ - انظر صحيح مسلم ( ١ : ٥٥٣ ) ، ومسند الامام احمد ( ٥ : ٢٤٩ ) .
  - ٥ - سورة البقرة اية ( ٢١٠ ) .

أمه • "٢"

ان شيخ الاسلام ابن تيمية يعلق على هذه الرواية بأن "حنبل" نقل هذا ، ولم ينقل هذا غيره ممن نقل مناظرته في المحنة كابنه عبد الله بن أحمد "٢" وغيره •

ويقول الامام ابن القيم : انها غلط على الامام احمد ، فان "حنبل" تفرد

بها عنه • وهي رواية شاذة ، مخالفة لجادة مذهبه •

لهذا فان هذه الرواية ليست محل اتفاق بين العلماء •

والصواب ان النزول والمجيء يخلان على الحقيقة عند السلف ، لان

الله تعالى يخبر عن نفسه انه ينزل الى السماء الدنيا ، لا عن غيره ، كالملائكة ،

وكأمر الله أو رحمته •

وفرق كبير بين نزول الله ، ونزول الملائكة ، وايضا بين نزول الله ومعه

تحل الرحمة والامر ، وبين نزول الرحمة والامر فقط •

---

١ - انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ص ٥٥ •

وانظر مختصر الصواعق المرسلات ( ٢ : ٤٠٦ ) •

٢ - ابو عبد الرحمن ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، عالم بالحديث وطله ،

وهو من كبار العلماء المؤلفين ، رتب مسند ابيه ، توفي سنة ٢٩٠ هـ •

انظر : مناقب الامام احمد بسن حنبل ، لابن الجوزي ، الطبعة

الثانية ، منشورات دار الافاق الجديدة بيروت ، ص ٣٠٦ •

٢ - ما يؤهم نسبة الأجزاء إلى الله تعالى

=====

- أ : الوجه
- ب : العين
- ج : اليد
- د : الأصابع
- هـ : الساق
- و : الرجل أو القدم

أ : الوجه

=====

يثبت السلف رضي الله عنهم صفة الوجه لله تعالى ، ويقرر أئمتهم  
أن لله تعالى وجهها لا يشبه وجوه المخلوقين • ويستدلون على ذلك بأدلة كثيرة  
من القرآن والسنة •

وفي كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل يقرر ابن خزيمة مذهب  
السلف من أهل الحجاز وتهامة ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر  
فيقول :

( فنحن وجميع طوائفنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام  
ومصر مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبتته لنفسه ، نقر بذلك بالسنتنا ، ونصدق بذلك  
بقولنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا عن  
أن نشبهه بالمخلوقين ، وجل ربنا عن مقالة الممطلين ، وعز عن أن يكون عدما كما  
قاله المبطلون ... )

وقال الله عز وجل " وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه

الأعلى "١" . "٢"

فالسلف يثبتون لله وجهها هو صفة من صفاته حقيقة ، على وجه يليق  
به سبحانه . لا يفنى وجه الله ولا يلحقه الهلاك ، ولا يشبه وجه احد من  
خلقه ، ولا يشبهه وجه من الوجوه تعالى وتقدس . "٣"

أدلة السلف :

=====

وقد استدلووا بأدلة من القران والسنة أذكر منها :

١ - من القران :

=====

قال تعالى : " كل شيء هالك الا وجهه " . "٤"

قال تعالى : " ويبقى وجهك ربك ذو الجلال والاكرام " . "٥"

قال تعالى : " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون

وجهه " . "٦"

قال تعالى : " ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه " . "٧"

---

١ - سورة الليل الايات ( ١٩ - ٢٠ ) .

٢ - كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ١٠ ، ١١ .

٣ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٥ .

٤ - سورة القصص اية ( ٨٨ ) .

٥ - سورة الرحمن اية ( ٢٧ ) .

٦ - سورة الكهف اية ( ٢٨ ) .

٧ - سورة الانعام اية ( ٥٢ ) .

وجه الاستدلال :

=====

يرى السلف أن هذه الايات وغيرها تضمنت اثبات صفة الوجه  
لله عز وجل . فله سبحانه وجه باق لا يفنى ولا يهلك هو غاية ما يصبوا اليه  
المؤمنون من عباده .

ويرد السلف على من خالفهم من المأولين ، الذين يؤولون  
وجهه تعالى بذاته . . . . . بأنه لو لم يكن له سبحانه وجه حقيقة لما جاز  
استعماله في معنى الذات ، لان اللفظ الموضوع لمعنى لا يمكن ان يستعمل في  
معنى اخر الا اذا كان المعنى الاصلى ثابتا للموصوف حتى يمكن للذهن ان ينتقل  
من ذلك الملزوم الى لازمه .

وقالوا : على أنه يمكن دفع مجازهم هذا بطريق آخر غيره  
فيقال : انه اسند البقاء الى الوجه ويلزم منه بقاء الذات بدلا من ان يقال :  
اطلق الوجه واراد الذات .

فقد ذكر البيهقي نقلا عن الخطابي انه تعالى : لما اضاف  
الوجه الى الذات ، و اضاف النعت الى الوجه فقال : " ويبقى وجه ربك ذو  
الجلال والاکرام " دل على ان ذكر الوجه ليس بذات وان قوله " ذو الجلال  
والاکرام " صفة للوجه والوجه صفة للذات . " ١ "

ولا يلزم عند السلف ان يكون الوجه الحقيقي الذي هو صفة من  
صفاته تعالى هو المراد في جميع الايات التي نسبت الوجه اليه سبحانه . بل  
يأتي في كل مكان بحسب ما وضع له . فتارة يأتي بمعنى الجهة كما في قوله تعالى :

" فإينما تولوا فثم وجه الله " ٠ " ١ "

فالمقصود هنا الجهة التي تستقبل في الصلاة •

قال شيخ الاسلام مؤكدا وموضحا :

( هذا قد قال فيه طائفة من السلف : فثم قبلة الله ، اى فثم

جهة الله •••

والمراد بب " وجه الله " وجهة الله ، والوجه والجهة والوجهة

الذى لله يستقبل في الصلاة ) • " ٢ "

٢ — من السنة :

=====

أ : ورد في كتاب التوحيد لابن خزيمة ان الرسول صلى

الله عليه وسلم قال : " مثل المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله مثل القائم

المصلي حتى يرجع المجاهد " • " ٣ "

ب : وقال صلى الله عليه وسلم : " من استعان

بالله فاعيدوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه " • " ٤ "

ج : وقال صلى الله عليه وسلم : " من صام يوما في

سبيل الله ابتغاء وجه الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خويفا " •

---

١ — سورة البقرة آية ( ١١٥ ) •

٢ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ( ٣ : ١٤٤ )

• مطابيع المجد

٣ — كتاب التوحيد ص ١٣ ، انظر صحيح البخارى ( ٤ : ٢٠٣ ) •

٤ — كتاب التوحيد ص ١٣ ، نقله من مسند الامام احمد ، ومن سنن ابى

داود عن ابن عباس •

د : وعن جابر قال : لما نزلت هذه الآية عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم " قل هو القادر على ان يهتك طيكم عذابا من فوقكم " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك " .

" أو من تحت ارجلكم " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اعوذ بوجهك الكريم " .

" أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض " . " ١ "

قال : " هاتان اهون وايسر " . " ٢ "

هذا ، وقد اورد الحافظ بن خزيمة اكثر من عشرين حديثا في هذا

الباب ،

وقال : ( هظا باب طويل ، لو استخرج في هذا الكتاب اخبار

النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها ذكر وجهه ربنا جل وعلا لطلال الكتاب ،

وقد خرجنا كل صلف من هذه الاخبار في مواضعها في كتب مصنفه ( . . . ) " ٣ "

وحاصله : ان في هذه الاحاديث الدليل على اثبات صفة الوجه

لله تعالى حقيقة وان تأويله بالذات او بغيرها فيه حمل للكلام على غير منسأه

الحقيقي ، وهذا مالا يقبله السلف رضي الله عنهم .

---

١ - سورة الانعام آية ( ٦٥ ) .

٢ - انظر كتاب التوحيد ص ١١ ، وصحيح البخارى ( ٣ : ٩٢ ) ،  
( ٤ : ١٨٦ ، ١٩٦ ) ، وسنن الترمذى ( ٥ : ٢٦١ ، ٢٦٢ ) .

٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ١٨ .

ب : العيين

=====

يرى السلف رضى الله عنهم ، ان الذكر الحكيم قد ورد بلفظ " العيين "

بالافراد ، " والاعين " ابالجمع ، مضافين الى المولى عز وجل .

قال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . " ١ "

وقال تعالى : " تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " . " ٢ "

ويلون ان لله تعالى عينين يرى بهما جميع المرثيات ، وهما

صفتان حقيقتان له ، على وجه يليق بجلاله وكماله .

وهما ليسا بجارحتين ، ولا مركبتين ، كما نرى ونشاهد في

أعين المخلوقات . بل هما عينان حقيقتان لا كالأعين ، لا تقتان به سبحانه .

( فواجب على كل مؤمن ان يثبت لخالقه وارثه ما اثبت الخالق

البارى لنفسه من العيين ، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبت

في محكم تنزيله ) . " ٣ "

يقول شارح الواسطية :

( يثبت الله سبحانه لنفسه عينا يرى بها جميع المرثيات ،

وهي صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به ، فلا يقتضي اثباتها كونها جارحة

مركبة من شحم وعصب وغيرهما ) . " ٤ "

==

١ - سورة طه اية ( ٣٩ ) .

٢ - سورة القمر اية ( ١٤ ) .

٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ص ٤٢ .

٤ - شرح العقيدة الواسطية ، ص ٦٨ .



ادلة السلف :

=====

وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بالكتاب والسنة .

١ - من الكتاب :

=====

قال تعالى : " واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " . " ١ "

وقال تعالى : " تجرى بأعيننا " . " ٢ "

وقال تعالى : " والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني " . " ٣ "

وقال تعالى : " واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا " . " ٤ "

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : ان من كمال التوحيد ان تثبت لله تعالى صفة

العين الحقيقية كما هو مذكور في الايات ، حتى لا يقع احد في التمثيل أو التأويل . . .

وظاهر الايات يفيد اثبات صفة العين والاعين لله عز وجل ، فتؤمن به كما

ورد .

٢ - من السنة :

=====

أما السنة فقد ورد فيها عدة أحاديث أذكر منها :

---

١ - سورة هود آية ( ٣٧ ) .

٢ - سورة القمر آية ( ١٤ ) .

٣ - سورة طه آية ( ٣٩ ) .

٤ - سورة الطور آية ( ٤٨ ) .

أ : ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم المسيح الدجال " ١ "  
بين ظهراي الناس فقال : " يا أيها الناس ان ربكم ليس بأعور ، ولكن المسيح  
الدجال أعور ، عينه اليمنى كأنها عنبة طافية " ٢ " .  
ب : روى مسلم بسنده عن انس بن مالك رضي الله عنه قال :  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من نبي الا وقد حذر الله الاعور  
الكذاب ، الا انه أعور وان ربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كهر " ٣ " .  
وفى رواية اخرى عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم : " أنذركم الدجال ، اما انه أعور عين اليمنى ، وان ربكم ليس بأعور ،  
مكتوب بين عينيه ك ف ر يقرأه كل مؤمن يقرأ ، وكل مؤمن لا يقرأ " ٤ " .

وجه الاستدلال بهذه الاحاديث :

=====

هذه الاحاديث تدل على اثبات المينين لله تعالى ، وتنفي  
عنه المور ، اذ هو نقص في حقه والله منزه عن النقص . وصدق الرسول صلى  
الله عليه وسلم فانه ينفي في هذه الاحاديث المور عن الله الذى هو نقص في  
حقه ، وهو سبحانه الكامل الذى لا يمتريه النقص .

- 
- ١ - سيأتي الحديث عنه في الباب الرابع باذن الله .
  - ٢ - انظر كتاب التوحيد ( ص ٤٣ ) ، وقد اورد ابن خزيمة ستة احاديث في  
هذا المعنى .
  - ٣ - الحديث متفق عليه ، رواه مسلم ( ٤ : ٢٢٤٨ ) ، وفي صحيح البخارى  
( ١ : ١٩١ ) ، ( ٢ : ١٧٣ ) ، وفي سنن ابي داود  
( ٤ : ١١٦ ) ، وفي سنن الترمذى ( ٤ : ٥١٤ ) ،  
وفي سنن ابن ماجه ( ٢ : ١٣٥٣ ) ، وفي مسند احمد ( ٣ : ٢٢٨ ) .
  - ٤ - انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٤٤ .

ويرفض السلف تأويل المأولين ، وتفسير العين بأى شيء ، يخالف كونها  
صفة حقيقية لله تعالى ، ويقولون : ان أى تفسير لها سواء كان بالرؤية أو بالحفظ  
أو بالرعاية فهو نفي وتعطيل ، لا يجوز في حق المولى عز وجل .  
يقول شارح الواسطية :

( وتفسير المعطلة لها بالرؤية أو بالحفظ والرعاية نفي وتعطيل ،  
وأما أفرادها في بعض النصوص ، وجمعها في البعض الآخر فلا حجة لهم فيه على  
نفيها ، فان لغة العرب تتسع لذلك ، فقد يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع ،  
ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين ( ٠٠٠ ) " ١ "

وقال : ( على انه لا يمكن استعمال لفظ العين في شيء من  
هذه المعاني التي ذكرها الا بالنسبة لمن له عين حقيقة ، فهل يريد هؤلاء المعطلة  
أن يقولوا ان الله يمتدح بما ليس فيه . فيثبت لنفسه عينا وهو عاقل عنها ؟  
وهل يريدون ان يقولوا : ان رؤيته للأشياء لا تقع بصفة خاصة بها ، بل هو يراها  
بذاته كلها كما تقول المعتزلة : انه قادر بذاته ، مراد بذاته ، عالم  
بذاته ( ٠٠٠ ؟ ) " ٢ "

ويقول العلماء ان هذا الذي ذهب اليه المأولون ( تعطيل للتوحيد  
وتكذيب بأسماء الله عز وجل وصفاته ، حيث أعطوا ذلك لفظا ، ولم يحصلوا قولا  
في المعنى ) " ٣ "

- 
- ١ - شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٦٨ .
  - ٢ - نفس المرجع ص ٦٩ .
  - ٣ - انظر الابانة عن اصول الديانة ، لملي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري  
ص ٤٠ .  
وانظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٣٢٩ ) .

ويثبت العلماء صحة مذهب السلف بما ورد من الآيات السابقة كقوله

تعالى : " تجرى بأعيننا " ، وقوله تعالى " ولتصنع على عيني " ،  
ويقولون : ( لا يصح حمل ذلك على أن المراد بقوله " على عيني " بمراى  
ومشهد مني )

وقوله : " تجرى بأعيننا " أى بحفظنا وكلائتنا . لان الله  
كان رائياً له مشاهدا له قبل هذه الحالة . وكذلك كان حفظه وكلائته له قبل  
وجود الجريان . ومنه قوله تعالى : " قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن " ،  
" ١ " ، " ٢ " ، " ٣ "

وحاصل الكلام : أن مذهب اهل السنة والحديث ، وكبار علمائهم  
السلف ، ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية " ٣ " ، هو اثبات صفة العين لله تعالى  
على وجه يليق بكماله وجلاله على الحقيقة من غير تكليف ولا تشبيه ولا تحريف  
ولا تعطيل .

---

١ - سورة الانبياء اية ( ٤٢ ) .

٢ - انظر كتاب : المعتمد في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥١ .

٣ - انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ص ١٣٠ .

ج : اليد

=====

مذهب السلف :

=====

الذي يراه السلف أن " اليد " صفة حقيقية لله تعالى ،

تليق بجلال المولى تعالى ، وكماله .

ويد الله لا تشبه شيئاً ، ولا يشبهها شيء ، وهي ليست

كيد المخلوق ، كما أنها ليست مركبة من لحم ، وعظم ، ودم .

ولا تحمل اليد على القدرة أو النعمة أو غيرها . " ١ "

والذي يؤمن به السلف هو ما أعلمهم الله به ورسوله من أن لله يداً ،

ويدين ، وهو ما ورد في محكم تنزيله :

قال تعالى : " يد الله فوق أيديهم " . " ٢ "

وقال تعالى : " فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " . " ٣ "

وقال تعالى : " وتمز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل

شيء قدير " . " ٤ "

وقال تعالى : " تكذيباً لليهود الذين قالوا " يد الله مخلولة " ،

" بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " . " ٥ "

---

١ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ .

٢ - سورة الفتح آية ( ١٠ ) .

٣ - سورة يسن آية ( ٨٣ ) .

٤ - سورة آل عمران آية ( ٢٦ ) .

٥ - سورة الطائدة آية ( ٣٨ ) .

وورد ذكر " اليدين " بالتثنية في قوله تعالى : " بل يدها مبسوطتان " وقال عز وجل لابليس " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي " . " ١ " .  
وورد ذكر " الايدي " بالجمع في قوله تعالى : " أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون " . " ٢ " .  
وجه الاستدلال بهذه الايات :

=====

قال السلف : ان المراد من هذه الايات وأمثالها ان لله تعالى يدا ، حقيقية ، ويدين وايدى . وأن ما ورد بصيغة الجمع يأتي في لغة العرب بمعنى المثني كقوله تعالى : " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما " . " ٣ " .  
اي : يداهما .  
وقوله تعالى : " ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما " . " ٤ " . اي :  
قلباكما . " ٥ " .

والاحاديث الواردة في ذكر اليد كثيرة اذكر منها :

١ - جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما ، فحج آدم موسى . قال موسى : انت ادم الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، واسجد لك ملائكته ، واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس بخطيئتك الى الارض " . . . . " الى اخر الحديث . " ٦ " .

١ - سورة ص اية ( ٧٥ ) .

٢ - سورة يس اية ( ٧١ ) .

٣ - سورة المائدة اية ( ٣٨ ) .

٤ - سورة التحريم اية ( ٤ ) .

٥ - انظر شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

٦ - الحديث متفق عليه ، انظر صحيح البخارى ( ٣ : ١٠٧ ) ، وصحيح مسلم

( ٤ : ٢٤٠٣ ) .

٢ - وعن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " التقى ادم وموسى ، فقال موسى ، فقال موسى : انت الذي خلقك الله بيده واسجد لك ملائكته ، ونفخ فيك من روحه ، وامرك بأمر فعصيته ، فأخرجتك من الجنة . فقال له آدم : قد اتاك الله التوراة ، فهل وجدت فيها كتب علي الذنب قبل أن أعلمه ؟ قال نعم : فحج آدم موسى ، عليهما السلام " . " ١ " .

٣ - وفي صحيح البخاري ، في حديث الشفاعة قال صلى الله عليه وسلم : " فيأتون آدم فيقولون يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه " . " ٢ " .

٤ - وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة قال : " سبحانك اللهم وحمدك ، وتبارك اسمك وتعالى جدك ، ولا اله غيرك . . . . " وفيه قال : " لبيك وسعديك والخير كله في يديك " . " ٣ " .

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذه الاحاديث تفيد : اثبات اليد ، واليدين حقيقة لله تعالى ، على ما يليق به ، ولا نترك هذا ونحمل اليد على القدرة أو

---

١ - رواه مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ( ٤ : ٢٠٤٢ ، ٢٠٤٣ ) .

٢ - سوف يأتي هذا الحديث بتمامه في الباب الرابع بان شاء الله ، عند الحديث

عن الشفاعة العظيم يوم القيامة .

٣ - الحديث صحيح رواه مسلم عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله

غيرها • وتكتفي بما ورد في النص كما هو من غير زيادة أو نقصان ، ومدون تأويل  
أو تحريف أو تشبيه أو تعطيل •  
يقول شارح الواسطية :

( ولا يمكن حمل اليدين هنا على القدرة فان الاشياء جميعا ،  
حتى ابليس خلقها الله بقدرته ، فلا يبقى لآدم خصوصية يتميز بها ) • " ١ "  
وفي حديث عبد الله بن عمر " ٢ " رضي الله عنه : " ان الله  
عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيديه : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ،  
وغرس جنة عدن بيده • "

فتخصيص هذه الاشياء الثلاثة بالذكر مع مشاركتها لبقية المخلوقات

في وقوعها بالقدرة دال على اختصاصها بأمر زائد •

وايضا : فلفظ " اليدين " بالتثنية لم يعرف استعماله الا  
في اليد الحقيقية ولم يرد قط بمعنى القدرة أو النعمة ، فانه لا يسوغ ان يقال :  
خلقها الله بقدرتين أو بسعمتين ، على أنه لا يجوز اطلاق اليدين بمعنى النعمة  
أو القدرة أو غيرها ، الا في حق من اتصف باليدين على الحقيقة ، ولذلك  
لا يقال : للريح يد ، ولا للماء يد ( ••• ) • " ٣ "

---

١ - شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ، ص ٦٦ •  
٢ - عبد الله بن عمر بن الخطاب ، العدوى القرشي ، ولد سنة ثلاث من  
البعثة ، وهاجر وهو ابن عشرين ، روى عن بعض الصحابة ، وروى  
عنه عدد من التابعين واشتهر بوعده وتقواه وكثرة عبادته ، مات سنة  
ثلاث وسبعين للهجرة •

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ( ٢ : ٣٤٧ ) •

٣ - انظر : شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ •



يقول الامام الأشعري رضي الله عنه :

( وليس يجوز في لسان العرب ، ولا في عادة اهل الخطاب ،  
ان يقول القائل ، عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، واذا كان الله عز  
وجل انما خاطب العرب بلفتها ، وما يجرى مفهومها في كلامها ، ومعقولا في  
خطابها ، وكان لا يجوز في لسان اهل البيان ان يقول القائل : فعلت  
بيدي ، ويعني النعمة ، بطل أن يكون معنى قوله عز وجل " بيدي " النعمة  
وذلك أنه لا يجوز ان يقول القائل : لي عليه يد بمعنى لي عليه نعمة ( . . . ) " ١ )

ثم يتساءل أهل العلم من السلف ( كيف يتأني حمل اليد على  
القدرة أو النعمة مع ما ورد من اثبات الكف والاصابع واليمين والشمال والقبض  
والبسط وغير ذلك مما لا يكون الا لليد الحقيقية ) ؟ " ٢ "

وحاصل الكلام : أن السلف يؤمنون بما نصت عليه الايات القرآنية  
والاحاديث النبوية الشريفة ، وهو اثبات صفة اليد ، واليدين ، صفة ذاتية له  
سبحانه على شكل يليق بجلاله وكماله ، وهي يد ليست جارحة ، ولا مركبة من  
أجزاء أو من مادة أو من صورة ، أو مما يقبل الانقسام ، وايضا هي يد ليست  
بمعنى القدرة أو النعمة ، بل يد لا كالايدى ، واثباتها يكون على الحقيقة  
من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل .

---

١ - في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٣٣١ ) نقل عن

كتاب : الابانة للاشعري ص ٤١ .

٢ - شرح العقيدة الواسطية ص ٦٧ .

## د : الأصابع

=====

مذهب السلف :

=====

يثبت السلف رضوان الله عليهم صفة الاصابع لله تعالى ، حقيقة لمن غير

تكييف ولا تمطيل ولا تحريف ولا تشبيه .

فالأصابع : صفة من صفات الرحمن على شكل يليق بجلاله وكماله .

وقد ثبتت هذه الصفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونحسن

نثبت ما أثبتته الرسول لله رب العالمين ، وننفي ما نفاه ، من غير دخول منافي

هي .

هكذا قال السلف في الأصابع ، معتمدين على سنة الرسول صلى الله

عليه وسلم .

ادلتهم :

=====

وقد استدلوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما استدلوا

به ، أذكر :-

١ - عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، انها كانت

تحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه " اللهم يا قلبيب

القلوب ثبت قلبي على دينك " .

قالت : فقلت يا رسول الله : وان القلوب لتقلب ؟ قال : نعم :

ما من خلق الله من بني آدم الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله ، فان شاء

أقامه وان شاء أزاعه " ٠ " ١ "

---

١ - كتاب التوحيد ص ٨٠ ، وانظر صحيح مسلم ( ٤ : ٢٠٤٥ ) ، =

٢ - روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، ان الله يمسك السموات على اصبع ، والارضين على اصبع ، والجبال على اصبع ، والشجر على اصبع ، والخلائق على اصبع ثم يقول : انا الملك .  
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذته ثم قرأ :  
" وما قدروا الله حق قدره " . " ١ "

وفي رواية اخرى : " فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا  
وتصديقا له " . " ٢ "

هذا ، وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث في هذا المعنى ،  
في كتابه التوحيد تحت باب : ( ذكر اسماء الله تبارك وتعالى اسمه ، وجعل  
ثناؤه السموات والارض وما عليها على اصبعه ) .  
وتحت باب : ( اثبات الاصابع لله عز وجل )  
وقال : ( جل ربنا عن ان تكون اصابعه كأصبع خلقه ، وهن أن  
يشبهه شيء من صفات ذاته صفات خلقه ) . " ٣ "

هذا هو مذهب السلف في الاصابع ، وادلتهم ، وقد نفوا ان يكون  
معنى اصابع الرحمن اى الجارحة ، لان الجوارح من صفات الاجسام المخلوقة ،  
وهي لا تكون الامركبة ، وهو ما يستحيل في حقه تعالى .

---

= وسنن الترمذى ( ٤ : ٤٤٨ ) ، ( ٥ : ٥٣٨ ) ، وسنن ابن ماجسة  
( ١ : ٧٣ ) ، والمستدرک للحاكم ( ٤ : ٣٢١ ) .

- ١ - سورة الزمر اية ( ٦٧ ) .
- ٢ - انظر كتاب التوحيد من ( ٧٦ - ٧٨ ) ، صحيح البخارى ( ٣ : ١٣٠ ) ،  
( ٤ : ٢١١ ) ، صحيح مسلم ( ٤ : ٢١٤٧ ) ، سنن الترمذى ( ٥ : ٣٧١ ) ،  
مسند احمد ( ١ : ٣٧٨ ، ٤٢٩ ) .
- ٣ - كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ص ٧٦ .

كما نقوا ان تكون الاصابع الالهية بمعنى النعمة ، لعدم استقامة المعنى  
في الاحاديث السابقة ، اذ كيف يصح أن يقال : ان قلب المؤمن بين نعمتين  
من نعم الله ؟ والا فلا حاجة لان يدعو بالتثبیت او يخاف الرسول على نفسه .

كما لا يصح ان يقال في الحديث الثاني : ان الله يمسك السموات  
على نعمة والارضين على اخرى ، والجبال على ثلاثة ، والشجر والخلائق ...  
ولا يقال : ان ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم من قول الكتابي  
كما يحتمل الرضا ، يحتمل الانكار .

لان الحديث في روايات اخرى ، يقول : " تعجبا وتصديقا له " ،  
ولا يجتمع التصديق مع الانكار في مثل هذه الحالة ،  
وقد ذكر الحافظ ابن خزيمة في " كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز  
وجل " الرد الكافي والجواب الشافي على قول من قال ان ضحك الرسول صلى  
الله عليه وسلم قد يحمل على الانكار على هذا الكتابي .

قال :

( قد أجل الله قدر نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف الخالق  
الباري بحضرة بما ليس من صفاته ، فيسمعه فيضحك عنده ، ويحمل بدل وجوب  
التكبير والغضب على المتكلم به ضحكا تبذ نواجذه تصديقا وتعجبا لقائله .  
" ١ " )  
لا يصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة مؤمن صدق برسالته ،  
ثم ان ضحك النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الجبر الكتابي يعتبر  
تدريرا له على مقالته ، والا لما سكنت الرسول صلى الله عليه وسلم عنه ، ولأنكر

عليه ، وبين الصحيح في هذا الأمر •

وحاصل الكلام ان يقال :

ان السلف رضي الله عنهم يثبتون لله تعالى الاصابع صفة  
ذاتية حقيقية ، ليست بجارحة ، ولا مركبة ، ولا هي النعمة ولا غيرها ،  
بل اصابع بلا كيف ولا كم ، لا تشبه شيئا ، ولا يشبهها شيء ، بل طس  
كيفية تليق بجلاله وكماله ، لا نعلمها فنؤمن بها من غير تكليف ولا تشبيه  
ولا تحريف ولا تعطيل •

ه : الساق

=====

مذهب السلف وأدلتهم :

=====

يبث السلف رضي الله عنهم " الساق " صفة حقيقية من صفات  
ذاته تعالى ، على شكل يليق بجلاله وكماله . ويلفون ان تكون بمعنى آخر  
كما يقول اهل التأويل انها : الشدة ، والهول يوم القيامة . " ١ " .  
وقد استدل السلف على مذهبهم هذا بأية وحديث .  
اما الآية فقوله تعالى : " يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود  
فلا يستطيعون " . " ٢ " .

وأما الحديث : فمن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال في خبر رؤية الله عز وجل يوم القيامة على صورته الحقيقية :  
" . . . فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها اول مرة ، فيقول :  
انا ربكم . فيقولون : انت ربنا ، فلا يكلمه الا الانبياء . فيقول : هل بينكم  
وبينه آية تعرفونه ؟ فيقولون : الساق . فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل  
مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء ، وسمعة ، فيذهب كيما يسجد ، فيموت  
ظهره طبقا واحدا " . " ٣ " .

وذلك تفسير قوله تعالى " فلا يستطيعون " .

- 
- ١ - انظر كتاب : حادي الارواح الى بلاد الافراح لابن القيم ، ص ٢٠٩ ،  
٢١٣ ، توزيع دار الباز بمكة المكرمة .
  - ٢ - سورة القلم اية ( ٤٢ ) .
  - ٣ - متفق عليه ، رواه البخاري ( ٤ : ٢٠١ ) ، ورواه مسلم ( ١ : ١٦٧ )  
انظر : حادي الارواح ص ١٠٩ ، ٢١٣ .

وجه الاستدلال بالآية والحديث :

=====

قال السلف : ان الآية تضمنت اثبات صفة الساق لله تعالى حقيقة ،  
يؤيده ما ورد في الحديث " فيكشف عن ساقه " ، ولا يمكن حمل الساق على  
الشدة ، لان ذلك يودي الى اختلال المعنى ، فيصير : يوم يكشف عن شدة ،  
وهذا غير صحيح لانه تحصيل حاصل . لان القوم في شدة ما بعدها شدة .

اما الحديث ، فالن القوم في شدة اصلا ، ولان الله طلب من  
القوم آية يعرفونه بها ، فأسرعوا الى القول ، وقالوا : الساق . ولو كان  
المعنى الشدة ، لقالوا : كشف الشدة التي نعيش فيها .  
فلما قالوا : الساق ، وتم كشفه تبين انه المقصود .

وحاصل الكلام ان يقال :

ان مذهبي السلف : اثبات صفة الساق للرب عز وجل ، على وجه  
يليق به كما وصفه نفسه في الآية ، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم  
في الحديث الصحيح ،

وليست الساق بمعنى الجارحة أو المركبة . . . . . وليست ايضا بمعنى

الهول أو الشدة يوم القيامة لعدم ورود النص بهذا .

( و ) : القدم أو الرجل

=====

• جاء في السنة وصف الله تعالى بصفة القدم .  
قال صلى الله عليه وسلم : " ان جهنم لا تمتلي حتى يضع فيها  
قدمه " ١ .  
والقدم أو الرجل نفس الصفة ، لورود الحديث بلفظ " القدم " .  
ثارة ، ولفظ " الرجل " اخرى . فيكون المعنى واحدا .  
قال صلى الله عليه وسلم : " واما النار فلا تمتلي حتى يضع الله رجله  
فيها فتقول قط قط " ٢ .  
وقد اورد الحافظ ابن خزيمة عدة احاديث صحيحة في " باب ذكر  
اثبات الرجل لله عز وجل " ٣ . ورد معظمها بلفظ " القدم " . مما يدل على  
ان صفة " الرجل " هي نفس صفة " القدم " لله عز وجل .  
ومذهب السلف على ان لله تعالى قدما حقيقية ، هي صفة مسن  
صفاته الخيرية التي لا نعلم كتبها ، بل نفوض علم حقيقتها الى الله ، ونؤمن  
بما ورد به النص من غير تكييف ولا تشييد ولا تحريف ولا تعطيل .  
فهي قدم لا تشبه اقدام المخلوقات ، وهي ليست جارحة ولا مركبة ،  
كما انها لا تعني " الجماعة أو الطائفة أو القوم " كما جاء في اللفظة " ٤ " .

- 
- ١ - صحيح مسلم : ( ٤ : ٢١٨٦ ) .
  - ٢ - وفي صحيح البخاري : " حتى يضع رجله فتقول " . / انظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب لله عز وجل ص ٩٤ . والرجل بمعنى القدم .
  - ٣ - كتاب التوحيد ص ٩٠ .
  - ٤ - انظر لسان العرب لابن منظور ( ١٣ : ٢٨٩ ) .



وقاله أهل التأويل " ١ "

ادلة السلف من السنة :

=====

استدل السلف على اثبات هذه الصفة لله ، بالسنة .

ومما استدل به السلف من الاحاديث الصحيحة ، أذكر :

١ - عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال : " تطاجت النار والجنة . فقالت النار : أوثرت بالتكبرين والمتجبرين

• وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني الاضعفاء الناس ، وسقطهم وعجزهم .

فقال الله للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي . وقال للنار :

انت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ، ولكل واحدة منك ما ملؤها . فأما

النار : فلا تمتلي . • فيضع قدمه عليها فتقول : قط ، قط ، فهنالك

تمتلي . • ويترى بعضها الى بعض " ٢ " .

وفي رواية اخرى عن ابي هريرة " فأما النار فلا تمتلي " حتى يضع الله

تبارك وتعالى رجله " .

٢ - عن انس بن مالك " ٣ " رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

---

١ - انظر : المتمدن في اصول الدين لأبي يعلى ص ٥٤ ،

وانظر : الشامل في اصول الدين ، للجويني ص ٥٦٢ ،

٢ - رواه مسلم في صحيحه ( ٤ : ٢١٨٦ ) ، وانظر صحيح البخاري

( ٤ : ٢٠٤ ) .

٣ - انس بن مالك بن النضر بن النجار الانصاري الخزرجي ، خادم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، خدمه عشر سنوات ، وأكثر من الرواية عنه ، نزل البصرة

ومات فيها ، وهو آخر من مات من الصحابة فيها سنة ٩١ هـ .

انظر : الاصابة في تمييز الصحابة ( ١ : ٧١ ) .

وسلم أنه قال : " لا تزال جهنم تقول : هل من مزيد حتى يضح فيها رب  
المزة تبارك وتعالى قدمه فتقول : قط ، قط وعزتك • ويزوى بعضها الى  
بعض " • " ١ "

وهناك أحاديث كثيرة رويت بطرق متعددة عن كثير من الصحابة بهذا

المعنى " ٢ " •

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذه أحاديث صحيحة تثبت لله صفة القدم  
والرجل وهما بمعنى واحد ، فنثبت ما اثبتته الرسول لرب المزة وننفي ما نفاه عنه ،  
وهو هنا يثبت صفة القدم لذات المولى على الحقيقة كما اثبت له من قبل الساق  
واليد والاصبع ••• ولا يفهم من الاحاديث الا هذا •  
وقد استبعد السلف حمل هذه الاحاديث على غير الصفة الحقيقية ،  
وقالوا : ان تأويل القدم أو الرجل بالجماعة أو القوم أو الطائفة كما ورد في  
اللغة غير صحيح ، ولا ينطبق على ما لله من صفات •  
وظلوا ذلك : لعدة أسباب منها :

- ١ — ليس في اثبات القدم أو الرجل ، صفة حقيقية لله ، نقص  
في حقه • بل هي كثيرها من الصفات القائمة به التي لا تليق الا بجلاله وكماله •
- ٢ — جاء الحديث الشريف بلفظ " ويزوى بعضها الى بعض " •  
بمعنى يقرب بعضها الى بعض حتى تضيق على من فيها فتتملي بهم •

---

١ — متفق عليه • رواه مسلم ( ٤ : ٢١٨٧ ) : وانظر صحيح البخاري

( ٣ : ١٣٧ ) •

٢ — انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ص ٩٠ — ١٠٠ •

- فلو أن المقصود بوضع القدم أو الرجل ، وضع الجماعة أو القوم . . . الخ .
- لقال في الحديث " يلقي " فيها حتى تمتلي " ، لان الجماعة تلقي فيها القاء .
- ولا يقال " فيزوي " لعدم تمام المعنى .

٣ - ليس من الممقول ان يخلق الله للنار اقواما فيعذبهم ، لان مقتضى عدله

ان لا يعذب احدا من غير ذنب اقترفه .

٤ - جاء وضع القدم في النار وفاء منه تعالى بوعده في قوله : " لأملأن جهنم

من الجنة والناس أجمعين " ، " ١ " .

فقد ذكر الرسول عليه السلام في الحديث أن " لكل واحدة منكم ما

ملؤها " ، لذلك خلق للجنة خلقا ، واسكنهم فيها بفضلهم وكرمهم .

على حين وضع قدمه في النار فأمثلات .

وحاصل الكلام ، أن يقال :

يثبت السلف رضوان الله عليهم صفة القدم أو الرجل لله تعالى ،

على الحقيقة ويؤمنون بما وصف الله به نفسه ، ووصفه به رسوله كما ورد من

غير تأويل .

ولا يفهم من هذه الاحاديث استحالة وضع قدمه في النار .

لأنه ربها ومليكها وهو الذي خلقها وجعل عليها ملائكة من مخلوقاته لا

تضرهم بان الله ، فتعالى الله خالق كل شي وهو على كل شي قدير .

١ - سورة السجدة آية ( ١٣ ) ،

وسورة هود آية ( ١١٩ ) .

٣ - ما يؤهم أن له تعالى عواطف وينفعل بانفعالات

=====

أ : محبة الله •

ب : بغضه •

الله سبحانه وتعالى يحب ه ولا يحب ه ويهض ويكره ويسخط

••• ما يؤهم أنه تعالى ينفعل بانفعالات ه وان له عواطف •

فالمحبة ه والبغض صفتان الهيئتان حقيقتان له عز وجل على

وجه يليق بجلاله وكماله •

هذا ما يقرره علماء السلف ه ويثبتونه لله تعالى على الحقيقة ه

ويؤمنون به • على أساس من القرآن والسنة • " ١ "

أدلتهم :

=====

استدل السلف على ثبوت هاتين الصفتين لله تعالى بالقران والسنة •

أ - من القسرات :

=====

قال تعالى : " ان الله يحب المتقين " • " ٢ "

قال تعالى : " والله يحب المحسنين " • " ٣ "

قال تعالى : " والله يحب الصابرين " • " ٤ "

---

١ - انظر : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ( ١ : ٣٣٢ - ٣٣٥ ) •

٢ - سورة البقرة اية ( ٧٦ ) •

٣ - سورة ال عمران اية ( ١٣٤ ) •

٤ - سورة ال عمران اية ( ١٥٩ ) •

قال تعالى : " ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم

بنيران موقود " . " ١ " .

قال تعالى : " لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم " . " ٢ " .

قال تعالى : " ان الله لا يحب كل مختال فخور " . " ٣ " .

قال تعالى : " والله لا يحب الفساد " . " ٤ " .

قال تعالى : " ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين " . " ٥ " .

قال تعالى : " وخصب الله عليه ولعنه " . " ٦ " .

قال تعالى : " ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه

فأحبط أعمالهم " . " ٧ " .

قال تعالى : " ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ، ولكن كره الله

انهمائهم فثبطهم وقيل اعدوا مع القاعد " . " ٨ " .

٢ - من السنة :

=====

١ - عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : " ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال : اني احب

- 
- ١ - سورة الصف اية ( ٤ ) .
  - ٢ - سورة النساء اية ( ١٤٧ ) .
  - ٣ - سورة لقمان اية ( ١٨ ) .
  - ٤ - سورة البقرة اية ( ٢٠٥ ) .
  - ٥ - سورة القصص اية ( ٧٧ ) .
  - ٦ - سورة النساء اية ( ٩٣ ) .
  - ٧ - سورة محمد اية ( ٢٨ ) .
  - ٨ - سورة التوبة اية ( ٤٦ ) .

فلانا فأجبه ، قال : فيجبه جبريل • ثم ينادى في السماء فيقول : ان  
الله يحب فلانا فأجبهه ، فيجبه اهل السماء • قال : ثم يوضع له القبول في  
الارض •

وإذا ابغض عبداً ط جبريل فيقول : اني ابغض فلانا فأبغضه •  
قال : فيبغضه جبريل ، ثم ينادى في اهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه  
ثم يوضع له البغضاء في الارض " ١ " •

٢ - قال صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على  
اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ، هـ تهللتان في الميزان ، هـ سبحان الله وحمده ، هـ  
سبحان الله العظيم " • " ٢ " •

٣ - قال صلى الله عليه وسلم : " ما من الكلام شيء احب  
الى الله عز وجل من : الحمد لله ، وسبحان الله ، والله اكبر ، ولا اله  
الا الله ، هـ هن اربع فلا تكثر طيبهن ، لا يضرك بأيهن بدأت " • " ٣ " •

٤ - عن عبيدة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : " من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه " • " ٤ " •

٥ - عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى  
الله عليه وسلم قال : " ابغض الرجال الى الله الاله الخصم " • " ٥ " •

---

١ - متفق عليه • رواه البخارى ( ٢ : ١٤٤ ) • ( ٤ : ٤٠ ، ٤١ ) • ومسلم  
( ٤ : ٢٠٣٠ ) وسنن الترمذى ( ٥ : ٣١٧ ) • وموطأ مالك ( ٢ : ٩٥٣ )  
ومسند الامام احمد ( ٢ : ٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ) • ( ٥ : ٢٠٩ )  
• ( ٢٦٣ )

٢ - متفق عليه •  
٣ - صحيح ، رواه مسلم •  
٤ - صحيح ، رواه البخارى •  
٥ - شديد الخصومة / انظر مختار الصحاح ص ٥٩٥ •  
٦ - متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم •

٦ — عن الهراء بن عازب انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم

يقول في الانصار: " من احبهم احبه الله ومن ابغضهم ابغضه الله " ٠ " ١ "

٧ — وهناك احاديث كثيرة يظهر فيها حب الله لعباده

المؤمنين ، والمجاهدين ، ومن يرضى والديه ، والعبد المحترف ، كما  
يظهر فيها كرهه للمناققين ، والعاصين ، واهل الجدل ، ومن يكثر السؤال ،  
ومن يضيع المال . . . . .

وجه الاستدلال بالقران والسنة :

=====

قال السلف : تضمنت هذه الايات ، والاحاديث الصحيحة

اثبات افعال له تعالى ناشئة عن وجود صفتين من صفاته القائمة بذاته هما : صفة  
المحبة وصفة البغض .

ومحبه تعالى لبعض خلقه ، او بغضه لهم ، صفتان له

حقيقتان ، قائمتان به ، وهما من صفات الفعل الاختيارية التي تتعلق  
بمشيئته .

فهو : يحب ويكره ، ويرضى ويمسخط ، على ما تقتضيه

الحكمة البالغة ، على ما يليق بجلاله وكماله . ولا يقتضي ذلك نقصا ولا تشبيها ،

كما يكرم من يحبه ، ويشبهه ، ويمجد من يبغضه عن حضرته ،

ويعاقبه اذا عصاه . " ٢ " بفضله وعدله كما يحب ويرضى سبحانه .

---

١ — متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم .

٢ — انظر : شرح المعقيدة الواسطية ص ٥٤ .

## الفصل الرابع : أعمال الله تعالى

=====

- يشتمل هذا الفصل على المباحث التالية :
- المبحث الاول : تعليل أعمال الله تعالى
  - المبحث الثاني : خلق أعمال المباد
  - المبحث الثالث : حسن الأعمال وقبحها
  - المبحث الرابع : القضاء والقدر
  - المبحث الخامس : جواز رؤيته تعالى في الآخرة

### ١ - تعليل أعمال الله تعالى

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

===== مذهب الشيخ محمد عبده الى ان الحق سبحانه لا يفعل شيئا الالفة ، وأن أعماله تعالى لا تخلو من حكمة ، وأن حكمة كل عمل : هي ما يترتب عليه مما يحفظ نظاما أو يدفع فسادا خاصا كان أو عاما .

هذه العلة التي يفعل الله لاجلها ، انما هي من ايجاده ، ومن فعله باختياره لان افعاله تعالى ، صادرة عن علم و ارادة ، وكل ما صور عن علم و ارادة فهو صادر عن الاختيار ، وما صدر عن الاختيار ليس بواجب على المختار لذاته . " ١ "

---

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٣ : ٣٨٢ ) .



الدليل على هذا المذهب :

===== يبرهن الشيخ محمد عبده على مذهبه هذا بقوله :

اولا : ( من القواعد الصحيحة المسلمة عند جميع العقلاء ، أن أفعال العاقل تصان عن العبث ، ولا يريدون من العاقل الا العلم بما يصدر عنه بارادته ، ويريدون من صونها عن العبث انها لا تصدر الا لامر يترتب عليها ، يكون غاية لها ، وان كان هذا في العاقل الحادث ، فما ظنك بصدر كل عقل ، ومقتضى الكمال في العلم والحكم ؟ كلها مسلمة ، ينازع فيها أحد ) .

ثانيا : ان من ينظر الى صنع الله الذي اتقن كل شيء ، واحسن خلقه ، يجده

مشحونا بالحكم ، وهذه الحكم لا تخلو من امرين :

اما ان تكون معلومة له مرادة مع الفعل ام لا .

الامر الثاني باطل .

لانه اذا كانت الحكم غير معلومة له ، لكان الله متعظا بقصور في علمه .

ولانه اذا كانت الحكم غير مرادة له ، لكان الله متعظا بالغفلة .

وحاشى لله أن يتهم بالسهو والغفلة ، أو يتصف بعدم انكشاف جميع

المعلومات له على وجه الاحاطة والشمول .

فيجب الاعتقاد بأن أفعاله تعالى يستحيل ان تكون خالية من الحكمة . " ١ "

والاصل الذي يرجع اليه كل وارد في هذا الباب قوله تعالى :

" وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ، لو اردنا أن نتخذ لهما

لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين " . " ٢ "

١ - نفس المصدر ص ٣٨٤ .

٢ - سورة الانبياء آية ( ١٦ ، ١٧ ) .

مناقشة هذا المذهب :

=====

أرى أن الشيخ محمد عبده مع جمهور الناس في هذه المسألة ومنهم  
السلف ، والفلاسفة ، والمتكلمين وبعض الفرق الخارجة عن الاسلام .  
وهو عين مذهب السلف القائلين : ان الله تعالى فعل المفعولات  
كلها لحكمة ، ارتضاها . وهو يفعل ما يفعل لحكمة يعلمها ، قد يكشفها لبعض  
الناس ، وقد يخفيها عنهم ، والامور الخاصة التي يفعلها تكون لحكمة خاصة ،  
والامور العامة تكون لحكمة عامة كارسال الرسل ، ومنهم نبينا محمد صلى الله  
عليه وسلم ، فان ارساله كان رحمة للعالمين ،  
قال تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " . " ١ " ، " ٢ "

ودليل الشيخ محمد عبده على مذهبه يوافق بعضا مما قاله الامام ابن  
القيم في " شفاء العليل " .  
فقد استدلل ابن القيم على مسألة تعطيل افعال الله تعالى بنيف وعشرين  
نوعا من الادلة ، كلها من كتاب الله وسنة رسوله ، الا النوع الاخير فقد كان  
دليلا عقليا تماما كما قال الشيخ محمد عبده .  
يقول الامام ابن القيم :

( ان تعطيل الحكمة والغاية المطلوبة بالفعل اما ان يكون لعدم  
علم الفاعل بها او بتفاصيلها ، وهذا محال في حق من هو بكل شي عليم .  
واما بمجرد عن تحصيلها ، وهذا ممنوع في حق من هو على كل شي  
قدير .

---

١ - سورة الانبياء اية ( ١٠٧ ) .  
٢ - انظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ١٩٠ .

واما لعدم ارادته ومشيئته الاحسان الى غيره ، وايصال النفع اليه ، وهذا مستحيل في حق ارحم الراحمين . ومن احسانه من لوازم ذاته فلا يكون الا محسنا منعما منا .

واما لما منع يمنع من ارادتها ، وقصدها ، وهذا مستحيل في حق من لا يمنعه مانع عن فعل ما يريد .

واما لاستلزامها نقضا ومنافاتها كمالا ، وهذا باطل ، بل هو قلب للحقائق وعكس للفطر ، ومناقضة لقضايا العقول . ( " ١ " )

وايضا : فقد تكلم ابن القيم عن الكون وما فيه من الحكم الالهية والعناية الربانية ، واستدل بما في الكون من الحكم الالهية على وجود الحكمة في فعله ، وانه سبحانه يفعل بمشيئته واختياره ، وقدرته وارادته . . .

وانتهى الى القول : ( وهذا قول جمهور اهل الاسلام واكثر طوائف النظار ، وهو قول الفقهاء قاطبة الا من خلى الفقه ناحية ، وتكلم بأصول النفاة ، فعادى فقهه اصول دينه ) ( " ٢ " )

ومن خلال البحث والاطلاع تبين لي ان الامام ابن القيم كان

حامل لواء السلف ، في اثبات تعليل افعال الله تعالى .

ولا مانع عندي من ذكر بعض انواع الادلة التي اوردتها في تعليل

افعال الله لذلك اخترت ثمانية انواع ، واكتفيت بها لان ما عداها من الانواع راجع

اليها ، او قريب منها . . .

١ - شفاء العليل ص ٢٠٤ .

٢ - نفس المصدر ص ٢٠٦ .

١ - ( النوع الاول ) :

=====

التصريح بلفظ " الحكمة " ، وما تصرف منه ، كقوله تعالى

" حكمة بالغة " . " ١ "

٢ - ( النوع الثاني ) :

=====

اجباره تعالى انه فعل كذا لكذا ، وانه امر بكذا لكذا كقوله

تعالى " ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض " . " ٢ "

وقوله تعالى : " الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامصر

بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل

شي عطا " . " ٣ "

وقوله تعالى : " جعل الله البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والمهدى

والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض

وان الله بكل شيء عليم " . " ٤ "

وقوله تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بحسد

الرسال " . " ٥ "

وقوله تعالى : " وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن

ينقلب على عقبه " . " ٦ "

---

١ - سورة القمر اية ( ٥ ) .

٢ - سورة المائدة اية ( ٩٧ ) .

٣ - سورة الطلاق اية ( ١٢ ) .

٤ - سورة المائدة اية ( ٩٧ ) .

٥ - سورة النساء اية ( ١٦٥ ) .

٦ - سورة البقرة اية ( ١٤٣ ) .

وقوله تعالى : " وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان

وليبرط على قلوبكم ويثبت به الاقدام " ١

وقوله تعالى : " والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون " ٢

وحتى لا يعترض معترض على اللام هنا ، فيقول : هي لام العاقبة ،

وان ما بعدها ليس هو الغاية المطلوبة ، لكن لما كان الفعل منتهيا اليه وكان هو

عاقبة الفعل دخلت عليه لام التعليل ، وهي في الحقيقة لام العاقبة .

رد الامام ابن القيم ، فقال :

( ان الجواب من وجهين :

( احدهما ) : ان لام العاقبة انما تكون في حق من هو جاهل أو هو عاجز عن

دفعها ،

" ٣

فالاول كقوله تعالى : " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا " .

والثاني كقول الشاعر :

لعدوا للموت وابنوا للخمراب فلكم يصير الى ذهاب " ٤

وأما من هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير ، فيستحيل في حقه

دخول هذه اللام وانما اللام الواردة في احكامه وافعاله لام الحكمة

والغاية المطلوبة .

( الثاني ) : افراد كل موضع من تلك المواضع - يقصد الايات التي قيل ان اللام فيها

لام العاقبة - بالجواب ) .

وقد أجاب عليها واحدة واحدة مما يطول شرحه ، ولا حاجة لنا به .

١ - سورة الانفال اية ( ١١ ) .

٢ - سورة النحل اية ( ٨ ) .

٣ - سورة القصص اية ( ٨ ) .

٤ - لا أعظم قائله ، ويروى بدل ذهاب : تراب .

٣ - (النوع الثالث : )

===== الايتيان ب " كي " الصريحة في التعليل .

كقوله تعالى : " ما انا لله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم " . " ١ "

وقوله تعالى : " ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " . " ٢ "

فعمل سبحانه في الاية الاولى اعطاء كل ذي حق حقه كي لا يتداوله

ناس دون ناس .

واخير في الاية الثانية ان كل شيء مكتوب عنده بعلمه وقدرته لكي لا يحزن

الناس على مفقود ولا يفرحوا بموجود ، لان كل ذلك مكتوب ومحفوظ .

٤ - (النوع الرابع : )

===== ذكر المفعول له ، او المفعول لاجله .

كقوله تعالى : " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء " . " ٣ " اي لاجل البيان .

وقوله تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكر " . " ٤ " اي لاجل الذكر .

٥ - (النوع الخامس : )

===== ذكر ما هو من صرائح التعليل وهو قوله " من اجل " .

كقوله تعالى : " من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بنحس

---

١ - سورة الحشر اية ( ٧ ) .

٢ - سورة الحديد الايات ( ٢٢ - ٢٣ ) .

٣ - سورة النحل اية ( ٨٩ ) .

٤ - سورة القصص الايات ( ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ) .

نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا " ١ " .

٦ - ( النوع السادس ) :

انكاره سبحانه على من زعم انه لم يخلق

الخلق لغاية .

كقوله تعالى : " أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " ٢ " .

وقوله تعالى : " أيحسب الانسان ان يترك سدى " ٣ " .

وقوله تعالى : " وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا

بالحق " ٤ " .

وقوله تعالى : " وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين

كفروا " ٥ " .

هذه الايات تضمنت الحكمة من خلق الانسان ، والسموات ،

والأرض ، وما بينهما ، فهو قد خلقها غير لاعب ولا عابث ، بل بالحق ،

وهو الحكم التي لاجلها خلق ذلك كله .

٧ - ( النوع السابع ) :

امره سبحانه بتدبير كلامه ، والتفكير فيه ، وفي

اوامره ونواهيه .

ولولا ما تضمنه من الحكم والمصالح والنهايات الحميدة التي هي محل

الفكر لما كان للتفكير فيه معنى ، وانما دعاهم الى التفكير ليصلوا بذلك الى الحكمة

البالغة ، فان ما في خلقه من الحكم امر تشهد به المقول النبيرة والفظر

السليمة .

١ - سورة المائدة اية ( ٣٢ ) .

٢ - سورة المؤمنون اية ( ١١٥ ) .

٣ - سورة القيامة اية ( ٣٦ ) .

٤ - سورة الدخان اية ( ٣٨ ) .

٥ - سورة ص اية ( ٢٧ ) .

٨ - ( النوع الثامن ) :

===== جوابه سبحانه لمن سأله عن التخصيص والتمييز الواقع  
في أفعاله بأنه لحكمة يعلمها هو سبحانه ، وان كان السائل لا يعلمها ، وذلك  
في مثل قوله تعالى " اني جاعل في الارض خليفة " فقالوا : " اتجعل فيها  
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك " فأجابهم بقولسه :  
" اني اعلم ما لا تعلمون " . " ١ "

ولو كان فعله تعالى مجردا عن الحكم لعلمه الملائكة ، وانما وقح  
سؤالهم عن وجه الحكمة ، ولهذا لم يكن اعتراضا على الله سبحانه . " ٢ "  
ومن هذا ايضا قوله تعالى : " واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى  
تؤتى مثل ما اوتي رسل الله ، الله اعلم حيث يجعل رسالته " . " ٣ "  
فأجابهم الحق سبحانه بأن علمه وحكمته يأبى ان يضع شيئا في غير  
موضعه ، وعند غير اهله ، وهو مقتضى عدله .  
ومعد ان انتهى الامام من سرد هذه الانواع وشرحها افرد بابا خاصا ،  
في استيفاء شبه النافين للحكمة والتعليل ، وذكر الرد عليها ، ورد على الرازي " ٤ "

- 
- ١ - سورة البقرة اية ( ٣٠ ) .
  - ٢ - انظر : شفاء العليل ص ٢٠٥ .
  - ٣ - سورة الانعام اية ( ١٢٤ ) .
  - ٤ - محمد بن عمر بن الحسن التميمي البكري : فخر الدين الرازي ، الامام  
المفسر ، اشتهر بعلمه في المنقول والمقول ، وطوم الاوائل ، قرشي  
النسب ، رحل الى خوارزم ، وكان واعظا بارعا في اللغتين العربية  
والفارسية مات سنة ٦٠٦ هـ / انظر الاعلام ( ٧ : ٢٠٣ ) .



بكلام طويل نفي فيه جميع الشبه التي اوردها الرازي في نفي الحكمة • فنفي لزوم  
قدم المعلول لقدم العلة • وابطل دعوى ان من يفعل لعملة ليس مختاراً •  
وابطل التسلسل اللازم للعملة اذا كانت محدثة •

وحاصله : ان السلف رضي الله عنهم يثبتون الحكمة لافعاله تعالى

ويقولون :

( وجماع ذلك ان كمال الرب تعالى وجلاله وحكمته وعدله ورحمته واحسانه  
وقدرته وحمده • ومجده وحقائق اسمائه الحسنی تمنع كون افعاله صادرة  
منه الا للحكمة والالفاية مطلوبة • وجميع اسمائه الحسنی تنفي ذلك وتتمسهد  
ببطلانه ) \* ١ \*

## ٢ - خلق أفعال العباد

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

=====

يقرر الشيخ محمد عبده مذهب في مسألة خلق أفعال العباد في

أمرين ، يصفهما بركني السعادة وقوام الأعمال البشرية • هما :-

الاول : ان العبد يكسب بارادته وقدرته ما هو وسيلة لسعادته •

الثاني : ان قدرة الله هي مرجح لجميع الكائنات ، وان من اثارها ما يحول بين

العبد وبين انفاذ ما يريد • وان لا احد سوى الله يمكن ان يعد

العبد بالمعونة فيما لم يبلغه كسبه •

ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا هو الذي اهتدى اليه سلف

الامة ، فقاموا من الاعمال ما عجبت له الامم ، وعول عليه من متأخري اهل النظر

امام الحرمين الجويني رحمه الله • " ١ "

ويقول الشيخ محمد عبده انه لا دخل لعلم الواجب في كسب العبد ،

وليس بسالب للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث

هو الواقع ، والواقع لا يتبدل •

ويضرب الشيخ محمد عبده لهذا مثالا يقربه من الانهتان ، بشخص

من اهل العناد يعلم علم اليقين ان عصيانه لا يبره باختياره يحل به عقوبة لا محالة ،

لكنه مع ذلك يعمل العمل ويستقبل العقوبة ، وليس بشيء من علمه وانطباقه على

الواقع ادنى اثر في اختياره الا بالمنع ولا بالالزام •

فانكشاف الواقع للمالم لا يضح في نظر العقل ملزما ولا مانعا . " ١ " .  
ويناقش الشيخ محمد عبده آراء العلماء وأقوالهم التي ذكرها الدواني  
في شرحه على العقائد العضدية للايجي ، ويوازن بين المذاهب ، فيقر الصحيح  
منها ، ويمطل الباطل كما سترى في عرض هذه المذاهب ، وكيفية رد الشيخ  
محمد عبده عليها .

المذهب الاول :

===== وهو مذهب امام الحرمين الجويني ، ذكره في كتاب " الارشاد "

يقول الجويني :

( اتفق أئمة الملة الاقدمين . . . على ان الخالق هو الله تعالى  
ولا خالق سواه ، وان الحوادث كلها حادثة بقدرة الله تعالى ، من غير فرق  
بين ما تتعلق به قدرة العبد وبين ما لا تتعلق به ) .

هذا اتفاق أئمة السلف ، لكن ما رأيه هو في هذه المسألة ؟

يقول : ( أما نفي القدرة والاستطاعة عن المكلفين فمما ياباه العقل  
والحس وأما اثبات قدرة لا اثر لها بوجه فهو كفي القدرة اضلا ، وأما اثبات  
التأثير في حالة لا تعقل فهو كفي التأثير . . .

فاذا لا بد من نسبة فعل العبد الى قدرته حقيقة لا على وجه الاحداث

والخلق .

فان الخلق يشعر بالاستقلال في ايجاده من العدم .  
والانسان كما يحس من نفسه شيئا من الاستقلال يحس من نفسه  
ايضا بعدم الاستقلال . فالفعل يستند وجودا الى القدرة ، والقدرة تستند

وجودا الى سبب آخر . تكون نسبة القدرة الى ذلك السبب كنسبة الفعل الى القدرة  
... حتى ينتهي الى سبب الاسباب ، فهو خالق الاسباب ومسبباتها ، المستغني  
على الاطلاق . فان كل سبب مستغن من وجه ، محتاج من وجه ، والبسارى  
تمالى هو الخفي المطلق الذى لا حاجة له ولا فقر ) . " ١ "

يعلق الشيخ محمد عبده على كلام امام الحرمين ، ويبين ان ما قاله  
وقبل اتفاق السلف عليه هو قول يتفق عليه جميع الالهييين ، بل والطبيعيين ،  
لم يخالف فيه أحد منهم ،

فانه صريح المشهور عن الحكماء ، والمعتزلة ، واعم من قول الاشاعرة .  
ويقول : ( وما سمع عن أحد من أهل العلم أنه قال : أن الممكن  
مستقل فيما يصدر عنه بعد قوله بأنه ممكن ، الا اولئك الضعفاء من أهل القرون  
المظلمة الذين قالوا بالبخت والاتفاق ... )

وليس الفعل الا مستندا الى الواجب مباشرة بايجاد خاص ، بحيث  
يستند اليه الموجود بالذات حقيقة ، ولكن ذلك يصعب ادراكه على غير المحقق ) . " ٢ "

المذهب الثاني :

=====

وهو مذهب حجة الاسلام ابي حامد الغزالي رحمه الله .  
ابن الغزالي في مذهبه ما ذكره صاحب المقائد العضدية ، وهو ان لا  
خالق سوى الواجب فقال :

- 
- ١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٢٥٩ ) .
  - ٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٢٥٩ ) /  
وانظر : رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة ( ٣ : ٣٨٨ ) .

( لما بطل الجبر المحض بالضرورة ، فان بداهة العقل حاکمة بالفرق  
بين حركة المرتعش وحركة المختار ، وبطل كون العبد خالقا لأفعاله بالأدلة  
السمعية والعقلية ،

وجب ان يعتقد انها مقدورة بقدره الله تعالى اختراها ، وقدره  
العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكساب .  
فحركة العبد باعتبار نسبتها الى قدرته تسمى كسباً له ، وباعتبار  
نسبتها الى قدرة الله ، خلقاً .

فهي خلق الرب ووصف العبد وكسبه ) . " ١ "

وبمعنى آخر ، يريد الغزالي ان يقول :

ان الجبر المحض باطل لانه لو صح لكان النازل بمظلة ، والساقط  
من الطائرة سواء . والمرتعش ومن يحرك يده باختياره سواء ، بمعنى ان  
الأفعال القهرية تستوي مع الأفعال الاختيارية ، وهو باطل ، بداهة .  
ولما بطل خلق العبد لأفعاله بالأدلة ، تمين الاعتقاد أن  
أفعال العبد مقدورة بقدره الله تعالى ، وانه موجد لها ، وقدره العبد بوجه  
آخر يعبر عنه بالاكساب .

ولا يقف الشيخ محمد عبده طويلاً مع هذا المذهب ، ولا يوافق

في قضية الاكساب ، ويبين الصواب فيقول :

( والصواب : أنا نجد من أنفسنا وجدانا صادقا أنه يصح لنا أن

نترك ، ونتمكن منه ، ولا كذلك المضطر ) . " ٢ "

---

١ — نفس المرجع ( ١ : ٢٦٢ ) .

٢ — نفس المرجع ( ١ : ٢٦٥ ) .

### المذهب الثالث :

===== وهو ما نقله الشهرستاني عن الشيخ الأشعري •

قال : ( العبد قادر على أفعاله • إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة

بين حركات الرعدة والرعدة ، وبين حركات الاختيار والارادة •••

والمكتسب هو المقدور بالقدرة الحادثة ، والحاصل تحت القدرة

• ( الحادثة )

ومعنى كلام الأشعري ان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ، وان الفعل

موقوف على تلك القدرة •

فالله هو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله •

تعليق الشيخ محمد عبده على مذهب الأشعري :

=====

يقول : ( وفي قول الأشعري تصريح وتلويح بأن الفعل موقوف

على تلك القدرة ، وان للقدرة مدخلا في حصول الفعل ••• وانها سوى مدخلية

التأثير ، وتلك المدخلية هي مدخلية الالية من باب ما لا يتم للممكن وجوده الا به ،

فكما ان قدرة الواجب لا تتعلق بايجاد حوكة الاكل والمشى بذاتها ، بل لا بد لها

من محل وهو الجسم ، كذلك لا تتعلق قدرته بتلك الحركة على انها من النفس ،

حتى يخلق شيئا في النفس هو السبب القريب في تعلق قدرة الرب بايجاد تلحك

الحركة ، فهو الخالق لفعل العبد بقدرته مع مدخلية قدرة العبد في حصوله ) • " ١ "

المذهب الرابع :

• مذهب المعتزلة =====

اكثر المعتزلة على ان افعال حاصلة بقدرة العبد وحدها واستنادها

الى قدرة الله بالواسطة •

استند المعتزلة في ذلك للوجدان فقالوا :

• ان قدرة العبد لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة •

ولما لم تكن مؤثرة لم تكن قدرة • فلا قدرة للعبد اذا ، وهذا هو الجسر

بمعينه •

• وايضا : فلا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعل بقدرته •

يقول الشيخ محمد عبده :

( ان مذهب المعتزلة هذا باطل ، وذلك لان الممكن لا يجوز أن

يكون مصدرًا لآثاره •

وقولهم : ان قدرة لو لم تكن هي الفاعلة اذا ليست بمؤثرة ، ولما لم تكن مؤثرة

لم تكن قدرة ... فالجواب عليه : ان القدرة ليست هي الوصف المؤثر • فلا

تستلزم التأثير ، بل انما تستلزم ما هو الاعم من التأثير ومن الكسب الذي هو

مدخلية الآلية مثلا •

وقولهم : انه لا معنى للثواب والعقاب ان لم يكن للعبد اختيار وفعل

بقدرته ...

لا يقدر في كون الله تعالى هو المتصرف المطلق ، يفعل ما يريد ،

يمنع المستحق ، ويمطي غير المستحق لحكمة يريد لها لا تعود عليه سبحانه ،

بل تعود الى ما دونه من الخلق ، والله سبحانه لا يسأل عما يفعل • " ١ "

المذهب الخامس :

===== مذهب الجبرية

يقول أهل الجبران افعال الانسان كلها مخلوقة لله ، ولا دخل  
للعبد فيها ، فهو كالريشة في مهب المهواء ، أو كفصن الشجرة في مهب  
الرياح .  
وعدتهم في هذا قول الحق سبحانه " اتعبدون ما تنحتون والله  
خالقكم وما تعملون " ١

فلا اختيار اذا للانسان ولا قدرة ، ولا مدخل لهما في اليجاد بوجه .  
ان هذا المذهب معروف ومشهور ، وهو واضح في نسبة خلق الافعال الى  
الله تعالى ، وقد رد عليه أهل الحق بما يبطله .  
والشيخ محمد عبده فصل في الرد عليه ، قال :-

١ - ان كان الجبري يريد ان افعال الحيوانات كافعال الجمادات  
لا مدخل للاختيار فيها بوجه ، ولا قدرة تستند اليها بنوع ، فذلك باطل  
بالضرورة . وذلك لتحقق الاختيار والقدرة بالبداهة والوجدان للصادق .  
٢ - أما ان كان يريد انه - وان كان للاختيار مدخل كما  
للقدرة ذلك - فالفاعل هو ربه وموجده ، وليس الفاعل هو بمحض اختياره ،  
فذلك هو قولنا .

وهو معنى قول بعضنا : العبد مختار من حيث هو مجبور ، ومجبور  
من حيث هو مختار . ٢

---

١ - سورة الصافات الايات ( ٩٥ - ٩٦ ) .

٢ - المرجع السابق ( ١ : ٢٦٦ ) .



المذهب السادس :

===== وهو مذهب الاستاذ : ابواسحق الاسفرائيني ،

• والقاضي ؛ ابوبكر الباقلائي

فقد ذهب الاستاذ ابواسحق الى ان كون العبد قادرا ضروري وجداني ،

وعوم تعلق قدرة الرب بهن ومنقول ، فلا طريق الا الجمع بينهما •

ونذهب القاضي ابوبكر الى ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

جميعا لا من جهة واحدة ، لكن قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد

تتعلق بوصف من اوصافه هو كونه طاعة او معصية •

• والفرق بين قول الاستاذ وقول القاضي واضح •

فان الاستاذ يقول : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين

على ان تعلقهما جميعا بأصل الفعل •

بينما يقول القاضي : ان افعال العباد واقعة بمجموع القدرتين ،

لكن لا من جهة واحدة ، بل قدرة الله تتعلق بأصل الفعل وقدرة العبد بوصف

• من اوصافه •

مناقشة الشيخ محمد عبده لهذا المذهب :

=====

فصل الشيخ محمد عبده في مراد الاستاذ ، قال :-

١ - ان اراد ان كلا منهما - يعني مجموع القدرتين - بطريق

الاستقلال ، فذلك يستلزم اجتماع مؤثرين - بالاستقلال - على اثر واحد ،

لا بطريق البدل ، وهذا خلف محال •

- اي باطل - •

٢ - وان اراد ان ذلك انما كان بطريق مدخلية قدرة العبد

اي مدخلية ، فذلك صحيح ، وليس الا قول الاشعري •

وفصل في مراد القاضي ، قال :-

مراده في ثعلق قدرة العبد ، هو كون تلك الجهة كونا من  
اكوان الفعل لا قصدا لفاعل - كما هو مذهب الماثريديه ، من ان جهة الكسب  
هي القصد ، والقصد حال من الاحوال لا يتعلق به الخلق والايجاد -  
وان ذلك الكون هو اثر القدرة الحادثة .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان الحال - سواء كان القصد او غيره - لا يخلو من امرين :  
( الاول ) : ان كان لازما لسببه فهو غير محل للتأثير ، فلا يضح متعلقا  
لقدرة الحادث فيثبت الجبر . ان لا جهة للاختيار سواء .

( الثاني ) : وان كان غير لازم ، بل كان امرا يصدر بالاختيار ، فمن البين  
ان لا يكون الافعال وجوديا ، يدخل تحت تأثير القدرة .  
فان البدهاهة قاضية ان اثر القدرة اخراج المقدور من حيز العدم الى  
حيز الوجود . فيلزمه ما لزم المعتزلة من تأثير القدرة الحادثة في بعض الافعال .  
وان اراد المدخلية فالذهب مذهب الاشعري . " ١ "

وهكذا استطاع الشيخ محمد عبده ان يحدد المذاهب المختلفة في هذه  
المسألة ويقررها ، - وانه لبارع كل البراعة في تشقيق القول ، وتحليل المسائل  
وتوليد الآراء - ، ويقول ان الحق ما ذهب اليه وهو ان العبد يكسب بارادته  
وقدرته ، وان قدرة الله هي مرجح لجميع الكائنات ، وانه لا دخل لعلم الواجب  
في كسب العبد ، وليس بسالب للتخيير في الكسب .

أقول : ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، هو الذي اهتدى اليه

سلف الأمة ، وهو مذهب جمهور من العلماء ، منهم البخارى " ١ " ، وابو يعلى " ٢ " ، وهو ما قرره شيخ الاسلام " ٣ " وتلميذه ابن القيم وفصل فيه " ٤ " .

واذا رجعنا الى " شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل " لابن القيم ، في الباب الثالث عشر في ذكر المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة خلق الله سبحانه الاعمال وتكوينه وايجادها لها .

وجدنا أن ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة " التوحيد " وعلى حاشية الدواني على العقائد العنصرية . موجود في كتاب ابن القيم السابق بل أكد ان جميع الردود والتعليقات والشروح التي ذكرها الشيخ محمد عبده على المذاهب السابقة ، موجودة في شفاء العليل ، ومكتوبة بقلم ابن القيم ، " ٥ " .

وحتى يزداد الامر جلاء ووضوح ، أرى أن أغرض مذهب السلف في خلق أفعال العباد ، وأبين أدلتهم ، وأذكر بعض أقوال أئمتهم ، لترى صحة مذهبهم ، وموافقة الشيخ محمد عبده ، لهم .

تقرير مذهب السلف :

=====

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : ( فانهم يشتمون قدرة الله على جميع الموجودات ، من الاعيان والأفعال ، ومشيئته العامة . )

- 
- ١ - انظر كتاب : خلق افعال العباد ، للبخارى ص ١٧ .
  - ٢ - انظر كتاب : المعتمد لابن يعلى ص ١٢٦ .
  - ٣ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٨ : ٤٦١ و ٤٦٢ ) .
  - ٤ - انظر : شفاء العليل ص ٤٩ .
  - ٥ - نفس المرجع ص ٤٩ - ٦٤ .

وينزهونه أن يكون في ملكه ما لا يقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته .  
ويثبتون القدر السابق . وان العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه ،  
وانه لا يشاؤون الا ان يشاء الله ، ولا يفعلون الا من بعد مشيئته ، وان ما  
شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من  
الوجوه ، والقدر عندهم قدرة الله تعالى وعلمه او مشيئته وخلقته ، فلا يتحرك  
ذرة فما فوقها الا بمشيئته وعلمه وقدرته ، فهم المؤمنون بلا حول ولا قوة الا بالله  
على الحقيقة ...

ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي  
له . . . . . ويثبتون مع ذلك قدرة العبد واراדתه واختياره وفعله حقيقة لا مجازا .  
وهم متفقون على ان الفعل غير المفعول ، فحركاتهم ،  
واعقاداتهم ، افعال لهم حقيقة ، وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة ،  
والذي قام بالرب عز وجل علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه ، والذي قام بهم هو  
فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم فهم المسلمون المصلون القائمون القاعدون حقيقة ،  
وهو سبحانه هو المقدر لهم على ذلك القادر عليه الذي شاء منهم وخلقهم لهم ،  
فما يشاؤون الا ان يشاء الله ، وما يفعلون الا ان يشاء الله . " ١ "

ويقول شيخه ابن تيمية رحمه الله :

( افعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الامة وأئمتها ، كما

نص على ذلك سائر ائمة الاسلام ، الامام احمد ومن قبله ومن بعده حتى قال  
بعضهم : من قال ان افعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال : ان السماء  
والارض غير مخلوقة ) " ٢ "

١ - شفاء الحليل ص ٥٢ / وانظر العقيدة الطحاوية ص ٥٠١ ، ٥٠٢ .

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٨ : ٤٠٦ ) .

واترك الكلام لشيخ الاسلام ، ليبين مراده بالتفصيل :

يقول :

انذا قيل عن " فعل ما " انه فعل الله ، او فعل غيره ، فقد يراد

الفعل نفسه وقد يراد مسمى المصدر .

افانذا اريد بالفعل مسمى المصدر كصلاة الانسان مثلا ، فالفعل هنا هو

المفعول

وهذا لا يقال انه فعل الله تعالى باتفاق المسلمين ، وبصريح العقل .

يدل على هذا ايات كثيرة في الكتاب المبين :

قال تعالى : " يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور

راسيات اعلموا الى داود شكرا وقليل من عبادى الشكور " . " ١ "

فجعل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور معمولة للجن .

وقال تعالى : " قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون " . " ٢ "

اي والله خلقكم وخلق الاصنام التي تنحتونها فتعبدونها ، فالصنم

عملهم والخلق كله لله .

مثال ذلك :

انك اذا كتبت بالقلم مثلا ، فهل يكون القلم شريكك ، او يضاف

اليه شيء من نفس الفعل وصفاته ؟

ام هل يصلح ان تلغي اثره وتقطع خبره ، وتجعل وجوده كعدمه ؟

ام يقال به كتبت ؟

ولله المثل الاعلى ، فان الاسباب بيد العبد ليست من فعله ، وهو

محتاج اليها لا يتمكن الا بها ، والله خلق الاسباب ومسبباتها ، وجعل خلق البعض

١ - سورة سبأ اية ( ١٣ ) .

٢ - سورة الصافات الايات ( ٩٥ - ٩٦ ) .

شرطا وسببا في خلق غيره ، وهو في ذلك غني عن الاشتراط والتسبب ، ونظم بعضها لبعض ، لكن الحكمة تتعلق بالاسباب ، وتعود اليها والله عزيز حكيم .  
فملى هذا ، فمشيئة العبد للفعل موجودة ، وله قدرة عليه ، والله خالق ذلك كله ، لا خالق غيره ، ما شاء في ملكه كان وما لم يشأ لم يكن .

قال تعالى : " وما تشاؤون الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيمًا " . " ١ "  
وقال تعالى : " ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين " . " ٢ "

وخاصل مذهب السلف ان فعل العبد فعل له حقيقة ، لكنه مخلوق لله ، ومفعول له ، وليس هو نفس فعل الله ، ففرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق . " ٣ "

واذا اوزنت بين هذا المذهب وبين ما عداه من المذاهب وجدته ( هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله قريب منه بعيد وبين ذلك ) . " ٤ "

- 
- ١ - سورة الانسان الايات ( ٢٩ - ٣٠ ) .
  - ٢ - سورة التكوير الايات ( ٢٧ - ٢٩ ) .
  - ٣ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٨ : ٣٣٨ ، ٣٩٠ وما بعدها ) .  
وانظر : شفاء المليل ص ٥٢ .
  - ٤ - شفاء المليل ص ٥٢ .

أدلتهم من القرآن :

===== استدل ابن القيم على مذهب السلف بكثير من الايات

في اكثر من خمسة وعشرين موضعا من كتاب الله . " ١ "

وتصدى لما عداه من المذاهب والاراء فأبطلها بالادلة النقلية

والعقلية تماما كما فعل الشيخ محمد عبده في شرحه السابق ، وقلت انه وافق

فيه كلام الامام ابن القيم .

ومن الايات التي استدل بها ابن القيم على مذهب السلف ، اذكر :

قال تعالى : " ان الله على كل شي قدير " . " ٢ "

قال تعالى : " قل الله خالق كل شي " . " ٣ "

قال تعالى : " والله جعل لكم ما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكناسا

وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم " . " ٤ "

قال تعالى : " وانه هو اضحك وابكى " . " ٥ "

قال تعالى : " واصبر وما صبرك الا بالله " . " ٦ "

قال تعالى : " واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله

ما يركبون " . " ٧ "

---

١ - انظر شفاء العليل ص ٥٢ - ٦٥ .

٢ - سورة البقرة اية ( ٢٠ ) ، ( ١٠٩ ) ، ( ٢٤٨ ) / سورة ال عمران

اية ( ١٦٥ ) : سورة النحل اية ( ٧٧ ) / سورة النور اية

( ٤٥ ) / سورة العنكبوت اية ( ٢٠ ) / سورة فاطر اية ( ١ ) .

٣ - سورة الرعد اية ( ١٦ ) .

٤ - سورة النحل اية ( ٨١ ) .

٥ - سورة النجم اية ( ٤٣ ) .

٦ - سورة النحل اية ( ١٢٧ ) .

٧ - سورة يسن الايات ( ٤١ - ٤٢ ) .

وجه الاستدلال :

=====

قال السلف : هذا غيبي من فيض من آيات الله الدالة على مذهبنا ،  
فهي تفيد ان افعال العباد كلها صغيرها وكبيرها ، دقائقها وجلالها ،  
سرها وعلنا ، ... ، مخلوقة لله حقيقة ، وان فعل العبد فعل له حقيقة ،  
وهو مخلوق لله .

هي آيات صريحة في اثبات ان العبد فاعل مختار ، وان الله تعالى  
هو خالق العبد وخالق الاختيار في نفسه كما هو صريح في قوله تعالى : " وانه  
هو اضحك وابكى " ، والضحك والبكاء ، فعلان اختياريان ، فهو الضحك المبكي  
حقيقة والعبد هو الضاحك الباكي حقيقة .

وفي قوله تعالى " واصبر وما صبرك الا بالله " ، ومعلوم ان  
الصبر من العبد فعل اختياري له ، وقد اخبر سبحانه انه به لا بالعبد .  
فالتصبير منه سبحانه وهو فعله ، والصبر هو القائم بالعبد وهو  
فعل العبد .

وهذا يظهر لنا صحة مذهب السلف ، وموافقة الشيخ محمد عبده

لهم .

فهو سلفي في مسألة خلق افعال العباد ،  
وهذا من الشيخ محمد عبده موقف احمده له ، لان الخير فيما  
اختاره السلف وذهبوا اليه ان شاء الله .



٣ - حسن الافعال وقبحها

=====

من المسائل التي بحثها الشيخ محمد عبده ، وتكلم عنها بشي من

التفصيل : حسن الافعال وقبحها •

أستطيع أن أورد ما كتبه الى النقاط الرئيسية التالية :-

١ - يجد الانسان في نفسه بالضرورة تمييزا بين الجميل من الاشياء ،

والقبيح منها •

٢ - للافعال الانسانية الاختيارية حسن وقبح في نفسها • وفي اثرها •

٣ - الحى أو العقل البشرى قادر على تمييز ما حسن من الافعال ،

وما قبح دون توقف على سماع •

٤ - كثيرا ما يبين الشرع للانسان وجوه الحسن او القبح فيما امر به

او نهى عنه •

٥ - قد يكون من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا

يعرف وجه قبحه • وهذا النوع لا حسن له الا الامر ، ولا قبح

الا النهي • " ١ "

وبعبارة اخرى اقول :

معنى كلام الشيخ محمد عبده : ان الافعال الانسانية في

نفسها حسنة وقبيحة ، او في الاثر الذي ينتج عنها ، وان من الافعال ما يستطيع

العقل البشرى معرفته ، وادراك حسنها او قبحها ، ومنها ما لا يستطيع

تمييزه الا اذا جاء الشرع فعرفه به • اما بأمره بفعله او بنهييه عنه •

واحيانا يكون العمل حسنا لكنه لا يدرك حسنه الا اذا امر الشرع به  
ويكون قبيحا فلا يدرك قبحه الا اذا نهى الشرع عنه •

تقويم هذا الكلام :

=====  
أرى أن هذا الكلام حسن ، لم يخرج قائله

عن تقسيم السلف لانواع الحسن والقبح •

فقد قسم الامام ابن القيم في كتابه : " مدارج السالكين بين منازل

اياك نعبد واياك نستعين " •

التحسين والتقبيح الى ثلاثة اقسام ، هي :-

=====

القسم الاول :

=====

• ما طلب الله من العبد فعله لحكمة في نفس الامر ، لا يعلمها الا الله •

• وذلك امتحانا وابتلاء له ، حتى يعلم طاعته او عصيانه •

• وليس المراد فعل المطلوب من العبد ، وقد يكون المطلوب فعله حسنا

في العقل ، وقد لا يكون ، لكن العبد لا يدركه •

مثاله :

لما امر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده ، وطلب منه ان

يفعل ما رأى ، عرض الاب رؤياه على ابنه ، فاستجاب الابن لامر الله •

فلما خرجا مستسلمين لامر الله ، وهم الاب بذبح ابنه فداء الله

بذبح عظيم •

قال تعالى مصورا القصة الحقيقية ، والمشهد الحي ، لاب يذبح ابنه •

" فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك

فانظر ماذا ترى قال يا ايتها افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ،  
فلما اسلمنا وتله للجبين ونادى بناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي  
المسحنيين ان هذا لهو البلاء المبين وقد يناه بذبح عظيم " ١ " .

### القسم الثاني :

=====

ما يحصل فيه الحسن والقبح بخطاب الشارع ، فاذا امر الشارع  
بشيء صار حسنا ، واذا نهى الشارع عن شيء صار قبيحا .  
وذلك كأمره تعالى بالزواج ، ونهيه عن زواج المتعة ، او نهيه  
ان يزيد على اربعة نساء ، او نهيه عن الزواج بالمحرمات .  
فما امر به الشارع من النكاح صار حسنا ، وما نهى عنه الشارع  
صار قبيحا ، مع ان ما نهى عنه لم يكن قبل ورود الشرع قبيحا .

### القسم الثالث :

=====

ما يكون الفعل فيه مشتملا على مصلحة او مفسدة ولو لم يرد الشرع  
بذلك ، كالعدل ، الذي فيه مصلحة العالم ، والظلم الذي فيه فسادهم .  
وهذا القسم بامكان العقل السوي ان يعلمه من غير ورود الشرع " ٢ " .

- 
- ١ - سورة الصافات الايات ( ١٠٢ - ١٠٧ ) .
  - ٢ - بتصرف عن : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين  
( ١ : ٢٣١ ) . وما بعدها .

مقارنة بين كلام السلف وكلام الشيخ محمد عبده :

=====

- كما قلت قبل قليل عند تقويم كلام الشيخ محمد عبده ، انه لم يخرج  
عن دائرة وحدود السلف في مسألة حسن الافعال وقبحها ،  
فهو يقول ان الانسان يفرق بالبداهة بين ما هو حسن وما هو قبيح ،  
فهو يعرف ان العدل حسن والظلم قبيح ، ويدرك حسن الصدق وقبح الكذب .  
ويقول ان الحس او العقل قادر على التمييز بين هذا وذاك دون التوقف  
على السمع وهو القسم الثالث من الاقسام عند ابن القيم .  
ويقول ايضا : من الاعمال ما لا يمكن درك حسنه ، ومن المنهيات ما لا  
يمكن معرفة وجه قبحه ، وهذا لا حسن له الا الامر ، ولا قبح الا النهي .  
وهذا النوع هو القسم الثاني عند ابن القيم .  
اما القسم الثالث فلم يتعرض له الشيخ محمد عبده في كلامه ، وتميز به الامام  
ابن القيم رحمه الله تعالى .  
وبناء عليه نجد الموافقة بين ما قاله الشيخ محمد عبده ، وما قاله  
علماء السلف رضي الله عنهم .

٤ — القضاء والقدر

=====

عرف الشيخ محمد عبده القضاء : بعلم الله السابق بحصول

الاشياء على احوالها في اوضاعها .

والقدر : بايجاده تعالى لها عند وجود اسبابها .

وعن علاقة علم الله بفعل الانسان قال :

( ولا شيء منها يضطر العبد لفعل من افعاله ، فالعبد وما

يجده من نفسه من باعث على الخير والشر ، ولا يجد شخص الا ان اختياره دافعه

الى ما يعمل والله يعلمه فاعلا باختياره : اما شقيا به واما سعيدا ) .

وقال :

" ١ "

( ان قضاء الله في الفعل الانساني ليس لازما وقدره ليس حاتما ) .

وعن اثر الإيمان بعقيدة القضاء والقدر في نفوس المؤمنين ، ذكر كلاما يطول

ذكره ، بين في نهايته ان عقيدة الاندكان للقضاء والقدر حسبت من اسباب

الانحطاط عند المسلمين ، لانها نزعته بهم الى الكسل انتظارا لما يأتيهم من الغيب

وسطت ايدي اغنيائهم في الاسراف اتكالا على ما يسوقه عالم الغيب .

وذكر ان ذلك يعود الى سوء فهم ، سببه سوء فهم اهل هذه

العقيدة . " ٢ "

---

١ — نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد

عبده ص ٣٧٥ .

٢ — انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٨١ ) نقلا عن ( المؤيد ) ،

الصادرة في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٩ هـ / ١٩٠٠ م العدد ( ٣٣٩٢ )

وحتى لا اطيل في الكلام ، ومن اجل طبيعة البحث ، وما يقتضيه ،  
ارى ان الخص في نقاط ما وضعه الشيخ محمد عبده من اثر الايمان بهذه العقيدة .<sup>١</sup>

١ - الاعتقاد بالقدر مما يلهم الانسان الصبر على ما نزل ، والثبات  
عند ملاقات المصاعب ، وفي هذا تخفيف على النفس فلا تجزع اذا نزلت النوايب ،  
وتثبيت لها عند ملاقات المصاعب وتشمها ، فيحصل من ذلك عون لها على  
ملاقاة ما يصيبها .

٢ - الاعتقاد بالقدر مما يحفز الهمم للقضاء على الكسل وحب الراحة ،  
وينمي في النفوس حب العمل ، والاعتماد على ما وهبه الله من قوة بعد استمداد  
العون من الله ، والتوكل عليه .

٣ - الايمان بالقضاء والقدر يقضي على اليأس اذا هاجم القلوب ،  
ويذلل العقبات المعترضة سبيل المؤمن ، مع الاستعانة بالله والاخذ بالاسباب .  
٤ - الاعتقاد بالقضاء والقدر يردح الشيطان وينحيه عن طريق البذل  
والعطاء في سبيل الخير ، والاقدام والجود بالروح في سبيل الله ، لان الاعتقاد  
بالقضاء والقدر يلهم الانسان ان الارزاق محدودة والآجال مضمومة .

وينص الشيخ محمد عبده في مقال له بعنوان " التوكل " على  
المتواكفين ، المحتجين على توكلهم ، وترك اعمالهم بالقدر .  
ويبين ان هذه العقيدة فاسدة ، وحميدة عن عقيدة وهدي سلف  
الامة وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

---

١ - انظر : الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٨١ و ٤٨٢ ) بتصرف .

يقول :

( نرى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو امامنا وقدوتنا ، لما بعث في دياجير الجهل ، وتحكم سلطان الشرور ، وقبائح العادات في الامم التي ارسل اليها لم يقل : ان ذلك ما اراده الله ، ولم يسلم امره للقدر بتسرك العمل ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم ، اصابهم من الالام في السعي ما اصابهم ، مع انهم اشد الناس توكلا على الله ، واكملهم تمسكا بالقدر في طريق الحق ) • " ١ "

كما يصف الاحتجاج على ترك العمل بالقدر ، بأنه من عقائد الملحدين ، ويتهم من يزعم انه متوكل من المظاهرين بالصلاح ، بالكذب والزندقة •

وسين خطاً من يحتج على تواكله وكسله عن طلب الرزق ، ببرق الله الطير والنمل ، وبقية مخلوقاته •

يقول :

( الاحتجاج على ترك العمل بالقدر من عقائد الملحدين ، وقد جاء الكتاب الكريم بتشنيع اعتقادهم والنعي عليهم فيه ، وقد حكى لنا ما كانوا يقولون من نحو قوله تعالى : " سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکتنا ولا آباءنا ، ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعمون الا الظن وان انتم الا تخرصون " • " ٢ "

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ١٥٣ ) •

٢ - سورة الانعام اية ( ١٤٨ ) •

فلا يسوغ لاحد منا وهو يدعي انه مؤمن بالقران ان يحتج بما كان

يحتج به المشركون •

ومن يزعم انه متوكل من المتظاهرين بالصالح فهو كاذب زنديق " ١ "

لانه انما يدعي التوكل اذا طوبى بأمر فيه مشقة عليه ، او يجد في نفسه عجزا

عنه ، لا سيما اذا كان في مصلحة عامة فهو يرض بما يجد •

فاذا رجع اولئك المتبتلون الى منافعهم الخاصة لم تجد للتوكل في

نفوسهم اثرا ، فهم يفسحون ويخادعون ويحتالون لتحصيل ما به يعيشون او ما به

على الناس يظهرن وحينئذ لا يرجعون الى التوكل فهم كذبة لا يصح الاقتداء بهم )

ويبين الشيخ محمد عبده خطأ من يحتجون بحديث الرسول صلى

الله عليه وسلم " لو انكم تولكتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

تخدو خماسا وتروح بطانا " • " ٢ "

ويقصرونه بأننا لو القينا انقالنا على الله ، وتركنا اسباب عيشنا

في كسبنا وماكلنا ومطبخنا وموقدنا لرزقنا كما يرزق الطير •••

يقول :

( هذا الفهم خطأ بعيد عن المراد ، ولولا ذلك لقال صلى الله

عليه وسلم : لرزقكم كما ترزق الطير تلبث في اعشاشها ، وتفتح افواهها ،

---

١ - لا اوافقه في هذا الوصف ، لان الزنديق من خرج عن دين الله ،

وعمل على هدم ما فيه وسخر لذلك كل ما يملك : كعبد الله بن سبأ ،

وغيره من رؤوس الفرق الضالة • ولو وصفهم بالدروشه ، او ما شابهها

لكان افضل •

٢ - رواه الترمذى عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال :

حديث حسن •

ومعنى "خماسا" : ضامرة البطون من الجوع ، و"بطانا" : متلثة

البطون •

انظر : رياض الصالحين ، للنووى ص ٦٦ •



فتصبح خماسا ، وتمهيني بطانا .

يظنون ان هذا الحديث حث على البطالة وترك العمل ، مع انه جاء

للحث على العمل .

والكلام في معنى : حق التوكل ، ظنوه ترك العمل والسعي بالمره ،

وهو خطأ محض ،

فالمراد من حق التوكل : ان يعتمد الانسان على الله سبحانه وتعالى

مع اتباع سننه التي سنها في الطلب ، فيحصل الصالح من اسباب مطلوبه مما

جمله الله سببا ، ويدقق النظر في ذلك ما شاء حسبما طالبه الله تعالى به .

ثم بعد ان يستعمل الاسباب يناجي ربه بسره : ان قد اتيت بما

في استطاعتي ، على مقدار ما وهبتي ، وما بقي ، مما لا اعظم ولا املك ، فهو

في يدك ، فأعني بقدرتك ، ولا تحرمني من ميمونتك ، ثم يمضي في عمله .

هذا هو حق التوكل وقد اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في

قوله : " تفدو خماسا وتروح بطانا " . " ١ "

تقويم كلام الشيخ محمد عبده :

=====

عقيدة الشيخ محمد عبده في القضاء والقدر هي مما اجمع عليه سلف

الامة ، وائتمها ، وقررها علماء السلف المتأخرين في كتبهم وحثوا الناس على

الايان بها خيرها وشرها من الله تبارك وتعالى .

وان الايمان بهذه العقيدة احد الاركان الستة التي يدور عليها فلسفك  
الايمان ، كما دل عليه حديث جبريل عليه السلام " ان تؤمن بالله وملائكته  
وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . . . " ١

واليك نهدة مما قاله مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية في

هذا الموضوع :-

قال : ان الايمان بالقدر على درجتين ، وان كلا منها تتضمن شيئين :

فالدرجة الاولى ، تتضمن :

=====

اولا : الايمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم المحيط

بجميع الاشياء ، وانه تعالى علم كل ما سيعمله الخلق ، وعلم جميع

احوالهم من الطاعات والمعاصي والارزاق والاجال .

ثانيا : ان الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ . فما سجله الله

من مقادير الخلق التابع لعلمه القديم تارة يكون جملة كما في اللوح المحفو

المحفوظ ، فان فيه مقادير كل شيء . ويكون في مواضع تفصيلا يخص كل

فرد كما هو الحال في الجنين قبل النفخ فيه يبعث الله اليه ملكا ،

فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد .

---

١ - الحديث صحيح من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

انظر : الاربعين النووية ، الحديث الثاني .

واما الدرجة الثانية ، فتتضمن :

اولا : الايمان بعموم مشيئته تعالى وان ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ،  
وان افعال العباد واقعة بطلبك المشيئة .

ثانيا : الايمان بأن جميع الاشياء واقعة بقدره الله ، وانها مخلوقة له ،  
لا خالق لها سواه . \* ١ \*

هذا عن درجات الايمان بالقدر . . . .

وعن علاقة علم الله في فعل العبد قال ، موضحا \* ٢ \* :

( ان الله تعالى علم الامور وكتبها على ما هي عليه ، فهو

سبحانه قد كتب : ان فلانا يؤمن فيعمل صالحا فيدخل الجنة ، وفلانا يفسق  
ويعصي فيدخل النار . . . . .

فمن قال : ان كنت من اهل الجنة فأنا ادخلها بلا عمل صالح

كان قوله قولاً باطلاً متناقضاً لما علمه الله وقدره . . . . فمن ظن انه يدخل الجنة  
بلا ايمان كان ظنه باطلاً ،

وانذا اعتقد ان الاعمال التي امر الله بها لا يحتاج اليها ولا فوق

بين ان يعلمها ، اولا يعلمها كان كافراً ، والله قد حرم الجنة الا على اصحابها )

وحاصلها :

لادخل لعلم الله في عمل الانسان الاختياري سواء كان شراً او خيراً .

لكن الله بعلمه الكاشف لجميع المعلومات في الماضي والحاضر والمستقبل على وجه

---

١ - انظر شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ١٥١ - ١٥٦ .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٩٢ ، ٣٠٢ .

٢ - وهذا هو الذي ذكره في الدرجة الاولى من درجات الايمان بالقدر .

٣ - مجموعة الرسائل الكبرى ، رسالة القضاء والقدر ( ٢ : ٩٢ ) .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٠٢ ، ٤١٥ .

الاحاطة والشمول ، علم ما سيكون من امر فلان فكتبه على ما هو عليه .  
وهذا لن يتغير مما علمه الله وكتبه . وهو عندي معنى كلام الشيخ  
محمد عبده السابق في مسألة خلق افعال المباد ( فلا شيء في العلم بالسلب  
للتخيير في الكسب ، وكون ما في العلم يقع لا محالة انما جاء من حيث هو الواقع ،  
والواقع لا يتبدل ) .

ويعجبني ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية في مذهب اهل السنة والجماعة ،  
في مسألة القدر ، والمسائل الاخرى السابقة الذكر ، قال :

( مذهب اهل السنة والجماعة ان الله تعالى خالق كل شيء ، وربه  
وطيئته ، لا رب غيره ولا خالق سواه ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ،  
وهو على كل شيء قدير ، وكل شيء عليم والعبد مأمور بطاعة الله ، وطاعة  
رسوله ، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله ، فان اطاع كان ذلك نعمة ،  
وان عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا  
حجة لاحد على الله تعالى ، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ، ومشيتته  
وقدرته ، لكن يحب الطاعات ويأمر بها ، ويثيب اهلها على فعلها ، ويغض  
المعصية ، وينهي عنها ، ويعاقب اهلها ويهينهم . . .

فلا بد ان يؤمن العبد بقضاء الله وقدره وان يؤمن بشيئهم وامره ) . " ١ "

والشيخ محمد عبده من الذين يؤمنون بهذا كله ، ويؤمنون بشرعه  
وامره ، وعلى هذا فهو من اهل السنة والجماعة في هذه المسائل ، على ما  
بينت سابقا ، والله اعلم .

---

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٨ : ٦٣ ) .  
٢ - وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٧ ، ٤١٠ ، وما بعدها .

٥ - جواز رؤيته ثمالي في الاخلاصة

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان هذه المسألة محل اتفاق بين جميع المنزهين ، لا مجال معه للتنازع .  
ويقدر الشيخ محمد عبده الواجب على المسلم نحو ربه في هذا ،  
فيقول :

( الواجب علينا هو الايمان بأن الله يرى على وجه منزه عما هو  
من خواص الحوادث ) \* ١ \*

لكن الشيخ محمد عبده يرى ان هذه الرؤية لا تكون على المصهود  
من رؤية البصر ، المعروفة لنا في مجرى العادة ، بل هي رؤية لا كيف فيها ،  
ولا تحديد . ومثلها لا يكون الا يبصر يختص الله به اهل الدار الاخرة ،  
او تتشريفه خاصته المصهودة في الحياة الدنيا .  
وفي هذا المعنى يقول :

( وليكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في  
ذلك الوقت ، في اي عضو من اعضائنا ، وان كان القلب ) \* ٢ \*

---

١ - انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٥٣٩ ) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

فهو اذا ، يؤمن بوقوع الرؤية ، لكن على كيفية لا نعلمها ، يختص الله بها  
المؤمنين من أهل الدار الآخرة ،  
أما المكذابين بيوم الدين : ( فسيكونون يوم القيامة في المكان الدون  
وموقف الهون و " انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " ١ )  
ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخذول المرذول الدليل المبهين ) ٢  
ويقول :

( من كان هذا شأنه ، فماذا يكون حاله يوم يتجلى الجبار ، ويرتفع  
الستار ) ، ٣

مناقشة هذا المذهب :

=====

القول :-

وفيما قاله الشيخ محمد عبده في هذا المذهب مجال لتعقيب ،  
وسأعقب على قوله : ( وليكن بأية قوة من قوانا ، او بقوة جديدة يخلقها في  
ذلك الوقت في أى عضو من اعضائنا ، وان كان القلب ) .  
فالشيخ محمد عبده ، لا ينكر الرؤية ، بل يصدق بوقوعها في الدار  
الآخرة ، لصحة الاخبار الواردة عن الله تعالى ، وتواتر الاخبار والاحاديث  
الدالة عليها .

لكنه رأى عدم اشتراط وقوعها بالبصر عيانا ، فقد تكون بقوة اخرى مخلوقة  
في الانسان ، - لم يبينها الشيخ محمد عبده - ، او تكون بقوة جديدة

١ - سورة المطففين آية ( ١٥ ) .

٢ - انظر : الاعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٣٥٨ ) .

٣ - نفس المرجح ( ٥ : ٣٣٤ ) .

يخلقها الله في الانسان يوم القيامة في اى عضو من اعضاء جسمه ، كالقلب .  
واني ارى عدم صحة هذا المذهب ، وبعده عن مذهب اهل السنة  
والجماعة ومخالفته للايات الكريمة ، والاحاديث المتواترة ، واقوال الصحابة وكبار  
ائمة المسلمين من اهل العلم ، الذين اثبتوا رؤية الله تعالى يوم القيامة حقيقة ،  
عيانا بالابصار اكراما وتفضلا منه تعالى لعباده المؤمنين .

يقول الامام ابن القيم في " حادى الارواح " :  
( قد دل القرآن والسنة المتواترة ، واجماع الصحابة وائمة الاسلام ،  
واهل الحديث بحسبة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، على ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر  
ليلة البدر صحو ، وكما ترى الشمس في الظهيرة ) . " ١ "

### أدلة السلف في الرؤية :

=====

استدل السلف رضي الله عنهم ، على مذهبهم في اثبات رؤية الحق  
سبحانه يوم القيامة ، بأدلة من القرآن والسنة ، واقوال بعض الصحابة  
والتابعين وما نقل عن الائمة الاويجة ، ونظرائهم . " ٢ "

وبحسب هذا ، لا يتسع لكتابة ما قيل في هذه المسألة ، لخصوصها ،  
وكثرة ما فيها من اقوال ، وقد كتب زميل لي رسالة " ماجستير " بعنوان  
" رؤية الله " . " ٣ " . . . . .

- 
- ١ - حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٤١ .
  - ٢ - انظر حادى الارواح ص ٢٣٥ .
  - ٣ - رسالة ماجستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد ، بقسم الدراسات العليا ، فرع العقيدة ، باشراف الدكتور عوض الله جاد حجازى .

لذلك ، فاني اكتفي بذكر سبعة ادلة من كل مصدر ، رجح اليه  
المثبتون للربعية ، واعتقد ان هذا يكفي في الرد على المنكرين ، مهما كانوا ،  
وهو تتحقق الفائدة المرجوة من البحث ، وهي ابراز الحق ، وتأييد اهله ،  
وبيان موافقة الشيخ محمد عبده لاهل الحق في ثبوت الرؤية ، ومخالفته اياهم  
في كونها بالعين المبصرة او اي عضو من اعضاء الجسد ، كالقلب ،  
ولسوف يظهر لك من خلال الادلة ، ان رؤية الله تعالى يوم القيامة ،  
وفي الدار الاخرة تكون بالعين ، لا بشيء اخر غيرها .

١ - الادلة من القران :

=====

( الدليل الاول ) :

===== قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وقلناه ربه ،

قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه

فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق

قال سبحانك تمت اليك وانا اول المؤمنين " . " ١ " .

وجه الاستدلال :

=====

استدل السلف بهذه الاية على جواز رؤيته تعالى من سبعة اوجه :

الوجه الاول :

===== ان سؤال موسى عليه السلام الرؤية ، دل على عدم امتناعها ، لانه



رسول من عند الله ، لا يجوز ان يكون جاهلا • فيسأل ربه ما لا يجوز عليه ،  
الوجه الثاني :  
===== ان الله تعالى لم ينكر على موسى سؤاله ، ولو كان محالا لانكره  
عليه •

يشهد لهذا انكاره تعالى لنوح عليه السلام لما سأله ان ينجي ابنه ،  
قال تعالى : " اني اعطتك ان تكون من الجاهلين " • " ١ "  
يوضح هذا قول نوح عليه السلام لربه " قال رب اني اعوذ بك  
ان أسالك ما ليس لي به علم ، والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين " • " ٢ "  
بينما لم ينكر على ابراهيم عليه السلام حين سأله ان يريه كيف  
يحيى الموتى •

ففي انكاره على نوح دليل على عدم جواز ما سأل ،  
وفي عدم الانكار على ابراهيم دليل على جواز ما سأل •  
فيثبت جواز طلب موسى الرؤية ، لثبوتها •

### الوجه الثالث :

===== انه تعالى اجاب موسى بقوله : " لن تراني " ، ولم يقل :  
لا تراني ، ولا اني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي •  
والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله •  
اذ الرؤية في الاية ثابتة ولكنها لن تتحقق لموسى ، فهي تدل  
على النفي في المستقبل •

اما لولقال : لا تراني ، فان ذلك يعني عدم ثبوت الرؤية ودوام  
النفي • تماما كمن يقول لانسان اعى : لن ترى القمر ، لانه فاقد البصر •

١ - سورة هود اية ٤٦ •

٢ - سورة هود اية ٤٧ •

#### الوجه الرابع:

===== انظروا الله موسى ان الجبل مع ما فيه من قوة وصلابة لا يشهد لتجليه له ، في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف ؟ فان قواه لا تحتمل رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوة البشرية عن رؤيته تعالى فيها .

#### الوجه الخامس :

===== ان الله تعالى علق الرؤية على شرط جائز ، وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الجائز جائز ، بمعنى اخرانه سبحانه علق جواز رؤيته على امر ممكن في ذاته مقدور له تعالى وهو استقرار الجبل ، فلو كانت الرؤية مستحيلة لما علقها بالممكن .

#### الوجه السادس :

===== اذا جاز ان يتجلى الرب للجبل الذي هو جماد لا حياة فيه ، ولا ثواب ولا عقاب فكيف يمنع ان يتجلى لانبياؤه ورسله واوليائه في دار كرامته ويربهم نفسه ؟

#### الوجه السابع :

===== ان ربه سبحانه وتعالى قد كلمه ، وخطبه وناجاه ، بلا واسطة ، ومن جاز عليه هذا فرؤيته اولى بالجواز . ولم يدم علم موسى بالتمييز بين الرؤية والكلام طلب من ربه ان يراه كما كلمه .

( الدليل الثاني ) :

===== قال تعالى : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

هذه الآية تثبت عدم رؤية المكذابين بيوم الدين لله رب العالمين • وفي حرمان من نعمة عظيمة ، خصها الله للمؤمنين ، وهي نعمة النظر الى وجهه الكريم • ولو لم تثبت الرؤية لتساوى الكل في عدمها • وكان المؤمن ايضا محجوها عنه تعالى •

والاستدلال بهذا الوجه هو ما يسمى عند الاصوليين بمفهوم المخالفة •

( الدليل الثالث ) :

===== قال تعالى " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو

اللطيف الخبير " • " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

استدلال السلف بهذه الآية الكريمة من وجوه ، منها :

الوجه الاول :

===== ان الله سبحانه نفى ان يدرك بالبصر بمعنى انه لا يحاط به

رؤية ، ولم ينف الرؤية • اما الادراك فهو الاحاطة بالشيء وهو قد رزأ على

الرؤية •

الوجه الثاني :

===== ان في الآية تمديح للرب سبحانه فهو لا تدركه الابصار لغاية

عظمته وانه اكبر من كل شيء ، وانه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به •

ومعلوم ان المدح انما يكون بالاصاف الثبوتية ، اما المدم المحض فلا

يمدح به الا اذا تضمن امرا وجوديا كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ،  
ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ، ونفي النسيان المتضمن كمال علمه . . . .  
الوجه الثالث :

===== يشهد لهذا ما جاء في اللغة . فانك اذا قلت : فلان لا مثل  
له . اوليس له نظير ولا شبهه ، انه قد تميز عن غيره بأوصاف لا يشاركه فيها  
احد .

فقوله تعالى : " لا تدركه الابصار " من ادل شي على انه يرى

ولا يدرك .

( الدليل الرابع ) :

===== قال تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " . " ١ "

وجه الاستدلال :

===== هذه الاية تحكي مشهد المؤمنين يوم القيامة اصحاب الوجوه

البهية الحسنة وهم يتمتعون بلذة النظر الى وجهه الكريم ، نظرا حقيقيا .

وقد رد السلف على اهل التأويل الذين فسروا النظر بالانتظار أو التفكير

أو غير ذلك

بأن النظر يرد في اللغة لزمان كثيرة ، وله عدة استعمالات بحسب

صلاته وتعديه بنفسه :

فان عدى ( بنفسه ) ( فمعناه التوقف والانتظار كقوله تعالى : " انظرونا

نقتبس من نوركم " . " ٢ "

وان عدى ( بقي ) ( فمعناه التفكير والاعتبار كقوله تعالى : " اولم

ينظروا في ملكوت السموات والارض " . " ٣ "

---

١ - سورة القيامة الايات ( ٢٢ - ٢٣ ) .

٢ - سورة الحديد اية ( ١٣ ) .

٣ - سورة الاعراف اية ( ١٨٥ ) .

وان عدى ( بالى ) فمناه المعاينة بالابصار كقوله تعالى :

" انظروا الى ثمره اذا اثمر " ١٠ " ١ "

( الدليل الخامس ) :

=====  
قاله تعالى : " الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم

وانهم اليه راجعون " ١٠ " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====

اجمع اهل اللسان على ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من  
العمى ، والمانع اقتضى المعاينة والرؤية . وهكذا يكون المؤمنون يوم القيامة امام  
بارئهم .

( الدليل السادس ) :

=====  
قال تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا

يرهبق وجوههم اقترو ولا ذلة واولئك

اصحاب الجنة هم فيها خالدون " ١٠ " ٣ "

وجه الاستدلال :

=====

قال اهل العلم من المفسرين ان الحسنى هي الجنة ، والزيادة

هي النظر الى وجهه الكريم ، وهذا فسر الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم . " ٤ "

- 
- ١ - سورة الانعام اية ( ٩٩ ) .
  - ٢ - سورة البقرة اية ( ٤٦ ) .
  - ٣ - سورة يونس اية ( ٢٦ ) .
  - ٤ - سيأتي بعد قليل ان شاء الله .

( الدليل المسابح :

=====

قال تعالى : " لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد " ١ " ٠

وجه الاستدلال :

=====

روى عن جمع من الصحابة أن ال " مزيد " من لدن الله هو النظر

الى وجهه عز وجل .

انتهت ادلة السلف من القران في مسألة الرؤية . وأحب أن أشير

الى ان الدليل الاول ، والخامس يدلان على جواز الرؤية .

أما بقية الادلة فتدل على وقوعها .

وهذا الذي ذكرت هو مذهب السلف ، واهل السنة من المفسرين لكتاب

الله تعالى ، و

من أصحاب التفسير بالأثر ، وعض أهل الرأي ، وجماعة من المسلمين . ٢ " ٠

---

١ - سورة ق اية ( ٣٥ ) .

٢ - انظر : حاشي على ارواح الى بلاد الافراح ص ١٩٦ - ٢٠٤ .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٠ - ٢٣٣ .

وانظر : لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير المخازن ( ١ : ٣١١ )

وانظر : تفسير ابن كثير ( ٢ : ٥٩ - ٦٠ ) .

وانظر : روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني

( ٣ : ٢٠٤ ) ، ( ٩ : ٥٥ ) .

وانظر : روح البيان ، لاسماعيل بن حفي الهزسوى ، دار سهادت

مطبعة عثمانية ( ٣ : ٢٣٩ ) .

وانظر : اضواء البيان في تفسير القران بالقران ، للشنقيطي

( ٢ : ١٨٤ ، ٢٩٧ ) الطبعة الثانية .

وانظر : في ظلال القران لسيد قطب ( ٦ : ٣٨٥٨ ، ٣٧٧١ ) الطبعة

الثانية .

وانظر : تفسير النسفي ، ابو حفص عمر بن محمد النسفي ، ( ٤ : ٣٤٠ ) .

٢ — الادلة من السنة :

=====

( الدليل الاول ) :

===== روى ابو هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا :

يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : " هل تضارون " ١ في رؤية

القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله . قال : " هل تضارون في

رؤية الشمس ليس دونها سحب ؟ قالوا : لا .

قال : " فانكم ترونه كذلك . . . " ٢ .

وجه الاستدلال :

=====

يفيد الحديث وقوع الرؤية يوم القيامة على الحقيقة من غير لبس .

فكما يرى الشخص القمر في ليلة البدر ، او الشمس في يوم صحو من غير واسطة .

فان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة كذلك واضحا كل الوضوح .

فيعرفونه .

( الدليل الثاني ) :

===== روى عدى بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال : " ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب

يحببه " ٣ .

---

١ — تضارون : يعني تضامون اي تزدحمون فلا تلتحقكم مشقة .

انظر : مختار الصحاح ص ٣٧٩ .

٢ — هذا الحديث روى ايضا من طريق ابي سعيد الخدري في الصحيحين .

الحديث متفق عليه ، رواه البخاري ( ٤ : ٢٠٠ ) ، ومسلم ( ١ : ١٦٣ ) ،

وانظر : كتاب التوحيد ص ١٧٠ .

٣ — صحيح البخاري ( ٤ : ٢٠٣ ) ، انظر حادي الارواح ( ٢٢١ ) .

وجه الاستدلال :

===== يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب وعباده ، ولا يعقل

ان يكون لقاء من غير نظر ، فكما يقع الكلام بلا واسطة ، يكون النظر كذلك .

( الدليل الثالث ) :

===== عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوسا مع النبي صلى الله

عليه وسلم ، فنظر الى القمر ليلة اربع عشرة فقال : " انكم سترون بكم عيانا كما

ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع

الشمس وقبل الغروب فافعلوا " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

هذا الحديث يدل على وقوع الرؤية بالبصر عيانا ، من غير واسطة ،

تماما كما يرى الواحد منا القمر ليلة البدر ، لا يحتاج ذلك الى دليل .

( الدليل الرابع ) :

===== روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم " اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل : تريدون

شيئا ازيدكم ؟ فيقولون : الم تبيض وجوهنا ، الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب . فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم " . " ٢ "

---

= وانظر كتاب التوحيد ( ١٤٩ ، ١٥٠ ) .

وفي كتاب التوحيد عن بريدة بن الحبيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : " ما منكم من احد الا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه

حجاب ولا ترجمان " ص ١٧١ .

١ - صحيح ، رواه البخارى ( ٤ : ٢٠٠ ) ، وانظر كتاب التوحيد ص ١٦٩ .

٢ - انظر حادى الارواح ص ٢١٢ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٠ - ١٨٥ .



ثم تلا هذه الآية : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " . " ١ "

وجه الاستدلال :

=====

يفيد الحديث وقوع اللقاء بين الرب واهل الجنة ، ومن نعمة الله على عباده ان يكرمهم بلذة اخرى اكبر واعظم من دخول الجنة ، هي لذة النظر الى وجهه الكريم من غير تغيير في خلقتهم ، فيؤونه بأبصارهم .

وهي الزيادة التي فسرهما الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى

" وزيادة " .

( الدليل الخامس ) :

===== عن ابي امامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم يوما ، وكان اكثر خطبته ذكر الدجال . . . . فيقول - يعني

الدجال - انا نبي ولا نبي بعدي . قال : ثم ايتني فيقول : - انا ربكم .

" وهو اعدوكم ليس بأعدوكم انتم اعدوا ربكم حتى تموتوا " . " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====

يشير الحديث الى ان رؤية الرب تعالى لا تكون في الدنيا ، ومحلها

الدار الاخرى بعد الموت ، ويحذر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يدخل على الناس

تلبيس الدجال .

فان الرب يتصف بجميع صفات الكمال والجلال وسيرى يوم القيامة على

هذا .

---

١ - سورة يونس اية ( ٢٦ ) .

٢ - صحيح البخارى ( ١ : ١٩١ ) ، صحيح مسلم ( ٤ : ٢٢٤٨ ) ، وانظر حادى الارواح ص ٢١٢ و ٢١٣ ، وكتاب التوحيد ص ١٨٥ .

( الدليل السادس ) :

=====  
عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يزور اهل الجنة الرب تبارك وتعالى  
في كل جمعة - وذكر ما يعطون - ثم يقول الله تبارك وتعالى : اكشفوا حجابا ،  
فيكشف حجاب ثم حجاب ، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه ، فكأنهم لم  
يروا نعمة قبل ذلك • وهو قوله تبارك وتعالى " ولدينا مزيد " • " ١ " ، " ٢ " .  
وجه الاستدلال :

=====  
يفيد الحديث زيارة اهل الجنة ربهم ، فينالون منه العطايا الكثيره  
وخير هذه ما يكون بعد كشف الحجاب ورفع الاستار ، وهو اشواقه وجهه الكريم  
على عباده الزائرين ، هي نعمة كأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك ، لما فيها من لذة  
عظيمة •

( الدليل السابع ) :

=====  
روى البخاري عن انس بن مالك ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال للانصار " اصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فاني على الحوض " .  
وجه الاستدلال :

=====  
الحديث يفيد ملاقاته الله عباده يوم القيامة في  
الآخرة ، وقد تقدم معنى الملاقاته ، وحكى ابن القيم اجماع اهل اللسان على

١ - سورة ق آية ( ٣٥ ) •

٢ - انظر حادي الارواح ص ٢١٥ •

٣ - صحيح البخاري ( ٤ : ٢٠٢ ) •

ان اللقاء متى نسب الى الحي السليم من المصطفى والمناجى اقتضى المعاينة والرؤية .

انتبهت ادلة السلف من السنة ، وأشير الى ان منها ما يفيد وقوع

الرؤية الحقيقية عيانا بالابصار ، ومنها ما يفيد جواز وقوعها .

وطى كل ، فان احاديث وقوع الرؤية متواترة ، رواها اجمع من جمع

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الامام ابن القيم :

( اما الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

الدالة على الرؤية ، فتواترة ) . " ١ "

وعند ابن القيم ما يزيد على خمسة وعشرين صحابيا ممن رووها عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكر منهم ابو بكر ، وعلي ، والمهادلة

الاربعة " ٢ " ، وجمع غفير من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين " ٣ " ،

نقلها من الصحاح والمسانيد والسنن ، " ٤ " .

---

١ - حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٠٥ .

٢ - عهد الله بن عباس ، وعهد الله بين مسعود ، وعهد الله بن عمر ،  
وعهد الله بن عمرو .

٣ - قال الطبري : فتحصل في الباب من روى عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من الصحابة . حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفسا .

انظر : حادى الارواح ص ٢٣٣ .

٤ - وقال يحيى بن معين : عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح .

انظر : حادى الارواح ص ٢٣٣ .

٣ - من أقوال الصحابة : " ١ "

=====

١ - ابوبكر الصديق رضي الله عنه :

=====

قرأ ابوبكر الصديق قوله تعالى : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة " .

فقالوا : ما الزيادة يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : النظر

الى وجه الله تبارك وتعالى .

٢ - علي رضي الله عنه :

=====

قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه : من تمام النعمة دخول الجنة

والنظر الى وجه الله تبارك وتعالى في جنته .

٣ - ابو موسى الاشعري رضي الله عنه :

=====

عن ابي موسى الاشعري انه كان يحدث الناس فاشخصوا بأبصارهم .

فقال ما صرف ابصاركم عني ؟ قالوا : الهلال . قال : فكيف بكم اذا

رأيتم وجه الله جهرة .

٤ - عبد الله بن عباس رضي الله عنه :

=====

قيل لابن عباس : كل من يدخل الجنة يرى الله ؟ قال : نعم .

٥ - معاذ بن جبل رضي الله عنه :

=====

قال معاذ : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، فينادى ،  
اين المتقون ؟ فيقومون في كف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر .

٦ - عبد الله بن عمر رضي الله عنه :

=====

قال ابن عمر : ان افضل اهل الجنة منزلة من ينظر الى وجه الله

في كل يوم مرتين \*

٧ - انس بن مالك رضي الله عنه :

=====

قال في قوله تعالى : " ولدينا مزيد " : يظهم لهم الرب تبارك

وتعالى يوم القيامة .

أقول : قد دلت هذه الاقوال ، وهي لكبار الصحابة رضي الله عنهم ، من

لازموا الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعوا منه ، على ثبوت رؤيته تعالى في

الآخرة .

قال البيهقي :

( روينا في اثبات الرؤية عن ابي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان ،

وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وابي موسى وغيرهم . ولم يرو عن

احد منهم نفيها .

ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك اليانا ، كما انهم لما

اختلفوا في رؤية الله بالابصار في الدنيا ، نقل اختلافهم في ذلك اليانا ، فلما

نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالابصار في الآخرة عنهم ، ولم ينقل عنهم في ذلك

اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا ، علمنا انهم كانوا على القول برؤية الله

بالابصار في الآخرة متفقين ومجتمعين ) • ١\*

فلعل في قول البيهقي هذا ما يصرف النظر عما قاله الشيخ محمد

عده ، فيما نفس ، ( وليكن في آية قوة من قوانا ، أو بقوة جديدة

يخلقها في ذلك الوقت في أي عضو من أعضائنا ، وإن كان القلب ) ، لأنه

بذلك يخالف اتفاق الصحابة على القول برؤية الله بالابصار في الآخرة •

٤ - من أقوال التابعين :

=====

هذه أقوال بعض التابعين من أئمة الحديث والفقه والتفسير ، وأئمة  
التصوف ، انقلها اليك لأنها مما يصح الاستشهاد به بل الالتزام به ، كيف لا  
وهم أبناء المهاجرين والانصار من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

١ - سعيد بن المسيب :

=====

قال سعيد : " الزيادة " هي النظر الى وجه الله .

٢ - سعيد بن جبير :

=====

قال سعيد : ان اشرف اهل الجنة لمن ينظر الى الله تبارك وتعالى

غدوة وعشية .

٣ - الحسن البصرى :

=====

قال الحسن : لو علم العابدون انهم لا يموتون بهم في الآخرة لذابت

انفسهم في الدنيا .

٤ - علي بن المديني :

=====

قال علي : سلت عبد الله بن المبارك عن قوله تعالى " فمن كان يرجو

لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً " ١ " ، قال : من اراد النظر الى وجه خالقه

فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبره احداً .

٥ — هشام بن حسان :

=====

قال هشام : ان الله سبحانه وتعالى يتجلى لاهل الجنة ، فاذا رآه

اهل الجنة نسوا نعيم الجنة •

٦ — طاووس :

=====

قال طاووس : اصحاب المرء والمقاييس لا يزال بهم المرء والمقاييس

حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا اهل السنة •

٧ — عمر بن عبد العزيز :

=====

قال عمر : فان يتقوى الله نجا اولياء الله من سخطه ، وسها رافقوا

انبياءه ، وسها نضرت وجوههم ونظروا الى خالقهم •



٥ — من أقوال الائمة الأربعة . ونظرائهم وشيوخهم ، واتباعهم . . . . . ١

=====

١ — الامام مالك بن انس :

=====

قال مالك : الناس ينظرون الى ربه عز وجل يوم القيامة

بأعينهم . . . . لا ينظرون ما عنده ، بل ينظرون اليه نظرا .

٢ — عبد العزيز بن سلمة الماجشون :

=====

قال ابن الماجشون : فوب السماء والارض ليحملن رؤيته يوم

القيامة للمخلصين له ، ثوابا لينضربها وجوههم دون المجرمين ، وتفلح بها

حجتهم على الجاحدين ، وهم عن ربه يومئذ لمحجوبون لا يرونه كما زعموا انه

لا يرى ، ولا يكلمهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب اليم .

٣ — الامام محمد بن ادريس الشافعي :

=====

قال الشافعي في قول الحق سبحانه " كلا انهم عن ربه يومئذ

لمحجوبون " لما حجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على ان اولياءه

يرونه في الرضا . قال الربيع فقلت يا ابا عبد الله ، وتقول به ؟ قال نعم .

وبه الدين الله ، ولو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى الله عز وجل لما عده .

٤ — الامام احمد بن حنبل :

=====

قال الامام احمد : من لم يقل بالرؤية فهو جهلي . . . . ومن

قال ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله ونضبه .

٥ — ابو عبيد القاسم بن سلام :

=====

قال ابو عبيد : احاديث الرؤية عندنا حق رواها الثقات عن

الثقات الى ان صارت اليينا .

٦ — الامام محمد بن اسحق بن خزيمة :

=====

قال الامام ابن خزيمة : ان المؤمنين لم يخطفوا في ان المؤمنين

يرون خالقهم يوم المعاد ، ومن انكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

٧ — ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب :

=====

قال ابو العباس : اجمع اهل اللغة على ان اللقاء يوم القيامة

لا يكون الا معاينة ونظرا بالابصار .

” خاتمة ” :

=====

وهذا نعلم ان الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة معاينة ونظرا

بالابصار ، وهو ما دل عليه القران الكريم ، والسنة المتواترة الصحيحة واجماع

الصحابة ، واتفاق الائمة واهل التفسير واهل الحديث وائمة التصوف واهل اللغة

واتباعهم على طريقهم ومنهاجهم .

فلا يحق لاحد بعد هذا ان ينكر الرؤية التي اثبتها الله لنفسه

واثبتها له رسوله ، وصدق بها صحابته الاخيار ، وورثته من اهل العلم والتقوى .

ومن اعتقد غير هذا ، حق عليه قول ربنا ” كلا انهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون ” ، وكان يوم القيامة في المكان الدون وموقف الهون ،

ولا يحجب عن الرب الكريم الا المخدول المرذول الذليل المهين . كما قال

الشيخ محمد عبده رحمه الله آمين .

===

## الباب الثالث

=====

### " النبوات "

- يشتمل هذا الباب - بعد تمهيد يبين مجمل الامور التي يدور  
بحث النبوات حولها ، وموقعها في علم العقائد - على خمسة فصول :
- الفصل الاول : تعريف النبي والرسول
  - الفصل الثاني : حاجة البشر الى الرسالة
  - الفصل الثالث : الوحي وامكانه
  - الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام
  - الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن  
معجزة الاسلام الخالدة

تمهيد :

=====

قبل ان اعرض مذهب الشيخ محمد عبده في النبوات ، اري ان  
ابين اهمية البحث في النبوات ، واهم ما يدور البحث عنه فيها :  
وهو وجه ما يجب على المؤمن اعتقاده في الرسالة من حيث امكانها  
او وجوبها او امتناعها ، ثم اهي اصطفاء واجتباء منه تعالى ام لا ؟ ثم  
ما هو النبي والرسول ، وما صفاتهما ؟ وما هي المعجزة ؟ وكيف تدل على  
صدق صاحبها ؟ وما يجب للانبياء من صفات ، وما يستحيل عليهم ؟  
ثم وجوب الاعتقاد برسالة خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه  
وسلم ، والتصديق بما جاء به من عند ربه ، وان القران معجزة الاسلام الخالدة .

x

x

x

أهمية البحث في هذا الباب تأتي من جهة ان الاعتقاد ببعثة الرسل  
عليهم الصلاة والسلام احد اركان الاديان ، والتصديق بنبينا محمد صلى الله عليه  
وسلم ركن من اركان دين الاسلام .

فيجب على كل مؤمن ان يؤمن بالرسول ، وصحة ما جاءوا به من عند  
الله ، ويعتقد انهم مهلفون عن الله ما امروا بتبليغه ، بكل دقة وامانة . . .  
وان علينا تصديقهم في كل ما قالوه ، والاعتقاد بهم في سلوكهم ،  
وان نصدق بعلو فطرتهم ، وصحة عقولهم ، وسلامة ابدانهم ، مما تنهوا عنه الابصار  
، وتنفر منه الازواق السليمة . . .

اما فيما عدا ذلك من اكل وشرب ، ومشى ونوم ، وصحة  
ومرض . . . فنؤمن بأنهم بشر كسائر افراد البشر ، يعترهم ما يعترى غيرهم مما  
لا علاقة له بتبليغ الاحكام او الفرض من قبيلتها ، او التشكيك في صحتها . . . ١

ومن جهة اخرى ، فان النبوات هي طريق الوصول الى ما يجب اعتقاده  
في الاله وفي صفاته وفي افعاله ، وهي الوسيلة التي يمكن بواسطتها ان  
تتعرف على احوال الآخرة من الموت وما بعده من : بعت ونشور ،  
وعرض وحساب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار . . . الى آخره من الامور  
التي لا تعلم الا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولست هنا بصدد ذكرا قول العلماء واراؤهم في امر النبوات ، فليس  
ذلك موضوع بحثه .

ولكني سأقتصر على بيان آراء الشيخ محمد عبده في الموضوع ، مقارنة  
بآراء علماء السلف الصالح وضوان الله عليهم ، لانهم الحجة التي لا بد من  
الاسترشاد بها في كل بحث .

===

## الفصل الاول : " النبي والرسول "

=====

### ١ - تعريف النبي والرسول :-

===== بين الشيخ محمد عبده في " رسالة التوحيد "

النبي والنبوة ، والرسول ، والرسالة .

لكنه لم يوضح تعريفا محددًا لمعنى النبي ، والرسول .

وفي تعليقه على " شرح الدواني على العقائد العضدية " ذكر تعريف

النبي ، والرسول ، وبين الفرق بينهما .

اولا : يقول في " رسالة التوحيد " :

=====

١ - " النبي " : انسان يستعان به في تحديد احكام الاعمال ، وتعيين

الوجه في الاعتقاد بصفات الالهية ، ومعرفة ما ينهي ان يعرف من احوال

الاخرة .

والنبوة تحدد ما ينهي ان يلحظ في جانب واجب الوجود من

الصفات ، وتحدد انواع الاعمال التي تنال بها سعادة الانسان في الدارين .

٢ - " الرسول " : انسان ارسله الله لتبليغ الناس ما امر بتبليغه ، من تنزيه

لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده ، وتفصيل لاحكامه في فضائل اعماله

وصفات يطالبهم بها ، وفي مطالب فعال وخلاق ينهاهم عنها .

والرئاسة: بعثة الرسل لتبليغ شي من العقائد والاحكام عن الله خالق الانسان

وموفيه ما لا غنى له عنه . " ٢ " .

---

١ - رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٩٧ و ٣٩٨ )

٢ - نفس المرجع ص ٤٠٠ .

ثانياً :

==== يقول في " تلميحه على شرح الدواني على العقائد المضدية " :

( واقول : قد يعرف النبي بانسان فطر على الحق طما وعملا ،  
اي بحيث لا يعلم الا حقا ، ولا يقول الا حقا ، على مقتضى الحكمة ، وذلك  
يكون بالفطرة ، اي لا يحتاج فيه الى الفكر والنظر ، ولكن التعلیم الالهي .  
فان فطر ايضا على دعوة بني نوحه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا  
والا فهو نبي فقط وليس برسول ) . " ١ "

" الراى في كلام الشيخ محمد عبده "

=====

أقول : كلام الشيخ محمد عبده في معنى النبي والرسول ، فيه

الصحيح الذى يقبل وفيه الخطأ الذى لا يقبل .

فالصحيح ما ورد في رسالة التوحيد .

أما الخطأ فقولہ : ان النبي انسان فطر على الحق طما وعملا بحيث

لا يعلم الا حقا ، ولا يحمل الا حقا ، على مقتضى الحكمة . وذلك يكون بالفطرة . .

فان فطر ايضا على دعوة بني نوحه الى ما جبل عليه فهو رسول ايضا ،

والا فهو نبي فقط وليس برسول .

ووجه الخطأ فيه يأتي من حيث انه غير ما نوح من دخول غير النبي فيه ،

مثل الاولياء ، فانهم مغطورون على الحق ، بل الاطفال " ٢ " مغطورون على الحق ،

---

١ - انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٣ ، ٤ ) .

٢ - اللهم الا اذا اراد الشيخ محمد عبده بقوله ( انسان ) : يعني كامل

الانسانية ، والاطفال ليسوا كاملين في الانسانية ، ولذلك لا يهت

الانبياء الا في سن متأخرة .

بشهادة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة •  
فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه • كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل  
تحسون فيها من جدعاء ؟ " • " ١ "

سئل شيخ الاسلام احمد بن تيمية عن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم  
" كل مولود يولد على الفطرة " فقال " ٢ " ؛ ( على السلامة من الاعتقادات  
الباطلة والقبول للمقائد الصحيحة ) •  
ومن جهة اخرى فان الشيخ محمد عبده لا يشير في تعريف النبي الى  
اختيار الله له • وانزال الوحي عليه •  
ويبدو ان هذا قد جلب له التهمة •••  
يقول احدهم : " ٣ "

" ( اذا علمت هذا — يقصد ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول —  
فسوف لن نؤخذ او نتخذ بالتعريف العجيب الذي اخترعه الشيخ محمد عبده للنبي ••  
وانت في غنى عن ان اطلق شيئا على هذا الاختراع العجيب لمعنى  
النبوة •••

كما انك في غنى عن ان اكشف لك السر الذي دعاه الى ان يستعمل  
كلمة " الفطرة " في التعريف بدلا من كلمة " الوحي " التي اطبق المسلمون  
كلهم منذ عصر النبوة الى عصرنا هذا على اتخاذها قيدا اساسيا في تعريف النبي ) " ٤ "

- 
- ١ — متفق عليه • رواه البخارى ومسلم عن ابي هريرة • وقد روى الحديث بالفاظ  
اخرى منها :  
" كل انسان تلده امه على الفطرة " / انظر صحيح مسلم • باب القدر  
" كل نسمة تولد على الفطرة " / انظر صحيح البخارى • كتاب  
الجنائز •
  - ٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٤ : ٢٤٥ ) • الطبعة الاولى •  
١٣٨١ هـ •
  - ٣ — الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كتابه : كبرى اليقينيات الكونية •  
ص ١٩٤ • ١٩٥ •
  - ٤ — انظر كتاب : موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ومجاهد المرسلين •  
للاستاذ مصطفى صبرى ( ٤ : ٤٠ ) •



ويبدو ان الذي قاد الشيخ محمد عبده الى هذا التعرف ، هو عقله  
الذي اعتمد عليه كثيرا ، وعول عليه تمويلا يجعله في عداد المخالين في قيمة  
العقل الذين يذهبون الى ان العقل قادر على ادراك كل شيء ، وكفيل بحل  
جميع المشاكل . . .

ولقد بين الاستاذ سليمان دنيا هذا ، وعقب على كلام الشيخ محمد عبده  
في هذه المسألة .

قال :

( ونقدى ان المسألة ليست مسألة تواضع واصطلاح ، ولكنها

محاولة اكتشاف لمراد الله تعالى من الفاظ وردت في كتبه المقدسة .

مثل قوله تعالى : " ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم

النبيين " . " ١ " )

فعلام اعتمد الشيخ محمد عبده في ان تفسيره هذا ، لمعنى " النبي "

ومعنى " الرسول " يمكن ان يكون مراد الله من هاتين الكلمتين ؟

ان المعنى - في ذاته - معنى لطيف ، ولو كانت المسألة مسألة تواضع

واصطلاح ، لما وجدت اية غضاظة في قبوله والتسليم به ، ولكنها مسألة

" تعرف " مراد الله ومراد رسوله من كلمتي " النبي " و " الرسول " حين

يستعملانها .

ثم لو كان مراد الشيخ محمد عبده ، ان لنا ان نطلق لفظتي " النبي "

و " الرسول " على من ذكرهم من الناس ، بصرف النظر عن اماكن انطباق المعنى

الشرعي عليهم ، او عدم امكانه .

هل يكون في وسع الشيخ محمد عبده ان يحكم بأن هذا النوع من الانبياء

والرسل ، جائز وجوده ، بعد قبض سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ام يعتبر

رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونهوته نهاية ايضا لذلك النوع من الانبياء والرسل ؟  
ان الاعتماد على العقل وحده ، لا يمكن من الذهاب الى هذا الراى ،  
او ذاك ، فماذا لدى الشيخ محمد عبده - سوى العقل - يرد له القول بهذا  
الراى ، او ذاك ؟ .

ثم ماذا عسى ان يكون " الحق العملي " الذى يفطر عليه من يسميه  
الشيخ محمد عبده " نبيا " او " رسولا " ؟ هل يقتصر على ما يسمى  
" الاخلاق الفاضلة " ؟ ام يتجاوز ذلك الى دائرة " التحليل والتحريم وضروب  
العبادات " ؟ .

كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده في هذا كله . . . فلعله  
ذكره في غير هذا الكتاب ، اولعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من تلاميذه ،  
اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يعول على التلقين والتعليم الشفهي اكثر مما  
يعول على التأليف والتدوين ) . " ١ "

اقول : " ٢ " لعل ما عند الشيخ محمد عبده في هذا . . . ان من  
الناس من خلقهم الله اقدر على تحمل المسؤولية من غيرهم ، والصر على ما يلاقونه  
من اذى ، وعندهم استعداد كاف لتلقي الاوامر الالهية وتبليغها الى الناس ،  
وهؤلاء هم المصطفون الاخيار ، انبياء الله ورسله .

نعم . لو اراد الشيخ محمد عبده هذا لكان صحيحا ، والشواهد  
عليه كثيرة من القران والسنة ، كما سيأتي بعد قليل بان الله تعالى .

---

١ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ٣٩ ، ٤٠ ) .  
٢ - يؤيدني في هذا كلام للشيخ محمد عبده سيأتي عند الحديث عن امكان  
حصول الوحي اذكر منه قوله : ( ان من النفوس البشرية ما يكون لها من  
نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تعتمد به من محض الفيض الالهي لان متصل  
بالافق الاعلى ) .

اهود الى ما ورد في رسالة التوحيد ، وأؤكد صحة ما ذهب اليه  
الشيخ محمد عبده في معنى " النبي " و " الرسول " .  
وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده هو عين مذهب السلف رضي الله  
عنهم ، وهو ما قرره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . وغيره من العلماء .  
ولكى يتبين ذلك ارى ان اعرض باختصار معنى النبوة والرسالة عند  
جمهور العلماء ، وائمة السلف ، في اللغة وفي لسان الشرع ، وابين الفرق بينهما  
والراجع من كلام العلماء في هذه المسألة .

١ - معنى " النبي " و " الرسول " في اللغظة :

=====

أ : - معنى النبي :

=====

قال علماء اللغة : لفظ " النبي " مأخوذ من النبا ، ومعناه

الخبر .

ورد في القران النبا بمعنى الخبر ، قال تعالى : " فلما نبأها به

قالت من انباءك هذا قال نباي الحليم الخبير " . ١

وجمعه : انبياء ، ونبيون ، ونباء ، وانباء . ٢

وقد ورد الجمع في القران بلفظ انبياء ، ونبيون .

قال تعالى : " قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين " . ٣

وقال تعالى : " فبعت الله النبيين مبشرين ومنذرين " . ٤

---

١ - سورة التحريم اية ( ٣ ) .  
٢ - انظر لسان العرب ( ٢٠ : ١٧٣ ) ، ومصجم معن اللغة ( ٥ : ٣٩١ )  
وترتيب القاموس المحيط ، للطاهر احمد الزواوي ( ٤ : ٣١٨ ) ،  
وتاج الصروس ( ١٠ : ٣٥٤ ) .  
٣ - سورة البقرة اية ( ٩١ ) .  
٤ - سورة البقرة اية ( ٢١٣ ) .

وقيل ان لفظ " النبي " مأخوذ من النهوة ، او النبأة ، وهي ما

ارتفع من الارض وعلا .

فيكون معنى " النبي " : العالي ، والمرتفع المنزلة ، اى انه شرف

على سائر الخلق .

وقيل " النبي " هو الطريق . ففي الله هو الطريق الموصل اليه . " ١ "

او العلم الذى يهتدى به الناس .

ويمكن الجمع بين الاقوال بأن " النبي " هو من أنبأه الله بخبر السماء ،

لسمو مكانته ، وطو شأنه ، وبه يهتدى الناس الى معرفة الله تعالى .

والقول الاول اصح ، لان الغيبي في الاصل انما قيل مضافا الى الله ،

فيقال : نبي الله . ثم عرف باللام ، فكانت اللام تعاقب الاضافة .

قال تعالى : " نبي عبادى انى انا الشفور الرحيم " . " ٢ "

وقال تعالى : " ونبتهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب مختصر " . " ٣ "

ومعناه فى الايتين : اخبرهم وبلغهم .

واختلف العلماء : هل النبي بمعنى " مفعول " اى منبأ ، لان الله

نبأه ، او بمعنى " فاعل " اى منبئ ؟

قال ابن تيمية : الاول اجود ، لانه اذا نبأه الله فهو نبي الله .

سواء أنبأه بذلك غيره ، او لم ينبئه ، فالذى صار النبي به نبيا ان ينبئه الله ،

وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره . " ٤ "

١ - انظر : النبوات لابن تيمية ص ٢٢٢ ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢ - سورة الحجر اية ( ٤٩ ) .

٣ - سورة القمر اية ( ٢٩ ) .

٤ - النبوات ص ١٧٧ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ .

ومال المفسر " الالوسي " " ١ " الى القول الثانى وقال في تفسير  
" الرسول " انه الذى ارسله الله لتبليغ الاحكام ، اما النبي فهو الذى انبأ الخلق  
عمن الله . " ٢ "

وارجح ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، لما ذكره ، وصح تأييد  
اللفظة له " ٣ " .

ب : — معنى الرسول ، لفظة : —

=====

قال علماء اللفظة : الرسول بمعنى المرسل ، بفتح السين ، ويكون

بمعنى الرسالة ،

قال تعالى : " فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين " . " ٤ "

وقال تعالى : " فأتياه فقولا انا رسولا ربك " . " ٥ "

فقال في الاية الاولى " انا رسول " ، وفي الثانية " انا رسولا "

لان فعولا وفميلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، مثل عدو ،

وصديق " ٦ " ومن انشه ، جمعه ارسالا ، وهو الذى يتابع اخبار من بعثه ،

ماخوذ من

قولهم : جاءت الابل ارسالا اى متتابعة . " ٧ "

- 
- ١ — محمود الالوسي ، مفسر ، ومحدث ، واديب ، من المجددين من اهل بغداد ، سلفي الاعتقاد ، له من الكتب : روح المعاني ، وغرائب الاعتراب ، ومقامات في التصوف ، مات سنة ١٢٧٠ هـ .  
انظر الاعلام للزركلى ( ٨ : ٥٣ ) .
  - ٢ — تفسير روح المعاني للالوسي ( ٩ : ٦٩ ) ، ادارة الطباعة المنيرية .
  - ٣ — انظر لسان العرب ( ٢٠ : ١٧٣ ) ، وتاج العروس ( ١٠ : ٣٥٤ ) .
  - ٤ — سورة الشعراء اية ( ١٦ ) .
  - ٥ — سورة طه اية ( ٤٧ ) .
  - ٦ — انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ .
  - ٧ — انظر مختار الصحاح ص ٢٤٢ ، ومعجم من اللفظة ( ٢ : ٥٨٦ ) .

قال الراغب : الرسول معناه المنهث ، وهو مأخوذ من الرسل بسكون

السين اي الانهث على التثنية . " ١ "

وجمعه يأتي على رسل ، وارسل ورسلا ، ولم يرد في القرآن الا

الاول ، قال تعالى " ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم " . " ٢ "

قال ابن تيمية : الرسول في الاصل انما قيل مضافا الى الله ، فيقال رسول

الله .

ثم عرف باللام فكانت اللام تعاقب الاضافة ، ورسول فعول بمعنى مفعول ،

اي مرسل .

فرسول الله الذي ارسله الله . " ٣ "

وبناء على ما سبق يكون معنى الرسالة : ان يرسل الله انسانا الى عباده ،

ويوجهه اليهم ليبلغهم ما انزل اليه من ربه .

٢ - معنى " النبي " و " الرسول " في الشرع :

=====

اختلف العلماء في تحديد معنى النبي ، والرسول ، هل هما بمعنى

واحد ، فالنبي هو الرسول ، والرسول هو النبي ، ولا فرق بينهما ؟ ام

انهما مختلفان في الاصطلاح فللنبي معنى غير معنى الرسول ؟ . . . . ؟

فمن العلماء من لم يفرق بينهما ، ومنهم من فرق بينهما بفرق نذكرها بعد

قليل ان شاء الله تعالى .

---

١ - المفردات في غريب القرآن ص ١٩٥ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ،

الناشر مصطفى الباوي ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٢ - سورة النساء اية ( ١٦٤ ) .

٣ - النبوات ص ١٧٧ ، طبعة القاهرة ١٣٨٦ هـ .

والذين لم يفرقوا بين النبي والرسول حجبتهم عدم ورود نص صريح يفرق

بينهما في المعنى .

وان كثيرا من النصوص خاطبت اصحابها مرة بالنبي ، ومرة بالرسول ،

كقوله تعالى :

" يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما " ١

وقوله تعالى : " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك " ٢

وايضا في كثير من النصوص يشترك النبي ، والرسول في التبشير والانذار .

قال تعالى : " فهت الله النبيين مبشرين ومنذرين " ٣

وقال تعالى : " وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين " ٤

واصحاب هذا القول فسروا النبي بالرسول ، وعرفوها : بانسان بعثه

الله لتبليغ ما اوحى اليه من ربه " ٥

اما الذين فرقوا بين النبي ، والرسول فقد استشهدوا على ذلك بآيات

تدل على تباينهما في المعنى ، منها :-

أ : — قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " ٦

---

١ — سورة الاحزاب اية ( ١ ) .

٢ — سورة المائدة اية ( ٦٧ ) .

٣ — سورة البقرة اية ( ٢١٣ ) .

٤ — سورة الانعام اية ( ٤٣ ) .

٥ — انظر : جامع البيان للطبري ( ٢ : ٣٣٦ ) ، ( ٣ : ٢١٥ ، ٢٥٧ )

الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .

وانظر : مقاصد الطالبين وشرحه لسعد الدين التافتازاني ( ٢ : ١٢٨ )

طبعة سنة ١٢٧٧ هـ .

٦ — سورة الحج اية ( ٥٢ ) .

وجه الاستدلال :

=====

عطف الحق سبحانه وتعالى كلمة نبي على كلمة رسول ، وعطفها يدل على  
تفانيهما في المعنى ، والا لكان تكرارا لا حاجة اليه ، واختلاف الاسماء يدل  
على اختلاف المسميات في الغالب .

ب :- قوله تعالى : " واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا " ١  
وقوله تعالى : " واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد وكان  
رسولا نبيا " ٢

وقد استدلوا بهذه الايات على نحو الاستدلال بالاية السابقة ،  
لكن الايتين الاخيرتين ليس فيهما شاهد على المفارقة بين النبي ، والرسول  
مثل ما في قوله تعالى : " وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي " .  
وهؤلاء العلماء اختلفوا في تحديد الفرق بين النبي ، والرسول ،  
فقال بعضهم : النبي انسان بحسه تلك لتبليغ ما اوحى اليه ، فان كان له شريعة  
وكتاب وكتاب فهو رسول ايضا . فان لم يكن له شريعة ولا كتاب ، فهو نبي  
يقتدى به الناس .

وقال بعضهم : الرسول من له كتاب ، او نسخ لبعض احكام الشريعة السابقة ،  
والنبي يخلو من ذلك .

وقد حكى هذين القولين سعد الدين التافتا زاني عن بعض العلماء . ولم  
يذكر اسمهم .

وقال بعض الاشاعرة " ٣ " من اتى بشرح جديد سواء كان على الابتداء او نسخا لبعض  
احكام شريعة تقدمت فهو رسول والا فهو نبي .

---

١ - سورة مريم اية ( ٥١ ) .

٢ - سورة مريم اية ( ٥٤ ) .

٣ - منهم ابو منصور البخدادي . انظر اصول الدين ص ١٥٤ .



ونسب الى الجاحظ " ١ " من المعتزلة قوله : ان الرسول هو المهتدى بوضع الشرائع  
والاحكام ، والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره . " ٢ " .  
وحكى الماوردي في " اعلام النبوة " قولاً لم ينسبه لاحد وهو ان الرسول  
هو الذي ينزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو الذي يوحى اليه في نومه . " ٣ " .  
اقول :

هذه بعض اقوال العلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول .  
واني احب ان اذكر رأى السلف في المسألة ، والرأى المختار فيها . . . .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية :

( الرسول من ارسل الى من خالف امر الله ليلغفه رسالة من الله .  
والنبي من كان يحمل بشريعة من قبله ولم يرسله الله الى احد ليلغفه  
عنه ) . " ٤ " .

قال شارح الواسطية :

( الرسول في لسان الشرع انسان ذكر حى اوحى اليه بشرح وامر بتبليغه ،  
فان اوحى اليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبي ، فكل رسول نبي ولا العكس ) . " ٥ " .  
قال شارح الطحاوية :

( وقد ذكروا فرقا بين النبي والرسول : واحسنها :

ان من نبأه الله بخبر السماء : ان امره ان يبلغ غيره فهو نبي رسول .  
وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .  
فالرسول اخص من النبي ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ) . " ٦ " .

- 
- ١ — ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، والجاحظ لقب غلب عليه ، مات سنة ٢٥٥ هـ .
  - ٢ — انظر اعلام النبوة ، للماوردي ص ٣٨ .
  - ٣ — كتاب النبوات ص ١٧٢ ، ١٧٣ .
  - ٤ — شرح العقيدة الواسطية ، لهراس ص ٩ ، ١٨ .
  - ٥ — شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧ .

واني افضل ما استحسنته شارح العقيدة الطحاوية ، وهو ان من نأه

الله بخبر السماء :

• ان اموه ان يبلغ غيره فهو نبي رسول .

• وان لم يأمره ان يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول .

وهذا الذي اختاره ، هو التعريف الواضح للنبي والرسول ، وهو

الذي مال اليه كثير من العلماء المعاصرين ، الذين كتبوا في النبوة والانبياء . " ١ "

واقول :

• ان تعريف ابن تيمية رحمه الله للنبي والرسول ، فيه مجال لتعقيب . .

• وسأعقب عليه ، بناء على ما ذكره العلماء في تعريف النبي والرسول :

• ان الذي يفهم من كلام شيخ الاسلام ان الرسول مكلف من قبل الله تعالى

• بتبليغ ما اوحى اليه الى قوم مخالفين غير مؤمنين .

• اما النبي فهو يبلغ الى قوم مؤمنين موافقين . . .

يقول : ( الانبياء ) يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرونه المؤمنين الذين

عندهم لكونهم مؤمنين بهم ) . " ٢ "

---

١ - انظر الوحي المحمدي ص ٤٣ ، الطبعة السادسة ١٣٢٥ هـ .

• وانظر العقيدة الاسلامية واسمها ، الطبعة الثانية ص ٢٩٧ - ٣٠١ .

• وانظر تفسير المنار ، الطبعة الثانية ( ٩ : ٢١٧ ) ، دار المنار

• ١٣٦٧ هـ .

• وانظر النبوة والانبياء للصابوني ، ص ١١ ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ

• وانظر نبوة محمد في القران ص ٤٥ - ٥٠ ، الطبعة الاولى ،

• لحسن عتر .

٢ - النبوات ، لابن تيمية ص ١٧٣ .

وهذا من شيخ الاسلام غير مقبول ، ولا اسلم له به :  
لان القران الكريم صرح في بعض الايات ان الانبياء ايضا خالفهم اقوامهم ،  
واذوهم ، وقتلوا بعضهم . . . . مما يدل على انهم انما بحثوا الى اقوام معاندين ،  
الا القلة منهم .

قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين " ١ .  
وقال تعالى : " وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن " ٢ .  
وقال تعالى : " ذلك بأنهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق  
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " ٣ .

ويظهر لي ان هذه الايات ، وغيرها ، تدل على ضعف ما قاله شيخ

الاسلام - والله اعلم -

واني اختار ما توصل اليه شارح العقيدة الطحاوية ، لان النبي : هو  
من نبأه الله بخبر السماء ولم يأمره ان يبلغ غيره ، بمعنى انه يعمل بما نبأه الله  
بخصوص نفسه ، ولا دخل له في تليفه لغيره .

والرسول : هو من نبأه الله بخبر السماء وامره ان يبلغ غيره .

وهذا هو قول كثير من السلف ، وقد طال اليه كثير من العلماء كشارح العقيدة

الطحاوية ، وشارح العقيدة الواسطية ، وصاحب المنار ، وغيرهم .

وهذا نعلم ان الشيخ محمد عبده ، مع هؤلاء العلماء ، فان كلامه في

" رسالة التوحيد " يفيد هذا ، فنأخذ به ، ونُدع ما قاله في تعليقه على

" شرح الدواني على العقائد المضدية " .

ان المسألة مسألة شرعية يواد منها معرفة مراد الله سبحانه ، ومراد

رسوله صلى الله عليه وسلم حين يستعملان كلمتي : النبي ، والرسول .

١ - سورة الفرقان اية ( ٣١ ) .

٢ - سورة الزخرف اية ( ٧ ) .

٣ - سورة البقرة اية ( ٦١ ) .

وليس المسألة مسألة تواضع واصطلاح حتى يقول كل بما يريد . " ١ "

---

١ - وحاصله : ان من العلماء من لم يفرق بين النبي والرسول من حيث المفهوم .

ومنهم من فرق بينهما ، وابتدع بين النبي والرسول في شخصية واحدة .  
والذي ارجحه ان بينهما فرق ، كما قلت : ، وان بينهما  
عموما وخصوصا مطلقا ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا .  
والله اعلم .

٢ - صفات الانبياء :

=====  
يرى الشيخ محمد عبده ان الانبياء يؤيدون  
من العناية الالهية ، بما لا يعهد في غيرهم ، وانهم عالوا الفطرة ، صحيحوا  
المقول ، ومتصفون بالصدق والامانة ، ومعصومون عن كل ما لا يليق بحقام النبوة .  
ومع ذلك فهم بشر يعترضهم ما يعترض غيرهم من اكل وشرب ، ونوم  
وسهو ، ونسيان فيما لا علاقة له بتبليغ الاحكام . ومرض ، وقد تمتد اليهم ايدي  
الظلمة ، وينالهم الاضطهاد وقد يقتلون .

وقد عطل الشيخ محمد عبده وجوب هذه الصفات للانبياء ، فقال :

( واما وجوب تلك الصفات المقدمة للانبياء فلا نهم لو انحطت فطرهم  
عن فطرا اهل زمانهم ، او من عقولهم شيء من الضعف لما كانوا اهلا لهذا الاختصاص  
الالهي الذي يفوق كل اختصاص : اختصاصهم بوحيه ، والكشف لهم عن اسرار علمه ،  
ولو لم تسلم ابدانهم عن المنفورات لكان انزعاج النفس لمرآهم حجة للمتكرفي انكار  
دعواهم .

ولو كذبوا او خافوا او قبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ، ولكانوا مغليين لا مرشدين  
فتذهب الحكمة من بحثهم . والامر كذلك لو ادرتهم السهو او النسيان فيما عهد  
اليهم بتبليغه من العقائد والاحكام .

اما وقوع الخطأ منهم فيما ليس من الحديث عن الله ولا له مدخل في

التشريع فجوزه بعضهم ، والجمهور على خلافه .

وما ورد من مثل ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن تأبير النخل ثم

اباحه لظهور اثره في الاثمار ، فانما فعله عليه الصلاة والسلام ليعلم الناس ان

ما يتخذونه من وسائل الكسب وطرق الصناعات فهو موكول لمعارفهم وتجاربهم ،

ولا حظر عليهم فيه ما دامت الشرائع مرعية والفضائل محمية .

وما حكاه الله من قصة آدم وعصيانه بالاكل من الشجرة فما خفي فيه سر

النهي عن الاكل ، والمواخذة عليه . وغاية ما علمناه من حكمته انه كان سببا لعمارة

"١"  
الارض ببني آدم (٠٠٠) "٢"

" مناقشة كلام الشيخ محمد عبده وتقرير مذهب السلف في صفات الانبياء " :

=====

لا شك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة الخلق ، وخيارهم ،  
وهم النخبة الممتازة من البشر ، اصطفاهم الهاري عز وجل لاداء مهمة عظيمة ،  
تسعد الناس ، وتخرجهم من الظلمات الى النور .

قال تعالى : " انا اخالصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن

المصطفين الاخير " . "٣"

اليد

وقال تعالى في وصفهم : " وكل من الاخير " . "٤"

فهم صفوة البشر ، وخيرتهم بلا نزاع .

ولكن الشيخ محمد عبده بهذا التمييز الذي ذكره وهو قوله : ( النبي

مفصوم عن كل ما يشوه السيرة البشرية ) . وضعهم في المستوى العام للبشر .

نعم ، انهم بشر ، ولكنهم في اعلى مستوى البشرية ، فعبارته السابقة

تجعلهم في مستوى البشر ، ونحن نريد هم في مستوى بشري ولكنه اعلى طبقة في

هذا المستوى .

---

١ - لعله يقصد انه سببا معجلا . والا فآدم مخلوق لعطارة الارض سواء اكل من

الشجرة او لم يأكل بحيثف قول الله لللائكة " اني جاعل في الارض خليفة "

البقرة اية ( ٣٠ ) .

٢ - رسالة التوحيد ، الموجودة ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٠٠ - ٤٠٣ )

بتصرف .

٣ - سورة ص الايات ( ٤٦ - ٤٧ ) .

٤ - سورة ص الاية ( ٤٨ ) .

وبقية كلام الشيخ محمد عنده في صفات الانبياء عليهم السلام ، حق ، وهو  
مذهب علماء السلف وائمتهم ، وجمهور المتكلمين ، واهل الحديث .  
١ : — فبالنسبة لصفة الذكورة فقد جعلها العلماء شرطا من شروط النبوة ،  
وارجبوا توفرها في الانبياء محتجين بالنقل والعقل .

اما النقل :

=====  
تقد قال تعالى : " وما ارسلنا من قبلك الا رجالا

نوحى اليهم " . " ١ "

وقال تعالى : " وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى

اليهم " . " ٢ "

وجه الاستدلال :

=====  
قال العلماء : هاتان الايتان صريحتان في ان الرسالة لا

تكون الا للرجال ، وان لا يوحى الى النساء .

واما العقل :

=====  
تقد قال العلماء ان من شرط النبوة كمال العقل ،

والنساء ناقصات عقل لا يصلحن للنبوة .

يشهد لهذا قوله تعالى : " واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا

رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تفضل احداهما فتذكر احداهما

الاخرى " . " ٣ "

ويشهد له ايضا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما رايت من ناقصات

عقل ودين اغلب لذي لب منكن " . " ٤ "

---

١ — سورة النحل اية ( ٤٣ ) .

٢ — سورة الانبياء اية ( ٧ ) .

٣ — سورة البقرة اية ( ٢٨٢ ) .

٤ — متفق عليه ، رواه البخارى ( ١ : ٨٠ ) ، ورواه مسلم ( ١ : ٨٧ )

واللفظ لمسلم .

وايضا : فان الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة ، ومقابلة الناس ،  
واظهار المعجزات ، وتحمل الاذى ، والصبر على الشدائد مما لا يقوى عليه النساء ،  
لان انوثتهن تقتضي ان يستترن ولا يخرجن بين الرجال ، وان لا يتحطن هذا النوع  
من التكليف الالهي ، وان يقوين امام ما يعترض مهمة الرسل من المصاعب والالام .  
وايضا فقد اجمع الفقهاء على ان النساء لا يولين امارة ، ولا يقضين  
بين الناس ، فكيف يصلحن للرسالة ؟

ب : — والنسبة لملو الفطرة وكمال العقل : فلان الانبياء لا بد ان يكونوا قادرين  
على تحمل المسؤولية وعندهم الاستعداد الكافي لتوصيلها للناس ، وتحمل ما  
يترتب على ذلك من تسمية الناس له او مناوئتهم لهم ،  
” صدق الله تعالى ان يقول : ” الله اعلم حيث يجعل رسالته ” .

واما بالنسبة لكمال العقل : فلان النبي ما يوحي اليه كاملا ، ويبلغه  
للمناس تاما .

ولان نقص العقل قاذح في صحة ما تؤخذ عنه ، ومشكك في صدق الانبياء .  
ولان اقناع الناس يحتاج الى كمال عقل من يتصدى للاقناع .

ج : — والنسبة للصدق : فلا بد ان لا يجوز ان يكون النبي كذابا ، والا لفضحه  
الله ، وكشف حقيقته للناس ، ولانه لا يصح ان يكذب في دعوته ويطلب من الناس  
ان يصدقوه . ولان الكذب من العيوب الذميمة في حق غير الانبياء ، فكيف بالانبياء  
وهم قدوة الناس في الاخلاق الحميدة ، وفي قدمتها الصدق .

د : — والنسبة للامانة : فلان الخيانة تنافي حكمة الرسالة ، وهي التبليغ ،  
ولان الخيانة من الفعال الذميمة في حق غير الانبياء ، فهي بالنسبة للانبياء اشد واقبح ،  
ومن لم يؤده الامانة لم يبلغ الرسالة ، وصدق الله العظيم ان يقول :



” وما كان لنبي ان يفلح ومن يفلح يأت بما غل يوم القيامة ” ١

هـ : — والنسبة لسلامة الانبياء من العيوب والعياهات ، مما تلهو عنه الابصار ،  
وتنفرد منه الانواق السليمة ، فلا من عمل الانبياء يقتضي الاجتماع بالناس والتحدث  
اليهم . . .

وايضا فلا يصح ان يتصف الانبياء بالعيوب المعنوية كالغلظة والفظاظة

في المعاملة حتى لا ينفذ الناس عنهم ، وصدق الله العظيم ان يقول :

” ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ” ٢

ولا يجوز في حق الانبياء ان يتصفوا بالعيوب التي تطعن في الشرف ،

وتخل بالمرؤة ، وتقدح في النسب ، لان الناس من طاعتهم ان يحقروا من يتصف

بشيء من هذه الصفات ، ولو كان من العامة . فكيف بصفوة الناس وخيرتهم .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : ” انا خيار من خيار من خيار ” ٣

و : — والنسبة للحصنة من الذنوب ، فهم معصومون من الذنوب كلها ، وان

ما يراه البعض ذنوبا في حق الانبياء ، فهي ذنوب في الظاهر ، وليست ذنوبا في

الواقع ، يوقعهم الله فيها ليعلم الامة احكامها .

فهي طريق الى التشريع كما حدث في قصة اسرى بدر ، وفي قصة الاعص

وفي اذنه صلى الله عليه وسلم لبعض من تخلفوا عن غزوة تبوك . . . الخ

والى هذا ذهب الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء ، وهو الصواب —

” ٤ ”

والله اعلم — وهو مذهب كثير من علماء السلف ، وائمتهم ، واهل السنة من المسلمين .

١ — سورة ال عمران اية ( ١٦١ ) .

٢ — سورة ال عمران اية ( ١٥٩ ) .

٣ — متفق عليه .

٤ — انظر : النبوات لابن تيمية ص ١٠٧ ، ١٠٨ / وانظر المواقف وشرحه

( ٣ : ٢٠٤ ، ٢٠٥ ) .

وانظر : الجامع لاحكام القران للقرطبي ( ١ : ٣٠٨ ) / وانظر شرح العقيدة

الواسطية ص ١٩ .

وعليه استقر علماء العقيدة في العصر الحاضر "١" وهو ما ندين الله تعالى به .

صدق الله العظيم ان يقول :

" اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم ومن حملنا مع

نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتهدنا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن

خروا سجدا وبكيا "٢" .

مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم :-

=====

ومما يناسب المقام الذي نحن فيه ذكر مسألة سحره صلى الله عليه

وسلم التي كان للشيخ محمد عبده فيها رأى تآثر فيه بالمعتزلة ، وبغيرهم تبعا

لهم مثل الجصاص ، والعلامة الطبرسي . "٣"

فقد انكر الشيخ محمد عبده الحديث الصحيح الذي رواه البخارى

وبغيره من اصحاب الصحاح المشتمل على ان " لبيد بن الاعسم " - اليهودى -

سحر النبي صلى الله عليه وسلم .

لقد رفض الشيخ محمد عبده ما جاء في هذه المسألة ، وقال :-

( وقد رواها ههنا احاديث في ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن

الاعسم ، وأثر سحره فيه حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وهو لا يفعله ،

او يأتي شيئا وهو لا يأتيه ، وان الله انبأه بذلك ، واخرجت مواد السحر من

بئر ، وعوفي صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة . "٤"

---

١ - انظر النبوة والانبياء ، ابو الحسن الندوى ص ٥٧ - ٦٠ / والنبوة والانبياء

للصابوني ص ٤٩ / وانظر العقائد الاسلامية السيد سابق ص ١٨٠ .

الطبعة الثانية / وانظر الوحي المحمدي ص ٤٣٦ و ٤٧٤ / وانظر العقيدة

الاسلامية واسسها ص ٣٧٨ - ٣٩٤ / وانظر نبوة محمد في القرآن ص ٢٤٩

وما بعدها .

٢ - سورة مريم آية ( ٥٨ ) .

٣ - انظر تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ، لرشيد رضا ص ١٣١ .

٤ - يعني سورة " الفلق " .

ولا يخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الاموالى  
ان يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الامراض في الابدان  
ولا من قبيل عرض السهو والنسيان في بعض الامور المادية . بل هو ما س بالعقل ،  
آخذ بالروح ، وهو ما يصدق قول المشركين فيه : ( ان تتبعون الا رجلا مسحورا ) .

وليس المسحور عندهم الا من خولط في عقله وخيل له ان شيئا يقع وهو  
لا يقع ، فيخيل اليه انه يوحى اليه ، ولا يوحى اليه .  
وقد قال كثير من العقلاء من الذين لا يعقلون ما هي النبوة ، ولا  
ما يجب لها : ان الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به ،  
وعدم التصديق به من بدع المتدعين ، لانه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء  
القران بصحة السحر .

فانظر كيف يتقلب الدين الصحيح ، والحق الصريح في نظر العقلاء  
بدعة ، ونعمون بالله . . . يحتج بالقران على ثبوت السحر ، ويعرض عن القواعد  
في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ،  
ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك ، مع ان الذى قصده المشركون ظاهر ،  
لانهم كانوا يقولون : ان الشيطان يلابسه عليه السلام ، وملابسة الشيطان  
تعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضرره ، وهو بعينه اثر السحر الذى نسب  
الى " لهيد " فانه خولط في عقله وادراكه في زعمهم .  
والذى يجب اعتقاده ان القران مقطوع عنه ، وانه كتاب الله بالتواتر  
عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يشتهه ، وعدم  
الاعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول باثبات حصول  
السحر له الى المشركين اعدائه ، ويختمهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور  
قطعا .

واما الحديث ، فعلى فرض صحته ، هو احاد ، والاحاد لا يؤخذ بها  
في باب العقائد ، وعصمة النبي من تاثير السحرفي عقله عقيدة من العقائد ،  
لا يؤخذ في نفيها عنه الا باليقين ، ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون .  
على ان الحديث الذي يصل اليها من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن  
عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح ، فلا تقوم به  
عليه حجة .

وعلى اية حال ، فلنا بل علينا ان نفوض الامر في الحديث ، ولا نحكمه في  
عقيدتنا ، وتأخذ بنص الكتاب ، ومدليل العقل ، فانه اذا خولط النبي صلى الله  
عليه وسلم في عقله كما زعموا ، جاز ان يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، او ان  
شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه .

والامر ظاهر لا يحتاج الى بيان .

ثم ان نفي السحر عنه لا يستلزم نفي السحر مطلقا ، فرمما جازان  
يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال ان يصيبه لان الله عصمه منه .  
ما اضر المحب الجاهل ، وما اشد خطره على من يظن انه يحبه ،  
نعوذ بالله من الخذلان .

على ان نافي السحر بالمرة لا يجوز ان يعد مبتدعا ، لان الله تعالى ذكر  
ما يعتقد به المؤمنون في قوله تعالى " امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون  
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا  
غفرانك ربنا واليك المصير " . " ١ "

وفي غيرها من الايات وردت الاوامر بما يجب على المسلم ان يؤمن به حتى يكون مسلماً ، ولم يأت في شيء من ذلك ذكر السحر على انه مما يجب الايمان بثبوته او وقوعه على الوجه الذي يعتقد به الوثنيون في كل ملة ، بل الذي ورد في الصحيح هو ان تعلم السحر كفر .

فقد طلب منا ان لا ننظر بالمرّة فيما يعرف عند الناس بالسحر ، ويسمى

باسمه .

وجاء ذكر السحر في القران في مواضع مختلفة .

وليس من الواجب ان نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان ( " ١ " )

وحاصل القسام :

===== ان الشيخ محمد عبده يثبت العصمة لرسول الله - ولسائر الرسل - عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، كما يثبتها سائر العلماء ، بل هو اكبر منهم تشدداً في اثباتها ، حتى انه لا يجوز ان يجامعها السحر ، والجمهور يجوزون .

وعلى هذا فالخلاف بينه وبينهم ينحصر في نقطتين :

الاولى :

===== هل ينافي السحر العصمة او لا ينافيها :

فالجمهور يرى انه لا ينافيها . وبناء عليه : قبلوا حديث السحر ولم

يردوه .

والشيخ محمد عبده يرى انه ينافيها ولذلك رد الحديث .

الثانية :

===== وكأنها ترتبت على الاولى ، وهي :

هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد اولى حجة فيه ؟ :

فمن قال : انه حجة لزمه التوفيق بين ما ورد في القران من رمي المشركين للرسول صلى

الله عليه وسلم بالسحر ، وانكار القران عليهم ذلك ،  
وبين ما ورد في حديث السحر من انه صلى الله عليه وسلم سحر .  
ومن قال : ان حديث الاحاد ليس حجة في الاعتقاد ، رد الحديث ،  
واستراح من المعارضة .

اما بالنسبة للنقطة الاولى : فقد نقلت عن الشيخ محمد عبده ما اوضح به  
رايه ،

واسوق الان اراء بعض مخالفيه .

يقول الشيخ رشيد رضا :

( فهذا الحديث صريح في ان المراد من السحرفيه خاص

بمسألة مباشرة النساء . ولكن فهم اكثر العلماء انه صلى الله عليه وسلم سحر سحرا  
اثر في عقله كما اثر في جسده فانكره بعضهم وبالغوا في انكاره ، وعدوه مطمئن  
في النبوة ومنافيا للمصمة ، لقول عائشة رضي الله عنها ، ( حتى انه كان يخيل  
اليه انه فعل الشيء ولم يكن فعله ) .

فعممت هذه الرواية على علماء المعقول ، وعدوها مخالفة :

للقطعي في النقل ، وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم

فيه كمادة امثالهم في رسلمهم بقولهم ( ان تتهمون الا رجلا مسحورا ) " ١ " ،  
وتفنيدته تعالى لهم بقوله : ( انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون  
سبيلا ) . " ٢ "

ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من كل ما

ينافي النبوة والثقة بها ، ان يدخل في ذلك التخويل ، ما هو من التشريح :

١ - سورة الاسراء اية ( ٤٧ ) ، والفرقان اية ( ٨ ) .

٢ - سورة الاسراء اية ( ٤٨ ) .

ومخالفة لعلم النفس الذي يعلم منه ان الانفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في

الانفس العالية الطاهرة •

فانكر صفة الرواية ببعض العلماء ، واقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين

الفقهاء ابو بكر الجصاص الحنفي المعتزلي في كتابه " احكام القران " ، واخرهم

شيخنا الاستاذ الامام في تفسيره " جزء عم " •

وقد اطال شيخنا في هذا والمخ فيه ، ونفى انكاره على القاعدة المتفق عليها

عند علماء العقائد واصول الفقه في معارضة الظني للقطعي ، اذ الحديث احادي ،

وهو يفيد الظن فيرد بالقطعي عقلا ونقلا وهو ما ذكرناه آنفا •

وقد اتفقوا على ان احاديث الاحاد لا يحتج بها في اصول العقائد ، " ١ "

، وقال : ان كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده ، وان له ان يتأوله او يفيض

الامر فيه على قاعدتهم الاخرى في النصوص المعارضة للمقل •

ولعمري ان ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده — قدس الله روحه — من

اجلاله واكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين في نفسه الزكية ، وروحه

القدسية ، وعلوم مداركه العقلية ، مما لم نعرف مثله عن احد من العلماء

المقلاتيين كفلاسفة المسلمين ومكلمهم ، ولا من العلماء الروحانيين كالصوفية ،

ولا من علماء النقل كجامعي الروايات الكثيرة في معجزاته صلى الله عليه وسلم ،

وحسبك منها تلك الاثار البليغة في " رسالة التوحيد " بل كان يقول ان روحه صلى

الله عليه وسلم كانت منطوية على جملة هداية الدين ، ومدارك التشريع التي فصلت

في كتاب الله تعالى وسنته تفصيلا تاما كما نقلناه عنه في تاريخه •

واجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علما ، والمقلدون لهم بأن

غاية ما تدل عليه ان ذلك السحرا انما اثر في بدنه دون روحه وعقله ، فكان تأثيره

---

١ — الصحيح اختلافهم في هذه المسألة ، والراجح صحة الاحتجاج بخبر

"١"

من الاعراض الجسدية ، كالا مراض التي لم يعصم الانبياء عليهم السلام منها ) .

ويقول الشيخ محمد حسين الذهبي :

( وهذا الحديث الذي يردده الاستاذ الامام رواه البخارى وغيره

من اصحاب الكتب الصحيحة ، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة ، فان

السحر الذى اصيب به النبي عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الامراض التي

تعرض للبدن بدون ان تؤثر على شيء من العقل ، وقد قالوا ان ما فعله

" لبيد بن الاعصم " بالنبي صلى الله عليه وسلم من السحر لا يمدوا ان يكون

نوعا من انواع العقده عن النساء ، وهو الذى يسمونه " رباطا " فكان يخيل

اليه ان عنده قدرة على اتيان احدى نساءه ، فاذا ما هم بحاجة عجز عن

ذلك .

اما السحر الذى نفي عنه صلى الله عليه وسلم فمراد به الجنون ، وهو

مخل ، ولا شك بمقام النبوة ، وقد قالوا : ( يا ايها الذى نزل عليه الذكر

انك لمجنون ) . " ٢ "

ثم ان الحديث رواية البخارى وغيره من اصحاب الصحيح ، ولكن الاستاذ

الامام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخارى وغيره ، فلا مانع عندهم من

عدم صحة ما يرويه البخارى ، كما انه لو صح في نظرهم فهو لا يمدوا ان يكون

خبرا حادا لا يثبت به الا الظن وهذا في نظرنا هدم للجانب الاكبر من السنة التي

هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين ، وقد قالوا ان البيان يلتحق

بالمبين .

١ - تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القران ص ١٣٠ - ١٣٢ .

٢ - سورة الحجر اية ( ٦ ) .



وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ ، او يتخلص منه  
بأنه رواية احاد ، بل هناك كثرة من الاحاديث نالها هذا الحكم القاسي .  
فمن ذلك ايضا حديث الشيخين " كل بني ادم يسهه الشيطان يوم  
يولده امه الا مريم وابنها " .

فانه قال فيه :

( اذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة ) .  
فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ، ثم يتخلص من ارادة  
الحقيقة على فرض الصحة ، بجعل الحديث من باب التمثيل ،  
وهو ركون الى مذهب المعتزلة الذين يزعمون ان الشيطان لا تسلط له على  
الانسان الا بالوسوسة والافواء فقط ) . " ١ "

واما المسألة الثانية :

===== وهي هل حديث الاحاد حجة في الاعتقاد اوليس  
بحجة ، فهي داخلة في موضوع العصمة .  
وقد اشار الشيخ الذهبي الى الراي الصحيح فيها ، وهو انه حجة ،  
واطال القول فيها ابن القيم - رحمه الله - في كتابه : ( مختصر الصواعق  
المرسلة ) فأجاد وأفاد .  
والدخول في صميم المشكلة بذكر الاراء ، وادلتها ، يخبر بي عن  
موضوع البحث .

ولقد عرضت لها في الخاتمة ، فارجع اليها ان شئت .

× الفصل الثاني : حاجة البشر الى الرسالة :

=====

- يجمع كثير من الناس بين حاجة البشر الى الرسالة وبين مهمة ووظيفة الرسل فيعقدون لهما فصلا واحدا يجمعون فيه بين وظيفة الرسل والحاجة اليهم . . . .
- ويعنونون بحاجة البشر الى الرسالة ويتكلمون عن وظائف الرسل
- اما الشيخ محمد عبده فقد فرق بينهما ، وجعلها عنوانين : —
- احدهما : حاجة البشر الى الرسالة
- والثاني : لوظائف الرسل الكرام
- وايضا ، جعل لكل عنوان مدلولاً يخصه ، فعند حاجة البشر الى الرسالة اثبت ان البشر لا يستغنون عن الرسالة والرسل ، وهناك ما يلجؤهم ويضطربهم اليها ، واثبت هذا الاجراء اجمالا ، في حديثه عن الشعور العام او الفطري بالحياة الآخرة ، التي مع شعورهم بها لا يعرفون عن تفاصيلها شيئا ، فكانوا بحاجة الى من يعرفهم بها ،
- فهذا الشعور بالخلود هو الذي جعلهم بحاجة الى رسالة ، والى رسل
- ولكن تحت عنوان وظائف الرسل بين العمون او المساعدات التي يمكن ان يقدمها الرسل الكرام لا قوامهم
- ومن هنا نستطيع ان نلاحظ فارقا ما بين حاجة البشر الى الرسالة ووظائف الرسل عليهم السلام

" معتقد الشيخ محمد عبده في وجه الحاجة الى الرسالة " :

" ١ "

يسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجهة حاجة البشر الى الرسالة والرسول ، مسلكين :

المسلك الاول :

=====  
يتدىء من اعتقاد الانسان ببقاء النفس الانسانية بعد الموت وان لها حياة اخرى بعد الحياة الدنيا ، تتمتع فيها بنعيم ، او تشقى فيها بعذاب اليم ، وان السعادة والشقاء في الحياة الباقية معقودان بأعمال المرء في حياته الفانية .

يقول الشيخ محمد عبده :

ان هذا الاعتقاد موجود عند جميع الناس ، عالمهم وجاهلهم ، نجده عند الموحدين كما نجده عند الوثنيين ، وهو عند الفلاسفة كما هو عند غيرهم ، حتى ان اشد الناس همجية عندهم اعتقاد بحياة النفس بعد الموت ، لكن على اى حال تكون الحياة بعد الموت ؟ هذا هو مدار الاختلاف ، ومعتك الافهام ، ومزلة الاقدام ، ومؤدحم الكثير من الافكار والاهام . . . . ويبقى اتفاق الكل على بقاء النفس حية بعد الموت . فمن الناس من قال بتناسخ الارواح " ٢ " في اجساد البشر او الحيوان او

---

١ - انظر رسالة التوحيد ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٣٦٧ - ٤١٤ ) ،  
بتصرف .

٢ - الهنود اول من اعتقد بتناسخ الارواح . ويعنون به انتقال النفس او الروح بعد الموت الى جسم اخر ، سواء كان من الحيوانات او النباتات او الانسان . ومن المتصوفة المنحرفين من يرى ان التناسخ يكون بحسب ما تنتقل اليه الروح من الاجسام . فاذا انتقلت من انسان الى انسان سمي " نسخا " واذا انتقلت من انسان الى حيوان سمي " مسخا " ، واذا انتقلت من

• النبات على الدوام •

ومن الناس من قال ان التناسخ ينتهي عندما تبلغ النفس البشرية اعلسى

• درجات الكمال •

ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها من المادة •

تنعم او تشقى • والمهم في هذا ان هناك شعورا عاما بحياة بعد هذه الحياة •

فطريا مركزا في اعماق النفس البشرية • ولا يمكن ان يعد ضلعة عقلية او نزعة وهمية •

انه شعور يهيج بالارواح الى ان تتحسس هذا البقاء الابدى بعد هذا

العمر القصير وكيف ستكون هذه الارواح فيما بعد ؟ وكيف يمكن لها ان تهتدى

الى ما ستصل اليه ؟

واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز الدليل ؟

ان الانسان في الحياة الدنيا يشمرانه بحاجة الى من يرشده ويعلمه

كيف يقوم حياته • ويستقيم على المنهج الصحيح • فكيف به وهو يشعر ان هناك

عالما اخر غير هذا الذى يراه • دون ان يرشده احد الى ما فيه ؟

اليس من الحكمة ان يصطفى الله بعض خلقه • فيميزهم بالفطر السليمة •

والهمم العالية • والارواح المشرقة • فيعلمهم ما فيه هداية غيرهم من اعتقادات

وعبادات • وما فيه سعادتهم في الدارين • ثم يؤيد الله هذه الصفوة من عباده

بما لا تبلغه قوى البشر من الايات حتى تقوم بهم الحجة و " لئلا يكون للناس على

الله حجة بعد الرسل " • " ٢ "

ولا شك ان المولى عز وجل وهو الرحيم بعباده • العالم بحاجة البشر الى

من ينقذهم من حيرتهم • ويخلصهم من التخبط في الحياة الدنيا • والضلال الذى هم

فيه • يرسل الانبياء والرسل • ليتم حياة الانسان • ولئلا يكون للناس على

= انسان الى نبات سعى " رسخا " •

انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٠٤ ) نقلا عن المعجم الفلسفي مادة " تناسخ " •

١ - سورة النساء اية ( ١٦٥ ) •

الله حجة بعد ارسالهم •

لهذا كله كان الناس بحاجة الى الرسل • بمعنى احتياج العقل  
الانساني لهم في قيادة القوى الادراكية والبدنية الى ما فيه خير الحياة الدنيا •  
وسعادة الحياة الاخرة •

المسلك الثاني :

=====

يتبدى من طبيعة الانسان نفسه • وما فطر عليه • وهو العيش  
مع جماعة من الناس • لها نظام يقوم على اساس من المحبة والعدل • • يشعر  
افرادها بالعجز عن ادراك تلك القوة القاهرة التي تسيطر على هذا العالم •  
ويمكن توضيح هذا المسلك بثلاث نقاط • هي :-

١ - الانسان مطور على العيش مع جماعة • له ما لها وعليه  
ما عليها • وهذا انما يكون اذا وجدت الرابطة القوية بين الفرد وجماعته • والتي  
على اساسها يخلص في العمل زه • ويثاب بالاجر •

والمجتمع كما يكون فيه المعظماء الذين يضحون بانفسهم في سبيل اسعاد  
الاخرين لا يعدم الكسالى العاطلين • والمنحرفين المحتالين • الذين يسمون  
في الارض بالفساد • فيخربون بيوتهم وبيوت الاخرين •

٢ - ولما كان المجتمع فيه ما فيه من امثال هؤلاء المتنافسين على  
اللذائذ الجسدية المتفطلين على بني جنسهم • وكان لا يمكن ان يوجد مجتمع مثالي  
بني نظامه على اساس من التعاون بين الجميع • كان لابد للنوع الانساني في حفظ  
بقائه من العدل الذي يوجب المحبة بين الجميع •

٣ - ان كل فرد في هذه الجماعة يشعر بالهجز • وانه مشهور  
لقوة اعلى منه • ويشعر كل فرد في نفسه انه مسوق لمصرفة تلك القوة • بل هو عاجز  
عن معرفة حقائق كثير من الاشياء • وهذا الشعور بالمعجز يرافقه منذ ولادته الى  
حين موته •

واشد ما يقف الانسان امامه عاجزا محتارا ، هو الرغبة في معرفة كنه الغيب  
الذي لم يحدث بعد ، فهو لم يستطيع ان يصل الى معرفته ، ولا الى معرفة ما يحصل  
له غدا او بعد لحظات .

لهذا كله اخذ الانسان يبحث عن وسيلة تبلغه ما يريد ، فراح يدقق نظره  
ويعمل فكره في هذا الكون الفسيح ، وكانت النتيجة ان انقسم الناس الى فريقين :  
فريق ضل ، فعبد الهة غير الله قوى الطبيعة ، او الاب ، او السيد ،  
... الخ

وفريق اهتدى الى معرفة الاله الحق ، غير انه لم يهتد تماما ، لخفاء  
الكثير من الاسرار عنه ، فظل في حيرة واضطراب ، محتاجا الى من يخلصه مما هو  
فيه .

ولهذه الامور الثلاثة المكمل بعضها بعضا ، اشتدت حاجة الانسان الى من  
يسوقه ، ويوضح له معالم في الطريق الى ما يطلبه ، والى ما فيه سعاده ،  
فجاءت الهبة الالهية جودا وكرما على الجميع ، وهم في امس الحاجة الى من يحفظ  
لهم بقاءهم وقيمتهم فوائيل الشقاء ، ويحفظ نظامهم الذي هو عماد اجتماعهم .  
ارسل اليهم الرسل ، لنشر المحبة والامن ، والعدل ، ولتأسيس قواعد  
التعليم ، والتوجيه ، والارشاد ، يعلمونهم ما فيه اصلاح معاشهم ومعادهم  
من امور اعتقادية تبحث في شؤونه تعالى ، وامور تعبدية وعملية ، فيها سعادتهم  
في الدنيا والاخرة .  
يقول الشيخ محمد عبده :

( فبمئة الانبياء صلوات الله عليهم من مميزات كون الانسان ، ومن اهم  
حاجاته في بقاءه ، ومنزلتها من النوع ، منزلة العقل من الشخص ، نعمة اتمها الله  
لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) ا . هـ

هذا هو مسلك الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة والرسل .  
وحتى اتبين هل هو المسلك الذي سلكه السلف ام لا ؟ ارى ان اعرض باختصار  
معتقد السلف رضي الله عنهم في بيان وجه الحاجة الى الرسالة .

معتقد السلف في بيان وجه الحاجة الى الرسالة :

=====

الذي عليه السلف ، واهل السنة والجماعة من المسلمين ان منبع  
حاجة البشر الى الرسل والرسالات هو الانسان نفسه . اى طبيعة النفس الانسانية  
وهي طبيعة قائمة على جهل الانسان بمعرفة حقائق الاشياء وعجزه عن ادراك كنهها ،  
بالاضافة الى كبرائه ، وطغيانه ، وظلمه وعتوه ، وهو في جميع حالاته قاصر عن  
ادراك جميع الحقائق ، وتلك هي طبيعته ، ومدى ادراك عقله وسعة معرفته ،  
وهذا يكاد يكون محل اجماع بين الناس مؤمنهم وكافرهم . " ١ "

واذا كان الشيخ محمد عبده قد سلك هذين المسلكين في توضيح هذه  
الحقيقة ، فان السلف قد سبقوا الى ما قاله الشيخ محمد عبده ، فسلخوا  
المسلك الاول ، وهو خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وفضلوا في الثاني  
فقسموه الى قسمين :

- أ : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة لها معتقد وشريعة ونظام حياة .  
ب : التفات الانسان وايمان بعجزه .  
واتكلم بشي من التفصيل عن كل مسلك ، مع مراعاة ذكر ما وجه الى الشيخ  
محمد عبده من طعن ، ذكره بعض الكتاب في صحة وسلامة مسلكه الاول .

- 
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٦٥ .  
وانظر الوحي المحمدي ، لرشيد رضا ص ٤٢ ، ٤٥ .  
وانظر العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبيكة ص ٣٠٢ - ٣١٠ .  
وانظر النبوة والانبياء في ضوء القران ، لابي الحسن الندوي ص  
٥ - ٢٩ ، ص ٥٧ .  
وانظر نبوة محمد في القران ، لحسن عتر ص ٢٩ وما بعدها .





٣ — وفي الهند ، نجد البراهمة " ١ " في الماضي والحاضر :

يعتقدون ان الانسان اذا مات لا يظوظاله من امرين :

الاول :

==== ان يكون قد وصل الى درجة عالية من الكمال ، فلم يحدث ان ارتكب اثما او خطيئة ، او عمل عملا سيئا ، فهذا من الاخيار ، وسترتفع روحه الى الاله الخالق العالم " براهما " وتمتج روحه بروحه ، وتتخلص من تكرار المولد ثانية ، والعودة الى الحياة في شكل اخر .

الثاني :

==== ان يكون على خلاف ذلك بأن يكون انسانا شريرا مذنباً ، فهذا من الاشرار ، وسيبقى جسده ، وتمود روحه من جديد فتحل في جسد اخر لانسان اخر ، او حيوان ، وتبدأ دورة حياة جديدة ، قد تكون شقية وقد تكون سعيدة ، وتحرم من لذة الامتزاج بروح الاله " براهما " . وهذا ما يسمى بمقيدة التناسخ " ٢ " .

الصينيون من اتباع " بوذا " عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد يؤمنون

بتناسخ الارواح ، ولكن بدلا من ان تمتج ارواح الاخيار بالاله " براهما " ،

---

١ — قبيلة هندية : يقولون انهم من ولد " برهمي " ملك من ملوكهم . وليست النسبة الى ابراهيم الخليل عليه السلام ، لانهم ينكرون النبوات ، لكنهم يقولون بالتوحيد . ويتقلدون ازياء خاصة ملونة بحمرة وصفرة . وهم اصناف متعددة ، منهم اصحاب فكرة التناسخ .

١ — انظر الفصل في الملل والنحل لابن حزم ( ١ : ٤٩ ) .

٢ — انظر مقارنة الاديان ، لاحمد شلبي ، الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م ، مكتبة

النهضة القاهرة ( ٤ : ٦٣ ) .

فانها تصل الى اقصى درجة يمكن ان يصل اليها الانسان في الرقي الروحي وهي  
درجة " النرفانا " . " ١ "

هذه امثلة مما ذكرته لنا كتب التاريخ والاثار ، تروى قصة اعتقاد بعض الامم  
القديمة بالحياة الاخرة ،

وهي انما تدل في جملتها على ان الاعتقاد بخلود الروح وقائها بعد الموت  
غريزة فطرية موجودة في طبيعة النفس الانسانية ، تتطلع الى حياة بعد هذه الحياة ،  
وتتشوق لمعرفة شيء عنها ، ماذا عسى ان تكون . . . . وتظل الفطرة هذه  
مطرقة تطرق فكر الانسان وقلبه ، ويظل هو في حيرة من امره ، واضطراب ، تتقاذفه  
الامواج العاتية ، ولا يعلم اين يكون الملجأ والمنجى . . . .  
اقليس من حكمة الله وكرمه ان يرسل الرسل ، لانقاذ البشر من ورطتهم ،  
وما هم فيه من حيرة واضطراب ، ويوجههم الى طريق النجاة التي فيها بقاؤهم  
وسعادتهم ؟

بلى ، وهو العزيز الحكيم ، العالم بما في نفوس عباده من شعور ، الفاطر  
عقولهم على النظر في تلك الامور .

وللشيخ محمد عبده في توضيح تلك الفطرة التي فطر الله عقول البشر عليها  
وذلك الشعور العام الذي اودعه الله اصل تلك الفطرة ، كلام ، اذكره بتامه ،  
واذكر ما ورد عليه من نقد واعتراض .

يقول الشيخ محمد عبده :

( هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة المنبت في جميع الانفس ،  
عالمها ، وجاهلها ، وحشيها ومستأنسها ، باديها وحاضرها ، قديمها وحديثها ،

لا يمكن ان يعد هذلة عقلية او نزعة وهمية ، وانما هو " الالهامات " التي اختص  
بها هذا النوع ، كما الهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه في هذه الحياة  
الدنيا .

كذلك ، قد الهمت العقول واشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو  
منتهى ما للانسان في الوجود ، بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن  
البدن ، ثم يكون حيا باقيا في طور اخر ، وان لم يدرك كتمه .  
شعور يهيج بالارواح الى تحسس هذا البقاء الابدى ، وما عسى ان تكون  
عليه متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل وقد غاب المطلوب واعوز  
الدليل ؟

شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا في تقويم هذه المعيشة القصيرة الامة ،  
لم يكفنا في الاستقامة على المنهج الاقوم ، بل لزمنا الحاجة الى التعليم والارشاد ،  
وقضاء الازمنة والاعصار ، في تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ،  
وتتقيف الازهان ، ولا نزال الى الان من هم هذه الحياة الدنيا في اضطراب ،  
لا ندرى متى نخلص منه ، وفي شوق الى طمأنينة لا نعلم متى تنتهي اليها .  
هذا شأننا في فهم عالم الشهادة ، فماذا نعمل من عقولنا وافكارنا في العلم  
بما في عالم الغيب ؟ هل فيما بين ايدينا من المشاهد معالم تهتدى بها الى  
الغائب ؟ وهل في طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له في حياة  
يشعر بها ؟ وهل وهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها ،  
والشؤون التي لا بد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه ؟ او الى معرفة بيد من  
يكون تصرف تلك الشؤون ؟ وهل في اساليب النظر ما يأخذ الانسان الى اليقين ،  
بمناطها من الاعتقادات والاعمال ، وذلك الكون مجهول له ، وتلك الحياة فسي  
غاية الغموض بالنسبة اليه .

كلا ، فان الصلة بين العالمين تكاد تكون منقطعة في نظر المقل ومراسي  
المشاعر ، ولا اشتراك بينهما الا في الانسان نفسه ، فالنظر في المعلومات الحاضرة

لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوامل المستقبلية ( ١ ) \* ٠

اقول :

هذا بعض كلام الشيخ محمد عبده في بيان وجه الحاجة الى الرسالة ، ذكر فيه التقاء شعور البشر على خلود النفس الانسانية بعد الموت ، وان هذا الالتقاء انما هو نتيجة شعور فطري عند جميع الناس ، او كما قال الشيخ محمد عبده - انما هو الالهامات التي اختص بها هذا النوع - وقد اعترض البعض على هذا ، وقالوا :-

ان امر خلود النفس ، وحياة الارواح بعد الموت في عالم الاخرة ليسا من البديهيات التي يشعر بها جميع الناس ، ويتفقون عليها ، وقد ذكر لنا التاريخ بل القران الكريم قصة اولئك الذين قالوا ( ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ) \* ٢ \* ٠

وهذه الشيوعية اليوم تنكر الاديان ، بل تحاربها ، والدين عند هم افيون الشعوب والحياة مادة ، وادخال الدين في الحياة هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت \* ٣ \* ٠

لذلك لا يمكن ان يكون هذا المسلك صحيحا ، لانه مبني على اساس غير متفق عليه ، اذا فلا يوصل الى النتيجة الصحيحة \* ٤ \* ٠

---

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٣ : ٤٠٥ ، ٤٠٦ )  
وانظر كتاب الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان ، لمحمد عبد الله دراز ص ٨٠ .

٢ - سورة الجاثية اية ( ٢٤ ) .

٣ - انظر كتاب نقض اوهام المادية الجدلية ، للبطي ص ٩٧ - ١٠٨ /

وانظر الانسان بين المادية والاسلام للاستاذ محمد قطب .

٤ - انظر اصول الدين الاسلامي ، لمحمد علي ناصر ، المكتبة المصرية -

صيدا ، بيروت - ص ١٧٠ .

وفي الجواب على هذا الاعتراض اقول :

لو سلمنا للمعتز ما يقول من عدم اتفاق جميع الناس في امر خلود النفس ، والحياة بعد هذه الحياة ، فالشيخ محمد عبده يوافق على ذلك ، فهو يقول : ( اتفقت كلمة البشر ، موحدين ووثنيين ، طيبين وفلاسفة ، - الا قليلا - على ان لنفس الانسان بقاء تحيا به بعد مفارقة البدن ) . " ١ " -  
لكن الشيخ محمد عبده راي ان شذوذ الفئة القليلة ، غير طاعن في اعتبار الالهام طريقا الى الايمان بحياة بعد هذه الحياة .  
على اني لا اوافق الشيخ محمد عبده في دعوى خروج بعض البشر عن هذا الشمور العام بحياة بعد هذه الحياة .

بل اقول :

ان الشمور بحياة بعد هذه الحياة موجود في جميع الانفس ، بلا استثناء ، بطريق الفطرة التي فطر الله الناس عليها . . . .  
وسوف اقيم الدليل على هذا " ٢ " ، لكن بعد ان ارد على الذين اعترضوا على الشيخ محمد عبده في قوله : ( ان خلود النفس وحياتها من الالهامات )  
اولا :  
==== ويجب على المعتضين بما يلي :

١ - ان المراد هنا " بالالهامات " الشمور العام الموجود في اصل

الفطرة ، وليس الالهامات بمعنى ما يقابل " المعقولات " .

---

١ - اخرت البحث في هذا لاستكمل الدفاع عن الشيخ محمد عبده ، لان اقامة الدليل

على هذه القضية يحتاج الى كلام طويل ، قد يعمد القارى عن المعتضين على

الشيخ محمد عبده .

٢ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة ( ٣ : ٤٠٣ ) .

وهذا الشعور مركز في جميع الانفس - عالمها وجاهلها ، وحشيتها  
ومستأنسها ، باديها وحاضرها ، وفي النفس الفاجرة ، ومن الهمة التقوى . . .

قال تعالى : " ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها " . " ٢ "

فألهم النفس هنا : جبلها ، في اصل الخلقة على امور لا تخفى عنها . . .

يشهد لهذا كثير من العلماء سلفا وخلفا :

قال شارح الطحاوية : ( الايمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والعقل

والفطرة السليمة ) . " ٣ "

وذكر الشيخ " دراز " ما جاء في " مجمع لا روس " للقرن العشرين وايداه ،

وهو :-

( ان الفريضة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدّها هجسية

واقربها الى الحياة الحيوانية . . . وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وما فوق الطبيعة

هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ) . " ٤ "

ألبيس هذا الاهتمام ثابتا من اعماق النفس الانسانية ؟ ألبيس هو غريزة

مشتركة بين كل الاجناس ؟ على اختلاف سنتهم والوانهم . . . حتى الاطفال ذوي

الفطر السليمة يقول عنهم دراز :-

---

تعليمهم انهم يعرفون الله تعالى وخالقه .

١ - انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٣١ : ٤٠٤ ) .

٢ - سورة الشمس الايات ( ٧ - ٨ ) .

٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

٤ - كتاب الدين ، ص ٨٤ .

( ان الفريضة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى اشدّها هجسية

واقربها الى الحياة الحيوانية . . . وان الاهتمام بالمعنى الالهي ، وما فوق الطبيعة

هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ) . " ٤ "

( فان كثيرا من الاطفال لا يقنعون بالامر الواقع المشاهد ، ولا يقفون في  
تعليله عند حلقة من حلقات اسبابه ، وغاياته القريبة ، بل يصعدون دائما  
الى اسبابه الاولى ، ويسترسلون في تعرف نتائجه الاخيرة ) . " ١ "

اليسست هذه صورة مصغرة من ذلك الشعور العام المنبث في النفوس ؟  
اليس هذا الاهتمام من الطفل دليلا على رسوخ الفطرة التي لا تمنحي بل تختفي  
وراء غواش طارئة سرعان ما تعود منجلية ، بمجرد ان يحركها باعث من بواعث  
تجليتها ، فتعود الى اصلتها . . . .

يقول دراز : - ( ما هذه اذا تلك القوة الخلاصة التي لا تزيدها المقاومة  
الا عنفا ، واشتعالا ، والتي تقهر في النهاية انصارها واعداءها على السواء ؟  
اليسست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما عاودها الريح فيبل ثراها وسقى اصولها ؟  
وان هذا الريح قد تكفي منه قطرة ، وربما تبلور في نظرة ، فما هي الا طرفة  
من تأمل الفكر ، او لحظة من يقظة الوجدان ، او ازمة من صدمات المزم . . . .  
فاذا انت تسبح بخيالك في عالم الغيب ) " ٢ " للوصول الى الحقيقة الفطرية  
والتعرف عليها بوضوح .

الا ان هذه الحقيقة الفطرية قد تختفي وراء غواش طارئة منها : -  
أ : - ما يشيعه الملاحدة والاباحيون من افكار ، ونظريات ، ومبادئ . . . " ٣ "  
ب : - انصراف الانسان الى لذاته وشهواته . . . " ٤ "

١ - نفس المصدر ص ٩٧ .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - انظر كتاب : : الله يتجلى في عصر الحداثة ص ٣٣ .

٤ - انظر كتاب : عقيدة المسلم ، الاستاذ محمد الغزالي ص ١٧ .

ج — التقليد والتعصب الاعى للمذهب . . . " ١ "

د — المبالغة في تعظيم وتقديس بعض المخلوقات . . . " ٢ "

وقد اجمل الشيخ محمد عبده الكلام فيما مضى بحجارات تشفي العليل وتروى

الغليل ، جاء فيها :

( كأن الله تعالى بما اودع في الانسان من الغرائز والقوى ، وما اقام له

من الشواهد وادلة الهدى ، قد اخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما اوتي من ذلك فيما

خلق له ، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه ، لولا ما اعترضه من

وساوس الشهوات ، فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس اداء ذلك الميثاق .

اي ليحاربوهم بما تقتضيه فطرتهم ، وما ينهني ان تسوقهم اليه غرائزهم ) . " ٣ "

هكذا كان اجماع الناس في الشعور العام بعالم الخيب ، وخطود النفس

وحياتها ، وهو اجماع ينادى به الواقع البشرى الملموس في كل زمان ومكان .

ولكن :-

قد تنكر العيون ضوء الشمس من رمد او ينكر النعم طعم الماء من سقم " ٤ "

٢ — وعلى فرض صحة الاعتراض المذكور ، فان هذا لا يقدر في مسلك الشيخ محمد

عبده ولا يطعن في نفعه ، لما يلي :-

أ : — لان الفئة المنكرة لخطود النفس ، والحياة بعد الممات قليلة لا تذكر ، ولا

---

١ — انظر كتاب : مشكلات الجيل في ضوء الاسلام ، لمحمد المجذوب ص ٢٢ .

٢ — انظر كتاب : تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٦٩ / وانظر دستور الاخلاق

في القران ، لدرار ص ١٩٨ .

٣ — نهج البلاغة ، للامام علي ، اختيار الشريف الرضي ، شرح الشيخ محمد

عبده ( ١ : ٢٩ ) .

٤ — لا اعظم قائله .



وزن لها ، لندررتها ، والقاعدة لا تنقض بالنادر ، بل تبقى صحتها ،  
ويبحث عن سبب الشذوذ النادر .

ونحن نرى كثيرا من علماء الطبيعة يبحثون عن اسباب الشذوذ الذي يطلقون  
عليه " فلتات الطبيعة " ، ولا يمدون هذه الفلتات دليلا على بطلان السنن  
والنواميس العامة ، في الكون ، كخسوف القمر ، وكسوف الشمس . . . " ١ "

ب : - ان الغرض من ذكر هذا المسلك هو اقناع الناس ببيان وجه الحاجة الى  
الرسالة ،

والناس فريقان :

فريق يقنع به ، وفريق لا يقنع به ، ولا يقنع عليه ، بل  
يصعد الى طلب غيره ، ويقول الناس في قوة فهمها ومدى ادراكها متفاوتة .  
لذلك يطرح الدليل ، وتظهر الحججة ، فيقنع من يريد ان يقنع ،  
ويمتنع من يريد ان لا يقنع .

والشيخ محمد عبده لا يريد ان يقنع جميع الناس بمسلكه ، لكن ما دام هذا  
المسلك يقنع كثير منهم ، فهو اذا مسلك صحيح الاساس يفي بالغرض المطلوب .

ج : - من الثابت عند اهل العقول ان كثيرا من الناس يرفضون بعض القضايا وهي  
صحيحة . ولا يسلّمون بها ، وكون هؤلاء يرفضون قضية ما ، لا يجعلها  
خارجة عن دائرة الصحة .

فمثلا ، قضية الايمان بالله ، قضية صحيحة مائة بالمائة ، ومع ذلك لم يؤمن بها كثير من الناس ، بشهادة كلام رب العالمين ، قال تعالى :

" وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين " . " ١ "

وقال : " والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون " . " ٢ "

ومثلها تماما قضية خلود الروح ، وبقاء الحياة الاخرة ، فهي قضية

صحيحة ومع ذلك وجد من ينكرها ، وذلك لا يمنع من صحتها .

د : - حتى وان سلم بعدم صحة هذا المسلك ، فقد ذكر الشيخ محمد عبده

مسلكا آخر صحيحا ، وهو ايضا قائم على اصل الفطرة ، مما يقوى بيانه في

المسلك الاول .

- والله اعلم -

---

١ - سورة يوسف آية ( ١٠٣ ) .

٢ - سورة الرعد آية ( ١ ) .

ثانيا : الرد على من انكر فطرية الشمور بالخطود . . .

=====

أقول :

ان قضية الايمان بحياة بعد هذه الحياة ، دون معرفة تفاصيلها ، قضية فطرية عند الجميع ، يشعر بها كل انسان من ذوى الفطر السليمة ، يستوى في ذلك الحفاة المرأة وارقى شعوب العالم ، كما يستوى في ذلك فلاسفة اليونان في الماضي مع فلاسفة النصارى في الحاضر ، وقد ذكر التاريخ هذا الشمور عند قدماء المصريين ، والكنديانيين ، والصينيين ، والهنود ، والسومريين ، ولا يزال يذكره عن شعوب هذا المصر من ادناها الى ارقاها . . .

ومثل هذا الاتفاق بين الجميع من الشرق الى الغرب ، ومن الماضي الى الحاضر من غير تواطؤ من احد ، ولا تلقين ، ولا تقليد . . . لا يعقل له سبب سوى الفطرة التي فطر عليها جميع الناس .

الا ان هذا الشمور الفطرى الاجمالي ، يخفى احيانا وراء غواش طارئة ، فتحجبه بستارها و تحول دون ظهوره - فترة - الى وقت حصول باعث من بواعث ايقاظه ، فسرعان ما يعود هذا الشعور ليظهر من جديد عند اول انذار .

هذه هي الحقيقة ، ولا يملك انسان ان يقول غير هذا ، وما حصل لبعض الناس في الماضي والحاضر من جحود وانكار لهذه الحقيقة ليس معناه انها باطلة او غير صحيحة . وانما يعني وجود المانع فيهم باحتجاب نور الفطرة ، او جحود عقولهم او لتمصبيهم البغيض لمبادئهم ، وافكارهم . . .

ولم نعرف من البشر في الماضي والحاضر من انكر هذه الحقيقة ، الا بعض

الطوائف المتعصبة : الدهرية في الماضي ، ومض فوق البراهمة ،

وفي الحاضر الشيوعية اصحاب المادية الجدلية .

ولا يعني انكار هؤلاء لهذه الحقيقة انعدام وجودها ، وطلان الاعتراف  
بها ، داخليا في قزارة انفسهم ، وهذه ايضا حقيقة سجلها القران عليهم ،  
قال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا " . " ١ "

وما الدهرية في الماضي ، والالحاد الشيوعي في الحاضر الا مرض خطير من  
الامراض الاجتماعية الطارئة ، التي ابتليت بها الامم قديما وحديثا ، اسأل الله  
ان يشفي البشرية من هذا المرض الخبيث . . .

وأنا الان بسبيل نقض اوهام الدهرية ، والمادية الجدلية ، في انكار  
الخلود بعد الموت ، وعدم الاعتراف بالبعث .  
اقول :

- ١ — اذا كان هؤلاء القوم ينكرون الصانع الحكيم الذي شهد بمعرفته كل  
من في السموات والارض ، بطريق الفطرة ، وخالف القوم في ذلك فطرهم ، اليس  
من الممكن ان يخالفوا فطرهم فيما هو دون ذلك ، وهو البعث والحياة في الآخرة ؟
- ٢ — ذكر التاريخ ، وسمعنا قصص اناس كانوا من اشد الناس الحادا في  
الله ، وانكارا للبعث ، ثم اسلموا و صاروا من اقوى الناس ايمانا . . .  
الا يعني هذا ان الران قد نقض عن قلوبهم ، فسمعوا نداء الفطرة ؟ ثم الا  
يدل هذا على ان الشعور الفطري بحياة بعد هذه الحياة كان كامئا في نفوسهم ؟
- ٣ — ورد في القران الكريم ما يكذب مدعاهم في انكار البعث ، والحياة  
الآخرة ، وجاء بصيغة الزعم الذي يكذب مقالتهم من اول وهلة .  
قال تعالى : " زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بل وري لتبعثن ثم لتنبؤن بما  
علمتم وذلك على الله يسير " . " ٢ "

- 
- ١ — سورة النمل اية ( ١٤ ) ، هذه الاية وان نزلت في حق منكرو المعجزات ،  
الا انها تصلح دليلا هنا .
  - ٢ — سورة التغابن اية ( ٧ ) .

قال صاحب اضواء البيان : اى ان الكفار ادعوا انهم لا يمشون . . .  
ولكن هذا الادعاء ينافي حقيقة ما يختلج صدورهم ، فهم فيه كاذبون . " ١ "  
ويقول الشهيد سيد قطب : ومنذ البدء يسي مقاللة الذين كفروا عن عدم البحث  
زعماء ، فيقضي بكذبها من اول لفظ في حكايتها . . . " ٢ "

٤ — ان هؤلاء المنكرين كذبوا الرسل ، وانكروا الايات ، وجحدوا بها ،  
ظلموا وظلوا ، كما ذكر القرآن الكريم ، في كثير من آياته ، كقوله تعالى :  
" فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها  
انفسهم ظلما وظلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين . . . " ٣ "  
وقوله تعالى : " واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا  
تخويفا . . . " ٤ "

فاذا كان هذا حال المنكرين مع رسل الله ، ومع الايات البينات ،  
كيف يكون حالهم اذا كان الامر متعلقا بالغييب واحواله . . . ؟  
لا شك انهم سيكونون اشد انكارا له وجحدوا به ، وما ذلك الا لظلمهم ،  
واستعلائهم على الحق الذى لا يريدونه ، لا لانعدام الشعور به في اعماق  
نفوسهم .

يقول الشهيد سيد قطب :

( وكذلك كان كهراة قريش يستقبلون القرآن ، ويستيقنون انه الحق ،  
ولكنهم يجحدونه ، ويجحدون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اياهم الى الله  
الواحد ، ذلك انهم كانوا يريدون الابقاء على ديانتهم وعقائدهم ، لما وراءها  
من اوضاع تسندهم ، ومفانم تتوافد عليهم ، وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة

- 
- ١ — اضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، لمحمد الامين الشنقيطي  
( ٨ : ٣٣٨ ) ، الطبعة الثانية .
  - ٢ — في ظلال القرآن ، سيد قطب ( ٦ : ٣٥٨٧ ) ، الطبعة دار الشروق .
  - ٣ — سورة النحل اية ( ١٤ ) .
  - ٤ — سورة الاسراء اية ( ٥٩ ) .

وكذلك الحق ، لا يجحدوه الجاحدون لانهم لا يعرفونه ، بل هم

يعرفونه . يجحدونه وقد استيقنته نفوسهم ، لانهم يحسون الخطر فيه على

وجودهم " ١ " او الخطر على اوضاعهم او الخطر على مصالحهم ، ومخائهم ،

فيقفون في وجهه مكابرين ، وهو واضح بين ) . " ٢ "

وصدق الله العظيم " يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم

الكافرون " . " ٣ "

المسلك الثاني :

=====

١ : - حاجة الانسان الى العيش مع جماعة ، لها معتقد وشريعة ونظام حياة .

وحاجة الانسان الى اخيه الانسان ، لا تنتهي ، لان الانسان نوع من

تلك الانواع التي غرز في طبيعتها ان تعيش مجتمعة . وان تعددت فيها الجماعات

وهذا ما يميز عنه طما الاجتماع بقولهم : الانسان مدني بالطبع .

وهذا صحيح ، فلقد اودع الله في كل شخص شعورا ما ، بحاجة الى

سائر افراد الجماعة .

يشهد لهذا الواقع الملموس المشاهد ، وما النطق الذي وهبه الله

للانسان الا لحاجته لان يتفاهم مع اخيه الانسان ، وهذا اكبر شاهد بأن لا غنى

ل الانسان عن الانسان .

ومثل من ينكر هذا كمثل الذي ينكر الشمس في وسط النهار .

قال الشاعر :

وليس يصح في الازهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل " ٤ "

---

١ - لا يكون في الحق خطر على وجود احد ، وانما الحق يساند الوجود ويعاضده ،

نعم يكون فيه خطر على الاوضاع والمصالح .

٢ - في ظلال القران ، سيد قطب ( ٥ : ٢٦٣ ) .

٣ - سورة النحل اية ( ٨٣ ) .

٤ - البيت لابن الطيب المتني ، انظر ديوانه بشرح العكبري ( ٣ : ٩٢ ) ، وفيه

بدل الازهان : الافهام .

فالصغير لا يستغني عن الكبير ، والجاهل لا يستغني عن العالم ، ومن  
يعيش في البادية لا يستغني عن اهل المدينة ، ولا العكس .  
وصدق الله العظيم اذ يقول : " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكرواثنى  
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . " ١ "

والدول لا غنى لبعضها عن بعض ، لا الشرقية تستغني عن الغربية ، ولا  
التي تزعم انها متقدمة تستغني عن تلك التي يسمونها نامية ، ولا العكس ، لان  
كلا خص بما يجعل الاخر محتاجا اليه .

وكما كثرت مطالب الانسان ، زادت حاجته الى غيره ، وتبعا لهذه الحاجة  
نشأت العلاقات الفردية والجماعية ، وكان لابد لهذه العلاقات من قوانين تحفظها ،  
ونظم تضبطها وتحافظ عليها ، من غير ان يعتدى قوى على ضعيف ، او يعيش  
ضعيف طالة على قوى .

فهل يستقيم امر جماعة بني نظامهم ، وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم  
وتعاطفهم ، من غير ضابط يضبط تصرفاتهم ، وحافظ يحفظها ؟  
لا ريب ان البقاء بدون ذلك من المحال ، وهذه الحروب التي نشهدنا  
بين وقت واخر دلت على استحالة حصول الامن والاستقرار بدون نظام يكفلها .

اذا فلا بد للنوع الانساني حتى يستمر بقاؤه ، من المعدل الذي يؤدي الى  
المجبة ، او ما ينوب منابها ، كما قال الشيخ محمد عبده .  
ظن فريق من اهل العلم والتبصر ان المعدل يقود الى المجبة ، وهذا يستقيم  
امر الجماعة .

لكن من الذى يضع قواعد العدل ، ويلزم الجماعة بالحفاظ على هذه القواعد ؟  
وما هو ضابط العدل اذا وضع قواعد العقل البشرى ؟ وهل ما يراه  
البعض عدلا يراه الكل كذلك ؟

وهل عقول الناس على مستوى واحد من الفهم والادراك حتى تتفق على مفهوم  
العدل ؟

الجواب : لا ، فان التاريخ يحكي لنا سيرة بعض الملوك والحكام الذين سنوا  
السنن ، وشرعوا الشرائع ، وقننوا القوانين ، وحملوا الناس على رعايتها بالقوة ،  
لكنها سرعان ما ماتت بموت اصحابها ، وانتهت بانتهاهم .  
وايضا : فاننا لم نسمع ان احد من هؤلاء الملوك استطاع ان يقنع الجميع  
بآرائه ، ونظمه ، ولو كانت هي الصواب ، ولو اقام عليها الادلة الواضحة ،  
والبراهين القاطمة .

وعدم الاقتناع ناتج عن تفاوت العقول في الادراك ، ومجرد البيان العقلي لا  
يكفي ليمتقيم الناس على الجادة ، لان من الناس من يرى نفسه فوق واضعي القوانين ،  
ولان بعض الذين يقننون يزعمون انهم فوق ما يقننون ، فيخرجون على ما يقننون ،  
فتذهب حرمة قوانينهم ، ويقصدع اساسها ، فتخترت اقدام وتنتهي بانتهاهم .

لذلك كله كان من حكمة الصانع ان يكمل النوع الانساني ، بما هو امس به  
بالحاجة في البقاء ، وآثر في الرقاية من غوائل الشقاء ، واحفظ لنظام الاجتماع الذى  
هو عماد كونه بالاجماع . . . .

فمن عليه بحامل اسس العدل الالهي ، والمنايا الربانية ، ولم يجعله  
من غير جنسه ، بل اصطفاه بما يميزه عن غيره ، وايده زيادة في الاقتناع ،  
بايات باهرة ، ومعجزات قاهرة ، نعمة منه تعالى على الناس ، لكيلا يكون لهم على  
الله حجة بعد الرسل .

فيحثة الرسل صلوات الله عليهم من مميزات كون الانسان والمجتمع ، ومن اهم



حاجاته في بقائه ...

قال تعالى :

" كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل

معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه " ١ " ٠

وقال تعالى :

" ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم

لا يظلمون " ٢ " ٠

وقال تعالى :

" لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم

الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره

ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز " ٣ " ٠

• صدق الله العظيم

---

١ — سورة البقرة آية ( ٢١١ ) ٣

٢ — سورة يونس آية ( ٤٧ )

٣ — سورة الحديد آية ( ٢٥ )

ب - ايمان الانسان بمعجزه :

=====

المعجز ظاهرة بشرية ، لا يسع الانسان الا الاعتراف والنزول عند

• هتضياتها

هذه الظاهرة ملازمة للانسان ، ترافقه منذ ولادته الى حين موته ، فهو عاجز وهو طفل ، وهو عاجز ايضا وهو شاب ، وكلما كبر الانسان ازداد شعوره بمعجزه

ولا انكر ان الانسان حقق الكثير في حياته ، وعرف الكثير ، وسيطر على كثير من الاشياء في من حوله ، فحاض البحر ، وعرف ما فيه ، وطار في اعماق الارض واستخرج ما في باطنها ، وطار في السماء ، وربط حط قدمه على بعض كواكبها ولا زال يفكر في الوصول الى اكثر مما وصل اليه

ولكن هذا لا ينفي عنه الشعور بالمعجز ، اذ ان ما حققه لا يساوي شيئا من آماله ، وطموحه ، ذلك انها اكبر بكثير مما حققه وانجزه

وان اشد ما يقفه الانسان امامه عاجزا ، هو الرغبة في استكناه الغيب الذي لم يحدث بعد ، فهو لم يستطع ان يعرفه ، حتى ولا ما يحدث في الخد القريب بل لم يستطع ان يصل الى مصرفة نفسه التي بين جنبيه ، او امساكها ساعة تغلت من بين جانحتيه

ولقد ادى هذا المعجز في تاريخ البشرية الى كثير من الوان العبادة

• المهتدية منها او الضالة

ذلك ان نفس الانسان تشعر انها خاضعة لقوة انقدر على كل ما عجز هو

• عنه

فهي تريد ان تعرف هذه القوة ، وله يها الرغبة الاكيدة في استكناه هذه

• القوة

فتبدأ تهتت عنها بالنظر في الكون والتفكر فيه .

- وانتهى الامر الى ان عهد بعضهم الحيوانات اما لنفسيها واما خوفا من ايدائها .
- وعهد بعضهم الكواكب لظهور اثرها في العالم الارضي . وعهد بعضهم قوى الطبيعة لهذا السبب اولذاك .
- وعهد بعضهم الاحجار والاشجار لاهتبارات لهم فيها . . . . " ١ " .
- يشهد لهذا بعض ما ورد في القرآن الكريم :

١ - قال تعالى : " واذ قال ابراهيم لابيه اتراتخذ اصناما الهة اني اراك

وقومك في ضلال مبين " . " ٢ " .

ففي هذه الاية ان قوما عبدو الحجارة ، واتخذوها الهة .

٢ - قال تعالى : " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم

الشیطان اعمالهم قصد هم عن السبيل فهم لا يهتدون " . " ٣ " .

ففي هذه الاية ان قوما سجدوا للشمس من دون الله .

٣ - قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . " ٤ " .

وقال تعالى : " فاستخف قومه فاطاعوه " . " ٥ " .

ففي الاية الاولى ادعى فرعون الربوبية ، وفي الاية الثانية اطاعوه

وهو القائل لهم " ما علمت لكم من اله غيري " . " ٦ " .

---

١ - بتصريف عن كتاب : دراسات في النفس الانسانية ، لمحمد قطب ص

٢٢٠ - ٢٢٤ .

٢ - سورة الانعام اية ( ٧٤ ) .

٣ - سورة النمل اية ( ٢٤ ) .

٤ - سورة النازعات الايات ( ٢٣ ، ٢٤ ) .

٥ - سورة الزخرف اية ( ٧٤ ) .

٦ - سورة القصص اية ( ٣٨ ) .

اما كتب التاريخ ، وكتب الاديان فقد حفظت لنا الوانا من العبادات ،  
وجدت عند القدماء : كدما المصريين ، والصينيين ، والاشوريين ،  
والسومريين ، واليونان والهنود ، ومن الهنود من لا يزال يعبد بعض  
الحيوانات ، واطهرها البقرة . " ١ "

وهكذا ، نجد ان جميع الشرعيات في الشعوب بالمعجز عن تحقيق كثير  
ما يصبون اليه ، ومثقفون ايضا في الازعان لما فاق قدرهم ، وعلا عن تناول  
قدرتهم ، وهذا شي مفروز في فطرتهم ، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجؤهم  
هذه الفطرة للاذعان له ، اختلفا ادى الى تخبطهم واضطرابهم ، ومخاربة  
بعضهم بعضا .

اذا كان الانسان مفطورا على الشعور بقادر اقوى منه ، تتساق نفسه الى  
معرفة ، ومعرفة كيفية الوصول اليه ، للاستعانة به عند العالجات ،  
والاستنجاد به في الملهمات .

ليس من حكمة القادر ان يمن عليه بارسال من ينقذه من تلك الالهة الراضة  
التي صنع بعضها بيديه ، ونسج الباقي من وحي خياله . . . .

وان يخرجهم من حيرته واضطرابه ، وان يدلهم على الاله الحق ، وان  
ياخذ بيده الى مطلع سعادته في حياته واخرته . . . .  
بلى ، لانه تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، وحتى لا يكون لهم حجة عليه  
يوم الحساب .

لذلك ارسل الرسل ، فكل بهم الفطرة الانسانية بما نهىها اليه ،

---

١ - انظر : قصة الديانات ، لسليمان مظهر ص ( ٢ ) ، ٤٣ ، ١٧٦ ،  
( ١٧٧ ) .  
وانظر : مقارنة الاديان ، لاحمد شلي ( ٤ : ٢٨ ) .

كانت غافلة عنه " ١ " ، لعوامل واسباب اثمرت اليها سلبا .  
وجملة القول في هذا الفصل : ان بعثة الرسل صلوات الله عليهم  
اجمعين ، من مشكلات كون الانسان ، في الارض ، ومن اهم حاجاته في  
بقائه عليها ، في امن واستقرار ، يحيا فيها بمفاهيم صحيحة ، وتصورات  
صحيحة ، عن الله ، والكون ، والحياة ، نعمة من الله ذي الفضل  
المهم ، والجود العظيم .

---

١ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٥ : ٢٦٠ ) ،  
وانظر كتاب الرد على المنطقيين ، له ايضا ، الطبعة الثانية ، ص



جامعة أم القرى  
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
قسم الدراسات العليا الشرعية  
فروع العقيدة

# الشيخ محمد سعيد وآراؤه

## في العقيدة الإسلامية - عرض ونقد

رسالة مقدمة

لتحليل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية

إعداد

حافظ محمد سعيد الجعبري

إشراف

الدكتور الدكتور سليمان دينا

٢٤٦٤

١٤٠٢ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ

وَبِسْمِ اللَّهِ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

### الفصل الثالث : الوحي وامكانه :

=====

- ١ - تعريف الوحي
- ٢ - امكان حصوله
- ٣ - وقوعه

#### ١ - تعريف الوحي

=====

أ : - في اللغة : عرف الشيخ محمد عبده " الوحي " لغة فقال :-  
يقال : وحيت اليه واوحيت ، انما كلمته بها تخفيه

• عن غيره

والوحي مصدر من ذلك

والمكتوب ، والرسالة ، وكل ما القاها الى غيرك ليعلمه

يقال له وحي . ثم اظن فيمن يلقى الى الانبياء من قبل

الله . " ١ "

ب : - في الشرع : عرف الشيخ محمد عبده الوحي : بأنه عرفان " ٢ " يجده  
الشخص من نفسه ، مع اليقين بأنه من الله بواسطة او

---

١ - انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٣ : ٤١٤ ) .

٢ - ويفرق بينه وبين الالهام بان الالهام وجدان تستيقنه النفس ، وتنساق  
الى ما يطلب على غير شعور منها من اين اتى .

والالهام اشبه ما يكون بالجوع والمعش ، والحزن والسرور .

وليس شرطاً في الالهام ان تستيقن النفس مصدره .

انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة ( ٣ : ٤١٤ ) .



بغير واسطة •  
وقسم الشيخ محمد عبده ما يكون بواسطة ؛ الى ما يكون بصوت يتعمل لسمعه او  
بغير صوت •

## ٢ - اماكن حصول الوحي

=====

يقصد الشيخ محمد عبده بامكان حصول الوحي : جواز حصول العلم من

الله تعالى بما فيه مصلحة البشر •

وبينه الشيخ محمد عبده الى ان حصول هذا العلم في غاية اليسر والسهولة

لكل ذي عقل سليم ، يطلب الحق خاليا عن المؤثرات •

ويتساءل الشيخ محمد عبده قائلا : اى استحالة في الوحي وان

ينكشف لانسان ما لا ينكشف لغيره ، من غير فكر ولا ترتيب مقدمات ، مع العلم

ان ذلك من قبل واهب الفكر ومناج النظر ، متى حفت العناية من ميزته هذه

النعمة ؟ •

يقول الشيخ محمد عبده في ذلك :-

( ما شهدت به البديهة ، ان درجات العقول متفاوتة ، يعلو

بعضها بعضا ، وان الادنى منها لا يدرك ما عليه الاعلى ، الا على وجه من

الاجمال ، وان ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط ، بل لا بد معه من

التفاوت في الفطر التي لا تدخل فيها لاختيار الانسان وكسبه •

ولا شبهة في ان من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو

ارقى منه ، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك الى ما لا يحصره المدد ، وان من

ارباب الهمم ، وكبار النفوس من يرى البعيد عن صفاتها قريبا ، فيسمى اليه ثم

يدركه ، والناس دونه ينكرون بدايته ، ويعجبون لنهايته ، ثم يالفون ما صار

اليه كأنه من المعروف الذي لا يفتاح ، والظاهر الذي لا يجاحد ، فاذا انكره منكر

ثاروا عليه ثورتهم في بادئ الامر على من دعاهم اليه ، ولا يزال هذا الصنف من  
الناس على قلبه ظاهرا في كل امة الى اليوم ،  
فاذا سلم - ولا محيص عن التسليم - بما اسلفنا من المقدمات ، فمن  
ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها ، عند الوصول اليها ، ان لا  
يسلم بأن من النفوس البشرية " ١ " ما يكون لها من ثناء الجوهر ، بأصل الفطرة ،  
ما تستعد به ، من محض الفيض الالهي لان تتصل بالافق الاعلى ، وتنتهي من  
الانسانية الى الذروة العليا ، وتشهد من امر الله شهودا العيان ما لم يصل غيرها  
الى تعقله او تحسسه بحصص الدليل والبرهان . وتتلقى عن العليم الحكيم ما يعلو  
وضوحا على ما يتلقاه احدنا عن اساتذة التعاليم ، ثم تصدر عن ذلك العلم الى تعليم  
ما علمت ودعوة الناس الى ما حملت على ابلاغه اليهم وان يكون ذلك سنة الله في كل امة  
وفي كل زمان على حسب الحاجة .

يظهر برحمته من يختص بعنايته ، ليفي للاجتماع بما يضطر اليه من  
مصلحة ، الى ان يبلغ النوع الانساني اشده ، وتكون الاعلام التي نصبها لهدايته  
وسعادتة كافية في ارشاده ، فتختم الرسالة ويخلق باب النبوة ) " ٢ "

### ٣ - وقوع الوحي

=====

ذكر الشيخ محمد عبده ان الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكيه عن ربه ،  
ظاهر للشاهد الذي يرى حاله ، ويبصر ما اتاه الله من الايات البينات ، ويحقق  
بالعيان ما يخفيه عن الهيان .

- 
- ١ - هذا يفسر قوله السابق : النبي : ( انسان فطر على الحق علما وعملا ) ،  
فهذا الذي يقوله هناك يفسره ما يقوله هنا .
  - ٢ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤١٥ ، ٤١٦ ) .

اما للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر ، وهو رواية جمع عن جمع . . .  
يستحيل تواترهم على الكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واياته قهر  
النفوس على اليقين بما جاء في الخبر .

ويرى الشيخ محمد عبده انه لا نزاع بين العقلاء في ان هذا النوع من الاخبار  
يقصد الاخبار بطريق التواتر - يحصل اليقين بالمخبر به .  
ويذكر الشيخ محمد عبده ان من الانبياء عليهم السلام من استوفى الخبر عنهم  
شرائط التواتر كابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

ويقول :

( وما جاء به الخبر انهم لم يكونوا فيمن يمشوا بينهم بالاقوى سلطانا ،  
ولا بالاكثرا لا ، ولم يختصهم احد بالعناية بهم لتعليمهم علم ما دعوا اليه ، وغاية  
الامر انهم لم يكونوا من الادنين الذين تعافهم النفوس ، وتنبوا عنهم الانظار ، ومع  
ذلك واستحكام السلطان لغيرهم ، ووفرة المال لديه ، واستعلائه عليهم بما  
كسب من العلم ، قاموا بالدعوة الى الله رغم الملوك واجنادهم ، وصاحوا بهم  
صيحة زلزلتهم في عروشهم ، وادعوا انهم يملفون عن خالق السموات والارض ما اراد  
شرعه للناس ، واقاموا من الدليل ما تصاغت دونه قوة المعارضة ، ثم ثبتت في  
الكون شرائعهم ثبات الخريزة في الفطرة ، وكان الخير لامهم في اتباع ما جاؤا به .  
حالفتم القوة ، واحتضنتهم السمادة ما كانوا قائمين عليها ، ورزأهم  
الضعف وغالبهم الشقاء ما انحرفوا عنها ، وخططوا فيها ، فهذا وما اقاموه من  
الادلة عند التحدى لا يصح معه ، في العقل ان يكونوا كاذبين في حديثهم عن الله ،  
ولا في دعواهم انه كان يوحى اليهم ما شرعوا للناس .  
على ان من لا يعتقد ما يقول ، لا يبقى لعقاله اثر في العقول ، والباطل  
لا بقاء له الا في الغفلة عنه ، كالنبات الخبيث في الارض الطيبة ينبت باهمالها ،  
وينمو باغفالها ، فاذا لامستها عناية الزارع غلب الخصب وذهب به الزكاء .

ولكن تلك الديانات التي جاء بها اولئك الانبياء قامت في العالم الانساني  
ما شاء الله ما قدر لها ، مقام سائر قواه ، مع كثرة المعارضين ، وقوة سلطان  
المغالبيين ، فلا يمكن ان يكون اساسها الكذب ، ودعائها الحيلة ، وكلامها  
هذا في جوهرها الذي يلوح دائما في خلال ما الحق بهما المجتدعون ( ١ ) .

اما بقية الرسل من يجب علينا الايمان بهم ، فان الشيخ محمد عبده  
يرى انه يكفي في اثبات نبوتهم اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ،  
فقد اخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام برسالاتهم ، وهو الصادق فيما بلغ به .

وسياتي الكلام عن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الفصل الخامس  
من هذا الباب ان شاء الله تعالى .

---

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤١٩ ) .

النظري في مذهب الشيخ محمد عبده بخصوص الوحي وامكانه :

=====

وقبل ان اعقب على كلام الشيخ محمد عبده في الوحي وامكان وقوعه ، اقول :-  
ان الوحي والنبوة متلازمان من حيث ان الوحي هو اساس النبوة ، وبدونه تنعدم  
النبوة ، وينعدم الانبياء .

فحقيقة النبوة : نزول الوحي من عند الله على النبي .  
فالوحي والنبوة متلازمان ، والحديث عن الوحي متصل بالحديث عن  
النبوة ، كما ان الحديث عن النبوة متصل بالحديث عن الوحي ، فلا وحي بلا  
نبوة ، ولا نبوة من غير وحي .

١ - تعريف الوحي :

===== عرف الشيخ محمد عبده الوحي في اللغة بأنه اعلام

في خفاء . وهو تعريف صحيح ذهب اليه معظم العلماء " ١ " وقالوا :-

قد يكون هذا الاعلام " بالاشارة " كما ورد في قوله تعالى :-

" فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا " . " ٢ "

ومعنى قوله تعالى " اوحى اليهم " : اشار اليهم .

وقد يكون " بالالهام " كما ورد في قوله تعالى : " واوحينا الى ام موسى ان

ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه

من المرسلين " . " ٣ "

---

١ - انظر اساس البلاغة للزمخشري ص ٦٦٨ . / وانظر تاج الصروس

• ( ١٠ : ٣٨٥ )

٢ - سورة مريم آية ( ١١ )

٣ - سورة القصص آية ( ٧ )

وكما في قوله تعالى : " واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن  
الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل  
ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء  
للناس ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون " . " ١ )

ويقول صاحب لسان العرب " ٢ : ويطلق الوحي على الكلام الخفي وكل ما القي  
الى الخير من الكلام .

اما في الشرع ، فقد عرف العلماء الوحي بأنه اعلام الله تعالى نبيا من  
انبيائه حكما شرعيا او نحوه .

ومعنى اعلام الله : اخباره ، وقد يكون منه تعالى مباشرة كما في فرض

الصلاة ،

وقد يكون بواسطة الملك جبريل عليه السلام كما هو معلوم ، او بغير ذلك .  
والحكم الشرعي : يتناول الاحكام الاصلية وهي العقائد كقوله تعالى :  
" فاعلم انه لا اله الا الله " . " ٣ "

ويتناول الاحكام الفرعية وهي العمليات كقوله تعالى : " واقموا الصلاة  
واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين " . " ٤ "

والمراد بكلام العلماء " او نحوه " : قصص الانبياء وغيرهم .

وبناء على هذا ، استطيع ان احكم بقصور تعريف الشيخ محمد عبده للوحي  
لان للعلماء قيدان في المعنى الشرعي للوحي :

- 
- ١ - سورة النحل الايات ( ٦٨ - ٦٩ ) .
  - ٢ - لسان العرب لابن منظور ، مادة " وحي " ( ١٥ : ٣٧٩ ) .
  - ٣ - سورة محمد اية ( ١٩ ) .
  - ٤ - سورة البقرة اية ( ٤٣ ) .

الاول : ان يكون من عند الله .

الثاني : ان يكون لنبي من انبيائه .

والشيخ محمد عبده لم يبين هوية الشخص الذي يحصل له هذا العرفان ، وكان ينبغي عليه ان ينص ايضا على هوية هذا العرفان ، وانه تكاليف امره الله بتبليغها للناس ، ليعملوا بها ، او ان يعمل بها بنفسه .

وايضا : فقد اجمل الشيخ محمد عبده صور هذا العرفان ، او طرائقه ، وكان الاولى به ان يفصل ، كما جرت عادة العلماء ، وقد فعل ذلك العلامة الامام ابن القيم رحمه الله فقال وهو يذكر مراتب الوحي :-

احداها :- الوحي باللقاء في القلب ، كما ورد فن رسول الله صلى الله عليه

وسلم انه قال :- " ان روح القدس " ا " نفث في روحي " ٢ "

ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، وتستوفي اجلها ، فاتقوا

الله واجملوا في الطلب " . " ٣ "

الثانية :- الرؤيا الصادقة ، وكانت هداً وحيه صلى الله عليه وسلم .

عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : " اول ما بدئ به رسول

الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل

فلق الصبح " . " ٤ "

وكما في رؤيا سيدنا ابراهيم عليه السلام :-

قال تعالى : " قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابا

افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين " . " ٥ "

---

١ - يعني جبريل عليه السلام .

٢ - اى القى في قلبه .

٣ - الحديث صحيح . ومتفق عليه .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، تحقيق وتصحيح واشراف

عبد العزيز بن باز ، ( ١ : ٢٣ ) .

٥ - سورة الصافات الايات ( ١٠١ - ١٠٢ ) .

الثالثة :- انه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي

ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة احيانا •

سأل الحارث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : يا رسول

الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو

اشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، و احيانا يتمثل لي الملك

رجلا فأعي ما يقول " ١ " •

الرابعة :- انه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان اشده عليه ، قيلتس به

الملك حتى ان جبينه ليثفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وحتى ان

راحته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ، ولقد جاء الوحي مرة

كذلك وفخذه صلى الله عليه وسلم على فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه ،

فثقلت عليه حتى كادت ترضها •

الخامسة :- ان يرى الملك في صورته التي خلق عليها ، فيوحي اليه ما شاء الله ان

يوحيه ، وهذا وقع له مرتين " ٢ " ، كما ذكر الله ذلك في سورة النجم •

قال تعالى : " ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى " • " ٣ "

السادسة : ما اوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فوض الصلاة وغيرها •

السابعة : كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران عليه

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ، ( ١ : ١٨ ) •

٢ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١ : ٢٣ و ٢٧ ) •

٣ - سورة النجم الايات ( ١٣ - ١٤ ) •



السلام ، وهذه المرتبة ثابتة لموسى عليه السلام قطعا بنص القران ، وثبوتها  
لنبينا صلى الله عليه وسلم هو في حديث الاسراء ١٠ هـ " ١ " .  
وصدق الله العظيم ان يقول : " وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا  
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم " . " ٢ " .  
ولا اعتراض على كلام الشيخ محمد عبده في امكان حصول الوحي ،  
ووقوعه فان البعثة ممكنة عقلا عند المسلمين ، وكذلك الوحي .  
فالبعثة والوحي ليسا من الامور المستحيلة عقلا ، فهما من قبل الله القادر  
على كل شيء ، والعالم بكل شيء وهو " ذو العرش المجيد فعال لما يريد " . " ٣ " .  
فالوحي بجميع صورته السابقة ليس من قبيل المستحيلات ، ولا من قبيل  
الواجبات " ٤ " فهو جائز عقلا " ٥ " ، بل قد وقع فعلا ، ووقعت بعثة الانبياء ،  
وجاءوا اقوامهم بالمعجزات ، وشهد ذلك الحاضر بالرواية ، وايقنه الغائب بالتواتر  
القطعي ، فدل ذلك على امكان الوحي والبعثة ووقوعهما ، وقد حصل ذلك  
بالفعل ، مع جميع الانبياء من اولئهم الى اخرهم ، وخاتمهم نبينا محمد عليهم جميعا  
افضل الصلاة والسلام .

- 
- ١ - زاد المعاد ، لابن القيم ، المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ١٣٤٧ هـ /  
١٩٢٨ م . ( ١ : ١٨ ) .  
وانظر كتاب : الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ، الطبعة  
الاولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ( ٧٤ - ٨٠ ) .
  - ٢ - سورة الشورى اية ( ٥١ ) .
  - ٣ - سورة البروج الايات ( ١٥ - ١٦ ) .
  - ٤ - كما هو الحال عند المعتزلة .  
انظر كتاب النجاة لابن سينا ص ٣٠٤ ، ط ٢ ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ .  
وانظر المواقف لمعضد الدين الايجي وشرحه للشريف الجرجاني ( ٣ : ١٨٢ )  
وما بعدها .
  - ٥ - وهو مذاهب اهل السنة رضي الله عنهم . وجميع المسلمين .  
انظر كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٧ / وانظر المواقف وشرحه ( ٣ : ١٨٣ )  
وانظر كتاب : الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية ، لعبد السلام  
المهادي ، الطبعة الاولى ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ص ٩٠ .

الفصل الرابع : وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

=====

فصل الشيخ محمد عبده وظيفه الرسل عليهم الصلاة والسلام على النحو

التالي :-

- ١ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يرشدون العقول الى معرفة الله ، ومعرفة صفاته ، ويبينون الحد الذي يجب ان يقف عنده في طلب ذلك العرفان .
  - ٢ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يجمعون كلمة الخلق على اله واحد ، ويطلبون منهم التوجه اليه وحده في جميع الاعمال والمعاملات ، ويذكرونهم بمعظمتهم بفرض ضروب من العبادات تذكروا لمن ينسى ، وتزكية لمن يخش .
  - ٣ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يفصلون بين الناس في ما يحدث بينهم من مخاصمات ، بأحكام من عند الله .
  - ٤ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يضعون للناس حدودا ، وقواعد ، واوامر وارشادات ، كلها من عند الله ، حتى يقفوا عندها ويرجموا اليها .
  - ٥ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يحولون اهتمام الناس من الركون الى الدنيا الفانية الى حياة الآخرة الباقية ، من غير تفريط ولا افراط .
  - ٦ - الرسل عليهم الصلاة والسلام يبينون للناس ما يؤهلهم لرضا الله عنهم ، ويحذرونهم ما يعرضهم لسخطه عليهم ، ويذكرونهم بالنشأة والمصير ، ويعرفونهم بالامور التي تكون بعد الموت ، ويعلمونهم من انباء الخيب ما اذن الله لعباده في العلم به .
- وينبه الشيخ محمد عبده الى انه ليس من وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام بيان كل شيء ، فليس مما جاؤا له تعليم التاريخ ، او الفلك ، او الجغرافية ، او الطب ، او الحساب . . . . الى اخر ما تمس اليه حاجة الانسان في الدنيا .

وما ورد من كلام الانبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام من الاشارة الى شي  
من هذه العلوم ، انما يقصد منه النظر الى ما فيه من الدلالة على حكمة الخالق ،  
وابداع الصنع ، او التفكير في مخلوقات الله تعالى لا يدرك بعض اسراره ودقائقه .

النظر في كلام الشيخ محمد عبده عن وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

=====

اقول : ان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في بيان مهمة الرسل الكرام عليهم

الصلاة والسلام ، حتى ، لا غبار عليه .

ويمكنني ان اقول انه عين ما ذهب اليه السلف رضوان الله تعالى عليهم ،

الا ما جاء في الوظيفة الاولى ، من قوله : ( يرشدون العقل الى معرفة الله ) ،

فان هذا الكلام يحتاج الى ان اتف معه قليلا ، لعدم وضوحه ، فهو بحاجة الى

ايضاح ، ولانه بيت القصيد في الموضوع . وسأعقب عليه بعد قليل بان الله تعالى .

والسلف رضي الله تعالى عنهم يرون ان من وظائف الرسل عليهم السلام

دعوة الخلق الى عبادة الله وحده ، ويستشهدون على ذلك بآيات منها :-

وقوله تعالى : " ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله " . " ٢ " .

وقوله تعالى : " وابراهيم ان قال لقومه اعبدوا الله واتقوه " . " ٣ " .

وقوله تعالى : " والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله " . " ٤ " .

وقوله تعالى : " والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله " . " ٥ " .

---

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٣ : ٤٢٠ - ٤٢٢ )

بتصرف .

٢ - سورة المؤمنون آية ( ٢٣ ) .

٣ - سورة العنكبوت آية ( ١٦ ) .

٤ - سورة الاعراف آية ( ٦٥ ) ، وسورة هود آية ( ٥٠ ) .

٥ - سورة الاعراف آية ( ٧٣ ) ، وسورة هود آية ( ٦١ ) .

- وقوله تعالى : " والى مدين اخاهم شميا قال يا قوم اعبدوا الله " ١ " .
- وقوله تعالى : " وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم " ٢ " .
- وقوله تعالى : " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله " ٣ " .
- ويرون ايضا ان الرسل عليهم الصلاة والسلام يملفون اوامر الله عز وجل ،  
ونواهيه الى البشر .
- قال تعالى : " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت  
رسالته " ٤ " .
- وقال تعالى : " الذين يملفون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله " ٥ " .
- وهم ايضا يرشدون الناس الى الصراط المستقيم ، ويشيرون بالجنة من اطاع ،  
وينذرون بالنار من عصي .
- قال تعالى : " يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله  
بازنه وسراجا منيرا " ٦ " .
- وقال تعالى : " ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور  
وذكرهم بايام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور " ٧ " .
- وهم ايضا القدوة الحسنة ، والاسوة الصالحة للناس .
- قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم  
الاخر وذكر الله كثيرا " ٨ " .

- 
- ١ - سورة هود اية ( ٨٤ ) ، وسورة العنكبوت اية ( ٣٦ ) .
  - ٢ - سورة المائدة اية ( ٧٢ ) .
  - ٣ - سورة النحل اية ( ٣٦ ) .
  - ٤ - سورة المائدة اية ( ٦٧ ) .
  - ٥ - سورة الاحزاب اية ( ٣٩ ) .
  - ٦ - سورة الاحزاب اية ( ٤٥ ) .
  - ٧ - سورة ابراهيم اية ( ٥ ) .
  - ٨ - سورة الاحزاب اية ( ٢١ ) .

- وقال تعالى : " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " . " ١ "
- وقال تعالى : " قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه " . " ٢ "
- وقال تعالى : " لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد " . " ٣ "
- وهم ايضا يذكرون الناس بالنشأة والصير ويوجهون جل اهتمامهم من الحياة الدنيا ولذاتها الفانية الى الحياة الاخرى وتعيمها الباقي .
- قال تعالى : " وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " . " ٤ "
- وقال تعالى : " فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر " . " ٥ "
- واخيرا ، يرى السلف ان الله وكل هذه الوظائف الى انبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام : " لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " . " ٦ "

- 
- ١ - سورة الانعام اية ( ٩٠ ) .
  - ٢ - سورة الممتحنة اية ( ٤ ) .
  - ٣ - سورة الممتحنة اية ( ٦ ) .
  - ٤ - سورة العنكبوت اية ( ٦٤ ) .
  - ٥ - سورة الفاشية الايات ( ٢١ - ٢٢ ) .
  - ٦ - سورة النساء اية ( ١٦٥ ) .

"عود على بدء" :

=====

واعود الى ما قاله الشيخ محمد عبده من الوظيفة الاولى - ( يرشدون  
المقل الى معرفة الله ) ، لابين ان معرفة الله ربا وخالقا ، والايمان به ،  
في حدود هذا المفهوم ، دون ما وراءه من التفاصيل الدينية ، امر فطرى مركز  
في النفس الانسانية .

وان الاقرار بالله فطرة فطر الله الناس عليها ، لا فرق في هذا بين

انسان وانسان ، ما دامت فطرهم سليمة .

بل ان الملحد ، والكافر حين يسأل عن خلقه ، وخلق السموات  
والارض لا يملك الا ان يعترف بما هو مستكن في نفسه ، فيقول : " الله " " الله " ،  
الا اذا كانت تسيطر عليه بعض الشبهات ، او الافكار الخبيثة ، او انصرف  
الى لذائذ وشهواته المحرمة ، او تعصب لمذهب فحوله عن فطرته .

وفي القران من الايات ما يشهد لهذه الفطرة ، واليك بعضها من اياته :-

١ - قال تعالى : " هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين

بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج

من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له

الدين لئن انجيتنا من هذه لتكونن من الشاكرين " . " ١ "

هذه الاية تشهد بوضوح ان الانسان - طيبا كان او غير طيب - اذا المت

به مصيبة او احاطت به كارثة ، ثم انقطعتم به الاسباب ، فلا نصير ولا معين ،

فى هذا اليأس القاتل تظهر فيه الفطرة ، وتتجلى ، فيهرع الى مولاه ، يستجديه

الخلاص من هذا الهلاك العظيم . " ١ "

٢ - هذا فرعون المنيد يعلن امام الملا " ما كان يخفيه في نفسه . فبعد ان كان يقول لقومه : ما علمت لكم من اله غيري ، كما قال تعالى : " وقال فرعون يا ايها الملا " ما علمت لكم من اله غيري " . " ٢ " وكان يقول لهم : انا ربكم الاعلى ، كما قال تعالى : " فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى " . " ٣ " ، رجح الى فطرته ، واعترف بما كان يجب عليه ان يعترف به من قبل ان يدركه الخرق .

قال تعالى : " حتى اذا ادركه الخرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين " . " ٤ "

وصدق الله العظيم ان يقول :-

" واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه " . " ٥ "

ويقول تعالى : " واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اناقهم منه

رحمة اذا فريق منهم لهم يشركون " . " ٦ "

- 
- ١ - انظر : حاشية الشهاب على البيضاوي ، احمد بن محمد الشهاب ، دار صادر ، بيروت ( ٥ : ١٨ ) .  
وانظر : التفسير الكبير ، للامام الفخر الرازي ، الطبعة الاولى ١٣٥٧ هـ ( ١٧ : ٧٠ ) .  
وانظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للالوسي ، ( ١١ : ٩٧ ) .  
وانظر كتاب : الله في العقيدة الاسلامية ، للشهيد حسن البنا ، الطبعة الثانية ، ص ٢٣ .
  - ٢ - سورة القصص اية ( ٢٨ ) .
  - ٣ - سورة النازعات الايات ( ٢٣ - ٢٤ ) .
  - ٤ - سورة يونس اية ( ٩٠ ) .
  - ٥ - سورة الاسراء اية ( ٦٧ ) .
  - ٦ - سورة الروم اية ( ٣٣ ) .

هذه هي حال الانسان ، يعرف به في حال الشدة ، وفي لحظة  
انقطاع رجائه عن الكل يرجع الى ما هو مركز في نفسه ، فيعرف الله ويطلب منه  
النجاة . " ١ "

ولكن هل احترم الانسان فطرته هذه ، وخضع لمنطقها السليم ؟  
كلا ، انه اذا ازال الله عنه اليباس والضراء ، وقضى حاجته ، نسي  
او تناسى تلك الفطرة التي تنادى بفاطر السموات والارض ، والتي تلج بالنداء بذلك  
الصوت الالهي المنهث من اعماق النفس الانسانية ، تناديه في كل حين :

ان لا تغفل عما التزمت به تجاه خالقك .  
قال تعالى : " فلما اتجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق " . " ٢ "  
وقال تعالى : " فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضره " . " ٣ "  
وقال تعالى : " ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بيزيم يشركون " . " ٤ "  
وقال تعالى : " فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون " . " ٥ "

من اجل هذا جاء الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ، لتكميل  
الفطرة ، وتنبيهها ، وايقاظها ، وتوجيهها ، ليس الى ان تعرف الله - كما  
قال الشيخ محمد عبده - لان في الفطرة معرفة الله تلقائيا ، وانما الى  
الرجوع الى الله ، وعدم الاعراض عنه ، وترك الاراء ، والاهواء الضالة ،  
ونبذها ، - كما قال الشيخ محمد عبده ، في موضع آخر =

- 
- ١ - انظر : التفسير الكبير ، للفخر الرازي ( ٢٦ : ٢٨٢ ) .
  - ( ٢٥ : ١٢١ ) .
  - ٢ - سورة يونس اية ( ٢٢ ) .
  - ٣ - سورة يونس اية ( ١٢ ) .
  - ٤ - سورة النحل اية ( ٥٤ ) .
  - ٥ - سورة الزخرف اية ( ٥٠ ) .



( وللحاجة الى اولئك المصطفين انما هي في معرفة الصفات التي اذن

الله ان تعلم منه ، وليست في الاعتقاد بوجوده ) " ١ " .

وايضا ، جاءت الرسل لدعوة الخلق الى التوحيد ، والى هذا اشارت

الايات السابقة الذكر ، على لسان رسل الله ، اذ قالوا لاقوامهم : " اهدوا

الله ما لكم من اله غيره " .

يقول الامام ، حجة الاسلام ، الفخري رحمه الله :

( بعث الله الانبياء لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا : " لا اله الا الله "

وما امنوا ان يقولوا : لنا اله ، وللعالم اله ، فان ذلك كان مجبولا في فطرهم

من مبدأ نشوتهم ، وفي عنقوان شبايبهم ، ولذلك قال الله عز وجل :

" ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله " . " ٢ " ، وقال تعالى :

" فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها " . " ٣ " . فاذا في

فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن البيان " . " ٤ " .

ويقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( بل الرسل صلوات الله عليهم بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين

الناس علما وعملا ، وضربت الامثال ، فكلمت الفطرة بما نهبتها عليه ، وارشدتها

مما كانت الفطرة معرضة عنه ، او كانت الفطرة قد فسدت بما حصل لها من الازاء " .

والاهواء الفاسدة ، فأزالت ذلك الفساد ، وسينت ما كانت الفطرة معرضة عنه )

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٣٢ ) .

٢ - سورة لقمان اية ( ٢٥ ) .

٣ - سورة الروم اية ( ٣٠ ) .

٤ - احياء علوم الدين ، ابو حامد الفخري ( ١ : ١٠٥ ) ، دار المعرفة ،

بيروت .

٥ - الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، الطبعة الثانية ص ٢٨٢ .

وانظر : مجموع الفتاوى ( ٥ : ٢٦٠ ) .

ويقول الاستاذ وحيد الدين خان :

( ان اكتشاف الله - يعني معرفته - استجابة لنداء داخلي ، وعند ما  
يظفر الانسان بذلك القبح من المعرفة ، يفاجأ بظهوره جزأ من كيانه . . . . ،  
فعلاقته بهذه المعرفة ليست علاقة عقلية ، وانما هي علاقة نفسية . . . . وكل ما  
يشكل جزأ نفسيا من كيان الانسان لا يحتاج الى دليل ) " ١ " .  
وبالجملة فان ما جاء به الرسل ، وما يدركه العقل السليم ، يلتقيان  
عند نقطة واحدة ، هي ايقاظ الفطرة ، وتنبيهها ، وتوجيهها " ٢ " .  
قال تعالى : " ولقد يسرنا القرآن للذكرفهمل للذكرفهمل من مذكر " " ٣ " .

- 
- ١ - الدين في مواجهة العلم ، وحيد الدين خان ، ترجمة ظفر الاسلام خان ،  
مراجعة عبد الحليم عويس ، الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ،  
القاهرة ص ٣ .
  - ٢ - وما تجدر الاشارة اليه ان المسؤولية والجزاء ، والثواب والمعقاب ،  
ارتبطت كلها بعمل الرسل ، وهو ايقاظ العقل وتنبيهه ، واقامة الحجج  
له ، وعليه ، لذلك من لم تبهله دعوة الرسل تسقط عنه التكليف رغم  
وجود الفطرة عنده ، فالفطرة وحدها غير كافية لتحقيق المسؤولية .  
قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " الاسراء اية ( ١٥ )  
وقال تعالى : " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسال " النساء اية ( ١٦٥ )
  - ٣ - سورة القمر الايات ( ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ) .

الفصل الخامس : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقران معجزة الاسلام

الخالصة :

=====

أ : - رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ب : - القران معجزة الاسلام .

أ : - رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

=====

تحت هذا العنوان ، كتب الشيخ محمد عبده ، كلمة استعارها من التاريخ  
يكاد يجمع عليها الكتاب ، والمؤرخون ، الذين ارخوا لذلك العهد الذي  
اشرفت فيه شمس الرسالة الاسلامية ، وبرز فيه نور النبوة المحمدية . بين فيها كيف  
كانت حاجة العالم كله ماسة الى رسالة تروى بسكان الارض الى رشد يقيم الانسان  
على الطريق التي سنها الله له ، ليبلغ بذلك كماله ، ويصل الى ما اعد له في  
الدارين . . .

ويمكن تلخيص ما جاء في هذه الكلمة في النقاط التالية :-

- ١ - التنازع والتجالد المستمر بين دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب . فسفكت الدماء ، وانهكت القوى ، واهلكت الاموال . . . الى اخر ذلك مما تجلبه الحرب وينتج عن القتال .
- ٢ - ظهور طبقة الشرفيين من المسيلاطين ، والامراء ، والقواد ، وروما ، الاديان ، من كل امة ، فكان الزهو ، والنفخخة ، والاسراف ، والتفنن في الملاذ . . . اما بقية الرعية فقد اثقلت ظهورها من كثرة ما طلب منها ، فاستولى عليها ضروب من الفقر ، والذل ، والخوف ، والاضطراب ، مما ادى الى قسدان الشخصية وانعدام الاستقلال .

٣ — انحرفت تصورات الناس ومعتقداتهم ، وخاصة عند طبقة السادة ، الذين  
انشؤوا سجيا من الاوهام والخرافات ، والقوا بها في عقول العامة ، حتى  
لا يهتدوا الى السبيل بطريقى لديهم من بضيض النور الالهي ، نور الفطرة ،  
فيثوروا على من ظلموهم .

٤ — نشأ صراع عنيف بين الدين ، والعقل ، ادى في النهاية الى الثورة  
على الدين ، وتنحيته عن الحياة ، فظهرت الهدع والخرافات ، وسبق  
الناس الى الوثنية ، ومعدوا عن التوحيد ، وظهرت مذاهب الاباحيين ،  
والدهريين ، في شعوب متعددة .

٥ — اما بالنسبة الى الامة العربية ، فقد كانت فيها قبائل شتى ، متخالفة في  
النزعات ، خاضعة للشهوات ، كتربينها الغزو ، وسفك الدماء ، وسلب  
الاموال ، بسبب الطمع وفساد الاعتقاد .

بلغوا من سخافة العقل حدا صنعوا اصنامهم من الحطوى ، ثم عبدوها ،  
فلما اجاعوا اكلوها ، وبلغوا من تضعف الاخلاق وهنأ قتلوا فيه بناتهم تخلصا  
من عار حياتهن او تنصلا من نفقات معيشتهن .  
والجملة : كانت ربط النظام الاجتماعي قد تراخت عقدها في كل امة ،  
وانقصت عراها عند كل طائفة .

هذا ما اتفق عليه مؤرخوا ذلك العهد ، وهذه حالة الاقوام كانت في  
معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معاشهم ، عبيد انلاء ، حيارى ، في جهالة  
عمياء . . . . " ١ "

---

١ — انظر رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٢٦ ) ،

بتصرف .

ومن هنا يصل الشيخ محمد عبده الى بيان حاجة سكان الارض الى رسالة  
فيها هدايتهم وسعادتهم في الدنيا والاخرة .  
ويقول :- ( اقلم يكن من رحمة الله باولئك الاقوام ان يؤه بهم برجل منهم ،  
فيوحي اليه رسالته ، ويمنحه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف  
تلك الغم ، التي اظلت رؤوس جميع الامم ؟ ) بلى كان من رحمة الله بهم  
ان يبعث فيهم من وقع عليه اختياره ليقوم بهذه المهمة وهو محمد بن عبد الله صلى  
الله عليه وسلم .

ويعرض الشيخ محمد عبده سيرته العطرة قبل النبوة ويعددها فيقول ما ملخصه :  
١ - ولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، بمكة المكرمة ، بعد ان مات  
والده بزمن يسير ، فنشأ على اليتيم ، وخشونة العيش والام الحياة .  
وفي السنة السادسة من عمره ، ماتت امه ، فاحتضنه جده عبد المطلب ،  
ومد سنتين من كفالته ، توفي جده ، فكله عمه ابو طالب .  
٢ - كان ينمو ويتكامل بدنا وعقلا ، وفضيلة وادبا ، حتى عرف بين اهل مكة ،  
" بالامين " ، ولم يكن هذا الاحد غيره من قبل .  
يقول الشيخ محمد عبده : ( ادب الهي لم تجر العادة بأن تزين به  
نفوس الايتام من الفقراء ، خصوصا مع فقر القوام ، فاكتمل صلى الله عليه  
وسلم كاملا والقوم ناقصون ، وفيما والناس منحطون ، موحدوا وهم وثنيون ،  
سلما وهم شاغبون ، صحيح الاعتقاد وهم وا همون مطبوع على الخير وهم به  
جاهلون ، وعن سهيله عادلون ) . " ١ " .  
لقد بغضت اليه الوثنية من مهاد عمره ، وطجلته طهارة العقيدة ،  
كما بادره حسن الخلق والخلقة ، فهداه الله الى ما كانت تتلمسه بصيرته ،  
باصطفاؤه لرسالته ، واختياره من بين خلقه لتقرير شريعته .

٣ - وبعد ان تزوج من خديجة رضي الله عنها ، وجد شيئا من المال يسد حاجته ، وكان له بذلك ما يرفه معيشته من غير ان تروقه الدنيا ، او تنفره زخارفها .

وجب اليه الخلاء ، للانفراد والانقطاع الى الفكر ، والمراقبة والتحنن بمنجاة الله تعالى . . . الى ان نزل عليه الوحي من المقام العلي ، فصار بذلك نبيا ورسولا .

٤ - نهى صلى الله عليه وسلم ، وحيدا ، ترطاه عناية الله ، يدعو الناس الى التوحيد ، ونبتذ الشرك ، وتحطيم الاصنام ، وتطهير المعتقدات مما كان شائعا في ذلك العصر ، من البدع والخرافات ، ( فنادى في الوثنيين بترك اوثانهم ، وفي المشبهين بالتطهر من تشبيههم ، واهاب بالطبيعيين ليمدوا بصائرهم الى ما وراء حجاب الطبيعة ، وصاح بدوى الزعامة ليستكينوا لرسمهم ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على اخر منه الا ما رسمته الشريعة وفرضه العدل ) .

والجملة : دعا الناس من عبادة الناس الى عبادة رب الناس ، ومن جور الاله يان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ، كل ذلك بالحجة والبيان ، فأخذهم بالنصيحة ، وازعجهم بالزجر ، ونبههم بالعبر ، وقرر ان لا سلطان لاحد من البشر على البشر ، واحاطهم مع ذلك بالموهبة الحسنة ، والقدة الصالحة ، فكانوا خيرا ما اخرجت للناس .

وينتهي الشيخ محمد عبده الى تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم ،

ورسالته ، فيقول :-

( ما هذه القوة في ذلك الضعف ؟ ، ما هذا السلطان في مظنة

العجز ؟ ، ما هذا العلم في تلك الامية ؟ ، ما هذا الرشاد في

غمرات الجاهلية ؟ ...

ان هو الا خطاب الجبروت الاطى ، قارعة القدرة العظمى ، نداء العناية  
العليا ، ذلك خطاب الله القادر على كل شي ، الذى وسع كل شي ، رحمة وعلما ،  
ذلك امر الله الصانع ، يقرع الاذان ، ويشق الحجب ، ويمزق الخلف ،  
وينفذ الى القلوب ، على لسان من اختاره لينطق به ، واختصه بذلك وهو  
اضعف قومه ليقم من هذا الاختصاص برهانا عليه ، بعيدا عن الظنة ، بريئا من  
التهمة ، لاتيانه على غير المعتاد بين خلقه ...

اي برهان على النبوة اعظم من هذا ؟

اي قام يدعو الكاثمين الى فهم ما يكتبون ، وما يقرأون ،  
بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ، ليمحصوا ما كانوا يعلمون في ناحية  
من يتابيح المعرفة جاء يرشد المعرفة ، ناشي بين الواهمين هب لتقويم  
الحكماء ، غريب في اقرب الشعوب الى سداجة الطبيعة ، وابعداها عن فهم  
نظام الخليقة ، والنظر في سننها البديعة ، اخذ يقرر للعالم اصول الشريعة ،  
ويخط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها ، ولن يخلص تاركها ) ، اهـ

ب : - القرآن ، معجزة الاسلام الخالصة

=====

القران الكريم ، كتاب الله العظيم ، هو المعجزة الكبرى ، والرسالة

الصادقة . . .

عن هذا الموضوع كتب الشيخ محمد عبده ، فأثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورسالته ، وواجب التصديق بذلك ، والاعتقاد بجميع ما ورد في القران والاخذ بكل ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من هدى وسنة متبعة .  
واليك باختصار ما قاله الشيخ محمد عبده :-

١ - كما جاء الخبر المتواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم ، كان في نشأته ، وامته على الحالة التي ذكرها الشيخ محمد عبده في الموضوع السابق ، فقد تواترت ايضا اخبار الامم لآفة على انه جاء بكتاب قال انه انزل عليه ، وان ذلك الكتاب هو القران الكريم المكتوب في المصاحف ، المحفوظ في صدور من عني بحفظه من المسلمين الى اليوم .

٢ - نزل القران في عصر اتفق العواة ، وتواترت الاخبار على انه ارقى الاعصار عند الحرب ، واغزرها مادة في الفصاحة ، وانه الممتاز بين جميع ما تقدمه من المصور بوفرة رجال البلاغة وفرسان الخطاب ، وانفس ما كانت الحرب تتنافس فيه من ثمار العقل ، وتناج الفطنة والذكاء ، والغلب في القول ، والسبق الى اصابة مكان الوجدان من القلوب ، وقهر الانعان من المقول . . .

٣ - وايضا ، فقد تواتر الخبر بحرص العرب على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم ، والتماسهم جميع الوسائل لابطال دعواه ، وتكذيبه في الاخبار عن الله ، وكان فيهم الطوك ، والامراء ، والقواد ، والعلماء ، والشعراء ، والخطباء ، والكتاب . . .

وقد اشتد جميع هؤلاء في مقاومته ، وانها لوالا بقواهم عليه ، استكبارا



عن الخضوع له ، وتمسكاً بما كانوا عليه من اديان اباائهم ، وهو مع ذلك  
يخطئ ، اراءهم ، وصفه احلامهم ويدعوهم الى دينه الجديد ، وعقيدة التوحيد  
ولا حجة له بين يدي ذلك كله الا تحديهم بالاتيان بمثل اقصر سورة من ذلك  
الكتاب ، وكان في استطاعتهم ان يجمعوا اليه من العلماء والفصحاء والبلغاء  
ما شاءوا ، لياتوا بشيء من مثل ما اتى به ، ليطلبوا الحجة ، ويفحصوا صاحب  
الدعوة .

( جاء الخبر المتواتر انه مع طول زمن التحدي ، ولجج القوم في التمدي  
اصبوا بالعجز ، ورجعوا بالخيمة ، وخذت للكتاب العزيز الكلمة العليا ،  
على كل كلام ، وقضى حكمه العلي على جميع الاحكام .

ليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان ابي اعظم معجزة ، وادل  
برهان على انه ليس من صنع البشر ؟ . وانما هو النور المنبعث عن شمس  
العلم الالهي ، والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الالهي ،  
صلوات الله عليه ) . " ١ " .

٤ - جاء في القران من اخبار النبي ما صدقته حوادث الكون ، كالخبر في قوله  
تعالى : " الم قلنت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلهم سيفلون في  
بضع سنين " . " ٢ " .

وكالوعد الصريح في قوله تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات  
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي  
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يمهدونني لا يشركون بي شيئاً ومن  
كفر بعد ذلك فاولئك هو القاسقون " . " ٣ " .

١ - رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٣٦ ) .

٢ - سورة الروم الايات ( ١ - ٤ ) .

٣ - سورة النور اية ( ٥٥ ) .

وقد تحقق جميع ذلك • وفي القرآن الكريم كثير من مثل هذا يعميه من يتلوه حق

تلاوته •

ومن الكلام عن الغيب فيه ما جاء في تحدى المرب به • واكتفائه في

الرجوع عن دعواه بأن ياتوا بسورة من مثله • مع سعة البلاد العربية • ووفرة سكانها •

وتباعد اطرافها • وانتشار دعوته على لسان الوافدين الى مكة من جميع ارجائها •

ومع انه لم يسبق له صلى الله عليه وسلم السياحة في نواحيها والتعرف برجالها •

وقصور العلم البشرى • عادة • عن الاحاطة بما اودع في قوى امة عظيمة كالامة

العربية •

فهذا القضاء الحاثم منه بانهم لن يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثل

ما تحداهم به ليس قضاء بشريا • ومن الصعب • بل من المتعذر ان يصدر عن

عاقل التزام كالذي التزمه وشرط كالذي شرطه على نفسه • لخلبة الظن عند من له

عقل ان الارض لا تظو من صاحب قوة مثل قوته • وانما ذلك الله المتكلم والمعلم

الخبير • هو الناطق على لسانه وقد احاط علمه بقصور جميع القوى عن تناول ما

استهضمهم له ولو لم حشم عليه •

قد يقول واهم : ان المعجز حجة على من عجز • فان المعجز هو حجة الافحام •

والزام الخصم وقد يلتزم الخصم ببعض المسلمات عنده • فيفهم ويمعجز عن الجواب

فتلزمه الحجج • ولكن ليس ذلك بملزم لغيره • فمن الممكن ان لا يسلم غيره بما

سلمه • فلا يفحمه الدليل • بل يجد الى ابطاله اقرب سبيل •

وهو وهم يضمحل بما قدمناه من البيان • ان لا يوجد من المشابهة بين اعجاز

القران وافحام الدليل الا انه يوجد عن كل منهما معجز • وشتان بين المعجزين •

ومعد ما بين وجهتي الاستدلال فيهما • فان اعجاز القران برهن على امر واقعي •

وهو : تقاصر القوى البشرية دون مكائنه من البلاغة • وقلنا : - القوى البشرية • لانه

جاء بلسان عربي مبين • وقد عرف الكتاب عند جميع العرب في عهد النبوة • وكان حال

العصر من البلاغة كما ذكرنا • وحال القوم في العناء كما بينا • ومع ذلك لم يمكن

للمرب ان يماضوه بشيء من مبلغ عقولهم . فلا يعقل ان فارسيا او هنديا او رومانيا  
يبلغ من قوة المهلافة في العربية ان يأتي بما عجز عنه العرب انفسهم . وتناصر القوى  
جميعها عن ذلك . مع التماثل بين النبي وبينهم في النشأة . وامتياز الكثير منهم  
بالمعلم والدراسة دليل قاطع على ان القران ليس مما اهتد صدوره عن البشر . فهو  
اختصاص من الله سبحانه لمن جاء على لسانه .

ثم ما ورد في القران من تسجيل المعجز عليهم . والتعرض للاصطدام بجميع  
ما اوتوا من قوة . مما يدل على الثقة من امره . مع ما سبق تعداده من الامور  
التي لا يمكن معها لما قل ان يقف ذلك الموقف مع طول الزمن . وانفساح الاجل .  
كل ذلك يدل على ان الناطق هو عالم الغيب والشهادة . لا رجل يعجز وينصح  
على العادة .

فثبت بهذه المعجزة المظن . وقام الدليل بهذا الكتاب الباقي الذي  
لا يعرض عليه التفسير . ولا يتناوله التبديل ان نبينا محمدا . صلى الله عليه  
وسلم . رسول الله الى خلقه . فيوجب التصديق برسالته . والاعتقاد بجميع  
ما ورد في الكتاب المنزل عليه . والاخذ بكل ما ثبت عنه من هدى وسنة مشهقة .  
وقد جاء في الكتاب انه خاتم الانبياء . فوجب علينا الايمان بذلك كذلك ( ١٠٠ )

وقفه مع كلام الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة  
القران الكريم :

=====

سبق القول في الفصل الثالث - ان الدليل على صدق نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم في دعواه ما شاهدته الحاضرون عيانا من الايات والمعجزات ،  
وما اخبر به الغائبون بطريق التواتر حيث تدعن النفوس قهرا الى مضمون الخبر ،  
وانه لا يمكن دفعه .

اما اثبات رسالة الرسل الاخرين ممن يجب علينا الايمان بهم ، فطريقه  
اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد اخبرنا نبينا بنهوتهم ورسالاتهم ،  
وهو الصادق فيما بلغ .

والعمدة في اثبات رسالته صلى الله عليه وسلم ادعاؤه النبوة والرسالة ،  
وظهور المعجزة على يديه .

وقد ذكر العلماء " ١ " اربعة مسالك لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم ،  
ورسالته ، وهي :-  
المسلك الاول :

===== ادعاؤه صلى الله عليه وسلم النبوة والرسالة ، وظهور المعجزة  
على يديه .

فقد ادعى صلى الله عليه وسلم انه نبي من عند الله تعالى ، ورسول  
الله الى الناس كافة ، وظهرت المعجزات على يديه . وقد ثبت هذا بالتواتر  
بالنسبة اليها ، وبالعيان لمن شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما جرى على  
يديه من معجزات .

---

١ - انظر كتاب المواقف لمضد الدين الايجي وشرحه ، للشريف الجرجاني

( ٣ : ١٩٠ - ٢٠٥ ) .

وانظر كتاب التوحيد ، لابن منصور الماتريدي ص ( ٢٠٢ - ٢١٠ ) .

اما المعجزات ، فالقران الكريم اعظمها ، وابينها ، ولا يزال بين ايدينا ، وفي صدور الحفظة . ثم ما عداه من بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تواتر الخبر بحصولها ، وسيأتي بيان بعضها فيما بعد باذن الله تعالى .  
المسلك الثاني :

===== الاستدلال بأحواله صلى الله عليه وسلم .  
فقد استدلل العلماء على نبوته عليه السلام بأحواله قبل النبوة ، ومعدتها والتي تدل بمجموعها على النبوة ، وانها لا تكون الا للانبياء صلوات الله عليهم .  
المسلك الثالث :-

===== ظهور دينه على الدين كله .  
فقد ادى عليه الصلاة والسلام الرسالة بين قوم لا كتاب لهم ، ولا حكمة فيهم - اميين - وقال لهم انه نبي بعثه الله بالكتاب والحكمة الى الناس كافة ، وانه مكلف بابلاغ ما في الكتاب الى الناس ، وقد فعل ذلك ، وظهر دينه على كل الاديان وهذا حقيقة النبوة ، ولا معنى لها الا ذلك .  
المسلك الرابع :-

===== اخبار الانبياء المتقدمين برسالته .  
فقد اخبر بعض الانبياء السابقين بأنه نبي الله ورسوله الى الناس اجمعين ، وانه ليظهر في جزيرة العرب نبي من بني اسماعيل اسمه محمد صلى الله عليه وسلم . كما جاء في بعض نصوص الكتب السماوية السابقة الصحيحة .  
فمثلا : قال " اشعيا " النبي عليه السلام معلنا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" اني جعلت امرك محمدا ، يا محمد يا قدوس الرب ، امك موجود من الابد " . " ١ " .

وقال " جقوق " النبي عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .  
" لقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامتلأت الارض من حمده " . " ١ " .  
وقال " دانيال " النبي عليه السلام مصرحا باسم محمد صلى الله عليه وسلم .  
" ستنزح في قسيك اغراقا ، وترتوي السهام بامرك يا محمد ارتواء " . " ٢ " .  
صدق الله العظيم ان يقول :

" اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل " . " ٣ " .  
ويقول تعالى : " الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم " . " ٤ " .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( وما ينبغي ان يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة ان شهادة الكتب  
المتقدمة لمحمد صلى الله عليه وسلم اما شهادتها بنبوته ، واما شهادتها بمثل  
ما اخبر به هو من الايات الهيئات على نبوته ونبوته من قبله وهو حجة على اهل الكتاب  
وعلى غير اهل الكتاب من اصناف المشركين والملحدين ) . " ٥ " .  
واعود الى الشيخ محمد عده بخصوص ما سبق له من قول ، فأقول : انه ركز  
كلامه في اثبات رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، على المسلك الاول ،  
ومر على المسلك الثاني ، والمسلك الثالث مرورا سريعا ، واهمل الكلام على  
المسلك الرابع .

ولعل سبب ذلك انه قرر في البداية ان صدق نبوة ورسالة سائر الانبياء السابقين  
تثبت باخبار رسولنا صلى الله عليه وسلم بصدقهم ، وثبتت ايضا بالتواتر ، فقد  
تواتر الخبر بيمنة الكثير منهم .

- 
- ١ - انظر نفس المرجع ( ٣ : ٢٣٠ ) .
  - ٢ - انظر نفس المرجع ( ٤ : ٣ ) .
  - ٣ - سورة الشعراء اية ( ١٩٧ ) .
  - ٤ - سورة البقرة اية ( ١٤٦ ) ، وسورة الانعام اية ( ٢٠ ) .
  - ٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ( ٣ : ٢٩٩ ) .

وايضا : فان المسلك الرابع يتوقف على ثبوت نبوتهم ، وصحة الاقوال المنسوبة اليهم .  
واذا لم تثبت نبوتهم ، اولم تصح عنهم هذه الاقوال فلا يمكن الاخذ بهذا المسلك ، كما انه لا ينفع الا لمن امن بنبوة هؤلاء الانبياء . صلوات الله عليهم .

ومعنى اخرا قول :-

ان شهادة الانبياء السابقين له صلى الله عليه وسلم ، واردة ضمن

كتبهم .

وكتبهم هذه تناولها التحريف والتبديل . واهل الكتاب قد حذفوا

اوضح هذه الدلائل من كتبهم ، وشهد عليهم القران بذلك ، قال تعالى :

” وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل

من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها  
وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا اتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون .”

واذا فاللجوء الى هذا الجانب وراءه مؤونة كثيرة في البحث ، وهو لا

يسلم لنا خصوصا من ناحية اهل الكتاب . والطرق الثلاثة الاخرى فيها غناء ، اي

غناء عنه ، لذلك اراح نفسه منه .

اما المسلكان : الثاني والثالث ، فقد مر عليهما الشيخ محمد عبده مرورا

سريعا ، لانه لا يعرف عن طريقهما صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا خواص

الناس ، الذين يعلمون ما ينهني ان يكون عليه الانبياء والرسل ، وما يجب لهم

من صفات ، وما يتحلون به من اخلاق واعمال حميدة ، تميزهم عن غيرهم ، فيقارن

حياته ، واخلاقه ، وكل ما كان عليه ، بنظائرها في حياة الناس في ايامه وقيل

ايامه ، فيجدها مختلفة تمام الاختلاف حتى كأنه بينهم ملك من الملائكة ، فيعرف

ان هذا باصطفاء الله له ، وتبهيته لمهمة النبوة والرسالة .

لذلك فقد اجملهما الشيخ محمد عبده ، وذكرهما في مسلك واحد تكلم فيه عن نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتربيته ، وتكلم عن احواله ، والظروف القاسية التي مر بها وعن حقيقة دعوته وشريعته ، وعن الصراع الذي دار بينه وبين اعدائه ، وعن النتيجة التي ظهر فيها دين الله على سائر الاديان مصداقا لقول الحق سبحانه .

" ١ "

" هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله " .

اما المسلك الاول : فهو اهم هذه المسالك ، واطهرها ، وهو اقوم الطرق لاثبات نبوة مدعي النبوة ، لان جميع الناس يستطيعون ان يعرفوا صدق نبوة اى نبي اذا ظهرت المعجزات على يديه ، والا تبين كذبه للجميع ، ونفر الناس من دعوته ، ولا يتوقف هذا التصديق على معرفة احواله السابقة واخباره الماضية لذلك ركز الشيخ محمد عبده على هذا المسلك واهتم به .

وما ذكره الشيخ محمد عبده في هذا الفصل ، لا يختلف فيه المسلمون ويكاد يجمع عليه العلماء ، والمؤلفون الذي كتبوا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . " ٢ "

- 
- ١ - سورة التوبة اية ( ٢٣ ) ، وسورة الفتح اية ( ٢٨ ) ، وسورة الصف اية ( ٩ ) .
  - ٢ - انظر السيرة النبوية لابن هشام ، تقديم طه عبد الرؤوف ( ١ : ١٤٦ - ١٦٨ ) ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ( ١ : ١٩٨ - ٢٠٥ ) ، وانظر السيرة النبوية لابن الحسن الندوي ، الطبعة الاولى ( ٣٩ - ٥٧ ) ، ( ٧١ - ٨٠ ) .
  - وانظر السيرة النبوية للدكتور محمد ابو شهبه طبعة ١٩٧٠م ( ١٧٦ - ١٨٠ ) ، وانظر سيرة ابن اسحق ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ، ص ( ٢٩ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ) .



لذلك فاني اکتفي بما ذكره الشيخ محمد عبده ، وانتقل الى بيان المسلك  
الاول عند جمهور العلماء ، والسلف الصالح رضي الله عنهم ، وهو الذي يتعلق  
بالقران الكريم ، ابلغ واعظم معجزة ، ولانه المعجزة الخالدة الى يوم الدين ،  
الناطقة بنهوء سيد المرسلين ، في كل مكان وحين ، بخلاف بقية معجزاته صلى الله  
عليه وسلم ، ومعجزات غيره من الرسل السابقين التي انتهت بانتهائهم ،  
وذهبت بذهابهم ، ولم يبق الا الخبر الدال عليها .  
والسلف ، وغيرهم من العلماء ، بينوا في هذا المقام معنى المعجزة ،  
وشروطها ، وامكانها ، ودالاتها ، ثم تكلموا عن القران من حيث هو معجزة  
الاسلام الباقية ، وذكروا معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم الاخرى التي ورد  
ذكرها في القران وفي السنة الصحيحة . كما سيأتي .

- 
- = وانظر خاتم النبيين ، لمحمد ابوزهرة ، الجزء الاول .  
وانظر : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمحمد رضا ، ص ١٩-٤١ .  
وانظر : مع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، للدكتور عائشة بنت الشاطي ،  
الطبعة الاولى ص ( ١٣ - ٤٠ ) .  
وايضا : فقد ذكر هذا بعض المصنفين من المستشرقين ، وغيرهم .

المعجزة : معناها ، شروطها ، امكانها ، دلالتها .

=====

١ - معناها :-

===== المعجزة في اللغة اسم فاعل من اعجز يعجز فهو معجزه  
وانما زيدت التاء في اخره للمبالغة . كما في قول العرب للعلام علامة ، وللنساب  
نسابة . " ١ "

وفي تاج العروس للزبيدي " ٢ " : ان اسل المادة مأخوذ من العجز ومعناه  
الضعف ، وعدم القدرة على الفعل ، كما في قوله تعالى حكاية عن ابن ادم :  
" قال ياويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سواة اخي فأصبح من  
النادمين " . " ٣ "

" والمعجزة " واحدة " معجزات " الانبياء عليهم الصلاة والسلام . " ٤ "  
وانما سميت " المعجزات " بهذا الاسم لان الناس عجزوا عن معارضتها ،  
والايمان بمثلها .

قال الحافظ ابن حجر : ( وسميت المعجزة ، لمعجز من يقع عندهم ذلك عن  
معارضتها ) . " ٥ "

---

١ - انظر : لسان العرب لابن منظور ( ٧ : ٢٣٦ ) مادة عجز فصل  
العين حرف الزاي .

٢ - مادة عجز ، فصل العين حوف الزاي ( ٤ : ٤٩ ) .

٣ - سورة المائدة اية ( ٣١ ) .

٤ - انظر مختار الصحاح ، للرازي ص ( ٤١٤ ) .

٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٦ : ٣٧٥ ) المطبعة الخيرية بمصر .

وانظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٣٠١ ، شرح وتعليق

محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٧٠ هـ .

والمعجزة في اصطلاح العلماء ، لها تعاريف كثيرة ، منها :-  
أ : - ما ورد عن ابن تيمية من انها ما دلت على النبوة ، بل على متابحة النبي ،  
وصحة دين النبي . " ١ " ،  
وهي الامر الخارق للمادة . " ٢ " ،

يقول ابن تيمية تحت عنوان : " قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات " :-  
( وان كان اسم " المعجزة " يضم كل خارق للمادة في اللغة وفي عرف الائمة  
المقدمين كالامام احمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها الايات ، لكن كثيرا من المتأخرين  
يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي ، والكرامة للولي ، وجماعهما الامر  
الخارق للمادة ) .

ويقول :- ( والله تعالى سماها آيات وبراھين ، وهو اسم مطابق لمصماه  
مضطرد لا ينتقض ، فلا تكون قط الا آيات لهم وبراھين ) . " ٣ " ،  
ب : - ومن اوضح تعاريفها ما ذكره " الايجي " ، " والامدي " ، من  
علماء الكلام .

قال الايجي : ( وهي عندنا ما قصد به اظهار صدق من ادعى انه  
رسول الله ) . " ٤ " ،

---

= وانظر كتاب : من روائع القران ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي  
ص ١٥٠ ، مكتبة الفارابي .  
وانظر : مقدمة ابن خلدون ص ٩٠ ، للعلامة عبد الرحمن بن  
خلدون .

- ١ - انظر كتاب : النبوات ، لابن تيمية ص ٦ .
- ٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ، لابن تيمية ( ١١ : ٣١١ ، ٣١٢ ) .
- ٣ - انظر : كتاب النبوات ص ٢٠٦ .
- ٤ - انظر : المواقف ، لعبد الدين الايجي ( ٣ : ١٧٧ ) .

وقال الامدى : ( هي كل ما قصد به اظهار صدق المشدئ بالنبوة المدعي  
للرسالة ) • " ١ "

---

- ١ — انظر كتاب : غاية المرام في علم الكلام ، لسيف الدين الامدى ص ٣٣٣ •  
— وعرفها القاضي عبد الجبار من المعتزلة : ( بأنها الفعل الذى يدل  
على صدق المدعي للنبوة ) •  
انظر : شرح الاصول الخمسة ص ٥٦٨ •  
— وعرفها الجلال الدواني قال :— ( هي امر بخلاف المادة على يد من  
يدعي النبوة عند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ولا يمكنهم  
معارضته ) •  
انظر : محمد عهده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٣٥ ) •  
— وعرفها الباقلاني قال : ( هي افعال الله تعالى الخارقة للمادة  
المطابقة لدعوى الانبياء وتحديهم للامم للاتيان بمثل ذلك ) •  
انظر : الانصاف ص ٦١ •  
( ويلاحظ على مجموع هذه التعاريف انها تدور حول مفهوم واحد  
للمعجزة ، وهو ما قصد به اظهار صدق المدعي للنبوة من الامور  
الخارقة للمادة ) •

٢ - شروطها :-

===== كما بحث العلماء في مفهوم المعجزة ، فقد بحثوا في شروطها

ونذكرها في سبعة شروط ، هي :-

( الاول ) : ان تكون فعل الله تعالى ، او ما يقوم مقامه من التبرك . " ١ "

ومعنى كون المعجزة فعلا او ما يقوم مقام الفعل من التبرك : ان

تكون فعلا لشيء او منعا ، مثل ان يحيى الله الميت وذلك فعل من الله .

ومثل ان يقول النبي : معجزتي ان ادخل يدي في جيبى ، وانتم لا تقدر

عليه ، فيفعل ويعجزون .

فان عدم استطاعتهم ، معجزة للنبي ، وهي منع من الفعل ، والمانع

الله .

( الثاني ) : ان يكون خارقا للمادة .

ومعناه ان يكون خارقا للادوار التي اعتاد الناس على مشاهدتها ،

وهنا نجد خلافا بين شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره في تحديد المراه " بالعادة " :

هل هي عادة جميع الناس ؟ او عادة المخاطبين بالنبوة ؟

الى الاول ذهب ابن تيمية . " ٢ "

والى الثاني ذهب القاضي عبد الجبار من المعتزلة " ٣ " ، وواقفه الشهرستاني من

الاشاعرة . " ٤ "

---

١ - انظر محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٣٥ ) / وانظر المواصف

للايجي مع شوق ( ٣ : ١٧٧ ) .

٢ - انظر كتاب : النبوات ص ٢٠ ، ص ٢٩٧ .

٣ - انظر كتاب : المفتي في ابواب التوحيد والمدل ، للقاضي عبد الجبار

( ١٥ : ١٨٩ ) .

٤ - انظر كتاب : نهاية الاقدام في علم الكلام ، للشهرستاني ص ٤٣٩ .

يقول شيخ الاسلام :

( جنس آيات الانبياء خارجة عن مقدور البشر ، بل وعن مقدور جنس الحيوان )

واری ان رای شیخ الاسلام ابن تیمیة احق بالقبول ، لانه القاضي علی

كل اشتباه في موقف مدعي النبوة .

فانه : اذا ظهر نبي في الفرس مثلا ، وظهر امرا خارقا لمادة الفرس ،

ولكن ظهر لفعله نظير عند الرومان ، ففي وسع المعارضين لهذا النبي من قومه ان

يقولوا له : ان هذا الذي اظهرته ليس من الله بل هو منك ، لان مثله ظهر

على يد بعض الرومان وهو ليس بشي .

• وحيث استطاع شخص غير نبي ان يأتي بمثله فانت مثله غير نبي .

( الثالث ) : ان تتمذر معارضته ، بأن لم يكن في مقدور احد من الناس

ان يأتي بمثل ما اتى به مدعي النبوة .

فان كان الامر ما هو مقدور عليه عند الناس ، فلا يكون معجزة له ،

ولا يدل على صدق صاحبه .

فمثلا : لو ثبت ان احدا ادخل يده في جيبه ثم اخرجها بيضاء

من غير سوء ، كما حصل لسيدنا موسى عليه السلام ، لبطلت معجزة موسى عليه

السلام .

( الرابع ) : ان يكون ظاهرا على يد مدعي النبوة . فلو ظهر الخارق للمادة

على يد من لم يدع النبوة لا يكون معجزة . ويكون :

• اما كرامة ان ظهر على يد ولي

• او سحرا ان ظهر على يد كافر .

فحتى تكون المعجزة دليلا على نبوة صاحبها لابد معها من ادعاء النبوة حتى

يكون للمعجزة هدف ، ولا بد ان يكون الامر مقرونا بالتحدي ، ولا يشترط التصريح

بالتحدي ، بل تكفي قرائن الاحوال .

( الخامس ) : ان يكون موافقا للدعوى ، فلو قال :  
معجزتي ان احى ميتا ، ففعل خارقا اخر . لم يدل على  
صدقته .

( السادس ) : ان لا يكون ما ادعاه واطهره مكذبا له .  
فلو قال : معجزتي ان ينطق هذا الذئب ، ففعل الذئب ،  
فكذبه ، لم يعلم صدقته ، بل ازاد اعتقاد كذبه .  
بخلاف ما لو قال :

معجزتي ان يحيى الله هذا الميت ، فأحياه ، فكذبه .  
فان الصحيح انه لا يخرج عن المعجزة ، لان الاحياء هو المعجزة ،  
وقد تم وفق الدعوى ، فثبت به صدق المدعى ، والتكذيب صدر من الشخص ،  
والشخص خارج عن المعجزة ، فهو كتكذيب اى شخص اخر ، فلا يقدر في  
المعجزة .

( السابع ) : ان لا تكون المعجزة مقدمة على الدعوى ، بل مقارنة لها ،  
او متأخرة عنها بزمان يسير يعتاد مثله .  
وذلك لان المعجزة تصديق لمن ظهرت من اجله ، والتصديق لا  
يعقل ان يكون قبل الدعوى .

واما اذا تأخر الامر زمتا يسيرا يعتاد مثله فهو معجزة ، بخلاف ما  
لو تأخر زمتا طويلا ، فلا يعتبر معجزة ، لجواز ان تكون صدرت لغيره . " ١ "

٣ - امكانها :-

===== المعجزة ليست من الامور المستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا .  
نعم ، المعجزة اية من ايات الله خارقة للسنن الكونية ، وخرقها للسنن هو وجه  
دالتها .

وان السنن الكونية من صنع الله ، وهو وحده القادر على خرقها بأمره  
وارادته .

ولبيان ذلك اقول :

اي غرابة في ان يغير الله سبحانه وتعالى سنة من سننه ، او قانونا  
من قوانينه ، او عادة من العادات ، في حادثة يبرزها لحكمة يعلمها ؟  
وهو سبحانه متصف بكمال القدرة ، وبأنه فعال لما يريد ، متى شاء  
وكيف يشاء ، كأن يثبت لعباده صدق من ارسله اليهم ليهدوا ، ويفوزوا بالسعادة  
في الدنيا والاخرة .

اي استحالة في هذا ، وهو سبحانه وتعالى خالق السموات والارض  
وما فيهما من العادات والقوانين ؟

ان العقل السليم لا يستغرب هذا ، ولا يحيله ، لان خالق الشيء  
بقدرته ، واختياره قادر على ان يغير وضعه الذي خلق عليه الى وضع غيره .  
يقول العلماء : هل اضطراد سير الشيء على وتيرة واحدة يوجب على العقل  
ان يحكم باستحالة سيره على خلاف ذلك ؟

كلا ، فالعقل لا يحكم باستحالة ذلك ما دام معترفاً بالقدرة التامة لخالقه ،  
وبأن الوجه الذي خلق عليه ليس الا احد الوجوه الممكنة له . " ١ "

---

١ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ،  
ص ١٢٥ ، دار النصر ، سوريا - حلب ، الطبعة الاولى ،  
١٣٦٥ هـ / ١٩٢٥ م .



فمثلا : جرت سنة الله سبحانه وتعالى ان يبقى الاسم اصم طول حياته ،

وان يبقى الابكم ابكما طول حياته ، وان يبقى الاعم اعمي طول حياته .

• هذه عادة الله في خلقه .

فتحويل بعض البكم الى ناطقين ، وتحويل بعض العمي الى مبصرين ،

وتحويل بعض الصم الى اناس يسمعون ... الخ . هذا خرق للسنن العامة ،

ولا مانع منه عند من يعترف بقدرة الله سبحانه وتعالى .

ويقول الشيخ محمد عبده : ( اى استحالة في المعجزة ونحن تعلم ان

كثيرا من الناس ممن يضربون عن الطعام في المعتقلات والسجون مدة طويلة ، لو

لم يأكلوا فيها وهم خارج سجونهم ومعتقلاتهم لهلكوا ؟ بل نسمع عن مرضى

يمتنعون عن الاكل والشرب مدة ، تكفي لهلاكهم لو كانوا اصحاء ، ومع ذلك

يعيشون ، مع وجود علة المرض التي تزيد من ضعفهم ومرضهم ) .

فالمعجزة اذا ليست مستحيلة ، بل هي ممكنة عقلا ، وقد وقعت وشاهدها

الناس عيانا ، زمن الانبياء ، وخر المؤمنون لرؤسهم بسببها سجدا ، وجدد

المكابرون ظلما وعظما . وقد سجل القرآن الكريم ذلك في كثير من آياته .

قال تعالى : " قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان تكون اول منلقى ، قال بل

القول فاذا حبالهم وحصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى

فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى والتى ما في

يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث

اتى فالتقى السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى " . " ١ )

وقد تواتر الخبر بوقوع المعجزات على يد الانبياء الذين ارسلهم الله برسالة

السماء صلوات الله عليهم . " ١ "

وهذا القران الكريم بين ايدي المسلمين وغيرهم ، يتداوله معظم البشر ،  
وقد طبع منه الملايين من النسخ ووزعت على معظم الدول في العالم ، وقرأة العالم  
والعابد والمستشرق المنصف ، والحاقد ، والمتدينون وغيرهم ، ولم يبق احد في  
هذا العالم الا وسمع به ان لم يكن قرأه . . . .

ها هو ذا يتحدى الدنيا كلها ، بما هي عليه من قوة ، وما وصلت اليه من

سلطان ، ان تأتي بعشر سور من مثله ، او بأقصر سورة منه . ويظل التحدي  
قائما حتى يريث الله الارض ومن عليها .

قال تعالى : " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا

شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تعملوا ولن تعملوا

فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين " . " ٣ "

فكيف بعد هذا يجروا انسان على القول باستحالة المعجزات ؟

ان من يجروا على ذلك لا يخلوا ان يكون بليد الحس ، خالي الذهن ضابا

في عقله ، او ان يكون مكابرا يريد ان ينكر الواقع ، ويجحد التاريخ ، ويخرج

عن الجماعة وهو مع ذلك يجهل انه مخلوق صغير ، بعد ان لم يكن شيئا مذكورا .

---

١ - انظر كتاب : اعجاز القران ، للباقلاني ص ٨ ، طبع دار المعارف

بمصر ١٩٦٣ م .

٢ - سورة البقرة الايات ( ٢٣ - ٢٤ ) .

قال تعالى : " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا انا خلقنا  
الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا " ١ " .  
ان الله القادر على ان يخلق هذا ، الخلق العظيم بارادته ، قادر  
على ان يحول بعض الصم الى اناس يسمعون ، ويحول بعض العمى الى مبصرين ،  
ولا مانع من هذا عند من يعترف بقدره الله تعالى ويصدق بقوله تعالى :  
" ان الله على كل شي قدير " ٢ " .

- 
- ١ - سورة الانسان الايات ( ١ - ٢ ) .
  - ٢ - سورة البقرة اية ( ٢٥ ) واية ( ١٠٩ ) ، واية ( ٢٤٨ ) و  
وسورة ال عمران اية ( ١٦٥ ) ، وسورة النحل اية ( ٧٧ ) ،  
وسورة النور اية ( ٤٥ ) ، وسورة المنكوت اية ( ٢٠ ) ،  
وسورة فاطر اية ( ١ ) .

٤ - دلالتها :

===== من الامور المسلمة عند العلماء ان الفرق بين العاديات  
والمقليات ، ان الاولى يجوز فيها العقل التخلف دون الثانية . فقد لا يرتوى  
شارب الماء ، وقد لا يشبع اكل الطعام ، بخلاف الاثر فلا بد له من موثر ،  
والدليل لا بد له من النتيجة ، والاربعة لا بد لها من الزوجية .  
والمعجزة تدل على صدق صاحبها في دعواه ، وهذه مسألة اتفق  
عليها جميع المسلمين .

لكن هل تدل على صدق صاحبها بطريق العقل او العادة ؟ دار  
خلاف حول هذا ، ونشأ عنه خلاف في مسألة اخرى هي :-  
هل ظهور المعجزة على يد الكاذب جائز اولا ؟  
وحتى تتمكن من الجواب على هذين السؤالين ، لا بد من ذكر اقوال العلماء  
ومذاهبهم في هذه المسألة .

واليك ما ذكره صاحب المواقف من خلاف للعلماء في هذا قال :- " ١  
١ - ذهب جمهور الاشاعرة ، ما عدا الاشعري ومن تبعه الى القول بان ظهور  
المعجزة على يد الكاذب ممكن عقلا ، لكن جرت سنة الله ان لا يحدث  
هذا .

وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عندهم عادية .  
٢ - ذهب الاشعري ومن تبعه الى القول بان ظهور المعجزة على يد الكاذب  
غير جائز عقلا ، لان للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمنع التخلف فيها .  
وبناء عليه تكون دلالة المعجزة على صدق صاحبها عقلية .

---

١ - انظر كتاب المواقف ، لمضد الدين الايجي ، مع شرحه للجرجاني

( ٣ : ١٨١ ) . بتصرف .

٣ - ذهب المعتزلة الى ان خلق المعجزة على يد الكاذب مقدور لله تعالى لمموم قدرته . لكن وقوع ذلك ممنوع ، وفيه اضلال لا يصح منه تعالى .  
وبناء عليه تكون دلالة المعجزة عندهم على صدق صاحبها دلالة عقلية .  
وحاصله : ان اكثر العلماء يقولون ان ظهور المعجزة على يد الكاذب محال عقلا ، ومن ثم كانت دلالتها على صدق صاحبها عقلية ، ولم يخالف في هذا الافقة من الاشاعرة كما ذكر صاحب المواقف .  
والذي يهمني هو ان اذكر مذهب السلف في هذه المسألة ، لابين ان جمهور العلماء معهم في هذه المسألة كما سنرى .  
السلف يقولون ان ما يدل على النبوة هو اية وبرهان عليها ، فلا بد ان يكون مختصا بها ، ولا يكون مشتركا بين الانبياء وغيرهم ، فان الدليل مستلزم لمدلوله . . . . . فآية الانبياء لا تكون لغير الانبياء .  
اي ان الدليل يكون مستلزما للمدلول عليه ، ومختصا به ، ويلزم من تحققه تحقق المدلول ، ولا يلزم من انتفائه انتفاء المدلول .  
وابن تيمية رحمه الله يقرر مذهب السلف في هذه المسألة ويبين ان دلالة ايات الله على ايدى انبيائه ورسله حتى يتبين صدقهم فيما دعوا اليه هي دلالة عقلية ، لا يجوز تخلف الدليل فيها عن المدلول عقلا . " ١ "  
فلا يجوز ان توجد الايات ولا يتبجحها الصدق بأن تظهر على يد كذاب .  
هذا هو مذهب السلف ، وهو الصواب ، والله اعلم - لان القول بخلافه فيه تجويز وقوع المساواة بين الانبياء والكذابين ، وفي هذا ما لا يليق بكمال الله تعالى .

١ - انظر كتاب النبوات ، لابن تيمية ص ( ٣ ، ٤ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢٤٢ ) .

فكيف يجوز ان يصدر عن الله تعالى من المعجزات ما يصدق به دعوى الكذاب ان من يجوز هذا ، يجوز السفه على الله تعالى • وهو سبحانه منزّه عن جميع النقائص •

وصدق الله ان يقول : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين " • " ١ " •

واتماما لهذا الموضوع ، ارى ان اشير الى الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الكرامات التي هي للصالحين • وبينها وبين السحر والكهانة التي هي من اعمال المشعوذين وبينها وبين بعض المكتشفات العاجية الحديثة • قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : — " ٢ " •

اختلف النظار في طرق التمييز بين المعجزة وبين غيرها ، كما اختلفوا في وجه دلالتها ، ولم يذكروا بين جنس المعجزة وجنس الكرامة فرقا ، بل صرح ائمتهم ان كل ما خرق لنبي يجوز ان يخرق اولي • حتى معجزة صلى الله عليه وسلم ، وقرع البحر لموسى عليه السلام • • • وغير ذلك • ولم يذكروا بين المعجزة والسحر فرقا معقولا ، بل قد يجوزون ان يأتي الساحر بمثل ذلك •

وجملة القول عند النظار ان النبي ادعى النبوة ، وان الصالح بر ،

والساحر فاجر •

اما الفلاسفة — ومنهم ابن سينا — فانهم جعلوا كل ذلك من قوى النفس •

لكن الفرق :

١ — سورة الحاقة الايات ( ٤٤ — ٤٦ ) •

٢ — انظر كتاب النبوات ص ٣ ، ٤ ، بتصرف •

ان النبي والصالح نفساهما ظاهرة ، تقصدان الخير • والساحر نفسه خبيثة •  
والفرق بين النبي والصالح متعذر على قولهم •  
ومن الناس من فرق بين آيات الانبياء وكرامات الاولياء بفروق ضعيفة مثل  
قولهم : الكرامة يخفيها صاحبها ، اولا يتحدى بها • خلافا للمعجزة • وهو  
ضعيف لان من الكرامات ما اظهرها اصحابها كظهار عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
مخاطبة " سارية " - قائد جيش المسلمين في احدى البلدان البعيدة -  
على المنبر •

وكاظهر ابي مسلم " ١ " - رحمه الله - لما القى في النار انها صارت  
عليه بردا وسلاما •

ولان من الكرامات ما يتحدى بها صاحبها ان دين الاسلام حق • كما فعل  
خالد بن الوليد رضي الله عنه لما شرب السم • وكالغلام الذي اتى الراهب وترك  
الساحر وامر بقتل نفسه بسهم من عنده باسم ربه • وكان قبل ذلك قد خرقت له  
العادة فلم يتمكنوا من قتله • وقصته مشهورة • " ٢ "

والمراتب عند شيخ الاسلام في هذا ثلاث : - آيات الانبياء • ثم  
كرامات الصالحين ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان • وما يحصل لبعض  
المشركين واهل الكتاب والضلال من المسلمين •

---

١ - هو ابو مسلم الخولاني ، زاهد اهل الشام في صدر الاسلام ، القاه في  
النار الاسود بن قيس العنسي - ذو الخمار - لما تنبأ في اليمن •  
وانكر ابو مسلم عليه •

انظر : النبوات • لابن تيمية ص ٥ •  
٢ - انظر : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للنووي ص ٢٢ و ٢٣ •  
تحقيق محي الدين الجراح •

والفرق بين المرتبة الاولى والثانية ان خوارق الاولياء من جنس معجزات الانبياء لانه انما حصل لهم هذا باتباعهم الانبياء . لكنهم دون الانبياء فلا تبلغ كراماتهم مثل معجزات الانبياء . كما انهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب الى درجاتهم ولكنهم قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض اعمالهم . وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به المرسلون ، ولا تدل على عصمة الولي ولا على انه يجب طاعته في كل ما يقوله . خلافا للنبي . " ١ " وهذا الذي ذهب اليه شيخ الاسلام ، ايداه فيه كثير من العلماء . " ٢ " وبالنسبة للفرق بين المعجزة والسحر ، فقد ذكر شيخ الاسلام فروقا كثيرة زادت على عشرة فروق ، اذكر منها :-

- ١ - المعجزة لا تحصل بكسب العبد ، والسحر وغيره مما يمكن التوصل اليه بسبب ، كالذي يأتي بافعال واقوال تحدثه بها الجن . " ٣ "
- ٢ - ان ما تخبر به الانبياء من المعجزات لا يكون الا صدقا ، واما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان فان ما فيه من الصدق ، انما هو ايهام وتخيل .
- ٣ - ان ما يأتي به السحرة والكهان معتاد لغيرهم ، بينما المعجزة مخالفة للمادة .

- 
- ١ - انظر : كتاب النبوات ص ٢ ، ٢٨ ، ١٢١ ، المطبعة المنيرية بمصر .
  - ٢ - انظر : الاربعين في اصول الدين للرازي ص ٣٨٤ ، طبعة الهند . وانظر : كتاب الوحي المحمدي لرشيد رضا ص ١٥٩ ، ١٦٠ . وانظر كتاب : التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من الجاحث المنيفة لعبد الرحمن الناصر السعدي ص ٥٨ ، ٥٩ .
  - ٣ - انظر : شرح المواهب اللدنية ، للزرقاني ( ٥ : ٨٩ ) ، المطبعة المصيرية الازهرية بمصر .



٤ - المعجزة انما تحصل لتدل على صدق مدعي النبوة وعدله ، بخلاف السحر

والكهانة والكهانة فان السحرة والكهان تحصل لهم الخواص مع الكذب والاشم .

٥ - المعجزة لا يمكن معارضتها لا بمثلها ولا باقوى منها ، واما السحر

فيمكن معارضته بمثله واقوى منه .

وفية ما ذكره شيخ الاسلام من الفرق فيمكن ارجاعه الى هذه .

وازيد الفرق الثاني توضيحا فاقول :-

ان المعجزة فيها خرق للعادة حقيقة ، بخلاف السحر الذي هو ايهام ،

وتخييل للناس . " ١ "

فمثلا ، عصا موسى عليه السلام اقبلت الى حية مكونة من لحم ودم . . . . في

الواقع ونفس الامر ، كما لو خلقها الله ابتداء حية تسمى .

قال تعالى : " وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا اتوكوت عليها

واهش بها على غني ولي فيها ما رب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي

حية تسمى " ٢ " و ولما اخذها موسى عليه السلام عادت الى طبيعتها الاصلية

عصا خشبية ، قال تعالى :

" قال اخذها ولا تخف سنميدها سيرتها الاولى " . " ٣ "

بينما لم تنقلب جمال السحرة الى شي اخر ، وظلت على طبيعتها التي

صنعت منها ، وهي الليف . والذي حصل : ان الناس خيل اليهم انها تسمى

كما تسمى الحية .

---

١ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٩ .

٢ - سورة طه الايات ( ١٧ - ٢٠ ) .

٣ - سورة طه اية ( ٢١ ) .

قال تعالى : " فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم " ١ \*  
وقال تعالى : " قال بل القوا فاذا جبالهم وصيهم يخيل اليه من سحرهم انها  
تسمى " ٢ \* ٠ "

وقد سجل القرآن الكريم اعتراضهم بان ما فعلوه سحر سحروا به اعين الناس  
قال تعالى : " فلنأتينك بسحر مثله " ٣ \* ٠ "

كما ذكر القرآن رد موسى عليه السلام عليهم بان ما جاؤا به كذب واقتراء \*  
قال تعالى : " قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بمذاب وقد  
خطب من افتوى " ٤ \* ٠ "

يقول الدكتور المهادى : " ( وكذلك تختلف المعجزة عن السحر .. فهو لا يعدو  
الا بهام والتخييل والتلاعب على قدرة الابصار عند الناس فليس فيه تفسير لحقائق  
الاشياء او خرق للقوانين والسنن التي تحكم ظواهر الكون ومظاهره ) " ٥ \* ٠  
اما الفرق بين المعجزة والمكتشف الملقى فلان المكتشف الملقى عبارة  
عن معرفة شئ من قوانين الكون وسنته كان مجهولاً بينما المعجزة خرق القوانين  
الكون وسنته " ٦ \* ٠ "

- 
- ١ — سورة الاعراف اية ( ١١٦ ) .
  - ٢ — سورة طه اية ( ٦٦ ) .
  - ٣ — سورة طه اية ( ٥٨ ) .
  - ٤ — سورة طه اية ( ٦١ ) .
  - ٥ — كتاب الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية ، للدكتور عبد السلام  
المهادى ص ٩١ و ٩٢ .
  - ٦ — انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين عتر ،  
ص ٣٧ و ٣٨ .

يقول سيمبل هامان :-

( وكلما وصل الانسان الى قانون جديد فان هذا القانون ينادى قائلا ،

ان الله هو خالقي وليس الانسان الا (كاشفاً) . " )

اقول : ان الذي يلتبس بالمعجزة هو اختراعات العلماء التي لم يسبقوا اليها

كمخترع التلفزيون ، والظفار ، والصاروخ الفضائي . . . الى اخر ما وصل اليه

العلم الحديث .

فقد يقول قائل : ان هذه امور لم تحدث من قبل ، وحدثت اليوم على

ايدي اناس مختصين ، فما الفارق بينها وبين المعجزة ؟

فيقال : ان هذه الاختراعات بنيت على القوانين الطبيعية التي اودعها

الله في الكون . فهي متمشية مع قوانين الطبيعة غير صادمة لها .

فمثلا : الرائي ونحوه - اخترعه صاحبه بناء على قانون طبيعي هو ان

الاصوات التي تصدر عن اصحابها لا تفتنى ولا تتلاشى ، وانما تظل باقية في

الهواء ، لكن في صورة ضعيفة . فعمل هذا المخترع على ان يقوى هذا الضعيف

ويظهره .

فاخترع جهاز التقوية ، بعد ان عرف القانون الذي يسير عليه .

فاخترعه قام على اساس قانون طبيعي . فهو لم يخترع القانون الذي قام

عليه اختراعه ، وانما القانون من خلق الله ، وهو بنى عليه اختراعه .

ولذلك - وهو الفرق الثاني - يستطيع غيره ان يفعله وان يسير على منواله

بعد ان عرف القانون الذي بنى عليه .

فإذا رجعت الى المعجزة وجدنا انها ليست قائمة على قانون من قوانين

---

١ - من كتاب : للكون اله ، لعبد العزيز كامل الشهابي ، الطبعة الرابعة

١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م دار الاقصاد ص ١٦ .

الطبيعة ، بل هي قائمة على تعطيل القوانين الطبيعية وهادمتها .  
ولذلك - وهو الفارق الثاني - بينها وبين الاختراعات ان احدا غير النبي  
لا يستطيع الاتيان بمثلها .

وحاصل الكلام ان الشيخ محمد عبده متفق مع ما قاله السلف وجمهور العلماء  
في المعجزة من حيث امكانها وشروطها ودالاتها والفرق بينها وبين غيرها من سحر  
ومثله ، وكذلك الفرق بينها وبين الكرامة .

يظهر هذا من كلام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، وها انا ذا  
اسوقه بخصه ليكون ادل على اثبات الاتفاق ، وقد سبق بيان ما تضمنه :  
يقول الشيخ محمد عبده :-

( المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلا ، فان مخالفة السير الطبيعي  
المعروف في اليجاد مما لم يقم دليل على استحالته ، بل ذلك مما يقع ، كما يشاهد  
في حال المريض يمتنع عن الاكل مدة لولم يأكل فيها وهو صحيح لمات ، مع  
وجود العلة التي تزيد الضعف وتساعد الجوع على الائتلاف .

فان قيل : ان ذلك لا بد ان يكون تابعا لنا موسى اخر طبيعي ، قلنا :  
ان واضح الناموس هو موجد الكائنات ، فليس من المنطال عليه ان يضع نواميس خاصة  
بخواق لمعادات . غاية ما في الامراننا لا نعرفها ، ولكننا نرى اثرها على يد من  
اختصه الله بفضل من عنده .

على اننا بعد الاعتقاد بان صانع الكون قادر مختار ، يسهل علينا العلم  
بأية لا يمتنع عليه ان يحدث الحادث على اي هيئة ، وتابعا لاي سبب ، اذا  
سبق في علمه انه يحدثه كذلك .

المعجزة لا بد ان تكون مقبولة بالتحدى عند دعوى النبوة ، وظهورها من  
البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يديه ، لان النبي يستند اليها في دعواه انه  
مبلغ عن الله . فاصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له في تلك الدعوى .

ومن المحال على الله تعالى ان يؤيد الكاذب ، فان تأييد الكاذب تصديق له ، وتصديق الكاذب كذب وهو محال على الله .

فمضى ظهرت المعجزة وهي ما لا يقدر عليه البشر ، وقارن ظهورها دعوى النبوة ، علم بالضرورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يده ، وان كان هذا العلم قد يقارنه الانتكار مكابرة .

واما السحر وامثاله : فان سلم ان مظاهره فائقة عن اثار الاجسام

والجسمانيات ، فهي لا تملو عن متناول القوى الممكنة ، فلا يقارب المعجزة بشيء (١) . \* ١ \*

---

١ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٠١ و ٤٠٢ ) . \*

( ب ) القرآن معجزة الاسلام الخالدة :

=====

تناول علماء السلف ، وغيرهم من علماء المسلمين في الحديث عن القرآن من حيث هو معجزة الرسالة الاسلامية الخاتمة ، حقيقة هذه المعجزة ، واهم مظاهر الاعجاز فيها ، كما تحدثوا عن بعض معجزاته عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم ، واهم معجزاته التي ذكرتها كتب الحديث والسيرة . " ١ "

اولا : حقيقة المعجزة القرآنية :-

===== القرآن الكريم ، العظيم ، الحكيم ، اية

الله الكبرى ، ومعجزة الاسلام الخالدة ، الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

اية لا كالايات ، ومعجزة لا كالمعجزات . امتاز عن معجزات الرسل السابقين بانه معجزة دائمة ، لا يزول دلالتها ولا تضعف مع مرور الايام والاعوام ، ولا يذهب اثرها في النفوس . . . . . يبهرت الابصار ، وجمرت الالباب ، وقطعت انفاس البشر ان لم ياتوا بمثل عشر سور من القرآن او بمثل اقصر سورة منه . ولا زال القرآن يتحدى ويستمر في التحدى الى يوم الساعة . . . . . اما بالنسبة لمعجزات الرسل السابقين ، فقد كانت كلها وقائع مادية محسوسة كالتي كانت لرسولنا صلى الله عليه وسلم من غير القرآن .

---

١ - انظر كتاب : اعجاز القرآن - الاعجاز في دراسات السابقين - ( ١ : ٨٧ - ١٥٠ ) دار المعرفة للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .

وانظر كتاب : اعجاز القرآن ، المسمى : معترك الاقران في اعجاز القرآن .  
للسيوطي الكتاب بقسميه ، تحقيق طي محمد اليحاوى ، دار الفكر العربي .  
وانظر : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ، للرهاني والخطابي والجرجاني ،

يقول السيوطي في الاتقان :- ( واكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسية ،  
لبلائهم وقلة بصيرتهم ، واكثر معجزات هذه الامة الاسلامية عقلية ، لفرط ذكائهم  
وكمال افهامهم ، ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر الى يوم  
القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر ) . " ١ " .  
ولكون القران اية باقية ، فقد عدها العلماء وجها من وجوه اعجازه  
المعدودة .

قال تعالى : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " . " ٢ " .  
وقال تعالى : " لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " .  
اما سائر معجزات الانبياء السابقين فقد انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق  
الا غيرها . " ٤ " .

ان القران يختلف عن المعجزات الاخرى للانبياء السابقين . فان كل معجزة  
من معجزات الانبياء السابقين كان لها دلالة محددة تدل عليها ، فمضى موسى عليه

---

= حققها وعلق عليها محمد خلف الله ، ومحمد زغول سلام ، الطبعة الثانية

١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م ، دار المعارف بمصر .

وانظر : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ محمد ابوزهرة ، دار الفكر

العربي ص ٦٣ - ١٢٩ .

وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٧ : ٣٩١ - ٤٤٨ ) /

ومختصر صحيح مسلم ( ٢ : ١٦٣ ) وما بعدها .

١ - الاتقان في علوم القران ( ٢ : ١١٦ ) .

٢ - سورة الحجر اية ( ٩ ) .

٣ - سورة فصلت اية ( ٤٢ ) .

٤ - انظر : كتاب الشفاء للقاضي عياض ص ٢٣٢ ، الطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ .

وانظر : البرهان في علوم القران ، للزركشي ، ( ١ : ٢٣٣ ) ، مطبعة =

السلام دلت على الاعجاز من حيث انها جماد انقلب الى حيوان • ومعجزة عيسى عليه السلام في احياء الموتى مثلا دلت على الاعجاز من حيث ان الميت صار حيا بعد الموت •

واما القران فان فيه جوانب متعددة للاعجاز ، وقف الناس امامها حيارى مشدوهين ، وانقسموا طوائف • فكل طائفة لاح لها جانب من جوانب الاعجاز ، فوقفت امامه وابرزته ووضحت ، واذهلها الاهتمام به عن الجوانب الاخرى ، وصورته بما يجمله في مصاف معجزات الانبياء السابقين •

ولذلك نجد من يقول ان اعجاز القران في بلاغته وفصاحته ، ومن يقول ان اعجاز القران في اخباره بالثيب ، ومن يقول ان اعجازه في تشريعاته ، ومن يقول ••••• ومن يقول ••••• الى اخره •

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :— ( وكل ما ذكره الناس من الوجوه في اعجاز القران ، هو حجة على اعجازه ، ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له ) • " ١ "

وعلى هذا فالقران الكريم ليس معجزة واحدة ولكنه جملة معجزات ، وهذا على عكس معجزات الانبياء السابقين فان كل شيء كان معجزة واحدة ، ولا يمكن ان يدل على اكثر من ذلك •

---

= عيسى البابي الحلي بمصر •

وانظر : مناهل العرفان ، للزرقاني ( ١ : ٢٣٢ و ٢٣٣ ) •

الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلي ، بمصر •

١ — الجواب الصحيح لمن يدل دين المسيح ، لابن تيمية ( ٤ : ٧٥ ) •



صدق الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول : " ما من الانبياء نبي  
الا اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر ، وانما كان النذى اوتيت وحيا او حاه  
الله الي ،  
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة " . ١

١ - صحيح . انظر صحيح البخارى كتاب فضائل القران .  
يقول ابن خلدون في مقدمته شارحا معنى هذا الحديث : ( اعلم ان  
اعظم المعجزات واشرفها وواضحها دلالة : القران الكريم المنزل على نبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم . فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي  
الذى يتلقاه النبي ، ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ، والقران هو  
بنفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ،  
ولا يفقر الى دليل مغاير له كما اثر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة  
لاتحاد الدليل والمدلول فيه ، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم  
في الحديث . . .  
يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة  
وهو كونها نفس الوحي ، كان المصدق لها اكثر ، لوضوحها ، فكسر  
المصدق والمؤمن ، وهو التابع والامة ) .  
انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، مطبعة التقدم بمصر  
١٣٢٩ هـ .

ثانيا : مظاهر الاعجاز في القرآن الكريم :

=====

لم يتكلم احد من علماء المسلمين ، في القرنين الاولين ، في مسألة اعجاز القرآن ، وذلك تهيئا لمقام القرآن في نفوسهم ، ولصفاً عقيدتهم ، ولانهم لما كانوا بحاجة الى الكتابة في اعجاز القرآن يبينون بها انه معجز من ناحية كذا ، ومن ناحية كذا . . . .

فان هذه الامور ما دعت الداعية اليها الا لما استحکم الجدل بين الناس ، فاخذ علماء المسلمين يبحثون في اوجه الاعجاز ، ويبينونها للناس ، ويقنعونهم بها .

واما في المصور الاولى حيث كان الاعجاز الفعلي حاصلا ، وخضع الناس له طوعا وكرها ، فلم يكن هناك حاجة الى تبيانها بالبحث والنظر والتأليف فان وقوعه اقوى دلالة من شرحه وتبيانها .  
ومع ذلك فان العلماء لم يصلوا بعد الى النهاية في هذا الموضوع ، وما بلغوا في وجوه اعجازه جزء واحد من عشر معشاره . " ١ "

يقول الخطابي في " بيان اعجاز القرآن " " ٢ " : ( قد اكثر الناس الكلام في هذا الباب قديما وحديثا ، ونذهبوا فيه كل مذهب من القول ، وما وجدناهم بعد صد روا عن ربي " ٣ " ، وذلك لتعذر معرفة وجه الاعجاز في القرآن ،

- 
- ١ - انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، ( ٢ : ١٢١ ) .
  - ٢ - انظر : ثلاث رسائل في الاعجاز - رسالة الخطابي : بيان اعجاز القرآن - تحقيق الاستاذ محمد خلف الله وزمياد .
  - ٣ - ما اظن يريد انهم لم يكتبوا ولم يقتنعوا ، بل يريد انهم من فرط اللذة فيما ادركوا ، يطلبون المزيد ، واذا كان المؤلف يريد المعنى الاول فهو رد عليه .

ومعرفة الامر في الوقوف على كفيته ) •  
وسأحاول • تتبع مذاهب الناس • قديماً وحديثاً في هذا الباب • لارى  
اين يقف الشيخ محمد عبده في هذا الموضوع • ثم ابين الراى المختار فيه ان  
شاء الله تعالى •

(أ) : بيان اوجه اعجاز القرآن :

=====

الوجه الاول : الصرفة " ١ " .

=====

والقول بالصفة منسوب الى النظام وهو شيخ من شيوخ المعتزلة " ٢ " ،  
ونسب الى المرتضى من الشيعة " ٣ " ، وابي اسحق الاسفرائيني من السنة " ٤ " ،  
وابن سنان الخفاجي " ٥ " ، وعباد بن سلمان ، وهشام القرظي " ٦ " .  
ويذكر الشيخ ابو زهرة ان الامام ابن حزم الاندلسي قال بالصفة في كتاب

" الفصل " ، في بيان سبب الاعجاز " ٧ " .

وقد رجعت الى الفصل فوجدته يقول : ( لم يقل احد ان كلام الله معجز  
ولكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له اصابه معجزا ومنع من ماثلته ، وهذا

---

١ - ذكر الشهرستاني ان لها معنيين :- ( الاول ) : ان الله صرف العرب عن

مما رثته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن طاقهم امر خارجي .

( الثاني ) : ان الله سلب الانس والجن العلوم التي يحتاجون اليها في

المعارضة ليحيوا بحثل القران .

انظر : الملل والنحل ( ١ : ١٤٢ ) .

٢ - انظر كتاب : القران الكريم دراسة ، لابراهيم ابو الخشب ص ( ١٠٩ ) ،

/ وانظر كتاب : مع القران ، للحوفي ( ١ : ٢٨ ) .

٣ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ ، دار الفكر

المري .

٤ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ص ٢٠٥ ، لحسن ضياء الدين عمر .

٥ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٧٣ ، لعبد الكريم الخطيب

الطبعة الاولى ١٩٧٤ م .

٦ - انظر كتاب : مع القران الكريم ، للدكتور احمد الحوفي ( ١ : ٢٨ ) .

٧ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، للشيخ ابو زهرة ص ٨٢ .

وهذا برهان كافلا يحتاج الى دليل ( " ١ " )

ويرى الشيخ ابو زهرة ان اصل القول بالصرفة جاء من كلام البراهمة ، وان  
اول من جاهر به النظام من المعتزلة ، وان تلميذه الجاحظ رحح عنه ورد عليه  
وذكر عليه " ٢ " .

والقول بالصرفة ، قول فاسد ، وهو زعم لا يقوم على دليل من العقل او  
النقل ، بل انكشف زيفه ومطلانه بأدلة كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام .  
استقصاها كثير ممن كتبوا في هذا الموضوع " ٣ " .

وابن تيمية رحمه الله يرى ان القول بالصرفة قول ضعيف يقول :-

( ومن اضعف الاقوال قول من يقول من اهل الكلام : انه معجز بصرف الدواعي  
مع قيام الموجب لها ، او بسلب القدرة الجارمة ، وهو ان الله صرف قلوب الامم  
عن معارضته مع قيام مقتضى التام ، او سلبهم القدرة المعتادة في مثله سلبا عاما ) " ٤ "

الوجه الثاني :

=====  
النظم الذي انفرد به القران في صياغة عباراته صياغة تنتظم بها

المعاني انتظام الروح في الجسد .

وقد انتهى الى هذا الوجه الامام الباقلاني " ٥ " والجرجاني " ٦ "

- 
- ١ - انظر كتاب : التبيان في علوم القران ، للصابوني ص ١٠٠ ، الطبعة الثانية .
  - ٢ - انظر كتاب : المعجزة الكبرى القران ، ص ٨١ .
  - ٣ - انظر كتاب : بينات المعجزة الخالدة ، لمتر ص ٢٠٦ - ٢١٦ / والاعجاز  
في دراسات السابقين ( ٣٧٤ - ٣٧٨ ) .
  - ٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ( ٤ : ٧٥ ) .
  - ٥ - انظر : اعجاز القران ، للباقلاني ، الطبعة الاولى ص ٦٢ ، ٦٣ .
  - ٦ - انظر : دلائل الاعجاز ، لمبد القاهر الجرجاني ص ٣٢ .

والطبري "١" والخطابي "٢" والروائي "٣" ، واكده الرافعي "٤"   
 والوازي "٥" والقرطبي "٦" ، ومن المحدثين الشيخ ابو زهرة "٧" والبوطي "٨"   
 والحوفي "٩" وكثيرون غيرهم . "١٠"

الوجه الثالث : الاخبار عن بعض الاور القيسية :

=====

وهذا الوجه يتناول :

١ - الاخبار عن احوال بعض من كانوا في الزمان الاول قبل نزول القرآن ،

كالأخبار عن اصحاب الكهف والرقيم .

قال تعالى : " ام حسبنا ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجايبا ، ان   
 اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا " . "١١"

١ - انظر : جامع البيان في تفسير القرآن ، للطبري ( ١ : ٦٦ ) .

٢ - انظر : رسالة بيان اعجاز القرآن ، ابو سليمان محمد بن الخطابي ص   
 ٢٤ - ضمن ثلاثة رسائل .

٣ - انظر رسالة : النكت في اعجاز القرآن ، للروائي ص ٧٠ ، ضمن ثلاث رسائل   
 في اعجاز القرآن .

٤ - انظر : اعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص ١٨٠ .

٥ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ، لعبد الكريم الخطيب ص ٣٥٩ .

٦ - انظر : الجامع لاحكام القرآن ، للقرطبي ( ١ : ٧٣ - ٧٥ ) .

٧ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ص ٧٧ .

٨ - انظر : من روائع القرآن ، لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٢ .

٩ - انظر : مع القرآن ، للدكتور احمد الحوحي ص ٣٧ .

١٠ - منهم الشيخ الفزالي ، ومحمد الصادق عرجون ، ومحمد الخضر حسين ،

ومحمد عبد الله دراز .

١١ - سورة الكهف الايات ( ٩ - ١٠ ) .

(ب) - الاخبار عن احوال بعض من كانوا في زمان نزوله . كالاخبار عن بعض

المنافقين وغيرهم . مثل اصحاب مسجد الضرار .

قال تعالى : " والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين واوصادا لمن

حارب الله ورسوله من قبل وليطفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون " ١

(ج) - الاخبار عن احوال بعض الامم في المستقبل ، بعد نزول القرآن ،

كالاخبار عما سيكون عليه المؤمنون فيما بعد من الاستخلاف في الارض .

قال تعالى : " وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض

كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد

خوفهم انما يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون " ٢

واصحاب هذا القول : منهم ، القاضي عياض " ٣ " ، والسيوطي " ٤ " ،

والباقلاني " ٥ " ، والزركشي " ٦ " ،

ومن المحدثين : الشيخ ابو زهرة " ٧ " ، والبطوني " ٨ " ، وغيرهم " ٩ "

---

١ - سورة التوبة آية ( ١٠٧ ) .

٢ - سورة النور آية ( ٥٥ ) .

٣ - انظر كتاب : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٥ .

٤ - انظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن ص ٢٣٩ .

٥ - اعجاز القرآن ، للباقلاني ص ٦٠ .

٦ - انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ص ٣٦٢ ، نقلا عن البرهان في علوم القرآن .

٧ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ، للشيخ ابو زهرة ص ٩٩ .

٨ - انظر : من روائع القرآن ص ١٥٣ .

٩ - انظر : نظرات في القرآن ، لمحمد الفزالي ص ١٣٤ - ١٤٨ .

وانظر : مع القرآن ، للدكتور احمد الحوفي ص ٣٥ ، ٣٦٤ .

وانظر : بيلات المعجزة الخالدة ، لحسن عمر ص ٣٢١ - ٣٥٩ .

الوجه الرابع : سوا التشريح القرآني وشموله :

=====

بمعنى اشتغال القرآن على الاحكام الشرعية التي فيها سعادة البشر في

الدارين : الدنيا ، والاخرة .

واصحاب هذا القول من العلماء : القرطبي " ١ " ، والشيخ ابو

زهرة " ٢ " ، والشيخ رشيد رضا " ٣ " ، والزرقاني " ٤ " ، وكثيرون غيرهم . " ٥ "

الوجه الخامس :

===== الوفاء بالوعد المدرك بالحس والعيان في كل ما وعد الله سبحانه

وينقسم الى قسمين :

١ : - اخباره المطلق ، كوعد الله بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم ،

قال تعالى : " هو الذي ارسل رسوله بالهدى وهدى الحق ليظهره على الدين

كله " . " ٦ "

---

١ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ص ٩١ ، للشيخ ابو زهرة ، نقلا عن تفسير

القرطبي .

٢ - انظر اذ المعجزة الكبرى القرآن ص ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٩ .

٣ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ١٩٨ - ٢٠٠ ) ، فصل في تحقيق وجوه

الاعجاز بمنتهى الاختصار والايجاز .

٤ - انظر : مناهل العرفان ، للزرقاني ( ٢ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ ) .

٥ - انظر : على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ، لاحمد محمد جمال ص

١٠١ - ١٠٨ ، الطبعة الثانية .

وانظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن هنر ، ص ٣٥٩ - ٣٦٦ .

٦ - سورة التوبة اية ( ٣٣ ) ، وسورة الفتح اية ( ٢٨ ) ، وسورة الصف اية ( ٩ ) .



( ب ) - وعد مفيد بشرط كقوله تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " <sup>١</sup>

وصاحب هذا القول : الامام القرطبي " ٢ " ، وذكره الدكتور حسن عثروايدة <sup>٣</sup> .

الوجه السادس : الاعجاز العلمي في القرآن .

=====

بمعنى مطابقة الايات القرآنية التي تكلمت في مجال العلوم الكونية لما

اكتشف من الحقائق العلمية .

ولان المكتشفات العلمية ظهرت اخيرا ، فان العلماء الاقدمين لم يذكرها

هذا الوجه ، وذكره من المحدثين ، الشيخ ابوزهرة " ٤ " ، ودرارز " ٥ " ،

والرافعي " ٦ " ، ومحمد الغزالي " ٧ " وكثيرون غيرهم " ٨ " .

الوجه السابع : هداية القرآن .

===== بمعنى تأثيره وفاقطيته في النفوس ، او الاثر الذي احدهه القرآن

في العالم ، وغيره وجه التاريخ . اى - روحانية القرآن .

واصحاب هذا القول من العلماء : السيوطي " ٩ " ، والرافعي " ١٠ " ،

---

١ - سورة الطلاق اية ( ٣ ) .

٢ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن للشيخ ابوزهرة ص ٩١ ، نقله عن تفسير

القرطبي .

٣ - انظر : بينات المعجزة الخالدة ، لحسن عثر ، ص ٣٥٩ - ٣٦٦ .

٤ - انظر : المعجزة الكبرى القرآن ص ٩٩ .

٥ - انظر : النبا العظيم ، لدرارز ص ٧٩ .

٦ - انظر : اعجاز القرآن ، للرافعي ص ١٧٥ .

٧ - انظر : نظرات في القرآن ، للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٤ - ١٤٨ .

٨ - انظر : علي مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ص ١٠١ - ١٠٨ .

وانظر : بينات المعجزة الخالدة ص ٣٧٨ - ٣٨١ .

٩ - انظر : معترك الاقران في اعجاز القرآن ص ٢٤٢ .

١٠ - انظر : اعجاز القرآن ، للرافعي ص ١٧٥ .

والباقلاني " ١ " ، ومحمد فريد وجدى " ٢ " ، وكثيرون غيرهم . " ٣ "

الوجه الثامن : اعجازه الممدى .

=====

وقد انفرد في كتابة هذا الوجه من وجوه اعجاز القران ، المؤلف :  
عبد الرزاق نوفل - فيما اعلم - فقد كتب كتابا احصى فيه عدد الكلمات لبعض الالفاظ  
المتقابلة في القران الكريم : مثل لفظ " الدنيا " و " الآخرة " ، ومثل لفظ  
" الشيطان " و " الملائكة " ومثل لفظ " الحياة " و " الموت " . . . الى  
اخر هذه الالفاظ ، ووجد ان القران معجز من هذه الناحية . " ٤ "

الوجه التاسع : موضوعية باده وموضوعية التوجيه فيه .

=====

هذا الوجه اشار اليه بعض اصحاب المذاهب السابقة ، وانتهى اليه  
الدكتور محمد البهي في كتابه " نحو القران " . " ٥ " .  
ومعناه : ان في القران امورا تدل على انه تجرد عن كل البواعث  
والميول الشخصية ، وانه موضوعي بقدر ما يعتمد عن الامور الذاتية .

- 
- ١ - انظر : مع القران الكريم للحوفي ، ونسبه الى الباقلااني ، ص ٣٣ .
  - ٢ - انظر : الاعجاز في دراسات السابقين ، لمحمد الكريم الخطيب ص ٣٤٥ .
  - ٣ - انظر : مباحث في علوم القران ، للدكتور صبحي الصالح ص ٣٢١ ، الطبعة  
السادسة ، بيروت .
- وانظر : القران العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين ص ١٤٦ - ١٥٥  
محمد الصادق عرجون .
- ٤ - انظر : الاعجاز الممدى للقران الكريم ، عبد الرزاق نوفل ، مطبوعات الشعب .
  - ٥ - انظر كتاب : نحو القران ، للدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى زه  
الناشر مكتبة وهبة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ( ١٥ - ٥٢ ) بتصرف .

وتجرد اى عمل عن البواعث والميول الشخصية لا يدل فقط على موضوعيته ٥

وانما يدل مباشرة على تفوقه والوصول به الى درجة الاعجاز ٥

ومن الامثلة التي ضربها " البهبي " على موضوعية التوجيه ٥ :-

١ - ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الدعوة

كميله النفسي الى مجاملة الزعماء ٥ والوجهاء ٥ قال تعالى : " عيس وتولى

ان جاءه الاعشى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى ٥ اما من

استخفى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى " ٥ " ١ "

٢ - ما سجله القران ما اخذ على الرسول صلى الله عليه وسلم في سياسة الحرب

مع الاعداء ٥ كدائه الاسرى في معركة بدر ٥ وتبنيه في ذلك راي

ابوبكر رضى الله عنه ٥

قال تعالى : " ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم " ٥ " ٢ "

ومن حيث بيان موضوعية المبادئ يقول الدكتور البهبي :-

( فاذا اضيف الى هذا - يعني موضوعية التوجيه - موضوعية مبادئه ٥

وتجردها تجردا تاما عن الميول والبواعث الشخصية فان اعجاز القران يكون عندئذ

حقيقة ملموسة لا ينكرها الا من لا يفرق بين الموضوعي والشخصي في التفكير وفي العمل

الارادى وفي تقييم الجمال في الحياة )

ومن الامثلة على موضوعية المبادئ ٥ :-

١ - دعوة القران الى التفاضل بين الناس على اساس التقوى ٥ قال تعالى :

---

١ - سورة عيس الايات ( ١ - ٧ ) ٥

٢ - سورة الانفال اية ( ٦٧ ) ٥

" يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان

اكرمكم عند الله اتقاكم " ١ "

٢ - دعوة القران الى توفير الاعتبار الانساني والكرامة الانسانية . قال تعالى :

" ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في الهر والبحر ووزقناهم من الطيمات وفضلناهم

على كثير من خلقنا تفضيلا " ٢ "

٣ - دعوة القران الى صيانة النفس والعامل من الضياع بطريق غير مشروع . قال تعالى :

" والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، والذين لا

يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرمها الله الا بالحق ولا

يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه

مهانا " ٣ "

الوجه العاشر : التصوير الفني في القران .

=====

صاحب هذا الراى الشهيد سيد قطب رحمه الله . فالصوير مضافا اليه

السحر الذى يكمن في صميم النسق القراني ذاته ، فيؤثر في نفوس البشر ويؤدى

بالتالى الى هدايتهم .

والتصوير هو الاداة المفضلة في اسلوب القران ، فهو يعبر بالصورة المحسوسة

المشخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد

المنظور ، وعن النموذج الانساني ، والطبيعة البشرية ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها

فيمنحها الحياة الشاخصة او الحركة المتجددة . . . " ٤ "

١ - سورة الحجرات اية ( ١٣ ) .

٢ - سورة الاسراء اية ( ٧٠ ) .

٣ - سورة الفرقان الايات ( ٦٧ - ٦٩ ) .

٤ - انظر : التصوير الفني في القران ، لسيد قطب ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، طبعة

دار الشروق ، بيروت .

هذه هي اهمه ، واشهر الاقوال في بيان اوجه الهجاز القران الكريم ، وقد  
قمت باستقراؤها وتتبعمها ، فوجدت من العلماء من اكثر منها حتى عد خمسة وثلاثين  
وجها شرحها في اكثر من الف صفحة " ١ " ، ومنهم من عد عشرة اوجه ، كالقرطبي ،  
والبعض عد تسعة " ٢ " ، وعد الرماني سبعة ، والقاضي عياض اربعة ،  
والباقلاني ثلاثة والبعض عد وجها واحدا او وجهين ، وكل هذه الوجوه على  
جانب كبير من التداخل او التشابه ، وانما يدل هذا على سراعجاز القران الكريم ،  
وهو انه لا تحده الآراء والنظريات ، فهو اوسع واعق ، من كل ما يتصوره  
الناس ، ولذلك يقول ابن سراقه ( وما بلغوا في وجوه اعجازه جزا واحدا من عشر  
مشاره ) ،

وقبل ان ابين اين يكون الشيخ محمد عبده من هذه الآراء ، والى اى  
الآراء اميل ، أرى ان اصنف هذه الآراء وقد وجدتها ترجع الى خمسة اقسام  
على النحو التالي :- " ٣ "

القسم الاول :

=====  
الاسلوب وما يتصل به . وهذا ينضوى تحته رأى القائلين :  
ان الاعجاز في النظم فقط او بالمعنى فقط ، او بهما معا ، او بالكلمة المفردة ،  
او بالفصاحة او البلاغة ، ، ، ، الى اخرها يتصل بالاسلوب . " ٤ "

- 
- ١ - كالمسيوطي في معترك الاقتران ، جمعها في مجلدين كبيرين .
  - ٢ - انظر كتاب : حول خصائص القران ، محمد بن طوى المالكي ، ص ١٠ - ٢٣ ،  
الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .
  - ٣ - انظر كتاب : الاعجاز الفني في القران ، لعمر السلاوي ص ٥٥ ، نشر  
وتوزيع مؤسسة عبد الكريم بن عبد الله .
  - ٤ - انظر كتاب : بصائر ندوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز ابادى ،  
تحقيق الاستاذ محمد علي النجار ، طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ ، ص ( ١ : ٩٨ ) .

وهذا القسم يشمل رأى : الامام الباقلاني ، والجرجاني ، والطبري ،  
والخطابي ، والرطبي ، والرافعي ، والرازي ، والقرطبي ، وكثيرين  
من المعاصرين .

### القسم الثاني :

=====  
عن الخيوط المستقبلية ، والاخبار عن قصص الاولين ، واخباره عن احوال بعض  
الصحابة ، والمعاصرين ، واشتماله على بعض الحقائق العلمية ، وخلوه من  
التناقض ، وصحة معناه ، وموافقته لطريق العقل . . . " ١ "

وهذا يشمل رأى : السيوطي ، والقاضي عياض ، والباقلاني ،  
والزركشي ، والقرطبي ، والرافعي ، والغزالي ، ودراز ، وغيرهم  
من المعاصرين .

### القسم الثالث :

=====  
رأى القائلين بالنظم واللفظ والمعنى ، وبالنظم وصحة المعاني وتوالي فصاحة  
الفاظ القرآن . " ٢ "

وهذا يشمل رأى الامام الباقلاني ، والسيوطي ، والطبري ، والقاضي  
عبد الجبار ، والرافعي ، ودراز ، ومحمد الغزالي ، والدكتور عائشة بنت  
الشاطي " ٣ " . . . . . وكثيرين غيرهم .

- 
- ١ — انظر : بصائر ذوي التمييز ( ١ : ٩٨ ) ، والبرهان في علوم القرآن  
( ٢ : ٩٥ ) .
  - ٢ — انظر : بصائر ذوي التمييز ( ١ : ٦٨ ) ، والمغني للقاضي عبد الجبار  
( ١٦ : ٣١٨ ) .
  - ٣ — انظر : الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق ، للدكتورة عائشة  
عبد الرحمن ص ١٢٧ ، دار المعارف بمصر .

### القسم الرابع :

===== ما كان خارجا عن الاقسام الثلاثة السابقة • ويدخل في هذا رأى

القائلين : ان القران يدرك بالذوق ، وانه معجز باشوه وهدايته ،

وعدده ، وتصويره ، وموضوعيته ، والقول بالصرفة •

وهذا يشمل رأى ، الدكتور محمد البهي ، والشهيد سيد قطب ،

وعبد الرزاق نوفل ، ومحمد الخزالي ، ( والنظام ، والمرضى ، والاسفرائيني )

القائلين بالصرفة ، والسيوطي ، والهاقلائي ، والرافعي ، وكثيرين

غيرهم •

### القسم الخامس :

===== ما كان مشتملا على بعض الوجوه السابقة دون بعض •

ويندرج تحت هذا القسم رأى القائلين بان الاعجاز يتمثل في مجموعة من الوجوه ،

كالرأى الذى اورده السيوطي ، والقرطبي ، والروماني ، الى اخر ذلك

ما سبق ذكره •

ولكي تتمكن من بيان تحت اى الاقسام يندرج رأى الشيخ محمد عبده ،

اذكر مرة ثانية رأى الشيخ محمد عبده في الاعجاز حتى يمكننا استحضاره ليتأتى لنا

المقارنة بينه وبين الآراء الأخرى •

رأى الشيخ محمد عبده :-

===== وهو يشمل :-

١ - القران معجز من حيث احتواؤه على اخبار الامم السابقة •

٢ - القران معجز من حيث تنبيهه الى ما افسده العلماء من الطل السابقة من

عقائد ، وما خلطوا في احكامه ، وما حرفوا بالتاويل في كتبهم •

٣ - القران معجز من حيث احتواؤه على احكام شرعية توفر مصالح الناس فيتحقق بذلك

العدل والنظام •

٤ - القرآن معجز من حيث احتواؤه على حكم ومواعظ واداب تخشع لها القلوب ،

وتذرف منها العيون •

٥ - القرآن معجز من حيث فصاحته وبلاغته •

٦ - القرآن معجز من حيث احتواؤه على بعض اخبار الغيب التي صدقتها احداث

المستقبل •

٧ - القرآن معجز من حيث ظهوره على لسان امي لبت اربعين سنة لم يوصف

بالبلاغة ، ولم يوثق عنه شيء من العلم •

ومن خلال ما ذكره الشيخ محمد عبده يدولي ان مذهبه يذكر بعض وجوه

الاعجاز وينقل البعض ، كغيره من العلماء ، فيكون من اصحاب الراء المندرجة •

تحت القسم الخامس •

والتأمل في هذه الراء ، يجد ان كل واحد منها سلك طريقا خاصا وصل به

الى اثبات الاعجاز ، فمهما اختلفت الطرق فقد التقى السائمون في النهاية •

وذلك لان جلال القرآن اعظم من ان يحيط به واحد فظهر لكل واحد منهم

ما فتح الله به عليه • وتجمع من ارائهم المختلفة هذه الراء كلها ، فهي ثمار

جهود جميعهم ، ولا يمكن ان يقال ان بعضها لاح لباحث منهم ثم رفضه ، وانما

وقف كل واحد حيث وقفت جهوده ، ولكن من احصوا البحوث بعدهم وجدوا هذه

الثروة كلها وليس في وسع باحث ان ينكر منها شيئا ، وهي كلها حق ، وصدق ، وغير

ان بعض المتأخرين كان يرى ان الاقتصار على اهمها واشهرها وضوحا يكفي ، ومن

هو لاء الشيخ محمد عبده رحمه الله •

وانذا قبلنا مثل هذه الوضع من امثال الشيخ محمد عبده ، فانه لا ينبغي ان

ينسينا ما فتح الله به على الناس اتوا بعده • فانه ليس في وسعي ان اغفل راي

الشهيد سيد قطب رحمه الله • فهذا الرأى له من الوجاهة ما لا يصح معه اغفاله

بخال من الاحوال •••



( فالقران معجز من حيث النسق القراني ذاته ، المعتمد على التصوير ،  
الاداة المفضلة للتعبير ، وهذا بدوره يودي الى جذب النفس اليه فيؤثر فيها  
خوفا واملا ، حتى اذا اخذت حظها منه عادت خاشعة وجللة ، وهكذا في كل مرة  
يقرأ فيها القران ) .

فأنا اضيفه الى الواجه التي ذكرها الشيخ محمد عبده ، وذلك للأسباب

التالية :-

اولا :

==== لان القران الكريم استحوذ على جميع العرب ، بل على الانس والجن ،  
بنسقه الفريد ، وتصويره الرائع ، وتأثيره في النفوس .  
ولقد اجتمع على الاقرار بهذا ، المؤمن والكافر ، من الانس والجن .  
قال تعالى : " قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجيبا  
يهدى الى الرشاد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا " . " ١ "

وان الذي جعل الجن يقولون عنه : " عجيبا " ، هو الذي جعل الوليد  
ابن المغيرة يقول :- ( انه يعلو ولا يعلى عليه ) .  
لا شك ، انه النسق القراني الذي يسحر " ٢ " النفوس .

ثانيا :-

===== لان هذا الوجه من وجوه الاعجاز ، يمكن ان نجده في كل سورة قرآنية ،  
وفي قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانك هو الابر " . " ٣ "

---

١ - سورة الجن الايات ( ١ - ٢ ) .

٢ - تأسيا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم " وان من البيان لسحرا " .

٣ - سورة الكوثر واياتها ثلاث ( ٣ ) .

والقرآن تحدى بمثل هذه السورة ، ولكل سورة نصيبها من التصوير الفني . . . .  
أما البحث في غير هذا الوجه من أمور أخرى كعلم الغيب ، والتشريع ،  
والاعجاز العلمي ، والعددي . . . . فإنه يثبت المزية للقرآن مكملاً دون السور  
القلائل التي لا غيب فيها ولا تشريع . . . . ومع ذلك وقع الإعجاز بها .

ثالثاً :

==== هذا الرأي تشير إليه أول سورة في القرآن الكريم ، سورة الفاتحة التي  
حوت مقاصد القرآن الكريم كله ، ( وفيها على قصرها تلك الكليات الأساسية في  
التصور الإسلامي وتلك التوجيهات الشعبية المنبثقة من ذلك التصور ) . " ١ "

---

١ - في ظلال القرآن ، للشهيد سيد قطب ( ١ : ٢٦ ) .

من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، التي ورد ذكرها في القرآن والسنة

=====

ان سرد واستيفاء جميع ما للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات ، مما لا يتأتى تحقيقه ، هنا ، لان الكلام فيه طويل ، ويحتاج الى الكثير من الجهد والوقت ،

وقد افرد بعض العلماء لهذه المعجزات ابوابا خاصة ، والبعض افرد لها كتابا خاصة مما يدل على اهميتها ووقرتها . . . " ١ "

وانا انما اريد ان اقتصر على ذكر بعض هذه المعجزات ، واطلق عليها حسب الحاجة ، وعلى قدر الامكان ، تكلمة للبحث ، لان ما لا يدرك كله لا يترك اقله .

اقول :- للعلماء في تقسيم هذه المعجزات طرق ومذاهب :-

(١) - فقد ذكر صاحب المفني ان المعجزات المنقولة التي ظهرت على يديه عليه

السلام ، على ا ضرب ثلاثة :-

(الاول ) : ما تعلم صحته وثبوته اما باضطرار ، واما بالاستدلال .

(الثاني ) : ما ظهر واشتهر وعلم عند عوالم الناس وعاشهم .

(الثالث ) : ما ينقل نقل الاحاد .

وذكر القاضي عبد الجبار ان ما يصح الاحتجاج به : الاول ،

---

١ - كما فعل البخارى في باب " علامات النبوة " ، وكذلك صنع مسلم في باب

" معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم " .

وهناك من الكتب : دلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة للطوردي ،

وكتاب : الوفا باحوال المصطفى لابن الجوزي ، . . . . . وغيرها من الكتب .

وذكر النووي في مقدمة شرح مسلم انها تزيد على الف ومائتين ،

والثانسي \* ١ \*

(ب) - وقسمها البعض الى حسية ، عقلية .

والحسية : هي التي تجابه الحس ، وتظهر عجز الانسان عن معارضتها ،

فتقيم للفكر برهاناً ملزماً على نبوة صاحبها .

والمقلية : هي التي تواجه العقل بكل ما فيه من قوى الادراك ،

والاستبطار \* ٢ \*

والتقسيم الاول انما هو من حيث صحتها وثبوتها وما يصح الاحتجاج به منها

وما لا يصح .

والتقسيم الثاني انما هو من حيث طبيعتها .

وانا اميل الى تقسيمها من جهة المصدر ، فاقسمها الى :

(أ) معجزات ثبتت بنص القران الكريم ، وصریح السنة النبوية .

(ب) معجزات ثبتت في السنة فقط .

واليك من كل قسم معجزتين :-

القسم الاول (أ) :-

=====

المعزة الاولى : الاسراء الى بيت المقدس .

الاسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس احدى

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي خبر بها ، وشهد القران بصحتها ،

ووقع التصديق بها من جمع كبير من الناس زمن البعثة .

= قال بعض العلماء : انها تزيد على ثلاثة الاف معزة تقريبا ، وقد اعنى بجمعها

فحول من الائمة كأبي نعيم ، والبيهقي .

انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٣٧٦ ) .

١ - انظر : المغني للقاضي عبد الجبار ( ١٦ : ٤٠٧ ) ، الطبعة الاولى

١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

٢ - انظر كتاب : بينات المعزة الخالدة ، لحسن ضياء الدين ص ٥٢ و ٦٤ .

قال تعالى : " سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى  
المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير " . " ١ " .  
وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول :  
" لما كذبتني قرىش قمت في الحجر ، فحطى الله لي بيت المقدس فطفت اخبرهم  
عن اياته وانا انظر اليه " . " ٢ " .

### المعجزة الثانية : انشقاق القمر .

=====

وهذه ايضا ، معجزة باهرة من امهات معجزاته صلى الله عليه  
وسلم ، لا يكاد يعدلها شيء من معجزاته بعد القرآن الكريم .  
قال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر  
مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امر مستقر " . " ٣ " .  
وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ان يريهم آية ، فاراهم القمر شقين حتى راوا " حراء " " ٤ " . بينهما . " ٥ " .  
وحادثة انشقاق القمر راها جمع غفير في حينها ، ووقع التصديق بها من  
السفارة ، فكانت احدى المعجزات الباهرات . " ٦ " .

- 
- ١ - سورة الاسراء آية ( ١ ) .
  - ٢ - صحيح ، رواه البخارى ، في باب حديث الاسراء ، كتاب به الخلق .  
وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ( ٧ : ١٣٩ ، ١٤٠ ) .
  - ٣ - سورة القمر الايات ( ١ - ٣ ) .
  - ٤ - غار حراء ، في اعلى جبل النور بمكة .
  - ٥ - متفق عليه .
  - ٦ - انظر تفسير ابن كثير ( ٤ : ٢٦١ ) .

قال ابن كثير : ( وقوله تعالى " وانشق القمر " قد كان هذا في زمان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث المتواترة بالاسانيد  
الصحيحة ، وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال :  
" خمس قد مضين : الروم ، والدخان ، واللزام ، والبطشة والقمر " . ١  
وهذا امر متفق عليه بين العلماء ، وان انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وانه كان احدى المعجزات الباهرات ) . ٢  
وان ثبوت حادثة انشقاق القمر بالتواتر - كما ذكر ابن كثير - وقد رويت  
احاديشها عن جماعة من الصحابة منهم : عبد الله بن مسعود ، وابن عباس ،  
وابن عمر ، وطلحة ، وحذيفة ، وجبير بن مطعم ، وغيرهم . . . . . وهي  
تفيد العلم اليقيني بصدق مدعي النبوة ، وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

- 
- ١ - انظر : فتح الباري ( ٨ : ٤٩٦ ، ٥٧٢ ) ، وانظرة : فتح القدير  
( ٤ : ٥٧٣ ) .  
الروم : انتصار الروم وهم اهل كتاب على الفرس وهم عبدة الاوثان ، وذلك  
بعد بضع سنين من هزيمتهم .  
قال تعالى : " الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفليون  
في بضع سنين " .  
الدخان : لما دعا الرسول قريشا ، كذبوه فقال : اللهم اعني عليهم بسبع  
كسبح يوسف ، فاصابتهم سنة لم تن . شيئا حتى كانوا ياكلون الميتة ، وكان  
يقوم احد هم فيرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع والجهد . /  
انظر : فتح الباري ( ٨ : ٥٧٣ ) .  
اللزام : ما لزم المشركين من العذاب في الدنيا والاخرة : / انظر فتح  
الباري ( ٨ : ٤٩٦ ) ، وانظر : فتح القدير ( ٤ : ٩٠ ) .  
البطشة : هي يوم بدر ايضا ، قاله الاكثر واختره الشوكاني .  
انظر : فتح القدير ( ٤ : ٥٧٢ ) .  
القمر : المراد الانشقاق الواقع في ايام النبوة ، واليه ذهب الجمهور  
من السلف والخلف .  
انظر : فتح القدير ( ٥ : ١٢٠ ) .  
٢ - تفسير ابن كثير ( ٤ : ٢٦١ ) .

القسم الثاني ( ب ) :—

=====

المعجزة الاولى : نبع الماء من بين اصابعه الشريفة .

فقد ظهر واشتهر ، وتواتر الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سقى

الكثير من الماء القليل . وكان ذلك في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ، عند

اعزاز الماء وتعذره .

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضع يده الشريفة في الوعاء الذي به

الماء ، فيفور الماء من بين اصابعه فيشرب القوم ويتزودوا . " ١ "

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : عطش الناس يوم الحديبية ،

والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة " ٢ " فتوضأ . فجهش الناس حوله " ٣ "

فقال : ما لكم ؟

قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب الا ما بين يديك ، فوضع يده في الركوة

فجعل الماء يفور بين اصابعه كأمثال العيون ، فشرينا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟

قال : لو كنا مائة الف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . " ٤ "

يذكر الامام القرطبي ان هذه الحادثة تكررت منه صلى الله عليه وسلم في

عدة مواطن ، امام جمع عظيم ، ووردت من طرق كثيرة ، يفيد مجموعها العلم القطعي

المستفاد من التواتر المعنوي .

ويذكر ايضا انه لم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير الرسول صلى الله عليه

وسلم حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه . " ٥ "

---

١ — انظر : المفني في ابوابه التوحيد والمدل ( ١٦ : ٤١٣ ) .

٢ — اناء صغير للشرب .

٣ — اسرعوا تمهيتين لاخذ الماء .

٤ — انظر : صحيح البخارى ( باب علامات النبوة ) .

٥ — انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٣٧٨ ) .

المعجزة الثانية :

اطعام الكثير من يسير الطعام - او تكثير الطعام - وقد وقع هذا في  
اماكن متفرقة ، وفي غزواته ، وفي دور جماعة من الانصار وغيرهم ، وقد ظهر نقل ذلك  
واشهر . " ١ "

روى البخارى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : انا يوم  
الخندي نحفر ، فعرضت كدية " ٢ " شديدة ، فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم  
فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق .

فقال : انا نازل ، ثم قام ومطنه معصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة ايام لا ندوق  
ذواقا ، فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الممول " ٣ " فضرب فعاد كتيبا " ٤ "  
اهيل او ااهيم " ٥ " .

فقلت : يا رسول الله : ائذن لي الى البيت . فقلت لامراتي : رايت بالنبي صلى  
الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر ، فعندك شيء ؟ قالت : عندي  
شعير وعناق " ٦ " . فذهبت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة " ٧ "  
ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم ، والعجين قد انكسر " ٨ " ، والبرمة بين

١ - انظر : المشني ( ١٦ : ٤٠٧ - ٤٢٢ ) .

٢ - الكدية : صخرة صماء .

٣ - الاداة . التي تستعمل لتكسير الصخور .

٤ - الكتيب : الرمل .

٥ - الاهيل أو الااهيم : المتفكك الناعم .

٦ - العناق : انثى الماعز دون السنة من عمرها .

٧ - البرمة : الوعاء او القدر .

٨ - لان من اثر التخمير .



الاثاني " ١ " ، قد كادت ان تنفج . فقلت : طمئني لي ، فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان . قال صلى الله عليه وسلم : كم هو ؟ فذكرت له . قال : كثير طيب . قال : قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى اتي . فقال صلى الله عليه وسلم : قوموا ، فقام المهاجرون والانصار . فلما دخلت على امراتي قالت : ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم . قالت هل سالك ؟ قلت : نعم . فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطوا " ٢ " ، فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه . ويقرب الى اصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر الخبز ويفرف حتى شبعوا ، وبقي بقية . قال : كلي هذا واهدى فان الناس قد اصابتهم مجاعة . " ٣ "

ويروى ان عدد الاكلين ثمانمائة ، وفي رواية للبخاري انهم كانوا الفا . وهذا ببركة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، حيث اظهر الله علي يديه هذه الاية الكريمة ، فاكلوا وشبعوا . . . . . وفضلت فضلة . وهذا يدلنا على صدق نبوته ورسالته ، صلى الله عليه وسلم . وروى انه عليه الصلاة والسلام بعد ما اكلوا وشبعوا شهد لله بالوحدانية . ولفسه بالرسالة فقال : اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله . " ٤ " والاحاديث التي تفيد ثبوت المعجزات للرسول صلى الله عليه وسلم كثيرة ، ( تواترت بها الاخبار واستفاضت ، ونقلتها الامة جيلا بعد جيل وخطا عن سلف . . . )

- 
- ١ - ثلاثة حجارة ، يوضع القدر فوقها .
  - ٢ - اي لا تزدهموا .
  - ٣ - انظر : صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة الخندق . وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٧ : ٢٧٧ ) .
  - ٤ - انظر : جامع الاصول من احاديث الرسول ، لابي السامدات مبارك بن محمد الجزري ، ابن الاثير الجزري ( ١٢ : حديث رقم ٨٨٦٧ ) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٥٥ م .
  - ٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ( ٤ : ٢٢٧ ) .

موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم :

=====

تحديد موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم -

غير القرآن - ، كان مدار جدل بين العلماء من بعده ، أدى الى اضطراب  
الناس في الوقوف على المسلك الصحيح الذى سلكه الشيخ محمد عبده في هذا  
الموضوع .

هل هو ينكر ما ثبت للرسول صلى الله عليه وسلم من معجزات غير القرآن ؟

ام لا ؟

انقسم الناس الى فريقين :

الفريق الاول : اعتبره منكرا لهذه المعجزات .

والثاني : نفى ان يكون الشيخ محمد عبده منكرا لهذه المعجزات .

واليك البيان :-

الفريق الاول :

===== لقد ذهب هذا الفريق الى ان الشيخ محمد عبده انكر

المعجزات الثابتة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وانه لم يثبت له الا معجزة القرآن  
الكريم . اما ما عداها من المعجزات فليست من شأنه ، وليس له اليها من سبيل ،  
ويشهد بقوله تعالى " قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين " ، " ١ " .  
ويزعم ان هذا من الخصائص العليا له عليه الصلاة والسلام ، فهو لم يخاطب الناس  
بما لا يفهمون ، ولم يعاطهم بما وراء حدود العلم الذى يدركه البشر .

وقد مثل هذا الفريق جماعة منهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي "١" ،  
والمستشار سالم البهنساوي "٢" ،  
واليك ما قاله هذان الاستاذان :-

أ :- يقول الاستاذ المستشار سالم البهنساوي في مجلة المجتمع "٣" :  
( ان الشيخ محمد عبده اخطأ سهيلاً الدفاع عن الاسلام ، فانكر  
المعجزات النبوية ،

و اول نصوص المعجزات الواردة في القران ، متأثراً بأقوال المبشرين والمستشرقين ) .

ب :- يقول الاستاذ محمد سعيد رمضان البوطي :- "٤"  
( وانك لتقرأ هذا الكلام ، وتجد هذا الاتجاه - وهو اعتقاد ان  
النبي صلى الله عليه وسلم لم تسجل له سوى معجزة واحدة هي القران ، الذي  
تنزل عليه ، اما الخوارق الاخرى مما لا يدركه ويفهمه العقل فقد كان منكراً لها  
غير عابئ بها ، ولا ملتفت الى المطالبين بها - في كثير من الكتب الحديثة اليوم  
بعد ان تنهاه من قبل افراد معدودون تبنا الدعوة اليه ، والتهشير به ، وارتبطت  
اسماؤهم من اجل ذلك بشعار " الاصلاح الديني " الذي شاع لاسباب معينة منذ  
ذلك اليوم ) . "٥"

لكن من هو هؤلاء الذين ارتبطت اسماؤهم بشعار الاصلاح الذين انكروا

معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

- 
- ١ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٤ ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .
  - ٢ - انظر : مجلة المجتمع العدد ٣٦٤ ، السنة الثامنة ص ٢٨ .
  - ٣ - مجلة المجتمع ، العدد ٣٦٤ ، في ٩ رمضان ١٣٩٧ هـ ، السنة  
الثامنة ص ٢٨ ، ٢٩ .
  - ٤ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٣ .
  - ٥ - نفس المرجح ص ٢٣٤ .

اجاب البوطي : ( وفي سبيل هذا " الاصلاح " جي " بالشيخ محمد عبده ،  
واعطيت له مقاليد الامر ، ليقوم باصلاح شامل في ميدان الازهر متبعاً الاساس الذى  
اوضحناه ) . " ١ " .

وما هو هذا الاساس ؟

اجاب : ( انه الاستماعة بمنهج فكرى يغير من تفكير المسلمين تغييراً  
يقصدهم من هذه الشدة في التمسك بالدين والتضحية من اجله والاعتماد عليه وحده ،  
ويجعلهم يلتفون مع الفكر الاوروبى في اوسع قدر ممكن من سهل الحياة ) . " ٢ " .  
ويتابع حديثه قائلاً :

( وكان من نتيجة ذلك تنصيب الشيخ " مصطفى المراغى " شيخاً للجامع  
الازهر ، وهو الذى يقول في تقريره ، وتقدمه لكتاب " حياة محمد " " ٣ " :  
( لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة الا في القوان وهي معجزة عقلية ) .  
وتلصيق " محمد فريد وحدى " رئيساً لتحرير مجلة الازهر - نور الاسلام -  
وهو الذى يقول فيها تحت عنوان : ( السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ) -  
اننا نحرس فيما نكتبه في هذه السيرة على ان لا نسرف في كل ناحية الى ناحية الاعجاز ،  
ما دام يمكن تحليلها ، بالاسباب العادية حتى ولو بشيء من التكلف . . . . .  
( وما هو الا ان تسلم هؤلاء وغيرهم مراكزهم الجديدة حتى بدأ التبشير  
بالمنهج الجديد في فهم العقيدة الاسلامية ، وهو المنهج الذى يهدف الى تجاهل  
كل المسائل النسيبية التى لا تقع تحت مجهر العلم التجريبي المحسوس ، وفي مقدمتها

١ - نفس المرجع ص ٢٣٧ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٣٤ .

٣ - انظر كتاب : حياة محمد ، لمحمد حسين هيكل ، الطبعة ١٣ ، ١٩٦٨ م .

مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، تقرير الشيخ محمد مصطفى المراغى .

ص ( ك ، ل ) .

المعجزات على اختلافها . . . .

( فقد رأينا كيف يكتب الشيخ محمد عبده في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ، يخرج فيها على اجماع المسلمين ، ودهيات العقيدة الصحيحة . . . . رأيناه كيف ينتهي في تفسير سورة الفيل التي تأويل صريح الاية بان المقصود بطير الالبابيل ، وحجارة السجيل انما هو ماء الجدرى " ١ " وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ، ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمخيمات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيقول طير الالبابيل والحجارة التي تربى بها ، بدء الجدرى ؟ " ٢ "

• ه • ا

#### الفريق الثاني :

===== هذا الفريق من العلماء نفي ما قيل عن الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، ولم يثبت عندهم نص يدينه ، وعلى عكس الفريق الاول ، فقد كتبوا عن حياة الشيخ محمد عبده ، وتمرض بعضهم لمعتقده " ٣ " ، دون ان يشيروا الى شيء من هذا القبيل ، بل عدوه زعيما من زعماء الاصلاح و ورائد الفكر المصري ، ورائد اللون الادبي والاجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر . ولم يذكر واحد من هؤلاء " ٤ " انه انكر معجزات المصطفى صلى الله عليه وسلم .

١ - انظر : تفسير جزء عم ص ١٢٠ ، وسأذكر بعد قليل النص الكامل لقصة

الفيل .

٢ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٣٨ ، الهامش .

٣ - في مقتطفات قصيرة ، لا كما هو في مثل هذا البحث .

٤ - امثال : رشيد رضا ، والمعقود ، وعثمان امين ، ومحمد حسين

الذهبي ، . . . وغيرهم .

## جراحة في التأويل

=====

أقول : هذا الذي اختلف فيه العلماء ، وتباعدوا ، يستحق تحقيرا علميا  
وموضوعيا ، من غير تحيز الى فريق دون فريق ، وذلك احقا للحق ، وابطالا  
للباطل .

لانه ما من مجلس ، ولا منتدى ، يذكر فيه الشيخ محمد عبده ، الا ويذكر  
اسمه مرتبطا بانكاره للمعجزات ، خاصة قصة سورة الفيل ، والتفسير الذي ذهب  
اليه فيها .

ولقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، فأبدي رغبته في البحث ،  
والكتابة وتحقيق المسألة بدقة وامانة ، وكان له في ذلك رأى " ١ " ، اذكره بعد  
قليل .

واحب قبل ان ابين الرأى في تفسير الشيخ محمد عبده ، لسورة الفيل ، ان  
اعقب على كلام الفريق الاول ، فأقول :-

أ - الا أؤيد ان الشيخ محمد عبده انكر المعجزات ، يشهد لهذا ان  
الشيخ محمد عبده يكذب الذين ينكرون المعجزات من اول وهلة بلفظ " زعم "  
ويتهمهم بالتهور .

فيقول :- ( وزعم الذين لا يجهون المعجزات من المشهورين ( ٠٠٠ ) . " ٢ "

ويؤكد ان ( فلق البحر كان من معجزات موسى عليه السلام ) . " ٣ "

- 
- ١ - انظر : بحوث كتابية ، للدكتور سليمان دنيا ، لم تطبع بعد .
  - ٢ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٣١٥ ) .
  - ٣ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٣١٤ ) .

فانما كان لا ينكر معجزات موسى عليه السلام ، فكيف ينكر معجزات صاحب  
الرسالة الاسلامية ، نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .  
ويقول : وقد قلنا في رسالة التوحيد : ( ان الخوايق الجائزة عقلا - اى  
التي ليس فيها اجتماع النقيضين ولا ارتفاعهما - لا مانع من وقوعها بقدرة الله تعالى  
في يد نبي من الانبياء ) . " ١ " )  
( ويقول :-

( فمتى ظهرت المعجزة وهي مما لا يقدر عليه البشر ، وقارن  
ظهورها دعوى النبوة علم بالضورة ان الله ما اظهرها الا تصديقا لمن ظهرت على يديه ،  
وان كان هذا العلم قد يقارله الانكار مكابرة ) . " ٢ " )

ب - لم يخرج الشيخ محمد عبده فيما كتب في امور العقيدة على اجماع  
المسلمين " ٣ " ، بل كان يعتمد في كثير من ارائه وافكاره على اقوال بعض المفسرين  
المشهورين المشهود لهم بالورع والتقوى من السلف الصالح ، كحكمة مثلا " ٤ " . . . .  
كما سنرى .

وقد بينت في الباب الاول " ٥ " ان الشيخ محمد عبده ، كان يعول على  
عقله كثيرا ، ومع ذلك كان يلتقي مع السلف في كثير من مسائل العقيدة ، ذلك  
لان العقل الصحيح يلتقي مع النص الصريح .

- 
- ١ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٣١٤ ) .
  - ٢ - انظر : رسالة التوحيد ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤٠٢ ) .
  - ٣ - الا في بعض الامور ، كانكار الملائكة ، والجن ، وتأويل معناهما ،  
وسياقي بيانه . . . .
  - ٤ - وعن يعقوب بن عتبة . ورواية ابن جرير الطبري تحتاج الى تحقيق ، لانه كثيرا  
ما يكتب من غير تفريق بين صحيح وغيره ، فهو يجمع الاقوال ويضعها بين يدي  
القارى .
  - ٥ - انظر الباب الاول ، الفصل الاخير ، في بيان منهج الشيخ محمد عبده في  
الاستدلال والبحث .

ج - لا يلزم ، بل لا يحق ان نأخذ الشيخ محمد عبده بدين لم

يقترفه .

وما قاله المراغي ، او محمد فريد وجدى ، او محمد حسين هيكل او غيرهم  
من تلاميذه ، ليس حجة عليه ، خاصة وان احدا لم ينسب هذا الراى اليه ،  
فكيف يجوز ان نلزمه بقول لم يقله وقد قرر العلماء ان لازم المذهب ليس بمذهب ،  
فهل يكون مذهب الصديق مذها ؟ وهو القائل في رسالة التوحيد ، فيما يجب  
على المؤمن من بالانبياء ان يعتقد :-

( وان يؤمن بانهم مؤيدون من العناية الالهية بما لا يعهد للمقول ،  
ولا للاستطاعة البشرية ، وان هذا الامر الفائق لمفهوم البشر هو المعجزة ) \* ١ \*

د - اما قصة الفيل ، وتأويل صريح - الاية في قوله تعالى : " وارسل  
عليهم طيرا ابابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم ككصف مأكول " ، \* ٢ \*  
فاليك ما قاله الاستاذ سليمان دنيا ، حفظه الله ، وجزاه خيرا ...  
قال :-

( ليس في وسمي ان ان اتجاهل ما وجه الى الشيخ " محمد عبده " من  
من قد ، فقد يكون حقا ، ولا ان اخذ به ، فقد يكون باطلا .  
وقد رايت ان استعرض مواضع النقد من كلامه فافحصه واتبين مدلولاته  
ومراميها ، منصفا غير متحيز ، وباحثا متفهما ، غير مدافع ولا مهاجم ، حتى اذا  
حصلت النفس على المعنى الذى يخلب على الظن انه اليه قصد ، وعلى المدلول  
الذى لا يكون هنالك ما هو اقرب الى عبارته منه ، عدت الى المآخذ والاعتراضات ،  
فان وجدت لها سبيلا تدخل منه الى هذا المدلول وذلك المعنى ، سايرتها .

١ - رسالة التوحيد ص ٨٩ .

٢ - سورة الفيل الايات ( ٣ - ٥ ) .



وتابعتها ، ووقفت الى جانبها ، واظنت موافقتي لها ، وانضماني لاصحابها ،  
جأ في الحق واهله .

وان وجدت غير ذلك ، اخذت السبيل عليها ، ورددتها على اعقابها ،  
وسينت انما ارادت ما لا يراد ، وتطلعت الى ما لا سبيل اليه . ايضا جأ في الحق  
واهله .

فان العلم هو الحق ، ومن فرق بين العلم والحق ، فليس هو من العلم  
ولا من الحق في شيء .

وحيث ان الناقدين والمعتضدين على الشيخ " محمد عبده " ، قد جعلوا

تفسيره لسورة " الفيل " قطب الرحا الذي يدور حوله تقدمهم واعتراضهم ، حتى  
انهم اعتبروه بسببه ( خارجا على اجماع المسلمين ودهيات المقيدة الصحيحة ) . " ١ " .  
وسوغوا لانفسهم ان ينفوا عنه الايمان بالغيب — دون ان يدلوا على مواضع  
هذا النفي من كلامه — بل قياما على ما له من تأويل في سورة " الفيل " .

فيقول قائلهم : ( وتأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة ، الواضحة المعنى ،  
ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمشنيات القران التي هي اعظم غرابة بكثير من قصة  
الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها ، فيؤول طيرا الالبابيل ، والحجارة  
التي تربي بها ، بدءا الجدرى ) . " ٢ " .

أقول : — لما كان تفسير الشيخ " محمد عبده " لسورة الفيل هو منطلق  
الخلافا بينه وبين خصومه ، وهو الاصل الذي تفرج عنه كل ما عداه من خلافا ،  
فقد وجدت انه من الضروري — بناء على المنهج الذي بدا لي انه الطريق الصحيح  
للفصل في هذه الخصومة ، من النظر في كلام الشيخ محمد عبده اولا ، نظرة

---

١ — انظر : كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ،

ص ٢٣٧ .

٢ — انظر : نفس المرجع ص ٢٣٨ .

فاحصة مفهومة ، ومحايده ، ثم النظر في الاعتراضات بهد فهم المعترض عليه ،  
ليمكن الحكم الصحيح بقبولها ، او ردها - ان ادرس بعناية ، ومع القارئ  
عبارات الشيخ محمد عبده التي فسرها سورة الفيل ، ان قد نيط بهذا التفسير  
فصل الخطاب في ادانته او براءته .

ودعني اخذ هذا التفسير عبارة بعبارة ، وجزأ جزأ ، حتى يسهل  
بخه وتطيله .

يقول الشيخ " محمد عبده " :

( السورة الكريمة تعلمنا ان الله سبحانه يريد ان يذكر نبيه ، ومن  
تبلغه رسالته ، بعمل عظيم من اعماله الدالة على عظيم قدرته ، وان كل قدرة  
دونها فهي خاضعة لسلطانها ، وانه القاهر فوق عباده ، لا يمنعهم منه عزة ،  
ولا يخاص عليه منهم قوة ، ذلك العمل العظيم هو ان قوما ارادوا ان يتمزروا  
بفيلهم ليغلبوا بعض عباده على امرهم ، ويصلوا اليهم بشر واذى ، فاهلكهم  
الله ورد كيدهم ، واهطل تدبيرهم ، بعد ان كانوا في ثقة بحدودهم وعددهم ،  
فلم يفدهم ذلك شيئا . . . " ١ )

١ - واليك نص كلام الشيخ محمد عبده فيما بعد هذا :-

يقول :- ( وكان يمكننا ان نكتفي بذلك المعنى من الايات ، ولا نزيد عليه  
ادنى تفصيل ، وهو كاف في الاعتبار والمعطة ، كما اكتفينا بذلك في اصحاب  
الاخدود ، لكن في هذه السورة يجوز لنا التفصيل ، لان واقعة الفيل في  
ذاتها - كما ورد في هذه الايات - معروفة متواترة الرواية ، حتى انهم  
جعلوها مبدأ تاريخ يحددون به اوقات الحوادث ، فيقولون : ولد عام الفيل  
وحدث كذا لسنتين بعد عام الفيل ، ونحو ذلك .

ومتواتر من الواقعة هو ان قائدا جهشيا - ممن كانوا قد غلبوا على

اليمن - اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ، ليمنع العرب من =

فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت . . . اهلكه الله واهلك قومه قبل  
ان يدخل مكة ، وهي نعمة من الله فمربها اهل مكة - على وثنيهم - حفظا  
لبيتهم ، حتى يرسل من يحميه بقوة دينه ، صلى الله عليه وسلم . . . )  
اقرا هذا ، ثم اقرا ما كتبه ابن كثير في تفسير هذه السورة ، قال ،  
- اول ما قال - :

( هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش ، فيما اصرف عنهم من  
اصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ، ومحو اثرها من الوجود ،  
فابادهم الله ، وارحم اناقمهم ، وخيب سعيهم ، واضل علمهم ، وردهم

---

= الحج اليها ، اوليقهرهم ، وينزلهم ، فتوجه بجيش جرار الى مكة لذلك ،  
واستصحب معه فيلا او فيلة كثيرة ، زيادة في الارهاب وحشر الخوف الى القلوب  
ولم يزل سائرا يغلب من يلاقيه حتى وصل الى الشمس ( موضع قرب مكة في  
طريق الطائف مات فيه " ابو رغال " دليل صاحب الفيل ) بالقرب من مكة ،  
ثم ارسل الى اهل مكة يخبرهم انه لم يأت لحربهم ، وانما اتى لهدم البيت ،  
ففرغوا منه ، وانطلقوا الى شعف الجبال ينتظرون ما هو قاعل .  
وفي اليوم الثاني فشا في جند الجيش داء الجدري والحصبة . قال

عكرمة : هو اول جدري ظهر ببلاك العرب .  
وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث : ان اول ما رؤيت الحصبة والجدري  
ببلاك العرب ذلك العام .

وقد فعل ذلك الهواء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر  
ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه هولوا هارين ، واصيب قائد الجيش الحبشي ،  
ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة ، وانملة انملة ، حتى انصدع صدره ومات  
في صنعاء .

هذا ما اتفقت عليه الروايات ، ويصح الاعتقاد به ، وقد بينت لنا هذه -  
السورة الكريمة ان ذلك الجدري او تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت  
على افراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح . =

فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الريح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه ، فثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم وتساقط لحمه . وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر .

وان هذا الحيوان الصغير - الذي يسمونه الان بالميكروب - لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها الا بارثها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عقاب مغرب ، ولا ان يكون له الوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ، فله جند من كل شيء . وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله طيه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحصبة ، فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكة . وهي نعمة من الله غمر بها اهل حرمه - على وثنياتهم - حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم .

وان كانت نعمة من الله طحت بأعدائه اصحاب الفيل الذين ارادوا الاعتداء على البيت دون جرم اجترمه ولا ذنب اقترفه .

هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة ، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله الا بتأويل ان صحت روايته .

ومما تعظم به القدرة ان يؤخذ من استمزا بالفيل - وهو اضخم حيوان

من ذوات الاربع جسا - ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك

بالبصر ، حيث ساقه القدر . لا ريب عند العاقل ان هذا اكبر ، واعجب

وابهر ( ٥٠١ هـ )

انظر / تفسير سورة الفيل ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٢٧ - ٥٢٩ ) .

بشخصية ، وكانوا قوما نصارى ، وكان دينهم ان ذاك اقرب حالا مما كان عليه قريش ، من عبادة الاوثان ، ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لصحت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانه في ذلك العام ولد على اشهر الاقوال ، ولسان حال القدرة يقول :

لم ينصركم يا معشر قريش على الحجة لخيرتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت المتيق الذي سنشرقه ونعظمه ، ونوقره ، وبمئة النبي الامي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الانبياء ) . " ١ "

اقرا هذا وذاك ، وقرر الاتفاق في الفكرة بين الرجلين ، والمتأخر هو الذي تأثر بالمقدم طبعا .

x x x

ثم ان ابن كثير ، لم يسم حادثة الفيل معجزة ، بل سماها ارهاصا ، والشيخ محمد عبده اتفق مع ابن كثير في المعنى الذي سماه ابن كثير ارهاصا ، وان لم يطلق عليه نفس الاسم ، وذلك حيث يقول :

( وهي نعمة من الله غرّبها اهل حرمة - على وثنيّتهم - حفظا لبيته حتى يرسل من يحميه بقوة دينه صلى الله عليه وسلم ) .

وابن كثير على حق ، ان لم يسم حادثة الفيل معجزة : لان المعجزة

هي ما يظهره الله على يد مدعي النبوة تصديقا لدعواه .  
ثم ان تفسير الشيخ محمد عبده لسورة الفيل يشتمل :

أ :- على ثبوت " الفيل " الذي ورد في النص القراني :

١ - حيث يقول : ( ان يحمزوا بفيلهم ) .

- ٢ - ويقول : ( لان واقعة الفيل ) •
- ٣ - ويقول : ( فيقولون ولد عام الفيل ) •
- ٤ - ويقول : ( ويقولون حدث كذا لستين بعد عام الفيل ) •
- ٥ - ويقول : ( واستصحب معه فيلا او فيلة ) •
- ٦ - ويقول : ( ان يؤخذ من استعز بالفيل ) •

ب : - وعلى ثبوت " الطير " الذي ورد في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول ( ٠٠٠ حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش بواسطة  
فق عظيمة من الطير ) •
- ٢ - وحيث يقول ( لك ان تمثد ان هذا الطير ٠٠٠ ) •
- ٣ - وحيث يقول ( وان كثيرا من هذه الطيور ) •
- ٤ - وحيث يقول ( على ان يكون هذا الطير ) •
- ٥ - وحيث يقول ( فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله  
عليه من الطير ) •

ج : - وعلى ثبوت " الحجارة " التي وردت في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول : ( نشأت من حجارة يابسة سقطت على افراد الجيش ) •
- ٢ - وحيث يقول : ( وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم  
اليابس ) •

٣ - وحيث يقول : ( مقادير الحجارة ) •

د : - وعلى صيرورة ابرهة وجيشه كالمصف المأكول ،

- ١ - حيث يقول ( فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ) •
- ٢ - وحيث يقول ( واصيب صاحب الجيش ولم يزل يسقط لحمه قطعة  
قطعة ، وانطة انملة حتى انصدع صدره ومات في  
صنعا ) •

٣ - وحيث يقول ( فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم

وتساقط لحمه ) .

هـ : - وعلى ثبوت " ابرهة وجيشه " - اصحاب الفيل - الذين وردوا في النص القرآني :

- ١ - حيث يقول ( ان قوما ارادوا ان يتعززوا بفيلهم ) .
- ٢ - وحيث يقول ( فأهلكم الله ورد كيدهم ) .
- ٣ - وحيث يقول : ( وما تواتر من الواقعة هو ان قائدا جشيا - ممن كانوا قد غلبوا على اليمن - اراد ان يعتدى على الكعبة المشرفة ، ويهدمها ليمنع العرب من الحج اليها ، اوليقهرهم وينذلهم ( . . . ) .

x x x x

وهذه الامور الخمسة - الفيل ، والطير ، والحجارة ، والمصفاة المأكول ، وابرهة وجيشه -

هي الارقان المادية المحسوسة التي وردت في النص القرآني :  
ففي قوله تعالى :

- ( الم تركيف فعل بك بأصحاب الفيل ) .
  - ذكر للفيل وللجيش الذي صحب الفيل معه .
- وفي قوله تعالى :

- ( الم يجعل كيدهم في تضليل ) .
  - ذكر لهزيمة اصحاب الفيل .
- وفي قوله تعالى :

( وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف  
مأكول ) .

• ذكر للطير ، والحجارة ، والنهي التي انتهى اليها الفيل واصحابه .

x x x x

وهكذا يكون الشيخ محمد عبده قد ذكر اركان واقعة الفيل ، كما ذكرها

• القرآن لم ينقص منها شيئا .

ولكن بقي ان يقال : كيف اهلكت حجارة السجيل ابرهة وجيشه ؟

ولكي تبين ذلك نعود الى السورة مرة اخرى .

يقول الله تبارك وتعالى :

( الم تركيف فعل بك بأصحاب الفيل ” .

وهذه الآية تنبه من يتأني منه النظر والفكر الى التعجب مما فعل الله

” بأبرهة ” وجيشه ، فالله هو الذي فعل بهم ما سيدكر بعد .

( الم يجعل كيدهم في تضليل ” .

فالله هو الذي فوت عليهم غرضهم ، وخيب امالهم .

” وارسل عليهم طيرا ابا بيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ماكول ”

وهو جل شأنه الذي ارسل عليهم طيرا تحمل حجارة ترميهم بها ،

وهو الذي جعلهم كالعصف المأكول .

وماذا كانت مهمة الطير ؟

كانت مهمة الطيران تحمل الحجارة من حيث اراد الله وتقذفهم بها .

وماذا كانت مهمة الحجارة ؟

كان مهمة الحجارة ان يصيرهم الله بها كالعصف المأكول .

ولكن كيف صيرتهم الحجارة كالعصف المأكول ؟

هذا ما تركت الآية بيانه : ولانه جانب في الواقعة يتطلع العقل الى

معرفة لتم له معرفة الواقعة من جميع جوانبها ، راج يتلمس السبيل لمعرفة هذا

• الجانب

فيروي ابن كثير :

١ - عن ابن اسحق قوله ( وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف ،

والبلسان ، مع كل طائر ثلاثة احجار يحملها : حجر في منقاره ، وحجران



- في رجليه ، امثال الحمض والمدس ، لا يصيب منهم احد الا هلك ، وليس  
كلهم اصابت ، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق ) •
- ٢ - وعن الواقدي ( انه لما تمهتوا لدخول الحرم ، وهبوا الفيل ، جعلوا لا  
يصرفونه الى جهة من سائر الجهات ، الا ذهب فيها ، فانما وجهوه الى الحرم  
رض وصاح . . . . . فبينما هم كذلك اذ بعث الله عليهم طيرا بابيل ، اى  
قطعا قطعا ، صفرا ، دون الحمام ، وارجلها حمر ، ومع كل طائر  
ثلاثة احجار ، وجاءت فحلقط عليهم ، وارسلت تلك الاحجار عليهم فهلكوا ) •
- ٣ - وعن محمد بن اسحق قال ( جاؤا بفيلين ، فاما المسمى بمحمود فروض ،  
واما الاخر فشجع فحصب ) •
- ٤ - وعن وهب بن منبه قال ( كان معهم فيلة ، فاما محمود وهو فيل الملك  
فروض ليقتدى به بقية الفيلة ، وكان فيها فيل تشجع فحصب ، فهربت بقية  
الفيلة ) •
- ٥ - وعن عطاء بن يسار ( قال عطاء وغيره ليس كلهم اصابه المذاب في الساعة  
الراهة ، بل منهم من هلك سريعا ، ومنهم من جعل يتساقط اعضوا اعضوا  
وهم هاربون ، وكان ابرهة ممن تساقط اعضوا اعضوا حتى مات ببلاذ خشم ) •
- ٦ - وعن ابن اسحق قال ( فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهل  
واصيب ابرهة في جسده ، وخرجوا به معهم ، يسقط انملة انملة ، حتى  
قدموا صنعاء ، وهو مثل فرخ الطائر ، فما مات حتى انصدع صدره عن  
قلبه فيما يزعمون ) •
- ٧ - وعن يعقوب بن عتبة قال ( انه حدث انه اول ما رويت الحصى والجدرى  
بارض العرب ذلك العام ) •
- ٨ - قال ابن كثير : ( وهكذا - اى كما روى عن يعقوب بن عتبة - روى عن  
عكرمة من طريق جبير ) •

هكذا تتزاحم الافكار والاراء متواردة على الجانب الذي ذكرت ان الايات

القرانية لم تبينه ، شارحة وموضحة .

فيقول قائلون . ان الطير كانت تحمل في مناقيرها ، وارجلها حجارة في

حجم العدى ، والحمى ، تقذف بها على جيش ابرهة ، وكلما اصاب حجر رجلا

اهلكه .

وفي بعض الروايات ان الحجر كان اذا سقط على راس الرجل خرج من دبره .

ويقول آخرون : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وان وطأة هذا

المرض على ابرهة وجيشه كانت شديدة الى حد ان اجسادهم كانت تتساقط جزءا جزءا ،

وغضوا غضوا ، عقب الاصابة مباشرة ، مما لم يصمد له نظير قط . حتى ان

الفيلة التي لا ينال الحديد من جلودها ، فعل بها هذا المرض الافاعيل .

واختلاف الروايات على هذا النحو ، في امر الهلاك يدل على ان الراء فيه

وليدة الاجتهاد ، والسمع من ليس السماع عنه حجة ملزمة .

ومن هذا الباب المفتوح دخل الشيخ محمد عمده ، وهو ولوع بتمحيص الراء

والتخير من بينها ، والقى بدلوه في الدلاء ، ولكن في نفس المياه التي يستقي

منها غيره ، ولم يخرج عن نطاقها ، فتابع وهب بن منه ، ويعقوب بن عتبة ،

وعكرمة ، ومحمد بن اسحق في احدى الروايات ، مؤثرا رأيهم بأن الهلاك كان بسبب

الحصبة والجدرى .

وكما بينا ان الايات القرانية تركت كيفية الهلاك لم توضحها ، فان اصحاب

راى الحصبة والجدرى تركوا العلاقة بين مرض الحصبة والجدرى وبين الحجارة التي

ارسلها الطير على الجيش فتشأ منها المرض ، ولم يوضحوها ، ولم يبينوا كيف

نشأ مرض الحصبة والجدرى بسبب الحجارة .

وهنا يتقدم الشيخ محمد عمده ليسد هذه الثغرة ، التي توجد في ثنايا

الرأى الذي بدأه : وهب بن منه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن

اسحق - في احدى الروايات - ولم يتموه ، فيقول :  
( فيجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب الذي  
يحمل جراثيم بعض الامراض ، وان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس  
الذي تحمله الرياح فيملق بأرجل هذه الحيوانات ، فاذا اتصل بجسد ، دخل  
في مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم وتساقط لحمه ،  
وان كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد  
اهلاكه من البشر ، وان هذا الحيوان الصغير - الذي يسمونه بالميكروب -  
لا يخرج عنها - اى عن جند الله - وهو - اى الميكروب - فرق وجماعات  
لا يحصي عددها الا بارئها ، ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطاغين  
على ان يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاء  
مغرب ، ولا ان يكون له اللون خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة ،  
وكيفية تأثيرها ، فله جند من كل شيء :

وفي كل شيء له اية : تدل على انه الواحد  
وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته ، فهذا الطاغية الذي اراد ان  
يهدم البيت ، ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه مادة الجدرى او الحبة ،  
فاهلكته واهلكت قومه قبل ان يدخل مكة ) .

فالشيوخ محمد عبده يجوز ان يكون الطير الابليل - التي روى ابن  
اسحق في شأنها انها امثال الخطاطيف والبلسان . وذكر الواقدي انها دون  
الحمام - هي من جنس البعوض او الذباب ، ولا مانع من ذلك ، فان اسم  
الطير الوارد في سورة الفيل ، كما يجوز ان يقع على امثال الخطاطيف والبلسان  
وعلى ما دون الحمام ، كما ذكر ابن اسحق والواقدي ، يجوز ان يقع على البعوض  
والذباب ، فان الله جل شأنه يقول :

" وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم " . " ١ "

فكل ما يطير بجناحيه طائر ، والذباب والبعوض مما يطير بجناحيه .  
وان قد فهم الشيخ محمد عبده من الطير المذكور في السورة ، ذلك  
الجنس . فلا عليه ان يفهم ان الحجارة شيء في مكثة هذا الجنس من الطير ان  
يحملة .

كما ذهب ابن اسحق الى ان الحجارة مثل الحمص والعدس ، لما فهم ان  
الطير في مثل حجم الخطاطيف ليناسب بين الحامل والمحمول . لذلك قال الشيخ  
محمد عبده :

( يجوز ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله  
الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات - يعني التي هي من جنس البعوض او  
الذباب - ) .

فيكون محصل ما قاله الشيخ محمد عبده عن ( الذباب والبعوض - والجراثيم  
- والطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل الذباب والبعوض - ) .

ان الله سلط الذباب او البعوض ، او كليهما ، على ابرهة وجيشه ،  
حاملة في ارجلها وعلى اجنحتها ، كلا من جراثيم الامراض ، والطين المسموم اليابس ،  
فأصابت اجساد الجيش ، حيث دخل الطين المسموم في مسامها ، فآثرت فيها القروح  
التي تؤدي الى فساد الاجسام ، وتساقط لحمها ، كما ان الجراثيم عملت عملها  
الخاص بها فأصابت الاجسام بمرض الحمى والجدري .

وهكذا اصطلح الطين المسموم ، والجراثيم ، التي حمل كلا منها البعوض  
والذباب ، على اهلاك ابرهة وجيشه ، فكان ما اراد الله لهم من الفكال الذي لم  
يحصل نظيره لغيرهم ، حفاظا على بيته المعظم ، واعدادا للمناخ صالح لدعوة نبيه  
المكرم .

هذا هو تصوير حادثة الفيل - كما وردت في تفسير جزء عم للشيخ محمد  
عبد - وهو تصوير لا يخرج عن نطاق النص القرآني ، مع ما ورد عن السلف  
الصالح في تفسيره . ليس للشيخ محمد عبده شيء فيه سوى هذه الاضافة التي  
ربطت بين ما ورد في الاية القرآنية الكريمة من قوله تعالى :  
" وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف  
ماكول " .

ومين ما قاله - وهب بن منبه ، ويعقوب بن عتبة ، وعكرمة ، ومحمد بن  
اسحق في - احدى رواياته - من ان الهلاك كان بسبب الحسبة والجدرى .  
وهذه الاضافة التي اضافها الشيخ محمد عبده هي في الواقع تفسير  
للتفسير ، لا تفسير للايات ، فانها وضحت قول هؤلاء الجهابذة الاعلام -  
عكرمة وصحبه - من ان مرض الحسبة ، والجدرى اهلك ابرهة وجيشه .  
وجرائم هذا المرض تأتي عن طريق طيور كالذباب والبعوض ، ففسر الطير  
الوارد في الاية ، بها . وهو تفسير لا يوجد ما يبرر انكاره . ثم فسر الحجارة بما  
يتناسب مع هذا النوع من الطير ، فتناسقت الامور ، وناسب الحامل المحمول .  
وان ترتب هذا الاثر العظيم ، من هلاك ابرهة وجيشه بصورة لا يعرف  
التاريخ لها شيئا ، حيث تم ساعة تأهبهم للغزو ، وتم بصورة تركتهم كالعصف  
الماكول ، على اسباب ضعيفة واهية ، من ذباب ، وبعوض ، وميكروبات ،  
وغبار ، وتشير الرياح ، هو وجه من اوجه الاعجاز الذي تقف العقول امامه حيرى  
ذاهلة : فان ترتب الاثار العظام على بساطت الاسباب ، ادخل في العظمة والمبرة ،  
وادل على كمال القدرة ، ولذلك يضرب الله المثل على ضعف الطغاة الجبارين من  
المتنرددين على انبيائه ورسله ، بمجزهم عن مقاومة اضعف مخلوقاته فيقول عز من  
قائل :

" يا ايها الناس ضرب مثل فاستموا له ان الذين تدعون من دون الله لن

يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف  
الطالب والمطلوب " ١ " •

ويقول تعالى :

" فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات

مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين " ٢ " •

ويشير الشيخ محمد عبده الى هذا المعنى بقوله :

( ولا يتوقف ظهور اثر قدرة الله تعالى في قهر الطافين على ان يكون

الطير في ضخامة روموس الجبال ، ولا على ان يكون من نوع عنقاص مغرب ، ولا ان

يكون له الوان خاصة به ، ولا على مصرفة مقادير الحجارة ، وكيفية تأثيرها ،

فله جند من كل شيء ) ••• وليس في الكون قوة الا وهي خاضعة لقوته •

فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما يوصل اليه

مادة الجدري او الحصبة ، فأهلكته واهلكت قومه ، قبل ان يدخل مكة ) •

ويقول :

( وان كثير من هذه الطيور الضميمة — والاشارة الى ما سبق في قوله

" يجوز لك ان تعتقد ان هذا الطير من جنس البهوض او الذباب الذي يحمل

جراثيم بعض الامراض " •

— يمد من اعظم جنود الله في اهلاك من يريد اهلاكه من البشر •

وان هذا الحيوان الصغير — الذي يسمونه بالميكروب لا يخرج عنها —

والضمير راجع الى " اعظم جنود الله " — وهو فرق وجماعات ولا يحصي عددها

الا بارئها — اي لان فرق وجماعات جراثيم امراض الجدري مثلا غير فرق وجماعات

١ — سورة الحج آية ( ٧٣ ) •

٢ — سورة الاعراف آية ( ١٣٣ ) •

جراثيم مرض التيفود مثلا وهكذا ) •

فالشـيخ محمد عبده يشير الى ان الطيور الضعيفة من امثال الذباب والبعوض ،  
وان الحيوانات الصغيرة مما يسمى بالجراثيم من امثال جراثيم الحصبة والتيفود ، كل  
ذلك من جنود الله العظيمة التي يهلك بها الطغاة والجبارين •  
والطيور الضعيفة في عبارته التي مثل لها بالذباب والبعوض غير الحيوانات  
الصغيرة التي سماها الجراثيم ، كجراثيم الحصبة والجدرى ، بدليل قوله في نفس  
العـبارة السابقة :

( فهذا الطاغية الذي اراد ان يهدم البيت ارسل الله عليه من الطير ما

يوصل اليه مادة الجدرى والحصبة ) •

فالامرابين من ان يلتبس على من ادعوا ان الشيخ محمد عبده يفسر الطير  
المذكور في السورة بجراثيم الامراض • انه لم يفعل ذلك ، وليس في كلامه ما يفيد  
من قريب او بعيد •

x x x

وقد يقول قائل : ما حاجتنا الى ان نهتم بالتنسيق بين عناصر الواقعة

وجعلها مترابطة ترابطا عقليا ، ونقول :-

ان مرض الجدرى الذي جعل عكرمة هلاك جيش ابرهة حصل بسببه حمل  
جراثيم طير من شأنه ان يعيش في المناطق الممطرة ، الالهة بهذه الجراثيم ،  
مثل الذباب والبعوض ، وان الرياح ساقطت هذا الذباب ، وساقطت له غبارا مسموما  
علق بأرجله ، وان الذباب القى ما معه من جراثيم وغبار مسموم على ابرهة وجيشه  
فاهلكته •

لم لا نقول : ان الله ابتداء في هذا الوقت فخلق طيرا واحجارا وجراثيم ،  
وساق كل ذلك الى اعدائه فاهلكهم • اذ الله ان في المعجزات ، وما يجري مجراها

ان تكون على خلاف العادة • وهذا التنسيق الذي ذكرتموه ، يقرب الحادثة من العاديات ، ويجعلها كأنما هي جارية على سننها •

والجواب : ان النص القرآني بخصوص كيفية الهلاك مجمل ، ولذلك اختلف السلف فيه : بين قائل : ان هلاك جند العدو كان بسبب الاحجار تسقط على رؤوسهم فتخرج من اديبارهم •

وقائل : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى •

وان الخلاف في ان يكون الطير من جنس الخطاطيف او من جنس الذباب

ايضا محتمل ، فاسم الطير يقع على كل منهما •

واذا ذهبنا مع من يقول : ان الهلاك كان بسبب الحصبة والجدرى ، وهو قد سكت عن تفسير الطير ، وبيان مقدار الحجارة ، فتفسير ما سكت عنه بما لا يلباه النص ولا يبطل الاعجاز ولا ينافيه ، لا مانع من قبوله •

وثبوت الاعجاز لا يقتضي ان تكون كل الملائكات مخالفة للعادة • ففي غزوة

الاحزاب ، ارسل الله الرياح على الكفار فاقتلعت خيامهم وكأنت قدورهم ، وصيرت

مقامهم غير مستطاع • وكان الله قادرا على ان يقطع خيامهم ، ويكأ قدورهم من

غير ريح ، فان قلع الرياح للخيام ، وكأها للقدور امر معتاد • ولكن الاعجاز

كان في ان تهب الرياح في هذا الوقت ، وان يقتصر هبوبها - كما ورد في الحديث

- على الاماكن التي نصب الاعداء فيها خيامهم ، وان يستمر هبوبها حتى يتعذر

بقاؤهم ، واستقرارهم ، فيولوا هاربين ، فتسكن وتهدأ • ذلك هو الاعجاز •

وقد كان الله سبحانه يسقط الامطار تحت مواقع اقدام المسلمين حتى لا تخوص

في الرمال • وهو قادر على تثبيت الرمال تحت اقدامهم من دون المطر ، ولكن نزول

المطر تحت اقدام المسلمين وحدهم ومقدار الحاجة ، دون ان يصير سيولا ، وتكتسحهم

وتكتسح امتعتهم ، هو الاعجاز •

فكذلك الحال فيما نحن بصدده ، انه يتحدى البيت الحرام من تهيات له اسباب

النصر والغلب ، من كثرة العدد وقوة العدد ، ثم يهني الى غايته معلنا عن هدفه



• يهزم كل من يتعرض له في الطريق ، ويأسر منهم من يستعمله ، دليلا عليه ،  
ويصطحب معه فيلة يريد ان يستعملها في هدم البيت ، يوطئ السلاسل في اعناقها ،  
ويطوق اطرفها باركان الحوائط ، ثم يزجرها ، فتقتلع الحوائط من اساسها حائطًا  
حائطًا ، ثم يكر راجعا فائزا منتصرا ، بعد ان يكون قد ترك البيت ركاما واحجارا ،  
هكذا سولت له نفسه •

( فلما انتهى هذا الطاغية - ابرهة - الى " المغمس " ، وهو قريب

من مكة نزل به ، واغار جيشه على سرح اهل مكة من الابل فأخذه ، وكان في  
السرح مائتا بعير لعبد المطلب ٠٠٠ وبعت ابرهة من يأتية بأشرف قريش ،  
ويخبرهم بانه لم ينجى لقتالهم الا ان يصدوه عن البيت ، فدلوه على عهد المطلب ،  
فقال عبد المطلب بعد ان عرف من امر ابرهة ما يأسه من حربه : والله ما نريد  
حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم ، فان يمنعه  
منه فهو بيته وحرمه ، وان يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا دفع عنه •  
فقال له رسول ابرهة : تعال معي اليه : فلما راه ابرهة اجله ،  
ونزل عن سريره وجلس معه على البساط ، وقال له : ما حاجتك ؟ فقال  
عبد المطلب : ان حاجتي ان ترد علي ما نعتي بهمير اصابتها قومك • فقال له  
ابرهة : لقد كنت اعجبني حين رايتك ، ثم زهدت فيك حين كلمني • اتسأل  
لن ارد عليك ما نعتي بهمير اصابتها منك ، وتترك بيتا هو دينك ودين اباك قد جئت  
لهدهم ، ولا تكلمني فيه • فقال له عبد المطلب : اني اثارب الابل •  
وان للبيت ما يهينعه ، قال ابرهة : ما كان ليمنع مني ، قال عبد المطلب :  
انت وذاك •

ويقال انه ذهب مع عبد المطلب جماعة من اشرف العرب فعرضوا على ابرهة

ثلث اموال تهامة على ان يرجع عن البيت ، فأبى عليهم • فامر عبد المطلب اهل

مكة بالخروج منها والتحصن في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرفة الجيش (١) \*  
وانتهى الامر بين ابرهة وجيشه من ناحية ، وبعد المطلب ومن معه من  
العرب من ناحية اخرى ، على هذه الصورة : اعلن ابرهة الحرب على البيت  
ومن يدافع عنه ،

فقال العرب لابرهة انه لا قبل لنا بحريك ، ووكلوا الدفاع عن البيت الى رب  
البيت ، وصعد العرب فوق الجبال ، هربا من ابرهة .  
فلما اصبح الصباح كان ابرهة على تمام الالهة بجيشه ، وعدده ، وتوجهوا  
والفيلة تقدمهم نحو الكعبة ، فابى الله على الفيلة ان تتحرك ، فهرب منها ما برك ،  
وما الجاه الضغط الى الحركة اصابته الحصبة فهلك .

ولما لم يعتبر الجيش بما اصاب الفيلة وحاول السير لدخول مكة ، اخذ الله  
عليه الطريق ، وحال بينه وبين ما يريد ؟  
وماذا فعل الله بهم ؟ هل ارسل لهم جيشا من الملائكة تطاردهم ؟

او جيشا من الجن ؟ او انزل عليهم كسفا من السماء ؟ او اطبق عليهم الاخشبين ؟  
لا ، انهم اهون من ذلك كله .

ان الله اراد ان يحقر من شانهم ، فارسل عليهم من ابسط جنده ،  
واضعف خلقه . لكن كان لهذا الجند الضعيف فيهم من الاثر ما جعلهم عبرة  
للمعتبرين ، وهزاة للمستهزئين .

ارسل عليهم طيرا اباييل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف

ماكول .

وسواء كانت الطير في حجم الخطاطيف او في حجم الذباب والبعوض ، وسواء  
كانت الحجارة في حجم الحمص او العس ، او كانت دون ذلك مما يعلق في ارجل  
الذباب ، واجنحته ، وسواء كان الهلاك بسبب اختراق الحصى اجسادهم من  
رؤوسهم الى ادبارهم ، او بسبب الجدرى والحصبة التي حمل جراثيمها الذباب ،  
سواء كان الذي وقع هو هذا او ذاك ، فان النتيجة انهم صاروا بسبب ذلك كورق -

الشجر الذي اكلت منه الدواب ما يصلح لها ، وتركت ما لا يصلح ، وصيرورة جسم  
الانسان الى ما يشبه العصف المأكول ، بسبب العذاب ، يفيد ان العذاب  
قد فتت الجسم تفتيتا ، وسحقه سحقا ، وكان ذلك بين هشية وضحاها . وحسبي  
الله بيته .

ذلكم الاعجاز                      ذلكم الاعجاز

x                      x                      x                      x

واعود الى الشيخ محمد عبده ، فأقول :

اولا :

==== ان هذا الذي ذكرناه بخصوص تفسيره لسورة الفيل - مع خلوه مما ورد  
عليه من الاعتراضات والماخذ - فان الشيخ محمد عبده لا يدعي انه احسن ما  
يقال ، ولا انه يجب الاخذ به وترك ما عداه ، بل يقول : انه راي يجوز  
فهمه ، ويجوز الاخذ به ، وقد مرت بنا عبارته التي صدر بها البحث وابتداه  
بها ، وهي قوله :

( فيجوز لك ان تمتد ان هذا الطير من جنس البعوض او الذباب . الخ )

واقول :

ثانيا :

==== ان من يقول :

( ان الشيخ محمد عبده يكتب في ابحاث العقيدة على طريقة غريبة عجيبة ،

يخرج بها على اجطاح المسلمين ، وبه هيات العقيدة الصحيحة ) .

يظلمه ، ويتجاوز الحق والواقع ، ان لم يكن لديه وقائع غير واقعة الفيل .

واقول :

ثالثا :

==== ان من يقول :

ان الشيخ محمد عبده ( ينتهي في تفسير سورة الفيل الى تأويل  
صريح الاية بان المقصود بطير الالبابيل ، وحجارة السجيل ، انما هو  
وباء الجدري ) .

• لم يقرأ تفسيره ، او لم يفهمه .

واقول :

رابعا :

==== ان من يقول عن الشيخ محمد عبده :

( تأمل في الفاظ سورة الفيل الصريحة الواضحة المعنى ،  
ثم قل لي كيف يتأتى ان يؤمن بمفاهيم القران التي هي اعظم غرابة بكثير من  
قصة الفيل ، من يعمد الى نص القران فيها فيقول طيرا الالبابيل والحجارة  
التي تربى بها بداء الجدري ) .

• يعني ما يشبه ان يكون حقا ، على باطل صرف .

اما الباطل الصرف ، فهو القول بان الشيخ محمد عبده يفسر الطير الالبابيل  
والحجارة بمرض الجدري .

واما ما يشبه الحق فهو ان الشيخ محمد عبده فسر الملائكة بالقوى الطبيعية  
وهي غيب ( ١٠٠ هـ )

====

الباب الرابع : "السمميات"

=====

يشتمل هذا الباب - بعد التعريف بالسمميات على ما يلي :-

- اولا : رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن •  
ثانيا : رأى الشيخ محمد عبده في الحقائق الخيبية ، مما يكون بعد الموت •  
وتنحصر هذه الحقائق في ثلاثة امور ، هي :-

( الامر الاول ) : ما يتعلق بالموت ، وهذا يفضى تحته :

- ===== أ : فتنة القبر ، وسوءه •  
ب : عذاب القبر ، ونعيمه •

( الامر الثاني ) : ما يتعلق بالساعة واشراطها ، وهذا يشمل اهم ، واشهر

===== ايات الساعة ، وهي :-

- أ : الدخان •  
ب : الدجال •  
ح : الدابة •  
د : طلوع الشمس من مغربها •  
هـ : نزول عيسى بن مريم •  
و : ياجوج وماجوج •  
ز : خسف بالمشرق •  
ح : خسف بالمغرب •  
ط : خسف بجزيرة العرب •  
ي : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم •

( الامر الثالث ) : ما يتعلق بيوم القيامة واهدائه ، ويندرج تحت هنا :

=====

- أ : بداية يوم القيامة •  
ب : البعث والحشر •

- ح : الشفاعة والحوض •
- د : العرض •
- هـ : الحساب •
- و : الجزاء •
- ز : الميزان والوزن •
- ح : الصراط والمرور عليه •
- ط : الجنة والنار والخلود في كل منها • " ١ "

١ - انظر الكتب التالية ، بتصرف :-

- ١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٧ - ٤٨٦ ،  
٥٦٤ - ٥٦٦ •
- ٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٠٦ - ٦٢٣ ) ،  
( ٢ : ٦٢٩ - ٦٣٣ ) •
- ٣ - الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ، للدكتور محمد  
نعيم ياسين ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م •  
ص ٥٨ - ٩٨ •
- ٤ - كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي  
ص ٣٠٣ - ٣٦٧ •
- ٥ - العقيدة الاسلامية ، واسمها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة  
( ٢ : ٣٠٠ - ٣٧١ ) ، الطبعة الاولى •
- ٦ - العقائد الاسلامية ، للاستاذ سيد سابق ص ٢٣٧  
وما بعدها •

تمهيد :

===== "١" هي الامور التي لا تثبت الا بالسمع ، والنقل عن

الرسول صلى الله عليه وسلم ، كالمعاد ، والحساب ، والميزان ، والجزاء ،

والشفاعة ، والصراف ، والثواب والعقاب في الجنة او النار ، ... وغير ذلك من

الامور التي لم تصل الانسان الا عن طريق الخبر اليقيني ، ولم تحدث بعد ،

وهي لا تزال محجوبة عنه ، ولا يعلم كتبها الا الله تعالى .

والامور السمعية ، لا سبيل للعقل البشري الى معرفتها قبل ان يرد

الخبر بشأنها ، من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومع ذلك فان الخبر ، عندما ورد بشأنها لم يطلب من العقل ان يعرف

شيئا عن حقيقتها لمجزه عن ادراك ذلك .

لذلك ، فان على الانسان ان يؤمن بوجود الله عز وجل اولا وقبل كل

شيء ، وان يؤمن ببعثة الرسل الكرام ، وبخاتمهم سيدنا محمد عليه افضل الصلاة

والسلام . وان القرآن هو كلام الله انزله على رسوله .

فاننا امن بذلك حق الايمان ، وانتهى بطبيعة الحال الى الايمان بكل

الحقائق الغيبية ، التي وردت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

---

١ - ذهب بعض علماء العقيدة الى ان مباحث العقيدة تنقسم الى اربعة اقسام :  
الهيئات ، نبوات ، كونيات ، غيبيات . والكونيات تشمل الملائكة والجن ،  
اما الغيبيات فتشمل بقية الامور السمعية كالمعاد ، والجزاء ، والصراف ... الخ  
/ انظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٢٦ .

وذهب البعض الى تقسيمها الى : الهيئات ، نبوات ، روحانيات ،

سمعيات ، كما فعل الشهيد حسن البنا رحمه الله . حيث قال :

القسم الثالث : الروحانيات ، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي

كالملائكة عليهم السلام ، والجن .

القسم الرابع : السمعيات ، وتبحث فيما يتعلق بالحياة البرزخية ،

والحياة الآخوية ، وعلامات القيامة ... الخ

/ انظر مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ص ٤٣٤ ، دار الشهاب ،

القاهرة .

وهذه التقسيمات من اصطلاحات وفنون العلماء ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

١ - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ، والجن :

وهذا يشمل :

أ : رايه في الملائكة .

ب : رايه في الجن .

واتكلم عن رايه في الملائكة ، اولاً .

أ : رأى الشيخ " محمد عبده " في الملائكة . " ١ "

يوءمن الشيخ محمد عبده ، بالملائكة ، ويؤمن بانهم ركن من اركان الدين -  
الايمان - كما ورد في حديث جبريل عليه السلام ، قال " يا محمد : اخبرني عن  
الايمان ، قال : ان تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ،  
والقدر . . . الخ " . " ٢ "

- ١ - الملائكة جمع ملك بفتح اللام . قيل : مخفف من ملك ، وقيل مشتق من  
الالوكة وهي الرسالة على قول سيهويه والجمهور . واصله لأك . وقيل :  
اصله الملك بفتح الميم وسكون اللام . وهو الاخذ بقوة .  
وقال جمهور اهل الكلام من المسلمين : الملائكة اجسام لطيفة اعطيت  
قدرة التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات .  
انظر : فتح الباري لابن حجر ( ٦ : ٢٣٢ ) .  
وانظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٥٧٩ ) .
- ٢ - متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١ : ١٥٧ ) .  
وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١ : ٩٦ ) .  
رواه مسلم عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ورواه البخاري عن ابي هريرة  
رضي الله عنهم .



- وهم خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب . " ١ "
- وهذا يعني - عند الشيخ محمد عبده - انه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تاويل ذلك - اى حقيقة لفظ الملائكة الا الله تعالى . " ٢ "
- وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في الشرع عن طوائفهم ووظائفهم . . .
- فقد ورد في الايات والاحاديث ما يدل على ان وظائفهم محدودة .
- قال تعالى : " يسبحون الليل والنهار لا يفترون " . " ٣ "
- وقال تعالى : " وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون " . " ٤ "
- وقال تعالى : " والصفات صفا فالزاجرات زجرا " . " ٥ "
- وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشاط والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمديرات امرا " . " ٦ "

( على قول من قال ان المراد بها الملائكة الى غير ذلك مما يدل على انهم طوائف لكل طائفة وظيفة محدودة ، ورد في الاحاديث انهم الساجد دائما ، والراكع دائما الى يوم القيامة ) . " ٧ "

- اما الشيخ محمد عبده فانه لا يقر قول من قال ان المراد بالنازعات ، والناشطات ، والسابحات ، والسابقات ، والمدبرات - الملائكة .
- ويرى ان المراد بذلك : الكواكب السيارة ، او السيارات من كواكب واقمار . . . " ٨ "

- 
- ١ - انظر تفسير المنار ( ٢ : ١١٣ ) .
  - ٢ - انظر تفسير المنار ( ٣ : ١٦٧ ) .
  - ٣ - سورة الانبياء اية ( ٢٠ ) .
  - ٤ - سورة الصافات اية ( ١٦٦ ) .
  - ٥ - سورة الصافات اية ( ١٦ ) .
  - ٦ - سورة النازعات الايات ( ١ - ٥ ) .
  - ٧ - تفسير المنار ( ١ : ٢٥٩ ) .
  - ٨ - انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣١٩ ) .

رأيه في جبريل عليه السلام :

===== يو من الشيخ " محمد عبده " بالملك جبريل

عليه السلام ، وقد اثبت الشيخ محمد عبده هذا في كثير من كلامه ، عند تفسير بعض الايات . " ١ "

لكنه ينكر ان يكون " روح القدس " الوارد في الايات الكريمة هو : جبريل

يقول الشيخ محمد عبده :

( واما روح القدس فهو روح الوحي الذي يؤيد الله تعالى به انبياءه في

عقولهم ، ومعارفهم وهو ، هو المراد بقوله تعالى :

" وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان " . " ٢ "

وهو المراد بقوله تعالى :

" واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس " . " ٣ "

ويطلق عليه روح القدس : لان التعليم الذي يكون به قدس .

اولانه يقدر النفوس .

كما يطلق عليه " الروح الامين " : لان النبي الموحى اليه يكون على

بينة من ربه فيه يأمن معها التلبس فيما يلقي اليه .

قال تعالى : " نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين " . " ٤ "

والشيخ محمد عبده لا يقبل كلام جمهور المفسرين في ان المراد " بروح

القدس " هو جبريل عليه السلام .

---

١ - انظر تفسير المنار ( ١ : ٣٩٣ )

وانظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٤٢ ) .

٢ - سورة الشورى اية ( ٥٢ ) .

٣ - سورة البقرة اية ( ٨٧ ) .

٤ - سورة الشعراء اية ( ١٩٣ ) .

يقول "١" : ذهب جمهور المفسرين الى ان المراد " بروح القدس " الملك  
المسمى " جبريل " الذي ينزل على الانبياء ، ومنه يستمدون الشرائع عن الله  
تعالى ، وهو على حد قولهم " حاتم الجود " . " ٢ " .  
وللشيخ محمد عبده راي في الملائكة الموكلة بحمل التابوت ، الوارد ذكره  
في قوله تعالى في سورة البقرة : " وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت  
فيه سكينه من ربكم وبقيه ما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة " . " ٣ " .  
قال الشيخ محمد عبده :

وقوله تعالى : " تحمله الملائكة " يحتمل وجهين :

- ( احدهما ) : ان المراد بالملائكة صور الكرويين " ٤ " وقد وضع التابوت عليهم .
- ( ثانيهما ) : ان البقرتين اللتين حملتا التابوت كانتا تسيران مسخرتين بالهام  
الملائكة .

وقد قال الشيخ محمد عبده هذا ، بعد ان اورد النص الكامل لهذه

القصة كما جاءت في سفر الخروج . " ٥ " .

- 
- ١ - تفسير المنار ( ١ : ٣٧٧ ) .
  - ٢ - هذا خطأ من الشيخ محمد عبده ، فان جمهور المفسرين لا يقولون " حاتم  
الجود " ، والذي قاله هو الزمخشري ، فقد فسره قوله تعالى " وايدناه  
بروح القدس " بالروح القدس كما تقول حاتم الجود ، ورجل صدق .  
/ انظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ١ : ٨٧ ) .
  - ٣ - سورة البقرة اية ( ٢٤٨ ) .
  - ٤ - الكرويين : ورد في الفصل الخامس والعشرين من سفر الخروج ( وتصنع  
كرويين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرف الغطاء ) بمعنى تماثيل  
على صورة حيوانات لها اجنحة كما ذكر الشيخ محمد عبده . /  
/ انظر تفسير المنار ( ٢ : ٤٨٣ ) .
  - ٥ - انظر : تفسير المنار ( ٢ : ٤٨٤ ) .  
وانظر : تفسير الطبري ( ٥ : ٣٣٦ ) .

على ان رأى الشيخ محمد عبده في هذه الامور هو دون ماله بصددها في  
مواضع اخرى ، فمثلا قال في شرحه على نهج البلاغة عند قول الامام علي رضي الله  
عنه ، ( وان نؤمن بالملائكة ٠٠٠ ) . " ١ " .  
قال الشيخ محمد عبده :

( جعل الملائكة اربعة اقسام ) :

( الاول ) : ارباب العبادة ومنهم الراكع والساجد ، والصاف ، والمسيح ٠٠٠  
( والقسم الثاني ) : الامناء على وحي الله لانبياؤه ، والالسنة الناطقة في افواه  
رسله ، والمختلفون بالاقضية الى العباد ، بهم يقضي الله على  
من شاء بما شاء .

( والقسم الثالث ) : حفظه العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم  
يخفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب ، ولولا ذلك لكان  
العطب الصق بالانسان من السلامة .

( القسم الرابع ) : حطة المرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في  
العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه ،  
مركزه ، وحدوده ، مسيره في مداره ،  
فهي المختركة له ، النافذة فيه ، الاخذة من اعلاه الى اسفله ،  
ومن اسفله الى اعلاه . ٠ ١٠ هـ

ومثلا قال في تفسير قوله تعالى :

" وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها  
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم بما لا تعلمون ،  
وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انهتوني باسماء هؤلاء ان كنتم

صادقين ، قالوا سبحانه لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم . قال يا ادم  
انهيهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض  
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى  
واستكبر وكان من الكافرين " ١ " .

قال الشيخ محمد عبده :

( اما الملائكة فيقول السلف فيهم انهم خلقوا لخيرنا الله تعالى  
بوجودهم وبيعض علمهم فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم  
فنفوض علمها الى الله تعالى ) " ٢ " .

واما الخلف فقد فصل الشيخ محمد عبده في بيان مذاهبهم فقال :

• منهم من تكلم في حقيقة الملائكة ووضع لهم تعريفا .

• ومنهم من امسك عن ذلك .

وقد اتفقوا على انهم يدركون ويعلمون " ٣ " .

وقال :

( فعلمنا ان السلف والخلف متفقون على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به

شؤون المخلوقين ، وحكمة ملائكته عما لا يليق بهم من الاعتراض او الانكار ، فلا فرق

في هذه النتيجة بين تفويض وتسلم ، وتأويل وتفهم ، والله بكل شيء عليم ) " ٤ " .

ولان الشيخ محمد عبده كان يعول على العقل كثيرا في فهم القران الكريم ،

خاصة الايات التي يعجز العقل عن الخوض فيها ، بل لا يجوز له ان يخوض فيها البتة .

فانا نجد الشيخ محمد عبده يقحم نفسه في الخوض في الملائكة فيقول ولها تأويلا بعيدا ،

١ - سورة البقرة الايات ( ٣٠ - ٣٤ ) .

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٢٥٤ ) .

٣ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٢٥٥ ) .

٤ - تفسير المنار ( ١ : ٢٥٧ ) .

فجعل الملائكة قوى لا تعقل " ١ " اودعها الله في الطبيعة •

وقد خالف الشيخ محمد عبده بذلك التأويل منطوق الايات ، ومفهومها ،

وما فهمه المسلمون وغيرهم من اهل الشرائع والمطل من ان الملائكة عباد الله ، لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وفيه ايضا مخالفة لما قرره سابقا من ان الملائكة خلق روحاني عاقل قائم بنفسه ،

وهم من عالم الغيب ، وانهم طوائف ، لكل طائفة وظيفة محددة •

وانه لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لانه لا يعلم تأويل ذلك - اى حقيقة

لفظ الملائكة - الا الله •

واليك النص الكامل لكلام " الشيخ محمد عبده " ، وقد ذكره الشيخ

" رشيد رضا " في تفسير المنار ، في الجزء الاول ، صفحة ( ٢٦٧ - ٢٦٩ ) •

تحت تفسير قول الحق سبحانه وتعالى :

" وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من

الكافرين " • " ٢ "

قال رشيد : ( قال الاستاذ ) •

( وذهب بعض المفسرين مذها اخر في فهم معنى الملائكة وهو : ان

مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال من انماء نبات ، وخلق حيوان ،

وحفظ انسان ، وغير ذلك فيه ايماء الى الخاصة بما هو اذق من ظاهر العبارة •

وهوان هذا النوع في النبات لم يكن الا بروح خاص ، نفخه الله في البذرة فكانت به هذه

الحياة النباتية المخصوصة •

وكذلك يقال في الحيوان والانسان •

فكل امركلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الالهية في ايجاده •

١ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٢٧٠ ) •

٢ - سورة البقرة اية ( ٣٤ ) •

فانما قوامه بروح الهي سمي في لسان الشرع ملكا .

ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف يسم هذه المعاني " القوى الطبيعية "

اذا كان لا يعرف من عالم الامكان الا ما هو طبيعة ، او قوة يظهر اثرها في الطبيعة .

والامر الثابت الذي لا نزاع فيه هو ان في باطن الخلقة امرا هو مناظها ، وهـ

قوامها ، ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمن بالوحي

تسميته " ملكا " وزعم انه لا دليل على وجود الملائكة .

او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته " قوة طبيعية " او " ناموسا طبيعيا "

لان هذه الاسماء لم ترد في الشرع .

فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ، وان كان

المؤمن بالغيب يرى للارواح وجودا لا يدرك كنهه .

والذي لا يؤمن بالغيب يقول : لا اعرف الروح ، ولكن اعرف قوة ، لا

افهم حقيقتها ، ولا يعلم الا الله علام يختلف الناس ؟ وكل يقرب وجود شيء غير

ما يرى ويحس ، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله الى ادراك كنهه .

وماذا على هذا الذي يزعم انه لا يؤمن بالغيب — وقد اعترف بما غيب عنه —

لوقال : اصدق بغيب اعرف اثره ، وان كنت لا اقدره قدره ، فيتفق مع

المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ، ويحظى بما يحظى

به المؤمنون ؟

يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطره عندما يهيم بامر فيه وجه للحق ،

او للخير ، ووجه للباطل ، او للشر ، بأن في نفسه تنازلا ، كأن الامر فيها قد

عرض على مجلس شورى ، فهذا يورد ، وذاك يدفع ، واحد يقول : افعل واخر

يقول : لا تفعل ، حتى ينتصر احد الطرفين ، ويترجح احد الخاطرين .

فهذا الشيء الذي اودع في انفسنا ، ونسميه قوة وفكرا ، وهو في الحقيقة معنى

لا يدرك كنهه ، وروح لا تكتنه حقيقتها ، لا يحدد ان يسميه الله " ملكا " او

يسمي اسبابه ملائكة ، او ما شاء الله من الاسماء .

فان التسمية لا حجر فيها على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب  
الارادة المطلقة ، والسلطان النافذ ، والعلم الواسع ؟  
( ثم قال الشيخ رشيد رضا ) :

قال الاستاذ الامام ما معناه : فاننا صح الجرى على هذا التفسير ،  
فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ،  
ودبرها بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل  
كل صنف من القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى  
ما حدد له من الاثر الذي خص به ، خلق بعد ذلك الانسان ، واهب له قوة  
يكون بها مستعدا للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ،  
ومجر عن تسخير هذه القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ،  
وجعله بهذا الاستعداد الذي لا حد له ، والتصرف الذي لم يعط لغيره ،  
خليفة الله في ارضه . لانهم اكمل الموجودات في هذه الارض .

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها ب " ابليس " ، وهي ؛  
" القوة التي لزمها اللهم بهذا العالم لزا " ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ،  
او للكامل الى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده الى العدم ، او تقطع  
سبيل البقاء ، وتعتمد بالوجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق ،  
وتصد عن الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها  
خلافته ، فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ،  
تلك القوة التي ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم اليها يسر الى البشر ،  
وما هي باله ، ولكنها مخنة اليه لا يعلم اسرار حكمته الا هو .

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من  
ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق .

• ه • ا

هذا هو ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في تأويل معنى الملائكة عليهم

السلام .



محمد :

فماذا عن قصة خلق ادم عليه السلام ؟

وماذنا عن جعل خليفة في الارض ؟ ، وكيف يفسد فيها ؟

وماذنا عن تعليم ادم الاسماء كلها ؟ وعرض الاسماء على الملائكة ؟

وما معنى سجود الملائكة طيهم السلام ، لادم ، واباء ابليس واستكباره عن

السجود ؟

يميل الشيخ محمد عبده الى تقرير : التمثيل ، والتخييل في القصة .

يقول :

( وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب ، هكذا :

ان اخبار الله الملائكة بجعل الانسان خليفة في الارض هو عبارة عن تهيئة

الارض ، وقوى هذا العالم ، وارواحه التي بها قوامه ، ونظامه لوجود نوع من

المخلوقات يتصرف فيها ، فيكون به كمال الوجود في هذه الارض .

وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الارض لانه يعمل باختياره ،

ويعطي استعدادا في العلم والعمل لا حد لهما ، هو تصوير لما في استعداد

الانسان لذلك ، وتمهيد لبيان انه لا ينافي خلافته في الارض .

وتعليم ادم الاسماء كلها : بيان لاستعداد الانسان ليعلم كل شيء في

هذه الارض ، وانتفاعه بها في استثمارها .

وعرض الاسماء على الملائكة ، وسؤالهم عنها ، وتنصلهم في الجواب :

تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الارواح المدبرة للعوالم محدودا لا

يتعدى وظيفته .

وسجود الملائكة لادم : عبارة عن تسخير هذه الارواح ، والقوى له ،

ينتفع بها ، في ترقية الكون ، بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك .

واباء ابليس واستكباره عن السجود : تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع روح

الشر ، وابطال داعية خواطر السر ، التي هي مآثر التنافس والتخاصم ،

والتعدي والافساد في الارض ، ولولا ذلك ، لجا على الانسان زمن يكون فيه

انفراد كالملائكة ، بل اعظم ، او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري ) . " ١

"وقف مع رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة":

=====

اقول :

في هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع تعقيب :

فأولاً :

==== ما ذكره بخصوص الايمان بالملائكة ، وانه ركن من اركان الدين ، وانهم

خلق روحاني عاقل ، قائم بنفسه ، وهم من عالم الغيب ، لا يجوز البحث عن حقيقتهم ، لان ذلك مما استأثر الله بعلمه . وحسب الانسان ان يؤمن بما ورد في

الشرع عن ظوائفهم ووظائفهم . . . .

كل هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، مسلم ، فان الملائكة خلق

من مخلوقات الله ، موصوفون بصفات ، حددها الشرع الحكيم ، ولهم وظائف خاصة

بهم وان الايمان بهم واجب ، والعلم بوجودهم بما هو معلوم من الدين بالضرورة

هناك جميع المسلمين ، وسنرى ذلك بعد قليل حين نتحدث عن رأى السلف في

الملائكة ، بعد هذه المناقشة مباشرة .

ثانياً :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص جبريل عليه السلام ، ونفيه ان يكون

هو روح القدس ، والروح الامين ، غير مسلم ، لانه مذهب جمهور المفسرين :

قال الامام ابن كثير : هو جبريل عليه السلام . " ١ "

قال الزهري : وهذه الآية " نزل به الروح الامين " " ٢ " كقوله تعالى : " قل من

كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله صدقاً لما بين يديه " " ٣ "

---

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٢ : ٦٥٩ ) .

٢ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

قال الصابوني : تفسير الروح الامين بجبريل قاله غير واحد من السلف : ابن

عباس وقتادة والسدي ، والضحاك ، وغيرهم . " ١ "

قال الامام ابن كثير رحمه الله : " ٢ "

والدليل على ان " روح القدس " هو جبريل عليه السلام ، ما قال البخاري :

عن ابي هريرة ، عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضع لحنان بن

ثابت " ٣ " منبرا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم ايد حسان بروح القدس كما نافح عن

نبيك " .

وفي بعض الروايات : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان :

" اهجم - او هاجمهم - وجبريل معك " .

وفي شعر حسان ، قوله :

وجبريل رسول الله فينسا روح القدس ليس به خفا

وعن ابن مسعود : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ان روح القدس نثت في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها واجلها

فاتقوا الله واجملوا في الطلب " . " ٤ "

وحكي القرطبي عن مجاهد ، القدس : هو الله تعالى ، وروحه جبريل .

هذا هو مذاهب جمهور المفسرين ، وقد اعترف الشيخ محمد عبده به ،

ونقله عنهم ، لكنه خالفهم فيه ونذهب الى ان روح القدس هو روح الوحي الذي

يؤيد الله تعالى به انبياءه في عقولهم ، ومعارفهم .

ثالثا :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده بخصوص قوله تعالى " تحمله الملائكة " ، -

عن التابون - غير مسلم ايضا ، وفيه نقل عن التوراة ، كما ذكرت سابقا .

والصحيح هو ما قاله جبرالامة ابن عباس رضي الله عنهما ، قال :

( جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والارض حتى وضعت بين يدي طالوت )

١ ج نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ١ : ٨٦ و ٨٧ ) .

٣ - شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ - الحديث رواه ابن جبان في صحيحه عن ابن مسعود ، وقد مر فيما مضى .

والناس ينظرون ) " ١ " \*

وقال السدي : اصبح التابوت في دار طالوت ، فامنوا بنبوته " شمعون " ،

وظاعوا طالوت " ٢ " \*

ومعلوم انه لا يجوز النقل عن كتب اليهود ، لانها محرفة ، فاذا جاء فيها

ما يخالف ما في القران ، رفضناه .

اما اذا جاء فيها ما يوافق القران ، فلا نصدقه ولا نكذبه ، وحسبنا ان

نقول انما بما عند الله .

رابعا :

==== ما ذكره الشيخ محمد عبده ، في تفسير ايات سورة البقرة ، السابقة ،

وهو :

تاويل الملائكة ، بالقوى الطبيعية ، والميل الى تقرير التمثيل في القصة . . .

الى اخر ما ذكره في تفسير المنار معزوا اليه ، ومنسوبا له . بعيد ومردود لانه

يؤدى الى تعطيل الشريعة الاسلامية ، وفيه صرف الالفاظ عن ظاهرها من غير

قرينة تدعو الى ذلك .

ويبدو ان الشيخ محمد عبده كان متأثرا بالمعتزلة حين سلك هذا المسلك

في التاويل ، بل فاقهم وجاوزهم ، وتحيف من حق النصوص ، والخب في تقدير

قيمة العقل ، بغرض اقناع منكري الملائكة بوجودهم بتعبير ما لوف عندهم تقبله

عقولهم على نحو يبدو فيه متأثرا بالخزالي كما ذكر رشيد رضا " ٣ " \*

١ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ١ : ٢٢٤ ) .

٢ - انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .

٣ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ) .

( اقول ) :

وايضا : باشارات الصوفية ، وتاويلات الباطنية ، ونظريات الملاحدة

المتفلسفة ، وضلال المتكلمة ، فهم اصل القول بالتاويل على هذا النحو . . .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( وهذا القول ونحوه ، ليس من اقوال المسلمين ، واليهود ، والنصارى

وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة ، الذين يجعلون " الملائكة " قوى النفس

الصالحة ، " والشياطين " قوى النفس الخبيثة ، ويجعلون سجود الملائكة طاعة

القوى للمقل ، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للمقل ، ونحو ذلك من " ٢ "

المقالات التي يقول اصحاب " رسائل اخوان الصفا " ١ " وامثالهم من القرامطة الباطنية ،

ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمتعمدة .

" ٣ " لها

وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد يعتمد عليه )

---

١ - اخوان الصفا : طائفة باطنية ، تنتسب الى الاسماعيلية من الشيعة ، ولها

مجموعة بحوث في الفلسفة ، والطبيعة ، . . . ، حوت افكارا معادية

للاسلام ، باسم الدين ، والتشيع المخالي ، فادعوا ان لظواهر القرآن بواطن

تجرى مجرى اللب من القشر ، وانها توهم الاغبياء صورا ، وتفهم الفطناء

رموزا وشارات الى حقائق خفية .

٢ - القرامطة من الفرق الباطنية الضالة ، مقصودهم الالحاد ، وتعطيل الشرائع

ومخاطبة كل فريق بما يوافق رايه ، ويلتقون مع ملاحدة المتفلسفة في القول

بالمهين قد يعين العقل ، والنفس ، وينكرون النبوات ويقولون انها جاءت عن طريق

الفيض ، ويقولون بالامام المعصوم ، ويؤمنون بالتناسخ .

انظر كتاب : القرامطة ، تأليف الامام عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق محمد

الصباغ المكتب الاسلامي ، المطبعة الرابعة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٧ م .

بيروت ، دمشق .

٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٣٤٦ ) .

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٣ .

وبناء عليه : فان من ينكر الملائكة اصلا ، كافر باجماع المسلمين .  
وانا اول احد الملائكة على نحو يؤدى الى انكار وجودها فقد ضل ضلالا بعيدا .  
قال تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا  
بعيدا " . " ١ "

ولما كان الامر يتعلق بركن من اركان الدين - الايمان - فهو جد

خطير - .

وكان البعض قد اتخذ بهذا التأويل على هذا النحو الذى جوزه الشيخ

" محمد عبده " ، ومنهم : المرحوم " عبد الوهاب النجار " في كتابه

" قصص الانبياء " . " ٢ "

١ - سورة النساء اية ( ١٣٦ ) .

٢ - انظر : قصص الانبياء ، لعبد الوهاب النجار ص ٢٠ ، ٢١ ، مطبعة

المدني " ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

يقول فيه : ( ينكر بعض الناس وجود احياء من الملائكة ، فيؤول الكلمات

الدالة على وجود هذا الصنف من الموالم بان الملائكة هي قوى النظام

والنواميس الخاضع لها العالم . . .

هذا الفريق من الناس يرى راي الماديين الذين لا يشعرون الا ما

وقع تحت حسهم ، ولا يقرون بشيء وراء المادة . فحذا خذوهم ليقال انه

راق مثلهم ، وعمد الى صريح القران يؤوله حتى يجمع بين الايمان باللله

والقران ، ويجحد الملائكة .

وقد يكون هؤلاء المنكرون للملائكة ، قد غرهم ما كتبه استاذنا الامام

في تفسيره من تأويل الملائكة على وجه لم ينكره الماديون ومن نزع منزعهم .

فان الامام رحمه الله لم ينكر الملائكة كما ينكرون . وانما يعتمد الى

التأويل لمن ينكر عالم الغيب ، ويجحد الملائكة ، وقد اورده على انه

مذهب اخر لبعض المفسرين في فهم معنى الملائكة ، وذلك لتقريب المعنى

الى اذهان الجاحدين من الماديين وغيرهم . ( كما ذكر رشيد رضا ) . =

وقد صادفت صعوبة في فهم مراد الشيخ محمد عبده في موضوع الملائكة . . .  
فقد عرضت الموضوع على الاستاذ المشرف ، وذكرت ذلك له .  
ومن حسن الحظ ان كان عنده بحث مكتوب حول هذا الموضوع فاعطاني اياه ،  
وقد وجدت فيه ضالتي المنشودة . . .

فهاكموه :-

( لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الملائكة - فيما اعلم - بحثا مستقلا ،  
ولم يخصص لها دراسة يفرد بها ، كما فعل مثلا بالنسبة للنبوة ، والوحي ،  
والمعجزة .

وانما جاء كلامه فيها تبعا لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها ، ولذلك  
يضاير من يريد ان يعرف رايه في هذه المسألة ان يتتبع الموضوعات التي تعرض الشيخ  
" محمد عبده " لها بالشرح والبيان ، وكان للملائكة ذكر فيها :

ومظان ذلك هو القرآن الكريم الذي ذكر الملائكة في ايات من سور شتى .  
والشيخ محمد عبده فسر من القرآن الكريم ما اتسع له وقته ، منه : ما هو  
مسطر بقلمه - كتفسير جزء عم المنسوب اليه - .  
ومنه ما هو وارد في " تفسير المنار " للشيخ محمد رشيد رضا . معزوا اليه  
، ومنسوبا له .

وثابت ان الشيخ " محمد عبده " كان له دروس في التفسير ، وكان له  
تلامذة يحضرون هذه الدروس ، ويتلقون عنه اراءه في العقيدة وغيرها ، وكان الشيخ  
رشيد رضا بين هؤلاء التلامذة ، وكان اشد هم حرصا عليها واهتماما بها ، كما كان  
اشد هم قربا الى نفس الشيخ محمد عبده ، وكان الشيخ محمد عبده معجبا به ،

---

= وعلى الجملة : فاني ارى ان فهمهم على الوجه الذي بينت - كما قال السلف -  
هو ما يجب على المؤمن اعتقاده ، فاذا وجد منكر لهم ، قرينا له المعنى على  
الوجه الذي اورده الاستاذ الاطم رحمه الله ( ١٠ هـ )  
اقول : هذا الذي ذهب اليه النجار غير مقبول ، لان الاسلام ليس بضاعة تعرضها  
على الناس حتى يقبلوا ما يفهمون ، ويتركوا ما لا يفهمون ، وكان النجار يقول لهم :  
اذا لم تعجبكم بضاعتنا هذه ، فعندنا غيرها ، وغيرها . . . وهكذا . وهو كلام  
نرفضه ولا نقبله ، لان الاسلام واضح ومفهوم .

• كما هو معجبا بشيخه

وكما يقال : ان القاء الشيخ محمد عبده لدروس التفسير في الازهر كان استجابة لرغبة الشيخ رشيد رضا الذي كان لاراء الشيخ محمد عبده وافكاره في نفسه من الرفعة والسمو ما جعلها - من وجهة نظره - جديدة بالتدوين والنشر .

ولذلك منذ بدا الشيخ محمد عبده يشرح القران الكريم ويفسره ، دروسا

لتلامذته في الازهر ، بدأ الشيخ رشيد رضا يكتب ويؤلف .

فكان من عملها معا هذا التفسير المسمى ب " تفسير المطار " .

لكن لم يكن الشيخ رشيد رضا مجرد كاتب يسطر ما يقوله الشيخ " محمد

عبده " . . . انه كان مؤلفا ، يفكر بعقله ، ويكتب بقلمه ، لكن كان اهم مرجع

استقى منه وعول عليه ، هو افكار شيخه التي كان يسطرها احيانا بعبارة شيخه

واحيانا بعبارته هو ، كما كان يضيف اليها احيانا بيانا من عنده يؤيدها به ،

ويوضحها ، كما كان يقرن بها اراء كبار العلماء ، كالغزالي وابن تيمية ،

تمضيدها لشيخه ، بل انه كان يستدرك على شيخه ، ويخالفه احيانا .

هذا التفسير - اذن - هو اهم واوثق ما يمكن ان يعول عليه الباحث

عن راي الشيخ محمد عبده في الملائكة .

ومن اوسع ما ورد في هذا التفسير ، بخصوص الملائكة ، ما جاء في تفسير قوله

تعالى :

" وان قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من

يفسد فيها ، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا

تعلمون .

وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان

كنتم صادقين .

قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم .

قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب



السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون •

وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من

الكافرين " ١ " •

وفي التمهيد الذى ساقه الشيخ رشيد بين يدي تفسير هذه الايات ،

قال : " ٢ " •

( وقد ذهب الاستاذ - يعني شيخه - الى ان هذه الايات من

المشابهات التى لا يمكن حملها على ظاهرها ، لانها بحسب قانون التخاطب :

اما استشارة : وذلك محال على الله تعالى •

واما اخبار من سبحانه للملائكة واعراض منهم ومحااجة وجدال ، وذلك

لا يليق بالله تعالى ايضا ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف

الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وقد اورد الاستاذ مقدمة تمهيدية لفهم القصة فقال ما مثاله :

اجمعت الامة الاسلامية على ان الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقات • وقد قام

البرهان العقلي والبرهان النقلى على هذه العقيدة ، فكانت هي الاصل المحكم

في الاعتقاد الذى يجب ان يرد اليه غيره ، وهو التنزيه ، فاذا جاء في نصوص

الكتاب او السنة شيء ينافي ظاهرة التنزيه ، فللمسلمين فيه طريقتان :

( احدهما ) : طريقة السلف ، وهي التنزيه الذى ايد العقل فيه النقل ،

كقوله تعالى : " ليس كمثل شي " • " ٣ " •

وقوله عز وجل : " سبحان رب العزة عما يصفون " • " ٤ " •

١ - سورة البقرة الايات ( ٣٠ - ٣٤ ) •

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٢٥١ ) •

٣ - سورة الشورى اية ( ١١ ) •

٤ - سورة الصافات اية ( ١٨٠ ) •

وتفويض الامر الى الله تعالى في فهم حقيقة ذلك • مع العلم بان الله يعلمنا بضمون كلامه ما نستفيد به في اخلاقنا واعمالنا واحوالنا ، ويأتينا في ذلك بما يقرب المعاني من عقولنا ، ويصورها لمخيلاتنا •

( والثانية ) : طريقة الخلف ، وهي التأويل ، يقولون :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج شيء

منها عن المعقول •

فاذا جزم العقل بشيء ، وورد في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع

قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهرة ، ولا بد له من معنى موافق يحتمل عليه ،

فينبغي طلبه بالتأويل •

قال الاستاذ - يعني شيخه - :

وانا على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله

تعالى ، وصفاته ، وعالم الخيب •

وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من

فائدة يحتمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى ) •

وفي هذا النص يقرر الشيخ محمد عبده :

( اولا ) : ان الايات الواردة في الملائكة وسجودها لادم ، واباء ابليس

السجود له ... الخ ، هي من قبيل المتشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها •

( ثانيا ) : طريقتي السلف والخلف :

فيقول عن طريقة السلف انها تنزيه الله جل شاناه عن مشابهة الحوادث

وتفويض الامر الى الله في فهم ما يرد بشأنه في النصوص ، مما له في الحوادث

نظير •

ويقول عن الخلف انهم يؤولون ويقولون ان قواعد الدين الاسلامي ، وضعت

على اساس العقل فلا يخرج شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء ، وورد

في النقل خلافه ، يكون الحكم العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يراد به ظاهره ،

- ولا بد له من معنى موافق يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .
- ( ثالثا ) : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم والتفويض فيما يتعلق بالله تعالى ، وصفاته وعالم الخيب .
- ( رابعا ) : انه سيسير في شرح الايات على كلا الطريقتين ، لانه لا بد للكلام من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى . وفي هذا الذي ذكره الشيخ محمد عبده ، موضح لتعقيب :
- فأولا : ما ذكره بخصوص الداعية التي تحمل الباعث على صرف الالفاظ الواردة عن الله تعالى او عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، عن معانيها المتبادرة منها الى معان غيرها .
- وان هذه الداعية هي جزم العقل بأن المعاني المتبادرة من الالفاظ لا يمكن ارادتها منها .
- كل هذا الذي ذكره مسلم ، فان هذه الداعية اذا توفرت ، تقتضي ما دعت اليه من صرف الالفاظ عن المعنى الظاهر منها الى معنى اخر يناسب المقام .
- لكن التأخي بين النقل والعقل على هذه الصورة ، مأخوذة به عند السلف ، ولم ينفرد به الخلف . فابن تيمية يقرر في كتابه : " درر معارض العقل والنقل " ، ان الدليلين القطعيين لا يمكن ان يتعارضوا ، فاذا حصل تعارض بين الادلة ، فانه يكون : بين قطعي وطني او بين ظنيين .
- ويقرر انه اذا حصل التعارض بين قطعي وطني ، اخذ بالقطعي ، عقليا كان او نقليا ، وترك الظني نقليا كان او عقليا .
- وهذا يفيد انه اذا قطع العقل بشي ، وجاء النص على خلافه ، فان النص يؤول لينزل على مقتضى العقل ، لان النص في هذه الحال لا بد ان يكون ظنيا ، ضرورة عدم تعارض القطعيين .
- وقد حكى الشيخ رشيد رضا - بعبارته - هذا التقرير ، ونسبه الى ابن تيمية ، ولكنه لم يسم الكتاب الذي احتواه .

( ثانيا ) : لكي يتم له ما ادعاه من ان الايات متشابهات لا يمكن حملها على

ظاهرها ، لابد ان يكون ما ورد في الايات من الفاظ :

الملائكة ، وابليس ، والسجود ، الخ ، مما يستحيل عند العقل حمله على

معانيه الظاهرة التي ذكرها مفسروا القرآن الكريم في كتبهم ، ونقلها لاحقهم عن

سابقهم ، لتتوفر الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن ظاهره الى معنى اخر .

ولو خرب البت في هذه القضية الى ما بعد تفسير الايات .

( ثالثا ) : يقول في تصوير مذهب الخلف :

ان قواعد الدين الاسلامي وضعت على اساس العقل ، فلا يخرج

شيء منها عن المعقول ، فاذا جزم العقل بشيء وورد في النقل خلافه يكون الحكم

العقلي القاطع قرينة على ان النقل لا يزداد به ظاهره ، ولا يد له من معنى موافق

يحمل عليه ، فينبغي طلبه بالتأويل .

وقد تقدم بيان ان طريقة السلف لا تقدم للعقل شيئا ياباه ، وينفر

منه ، حتى يسوغ الاعراض عنه والبحث عما سواه .

ولا يضح ذلك نستعرض جزئية ندير القول حولها .

فمثلا : لما قال الله تعالى : " يد الله فوق ايديهم " . " ١ "

قال السلفي : ان اليد التي تكون للانسان ، واليد التي تكون للقط ، واليد

التي تكون للذئب ، الخ . لا تليق واحدة منها ان تسند الى الله .

فيده مخالفة لسائر الايدي ، كما ان ذاته مخالفة لسائر الذوات .

وكما اننا لا نعرف حقيقة ذاته ، لا نعرف حقيقة يده ، فله يد لا كالايدي

وقال الخلفي : ليس لله يد ، لان اليد موضوعة للجارحة التي يبطش بها

الحيوان ، او لخصوص التي يبطش بها الانسان - تبعا لوجه النظر المختلفة

حول قضية الوضع - وشيء من هذه الاعضاء لا يليق بالله ، فاخرج بالكلمة عن

نطاق ما وضعت له ، الى نطاق اخر يناسب المقام • وهو القوة ، فالقوة هي معنى يد الله •

ومن هذا البيان يتضح ان المذهبين مختلفان :

( فأحدهما ) : يستبقي دلالة اللفظ ويقول :

ان لله يدا تناسب كمال ذاته ، وكمال صفاته •

( والثاني ) : يفرغ لفظ اليد من معناه الظاهر ، ويطوره بمعنى اخر هو القوة ويقول :

ليس لله يد ، بل له قوة •

وانا جازلي ان اتقدم بالشرح خطوة من عندي ، بعد استئذان الطرفين

كليهما ، فان استصوبها ، فمن فضل الله ، وان رفضها فأنا غير متمسك بها ، لانها اجتهاد قصدت به الايضاح ، تلك الخطوة هي :

اني اتصور ان اليد - عند السلف - في ضوء البيان السابق : هي اسم

ذات ، كالوجه ، والعين ، والاصبع •

وعند الخلف : هي اسم معنى لان القوة معنى •

وانا تقرر هذا اقول :

هل توفرت الداعية التي تقتضي صرف اللفظ عن المعنى الذي اراده

السلف ، الى معنى غيره ؟ •

وهل ذلك المعنى الذي اراده السلف مستحيل عند العقل ؟ فان

ادعى استحالته فما هو دليل الدعوى ؟

ان المستحيل معنى اخر غير ما ذكره السلف ، معنى يفهم من كلمة اليد

عندما تضاف للانسان ، او الذئب ، او القط ... الخ ، لكنه لا يفهم منها اذا

اضيفت الى الله ، واذن فلا اشكال ولا تأويل •

( وايضا ) : نقول ان هذه النتيجة التي انتهينا اليها في البند الثالث من ان

معنى اليد عند السلف يختلف عن معناه عند الخلف ، وان هذا الاختلاف يرجع

الى اختلاف الطرق التي سلكها الفريقان •

هذه النتيجة تجعلنا نقف حائرين امام قول الشيخ محمد عبده في النص

السابق : ( وانا نسير في فهم الايات على كلا الطريقين : لانه لا بد للكلام

من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى ) •

فلعل الشيخ محمد عبده يريد ان يقول : انه يسير على احدى الطريقتين

في بعض المسائل ، ويسير على الطريقة الاخرى في بعضها الاخر •

ولكن ما هو الاساس الذي على مقتضاه يوزع المسائل ، فيجعل بعضها منها

من نصيب طريقة ، وبعضها اخر من نصيب طريقة اخرى ؟

ام انه لا يلزم ان يكون هناك اساس يعتمد التوزيع عليه ، وانما هو

التنوع وارضاء شهوة العقل بتمكينه من سلوك كل السبل •

ولكن اذا كان سلوك الطريقتين ممكنا في المسائل ، فما هو المبرر لسلوك

طريق الخلف ، وشرط سلوكه غير محقق ، فانهم اشترطوا لصرف اللفظ عن

ظاهرة ان يكون العقل قد جزم بعدم امكان ارادة المعنى الظاهر • والحكم

بامكان الطريقتين يعني ان ارادة المعنى الظاهر ممكنة وغير مستحيلة ، اذ لو كانت

ارادة المعنى الظاهر مستحيلة ، لما صح القول بامكان الطريقتين •

بقيت كلمة اخيرة اقولها تعليقا على ما ورد في النص من انه ( لا بد للكلام

من فائدة يحمل عليها ، لان الله عز وجل لم يخاطبنا بما لا نستفيد منه معنى ) •

فان هذه العبارة ربما تشعر بان صاحبها يرى ان جانب التفويض في مذهب

السلف يفرغ الكلام المتشابه من المعنى ، ويخليه من الفائدة •

وكيف يتصور ذلك ومذهب السلف يبقى للكلام معناه الاصلي الذي يتبادر

للذهن منه اول ما يسمع ، فيحصله السامع ويستفيده ، لكن مع رعاية مقتضى الحال •

كما اذا قيل :

اغتنى الطفل ، فان الذهن ينصرف الى نوع من الغذاء يناسب

الطفل • وهو لبن امه •

فان قيل : اغتذى الرجل ، انصرف الذهن الى نوع من الغذاء ،

مما جرت العادة بان يتناوله الكبار كل في بيته .

كذلك اذا قيل :

" الرحمن على العرش استوى " . " ١ "

انصرف ذهن السلفي الى نوع من الجلوس يناسب الله جل

وعلا .

وان قيل : استوى الرجل ، انصرف ذهنه الى نوع اخر من الجلوس .

يختلف عن الاول . مما يناسب الرجل ، ولا يناسب الله جل وعلا . كما انصرف

الذهن الى نوع من الغذاء في حال يختلف عن نوع اخر منه في حال اخرى ،

بقريئة المقام ، وان كان الكل غذاء . فكذا الجلوس .

فالتفويض لا يفرغ الالفاظ من المعاني ، ولكنه فقط ينه الى ان المعنى

المراد لا يفهم من جهة خصوصيته ، وان فهم من جهة عمومته ، كما قال الامام

مالك رحمه الله : الجلوس معلوم ، والكيف مجهول . - والله سبحانه

وتعالى اعلم - .

وارجوان لا اكون قد اتهمت نفسي فيما لا ينهني للمؤمن ان يقحم نفسه فيه ،

ولكنه علم الكلام الذي يكره المؤمن على ما لا يريد احيانا .

ننتقل بعد ذلك - مع تفسير المنار - الى شرح آيات الملائكة . ولن

اتبع كل ما قيل في شرح الآيات فان ذلك يطول ، وليس من غرضنا ، ولكني سأخذ

منه فقط ، ما يتعلق بالملائكة وما ارتبط بهم ، مما كان موضوع التاويل او تفويض .

ويسوق الشيخ رشيد رضا بين يدي شرح الآيات ، رأى السلف والخلف

في الملائكة فيقول :- " ٢ "

١ - سورة طه آية ( ٥ ) .

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٢٥٤ ) .

( قال شيخنا في الازهر ما مثاله :

اما الملائكة فيقول السلف فيهم : انهم خلق اخبرنا الله تعالى بوجودهم  
، وبعض علمهم ، فيجب علينا الايمان بهم ، ولا يتوقف ذلك على معرفة حقيقتهم  
، فنفض علمها الى الله تعالى .

فاذا ورد ان لهم اجنحة ، نؤمن بذلك ، ولكننا نقول : انها ليست

اجنحة من الريش ونحوه ، كأجنحة الطيور ، ان لو كانت كذلك لرأيناها .

واذا ورد انهم موكلون بالصوامل الجسمانية ، كالنبات والبحار ، فاننا نستدل

بذلك على ان في الكون عالما اخر ، الطف من هذا العالم المحسوس ، وان له

علاقة بنظامه واحكامه ، والعقل لا يحكم باستحالة هذا ، بل يحكم بإمكانه ، ويحكم

بصدق الوحي الذي اخبر به ) .

واذا كان الشيخ محمد عبده ارجح العلم بمذهب السلف في الملائكة ، الى

ما ورد بشأنهم في الكتاب والسنة ، فقد اوجز في القول ، واصاب في الراى .

فلعل ما ورد في الكتاب والسنة بخصوص الملائكة هو — في راى الشيخ محمد

عبده ، وفي الواقع — مذهب السلف .

فهم المخلوقات الذين قال الله فيهم — بين ما قال — :

(( ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين )) . " ١ "

(( شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط )) . " ٢ "

(( ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون

يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون )) . " ٣ "

(( الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير )) . " ٤ "

١ — سورة البقرة اية ( ١٧٧ ) .

٢ — سورة ال عمران اية ( ١٨ ) .

٣ — سورة النحل الايات ( ٤٩ — ٥٠ ) .

٤ — سورة الحج اية ( ٧٥ ) .



- (( ان يوحى ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سألقي في قلوب الذين  
كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان )) • " ١ "
- (( وجاء ربك والملك صفا صفا )) • " ٢ "
- (( وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل  
الحمد لله رب العالمين )) • " ٣ "
- (( يصرح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة )) • " ٤ "
- (( ان تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بالآل من الملائكة مردفين )) • " ٥ "
- (( الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع  
يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير )) • " ٦ "
- (( وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون )) • " ٧ "
- (( ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا  
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون )) • " ٨ "
- وقال صاحب العقيدة الطحاوية : " ٩ "
- ( ثم قد ثبت بالنصوص ان الملائكة كتبت القول ، والفعل ، وكذلك النية  
لانها فعل القلب فدخلت في عموم " يعلمون ما تفعلون " ) •  
ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : اذا هم

- 
- ١ — سورة الانفال اية ( ١٢ ) •
  - ٢ — سورة الفجر اية ( ٢٢ ) •
  - ٣ — سورة الزمر اية ( ٧٥ ) •
  - ٤ — سورة المعارج اية ( ٤ ) •
  - ٥ — سورة الانفال اية ( ٩ ) •
  - ٦ — سورة فاطر اية ( ١ ) •
  - ٧ — سورة الانفطار الايات ( ١٠ — ١٢ ) •
  - ٨ — سورة فصلت اية ( ٣٠ ) •
  - ٩ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠ •

عبدى بسيرة فلا تكتبوها عليه ، فاذا عملها فاكتبوها عليه سيئة ، واذا هم عبدى  
بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة ، فان عملها فاكتبوها عشرا \*  
وقال صلى الله عليه وسلم " قالت الملائكة : ذاك عبد يريد ان يعمل سيئة - وهو  
ابصريه - فقال : ارقبوه ، فان عملها فاكتبوها بمثلها ، وان تركها فاكتبوها له  
حسنة ، انما تركها من جرأتي " " (١" ٥٥٥)

ويطول بنا القول لو اردنا استقصاء ما ورد بشأنهم عن الله عز وجل ، في  
الكتاب والسنة ، وهذا الذي ذكرناه يكفي لان يعطينا فكرة عنهم ، يمكن تلخيصها  
في انهم : " ٢ "

( مخلوقات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صورة مادية ، وتخفى

عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم باعمال عظيمة - حسب امر الله لها - لا يقوى  
الانسان على القيام بمثلها ، وانها واقفة عند حدود ما يأمرها الله به ، لا تخالفه )  
هذه صورة مجملية ، تستخلص بالنظرة العاجلة فيما ورد بشأنهم من نصوص .

ولا شك ان للملائكة سمات اخرى ، وخصائص امتازوا بها ، تتحدد بها  
شخصياتهم الحقيقية التي هم عليها ، في الواقع ، ونفس الامر ، يعلمها من اوتوا من  
العلم ما لم يوت امثالنا . وندع ما لا نعلم ، ونكتفي بما نعلم ، ونقدم هذه الصورة  
الاجمالية للشيخ محمد عبده ، على انها صورة الملائكة عند السلف .

ولا شك ان الشيخ محمد عبده ، يقبل منا هذه الصورة على انها مذهب  
السلف في الملائكة ، لانها استمدت من اصول قال هو عنها انها تحكي مذهب السلف  
في الملائكة .

وننتقل بعد ذلك مع الشيخ محمد عبده الى مذهب الخلف في الملائكة ، فنجده

يقول :-

- 
- ١ - متفق عليه .
  - ٢ - سيأتي تفصيل وجود الملائكة ، ووظائفهم ، وطوائفهم بعد هذا العرض  
مباشرة .

( واما الخلف فمنهم من تكلم في حقيقة الملائكة ، ووضح لهم تعريفاً ،

ومنهم من امسك عن ذلك •

وقد اتفقوا على انهم يدركون ، ويحلون •

والقصة على مذهبيهم وردت مورد التمثيل ، لتقريب من افهام العامة ما تفيدهم

معرفة من حال النشأة الادمية ، وما لها من المكانة والخصوصية ) • " ١ "

ويلح الشيخ محمد عبده على قضية التمثيل هذه ، بالنسبة للملائكة ، فيكررها

ويؤكد لها في مواضع من الكتاب •

يقول :

( وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض

السلف الامرالى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها ،

وقد تقدم بيان ذلك •

واما الخلف فيلجأون الى التأويل ، واملل طرقه في هذا المقام التمثيل •

وقد مضت سنة الله في كتابه بأن يبرز لنا الاشياء المعقولة في قوالب العبارات اللفظية ،

ويحكي لنا المعارف المعقولة بالصورة المحسوسة ، تقريبا للافهام ، وتسهيلا

للاعلام ، وذلك انه عرفنا بهذه القصة قيمة انفسنا ، وما اودعته فطرتنا مما نمتاز

به على غيرنا من المخلوقات ) • " ٢ "

ويقول :

( ان هذه الايات من التشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها ،

لانها بحسب قانون التأويل :

اما استشارة وذلك محال على الله •

واما اخبار منه تعالى للملائكة ، واعتراض منهم ، ومحاولة وجدال ، وذلك

١ — تفسير المنار ( ١ : ٢٥٥ ) •

٢ — تفسير المنار ( ١ : ٢٦٤ ) •

لا يليق بالله تعالى ايضا ، ولا بملائكته ، ولا يجامع ما جاء به الدين من وصف  
الملائكة بانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ( ١ ) .  
والسبب الذي يذكره الشيخ محمد عبده لتبرير عدم امكان حمل الايات على  
ظاهرها ، لا اراه كافيا ، ولا مقنعا ، لانه ساق وجهين ذكر ان حمل الايات  
على ظاهرها ينحصر فيهما ، وردهما جميعا وانتهى الى الحكم بعدم امكان حمل  
الايات على ظاهرها .

هذان الوجهان هما :

ان تكون مكاشفة الله الملائكة بما ازمعه من خلق ادم ، وتبوئه عرش  
الخلافة في الارض ، استشارة منه تعالى لهم ، واستئناس برايهم ، تعالى الله  
عن ذلك علوا كبيرا .

او تكون اخبارا ، لا استشارة ، ولكن الملائكة صدر منهم من الاعتراض والمحاجة  
، والمجادلة ، ما لا يليق ان يواجه به الله احد من خلقه ، وما لا يليق بالملائكة  
انفسهم ان يتورطوا فيه ، وهم من هم في كمال الادب مع خالقهم ، بمقتضى شهادته  
حولهم .

ولا شك ان هذين الوجهين ، بصورتيهما هاتين مرفوضان .  
لكن ، الا يمكن ان يكون الذي صدر من الملائكة — بعد اخبار الله لهم بما  
ازمعه في شأن آدم — استفسارا ، واستفهاما ، لا اعتراضا ، ومحاجة وجدالا ؟  
والاستفهام الذي يكون باعثة الدهشة ، والاستغراب يأخذ احيانا صورة  
الاعتراض من غير ان يكونه .

خصوصا والشيخ محمد عبده يذكر — بين ما يذكر — ان الملائكة عانت من جنس  
ما تسأل عنه ، ما يجعلها تستغرب تكراره .

وازيد انا على ما قاله الشيخ محمد عبده مما يصح ان يدخل في مجال ما  
يشير له هشة الملائكة واستغرابهم ، ان لهم دورا يقومون به مع من اخبرهم الله بأنه  
يخلقه في الارض ، ويؤتاه هو وذريته عرش الخلافة فيها ، ذلكم الدور هو ما بين  
الاسلام انهم يقومون به مع بني ادم من حفظهم ورايتهم ، وكتابة اعمالهم ، وايقاع  
العقوبات بهم ، وقبض ارواحهم . . . الخ مما يدخل في نطاق المهام المنوطة  
بهم نحو ادم وذريته .

فسؤال يكون مثارة كل هذا ، لا يد ان يكون له في نفس صاحبه كبير عناية  
واهتمام ، قد يوهمان من لا يكون واقفا على حقيقة حالهم انه اعتراض ، لا استفهام .  
على اني اقول للشيخ محمد عبده : اذا كنت ترفض ان يكون ما يفيد  
ظاهر الايات امرا واقعا صدر من الملائكة فعلا ، لانه لا يليق بالله ولا بهم — كما  
تقول — فكيف تقبله تمثيلا لحالهم مع خالقهم ؟

وهل يجوز ان يمثلهم الله قائمين بدور تجاهه لا يليق بهم ولا به ؟  
وهل يكون هذا التمثيل حقا او باطلا ؟  
وهل ابراز الكائن في صورة لا تتفق مع ما هو عليه في الواقع ، يكون طريقا  
لايضاح حاله ، واطهاره ، او لاخفائه وابهامه ؟ وقد ذكر الشيخ محمد عبده  
ان من فوائد ذكر الله قصة الملائكة لعباده ، ان يعلمهم احسن الاسوة بهم .  
فأين هي الاسوة الحسنة في تصوير الله لهم بصورة الممتعض على ربه ،  
اللاجوج في جداله وحججه ؟

الا ان الشيخ محمد عبده قد تورط بهذا القول فيما لا يحسن صدوره من

مثله .

وادع هذه المسألة لانظر في مسألة اخرى تتعلق بقول الشيخ محمد عبده :  
( وقد علم مما تقدم ان كل هذه الاقوال والمراجعات والمناظرات يفوض السلف الامر  
الى الله تعالى في معرفة حقيقتها ، ويكتفون بمعرفة فائدتها وحكمتها ) .

فهذا القول عن السلف بخصوص مراجعة الملائكة لله في شأن آدم الا اراه

تصويرا صحيحا لمذاهبهم .

فان السلف لا يفوضون في كل شيء ، ولا يقولون عن كل آيات القران انها

• متشابهة •

ولقد اتهمت نفسي بازاء اصرار الشيخ محمد عبده على ان السلف يؤولون

آيات الملائكة ، فرجعت الى بعض كتب السلف فوجدت الامرفيها كما كان في

• نفسي من قبل •

ويظهر ان قضية التفويض ، والمشابهة ، تتخذ وسيلة لصرف الآيات عن

معانيها الى معان تراء منها ، فلهذا الموقف ، موقف مشابه بالنسبة لآيات

البعث الجسماني " ١ " حين قال عنها - الشيخ محمد عبده - وهو يصدده

الدفاع عن ابن سينا لما اتهم بانكار البعث الجسماني - : ان آيات البعث

الجسماني من المتشابهة ، ليخلص ابن سينا مما اتهم به " ٢ " ، ولكن هيئات •

ويخلص لنا مما تقدم :

أولاً : === ان السلف يقولون عن الملائكة :

( انهم كائنات عاقلة مدركة ، تظهر للانسان احيانا في صور مادية ،

وتخفي عن ادراكه احيانا ، وانها تقوم - حسب امر الله - بأعمال عظيمة لا

يقوى على مثلها الانسان ، وانها واقفة في تصرفاتها عند اوامر الله ، لا تتعداها ) •

ثانياً :

=== ان الخلف يقولون عن الملائكة :

( انها كائنات تدرك وتمقل ) •

ثالثاً :

=== ان الشيخ محمد عبده يوافق على ان ما قلناه عن السلف بخصوص الملائكة ،

---

١ - سيأتي ، بعد قليل ، في هذا الباب ان شاء الله •

٢ - انظر مقدمة كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين " •

تحقيق د • سليمان دنيا •

هو رأى السلف ، وان ما قلناه عن الخلف بخصوص الملائكة هو رأى الخلف .  
نعم يوافق الشيخ محمد عبده على هذه الاقوال ، لان البحث الذى  
اوصل اليها ، تم وفق توجيهاته ، وعلى هدى ارشاداته .  
واذا ادركنا النظر - بعد طول بحث - الى ما توصل اليه السلف ،  
وما توصل اليه الخلف ، في شأن الملائكة ، لم نجد بينهما كبير فرق ، بل ربما  
لم نجد فرقا اصلا .  
واذا كان الشيخ محمد عبده ، قد قرر انه يسير على طريقة السلف ،  
وطريقة الخلف " ١ " ، فالظن به ان يكون واقفا عند نقطة التقائهما ، راضيا عن  
اتفاقهما ، فمعد الصباح يحمد القوم السرى .  
ولكن الشيخ محمد عبده ، لم يقف حيث توقفوا ، ولم ينته حيث انتهوا ،  
بل ظل يسير ، ويتخذ السير ، ولكن الى اين ؟  
لا ندري فلنسرعه .  
يقول الشيخ محمد عبده :

( وذهب بعض المفسرين - كذا - مذهبها اخر في فهم معنى الملائكة ،  
وهو ان مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكلين بالاعمال ، من انماء نبات وخلق  
حيوان ، وحفظ انسان وغير ذلك ، فيه ايماء الى الخاصة - كذا - بما هو مادي  
من ظاهر العبارة ) . " ٢ "

وهذا النص يفيد ان الشيخ محمد عبده يرى ان هناك - وراء مذهب  
السلف والخلف في الملائكة - مذهب اخر . وان هذا المذهب يسوق الى الخاصة

---

١ - وقد بينت هذا في الباب الاول ، الفصل السادس ، وفي الباب الثاني  
عند الحديث عن الصفات الخيرية .  
٢ - تفسير المنار ( ١ : ٢٦٢ ) .

من اهل العلم بدين الله معنى في الملائكة يخاير الممنيين اللذين شرحهما من قبل  
وعزاها الى السلف والخلف ، اللذين يعتبران بطريق العقابلة لمذهب الخاصة ،  
مذاهب للامة .

ويستمر في القول فيفسر هذا المذهب قائلا :

( وهو ان هذا النحوي النبات لم يكن الا بروح خاص نفخه الله في البذرة ،  
فكانت به هذه الحياة النباتية ، وكذلك يقال في الحيوان والانسان ) .  
فالروح الخاص الذي نفخه الله في النبات فكان به ذلك النوع الخاص الذي  
يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح الخاص الذي نفخه الله في الحيوان  
فكان به ذلك النوع الخاص الذي يتميز بخصائص عن غيره من الكائنات ، والروح  
الخاص الذي نفخه الله في الانسان فكان به ذلك النوع الخاص الذي يتميز  
بخصائص عن غيره من الكائنات : هذه الارواح — عند اصحاب هذا المذهب —  
هي الملائكة .

وهذه الارواح المنبثة في الكائنات ، والتي يقول اصحاب هذا المذهب انها  
المعنى المراد من لفظ الملائكة ، الوارد في لسان الشرح ، هي نفسها التي تسمى  
بلسان العلم " القوى الطبيعية " .

يقول الشيخ محمد عبده :

( ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف ، يسمي هذه المعاني القوى

الطبيعية ) .

والشيخ محمد عبده يؤكد التقاء لفظ " القوى الطبيعية " ولفظ

" الملائكة " ، على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ، فيقول :

( والامر الثابت الذي لا نزاع فيه ، هو ان في باطن الخليقة امرا هو مناطها ،

وهو قوامها ونظامها ، لا يمكن لعاقل ان ينكره ، وان انكر غير المؤمنين بالوحي تسميته

ملكا . او انكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته : " قوة طبيعية " او ناموسا



طبيعيا • فالحقيقة واحدة ، والعاقل من لا تحجبه الاسماء عن المسميات ) •  
فحقيقة القوى الطبيعية ، وحقيقة الملائكة واحدة ، عند اصحاب هذا المذهب  
- فيما يرى الشيخ محمد عبده - وهو يرى ان ليس في هذا المذهب ما ينكره ،  
الا استعمال اسم لم يرد به الشرع • وهذا الانكار - فيما يرى الشيخ محمد عبده  
- انما هو من طرف جماعة من المؤمنين لم يكشفوا بعلم ما كوشف به الخاصة •  
هكذا يصور الشيخ محمد عبده هذا المذهب الذي يسميه هو واصحابه مذهب

الخاصة ، ولهم الحق ان يصوروا مذاهبهم بما يشاؤون ، لكن لا حق لهم ان  
يصوروا مذهب غيرهم بما لا يشاء اصحابه •

فالاختلاف بين السلف والخلف ، وبين اصحاب هذا المذهب ليس واقفا  
عند حد التسمية بل يتجاوزها الى المسمى •

فالسلف والخلف ربما يقرون بالارواح المنبثة في قوام النبات ، والحيوان  
والانسان ، والتي صار كل واحد منها ما هو •

وهم يقرون جزما بالكائنات المدركة العاقلة القائمة بانفسها ، والتي ذكرنا  
من خصائصها سابقا ما ذكرنا ، وهذه - عندهم - هي الملائكة •

وهم يقرون بالمهاينة التامة بينهما ، فالملائكة التي عنها الشرع ، بهذا  
اللفظ ليست في شيء من القوى الطبيعية ، وليست القوى الطبيعية في شيء من

الملائكة •

هذا هو مذهب السلف والخلف واضحا لاخفاء فيه ، فمن اراد ان يكون

منهم فليعتقد عقيدتهم ، ومن اعتقد غير عقيدتهم فليس منهم •

واكرران السلف والخلف لا ينكرون ما في النبات والحيوان والانسان من القوى  
المنبثة في قوامها مما بها حياتها وامتيازها عن غيرها من الكائنات ، فالله خلق هذه

القوى ، وخلق الملائكة ، وهما غيران مختلفان ، اشد الاختلاف ، متباينان اشد

التباين •

فالملائكة كائنات حية ، عاقلة مدركة ، قائمة بنفسها ، منها ما كان يحصل

القرية بمن فيها على جناحه ، ويطير بها في الجوالى مسافات بعيدة ، ثم يلقي بها على الارض منكسة ، فتهلك ويهلك من فيها .

اين من هذه الكائنات قوى منبهة في قوام النبات والحيوان والانسان وتقوم بوظائفها فيها كما تقوم قوة الابصار بالعين ، وكما تقوم قوة السمع بالاذن ، وكما تقوم قوة الشم بالانف ، بل كما تقوم قوة الكهرباء بالحديد .

ان هذه القوى وان كان لها دخل في حياة ما تقوم به ، لكنها ليست مما يوصف بالحياة ، فلم يعهد ان يقال : ان قوة النمو القائمة بالنبات والحيوان والانسان ، حية .

لكن الشيخ محمد عبده يبيى الا ان يخلق على هذه القوى من نعوت الجلال ما يجعلها اهلا لتصديق الناس بانها الملائكة التى وردت في الكتاب والسنة ، فيقول :

( هذه القوى التى نرى اثارها في كل شي ، يقع تحت حواسنا ، وقد خفيت حقائقها عنا ، ولم يصل ادق الباحثين في بحثه عنها الا الى اثار تجل اذا كشفت ، وتقل بل تضحل اذا حجبت ، وهي التى يدور عليها كمال الوجود وسها ينشأ الناشئ ، وسها ينتهي الى غايته الكامل ، كما لا يخفى على نبيه ولا خامل .

الاست اشعة من ضياء الحق ، ليست اجل مظهر من مظاهر سلطانه ، الا تمد بنفسها من عالم الغيب ، وان كانت اثارها من عالم الشهادة ، الا يجوز ان يشعر الشاعر منها بضرب من الحياة والاختيار خاص بها لا تدرك كنهه ، لاحتجابه بما تتصوره من حياتنا واختيارنا ؟ ) " ١ " .

وانا نقول للشيخ محمد عبده :

هب انها حية مختارة ، وانها ذلك الذى ذكرته عنها ، واكثر منه ، لكنها ليست الملائكة ، ولا الملائكة اياها . لان ما ذكره الله ورسوله عن الملائكة لا ينطبق عليها ، فنحن نؤمن بها ونؤمن بالملائكة ، ولا نقول انها هي الملائكة .

لكن هذا لا يمنع من ان نعترف للشيخ محمد عبده بأنه طوى عن الناس  
استار الجهل التي كانت تحجبهم عن ادراك هذه الاشياء التي هي من عظيم خلق  
الله ، وانها في الذكاء ، ونفاذ البصيرة ، وقوة المعارضة ، ونصاعة البيان ،  
ما هو .

كذلك نقول . وكذلك قال معاصروه ، ولكنهم ايضا قالوا ، كما نقول :

ان القوى الطبيعية شيء ، والملائكة شيء آخر .

ويضيق الشيخ محمد عبده ذرعا بهذا الاصرار على مخالفته ، فيتهمكم

بالمخالفين ويرميهم بالجمود .

وبصور الشيخ رشيد رضا هذا الموقف ، قائلا : " ١ "

( ان غرض الاستاذ من هذا التأويل الذي عبر عنه بالاياء وبالاشارة

— كذا — اقناع منكري الملائكة بوجودهم ، بتعبير المؤلف عندهم تقبله عقولهم ،

وقد اهتدى به كثيرون ، وضل به اخرون ، وزعموا انه جعل الملائكة قوى لا تعقل

فرد عليهم كتابة ، بما نصه بحروفه :

" ولست احيط علما بما فعلت المادة والتقاليد في نفس بعض من يظنون انهم

من المتشددين في الدين . ان ينفرون من هذه المعاني كما ينفرون من الموضى او

المخدجون من جيد الاطعمة التي لا تضرهم . وقد يتوقف عليها قوام بنيتهم ،

ويتثبتون بأوهام ما ألوفه لهم ، تثبت اولئك الموضى والمخدجين ، بأضر طعام

يفسد الاجسام ، ويزيد السقام .

لا اعرف ما الذى فهموه من لفظ " روح او " ملك " ، وما الذى يتخيلونه

من مفهوم لفظ " قوة " .

ليس الروح في الادمي مثلا هو الذى يظهر لنا في افراد هذا النوع ،

بالمقل والحس والوجدان والارادة والعمل ، وانما سلبيه سلبيها ما يسمى بالحياة ؟

اوليست القوة هي ما تصدر عنه الاثار فيمن وهبت له ؟

فاذا سمي الروح - لظهور اثره - قوة ، او سميت القوة - لخفاء

حقيقتها - روحا ، فهل يضر ذلك بالدين ، او ينقص معتقده شيئا من اليقين ؟ (٠٠٠٠)

ثم ينتقل من وصف المخالفين بالجمود على العادة والتقاليد ، الى تحديدهم

واظهار عجزهم عن فهم ما يعتقدون ، فيقول :

( لو ان مسكينا من عبدة الالفاظ ، من اشداهم ذكاء ، وازوهبهم لسانا ، اخذ

بما قيل له ، : ان الملائكة اجسام نورانية قابلة للتشكل ، ثم تطلع عقله الى

ان يفهم :

معنى نورانية الاجسام ، وهل النور وحده له قوام يكون به شخصا ممتازا ،

بدون ان يقوم بجسم اخر كثيف ، ثم ينعكس عنه كذبالة المصباح ، او سلك

الكهرباء .

ومعنى قابلية التشكل ، وهل يمكن للشيء الواحد ان يتقلب في اشكال من

الصور المختلفة حسبما يريد ؟ وكيف يكون ذلك ؟

الا يقع في حيرة ، ولو سئل عما يعتقد من ذلك ، الا يحدث في لسانه

من الحقد ما لا يستطيع حله ؟

اليس مثل هذه الحيرة يعد شكاً ؟ ) .

ثم يتهمكم ويسخر فيقول :

( افلا تزعم ان لله ملائكة في الارض ، وملائكة في السماء ؟

هل عرفت اين تسكن ملائكة الارض ؟ وهل حددت امكنتها ، ورسمت مساكنها ؟

وهل عرفت اين يجلس من يكون منهم عن يمينك ، ومن يكون عن يسارك ؟

هل ترى اجسامهم النورانية تضيء لك في الظلام ، او توهنك اذا هجمت عليك

الاهام ؟

فلو ركتا الى انها قومي او ارواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك ،

وان الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك ، وبالعبارة التي تلقفتها عنهم ، كيلا

يوحشك بما يد هشك ، وترك لك النظر فيما تطمئن اليه نفسك ، من وجوه تعرفها ،

افلا يكون ذلك اروح لنفسك ، وادعى الى طمأنينة عقلك ؟

افلا تكون قد ابصرت شيئا من وراء حجاب ، ووقفت على سر من اسرار الكتاب ؟

فان لم يكن في نفسك استعداد لقبول اشعة هذه الحقائق ، وكنت ممن

يو من بالغيث ، ويقول " امنا به كل من عند ربنا " فلا ترم طلاب العرفان بالرب

ما داموا يصدقون بالكتاب الذي امننت به ويؤمنون بالرسول الذي صدقت برسالته .

وهم في ايمانهم اعلى منك كمبا ، وارض منك برسبهم نفسا . )

الا ان هذه الاقوال لتشعرنا بالاسى على ما كان يعاني الشيخ محمد عبده

من ضيق ، ولكنها لم تشعرتنا بميل او رغبة في ان نترك السلف والخلف جميعا في

امرا جمعوا عليه ، ونواقفه على ما يقول .

ويسدل الستار ، والشيخ محمد عبده في جانب ، والسلف والخلف

جميعا في جانب اخر ( ا هـ " ١ )

---

١ — انتهى كلام الاستاذ المشرف ، وقد نقلته بنصه بحروفه ، لعدم استطاعتي

التصرف فيه .

رأى السلف والخلف في الملائكة :

=====

جرى السلف والخلف من المسلمين في فهمهم للملائكة ، وغيرهم من الشييات

على قاعدة ، سليمة ، واضحة ، هي :

• الا تزيد بشي في امر الشييات التي قص الله علينا طرفا من خبرها .

وان نقف عند حدود النص ولا نتعداه ، لانه كاف بذاته لا ثبات ما يعرض له

من امور .

والمؤمن الصادق يقربكل ما اخبر به الخالق جل وعلا من شأن الملائكة

مجلا او مفصلا ، ولا يزيد على ذلك ، ولا ينقص منه ، ولا يتكلف البحث عما

لم يطالع الله منهم ، ولا يخوض فيه ، بل يقول " امانا به كل من عند ربنا " ١ ،

لان هذا هو المقصود ، والمطلوب معرفته ، ولو علم الله ان هناك خيرا او فائدة

او حاجة في الزيادة او الايضاح او التفصيل ، لفعل سبحانه ، وفصل .

وغاية ما على المسلم ان يعترف بوجود الملائكة ، ويؤمن بصفاتهم التي

وردت في النصوص الصحيحة . ويصدق بطوائفهم ووظائفهم التي اخبرنا بها الخالق

سبحانه ، ودونها السلف والخلف من المسلمين على النحو التالي :

١ - وجودهم

=====

دل على وجود الملائكة الخبر الصادق عن الخالق سبحانه ، والحديث الصحيح

عن نبيه عليه افضل الصلاة والسلام .

فأما الوارفي القران عن الله تعالى : قوله " آمن الرسول بما انزل اليه من

ربه ، والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا

سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " ٢ .

---

١ - سورة ال عمران اية ( ٧ ) .

٢ - سورة البقرة اية ( ٢٨٥ ) .

وقوله تعالى : " ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا

انه لا اله الا انا فاتقون " ١

وقوله تعالى : " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضالا

بعينه " ٢

ولقد جاء الحديث عن الملائكة في القرآن بمناسبة مختلفات في نحو خمس

وسبعين آية ، من نحو ثلاثة وثلاثين سورة ٣

واما الوارد من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقوله صلى الله

عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي اخرجه مسلم عن عن عمر بن الخطاب رضي الله

عنه واخرجه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ، عندما نزل جبريل عليه السلام

على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأل عن الايمان ، فقال الرسول صلى الله

عليه وسلم ؟

" الايمان : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، وتؤمن بالقدر

خيريه وشره " ٤

كما جاء في الاحاديث الصحيحة ان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قابل

بعض الملائكة .

وفي مقدمة الاحاديث المثبتة لذلك احاديث بدء الوحي ، ونزوله على

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه الاحاديث متواترة في معناها ٥

---

١ - سورة النحل آية ( ٢ ) .

٢ - سورة النساء آية ( ١٣٦ ) .

٣ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ( ٢ : ٦ ) ، الطبعة الاولى .

٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١ : ١٥٧ ) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري

( ١ : ٩٦ ، ٩٧ ) .

٥ - انظر : العقيدة الاسلامية ، واسسها ( ٢ : ٧ ) .

فوجود الملائكة اذا ، ثابت بالدليل القطعي الذي لا يمكن ان يلحقه شك

• اريب

ومن هنا كان انكار وجودهم كفرا باجماع المسلمين ، بل بنص القران الكريم

يقول الاستاذ عبد الرحمن حبنكة :

( والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع

المسلمين ) • "١"

ان الملائكة عليهم السلام ليسوا ضربا من الالهام ، ولا نوعا من تخيلات

الاحلام ، كما انهم ليسوا عقولا مجردة ، ولا من معاني النفوس البشرية "٢" •

وانما هم عالم حقيقي الوجود ، غيبي عن العيان المشهود • "٣"

قال المحققون من اهل العلم والمعرفة :

( ومجمل الايمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم بان الله تعالى خلق

عالم اسماه ب " الملائكة " ، وهم :

ارواح قائمة في اجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل ، بأشكال مختلفة

بإذن الله تعالى ) • "٤"

---

١ - نفس المصدر ونفس الصفحة •

٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ١٢٧ ) •

٣ - انظر كتاب : الايمان بالملائكة عليهم السلام ، بقلم عبد الله سراج الدين ،

الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٢ م ، ص ٣ •

٤ - انظر : المرجع السابق ص ( ١٠ ، ١٣ ) •

وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٦ : ٢٣٢ ) •

وانظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٥٧٩ ) •

في شرح جلال الدين الدواني على المعائد العضدية •

وقد مر معنا ان الشيخ محمد عبده ، تهكم وسخر من اصحاب هذا

القول ، وايضا فهو لا يقبل ما جاء في بعض النصوص ان الملائكة تتمثل بصور

واشكال جثمانية مختلفة ، - كما سنرى بعد قليل - ، لانها - حسب =



• قوله - من عالم غير عالم الابدان • =

يقول :

- ( فلا يصح ان تتمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا •
- لان هذه لو اتصلت بارواحنا • فانما تتصل بها من طرق اجسامنا •
- ونحن لا نحس بشيء • يتصل بابداننا لا عند الوسوسة • ولا عند الشعور
- بداعي الخير من النفس • فاذن هي عالم من غير عالم الابدان قطعاً ) •
- انظر : تفسير المنار ( ١ : ٢٦٧ ) •

٤٢ : صفاتهم الخفية

=====

اقول : - بناء على ما مضى -

فانا لا نستطيع ان نعرف كل شي عن صفات الملائكة ، لان الله سبحانه

لم يخبرنا من هذه الصفات الا النذر القليل .

وحسبنا في الحقيدة الاسلامية ان نعرف هذه الصفات ، بالقدر الذي

وردت به النصوص دون زيادة ، او نقصان . . . .

واليك بعضا من صفاتهم :

١ : اخبرنا الخالق سبحانه انهم خلقوا قبل " ادم " عليه السلام ، من نور :

قال تعالى :

" واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . . . . " ١

ففي هذه الاية دليل خلق الملائكة قبل ادم عليه السلام .

والدليل على انهم خلقوا من نور ، ما اخرجهم مسلم عن عائشة رضي الله عنها ،

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ٢ : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق

الجان من ماج من نار ، وخلق ادم مما وصف لكم " ٣ . . .

---

١ - سورة البقرة اية ( ٣٠ ) .

٢ - اخرجهم مسلم ، وانظر : فتح الباري ( ٦ : ٢٣٢ ) .

٣ - اي كما وصفه الله تعالى في مواضع متعددة من الكتاب الكريم . فأخبر سبحانه

في موضع انه خلق من تراب قال تعالى : " ان مثل عيسى عند الله كمثل

ادم خلقه من تراب " ( ال عمران : ٥٩ ) ، اشارة الى الجسد الاول .

وفي موضع اخر اخبر تعالى انه خلقه من طين ، قال تعالى " وبدأ

خلق الانسان من طين " ، ( السجدة : ٧ ) ، اشارة الى الجمع بين

التراب والماء .

وفي موضع ثالث اخبر تعالى انه خلقه من طين لازب ، قال تعالى :

فهم اذا ( مخلوقات نورانية ليس لها جسم مادي ، يدرك بالحواس الانسانية ،  
وانهم ليسوا كالجن ، ولا كالبشر ، مظهرون من الشهوات الحيوانية ، ومنزهون  
عن الاثام والخطايا ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها غيرهم ،  
غير ان لهم القدرة على ان يتخللوا بصور البشر باذن الله تعالى ) . " ١ "

فقد ثبت في بعض الاخبار الصحيحة ان جبريل عليه السلام اتى الى  
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، على صورة انسان مجهول الشخصية ، كما  
في حديث عمر السابق .

فقد ذكر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جبريل عليه السلام جاء  
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هيئة رجل شديد بياض الثياب ، شديد  
سواد الشعر . . . . . وانه جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم واسند ركبتيه  
الى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيته ، ثم سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن  
الاسلام والايمان والاحسان ، وعلامات الساعة ، ثم انصرف ، فقال الرسول  
صلى الله عليه وسلم لاصحابه : " اتدرون من السائل ؟ قالوا : الله ورسوله  
اعلم . قال : فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم " .  
وكما اخبر الله عز وجل عن جبريل عليه السلام انه اتى مريم عليها السلام في  
صورة بشرية ، قال تعالى :

" واذكر في الكتاب مريم اذا انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم  
حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا " . " ٢ "

---

= انا خلقناهم من طين لازب " ( الصافات : ١١ ) ، اشارة الى الطين المستقر على  
حالة من الاعتدال ليصلح لقبول التصوير .

واخبر تعالى في موضع اخر انه خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، ومن  
صلصال كالفخار ، اشارة الى يسه . ثم نبه سبحانه على تكميل هذا الانسان  
بنفخ الروح فيه .

فقال تعالى " فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " .

( سورة ص : ٧٢ ) ( سورة الحجر : ٢٩ ) .

١- المقائد الاسلامية ، لسيد سابق ( ص ١١١ ) .

٢- سورة مريم الايات ( ١٦ - ١٧ ) .

كما ثبت انه اتى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم على صورة انسان معلوم ،  
وهو : " دحية الكلبي " " ١ " رضي الله عنه .

وتدل النصوص في مجموعها على ان جبريل عليه السلام كان يأتي النبي صلى  
الله عليه وسلم بصور واشكال مختلفة ، حسب المناسبة التي اقتضتها تلك الحالة  
بأمر من الله .

فجاء يوم بني قريظة بصورة محارب عليه السلاح ، كما في الصحيحين عن  
عائشة رضي الله عنها .

ومن ذلك تمثل الملك بصورة ابرص ، واقترع ، واعصى ، حيث ارسله الله  
الى ثلاثة من بني اسرائيل : ابرص ، واقترع ، واعصى ، اراد الله ان يتليهم :  
ايشكرون نعمة الله عليهم ام يكفرون ، ويجحدون ...

وهذه القصة وردت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه . " ٢ "  
ولا يلزم من تمثل الملك بصورة من الصور البشرية ان تناله الاحكام البشرية  
من اكل وشرب ، ونوم ، ونعاس ... الخ

ولذلك : لما تمثلت الملائكة بصورة رجال ، ودخلوا على الخليل عليه  
الصلاة والسلام ، وقدم لهم الطعام ... لم يتناولوا منه شيئا . " ٣ "  
قال تعالى :

" هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما  
قال سلام قوم منكرون فراغ الى اهله فجاء بمجل سمين ققرينه اليهم قال الا تأكلون  
فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وشرهه بخلام عليم " . " ٤ "

- 
- ١ - دحية بن خليفة الكلبي ، احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وقد كان رجلا وسيما ، جميل الصورة ، حسن الهيئة ...
  - ٢ - انظر : فتح الباري ( ٦ : ٥٠١ ) / وانظر : رياض الصالحين ص ٥٦ .
  - ٣ - انظر كتاب : الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، لاجم  
عبد الوهاب ص ٢٣ ، ٢٤ ، الطبعة الاولى ، دار النهضة العربية .
  - ٤ - سورة الذاريات الايات ( ٢٤ - ٢٨ ) .

ب : ومن صفاتهم الخلقية ايضا ان منهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع او اكثر من ذلك كما قال الله تعالى :

" الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى

وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير " ١ " .

وقد اخبر الشيخان عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، رأى جبريل عليه السلام له : ستمائة جناح " ٢ " .

وفي حديث طويل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : .

" ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتصقون اهل الذكر ، فاذا وجدوا

قوماً يذكرون الله تنادوا ، " هلموا الى حاجتكم " .

قال صلى الله عليه وسلم : " فيخفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا " ٣ " .

ج : وتدل النصوص التالية على ان للملائكة صفات اخرى لا تختص بالخلقة .

قال تعالى : " لن يستنكف المسيح ان يكون يكون عبدا لله ولا الملائكة

المقربون " ٤ " .

وقال تعالى : " عليها ملائكة غلاظ شدادا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون

ما يؤمرون " ٥ " .

وقال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، سبحانه بل عباد مكرمون لا

يسبقونه بالقول وهم بامره يمسلمون " ٦ " .

- 
- ١ - سورة فاطر اية ( ١ ) .
  - ٢ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٢٤٢ ) ، وروى ايضا في كتب الصحاح ، عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها .
  - ٣ - انظر : رياض الصالحين ص ٦٣٥ .
  - ٤ - سورة النساء اية ( ١٧٢ ) .
  - ٥ - سورة التحريم اية ( ٦ ) .
  - ٦ - سورة الانبياء اية ( ٢٦ ) .

وقال تعالى : " وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا  
يستحسنون يسبحون الليل والنهار لا يفترون " ١ " ٠ "  
" ٢ "  
وقال تعالى : " ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون "  
وقال تعالى : " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم  
ستكتب شهادتهم ويسألون " ٣ " ٠ "  
" ٤ "  
وقال تعالى : " تصبح الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة " ٠ "  
وقال تعالى : " ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " ٥ " ٠ "  
وقال تعالى : " ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة " ٠ " والملائكة  
وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " ٦ " ٠ "  
فهذه النصوص القرآنية ، وما ورد من احاديث صحيحة تؤيدها " ٧ " تدل  
في مجموعها على ان لله تعالى ملائكة ، خلقهم لعبادته ، وهم ليسوا بالبشر :  
فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولا يتزوجون ، وهم مطهرون لا يعصون الله  
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها

- 
- ١ - سورة الانبياء الايات ( ١٩ - ٢٠ ) .
  - ٢ - سورة الاعراف اية ( ٢٠٦ ) .
  - ٣ - سورة الزخرف اية ( ١٩ ) .
  - ٤ - سورة المعارج اية ( ٤ ) .
  - ٥ - سورة الرعد اية ( ١٣ ) .
  - ٦ - سورة النحل الايات ( ٤٩ - ٥٠ ) .
  - ٧ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٢٣٢ ) .

البشر • رضي الله عنهم اجمعين • " ١ "

هذا هو ما اخبرنا به الله تعالى عن هذه المخلوقات الكريمة • من  
صفات خلقية وخلقية • لا يسعنا انكار شي منها • او الاستهتار به • ولا  
السؤال عنه ما لم يرد به عن الله كلام • لانه لو كان في العلم به نفع للناس لما  
حجب الله عنهم معرفته • • ولفصل لهم القول فيه وهو الرحيم بهم الغفور  
لذنوبهم • لا يسأل عما يفعل وهم يسألون • سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون •

---

١ - بتصرف : انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ١١ : ٢٣٠ - ٢٣٥ ) •

٣ - اصناف الملائكة ، ووظائفهم

=====

لا يفوتني - قبل ان اذكر مذهب السلف ، وجمهور العلماء ، في طوائف  
الملائكة ووظائفهم - ان انبه القارئ الى ان الشيخ محمد عبده ، ذهب في  
تعليقاته على " نهج البلاغة " للامام " علي " رضي الله عنه ، في صفحة  
( ٢٧ ) ، مذهباً بعبداً ، فسرفيه الملائكة الموكلين بحفظ العباد ،  
والملائكة الموكلين بحمل العرش ، ب " القوى " ، على النحو التالي :-

قال : حفظة العباد : كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ونفوسهم ،

• يحفظ الله الموصولين بها من الممالك والمعاطب . . . .

وقال : حملة العرش : كأنهم القوة العامة التي افاضها الله في

العالم الكلي ، فهي الماسكة له ، الحافظة لكل جزء منه . .

واني ارى في الكلمة السابقة ، التي كتبها الاستاذ المشرف ، - جزاء

الله خيراً - الرد الكافي على هذا المذهب الذي ابتدعه الشيخ محمد عبده ،

واتى به من عند نفسه ، بعد ان رفض الوقوف عند النتيجة التي توصل اليها السلف

والخلف في الملائكة ، - كما سبق -

ولا اريد ان اكرر ما قاله الاستاذ سليمان دنيا - المشرف - ، فقد

كفى الله المؤمنين القتال •

واريد ان اترك القارئ وحده - بناء على ما قاله السلف ، والخلف ،

وما قرره الاستاذ المشرف - ليرى بنفسه كيف مال الشيخ محمد عبده الى التمثيل ،

في قوله عن حفظة العباد : ( كأنهم قوى مودعة في ابدان البشر ، ونفوسهم . . . )

وكيف عطل كثيراً من النصوص الشرعية ، في قوله عن حملة العرش : ( كأنهم

القوة العامة التي افاضها الله في العالم الكلي . . . ) •

الا ترى الى الشيخ محمد عبده ، هنا ، كيف مثل ، وعطل ، وصرف



الالفاظ الواضحة المفهومة ، عن ظاهرها ، من غير قرينة تدعو الى ذلك ؟  
لا شك ان حقيقة القوى غير حقيقة الملائكة ، فالقوى شيء ، والملائكة  
شيء آخر ، ولا يجوز للشيخ محمد عبده ان يؤكد التقاء لفظ " قوى " ولفظ  
" الملائكة " على معنى واحد ، واتفاقهما في الدلالة على شيء واحد ...  
من اجل ان يفتن منكري الملائكة بوجودهم بتمبير ألفوف عندهم يقبله  
عقولهم - كما قال رشيد - .

فالمسألة ليست مالة تلاعب بالالفاظ حتى يقنع الشيخ محمد عبده بعض  
المضبووعين بالثقافة الغربية ، ...

ولكنها مسألة فهم مراد الله ، ومراد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
من لفظ " الملائكة " والمعنى الحقيقي لحفظه العباد ، وحملته العرش ...  
انها مسألة عقيدة ...

والايمان بها ركن من اركان الدين ...  
واليك مذهب السلف والخلف في اصناف الملائكة ، ووظائفهم ، مستخلصا  
من النصوص الشرعية الواردة في الملائكة عليهم السلام ...  
يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

( والملائكة الموكلة بالانسان من حين كونه نطفة الى اخر امره ،  
لهم وله شأن آخر :

فانهم موكلون بتخليقه ، ونقله من طور الى طور ، وتصويره ، وحفظه  
في اطباق الظلمات الثلاث ، وكتابة رزقه وعمله ، واجله ، وشقاوته وسعادته ،  
وملازمته في جميع احواله ، واحصاء اقواله وافعاله ، وحفظه في حياته ، وقبض  
روحه عند وفاته ، وعرضها على خالقه وناظره .

• وهم الموكلون بعذابه ونعيمه ، في البرزخ ، وبعد البحث .

• وهم الموكلون بعمل الات النعيم والعذاب .

- وهم المثبتون للعبد المؤمن بإذن الله ، والمعلمون له ما ينفعه ،  
والقاتلون الذابون عنه •  
وهم اولياؤه في الدنيا والاخرة •  
وهم الذين يمدونه بالخير ، ويدعونهم اليه ، وينهونه عن الشر  
ويحذرونه منه •  
فهم اولياؤه وانصاره ، وحفظته ومعلموه ، وناصحوه ، والداعون له ،  
والمستغفرون له •  
وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ، ويصلون عليه ما دام يعلم  
الناس الخير ، ويشرونه بكرامة الله تعالى في منامه ، وعند موته ، ويوم بعثته •  
وهم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الاخرة •  
وهم الذين يذكرونه اذا نسي ، وينشطونه اذا كسل ، ويثبتونه اذا  
جزع •  
وهم الذين يسعون في مصالح دنياه واخرته •  
فهم رسل الله في خلقه وامره ، وسفراؤه بينه وبين عباديه ، تنزل  
بالامر من عنده ، في اقطار العالم ، وتصعد اليه بالامر • " ١ " •  
وقد جاءت النصوص الشرعية تبين طوائف الملائكة وبعض وظائفهم •••••  
وفيما يلي طائفة من تلك النصوص : " ٢ "

- 
- ١ - اغاثة اللفهان من صايد الشيطان ( ٢ : ١٢٥ و ١٢٦ ) ، تحقيق محمد  
سيد كيلاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ / وانظر شفاء  
العليل ، له ايضا ص ١٩ - ٢٤ •  
٢ - انظر - بتصرف عن :  
العقيدة الاسلامية واسسها ( ٢ : ١٨ ) / شرح العقيدة الطحاوية ص  
٣٣٥ / الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام ، احمد عبد  
الوهاب ص ٢٣ - ٣١ / اصول الايمان ، تاليف الامام ابي عبد الله  
محمد بن عبد الوهاب ، الموجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة  
الرياض الحديثة ص ٢٠٩ - ٢١٤ •

١ - قال تعالى - مينا اكابر الملائكة ، ومنهم جبريل عليه السلام ، ومنوها ببعض وظائفه - :-

- " من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين " ١٠
- " وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين هلى قلبك لتكون من المنذرين " ٢
- " فان الله هو مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير " ٣
- " انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين " ٤

٢ - وقال تعالى :- مينا الصنف المختص بحمل العرش -

" وانشقت السماء فبهى يومئذ واهية والملك على ارجائها ويحمل عرش

ربك فوقهم يومئذ ثمانية " ٥

ومينا : الحافين حول العرش :-

" وترى الملائكة طاقين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي

بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " ٦

قال الامام ابن كثير في قوله تعالى : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " :

اي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة .

وروى عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" اذن لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى ، من حملة العرش : ان ما

- 
- ١ - سورة البقرة اية ( ٩٨ ) .
  - ٢ - سورة الشعراء الايات ( ١٩٢ - ١٩٤ ) .
  - ٣ - سورة التحريم اية ( ٤ ) .
  - ٤ - سورة التكويد الايات ( ١٩ - ٢٠ ) .
  - ٥ - سورة الحاقة الايات ( ١٦ - ١٧ ) .
  - ٦ - سورة الزمر اية ( ٧٥ ) .

بين شحمة اذنه الى طاقه مسيرة سبعمائة عام " ١ " .  
وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "  
قال : ثمانية صفوف من الملائكة " ٢ " .

٣ — وعن ملائكة الجنة ، وهم الذين اطلق القران عليهم اسم الخزنة :  
قال تعالى : " وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زموا حتى اذا جاؤوها وفتحت  
ابوابها وقال لهم اخزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين " ٣ " .  
وقال تعالى : " جنات عدن يدخلونها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم  
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام طيبكم بما صبرتم فنعم عقبى  
الدار " ٤ " .

٤ — وعن ملائكة النار " الزبانية " ، والمشرفين على العذاب في جهنم ، وعن  
" مالك " رئيسهم ، قال تعالى :  
— " كلا لكن ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع نادية ،  
سندع الزبانية " ٥ " .  
— " وما ادراك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر ، لواحة للبشر ، طيبها تسمة عشر ،  
وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة . . . " الاية " ٦ " .  
— " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما تكون " ٧ " .

- 
- ١ — رواه ابو داود : انظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٥٤٣ ) .
  - ٢ — انظر : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار محمد علي الصابوني ، الطبعة  
السابعة ( ٣ : ٥٤٣ ) .
  - ٣ — سورة الزمر اية ( ٧٣ ) .
  - ٤ — سورة الرعد الايات ( ٢٣ — ٢٤ ) .
  - ٥ — سورة العلق الايات ( ١٥ — ١٨ ) .
  - ٦ — سورة المدثر الايات ( ٢٧ — ٣١ ) .
  - ٧ — سورة الزخرف اية ( ٧٧ ) .

٥ — والملائكة الموكلون ببني آدم اصناف ، ولكل صنف منهم عمله . . . . كما اذكر  
ابن القيم .

وفيما يلي طائفة منهم وردت بهم النصوص :

أ : — منهم الموكلون بفتح الارواح في الاجنة ، وكتابة مستقبل اعمالها ، واجالها  
وارزاقها ، وسعادتها او شقاوتها .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم وهو الصادق المصدوق :

" ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة  
مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله اليه ملكا فيؤمر بالسبح كلمات :  
فيكتب عمله ، واجله ، ووزقه ، وشقي او سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح . . .  
الى اخر الحديث " . ١ "

ب : — ومنهم الملائكة الموكلون بمراقبة اعمال المكلفين وحفظها واحصائها وتسجيلها ،

وكتابتها في صحف الاعمال ، وعندهم القدرة على علم جميع ما يفعله الناس

من خيرا او شرا ، فيحصونه احصاء تاما ، من غير سهوا او نسيان . . .

قال تعالى : " ان يلقى المتلقين عن اليمين وعن الشمال قصيد ما يلفظ من قول

الا لديه رقيب عتيد " . ٢ "

وقال تعالى : " كلا بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون

ما تعملون " . ٣ "

ج : — ومنهم المعقبات وهم الحفظة الذين يحفظون الناس بامر الله من شر الاشرار ،

الخفي او الظاهر . . . فلا يصيب الانسان شي منها الا ما قدره الله

١ — متفق عليه .

٢ — سورة قى الايات ( ١٧ — ١٨ ) .

٣ — سورة الانفطار الايات ( ٩ — ١١ ) .

وقضاه "١"٠٠٠

قال تعالى : " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله "٢"٠

د : — ومنهم ملائكة الموت الموكلون بقبض الارواح ، والذين هم رسل الله للقيام

بهذه المهمة .

قال تعالى : " وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت

توفته رسلنا وهم لا يفرطون "٣"٠

وقال تعالى : " قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون "٤"٠

وقال تعالى : " والنازعات غرقا والناشطات نشطا "٥"٠

٦ : — الملائكة الموكلون بامور اخرى في هذا العالم المشهود ، وقد اطلق عليهم

القران : " الصافات " ، " الزاجرات " ، " الذاريات "٠٠٠ الخ "٦"٠

قال تعالى :

" والذاريات ذروا ، فالحملا تورا ، فالجاريات يسرا ،

فالقسمات امرا "٧"٠

وقال تعالى : " والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا "٨"٠

---

١ — انظر : تفسير ابن كثير ( ٤ : ٤٩٧ ) / وانظر : اضواء البيان ،

للسنقيطي ( ٩ : ١٥٨ ) : / وانظر فتح القدير ، للشوكاني ( ٥ : ٤١٩ ) .

٢ — سورة الرعد اية ( ١١ ) .

٣ — سورة الانعام اية ( ٦١ ) .

٤ — سورة السجدة اية ( ١١ ) .

٥ — سورة النازعات الايات ( ١ - ٢ ) .

٦ — انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٦ : ٣٠٢ ) .

٧ — سورة الذاريات الايات ( ١ - ٣ ) .

٨ — سورة الصافات الايات ( ١ - ٣ ) .

وقد اورد طائفة من المفسرين انها زم من الملائكة . " ١ "

وايضا دل الكتاب والسنة على انه سبحانه ، وكل بالجيال ملائكة ،

وبالسحاب ملائكة ، وبالمطر ملائكة . . . " ٢ "

( ولا ينافي هذا ما يلاحظ في الكون من قوانين واسباب يرتبط بعضها

ببعض ، لان هذه القوانين ، والاسباب انما هي مخلوقات من مخلوقات الله ،

والملائكة موكلة بها ايضا ، وموكلة برعايتها ، كما ترى المخلوقات الاخرى ، ولولا

ارادة الله في حفظ هذه الاسباب والقوانين ، ولولا قدرة الله في تسخير الملائكة

للحفاظ عليها فان العقل لا يستلزم ابداء بقاءها على هذه الاماكن الطويلة في انتظامها

وتناسقها ) . " ٣ "

وجملة القول :

فان السلف والخلف جميعا يؤمنون بوجود الملائكة ، وبنصقاتهم ،

ونظراتهم ووظائفهم على الصورة التي سهقت من غير تاويل .

وان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، بعيد عن مذاهبهم ،

ومخالف له . . .

ومن العجيب ان يصدر مثل هذا التاويل عن عالم مسلم مثل الشيخ

محمد عبده ، وما هي الا قفلة ، نسأل الله ان يسامحه ويعفو عنه .

---

١ - انظر تفسير روح البيان للشيخ اسماعيل حقي الهرسوي ، دار الفكر ( ١٠ : ٣٦٤ )

وانظر التفسير الكبير للمسي بالبحر المحيط ، مكتبة ومطابع النهضة

( ٨ : ٤٠٤ ) .

وانظر التفسير الكبير للفخر الرازي ، الطبعة الاولى ( ٢٦ : ١١٤ )

( ٣٠ : ٣٦٤ ) .

وانظر الكشاف للزمخشري ( ٤ : ٢١٢ ) / وانظر تفسير القرطبي ، دار

الشعب ( ٨ : ٦٩٨١ ) .

وانظر تفسير ابي السعود ، ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم

( ٥ : ١٩٦ ) . ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

، واغاثة اللهقان ( ٢ : ١٢٠ ) .

٣ - الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ، ص ٢٩ .

ب :- رأى الشيخ محمد عبده في " الجن " :

=====

لم يكتب الشيخ محمد عبده عن الجن - فيما اعلم - بحثا مستقلا ، ولم  
يخصص لها دراسة يفرد بها ، كما فعل مثلا بالنسبة للنهضة ، والمعجزة ، ...  
وانما جاء كلامه فيها تبعا لكلامه في موضوعات ورد ذكرها فيها .  
ولذلك يضطر الباحث عن رأى الشيخ محمد عبده في الجن ان يتتبع  
الموضوعات التي تعرض الشيخ محمد عبده لها بالشرح والبيان ، وكان للجن ذكر  
فيها .

ومظان ذلك هو القرآن الكريم الذي ذكر الجن في آيات من سور شتى .

واليك ما وجدته من كلام له في هذه المسألة :

يقول الشيخ محمد عبده :

( ونؤمن بالجن ، ونقول انه لا يعلم تأويل ذلك : اى حقيقة

ما تؤول اليه هذه اللفظة - الا الله .

والراسخون في العلم وغيرهم في هذا سواء ، وانما يعرف الراسخون

ما يقع تحت حكم الحس ، والعقل ، فيقفون عند حدهم ، ولا يتطاولون الى معرفة

حقيقة ما يخبر به الرسل عن الجن ، لانهم يعلمون انه لا مجال لحسهم ، ولا

لعقلهم فيه ، وانما سهيله التسليم ، فيقولون : امثابه كل من عند ربنا . " ١ "

ويذكر " بلنت " " ٢ " - صديق الشيخ محمد عبده - ان الشيخ محمد

عبده كان يعترف بوجود الجن ، ويقول : ان احدا من الناس لم يرههم ، وليس

---

١ - تفسير المنار ( ٣ : ١٦٧ ) .

٢ - الصديق الحميم للشيخ محمد عبده ، هو " كرومر " ، وقد كان " بلنت " ،

مستشرفا عاش في مصر ، وعرف الكثير عنها وعن اهلها ، وكتب مذكراته

فيها ، وكان قد اشرف الشيخ محمد عبده ، وكتب الكثير عنه . . .



في الامكان ان يعرف شيئا عنهم " ١ "

ومن اوسع ما ورد في تفسير المنار ، بخصوص الجن ، ما جاء في تفسير

قوله تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر

وكان من الكافرين " ٢ "

وقوله تعالى : " ان يدعون من دونه الا انا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه

الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم

ولا مننهم قليمتكن اذان الانعام ولا مننهم قليمتين خلق الله ومن

يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا " ٣ "

اولا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الاولى ، ما معناه :

( فاذاصح الجرى على هذا التفسير — يعني تفسير الملائكة بالقوى الطبيعية

فلا يستبعد ان تكون الاشارة في الاية الى ان الله تعالى لما خلق الارض ، ودبرها

بما شاء من القوى الروحانية ، التي بها قوامها ، ونظامها ، وجعل كل صنف من

القوى مخصوصا بنوع من انواع المخلوقات لا يتعداه ، ولا يتعدى ما احده له من

الاثرا الذي خص به ، خلق بعد ذلك الانسان واعطاه قوة يكون بها مستعدا

للتصرف بجميع هذه القوى ، وتسخيرها في عمارة الارض ، وعبر عن تسخير هذه

القوى له بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد

الذي لا حد له ، والتصرف الذي لم يعط لغيره ، خليفة الله في ارضه ، لانه

اكمل الموجودات في هذه الارض .

---

١ — ذكر " بلنت " هذا البراى للشيخ محمد عبده في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو

سنة ١٩٠٣ م ، بلندن .

انظر الاعمال الكاملة للامام ، نقلا عن مجلة : كوكب الشرق في ٨ سبتمبر سنة

١٩٣٢ م .

٢ — سورة البقرة اية ( ٣٤ ) .

٣ — سورة النساء الايات ( ١١٧ — ١١٩ ) .

واستثنى من هذه القوى ، قوة واحدة عبر عنها بـ "ابليس" وهي :  
القوة التي لزمها الله بهذا العالم لزاما ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ،  
او بالكمال الى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده الى المدم ، او تقطع سبيل  
البقاء ، وتمود بالموجود الى الفناء ، او التي تعارض في اتباع الحق ، وتصد عن  
الخير ، وتنازع الانسان في صرف قواه الى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافة ،  
فيصل الى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعدا للوصول اليها ، تلك القوة  
التي ضللت اثارها قوما ، فزعموا ان في العالم لها يسى اله الشر ، وما هي باله ،  
ولكنها محنة اله لا يعلم اسرار حكمته الا هو .

ولو ان نفسا مالت الى قبول هذا التأويل لم تجد في الدين ما يمنعها من  
ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس الى ما ابصرت من الحق ) " ١"  
ويميل الشيخ محمد عبده الى تقرير التمثيل والتخييل في رفض ابليس السجود  
لادم ، فيقول :

( وان ابناء ابليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الانسان عن اخضاع  
روح الشر ، وابطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع ، والتخاصم  
والتعمدى والافطاد في الارض .

ولولا ذلك لجاء على الانسان زمن يكون فيه اقراده كالملائكة ، بل اعظم ،  
او يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري ) " ٢"

ثانيا : يقول الشيخ محمد عبده في تفسير الاية الثانية :  
" وان يدعون الا شيطانا مريدا . . . " ، الى اخر الاية ، ( اي وما  
يدعون الا شيطانا مريدا .

١ — تفسير المنار ( ١ : ٢٦٩ ) .

٢ — تفسير المنار ( ١ : ٢٨١ ) .

قالوا : الشيطان يطلق على العامر " ١ " الخبيث من الجن والانس ،

والمريد والمارد : المتعمى من الخيرات . . . . .

اي انهم ما يدعون الا ذلك الشيطان المرید المطمون الذى هو داعية الباطل

والشر في نفس الانسان ، بما يوسوس في صدره ويمده ويمنيه ، كما بينه قوله

تعالى : " وقال لا تخذن من عبادك نصيبا مفروضا " .

والنصيب المفروض : هو ما للشيطان في نفس كل احد من الاستعداد للشر

الذى هو احد النجدين في قوله تعالى " وهديناهم النجدين " . " ٢ "

فهذا هو عون الشيطان على الانسان ، وهو ظم في الناس حتى المعصومين ،

ولكن اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباد المخلصين ، فاذا هو زين

لهم شيئا ، لا يغلبهم على عمله .

فما من انسان الا ويشعر من نفسه بوسوسة الشيطان ، فان لم يكن بالشرك

فبالمصيبة والاصرار عليها ، او الرياء في العبادة ) . " ٣ "

ثالثا : يرد الشيخ محمد عبده الاحاديث الواردة في بعض صفات الشيطان الخلقية

==== ويمتبرها من قبيل التمثيل والتصوير .

يقول :

( وكل ما اوردوه في خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره وجثومه على

الصدر او القلب ، ونحو ذلك - فهو من التمثيل والتصوير ) . " ٤ "

رابعا :

==== يرى الشيخ محمد عبده ان ابليس فرد من افراد الملائكة ، ولا فرق بين

الجن والملائكة .

---

١ - معناه الفاسد ، والمولى ، والشرس . . . . .

٢ - سورة البلد اية ( ١٠ ) .

٣ - انظر الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٢٧٥ ) .

٤ - نفس المرجح ( ٥ : ٢٧٥ ) : / وانظر تفسير المنار ( ١ : ٤٣٨ ، ٤٣٩ ) .

يقول في تفسير قوله تعالى " فسجدوا الا ابليس " :  
( اى سجدوا كلهم اجمعون الا ابليس ، وهو فرد من افراد الملائكة  
كما يفهم من الاية ، وامثالها في القصة ... )

وليس عندنا دليل على ان بين الملائكة والجن فصلا جوهريا يميز احدهما  
عن الاخر ، وانما هو اختلاف اصناف عندما تختلف اوصاف ...

فالظاهر ان الجن صنف من الملائكة ( ١ )

وفي هذا الذى ذكره الشيخ محمد عبده ، موضع لتعقيب :

فأولا :

====  
ما ذكره بخصوص الملائكة ، وانه يصح تفسيرهم بالقوى الطبيعية ، وان  
ابليس واحد من تلك القوى التي لزمها الله بهذا العالم لزا... الخ ،  
كل هذا الذى ذكره غير مسلم ، فان هذا التاويل بعيد ، وفيه تعطيل  
للنصوص الشرعية وفيه مخالفة لمنطوق الايات ومفهومها ...

وقد سبق الرد على هذا ، في النص الذى نقلته عن الاستاذ سليمان دنيا -  
المشرف على الرسالة - عند الحديث عن رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة ،  
وما يقال في الرد عليه هناك ، يمكن ان يقال هنا .

ثانيا :

====  
لكي يتم الرد على ما ادعاه الشيخ محمد عبده من ان الجن صنف من  
الملائكة ، ولا يعلم ما تتوول اليه حقيقة لفظ " الجن " الا الله ، وانه  
لا خرطوم للشيطان ولا خطم " ٢ " ولا منقار ، وانه لا يجثم على الصدر او القلب ،  
وان كل ذلك ، ونحوه ، من التمثيل والتصوير ... ، لا بد ان اذكر رأى السلف  
والخلف ، في : الجن ، وفي علاقتهم مع الناس وموقف الشيطان من الانسان ...

١ - تفسير المنار ( ١ : ٢٦٥ ) .

٢ - الخطام : الزمام . انظر مختار الصحاح للرازي ص ١٨١ .

لان رأى العلماء صريح وواضح في الجن واصنافهم ، وخلقهم ، وعلاقتهم  
مع الناس ، كما يبدو ذلك من خلال الايات القرآنية الواردة بشأنهم ، والاحاديث  
النبوية التي ذكرتهم .

واليك رأى السلف وجمهور العلماء في ذلك ، مفصلا :

( اولا ) : وجوب الاعتقاد بوجودهم :

===== الجن او الجان او الجنة : مخلوقات من مخلوقات الله تعالى ،

ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المظهرة في كثير من المناسبات ،

التي اثبتت وجودهم ، وسميت بعض صفاتهم الخلقية ، وانهم مكلفون بتكاليف

شرعية ، وانهم نتيجة ذلك انقسموا الى اقسام متعددة . . . .

فهم نوع من الارواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الانسان ،

لكنهم مجردون عن المادة البشرية ، ومستترون عن حاسة البصر ، فلا يراهم الانسان

على الصورة التي خلقوا عليها ، ولهم قدرة على التشكل . " ١ "

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

( وجود الجن ثابت بطرق كثيرة غير دلالة القرآن والسنة ، فان

من الناس من رآهم " ٢ " ، وفيهم من رأى من رآهم ، وثبت ذلك عنده بالخبر

واليقين ، ومن الناس من كلمهم وكلموه ، ومن الناس من يأمرهم وينهاهم ،

ويتصرف فيهم ، وهذا يكون لصالحين وغير صالحين .

---

١ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ١٣٠ /

وانظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، لجنكة ( ٢ : ٢٣ ) .

٢ - لعله يريد : من الناس من رأى الجن ، وهي مشكلة باشكل معينة ،

مثل ان يتشكلوا باشكل بعض الحيوانات ، كالحيية ،

والكلب . . . .

ولو ذكرت ما جرى لي ولا صحابي معهم لطال الخطاب ، وكذلك ما جرى

لغيرنا .

لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في علمه ، لا يكون

لما يختص بعلمه المجيب ( ١ ) .

فلذلك وجب الاعتقاد الجازم بوجود الجن ، وانهم عالم من جملة الموالم

التي خلقها الله تعالى ، واثبتها القرآن ، والسنة .

وانهم عالم حقيقي ليس وهماً من الاوهام التخيلية ، ولا ضرباً من النفوس

البشرية الشريرة ، ولا من القوى الطبيعية . . . .

وانما الجن عالم خفي عن الانظار ، حقيقي الوجود له شأنه واحكامه . . .<sup>٢</sup>

( ثانياً ) : خلق الجن :

===== خلق الله الجن من ما ج من نار .

قال تعالى مبينا اصل المادة التي خلقوا منها : " وخلق الجن من ما ج " ٣ من

نار " ٤ .

وقال تعالى : " والجان خلقناه من قبل من نار السموم " ٥ . " ٦

ففي هاتين الايتين بيان مادة الجن التي خلقهم الله تعالى ، وهي :

ما ج من نار السموم .

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من ما ج من نار ، وخلق ادم

مما وصف لكم " ٧ .

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٢٣٢ ) ، ( ٢٤ : ٢٨٢ ) .

٢ - انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ، لعبد الله سراج الدين ص

٢٣٤ ، ٢٣٥ .

٣ - مرجع الشيء اذا اضطرب واختلط ، فالجن مخلوقون من مختلط من نار .

٤ - سورة الرحمن اية ( ١٥ ) .

٥ - السموم هو لهيب النار الخالص .

٦ - سورة الحجر اية ( ٢٧ ) .

٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٦ : ٢٣٢ ) .

وقد سبق الحديث عن اصل المادة التي خلق منها الانسان ، واصل المادة التي خلق الله منها الملائكة .  
وبهذا نعلم ان الجن عالم مستقل غير عالم الانس ، والملائكة ، وهن تقوم الحجة على الشيخ محمد عبده ، وهذا هو الدليل على ان بين الملائكة والجن فصلا يميز احدهما عن الاخر .

(ثالثا) : صفاتهم الخلقية :

===== الجن ارواح قائمة في اجسام لطيفة نارية قادرة على التشكل بصور مختلفة .  
فهم يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ويتناسلون ، وينامون ويموتون ، كما هو الحال في عالم الانس .

وقد ورد في النصوص الشرعية ما يبين شيئا من تكوينهم الخلقى ،  
ومعنى صفاتهم العقلية ، منها :-

١ : - ان لهم قدرة على التشكل بالاشكال الجسمية المرئية ، ومنها ظهور بعضهم على صفة مخلوق معين من مخلوقات الله ، كالحية مثلا او كالانسان . "١"  
روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه قال :

وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتانى آت فجعل يحشو من الطعام ، فأخذته وقلت : لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعنى فانى محتاج ، وعلى عيال ولى حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

" يا ابا هريرة : ما فعل اسيرك البارحة ؟ "

فقلت : يا رسول الله : شكى حاجة شديدة وعيالا ، فرحمته ، وخليت

سبيله ،

فقال صلى الله عليه وسلم :

” اما انه قد كذبتك وسيعود ” .

قال ابو هريرة : فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه

سيعود .

فرصدته فجاء يحثون الطعام ، فأخذه ، فقلت : لارفعنك الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم .

فقال : دعني فاني محتاج وطي عيال ، لا اعود .

فرحمته ، فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” يا ابا هريرة : ما فعل اسيرك البارحة ؟ ”

قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله ،

فقال صلى الله عليه وسلم : ” اما انه قد كذبتك وسيعود ” .

قال ابو هريرة : فرصدته الثالثة ، فجاء يحثون الطعام ، فأخذه ، فقلت :

لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا اخر ثلاث مرات ، انك تزعم

انك لا تعود ثم تعود .

فقال : دعني اعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : وما هي ؟

قال : اذا اريت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي ” الله لا اله الا هو الحي القيوم ” .<sup>١</sup>

حتى تختم الاية ، فانك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان — وفي

رواية ابن مردويه — لم يقربك احد من الجن صغير ولا كبير ، ذكر ولا انثى — حتى

تصبح .

فخليت سبيله ، فاصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

” ما فعل اسيرك البارحة ؟ ”



قلت : يا رسول الله : زعم انه يعلمني كلمات ينفمني الله بها ، فخليت سهيله .  
قال صلى الله عليه وسلم : " وما هي " ؟  
قلت : قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرأ اية الكرسي حتى تختم الاية : " الله لا  
اله الا هو الحي القيوم " ، وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا  
يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا اى الصحابة احرص شي على الخير -  
قال صلى الله عليه وسلم : " اما انه صدقك وهو كذوب . تعلم من تخاطب من  
ثلاث ليال يا ابا هريرة ؟ :  
قلت : لا .

قال : " ذاك شيطان " اى شيطان من الشياطين . " ١ " .  
ومما ورد في ذلك ما رواه الامام مالك في " الموطأ " عن ابي السائب :  
وهو يتضمن قصة فتى من الانصار حديث عهد بحرس ، رأى امراته واقفة بين الناس  
فهياً الريح ليطعنها بسبب الخيرة .  
قالت امراته : ادخل بيتك لترى ، فدخل بيته فاذا هو بحية على فراشه فركز  
الريح فيها ، فاضطربت الحية في راس الريح ، فخر الفتى صريعاً .  
فما نرى ايها كان اسرع موتاً : الفتى ام الحية  
قال الراوى : فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
" ان بالمدينة جنا قد اسلموا فمن بدا لكم منهم فاذنوه ثلاثة ايام ، فان  
عاد فاقتلوه ، فانه شيطان " . " ٢ " .

ب - ومن صفاتهم انهم يموتون ، ثم يحشرون يوم القيامة ويحاسبون على اعمالهم ،  
ان خيراً فخر وان شراً فشر .

١ - رواه البخارى في صحيحه ، / وانظر رياض الصالحين ص ٥٠٠ .

٢ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٣١ و ٣٢ ) .

اما ان الجن يموتون : ففي الصحيح من دعائه صلى الله عليه وسلم :

" اللهم اني اعوذ بعزتك لا اله الا انت ان تضلني ، انت الحي

الذي لا تموت والجن والانس يموتون " .

وقال تعالى : " والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت  
القرون من قبلي وهما يستخيثان الله ويلك امن " ١ " ان وعد الله حق فيقول ما هذا  
الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في امم اقد خلت من قبلهم من الجن  
والانس انهم كانوا خاسرين " . ٢ "

واما انهم يحشرون ويحاسبون فلقوله تعالى :

" ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم

من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مشواكم  
خالدين فيها الا ما شاء الله ان ينكح حكيم عليم " . ٣ "

ولقوله تعالى :

" وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين " . ٤ "

ولقوله تعالى :

" ولو شئنا لاتيينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لا ملأن جهنم من

الجنة والناس اجمعين " . ٥ "

ولا تكون العقوبة الا بعد ارتكاب مخالفة ناشئة عن تكليف ، ولا يكون التكليف

الا لمن كان مستوفيا لشروطه . . . " ٦ "

---

١ - اي امن بالبعث ان وعد الله حق لا خلف فيه : انظر فتح القدير  
( ٥ : ٢٠ ) .

٢ - سورة الاحقاف اية ( ١٨ ) .

٣ - سورة الانعام اية ( ١٢٨ ) .

٤ - سورة هود اية ( ١١٩ ) .

٥ - سورة السجدة اية ( ١٣ ) .

٦ - انظر كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، لعبد الرحمن حبنكة ( ٢ : ٣٠ ) .

ج - : ومن صفاتهم ان لهم قدرات كبيرة ، ومهارات صناعية ، وان منهم

المعارف " ١ " الاشداء ، الاقوياء .

قال تعالى : " قال يا ايها الملاء ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين .

قال عفريت امن الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه

لقوى امين " ٢ " .

وقال تعالى : " وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون " ٣ " .

وقال تعالى : " وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر

ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا

نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محارب " ٥ " .

وتماثيل " ٦ " وجفان كالجواب " ٧ " وقدور راسيات " ٨ " اعلموا

١ - جمع عفريت وهو المارد القوى الداهية ، وقيل هو رئيس الجن .

انظر فتح القدير ( ٤ : ١٣٨ ) .

٢ - سورة النمل الايات ( ٣٨ - ٣٩ ) .

٣ - سور القمل اية ( ١٧ ) .

٤ - القطر : النحاس الذائب . قال الواحدى : قال المفسرون : اجريت

له عين الصفر ثلاثة ايام بلباليهن كجرى الماء ، وانما يعمل الناس اليوم

بما اعطي سليمان : انظر فتح القدير ( ٥ : ٣١٦ ) .

٥ - الابنية الرفيعة ، والقصور العالية . قال الضحك : هي المساجد

/ انظر : فتح القدير ( ٥ : ٣١٧ ) .

٦ - قيل هي صور الانبياء والملائكة والعلماء والصالحين ، وقيل هي تماثيل اشياء

وليست من الحيوان : فتح القدير ( ٥ : ٣١٧ ) .

٧ - الجفان جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة ، والجواب جمع جابية وهي حفيرة

كالخوض .

٨ - القدور جمع قدر وهو ما يطبخ فيه . قيل هي من النحاس الفارسي ،

وقيل : منحوتة من الصخر الصم ، ومعنى راسيات : ثابتات على الاثافي

لا تتحرك لعظمها .

ال داود شكرا وقليل من عباده الشكور " ٢ " ٠

وقال تعالى :

" فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب " ٢ " والشياطين كل

غواص وناء " ٣ " ٠

ومجموع تلك النصوص يفيد ان الله تعالى سخر لعبده سليمان : الجن

يقومون له باعمال البناء ، والنوص في البحار ، والاعمال الصناعية كالقدور والجفان ،

والاعمال الفنية كالصور والتماثيل . . . الى غير ذلك من اعمال كبيرة مختلفة . " ٤ " ٠

وقد كانت الصور والتماثيل جائزة زمن سيدنا سليمان ، ثم حرمت في الاسلام .

د : - ومن صفاتهم انهم يتناسلون ، ولهم ذرية .

قال تعالى : " واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من

الجن ففسق عن امر به افتتخذونه وذريته اولياء من دوني

وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا " ٥ " ٠

وقال تعالى :

" واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا

انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد

موسى مهديا لم يبين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا اجيبوا

داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجرمكم من عذاب اليم " ٦ " ٠

---

١ - سورة سبأ الايات ( ١٢ - ١٣ ) .

٢ - اصاب : اراد

٣ - سورة ص الايات ( ٣٦ - ٣٧ ) .

٤ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٣٠ ) / وانظر العقائد

الاسلامية ص ١٣٤ .

٥ - سورة الكهف اية ( ٥٠ ) .

٦ - سورة الاحقاف الايات ( ٢٩ - ٣١ ) .

وقال تعالى :

" وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا " . " ١ "

وايات كثيرة تفيد ان لابلوس ذرية ، وان النفر الذين استمعوا الى رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من جن " نصيبين " من ديار بكر قرب الشام ، او من  
جن " نينوى " قرب الموصل .

وان منهم الرجال والنساء ، وانهم يتناكحون ويتناسلون .

وانهم طوائف و فرق متعددة منهم الكافرون ومنهم المؤمنون .

قال تعالى " وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ،

واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا " . " ٢ "

وانهم كانوا قبل البعثة يسترقون السمع من الملائكة وينقلونها الى قرنائهم من

الانس ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرس السماء ، وحيل بين الشياطين

وبين خبر السماء ، وارسلت الشهب على كل من يحاول استراق السمع . . .

قال تعالى :

" وانا لمننا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانا كنا

نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا " . " ٣ "

وانهم ياكلون ويشربون ولا نمرف كيفية ذلك ، وان الله قد جعل زادهم

العظام وروث البهائم والفحم . . .

فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لا تستنجوا بالروث ولا بالاعظام فانها زاد اخوانكم من الجن " . " ٤ "

١ — سورة الجن اية ( ٦ ) .

٢ — سورة الجن الايات ( ١٤ — ١٥ ) .

٣ — سورة الجن الايات ( ٢ — ٩ ) .

٤ — رواه مسلم والترمذي .

وعن ابن مسعود ايضا قال : لما قدم وفد الجن على النبي صلى الله عليه

وسلم قالوا :

يا رسول الله انه امك ان يستنجوا بعظم او روثة او حمة " ١ " ، فان الله

جعل لنا فيها رزقا .

فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك " ٢ " . . . . " ٣ "

ه : - ونؤمن ان اول شيطان جني هو ابليس ، كما قال فيه سبحانه وتعالى :

" الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه " ٤ " .

وهذا قول كثير من العلماء والعارفين ، وهو راي السلف رضي الله عنهم ،

ومنهم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

استدلوا على ان ابليس كان من الجن ، وليس من صنف الملائكة ، بوجوه

من الادلة :

الوجه الاول :

===== ان ابليس مخلوق من نار ، بينما الملائكة خلقهم الله من نور ،

كما سبق في حديث مسلم عن عائشة .

الوجه الثاني :

===== ان ابليس له ذرية ، اما الملائكة فلا ذرية لهم ، لانهم لا

يتصفون بالذكورة ولا بالانوثة . ولا شهوة لهم .

---

١ - الحمة : هي الفحم .

٢ - رواه ابو داود واسناده صحيح .

٣ - بتصريف عن مجموع الفتاوى ( ١١ : ٣٠٣ - ٣٠٦ ) ، ( ١٩ : ٣٢ )

- ( ٣٨ ) .

وانظر : العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٢٦ - ٣١ ) .

٤ - سورة الكهف اية ( ٥٠ ) .

الوجه الثالث :

=====  
ان ابليس من الجن بنص القران ، والجن ليسوا ملائكة .

قال تعالى : " الا ابليس كان من الجن " .

وقال تعالى : " ويوم يحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون  
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم اهل كانوا يعبدون الجن اكثرهم

بهم مؤمنون " . " ١ "

فدللت الاية على ان الجن صنف غير صنف الملائكة .

الوجه الرابع :

=====  
ان الملائكة عليهم السلام لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما

يؤمرون وهم مسخرون للعبادة .

بينما ابليس اللعين خالف امره ، ولم يسجد لادم ولم يعمل ما امره

الله تعالى به .

اما من قال من العلماء : ان ابليس من الملائكة ، فحجته هي :

لولا ان ابليس ملكا لما تناوله السجود <sup>في</sup> الامر بالسجود لادم ، ولما كان تخلفه

عن السجود لادم يوجب طردا وابعدا .

وقد اجاب عن ذلك العلماء بان الاستثناء الوارد في الاية استثناء من

جنس المأمورين لا من جنس الملائكة .

ويكون التقدير : وان قلنا للملائكة ولا بليس اسجدوا لادم فاسجدوا الا

ابليس .

وعليه يكون الاستثناء منقطعا .

وايضا : في قوله تعالى لابليس " ما منعك ان تسجد ان امرتك " ٢ ، اشارة

---

١ - سورة سبأ الايات ( ٤٠ - ٤١ ) .

٢ - سورة الاعراف اية ( ١٢ ) .

الى ان هناك امرا موجهها اليه بالسجود .

ولنستمع الى تحقيق شيخ الاسلام ابن تيمية الذى ذكره في هذه المسألة :

يقول :-

( وقد هب المسلمين واليهود والنصارى ما اخبر الله به في القران وهي :

لم يكن في المأمورين بالسجود احد من الشياطين ، لكن ابوهم ابليس هو كان

مأمورا فامتنع وعصى .

وجعله بعض الناس من الملائكة لدخوله في الامر بالسجود .

ومعظمهم من الجن لان له قبيلة وذرية ولكونه خلق من نار ، والملائكة

خلقوا من نور .

والتحقيق : انه كان منهم باعتبار صورته ، وليس منهم باعتبار اصله ولا باعتبار

مثاله .

ولم يخرج من السجود لاهم احد من الملائكة لا جبرائيل ولا ميكائيل ولا

غيرهما ) . " ١ "

وحاصلة : ان ابليس من الجن ، وان الجن جنس من غير جنس الملائكة ،

وان وجودهم مما لا شك فيه ، وان قصة الملائكة وابليس ، والحوار الذى دار بينهم

ومين البارى عز وجل هي على الحقيقة لا على الخيال والتمثيل ،

وان تأويل الملائكة في القصة بقوى النفس الصالحة ، وابليس واحد من قوى

النفس الشريرة . . . غير صحيح ، ومخالف للنصوص الشرعية ، منطوقها ومفهومها ،

وفيه تحريف لكلام الله تعالى عن معانيه المرادة منه ، وصرف له عن الوجه المخبر

عنه الى وجه اخر غيره من غير وجود الداعي الى ذلك . . . والقران الكريم في معزل

عن هذا . . .



يقول الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( هذا القول ونحوه ليس من اقوال المسلمين واليهود والنصارى ،  
وانما هو من اقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون " الملائكة " قوى النفس  
الصالحة " والشياطين " قوى النفس الخبيثة ، ويجعلون سجود الملائكة :  
طاعة القوى للعقل وامتناع الشياطين : عصيان القوى الخبيثة للعقل ، ونحو  
ذلك من المقالات التي يقولها اصحاب " رسائل اخوان الصفا " وامثالهم من  
القرامطة الباطنية ، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة ، والمعتمدة .  
وقد يوجد نحو هذه الاقوال في اقوال المفسرين التي لا اسناد لها  
يعتمد عليه ) " ١ "

وابنما : — بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ، ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية  
خلق الله الجن وهياهم القبول العلم والمعرفة ، وجعل لهم ارادة  
واختيارا ، تماما كما هو الحال مع الانس .  
فهم مكلفون بالايمان ، ومأمورون بالعبادة ، ومنهين عن الكفر والمعصيان ،  
والايات والاحاديث تفيد ذلك .  
ومعلوم بالاضطرار انهم احياء عاقلون ، فاعطون بالارادة . . . . بل  
بأمور منهيون . " ٢ "

قال تعالى : " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " . " ٣ "

وقال تعالى : " يا معشر الجن والانس اني ارسل منكم قبصون عليكم اياتي

- 
- ١ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٣٤٦ ) .
  - ٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ١٩ : ١٠ ) .
  - ٣ — سورة الذاريات اية ( ٥٦ ) .

وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا

وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين " ١ " .

وقال تعالى متحد يا الثقلين " ٢ " : الانس والجن :-

" قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً " ٣ " .

ومن الادلة على تبليغ الرسل الدعوة للجن قول الحق جل وعلا :

" واذ صرفنا اليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا

فلما قضى ولوا الو، قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى

صدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ، يا قومنا اجيبوا داعي الله

وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز

في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين " ٤ " .

فهذا القول منهم يدل على انهم قد بلغتهم دعوة موسى عليه السلام ،

فلما بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ما فيها من الحق المصدق

لما بين يديه ، راحوا يتعبدون بشريعة الاسلام .

ومن المؤكد ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام ارسله الله الى الانس

والجن بالقران من عند الله تبارك وتعالى :

قال تعالى : " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا " ٥ " .

وقال تعالى : " قل اوحى الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجيبا

يهدى الى الرشده فامتابه ولن نشرك بربنا احدا " ٦ " .

١ — سورة الانعام اية ( ٣٠ ) .

٢ — الثقلان : مثنى ثقلى وهما : الجن والانس .

٣ — سورة الاسراء اية ( ٨٨ ) .

٤ — سورة الاحقاف الايات ( ٢٩ — ٣٢ ) .

٥ — سورة الفرقان اية ( ١ ) .

٦ — سورة الجن الايات ( ١ — ٢ ) .

وقال تعالى : " سنفرغ لكم " ١ " ايها الثقلان فباي الاء وكما تكذبان يا معشر الجن

والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا

لا تنفذون الا بسلطان فباي الاء وكما تكذبان " ٢ " .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما رأهم .

انطلق صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ ،

وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب ، فرجعت

الشياطين الى قومهم فقالوا : ما لكم ؟

قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وارسلت علينا الشهب .

قالوا : ما ذلك الا من شيء حدث . فاضربوا مشارق الارض ومغاربها .

فمر نفر الذين اخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلي

باصحابه صلاة الفجر .

فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر

السماء ، فرجعوا الى قومهم وقالوا : " يا قومنا انا سمعنا قرانا هجبا يهدى الى

الرشد فامنا به ولن نشرك بويلنا احدا " .

فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : " قل اوحى الي انه

استمع نفر من الجن " ٣ " .

قال الحافظ البيهقي :-

( هذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو اول ما سمعت الجن

قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعظمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم

ولم يرههم ، ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز

وجل .

١ — اي سنفرغ لِمطاسبتكم ، ومجازاتكم ان خيرا فخير وان شرا فشر .

٢ — سورة الرحمن الايات ( ٣١ — ٣٤ ) .

٣ — رواه الشيخان والنسائي والترمذي والبيهقي .

وهذا يشير الى ما رواه الامام احمد ومسلم وابو داود والترمذى عن علقمة

قال :-

قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد ؟  
قال : ما صحبه منا احد ، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة وهو بمكة ، فقلنا :  
اغتيال او استطير ، ما فعل به ؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم حتى اذا اصبحتنا او  
كان في وجه الصبح ، فاذا نحن به يجيىء من حراء ، قال ، فذكروا له الذى  
كانوا فيه ، فقال :

" اتاني داعي الجن " ، فاتيتهم ، فقرات عليهم ، فانطلق  
فارانا اثرهم واثرت نيرانهم ، وسالوه الزاد فقال : " لحكم كل عظم ذكر اسم الله عليه  
يقح في ايديكم او فرط يكون لحما ، وكل بخره او روثه علف لدوابكم " \* ١ \*  
قال النووي :

لكن ابن مسعود اثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن ، فكان  
ذلك مقدا على نفي ابن عباس \*  
وقد اشار الى ذلك مسلم فاخرج في صحيحه رقم ٤٥٠ " في الصلاة ،  
عقب حديث ابن عباس هذا حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال :

" اتاني داعي الجن فانطلقت معه فقرات عليه القران " \* ٢ \*

قال الحافظ ابن حجر :

ويمكن الجمع بالتعدد \* ٣ \*

وقال ايضا : لا يلزم من عدم ذكر اجتماعه بهم حين استمعوا ان لا يكون اجتمع بهم  
بعد ذلك \* ٤ \*

١ - بتصريف عن مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ( ١٩ : ٣٠ - ٤٩ ) .

وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ١٣٢ و ١٣٣ \* .

٢ - انظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى ( ٢ : ٤١٤ )  
تحقيق عبد القادر الارناؤوط ، الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م \* .

٣ - فتح البارى ( ٨ : ٦٧٠ ) رقم الحديث ٤٩٢١ \* .

٤ - فتح البارى ( ٨ : ٦٧٥ ) \* .

ويرى شيخ الاسلام ان ابن عباس رضي الله عنهما قد علم ما اهل عليه القران  
من ذلك ، ولم يعلم ما علمه ابن مسعود وابو هريرة وغيرهما من اتيان الجن اليه  
ومخاطبته اياهم . وانه اخبره بذلك في القران وامره ان يخبر به وكان ذلك في  
اول الامر لما حرست السماء وحيل بينهم وبين خبر السماء ، وطلعت حرسا شديدا ،  
وكان ذلك من دلائل النبوة ما فيه عبرة . . . .

ومعد هذا اتوه وقرا عليهم القران .

وروى انه قرا عليهم سورة الرحمن ، وصار كلط قال : " فإي الاء يكلم

تكذبان " ،

قالوا : ولا بشيء من الاك رميا تكذب ولك الحمد . " ١ "

ويرى شيخ الاسلام ايضا ان الجن مأمورون بالاصول والفروع بحسبهم ،  
فانهم ليسوا مماثلي الانس في الحد والحقيقة ، فلا يكون ما امروا به ، ونهوا عنه  
مساويا لما على الانس في الحد لكنهم مشاركون الانس في جنس التكليف بالامر والنهي  
والتعطيل والتحريم .

قال شيخ الاسلام : ( وهذا ما لم اعلم فيه نزاعا بين المسلمين ، وكذلك

لم يتنازعو ان اهل الكفر والفسوق والمصيان منهم يستحقون لعذاب النار ، كما  
يدخلها من الادميين . لكن تنازعو في اهل الايمان منهم :

فذهب الجمهور من اصحاب مالك والشافعي واحمد وابي يوسف ومحمد الى

انهم يدخلون الجنة .

وروى في حديث رواه الطبراني : انهم يكونون في رض الجنة يراهم الانس

من حيث لا يرونهم .

---

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ١٩ : ٣٨ ) .

وانظر : الرحيق المختوم ص ١٤٥ .

وزهب طائفة منهم ابو حنيفة — فيما نقل عنه — الى ان المطيعين منهم

يصيرون ترابا كالبهائم ويكون ثوابهم النجاة من النار •

وقد قال تعالى فيما اخبر عنهم :

” وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا “ • ” ١ “

قالوا : يعني مذاهب شتى : يهود ونصارى ، ومسلمون : شيعة ، وسنة • الخ

فاخبر تعالى ان منهم الصالحون ومنهم دون الصالحين ، فيكون :

• اما مطيعا في ذلك فيكون مؤمنا •

• واما عاصيا في ذلك فيكون كافرا •

ولا ينقسم مؤمن الى صالح والى غير صالح ، فان غير الصالح لا يعتقد

• صلاحه لترك الطاعات •

• فالصالح هو القائم بما وجب عليه •

• ودون الصالح لانه ان يكون عاصيا في بعض ما امر به ، وهو قسم غير الكافر •

• فان الكافر لا يوصف بمثل ذلك •

• وهذا يبين ان فيهم من يترك بعض الواجبات • والله اعلم • ” ٢ “

---

١ — سورة الجن اية ( ١١ ) •

٢ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٤ : ٢٣٣ — ٢٣٧ ) •

• و ( ١١ : ٣٠٦ ) • ( ١٩ : ٣٨ ) • بتصريف •

علاقة الجن مع الانس وموقف الشيطان من الانسان :

=====

أ : — علاقة الجن مع الانس :

يذكر شيخ الاسلام ابن تيمية ان الجن مع الانس على احوال ثلاثة :

(الحال الاول) :

ان من الانس من يامر الجن بما امر الله تعالى به ، وما امر به

الرسول صلى الله عليه وسلم من عبادة الله وحده ، وطاعة نبيه .

فهذا من افضل اولياء الله تعالى . وهو في ذلك من خلفاء الرسول

ونوابه .

(الحال الثاني) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور مباحة له :

فهو كمن استعمل الانس في امور مباحة له .

وهذا كان يأمروهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرم عليهم ،

ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

وهذا اذا اقرانه من اولياء الله تعالى ، فغايته ان يكون في عموم

اولياء الله .

(الحال الثالث) :

ان من الانس من يستعمل الجن في امور نهى الله عنها ، ورسوله

صلى الله عليه وسلم .

كمن يستعملهم في الشرك ، او في قتل معصوم الدم ، او في المدوان

عليه بنهر القتل ، كتمريضه ، وانسائه العلم ، وغير ذلك مما يتحقق فيه الظلم .

فهذا قد استعان بهم على الاثم والعدوان •

ثم ان استعان بهم على الكفر فهو كافر • وان استعان بهم على المعاصي فهو

عاص : اما فاسق • واما مذنب غير فاسق • " ١ "

وان من الناس من يستعين بالجن فيما يظن انه من الكرامات • ولم يكن هذا

تام العلم بالشريعة •

مثل ان يستعين بهم على الحج • اول ان يحملوه الى عرفات ولا يحج الحج

الشرعي معتقدا انه بذلك قد اسقط فرضه •••

فهذا مفور قد مكروا به ••• ولم يفرق بين الكرامات الرحمانية • والتلبيسات

الشیطانية •••

وفرق كبير بين مخاريف الشيطان لا وليائه • وبين كرامات الرحمان لا وليائه • " ٢ "

ومن الجن من يدخل في بدن الانسي فيتكلم بلسانه • وياكل بيده • خاصة

فيمن ابتلوا بالصرع •••

وهو مذهب اهل السنة والجماعة • خلافا للمعتزلة • وعلى رأسهم الجبائي

وابي بكر الرازي وغيرهما • فهو لاه • يتكرون دخول الجن في بدن المصروع • ولم

ينكروا وجود الجن •

وابن تيمية رحمه الله يخطوهم في ذلك • ويذكر ما ذكره الاشعري في

مقالات اهل السنة والجماعة • يقولون :

ان الجن يدخل في بدن المصروع • كما قال تعالى : " الذين يأكلون

الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس " • " ٣ "

وينقل شيخ الاسلام عن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل • انه سأل

والده • قال :

١ - بتصريف عن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ١١ : ٣٠٧ - ٣١٠ ) •

٢ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ١١ : ٣١٠ ) •

٣ - سورة البقرة آية ( ٢٧٥ ) •



قلت لابي : ان قوما يزعمون ان الجنى لا يدخل في بدن الانسى .  
فقال : يا بني يكذبون ، هوندا يتكلم على لسانه . " ١ " .  
ويذكر شيخ الاسلام ان صرعهم للانسان قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما  
يتفق للانسان مع الانس . " ٢ " .

ويجوز شيخ الاسلام تناكح الانسان والجن ، وما ينتج عن ذلك من انجاب

الولد .

يقول :

( وقد يتناكح الانسان والجن ويولد بينهما ولد ، وهذا كثير معروف ، وقد  
ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه ) . " ٣ " .

ولم يبين شيخ الاسلام كيف يتناكح الانسان والجن ، واين ؟ وما نوع الولد  
والى اى الابوين ينتسب ؟ . . . . . واسئلة كثيرة كنا نحب ان نعرف ما عند شيخ  
الاسلام في هذا كله . . . . .

فلعله ذكره في موضع اخر ، اولعله اكتفى بذكره شفاها للمصطفين من  
تلاميذه ، واصحابه ، اذ يريدوا ان شيخ الاسلام لم يرد ان يذكر هذا مخافة ان  
لا يصدق الناس ، اولان مثل هذا انما يختص بعلمه المجيب - كما قال -  
يويد هذا قوله : ( ولو ذكرت ما جرى لي واصحابي معهم لطال الخطاب ،  
وكذلك ما جرى لغيرنا ، لكن الاعتماد في الاجوبة العلمية على ما يشترك الناس في  
علمه لا يكون لما يختص بعلمه المجيب ) . " ٤ " .

ويرى شيخ الاسلام ان الواجب على المسلم ان يستعمل فيهم ما يستعمله في  
الانس من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الله كما شرع الله ورسوله ،  
وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يعاملهم اذا اعدوا بما يعامل به

١ - انظر مجموع الفتاوى ( ١٢ : - ١٩ )

٢ - انظر مجموع الفتاوى ( ١٩ : - ٣٩ ) .

٣ - انظر نفس المصدر ونفس الصفحة .

٤ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ٤ : - ٢٣٢ ) ، ( ٢٤ : - ٢٨٢ ) .

المعتدى ، فيدفع صولهم بما يدفع صول الانسان ، وهو اخبارهم بحكم الله ورسوله  
واقامة الحجية عليهم تماما كما يفعل بالانس \* ١ \*

وانه وان يكن لخبثاء الجن بعض التأثير الجسدي والعقلي على احد من  
الناس ، فانما يؤثرون على من يستكين باوهامه وتخيلاته لسلطانهم من ذكر او انثى ،  
او يتعرض لتقبل مسهم ، وتخبطاتهم باستعانة بهم ، والتماسه النفع منهم ،  
او بغفلته عن ذكر الله ، وتلاوة القران ، او ببعده عن الايراد الماثورة عن النبي  
صلى الله عليه وسلم ، او الاستعانة بالله منهم \* ٢ \*

قال الله تعالى : " ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم  
مبصرون " \* ٣ \*

قال الامام الشوكاني رحمه الله :

( اى ان شأن الذين يتقون الله وحالهم هو التذكر لما امر الله به من  
الاستعانة به ، والالتجاء اليه عن ان يمسه طائف من الشيطان وان كان يسيرا \* ٤ \*

وقال الامام ابن القيم رحمه الله :

( فلم يجعل الله لمدوه سلطانا على عباده المؤمنين ، فانهم في حوزة  
وكلاءته ، وحفظه وتحت كنفه ، وان اغتال عدوه احد هم كما يفتال اللص الرجل  
الفاجر ، فهذا لا بد منه ، لان العبد قد يلبى بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله  
على العباد من هذه الابواب الثلاثة ، ولو احترز العبد ما احترز ، فلا بد له من  
غفلة ولا بد له من شهوة ولا بد له من غضب .

- 
- ١ - انظر مجموع الفتاوى ( ١٩ : ٣٩ - ٤٢ ) بتصرف .
  - ٢ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٣٢ ) / وانظر العقائد  
الاسلامية ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
  - ٣ - سورة الاعراف اية ( ٢٠١ ) .
  - ٤ - فتح القدير ، للشوكاني ( ٢ : ٢٧٩ ) .

وقد كان ادم ابو البشر صلى الله عليه وسلم من احلم الخلق ، وارجحهم  
عقلا ، واثبتهم ، ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى اوقعه فيما اوقعه فيه ،  
فما الظن بفراشة الحطم " ١ " ، ومن عقله في جنب عقل ابيه كتفلة " ٢ " في بحر ؟  
ولكن عدو الله لا يخلص الى المؤمن الا غيلة على غرة وغفلة ، فيوقعه ،  
ويظن انه لا يستقبل منه عز وجل بعمدا ، وان تلك الواقعة قد اجتاحتها واهلكتها .  
وفضل الله تعالى ورحمته وغفوه ومغفرته وراء ذلك كله ( " ٣ " )

ب : - موقف الشيطان من الانسان :

=====

وفيه وجهان :

( الاول ) : عداوة الشيطان للانسان .

( الثاني ) : التحصن والتحرز من وساوس الشيطان .

واتحدث عن الوجه الاول بشيء من التفصيل :

اقول : ارشد الشارح الحكيم الى عداوة الشيطان للانسان ، وذكر الانسان

بأصل هذه العداوة يوم خلق الله ادم - ابو الانسان - وامر ابليس ان يسجد

له ، فأبى .

---

١ - كناية عن خفة الحطم وعدم رجحانه .

٢ - هي البضقة الصغيرة التي لا تعدوا موضع الدرهم .

٣ - انظر كتاب : الواابل الصيب ورافع الكلم الطيب . او الكلم الطيب والعمل

الصالح ، لشمس الدين ابي عبد الله بن قيم الجوزية . حققه وعلق عليه :

الشيخ اسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث

العلمية في المملكة العربية السعودية ، الرياض ص ١٩ ، ٢٠ .

كما نبه الشارع الى ضرورة ان يقف الانسان منه موقف المعادى الحذر ،  
والمحارب المنيد .

وفي ذلك قال الله تعالى :

" ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا " . " ١ "

وبين الشارع ان للشيطان وجوها متعددة ، وطرقا ملتوية ، يستعملها

في خداع الانسان حتى يوقعه في الهلاك .

ومن هذه الطرق والاساليب :-

١ - التزيين :

قال تعالى : " وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتمدون " . " ٢ "

وقال تعالى : " تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم

فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم " . " ٣ "

٢ - التخويف :

قال تعالى : " انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم

مؤمنين " . " ٤ "

٣ - ان الشيطان يسعى ليحزن الانسان :

قال تعالى : " انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين امنوا " . " ٥ "

---

١ - سورة فاطر اية ( ٦ ) .

٢ - سورة النمل اية ( ٢٤ ) ، وسورة العنكبوت اية ( ٢٨ ) .

٣ - سورة النحل اية ( ٦٣ ) .

٤ - سورة آل عمران اية ( ١٧٥ ) .

٥ - سورة المجادلة اية ( ١٠ ) .

- ٤ - ان الشيطان يسمى في بث العداوة والبغضاء بين الناس .  
قال تعالى : " انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في  
الخمير والميسر ويصدكم عن ذكر الله " . " ١ "
- ٥ - ان الشيطان يعد الانسان بالفقر ، وقد يعدهم بوعود يعود فيها النفع  
عليهم .  
قال تعالى : " الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء " . " ٢ "
- وقال تعالى : " يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غورا " . " ٣ "
- ٦ - ان الشيطان يقذف في القلب الاباطيل ، والظنون .  
روى البخارى ومسلم عن علي بن الحسين رضي الله عنهما ان " صفة نوح  
النبي صلى الله عليه وسلم ، ورضي الله عنها ، قالت :  
كان النبي صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتته ازوره ليلا ، فحدثته ثم  
قمت لانقلب " ٤ " . فقام معي ، ليقلبني وكان مسكنها في دار اسامة بن زيد " ٥ "  
فمر رجلان من الانصار ، فلما رايا النبي صلى الله عليه وسلم اسرطا . فقال :  
النبي صلى الله عليه وسلم : " على رسلكما انها صفة بنت حبي " .  
فقالا : سبحان الله يا رسول الله .  
فقال صلى الله عليه وسلم : " ان الشيطان يجرى من ابن ادم مجرى الدم ،  
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شرا - او قال - شيئا " . " ٦ "

- 
- ١ - سورة المائدة اية ( ٩١ ) .  
٢ - سورة البقرة اية ( ٢٦٨ ) .  
٣ - سورة النساء اية ( ١٢٠ ) .  
٤ - اي لاعود ، او لا رجح .  
٥ - اسامة بن زيد بن ثابت ، كان يقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم الحب  
بن الحب .  
٦ - متفق عليه ، والشر هو الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم السوء ،  
فبادر عليه الصلاة والسلام باعلامها قبل ان يقذف الشيطان في قلوبهما  
امرا قد يهلكان به .

٧ - الموسوسة :

وهي شرها " ١ " ، وقد نهى المولى عز وجل عباده الى ان خطر

الموسوسة الشيطانية كبير وشرها مستطير . . .

قال تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليهدى لهما ما وورى عنهما من سوراتهما " . " ٢ "

وقال تعالى : " فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد

وذلك لا يهلك " . " ٣ "

وقال تعالى : " ان الذين ارتدوا على اديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى

الشيطان سول لهم " . " ٤ "

وثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم :

" ياتي الشيطان احدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟

حتى يقول : من خلق ربك ؟ فاذا ابلفه فليستمذ بالله ، ولينته " . " ٥ "

وروى ابو داود عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

" لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال ، هذا : خلق الله الخلق ،

فمن خلق الله ؟

فاذا قالوا ذلك ، فقولوا : الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن

له كفوا احد . ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستمذ بالله من الشيطان الرجيم " .

---

١ - انظر كتاب : دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان ، تأليف الشيخ

عبد الله بن محمد الخليلي ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٦٣ ، ٦٤ .

٢ - سورة الاعراف اية ( ٢٠ ) .

٣ - سورة طه اية ( ١٢٠ ) .

٤ - سورة محمد اية ( ٢٥ ) .

٥ - متفق عليه .

ومن شر الشيطان ، ووسوسته انه يحاول ان يكفر المسلم ، فان عجز  
عن ذلك حاول ان يوقمه في الكبائر فان عجز عن ذلك حاول ان يوقمه في الصغائر ،  
فان عجز عن ذلك حاول ان يشغله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ،  
فيكون قد شغله عما يثاب عليه من فضائل الاعمال . فان عجز عن ذلك حاول ان  
يشغله بالعمل المفضول عن العمل الافضل ، فان عجز عن ذلك كله حاول ان  
يشوش عليه فكره ، وعكر عليه صفاه . . . . " ١ " نموذ بالله من شره .  
وتفصيل الوجه الثاني كما يلي :-

اقول : ان المولى عز وجل خلق كل شي بقدره تقديرا . فهو لم يخلق الخلق  
عجا من غير حكمة او تقدير . . . .

قال تعالى : " افحسبتم انما خلقناكم عجا وانكم الينا لا ترجعون " . " ٢ " .  
وان ابليس اللعين واحد من مخلوقات الله تعالى ، خلقه الله لحكمة " .  
وجعله اساس البلاء ، ومصدر الفتن في عالم الانس وعالم الجن ، وسلطه على

---

١ - انظر كتاب الايمان بالملائكة عليهم السلام ص ٢٦٤ ، يتصرف .

٢ - سورة المؤمنون اية ( ١١٥ ) .

٣ - ذكر الامام ابن القيم رحمه الله تعالى حكما متعددة ، مشربة على خلق ابليس  
منها :-

أ - ان تظهر قدرة الرب التعالى على خلق المتضادات المتقابلات

فخلق هذه الذات التي هي اخيخ الذوات وسبب كل شرفي مقابلة ذات

جبريل عليه السلام التي هي من اشرف الذوات واطهرها وازكاها ، وهي

سبب كل خير ، كما خلق الليل والنهار ، والدا ، والدواء ، والموت والحياة

. . . . وغير ذلك مما يدل على كمال قدرته .

ب - ظهور اسماء الله القهرية مثل القهار ، الشديد ، المنتقم . . .

الخ ، فهذه الاسماء والافعال لا بد من وجود ما تتعلق به ، ولو كان الجن

والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر اثر هذه الاسماء .

ج - ظهور اثار اسمائه المضمنة لحلمه وعفوه ، ومغفرته وستره =

كثير من الناس ، ممن فسدت فطرهم ، واران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . . . .  
والشيطان مشرئ بالمؤمنين ينتظر فرصته ليوسوس في صدورهم ، مالم يتحرزوا منه ،  
ويتحصنوا بحمى الله للخلاص منه . . . . ووراء ذلك فضل الله تعالى ورحمته ، وغفوه  
ومغفرته . . . . ١

وان المرء في حيز الله ، وحفظه ما دام قد اخذ بالاسباب ، والفائفة من  
وساوس الشيطان ، وضره . . . .  
وقد ارشد الشارح الحكيم الى جملة من الاسباب التي تعين المسلم في التغلب  
على الشيطان ، والتخلص من شره . . . .

---

= وعنه لمن شاء من خلقه ، فلولا خلق الاسباب المغيضة الى ظهور اثار هذه  
الاسماء لتمطلت هذه الحكم والفوائد .  
د :- ظهور اثار اسماء الحكمة والخبرة ، فهو يميز من يشاء ويذل من يشاء ،  
وهو اعلم حيث يجمل رسالته ، واعلم بمن يصلح لها ، ويشكر له جميل  
صنعه .  
ه :- اظهار ، واستخراج العهوديات المتنوعة التي لولا خلق ابليس لما  
ظهرت : كالجهاد ، والموالاتة ، والمجبة في الله ، والكره في الله ،  
والتوبة ، والاتعاظ والحذر من الفحور . . . . وغير ذلك كثير .  
/ انظر : مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ، مطبعة  
انصار السنة المحمدية سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م ( ٢ : ١٩٤ ) .  
١ - انظر : الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، لزيد بن عبد العزيز بن  
فياض ، المطبعة اليوسفية ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ،  
ص ٣٥٦ .



ومن هذه الاسباب :-

١ :- التعوذ بالله تعالى من نزع الشيطان " ١ "

قال تعالى : " واما ينزعك من الشيطان نزع فاستمذ بالله " ٢ "

وهناك سور في القران ، تسمى بالمعوذات ، وهي :-

سورة الاخلاص : قال تعالى :

" قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد " .

وسورة الفلق : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر

النفاثات في العقاد ومن شر حاسد اذا حسد " .

وسورة الناس : قال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي

يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " .

وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، امته وجوها من التعوذ حسب مقتضى

الحالات التي هم فيها :

١ - فمن ذلك : التعوذ حالة الغضب :

ففي صحيح البخارى عن سليمان بن صود قال :

كنت جالما مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان : فاحدهما احمر

وجهه وانتفخت اوداجه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" اني لاعلم كلمة لوقالها ذهب عنه ما يجد ، لوقال : اعوذ بالله من

الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد " . . . الحديث .

١ - النزع : الوسوسة وان قلت . / انظر الوابل الصيب لابن القيم ص ٢٤٠ .

٢ - سورة الاعراف اية ( ٢٠٠ ) ، وسورة فصلت اية ( ٣٦ ) .

٢ - ومن ذلك التعمود عند رؤيا يكرهها :

كما في الصحيحين عن ابي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم :

" اذا رأى احدكم في مقامه الرؤيا يوجبها فانما هي من الله ، فليحمد  
الله عليها ، ويتحدث بها ، واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من  
الشیطان ، فليستعذ بالله من شرها ، ولا يذكرها لاحد ، فانها  
لا تضره " .

وفي رواية لمسلم : " فليصق عن يساره ثلاثا ، وليتعمود بالله من

الشیطان ، ويتحول عن جنبه الذي كان عليه " .

٣ - ومن ذلك التعمود عند دخول الخلا :

روى ابو داود وابن ماجه بسند حسن عن زيد بن ارقم قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم :

" ان هذه الحشوش " ١ " محتضرة " ٢ " فاذا أتى احدكم الخلا فليقل :

اعوذ بالله من الخبث والخبائث " ٣ " .

ب : - التسمية بالله .

• التسمية بالله وقاية من شر الشيطان ، لانه لا يضر مع اسم الله شيء .

وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وجوها من التسمية ، منها :

١ - التسمية على الطعام ، وعند دخول الرجل بيته وخرجه منه .

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

١ - الحشوش ، امكنة الخلا .

٢ - محتضرة : اى يخضرها الشياطين .

٣ - قيل : تذكران الشياطين واناثهم .

يقول : " اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ،

قال الشيطان : لا مهيت لكم ولا عشاء .

واذا دخل ولم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان : ادركتم المهيت .

واذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان : ادركتم المهيت والعشاء .

وفي السنن عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" من قال اذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا

حول ولا قوة الا بالله ، فيقال له حسبك : هديت وكفيت ووقيت ، وتنحى عنه

الشيطان "

## ٢ - التسمية عند الجماع .

ففي الصحيحين ، والمسند عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال :

" لو ان احدكم اذا اراد ان يأتي اهله فقال : بسم الله . اللهم

جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا .

فانه ان قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان ابدا " . " ١ "

## ٣ - التسمية على آنية الطعام ، وعند اغلاق الباب ، واطفاء المصباح . . . ونحو

ذلك .

كما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم :

---

١ - اي لم يضره باضلاله واغوائه ببركة التسمية ، فلا يكون للشيطان عليه سلطان ،

ولا يلزم منه عصمة الولد من الذنب ، بل انه يكون حسن العاقبة ، ويموت

على الايمان باذن الله .

" اذا استجنح الليل فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا  
ذهب ساعة من العشاء فخلوهم ، واغلق بابك واذكر اسم الله ، فان الشيطان لا  
يفتح بابا مغلقا ، وأطفأ مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك " ١ " واذكر  
اسم الله ، وخمر اناك " ٢ " واذكر اسم الله " .

ج - : قراءة آية الكرسي :

وقد تقدم حديث ابي هريرة في الصحيح ان من قرأ آية الكرسي اذا اوى  
الى فراشه ، فانه لن يزال عليه من الله حافظ ، ولا يقوه شيطان حتى يصبح .  
وكذلك قراءة خواتيم سورة البقرة ، من قوله تعالى : " لله ما في السموات  
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم اوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب  
من يشاء والله على كل شي قدير " . . . . . الى اخر السورة " ٣ "

روى الترمذى عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
" ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي ظم ، انزل منه  
آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال ، فيقرنها شيطان " .  
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
" لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ان الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه  
سورة البقرة " . " ٤ "

وانما ورد الخبر في الحث على سور وايات مخصوصة فلانه ابلغ في زجر الشيطان  
وطرده ، وهو يجزى عن بقية القران - والله اعلم -  
ومعلوم ان القران اذا تلاه المؤمن نزلت الملائكة ، وحفته ، فلا يقى مجال  
لوجود الشياطين ، والافضل ان يقرأ القران جهرا .

١ - اى شد عليه رباطه .

٢ - اى ضع عليه غطاء .

٣ - سورة البقرة الايات ( ٢٨٤ - ٢٨٦ ) .

٤ - رواه مسلم ، وانظر رياض الصالحين ، ص ٤٩٩ .

د - الاكثار من ذكر الله .

ذكر الله سبب في نزول الملائكة حول الذاكرين ، وهذا يعني خروج

الشیطان من مجالسهم .

والاكثار من الذكر مطلوب ، ومحمود ، وهو من صفات المسلمين

المؤمنين ، قال تعالى : " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة  
واجرا عظيما " . " ١ "

روى البيهقي وابن ابي الدنيا وابويهملي عن انس مرفوعا : " ان الشيطان

واضح خطمه " ٢ " على قلب ابن ادم ، فان ذكر الله خنس ، وان نسي التغم

قلبه ، فذلك الوسواس الخناس .

قال قتادة : ان الشيطان <sup>له</sup> كخرطوم الكلب ، في الانسان ، فاذا غفل

ابن ادم عن ذكر الله ، وسوس له ، واذا ذكر العبد به خنس . " ٣ "

قال مقاتل : ان الشيطان في صورة خنزير يجرى من ابن ادم يجرى الدم في

عرقه . " ٤ "

واخرج ابوداود عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الحق جل وعلا

" الوسواس الخناس " ، قال :

مثل الشيطان كمثل ابن عرس ، واضح فمه على فم القلب ، فيوسوس اليه

فان ذكر الله خنس ، وان سكت عاد اليه ، فهو الوسواس الخناس . " ٥ "

١ - سورة الاحزاب اية ( ٣٥ ) .

٢ - الحظم : هو الفم .

٣ - انظر فتح القدير للشوكاني ( ٥ : ٥٢٣ ، ٥٢٤ ) .

٤ - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٥ - نفس المصدر ونفس الصفحة .

وفي ختام الكلام عن صلة الشيطان بالانسان ، والكيفية العملية في مقاومة الشيطان ، ورد كيده ، اثبت كلمة جامعة للاستاذ الشيخ " سيد سابق " عن هذا الموضوع ، فقد قال في كتابه " العقائد الاسلامية " ١ :

( ان الله لم يذكر في كتابه - القران - النفس الامارة بالسوء ، ولا

النفس اللوامة ، الا مرة واحدة .

ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة .

وما فعل ذلك الا ليكون الانسان منه على حذر كي لا يضل ، ولا يشقى ، ذلك ان عمل الشيطان في النفس مثل عمل الميكروب في الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولا القضاء عليه ، والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب الا اذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب وتقضي على ضراوته .

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومريضها ، فيهجم عليها محاولا افسادها ، ولا خلاص منه الا اذا اصحت النفس من امراضها ، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته .

وامراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي نقائص الانسان التي يجب

عليه ان يتخلص منها ، حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه .

وهذه الامراض او هذه النقائص هي على سبيل المثال لا الحصر :

الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرج ، والمعجب ، والفخر ،  
والظلم ، والبغي ، والجحود ، والكثود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ،  
والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمرء ، والشك ، والريسة ،  
والجهل ، والغفلة ، والدد في الخصومة ، والفجور ، والخور ، والادعاء ،  
الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والضع ، والتمرد ، والعناد ، والطفيان ،  
وتجاوز الحدود ، وحب المال ، والافتتان بالدنيا ، ...

فهذه هي امراض النفس ، وسواسيتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة  
الانسان ، وليرزحه عن فضائله العليا .  
ولا سبيل الى طرده ، ومعالجته وسوسته واغرائه الا اذا عولجت النفس  
اولا عن طريق المجاهدة حتى تبرا من هذه الامراض جميعها ، وتعود اليها الصحة  
والمافية وتكون نفسا مطمئنة بالحق والخير .

وحيثما يكون ذكر الله ، والاستمادة به من الشيطان والتبرؤ من الحول  
والقوة ، واسلام الوجه لقيم السموات والارض مما يقوى من معنويات الانسان ،  
ويرفع من مستواه الروحي ، حتى يصل الانسان الى درجة يخاف فيها الشيطان  
من ان يلقاه في طريق من الطرق ، كما حدث لعمر بن الخطاب رضي الله عنه .

روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر : " ١ "

" يا ابن الخطاب : ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجع " .

ان سعادة الانسان لا تتم الا بكبح جماح النفس ، والتغلب على هواها ،

باتباع وحي الله ، ومطابقة نزقات الشيطان .

قال تعالى :

" قل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يضربون " . " ٢ "

وقال تعالى :

" قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي

يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس " ( " ٣ "

الى هنا . ونأتي الى ختام كلام السلف ، وجمهور العلماء ، في

عالم الجن .

١ - الفج هو الطريق .

٢ - سورة المؤمنون اية ( ٩٨ ) .

٣ - سورة الناس .

وقد تبين من خلاله بطلان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده في الجن ،  
وان ابليس هو القوة الشريرة التي امتثلتك من القوى الروحانية التي بها قوام الارض  
ونظامها .

وايضا : قوله ان الجن صنف من الملائكة .  
واخيرا : فساد قوله ان خرطوم الشيطان وخطمه ومنقاره ، وجشومه على الصدر  
او القلب ، ورد مورد التمثيل والتصوير حتى يفهمه الناس ، وليس شي من ذلك  
على الحقيقة . . . . .

وكان الناس لم يفهموا قول ام المؤمنين عائشة بنت ابي بكر رضي الله

عنهما ، قالت :

خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي ليلا فخرت عليه ، فجاء ،

فراى ما اصنع ، فقال : " مالك يا عائشة ؟ اغرت ؟ " .

قلت : ومالي لا يفارملي عليك ؟

فقال : " اقد جاءك شيطانك " ؟

قلت : يا رسول الله : او معي شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومع كل انسان شيطان ؟

قال : " نعم " .

قلت : ومعك يا رسول الله ؟

قال : " نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم " . " ١ "



٢ - موقفه من اليوم الاخير \*

=====

وهذا يعني الحديث بصورة اجمالية عن موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق الخفية التي اخبر الله بها في القران ، واخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما يكون بعد الموت من : فتنة القبر ، وسوءه ، وعذابه ، ونعيمه ، وما يتعلق بالساعة واشراطها ، ويوم القيامة واحداثه من البعث والحشر ، والمرض والحساب ، والجزاء ، والصراف ، والحوض والشفاعة ، والجنة والنار وما اعد الله لاهلها جميعا .  
واليك بيان موقف الشيخ محمد عبده من هذه الامور :-

لقد حدد الشيخ محمد عبده موقفه من عالم الآخرة بقوله :-  
( والآخره عالم اخر ، غير عالم الدنيا التي نحن فيها ، فنوء من بما ورد به الخبر في وصفه ، ولا نبحث عن حقائقه ما دام الوارد غير محال ) \* ١ \*  
وتكلم الشيخ محمد عبده عن اهمية هذا الركن من اركان الدين ، وذكر

اهتمام القران به ، والحكمة من ذلك .  
يقول الشيخ محمد عبده عند تفسير قوله تعالى " ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الآخر " \* ٢ \*  
( ابتداء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر لانه اساس كل بر ، ويبدأ كل خير ، ولا يكون الايمان اصلا للبر ، الا اذا كان متمكنا من النفس بالبرهان ،  
صحبها بالخضوع والانطمان ...

يذكر القران الايمان باليوم الآخر كثيرا ، وانما المراد به ماله من هذه الاثار التي شرحها في آيات كثيرة ومن اجمعها هذه الآية التي نفسرها الان ...

---

١ - تفسير جرير عم ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٣١٢ ) .

٢ - سورة البقرة ، آية ( ١٧٧ ) .

والايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان له حياة في عالم غيبي اعلى من هذا العالم ، فلا يرض لنفسه ان يكون سعيه وعمله لاجل خدمة هذا الجسد خاصة لان ذلك يجعله لا يبالي الا بالامور البهيمية ، ولا يرض لنفسه بالاولى ان يكون عبدا ذليلا لبشر مثله ، للقب ديني اودنيوي ، وقد اعزه الله بالايمان) . " ١ "

اقول : ان الشيخ محمد عبده يؤمن بعالم الاخرة وحسبما ورد الخبر في وصفه من غير ان يتزيد على الوارد بشيء من عند نفسه ، ما دام العقل يجوز الخبر ولا يحيله .

وسنرى فيما بعد كيف يؤول الشيخ محمد عبده ، بعض ما ورد به الخبر كالميزان ، والكوش . . .

اما ما ذكره الشيخ محمد عبده : من اهتمام القران باليوم الاخر ، والحكمة من ذلك ، فلا غبار عليه .

ذلك ان القران الكريم حافظ بذكر اليوم الاخر ، مهتم بتقريره في مواضع كثيرة ، ومنه اليه في كل مناسبة ، ومؤكد وقوعه بشقى الاساليب العربية . " ٢ "

ومن مظاهر الاهتمام بهذا الركن العظيم في القران الكريم انه كثيرا ما ربط الايمان به بالايمان بالله عز وجل . كما ذكر الشيخ محمد عبده في تفسير الاية السابقة .

يوكد هذا قول الحق جل وعلا : " ان الذين امنوا والذين هادوا والنجاري والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون " . " ٣ "

وقوله تعالى : " ذلك يوعد به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر " . " ٤ "

١ - تفسير المنار ( ٢ : ١١٣ ) .

٢ - انظر : كتاب الايمان ، للدكتور محمد نعيم ياسين ص ٥٨ .

٣ - سورة البقرة اية ( ٦٢ ) .

٤ - سورة البقرة اية ( ٢٣٢ ) .

وقوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر " ، " ١ " .  
وقوله تعالى : " اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في الارض فسدن " . " ٢ " .  
وامثال هذه الايات كثير جدا في كتاب الله عزوجل .  
ومن مظاهره ايضا : اكتار القران من ذكر اليوم الاخر بأساليب كثيرة ،  
ومتنوعة ، وكثرة ما سماه الله من الاسماء التي يدل كل واحد منها على ما سيقع فيه  
من الاهوال .

ومن اسمائه ما يلي :- " ٣ " .

- ١ - يوم البعث : لان فيه بعث الجسد للحياة الاخرية .
  - ٢ - يوم الخروج : لان فيه خروج الناس من قبورهم الى الحياة الاخرى .
  - ٣ - يوم القيامة : لان فيه قيام الناس الى الحساب .
  - ٤ - يوم الدين : لان فيه اداة الخلاق ومجازاتهم على اعمالهم .
  - ٥ - يوم الفصل : لان فيه الفصل في الحقوق بالمدل .
  - ٦ - يوم الحشر :  
لان فيه جمع الخلائق وحشرهم في موقف الحساب .
  - ٧ - يوم الجمع :
  - ٨ - يوم الحساب : لان فيه محاسبة الناس على اعمالهم في الدنيا .
  - ٩ - يوم الوعيد : لان فيه تحقيق وعيد الله للكافرين .
  - ١٠ - يوم الحسرة : لان فيه حسرة الكافرين والعصاة على ما فرطوا في جنب الله .
  - ١١ - يوم الخلود : لان الحياة في هذا اليوم وفيما بعده حياة خالدة ابدية .
- الى غير ذلك من اسماء ملاحظ فيها الاضافة الى الدار التي هي الطرف

- 
- ١ - سورة التوبة اية ( ٢٩ ) .
  - ٢ - سورة العنكبوت اية ( ٣٦ ) .
  - ٣ - انظر العقيدة الاسلامية واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن حبنكة ، ج ٢ ،

المكاني القارين لهذه الحياة المادية الثانية • ومنها الاسماء التالية :

١٢ - الدار الاخرة : لان هذه الحياة الثانية حياة للمادة فيها اجبار ، وهي

تتطلب مكانا اطلق عليه اسم الدار •

١٣ - دارالقران : لان فيها الاستقرار الدائم بلا فناء •

١٤ - دارالخلد : لان الاقامة فيها اقامة ابدية خالدة •

كما وردت اسماء اخرى ملاحظ فيها معنى تحقق وقوع ذلك اليوم ، او

ملاحظ فيها ما يجرى فيه من احداث جسيمة ، فقد وردت تسمية

القيامة بما يلي :

١٥ - الواقعة : اخذا من تحقق وقوعها •

١٦ - الحاقة : لانها تحق كل مجادل ومخاصم في دين الله بالباطل ،

اى تغلبه •

١٧ - القارعة : اخذا مما يجرى فيها من قوع شديد ، والقوع هو الضرب

الذى يحصل فيه صوت شديد ، ولانها تقوع القلوب

بأهوالها •

١٨ - الغاشية : اخذا مما يجرى فيها من غشيان عام للثقلين ، الانس

والجن •

١٩ - الطامة : اصل الطامة الداهية ، التي تغلب وتفوق ما سواها من

الدواهي ، من قولهم طم الشيء اذا غمره • وسميت

القيامة بالطامة لما فيها من الشمول والغلبة •

٢٠ - الازفة : اى القرينة ، وسميت القيامة بذلك اشعارا بقربها بالنسبة

الى عمر الدنيا القصير ، واعلان قربها يتضمن تحقق

وقوعها لزوما •

الى غير ذلك من اسماء كالصاخة ، ويوم الفتح ، ويوم التلاق ، ويوم

التغابن ...

واما حكمة ذلك الاهتمام البالغ بهذا الركن العظيم ، فمنها :-

- ١ : ان الايمان باليوم الاخر له اثر كبير في حياة الفرد ، وفي توجيهه وانضباطه ، وسلوكه ، وفي التزامه بالعمل الصالح ، وتقوى الله عز وجل .
- ٢ : ان الايمان باليوم الاخر يعلم الانسان ان لا يخلد الى الحياة الدنيا ، وما فيها من لذات . فيكون التذكير باليوم الاخر مخففا من الغلو والاسراف في حب الدنيا ، ومتاعها ، يشير الى هذا قوله تعالى :

" ارضيتُم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا

قليل " ١٠٠ " ١

يقول الشيخ محمد عبده :

( وهذا الايمان ركن من اركان الارتقاء البشرى . لانه يبعث البشر

الى الاستعداد لذلك العالم الاوسع الاكمل ، ويعرفهم بأن وجودهم اكمل وابقى مما

يتوهمون ) . " ٢ " ٢

والى هنا نقف ، لنأتي الى بيان موقف الشيخ محمد عبده من الحقائق

الغيبية مما يكون <sup>بعده</sup> الموت ، ونرى الى اى حد التزم الشيخ محمد عبده ، بكلامه

السابق ، وقوله في مواضع اخرى سبقت : انه على طريقة السلف في وجوب التسليم

والتفويض فيما يتعلق بعالم الآخرة .

---

١ - سورة التوبة آية ( ٣٨ ) .

٢ - تفسير المنار ( ٢ : ٣١٩ ) .

( الامر الاول ) : ما يتعلق بالموت :

=====

وهذا ينضوى تحته :

أ : فتنة القبر ، وسؤاله •

ب : عذاب القبر ، ونعيمه •

لم اجد للشيخ محمد عبده ، كلاما تحدث فيه عن فتنة القبر وسؤاله ،

او عن عذاب القبر ونعيمه •

وما وجدته له مما يتعلق بالموت هو :

" ١ "

١ - جاء في تفسير جزء عم ، عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ثم اماته فأقبره "

ما نصه :

" فلم يتركه كما يميت سائر الحيوان ، لكنه تفضل عليه " فأقبره " اى

جعل له قبرا يوارى فيه ، تكريما له ، ولم يجعل في غريزة الانسان ان يترك ميته

مطروحا على الارض تأكله السباع ( ٠٠٠ ) • " ٢ "

٢ - جاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " كيف تكفرون بالله

وكنتم امواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون " • " ٣ " ، ما نصه :

( قوله تعالى " ثم يميتكم " بقبض الروح الحي الذي به نظام حياتكم هذه ،

فتنحل ابدانكم بفارقته اياها ، وتعود الى اصلها الميت ، وتنبت في طبقات الارض

وتدغم في عوالمها ، حتى ينعدم هذا الوجود الخاص بها ) • " ٤ "

---

١ - سورة عبس اية ( ٢١ ) •

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٢٨ ) •

٣ - سورة البقرة اية ( ٢٩ ) •

٤ - تفسير المنار ( ١ : ٢٤٥ ) •

٣ - وجاء في تفسير المنار عند قول الحق سبحانه وتعالى : " ولا تقولوا لمن يقتل  
في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون " ، ما نصه :  
( لا بد ان تكون هذه الحياة حياة خاصة غير التي يعتقد ها جميع الملبين  
في جميع الموتى ، من بقاء ارواحهم بعد مفارقة اشباحهم ، ولذلك ذهب بعض  
الناس الى ان حياة الشهداء ، تتعلق بهذه الاجساد وان فنيت او احترقت ،  
او اكلتها السباع ، او الحيتان .  
وقالوا : انها حياة لا نعرفها .  
ونحن نقول مثلهم : اننا لا نعرفها . ونزيد : اننا لا نثبت ما لا نعرف .  
وقال بعض العلماء الباحثين في الروح : ان الروح انما تقوم بجسم  
لطيف " اثيري " في صورة هذا الجسم المركب الذي يكون عليه الانسان في الدنيا ،  
وواسطة ذلك الجسم الاثيري تجول الروح في هذا الجسم المادى ، فاذا مات  
المؤ ، وخرجت روحه فانما تخرج بالجسم الاثيري وتبقى معه . وهو جسم لا  
يتغير ولا يتبدل ولا يتحلل .  
واما هذا الجسم المحسوس ، فانه يتبدل ويتحلل في كل بضخ سنين .  
ويقرب هذا القول من مذهب المالكية . وقد روى عن الامام مالك رحمه  
الله تعالى انه قال :  
" ان الروح صورة كالجسد " اى لها صورة ، وبها الصورة الا عرض  
وجوهر هذا العرض هو الذى سماه العلماء بالاثير .  
واذا كان من خواص الاثير النفوذ في الاجسام اللطيفة والكثيفة ، كما  
يقولون ، حتى انه هو الذى ينقل النور من الشمس الى طبقة الهواء ، فلا مانع ان  
تتعلق به الروح المطلقة في الدار الاخرة ثم هو يحل بها جسما اخر تنعم به وترزق ،  
سواء كان جسم طير او غيره .  
وقد قال تعالى في اية اخرى :  
" بل احياء عند ربهم يرزقون " . " ١ "

وهذا القول يقرب معنى الآية من العلم . ( ١ )  
واني اوافق الشيخ محمد عبده فيما قال في النص الاول ، واخالفه في  
الثاني ، والثالث :

اما الثاني : فلانه يقول بانعدام جميع البدن بعد خروج الروح منه ،  
من غير استثناء .

خلافا لما عليه السلف وجمهور المسلمين وهو : ان الجسم يعلو كله الا

"عجب الذنب" . ( ٢ )

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" كل ابن ادم يعلو الا عجب الذنب ، منه خلق ابن ادم ومنه يركب "

وايضا : فان الشيخ محمد عبده لم يستثن اجساد الانبياء ، التي حرم

الله على الارض ان تاكل اجسادهم ، كما روى في كثير من الاحاديث .

وقيل ان الشهداء كذلك .

قال شارح الطحاوية : ( واما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدة من

دفن منهم كما هو لم يتغير . فيحتمل بقاءه كذلك في تربته الى يوم محشره ،

ويحتمل انه يعلو مع طول العدة والله اعلم . وكأنه - والله اعلم - كلما كانت

الشهادة اكمل ، والشهيد افضل كان بقاء جسده اطول ) . ( ٤ )

١ - تفسير المنار ( ٢ : ٣٩ ) .

٢ - عظم لطيف في اصل الصلْب ، وهو راس العصص ، وهو مكان راس الذنب  
من ذوات الاربع .

قاله الحافظ ابن حجر في " الفتح " / انظر شرح العقيدة الطحاوية ،

ص ٤٦٣ ، الهامش .

٣ - رواه البخاري ومسلم زه واحمد بن حنبل واللفظ له في بعض رواياته

( ٢ : ٤٢٨ ) وزاد " ويأكله التراب " بعد قوله " يعلو " .

وسنده جيد .

انظر شرح الطحاوية ص ٤٦٣ ، الهامش : وانظر مجموع الفتاوى ( ١٧ : ٢٤٩ )

٤ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .



واما الثالث ، فـلأنه لم يلزم مذهب السلف في الوقوف عند حدود هذا النص وعدم الخوض فيه ، والاكتفاء بما ثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وراح يخوض في مهمم لا يجوز ان يبحث عنه ، ويؤوله بما سماه تقريب معنى الآية من العلم ،

ان الشيخ محمد عبده في الوقت الذي يجوز فيه تعلق روح الشهيد بالاشير ، فيمتزجا حتى يكونا معا كائنا واحدا تنعم به الروح وترتق ...  
نراه يخالف مذهب السلف ، وهو :

ان الله تعالى جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل مظلة في ظل العرش " . " ١ " يقول شارح الطحاوية :

( فانهم لما بذلوا ابدانهم لله عز وجل ، حتى اتلفها اعداؤه فيه ، اغضبهم منها في البرزخ ابدانا خيرا منها ، تكون فيها الى يوم القيامة ، ويكون تنعمها بواسطة تلك الابدان اكمل من تنعم الارواح المجردة عنها ، ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير ، او كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير . وتأمل لفظ الحديدئين : ففي الموطأ ان كعب بن مالك كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه " . " ٢ " )

- 
- ١ - الحديث رواه الامام احمد ، وابوداود ، والحديث صحيح اخرجه الحاكم وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . / انظر المشكاة (٣٨٥٣) .
  - ٢ - الحديث صحيح ، انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤ .

فقوله " نسمة المؤمن " تم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهيد بأن قال :  
" هي في جوف طير خضر " .

ومعلوم انها اذا كانت في جوف طير صدق عليها انها طير ، فتدخل في

عموم الحديث الاخر بهذا الاعتبار .

فخصيهم من النعيم في البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الذين ماتوا على

فراشهم ، وان كان الميت اعلى درجة من كثير منهم ، فلمهم نعم يختص بهم

لا يشاركهم فيه من هو دونهم والله اعلم ( " ١ " )

وموقف السلف من الروح لا يلتقي مع ما ذكره الشيخ محمد عبده ، وجوزه ،

لان مذهب السلف هو ان النفس او الروح ، جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم

المحسوس ، وهو جسم نوراني طوى خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء ،

ويجری فيها جريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيتون ، والنار في

الفحم ، وهذا ما يدل عليه الكتاب ، والسنة ، واجماع الصحابة ، وادلة

العقل . " ٢ " )

وحاصله : ان السلف رضوان الله عليهم ، يقفون عند حدود الايمان

بحياة الشهداء بعد موتهم في سبيل الله تعالى ، عنده سبحانه وتعالى . ولا

يكفون انفسهم البحث عن كيفية حياة الشهداء ، ورزقهم ، لان الله سبحانه

قادر على احيائهم ، ورزقهم بطريقة لا نعرفها ، لانها من خصائص صنعته سبحانه

، واراوته . . . .

وان الشيخ محمد عبده مخطى ، فيما ذهب الى تجويزه ، وعدم نفعه ،

يشهد لهذا تلميذه الشيخ رشيد رضا الذي ادرك هذا الخطأ ، فعقب على

كلام الشيخ محمد عبده بقوله :

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٦ .

٢ - انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٣ .

( والمعتمد عند الاستاذ الامام في هذه الحياة هو انها حياة غيبية ،  
تمتاز بها ارواح الشهداء على سائر ارواح الناس ، بها يرزقون وينعمون ، ولكننا  
لا نعرف حقيقتها ، ولا حقيقة الرزق الذي يكون بها ، ولا نبحت عن ذلك لانه  
من عالم الغيب الذي نؤمن به ، ونفوض الامر فيه الى الله تعالى ) • " ١ "  
ومما يخفف عن الشيخ محمد عبده ان يقال : كأنما اقتدى بالامام مالك  
رحمه الله ، وان كان قد زاد عليه خطوة ، ولكن زيادته تعتبر كأنها شرح للكلام  
مالك •

ثم انه في الوقت ذاته ، يرويه عن بعض العلماء ، ولا ينسبه لنفسه ،  
غير انه يبدو انه راض عنه •

وايضا مما يخفف عنه انه اراد به ان يقرب الاموالى من يحبون ان  
يفهموا الامور فهما مطابقا لمعلومهم •

والشيخ محمد عبده اذا كان قد حقق لهم هذه الرغبة ، فانه لم ينقض  
بها شيئا مما قاله السلف • - والله اعلم - •

والسلف رضي الله عنهم ، وكذا من تابعهم من علماء الكلام ، حين  
يتحدثون عن القبر ، وهو اول منزل من منازل الآخرة ، فانهم يتحدثون عن  
شيئين : " ٢ "

( الاول ) : عن فتنة القبر ، وسؤال الملكين •

( الثاني ) : عن عذاب القبر ، ونعيمه •

وسأتحدث عنهما بإيجاز ، لبيان ثبوتهما عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ،  
ووقوعهما بعد الموت حقيقة ، لصدق المخبر صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما لم اجد  
للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، - فيما اعلم - وارتدت ذكرهما وفاق بحق البحث •

١ - تفسير المنار ( ٢ : ٣٩ ) •

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ( ٣ : ١٤٥ ) •

( ٤ : ٢٥٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ) • ( ٢٤ : ٣٧٩ ) •

أ : فتنة القبر ، وسؤال الملكين :

=====

مذهب السلف في هذا ان الروح بعد مفارقتها الجسد ، تبقى مدركة

تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، . . .

قال شيخ الاسلام :-

( وقد استفاضت الاخبار بمعرفة الميت بحال اهله ، واصحابه في

الدنيا ، وان ذلك يعرض عليه ، وانه يرى ويدرى ما يفعل عنده ، ويسر بما

كان حسنا ، ويتألم بما كان قبيحا ) . " ١ "

والثابت عند السلف في هذا ، هو ما تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم في ثبوته .

فقد تواترت الاخبار في ثبوت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، فيجب الايمان

بذلك ، واعتقاد ثبوته من غير بحث في كفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على ذلك ،

لكونه لا عهد له به في هذه الدار ، والشرح لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه

قد يأتي بما تحارفيه العقول . " ٢ "

والمراد من سؤال القبر عند السلف " السؤال في البزخ " وهو الفترة بين

الموت والبعث . سواء كان السؤال في القبر او غيره . وانما اضيف السؤال الى القبر

بالنظر الى ان اكثر الموتى من الناس يقهرون . " ٣ "

---

١ - مجموع الفتاوى ( ٢٤ : ٣٠٣ ) .

٢ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥٠ ، وما بعدها .

٣ - انظر العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٣٤٢ ) .

ومشوى الميت الاخير ، هو في الحقيقة قبره .

وفيما يلي اهم ما وردت به الاحاديث الصحيحة ، والايات في ذلك :

١- : اخرج الشيخان عن اسماء " ١ " رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من شيء لم اكن اريته فلا اريته في مقامي حتى الجنة والنار . فاحيي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل او قريبا من فتنة المسيح الدجال . يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فاما المؤمن او المؤمن فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى فاجيبنا واتبعنا ، هو محمد ، ثلاثا ، فيقال : نعم صالحا قد علمنا ان كنت لموتنا به .  
واما المنافق او المرتاب ، فيقول : لا ادري ، سمعت الناس يقولون شيئا قتلته " . " ٢ "

٢- : اخرج الشيخان عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم ، قال : يا ثيبه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ قال : فاما المؤمن فيقول : اشهد انه عبد الله ورسوله ، قال : فيقال له : انظر الى شعدك من النار ، قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم : فيراها جميعا .  
قال قتادة : ( وذكر لنا انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ، ويملا عليه خفرا الى يوم يبعثون .  
واما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا ادري ، كنت اقول ما يقول الناس . فيقال : لا ادريت ، ولا تليت .  
ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه من غير الثقلين " . " ٣ "

- 
- ١ - اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنها ، وهي التي تسمى ب " ذات النطاقين " .
  - ٢ - صحيح البخاري مع فتح الباري ( ١ : ١٤٨ ) .
  - ٣ - متفق عليه . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ٢٠٣ ) ،  
وصحيح البخاري مع فتح الباري ( ٣ : ١٨٤ ) .

٣- : واخرج الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت " قال : نزلت في عذاب القبر . فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة " ، " ١ " ، " ٣ " .

وهناك احاديث كثيرة ، ووردت في كتب الصحاح ثبتت فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، رويت بطرق مختلفة عن جمع من الصحابة كعلي ، وزيد ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وانس ، وابي ايوب الانصاري ، وجابر ، وعائشة وابي سعيد رضي الله عنهم اجمعين ، كلمها في سؤال القبر وفتنته ، وذلك خبر متواتر لا يقبل الريب او الاحتمال .

- 
- ١ - سورة ابراهيم آية ( ٢٧ ) .
  - ٢ - متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ٢٠٤ ) .
  - وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٣ : ١٨١ ) .

ب : عذاب القبر ونعيمه :

=====

بعد فتنة القبر ، وسؤال الملكين ، يوم من السلف ، وجمهور العلماء  
بعذاب القبر ، ونعيمه ، على الوجه الذي أخبره الرسول صلى الله عليه وسلم ،  
وقد تواترت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في ثبوت عذاب  
القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا ، " ١ "

وقد تظاهرت على هذا الامر دلائل من الكتاب ، والسنة ، " ٢ " منها :  
١ - قال الله تعالى : " وحق بال فرعون سوء العذاب ، والنار يعرضون  
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون  
اشد العذاب " . " ٣ "

فقد توعد الله سبحانه وتعالى ال فرعون بنوعين من العذاب : " ٤ "

( الاول ) : اشار اليه بقوله : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " .

( الثاني ) : اشار اليه بقوله : " ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب "

وقد عطف الثاني على الاول ، والمطف يقتضي التفاضل بين المعطوف

والمعطوف عليه ، فلا بد ان يكون المشار اليه اولا غير الثاني .

فاذا كان العذاب الثاني بعد قيام الساعة ، فلا بد ان يكون الاول

واقعا بهم ما بين الموت ، والنشور وهو عذاب القبر .

---

١ - يعني من كان مكلفا . فغير المكلفين من الاطفال والمجانين خارجون عن هذا

الحكم .

٢ - انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٢٦٣ - ٢٦٥ ،

٢٨٥ - ٣٠٠ ) .

٣ - سورة غافر الايات ( ٤٥ - ٤٦ ) .

٤ - انظر شرح الطحاوية ص ٤٥٠ ، / وكتاب الايمان للدكتور محمد نعيم

ص ٦٩ / وكبرى اليقينيات الكونية ص ٣١٤ / والمواقف وشرحه للايجي

( ٢ : ٤٥٢ ) .

٢ - قال الله تعالى : "ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق ، وكنتم عن اياته تستكبرون " ١ " .

فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في هذه الاية : " هذا

عند الموت ،

والبسط : الضرب ، يضربون وجوههم وادبارهم " .

قال الحافظ بن حجر : ( ويشهد له قوله تعالى في سورة القتال :

" فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم " ٢ " .

ثم قال : ( وهذا وان كان قبل الدفن ، فهو من جملة العذاب الواقع

قبل يوم القيامة ، وانما اضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه ) . " ٣ "

٣ - قال تعالى : " ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم

كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون " ٤ " .

فهذه الاية تدل على نفي التسوية بين المطيعين والعاصين في الحياة

والممات ، وفترة الممات هي فترة " البرزخ " .

واذا لم يكن الفرقان مستويين في الممات فلا بد ان يكون مجترحوا السيئات

معذبين ، والذين امنوا وعملوا الصالحات منعمين . وهذا هو نعيم القبر وعذابه .

---

١ - سورة الانعام اية ( ٩٣ ) .

٢ - سورة محمد اية (( ٢٧ ) ) .

٣ - انظر فتح الباري ، لابن حجر ( ٣ : ١٨٠ ) .

٤ - سورة الجاثية اية ( ٢١ ) .

٥ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، ( ٢ : ٣٣٩ ) .



واما الاحاديث الصحيحة المثبتة لعذاب القبر ، والموضحة لمضمون الايات

السابقة فكثيرة ، تبلغ حد التواتر ، اذكر منها :

١ - روى مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بخله له ونحن معه ، اذ حادت به فكادت تلقيه ، واذا اقبر ستة او خمسة او اربعة ، فقال صلى الله عليه وسلم : من يعرف اصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : انا . قال : فمتى مات هو ؟ قال : ماتوا في الاشراك . فقال : ان هذه الامة تبتلى في قبورها ، فلولا ان لا تدافنوا " ١ " لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمح منه . ثم اقبل علينا بوجهه فقال : نعوذ بالله من عذاب النار . فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر . قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال . قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال . " ٢ "

٢ - اخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : " انهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير . ثم قال : بلى ، اما احدهما فكان يسمى بالنعيمة ، واما الاخر فكان لا يستتر " ٣ " من بوله . " ٤ "

١ - اي لا يدفن الحي الميت ، خوفا عليه من عذاب القبر . . . .

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ٢٠٢ ) .

٣ - اي لا يجعل بينه وبين بوله سترة ، ولا يتحفظ منه ، وفي رواية

" يستنزه " . وفي رواية اخرى " يستبرئ " والمعنى واحد .

٤ - متفق عليه ، واللفظ للبخاري ،

انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٣ : ١٨٨ ) .

وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ثم اخذ عودا رطباً فكسره  
بأشنتين ، ثم غرز كل واحد منهما على قبر ، ثم قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " .  
٣ - اخبر البخارى ومسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر ، ان رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : " ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالخداة والعشي ،  
ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة ، وان كان من اهل النار فمن اهل النار  
فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " . " ١ " .  
يقول الامام النووى رحمه الله :

( اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت  
عليه دلائل الكتاب والسنة قال تعالى : " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا " ،  
وتظاهرت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة  
من الصحابة في موطن كثيرة . ولا يمنع في العقل ان يعيد الله تعالى الحياة في  
جزء من الجسد ، ويعذبه ، وانما لم يمنعه العقل وورد به الشرع ، وجب  
قبوله واعتقاده ) . " ٢ " .  
اما كيفية عذاب القبر ، ونعيمه ، وكيفية عودة الروح الى الميت ، فلا  
يجوز فيه الزيادة على ما ورد به الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم .  
قال شارح الطحاوية :

( ولا نتكلم في كيفيته . ان ليس للمقل وقوف على كيفيته ، لكونه  
لا عهد له به في هذه الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد  
يأتي بما تحارفيه العقول ، فان عود الروح الى الجسد ليس على الوجه المصهور

---

١ - ولا شك ان في هذا تنقيها لمن هو من اهل الجنة ، وتعذيباً لمن هو من  
اهل النار .

انظر : فتح البارى ( ٣ : ١١٨ ) / صحيح مسلم بشرح النووى

( ١٧ : ٢٠٠ ) .

٢ - شرح النووى على صحيح مسلم ( ١٧ : ٢٠٠ ) .

في الدنيا ، بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المألوفة في الدنيا ( . . . )  
وذكر انواع تعلق الروح بالبدن ، واثبت عذاب القبر للنفس والبدن  
جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة ، حيث تنعم النفوس وتعذب مفردة عن البدن ،  
ومتصلة به ، ثم قال :-

( واعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق  
للعذاب ناله نصيب منه ، قبر او لم يقبر ، اكلته السباع ، او احترق حتى  
صار رمادا ونسف في الهواء ، او صلب او غرق في البحر ، . . . وصل الى روحه  
ومدنه من العذاب ما يصل الى القبور .  
وما ورد من اجلاسه واختلاف اضلاعه ، ونحو ذلك ، فيجب ان يفهم عن  
الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه مالا  
يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده ، وما قصده من الهدى والبيان ، فكم حصل  
باهمال ذلك والمدول عنه من الضلال ، والمدول عن الصواب مالا يعلمه الا الله ) .

وقد ذكر سيد سابق مثل هذا ، ونقل عن الامام ابن القيم رحمه الله قوله :  
( مذهب سلف الامة واثمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب ،  
وان ذلك يحصل لروحه ، ومدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة ،  
وانها تتصل بالبدن احيانا ، ويحصل له معها النعيم او العذاب ، ثم اذا كان  
يوم القيامة الكبرى ، اعيدت الارواح الى الاجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ،  
ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ) . " ٢ " .  
الى هنا ينتهي عرضي لمذهب السلف وجمهور المسلمين في فتنة القبر وسوءه .  
وعذابه ونعيمه .

---

١ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ / وانظر العقائد الاسلامية لسيد سابق

( ٢٣٠ ) .

٢ - العقائد الاسلامية لسيد سابق ص ( ٢٣٠ ) ، وقد حاولت الرجوع الى مصدر  
هذا النص في كتب ابن القيم ، فلم يتيسر لي العثور عليه ، خاصة وان ناقله  
لم يبين مصدره .

اذا علمنا هذا ، فاني اقول :  
ان من ينكر هذا من اصله ، فقد انكر معلوما من الدين  
بالضرورة ، وخالف بذلك ما اتفق عليه اهل السنة والجماعة ، وخالف ايضا  
امرا اجمعت عليه الاديان السماوية الثلاثة \* ١ \*  
ويكون بذلك الانكار قد سلك مسلكا يؤدي به الى الكفر - والعيان بالله -  
لما ثبت من الدليل القاطع فيه .  
اما اقراره من حيث الاصل ، والايمان به مجملا مع الارتياح في ان  
ذلك انما يكون بالروح فقط ، او بها مع الجسم . . . فهذا ما نفوض الامر فيه  
الى الله تعالى ،

لكننا نقول له :-

لا حاجة الى الارتياح ، بل لا حاجة الى التأويل ،  
فقد ثبت ذلك بالدلة القاطعة ، من القران الكريم ، والسنة ، وتواترت  
الاخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم في ثبوت ذلك ، فيجب اعتقاد ثبوت  
والايمان به \* ٢ \*

---

١ - انظر كتاب : منهاج المسلم ، لابي بكر جابر الجزائري ، الطبعة

الثامنة ص ٤٥ .

٢ - انظر : شرح المواقف ( ٢ : ٤٥ ) .

(الامر الثاني ) : ما يتعلق بالساعة واشراطها :

=====

اما الساعة فهي الزمن المحدد في علم الله ، لانها نظام هذه الحياة

الاولى ، قال تعالى :

" ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " . " ١ " .

وقال تعالى : " يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات يسزوا لله الواحد القهار " . " ٢ " .

ومذهب الشيخ محمد عبده في الساعة هو : وجوب الايمان بها ، وانها

آتية لا ريب فيها ، وان موعدها لا يعلمه الا الله ، اخفاه على الناس كلهم بما

فيهم ، رسله وانبيائه ، وانه ليس لاحد من سبيل الى معرفة ما بقي من عمر الدنيا .

قال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها " . " ٣ " .

قال الشيخ محمد عبده :

( كان اهل المناد من قريش ، يعنتون رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالسؤال عن وقت الساعة ، ومتى يقيمها الله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم

يردد في نفسه ما يقولون ويتمنى لو امكن الجواب عما يسألون كما هو شأن الحريص على

الهداية ، الجاهد في الاقتناع ، فنهاه الله عن تمنى ما لا يرجى ، وجاء

بالنهي في صورة الاستفهام الانكاري حيث قال : " فيم انت من ذكراها " . " ٤ " .

اي ما هذه الذكرى الدائمة ؟ لست في شيء منها ، اي لا حاجة

لك بها ، فان علم ذلك ينتهي الى ربك ، وانما شأنك ان تنذر من يخافها ،

فتنبه من غفلته حتى يستعد لما يلقاه يومها .

---

١ - سورة طه اية ( ١٥ ) .

٢ - سورة ابراهيم اية ( ٤٨ ) .

٣ - سورة النازعات اية ( ٤٢ ) .

٤ - سورة النازعات اية ( ٤٣ ) .

اما هؤلاء المعاندون فدعهم فانهم لا يعقلون ، ولا تشتغل بالجواب عما يسألون ، فاذا جاءت الساعة ذهبت صورة كل زمان مضى من اذهانهم ، سواء طال او قصر ، فحسبوا انهم لم يلبثوا من يوم خلقوا الى يوم يموتوا الا عشية او ضحاها ، اى طرفا من اطراف النهار لا نهارا كاملا ، وذلك لمفاجأتها لهم على غير استعداد لتوقعها ) " ١ "

اما مذهبه في علاماتها ، فليس له في ذلك كلام - فيما اعلم - الا في مسألة ظهور المسيح الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام .  
واليك ما ذكره الشيخ رشيد رضا في هذا المقام ، نقلا عن شيخه : " ٢ "  
قال الله تعالى : " ان قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومظهرك من الذين كفروا " . " ٣ "

قال رشيد : وهالك ما قاله الاستاذ الامام في ذلك :  
( يقول بعض المفسرين : " اني متوفيك " اى منومك .  
ومضمهم : اني قابضك من الارض بسوحك وجسدك .  
" ورافعك الي " : بيان لهذا التوفي .  
ومضمهم : اني انجيك من هؤلاء المعتدين فلا يتمكنون من قتلك ،  
واميتك حتف انك ، ثم ارفعك الي .  
وهذا قول الجمهور . " ٤ "

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٢٢ ، ٣٢٣ ) .

٢ - انظر تفسير المنار ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ص ٣١٦ ،

٣١٧ .

٣ - سورة ال عمران اية ( ٥٥ ) .

٤ - هذا ليس راي الجمهور ، وسأرد عليه بعد قليل بانن الله .

وللعلماء ههنا طريقتان :

( احدهما ) : وهي المشهورة انه رفع حيا بجسده وروحه ، وانه سينزل في اخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ثم يتوفاه الله تعالى ، ولهم في حياته الثانية على الارض كلام طويل معروف .

واجاب هؤلاء عما يرد عليهم من مخالفة القران في تقديم الرفع على التوفي

بأن الواو لا تفيد ترتيبا .

( والطريقة الثانية ) : ان الاية على ظاهرها وان التوفي على معناه الظاهر

المتبادر وهو الامامة العادية ، وان الرفع يكون بعده ، وهو رفع

الروح ، ولا بدع في اطلاق الخطاب على شخص واردة روحه ، فان

الروح هي حقيقة الانسان ، والجسد ،

والجسد كالثوب المستعار ، فانه يزيد وينقص ويتغير ، والانسان

انسان لان روحه هي ، هي .

ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في اخر الزمان تخريجان :

( احدهما ) :

انه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي ، لأنه من أمور الغيب ،

والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي ، لان المطلوب فيها

هو اليقين وليس في الباب حديث متواتر . " ١ "

( وثانيهما ) :

تأويل نزوله وحكمه في الارض بخليفة روحه ، وسر رسالته على الناس ،

وهو ما غلب في تعليقه من الامر بالرحمة ، والمحبة ، والسلم ، والاخذ

بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها ،

وهو حكمتها ، وما شرعت لاجله .

فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة ، ولكنه جاءهم بما  
يزحزحهم عن الجمود على ظواهر الفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على قبحها ،  
والمراد منها ، ويأمرهم بمراعاته ، وما يجذبهم الى عالم الارواح بتحرى كمال الاداب .

اما عن مسألة : ظهور المسيح الدجال ، فيقول الشيخ رشيد رضا ،  
ان الشيخ محمد عبده سئل عن المسيح الدجال ، وقتل عيسى له ، فقال :  
( ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة  
على وجهها والاخذ بأسرارها وحكمها ، وان القران اعظم هاد الى هذه الحكم  
والاسرار . وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم مبينة لذلك ، فلا حاجة للبشر الى  
اصلاح وراء الرجوع الى ذلك ) . ٢٠

مناقشة كلام الشيخ محمد عبده ، وتقرير مذهب السلف .

=====

استطيع ان احدد ثلاث نقاط ، فيما قاله الشيخ محمد عبده ، فيها

مجال لتعقيب ، وسأعقب على كل واحدة منها ، وهي :-

- ١ - دعوى ان راي الجمهور ان عيسى يموت في هذه الارض ، ثم ترفع روحه ...
- ٢ - قوله - نقلا عن اصحاب الراى الثاني - ( تاويل نزول عيسى وحكمه في الارض  
بخلبة روحه وسررسالته على الناس ) ... الخ .
- ٣ - تفسيره الدجال ، بظهور البدع ، وانتشار الخرافات ...

---

١ - وايضا : سيأتي الرد على هذا .

٢ - تفسير المنار ( ٣ : ٣١٧ ، ٣١٨ ) .



اقول :-

( اولاً ) : يرد على دعوى رأى الجمهور ان عيسى عليه السلام يتوفى في هذه الارض ثم ترفع روحه ٠٠٠ الخ ، بأن رأى الجمهور على خلاف

ذلك . كما ورد على لسان ائمة التفسير ، واهل الحديث .

قد اختلف المفسرون في قوله تعالى : " اني متوفيك ورافعك الي " .

فقال قتادة : هذا من المقدم والمؤخر ، وتقديره : اني رافعك الي ومتوفيك ،

يعني بعد ذلك .

وقال ابن عباس : اني متوفيك اي مميتك .

وقال وهب ابن منبه : توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه .

وقال مطر الوراق : اني متوفيك من الدنيا ، وليس بوفاة موت . وكذا قال

ابن جرير : توفيه هو رفعه .

وقال الاكثرون : المراد بالوفاة ههنا النوم .

قال الحسن " اني متوفيك " يعني وفاة المنام رفعه الله في مقامه . " ١ "

كما يرد عليهم بالاحاديث التي تفيد نزول عيسى عليه السلام ، وقتله

للدجال . " ٢ "

واصحاب هذا الراى الذى ذكره الشيخ محمد عبده يردون هذه الاحاديث

بانها احاديث آحاد ، ولكن لقد ثبت البحث ، والاستقصاء ان هذه الاحاديث

متواترة ، وصرح بهذا كثير من رجال الحديث ، وكتب العقيدة . " ٣ "

---

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ١ : ٢٨٦ ) ، الطبعة السابعة

١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م .

٢ - سيأتي قسم منها ، بعد قليل .

٣ - كما في رسالة الشيخ الغماري ، / وفي تفسير ابن كثير ( ١ : ٥٧٧ ) .

وانظر كتاب : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للمحدث الشيخ

محمد انور شاه الهندي ، تعليق الاستاذ عبد الفتاح ابي غدة .

وايضا يلزمهم لو اخذوا بهذه الاحاديث المتواترة كما صرح بعضهم بأن  
الله سبحانه وتعالى يحيى جسد عيسى ليقوم بالدور الموعود به من قتل المسيح  
الذجال والحكم بالقران والسنة النبوية المطهرة ، في الناس مدة من الزمان كخليفة  
للنبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وهم ان يقولون باحيائه بعد موته فرارا من مصادمة هذه الاحاديث ،  
يرتكبون اصعب مما فروا منه ، وهو رفع عيسى بالروح والجسد وان كان ليس هناك  
اصعب واسهل بالقياس الى قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولكن استبعادهم ان  
يرفع عيسى بالروح والسجد ، وان يبقى حيا هذه المدة الى ان يجيئ وقت نزوله  
، اشد استبعادا من احيائه بعد موته ، فهم قد فروا الى ما هو اشد استبعادا .  
يقول الاستاذ عبد الرحمن حنكة :

( وليس في اى امر من هذه الامور الخارقة استحالة على قدرة الخالق  
المعظيم ، فكل من رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بعد انقائه من القتلة ،  
والقاء شبهه على غيره ، ثم استمرار حياته في السماء وفق شروط خاصة تتم بقضاء  
الله وقدره ، ثم نزوله مرة ثانية الى الارض واقامته الشريعة الاسلامية ، امور  
ممكنة عقلا لا تحتاج الى اكثر من تعلق ارادة الله وقدرته بها ، واذا اراد الله  
امرا هيا له اسبابه ) . " ١ "

( ثانيا ) : وقول الشيخ محمد عبده - نقلا عن اصحاب هذا الراى الثانى -  
( تاويل نزوله وحكمه في الارض بخلبة روحه ، وسر رسالته على

الناس ) . . . ) ، غير واضح .

فهل يعنى بهذا المعنى حصول ما كان منه ايام نبوته في بني اسرائيل ؟  
وهذا المعنى الذى اوضحه الشيخ محمد عبده تفسيراً للنزول يلناه السياق لانه  
مذكور ضمن اشراط الساعة التي تجيئ ، اخر الزمان ، اى بعد رسالة محمد صلى

الله عليه وسلم ، وفي وقت طويل عليها ، واذا فيكون معنى غلبة روح عيسى عليه السلام ، وما ذكره معها من امور شيئاً يحدث اخر الزمان في اواخر امة محمد صلى الله عليه وسلم .

وذلك بعيد كل البعد لانه في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذه

المعاني ، التي اتى بها عيسى عليه السلام في بني اسرائيل ما هو اوفى واكمل

وانسب بامة محمد صلى الله عليه وسلم ، مما جاء لامة غيرها .

وعلى هذا فانا لا ارى لهذه الاقوال معنى ، واستبعد هذا .

وازيد الامروضوح بما ذكره العلماء من ان البشرية تدرجت في مراحل كمالها ،

فكانت في اول الامر ناقصة ، ثم ترقى الى ان بلغت نهاية كمالها على عهد محمد

صلى الله عليه وسلم .

وكانت الشرائع تأتيتها بما يناسب كل حالة من هذه الاحوال على ايدى الانبياء

الذين ارسلوا اليهم فكانت اخر رسالة هي اكمل الشرائع لتناسب اكمل اطوار الانسانية

التي بلغت .

واذا ، فلا يعقل ان تكون اكمل الشرائع بحاجة الى ان تستمير مما هو ناقص

منها . - والله اعلم .

وقد ايد الشيخ رشيد رضا هذا المعنى ، فقال :-

( هذا ما قاله الاستاذ الامام في الدرر مع بسط ، وايضاح ، ولكن

ظواهر الاحاديث الواردة في ذلك تآباه .

ولأهل هذا التأويل ان يقولوا :-

ان هذه الاحاديث قد نقلت بالمعنى ، كأكثر الاحاديث ، والناقل

للمعنى ينقل ما فهمه ) . " ١ "

( ثالثا ) : اقول :-

ليس هنالك ما يدعو الى ان نفسر الدجال بظهور البدع والخرافات ،  
فان ذلك بعيد جدا من ظاهر اللفظ خصوصا ، وقد صوره النبي صلى الله عليه  
وسلم ، بصورة انسان ، قائلا : انه اعور ، وانه مكتوب على جبينه كافر<sup>١</sup>  
يقرأها كل متعلم وغير متعلم .

الى هنا . ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في الساعة ، ونزول عيسى عليه  
السلام ، وظهور الدجال ، وهو كما رايت بعيد عن مذهب السلف ،  
وجمهور العلماء .

ولكون الشيخ رشيد لمط بالنصوص اكثر من استاذه ، فانه لم يقبل هذا  
التأويل الامر الذي حدا به الى ان يقول معلقا على كلام استاذه ( لكن ظواهر  
الاحاديث الواردة في ذلك تأباه . . . )  
وايضا تأويل الشيخ محمد عبده للدجال ، كما سبق فاسد ، ومخالف  
لما عليه جمهور اهل الحديث ، والفقهاء ، والنظار . . . وهو مذهب  
الخوارج ، والجهمية ، وبعض المعتزلة . . .<sup>٢</sup>

وهاك مذهب السلف ، وجمهور العلماء في الساعة واشراطها :-

قال صاحب الطحاوية :

( ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه  
السلام من السماء ، ونؤمن بظلمة الشمس من مغربها ، وخروج امة الارض من  
موضعها ) . . .<sup>٣</sup>

- 
- ١ - ستأتي بعض النصوص ، بهذا الخصوص ، بعد قليل باذن الله .
  - ٢ - انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي ( ١٨ : ٥٨ ) .
  - ٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٤ .

هذا هو ما يؤمن به السلف • فهم يؤمنون بالساعة • وانها آتية لا  
رب فيها • وان لها موعدا لا تخلفه • لا يعلمه الا الله • وهو مخفي عن  
الناس كلهم • وفيهم الرسل • والانبياء • وانه ليس في وسع احد • كائنا  
من كان • ان يعرف كم بقي من عمر الدنيا ومتى تكون الساعة • " ١ "

وفي ذلك آيات • واحاديث :

قال الله تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها • قل انما علمها  
عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تأتيمك الا بختة  
يسألونك كأنك خفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون " • " ٢ "

وقال تعالى : " يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكرها الى  
ربك منتهاها " • " ٣ "

وقال تعالى : " اقتربت الساعة وانشق القمر " • " ٤ "

وقال تعالى : " يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك  
لعمل الساعة تكون قريبا " • " ٥ "

---

١ - انظر : مجموع الفتاوى ( ٤ : ٣٤١ و ٣٤٢ ) /  
وانظر : فتح القدير للشوكاني ( ٥ : ٣٨١ ) / وانظر المعقائد الاسلامية  
لسيد سابق ص ٢٣٩ - ٢٥٠ / وانظر فتح الباري ( ١٣ : ٧٠ )  
وما بعدها •

٢ - سورة الاعراف اية ( ١٨٧ ) •

٣ - سورة النازعات الايات ( ٤٢ - ٤٤ ) •

٤ - سورة القمر اية ( ١ ) •

٥ - سورة الاحزاب اية ( ٦٣ ) •

وقال تعالى : " ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى " . " ١ " .  
أما الأحاديث فسادكرها عند الحديث عن اشواط الساعة ، ويكفي ان  
أشير هنا الى ان أحاديث الساعة متواترة يجب الايمان بها ، ويجب ان لا  
نفتريمن يدعي انها أحاديث آحاد ، فانهم جهال بهذا العلم ،  
وليس فيهم من تتبع طرقها ، ولو فعل لوجدها متواترة ، كما شهد بذلك  
ائمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره . " ٢ " .

- 
- ١ - سورة طه آية ( ١٥ ) .
  - ٢ - من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية  
ص ٥٦٥ ، الهامش .

## أشراط الساعة

=====

والسلف يؤمنون بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من علامات

الساعة وأشراطها ،

ويقولون : قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر للساعة علامات

صغرى معظمها يدور حول فساد الناس في اخر الزمان ، وظهور الفتن بينهم ،

ومحمد هم عن سبيل الاسلام وطريق الحق . . . . . وعلامات كبرى .

فأما العلامات الصغرى فقد ورد فيها جملة من الاحاديث الصحيحة اذكر

منها : " ١ "

١ - ما اخرج به البخارى ومسلم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " بعثت

انا والساعة كهاتين " وأشار بالسبابة والوسطى . " ٢ "

وقد اشار صلى الله عليه وسلم باصبعيه : السبابة ، والوسطى

للاشارة الى صغرا وقللة الفرق بينهما ليدل على ان الفرق بينه وبين الساعة

قليل .

وايضا ، فهذا الحديث يدل على ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وختم النبوة والرسالة به ، من علامات قرب الساعة .

ففي الحديث دلالة على ان النبي عليه الصلاة والسلام ليس بينه وبين

الساعة نبي اخر ، فهي تليه ، وتأتي بعده وهذا اخبار يقرب وقوعها .

---

١ - يتصرف : عن كتاب الايمان : اركانه ، حقيقته ، نواقضه ،

للدكتور محمد نعيم ياسين ، ص ٧١ وما بعدها .

٢ - انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ( ١١ : ٢٩٣ ) .

٣ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٣٩ .

وانظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ( ١١ : ٢٩٣ ) .

- ٢ — وفي حديث جبريل عليه السلام ، انه سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال صلى الله عليه وسلم " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل " قال : فاخبرني عن آياتها ؟ قال : ان تلد الامة ريشها " ١ " وان ترى الحفاة العرابة ، العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان " ٢ " .
- ٣ — : واخرج البخاري عن ابي هريرة رضي اللغ عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
- " لا تقوم الساعة حتى تقتتل فقتان عظيمتان " ٣ " ، يكون بينهما مقتلة عظيمة ،

- 
- ١ — قال ابن حجر في هذا المعنى : ان يكثر العقوق في الاولاد ، فيعامل الولد امه معاملة السيد امته من الالهانة بالسب ، والضرب ، والاستخدام . فاطلق عليها ريشا مجازا لذلك .
- او المراد بالرب : المربى فيكون حقيقة وهذا وجه . والوجه عندى لعمومه ولان القام يدل على ان المراد حالة : تكون مع كونها تدل على فساد الاحوال مستخرجة . ومحصله : ان الساعة يقرب قيامها عند انعكاس الامور بحيث يصير المربى مربيا ، والسافل طالبا ، والحفاة طوك الارض .
- / انظر فتح الباري ( ١ : ١٠١ ) .
- ٢ — متفق عليه : انظر فتح الباري ( ١ : ٩٦ ، ٩٧ ) / وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١ : ١٥٧ ) .
- قال القرطبي : ومعنى تطاول رعاء الشاء في البيان : الاخبار عن تبدل الحال بأن يستولي اهل البادية على الامر ، ويتملكوا البلاد بالقهر ، فتكثر اموالهم ، وتنصرف همهم الى تشييد البنيان والتفاخر به . وقد شاهدنا ذلك في هذا الزمان / انظر فتح الباري ( ١ : ١٠١ ) .
- ٣ — قال ابن حجر : المقصود فئة علي ومن معه ، وفئة معاوية ومن معه .
- / انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١٢ : ٧٢ ) .



دعوتها واحدة • وحتى يموت " ١ " دجالون كذابون قريب من ثلاثين " ٢ " كل  
يزعم انه رسول الله ، وحتى يقبض العلم " ٣ " وتكثر الزلازل ، ويقارب الزمان ،  
وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال ، فيفيض ،  
حتى يهيم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه ، فيقول الذي يعرضه عليه :  
لا ارب لي به ، وحتى يتناول الناس في البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل  
فيقول : يا ليتني مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها " ٥ " ، فاذا طلعت  
ورآها الناس آمنوا اجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل  
او كسبت في ايمانها خيرا • ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا  
يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد اعترف الرجل بلبن لقمته " ٦ " فلا  
يطعمه ، ولتقوم الساعة وهو يليب " ٧ " حوضه فلا يسقي منه ، ولتقوم من  
الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها " ٨ "

- ١ - اى يظهر •
- ٢ - مثل الاسود العنسي صاحب صنعا ، ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة ،  
ومن هؤلاء من المتأخرين مؤسس القاديانية والبهائية • / انظر العقائد  
الاسلامية لسيد سابق ص ٢٤٠ ، الهامش •
- ٣ - اى يقبض علماء الدين ، والدعاة الى الله عز وجل • /  
انظر العقائد الاسلامية ص ٢٤٠ ، الهامش •
- ٤ - المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان • فتكون السنة في بركتها  
والانتفاع بها كالشهر ، والشهر كالجمعة ، والجمعة كالنوم ، والنوم  
كالساعة • / انظر فتح الباري ( ١٣ : ١٣ ) •  
وانظر : تيسير الوصول الى جامع الاصول ، لابن الدبيح الشيباني ( ٩١ : ٤ ) •
- ٥ - هذه من العلامات الكبرى ، وثيقة العلامات المذكورة في الحديث صغرى •
- ٦ - اللقحة : هي الناقة ذات اللبن •
- ٧ - اى يصلحه بالطيبين •
- ٨ - اخرجه البخارى ، انظر فتح الباري ( ١٣ : ٧٠ - ٧٦ ) •

هذا الحديث أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه ، وهو يدل على وقوع بعض امارات الساعة ، ومنها ما وقع فعلا مثل : اقتتال علي ومعاوية ، وظهور الدجالين ، وانقباض العلم ، وكثرة الزلازل ، وتقارب الزمان ، وظهور الفتن ، وكثرة القتل ، والتطاول في البسيان ، وقية العلامات لم تظهر بعد .

٤ - : وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويكثر النساء ، ويقل الرجال حتى ليكون لخمسين امرأة قيم واحد " .

وهذه العلامات وقعت كلها الا العلامة الاخيرة ، التي يدو انها قريبة

الوقوع لكثرة القتل وموت الرجال .

٥ - : وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : متى الساعة ؟

فقال : " اذا ضيعت الامة فانتظر الساعة " قال : وكيف اضيعها ؟

قال : " اذا اسند الامر لخيرا هله فانتظر الساعة " . " ١ "

٦ - : وعن ابي هريرة ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تقوم الساعة

حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء

الحجر ، والشجر ، ويقول الحجر والشجر : يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا

يهودي خفي فتعال فاقتله ، الا الفرقة فانه من شجر اليهود " . " ٢ "

٧ - : وهناك احاديث اخرى صحيحة ، ذكرت لنا علامات اخرى تظهر قبل قيام

الساعة ، ويمكن الرجوع اليها في كتب الصحاح . " ٣ "

- 
- ١ - انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١١ : ٢٧٩ ) .
  - ٢ - أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٤٤ ) .
  - ٣ - تجد ذلك في الصحيحين ، في كتاب الفتن واشراط الساعة ، . . . وفي مواضع اخرى متفرقة .

ولا شك ان هذه العلامات يؤمن السلف بها ، وان لم يتواتر الخبر  
بوجودها لثبوت صحتها عن المصوم صلى الله عليه وسلم .  
ومن المومنين حقا ان يظهر من بين المسلمين من يتجرا على الكلام فيها ،  
ولا يقبلها ، وهو يعلم انها ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سيما والامر  
دين وعقيدة . " ١ "

واما العلامات الكبرى ، فقد ورد في الاخبار الصحيحة عن الرسول صلى  
الله عليه وسلم ، ذكر عشر منها .  
ففي حديث حذيفة بن اسيد الغفاري ، قال : ( اطلع النبي صلى الله  
عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة .  
قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشرايات ، فذكر : الدخان ، والدجال ،  
والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، وبأجوج ومأجوج ،  
وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ،  
واخر ذلك : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ) . " ٢ "

واليك بيان ما يحتاج شرحا من هذه الايات :

( الاولى ) : الدخان :

=====

لقد ورد في بيان اشارة الدخان عن عدة من اجلاء الصحابة انه يخرج دخان  
فياخذ المؤمن كهيئة الزكام ، ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس  
المشوى على الجمر . " ٣ "

- 
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٥ ، الهامش .
  - ٢ - اي الى مكان محشرهم ، / انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٢٧ ) .
  - ٣ - انظر العقيدة الاسلامية ، واسسها ( ٢ : ٢٣٦ ) .

(الثامنة) : الدجال :

===== الدجال هو الكذاب شديد الدجل .

والدجل في اللغة هو التفتية ، وسعي الكذاب دجالا لانه يخطي

الحق بباطله .

وان من امارات الساعة الكبرى ظهور شخص سماه الرسول صلى الله عليه

وسلم بالدجال ، لكثرة تدجيله وكذبه ، يدعي الالهية ويحاول ان يفتن الناس عن

دينهم بما يوجد من خوارق العادات ، وعجائب الامور ياذن الله سبحانه وتعالى ،

فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين امنوا ، فلا يخذعون بدجله وضلاله ،

ثم ياذن الله بالقضاء على فتنه ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله .

ومن الاحاديث التي ورد فيها ذكره :

أ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله

عليه وسلم في الناس ، فأنتفى على الله بما هو اهلله ، ثم ذكر الدجال فقال :

" اني لا نذركموه ، وما من نبي الا وقد اذره قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا

لم يقله نبي لقومه : انه اعور وان الله ليس باعور " . " ١ "

ب - روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( لانا اعلم

بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، احدهما راي العين ماء ابيض ، والاخر

راي العين نار تاجج . فاما ادركن احد فليأت النهر الذي يراه تارا ، وليفحص

ثم ليطأ في رأسه فيشرب منه فانه ماء بارد ، وان الدجال مسح العين طيبها

ظفرة " ٢ " غليظة مكتوب بين عينيه كافر ، يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ) . " ٣ "

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١٣ : ٨ ) / صحيح مسلم بشرح النووي

( ١٨ : ٥٩ ) .

٢ - بفتح الظاء والفاء وهي جلدة تنشى البصر ، اولحة تنبت عند المأقي .

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٩١ ) .

ج :- وعن النّوأس بن سمان ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

الدجال فقال :

" ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجة دونكم ، وان يخرج ولست فيكم قاموا

حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، انه شاب ققط " ١ ، عينه

طاوية ، كاني اشبهه بعبد المعزى بن قطن ، فمن ادركه منكم فليقرأ عليه بفواتح

سورة الكهف فانها جواركم من فتنته ، وانه خارج خلة " ٢ بين الشام والمراق ،

فماك يميننا وطك شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا " .

قلنا : يا رسول الله اوما لبثه في الارض ؟

قال : " اربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر ايامه

كايامكم " .

قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم ؟

قال : " لا ، اقدروا له قدره " .

قلنا : يا رسول الله وما اسراجه في الارض ؟

قال : " كالغيث استديرته الريح ، فيأتي على القوم ، فيدعوهم فيؤمنون به ،

فيأمر السماء فتسطر ، والارض فتنبث ، فتروح عليهم سارحتهم " ٣ " اطول ما

كانت ذرى " ٤ " واسبغ " ٥ " ضروبا ، وامده خواصر " ٦ " ، ثم يأتي القوم

فيدعوهم ، فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مسحين ليس بايديهم

١ - اى شديد جمودة الشعر .

٢ - طريق بين الشام والمراق .

٣ - السارحة : هي الماشية التي تسرح اى تذهب اول النهار الى المرعى .

٤ - جمع ذروة ، وهي الاعالي والاسنمة .

٥ - اى اطوله ، وهي كثيرة اللبن .

٦ - لكثرة امتلائها من الشبع .

شيء من اموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : اخرجي كنوزك ، ففتحته كنوزها ،  
كما سيب النحل . " ١ "

ثم يدعو رجلا مثلثا شابا ، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين " ٢ " رمية  
الغرض " ٣ " ثم يدعو فيقبل ، ويتهلل وجهه ويضحك . " ٤ "

فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة  
البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين " ٥ " واضعا كفيه على اجنحة ملكين ، اذا  
طأ رأسه قطر ، واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ " ٦ " ، فلا يحل لكافر

- 
- ١ - اى جماعة النحل ، واليعاسيب هي ذكور النحل .
  - ٢ - اى قطعتين .
  - ٣ - اى يجمل القطعتين مقدار رمية السهم الى الهدف .
  - ٤ - وفي حديث اخر لمسلم ان الدجال يمشي بين القطعتين ، ثم يقول له :  
قم فيستوى قائما ، ثم يقول له : اتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددت  
الا بصيرة ، قال : ثم يقول : يا ايها الناس انه لا يفعل بمسدي  
ياحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجمل ما بين  
رقبته الى ترقوته نحاسا ، فلا يستطيع اليه سبيلا ، قال : فيأخذ  
بيديه ورجليه ، فيقذف به ، فيحسب الناس انما قذفه الى النار ،  
وانما القي في الجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا  
اعظم الناس شهادة عند رب العالمين .
  - ٥ - حطتين فيهما صفرة خفيفة ، او ثوبين مبهوتين .
  - ٦ - اى حبات تشبه اللؤلؤ بصفائها .
  - ٧ - اى لا يمكن ، ولا يقع لكافر .

يجد ربح نفسه الامات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى  
يدركه بباب لد " ١ " فقتله ، ثم يأتي عيسى الى قوم قد عصمهم الله منه ،  
فيمسح عن وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك اذ اوحى  
الله الى عيسى : اني قد اخرجت عمادا لي لايدان لاحد بقتالهم ، فحرز  
عمادى الى الطور " ٢ " .

ويبعث الله يا جوج وياجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمراواثلهم  
على بحيرة طبرية ، فيشربون ما فيها ، ويمراخرهم ويقول : لقد كان بهذه  
مرة ماء ، ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس ،  
فيقولون : لقد قتلنا من في الارض ، هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمسون  
بشبابهم الى السماء ، فيرد الله عليهم شبابهم مخضومة دما ، ويحصرني  
الله واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحد هم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم ،  
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه " ٣ " فيرسل الله عليهم النصف " ٤ " في وقايتهم  
، فيصبحون فرس " ٥ " كموت نفس واحدة .

ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض ، فلا يجدون في الارض  
موضع شبرا الا ملاء زهمهم " ٦ " وتنتهم .  
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله ، فيرسل الله طيرا كاعناق  
البخت " ٧ " فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

---

١ - اللد : بلدة معروفة بفلسطين ، من اعمال بيت المقدس .

٢ - اى اذهب بهم الى الطور ليكون لهم حرزا .

٣ - اى يدعون الله .

٤ - وهو دود يكون في انوف الابل والغنم .

٥ - اى قتلى .

٦ - اى دسمهم .

٧ - نوع من الابل طوال الاعناق .

ثم يرسل الله مطرا لا يمكن منه هيمت طدر ، ولا وير ، فيفسل الارض

حتى يتركها كالزلفه \* ١ \*

ثم يقال للارض : انبتي ثموتك ، ووردي بركتك ، فيومئذ تاكل

المصابة \* ٢ \* من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويمارك في الرسل \* ٣ \* حتى

ان اللقحة من الابل \* ٤ \* لتكفي الفئام \* ٥ \* من الناس ، واللقحة من البقر

لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الخنم لتكفي الفخذ من الناس .

فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت اباظهم ،

فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس يتهاجرون فيها تهارج

الحر \* ٦ \* فعليهم تقوم الساعة \* ٧ \*

اقول :- هذه الاحاديث ، وغيرها تبطل ما ذهب اليه الشيخ محمد

عبده ، وهو ان الدجال رمز للخرافات والدجل ، والقبايح . . . الخ . وهي

حجة لمذهب اهل السنة والجماعة في وجوب الاعتقاد بظهور الدجال حسب ما اخبر

به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . وما وصفه به من الصفات ، وما يؤول امره

اليه ، وانه من العلامات الكبرى لقيام الساعة .

قال النووي رحمه الله :

( الاحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب اهل

الحق في صحة وجوده ، وانه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده ، واقدره

على اشياء من مقدورات الله تعالى . من احياء الميت الذي يقتله ، ومن ظهور

١ - اي كالمراة .

٢ - اي الجماعة .

٣ - الحليب .

٤ - وهي الناقة الحلوب .

٥ - الجماعة الكثيرة .

٦ - اي يتسافدون علانية كتسافد الحمير .

٧ - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٦٣ ) وما بعدها .



زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهره ، واتجاع كنوز الارض له  
، وامره السماء ان تمطر ، فتمطر ، والارض ان تثبت فثبت ، فيقع كل  
ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ، فلا  
يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ، ويبطل امره ، ويقتله عيسى صلى الله عليه  
وسلم ويثبت الله الذين آمنوا . . .  
( الى ان قال ) :

( وهذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ،  
خلافا لمن انكره وابطل امره ، من الخواج والجهمية وبعض المعتزلة ، وخلافا  
لمن ادعى انه صحيح الوجود وان الذي يدعيه مخارف وخيالات لا حقائق لها ،  
وزعموا انه لو كان حقا لم يوتق بمعجزات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم .  
وهذا غلط من جميعهم ، لانه لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له ،  
وانما يدعي الالهية ، وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل  
الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن ازالة المور الذي في عينه ، وعن  
ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ، ولهذه الدلائل وغيرها لا يختبره الا  
رطاع من الناس ، لسد الحاجة والفاقة ، رغبة في سد الرق ، او تقية وخوفا  
من اذاه ، لان فتنته عظيمة جدا ، تدهش العقول وتحير الالباب ، مع  
سرعة مروره في الامر ، فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث  
فيه والنقص ، فيصدق من صدقه في هذه الحالة .  
ولهذا حذرت الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين من فتنته ، ونهبوا  
على نقصه ، ودلائل ابطاله . واما اهل التوفيق فلا يخترون به ، ولا  
يخدعون لما معه لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له ، مع ما سبق لهم من العلم  
بحاله ) . . . ١

فإذا قيل : كيف يجرى الله الآيات الباهرات على يده ، والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء . كما اثبتنا ذلك في الباب الثالث ، في الفصل الخامس عند الحديث عن دلالة المعجزة ؟

فقد قال الخطابي في الجواب عن هذا التساؤل :

( الجواب انه على سبيل الفتنه للعباد . ان كان مندهم ما يدل على انه مبطل غير محق في دعواه ، وهو انه اعور مكتوب على جبهته كافر ، يقروءه كل مسلم . فدعواه داخضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر ، ان لو كان الها لزال ذلك عن وجهه .

وايات الانبياء مالمه من المعارضة ، فلا يشتبهان ) " ١ "

قال ابن حجر :

( وفي الدجال مع ذلك دلالة بيينة لمن عقل على كذبه ، لانه ذو اجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر ، مع ظهور الافة به من عور عينه ، فاذا دعا الناس الى انه ربهم ، فأسوا حال من يراه من ذوى العقول ان يعلم انه لم يكن يسوى خلق غيره ، ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل ما يجب ان يقول :

يا من يزعم انه خالق السماء والارض ، صور نفسك ، وعدل لها ، وازل عنها العاهة ، فان زعمت ان الرب لا يحدث في نفسه شيئا فأزل ما هو مكتوب بين عينيك ) " ٢ "

١ - نقله ابن حجر المسقلاني في فتح الباري ( ١٣ : ٨٩ ) .

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٣ : ٨٩ ) .

( الثالثة ) : الدابة •

=====

• خروج الدابة من الايات التي اشار الله اليها في القران الكريم •

قال الله تعالى : " واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان

الناس كانوا باياتنا لا يوقنون " • " ١ "

وهي دابة عظيمة ، ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان ، تخرج في

اخرا الزمان عند فساد الناس ، وتركهم اوامر الله ، وتبديلهم دينه ، فتكلمهم

بأن الناس كانوا بايات الله لا يوقنون • " ٢ "

اما الاحاديث : ، فقد ورد في ذكر الدابة احاديث كثيرة ، بعضها

• صحيح •

وليس فيما صح من تلك الاحاديث وصف لهذه الدابة ، وما ذكره الناس

من اوصافها فقد ورد في روايات لم تبلغ حد الصحة • " ٣ " والمؤمن لا تعنيه معرفة

هذه الاوصاف ، وحسبه ان يقف عند النص القراني ، والحديث الصحيح الذي

يفيد ان خروج الدابة من علامات الساعة • وانه اذا ما انتهى الاجل الذي تنفع فيه

التوبة ، وحق القول على الباقيين ، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك ، وانما يقضى عليهم

بما هم عليه • عندئذ يخرج الله لهم دابة تكلمهم ، وتتصرف على المؤمن وعلى

الكافر •

قال الامام الرازي :

( واعلم انه لا دلالة في الكتاب على شيء من هذه الامور ، فان صح

الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل ، والا . لم يلتفت اليه ) • " ٤ "

١ - سورة النمل آية ( ٨٢ ) •

٢ - انظر : العقيدة الاسلامية واسمها ( ٢ : ٣٣٧ ) •

٣ - انظر : فتح القدير للشوكاني ( ٤ : ١٥١ ) •

٤ - انظر : العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ( ٢٤٣ ) ، نقله عن الامام الرازي •

وان خروج الدابة غيب من الغيوب التي ( يجب علينا الوقوف عند ما اخبر به  
القران والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيها سوى ان دابة ستخرج وتكلم الناس وذلك  
من امارات الساعة ) \* ١ \*

وسيكون كلامها للناس من قبيل كلام الهدد والنملة مع نبي الله سليمان  
عليه السلام \* ٢ \*

واذا كان الناس لا يعهدون تكليم الدواب ، فان الخالق القادر يمكنها ،  
ويمكنهم من ذلك . فيفهم منها الناس ، ويعلمون انها الاية الخارقة المنبئة بقيام  
الساعة ، او اقترابها ، وقد كان منهم من قبل من لا يؤمن بايات الله ولا يصدق  
بيوم القيامة \* ٣ \*

وحاصله :

ان السلف وجمهور اهل الحديث ، والتفسير يؤمنون بظهور الدابة ،  
كاحدى علامات يوم القيامة . ويقولون : انه ورد في صفتها ، ومكان خروجها ،  
وما تصنعه مع الناس احاديث كثيرة بعضها صحيح ، وبعضها حسن ، وبعضها  
ضعيف .

واما كونها تخرج ، وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك  
صحيحة ، ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوع ( لا تقوم الساعة  
حتى تروا عشرايات الدخان ، والدجال ، والدابة . . . ) فانه في صحيح  
مسلم ، وفي السنن الاربعة ، وكحديث : ( يادروا بالاعمال قبل طلوع الشمس من  
مغربها والدجال والدابة ) فانه في صحيح مسلم ايضا من حديث ابي هريرة مرفوع .  
وكحديث ابن عمر مرفوع : ( ان اول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها  
وخروج الدابة على الناس ضحى ) فانه في صحيح مسلم ايضا \* ٤ \*

١ - المعقائد الاسلامية ص ٢٤٣ .

٢ - نفس المرجع ص ٢٤٤ .

٣ - انظر : في ظلال القران ، لسيد قطب ( ٦ : ٣٠٨ ) .

٤ - انظر : فتح القدير ( ٤ : ١٥٣ ) .

(الرابعة) : طلوع الشمس من مفرها •

=====

هذه الآية بداية التفسير الذي يحدثه الله على نظام الكون في الحياة الدنيا ، حيث تظهر للبشر امور غير ما لوفة تنبؤهم بقرب وقوع الساعة ، اولها طلوع الشمس من المغرب ، وقد كان الناس من قبل يصعدون طلوعها من المشرق • وقد ورد في بعض الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان هذه الآية تكون اول العلامات الكبرى ظهورا •

فقد روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله

عليه وسلم ،

قال : " ان اول " ١ " الايات خروجا طلوع الشمس من مفرها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وايهما كانت قبل صاحبتهما فالاخري على اثرها قريبا " ٢ " •

---

١ - قال ابن حجر فيما يتعلق بترتيب ظهور علامات الساعة الكبرى ما نصه :

( فالذي يترجح من مجموع الاخبار ان خروج الدجال اول الايات العظام

المؤذنة بتخريف الاحوال العامة في معظم الارض ، وينتهي ذلك بموت عيسى

ابن مريم • وان طلوع الشمس من المغرب هو اول الايات العظام المؤذنة

بتخريف احوال العالم العلوي وينتهي ذلك بقيام الساعة •

ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ،

والحكمة في ذلك انه عند طلوع الشمس من المغرب يفلق باب التوبة فتخرج

الدابة تميز المؤمن من الكافر ، تكميلا للمقصود من اغلاق باب التوبة ، واول

الايات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس من المشرق الى المغرب •

فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ١١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ) •

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٦ •

٢ - فتح الباري ( ١١ : ٢٩٧ ) ، وصحيح مسلم بشرح النووي

( ١٨ : ٧٧ ) •

وجاء في صحيح البخارى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : \* لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت فرآها  
الناس امنوا اجمعون فذاك ( حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت  
في ايمانها خيرا ) \* ١ \*

وقد قال كثير من المفسرين ما حاصله :

معنى الاية : ان الكافر لا ينفعه ايمانه بعد طلوع الشمس من  
المغرب وكذلك العاصي لا تنفعه توبته ، ومن لم يعمل صالحا من قبل ، ولو كان  
مؤمنا لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب \* ٢ \*

( الخامسة ) : نزول عيسى بن مريم عليه السلام \*

=====

فقد دلت السنة الصحيحة ، واجمعت الامة على ان عيسى عليه السلام ينزل  
في اخر الزمان ، قرب الساعة ، اثناء وجود الدجال ، فيقتل الدجال ، ويحكم  
بشريعة الاسلام ثم يمكث في الارض ما شاء الله ان يمكث ، ثم يموت ، ويصلي  
المسلمون عليه ، ويدفن \* ٣ \*

وقد ورد بذلك احاديث صحيحة ، تقدم بعضها في الحديث الذى رواه

النوامى بن سمان ، السابق \*

وقد اشار القران الكريم الى نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى :

أ : قال تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة

يكون عليهم شهيدا " \* ٤ \*

---

١ - سورة الانعام اية ( ١٥٨ )

٢ - انظر : فتح البارى شرح صحيح البخارى ( ١١ : ٢٩٧ )

٣ - خلافا لما قاله الشيخ محمد عبده نقلا عن بعضهم ان عيسى يموت في الارض ثم  
يرفع الله روحه اليه ، وللاول هو قول الجمهور -

٤ - سورة النساء اية ( ١٥٩ )

اي ان الاحياء من اهل الكتاب في ذلك الوقت سيؤمنون بعيسى عليه السلام  
ايماننا صحيحا ، وذلك بان يؤمنوا بانه عهد الله ، ورسوله ، وكلمته القاها الى  
مريم ، وهذا الايمان به سيكون قبل موته ، وانما يكون ذلك عند نزوله من  
السماء قبيل الساعة \* ١ \*

ب : - قال تعالى " وانه لعلم للساعة فلا تفتن بها واتبعون هذا صراط مستقيم " \* ٢ \*  
ففي هذه الاية اشارة الى ان نزوله من السماء اخر الزمان من امارات الساعة ،  
وعلاماتها قرب وقوعها اخذا من قوله تعالى " وانه لعلم للساعة " كما قال بذلك  
ابن عباس ، والحسن البصري ، وقتادة \* ٣ \*

ج : - قال تعالى " ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين " \* ٤ \*  
قال ابن زيد : قد كلمهم عيسى عليه السلام في المهد ، وسيكلمهم اذا  
قتل الدجال وهو يومئذ كهل \* ٥ \*

ومن الاحاديث الواردة في ذكر نزول عيسى عليه السلام ، ايضا : -  
أ : - ما رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم :

" والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب " \* ٦ \*

- 
- ١ - انظر : العقيدة الاسلامية ، واسمها ( ٢ : ٣٣٥ ) .
  - ٢ - سورة الزخرف اية ( ٦١ ) .
  - ٣ - المرجع السابق ( ٢ : ٣٣٦ ) .
  - ٤ - سورة ال عمران اية ( ٤٦ ) .
  - ٥ - المرجع السابق ( ٢ : ٣٣٦ ) .
  - ٦ - المراد : انه يكسره حقيقة ، ويهبط تعظيم النصارى له ، وقيل ان المراد  
اظهار كذب النصارى حيث ادعوا ان اليهود صلحوا عيسى عليه السلام على  
خشب / انظر الدين الخالص ( ١ : ٩٢ ) .

ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية " ١ " ويفيض المال " ٢ " حتى لا يقبله احد ،  
حتى تكون السجدة الواحدة خيرا " ٣ " من الدنيا وما فيها " ٤ " .  
ب :- ما رواه احمد ، وابوداود ، وابن جرير ، بطرق مختلفة عن ابي هريرة  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الانبياء اخوة لعلات " ٥ " امهاتهم  
شقي ودينهم واحد ، واني اولى الناس بعيسى بن مريم ، لانه لم يكن نبي  
بيني وبينه ، وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه : رجل مروع ، الى الحمرة ،  
والبياض ، عليه ثوبان مصران ، كان رأسه يقطروان لم يصبه بلل ، فيدق  
الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويدعو الناس الى الاسلام ، ويهلك  
الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الارض  
اربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون " .  
فهذه الاحاديث وغيرها ، تنص على نزول عيسى عليه السلام ، وهناك  
احاديث اخرى صحيحة ، يخفينا عنها ما ذكرنا " ٦ " .

---

١ - المقصود بوضع الجزية : ان عيسى عليه السلام يسقطها عن اهل الكتاب فلا  
يقبل منهم الا الاسلام وهذا يدل على ان قبول الجزية في الاسلام ، محدد  
بنزول عيسى عليه السلام وليس في وضع عيسى للجزية نسخ لشريعة محمد صلى  
الله عليه وسلم . / انظر الدين الخالص ( ١ : ٩٣ ) .  
٢ - اي يكثر المال بسبب ما ينشره عيسى عليه السلام من العدل بين الناس .  
٣ - المقصود ان رغبات الناس في اقتناء المال تقل لقصر امالهم ، وعلمهم بقرب  
وقوع الساعة ، وتكثر رغبتهم في العبادة ، والطاعة .  
٤ - متفق عليه .

٥ - قال ابن الاثير في النهاية :  
اولاد العلات : الذين امهاتهم مختلفة وابوهم واحد . اراد ان

ايمانهم واحد ، وشراعتهم مختلفة .

انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٢٩ .

٦ - انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري ( ٧ : ٣٠٢ ) / صحيح مسلم =



وخلصتها :

انها احاديث متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، تفيد اليقين بنزول

عيسى عليه السلام . وهي من رواية جمع من الصحابة منهم : ابو هريرة ، وابن مسعود وعثمان بن ابي العاص ، وابوامامة ، والنوايس بن سمعان ، وجد الله ابن عمرو بن العاص ، ومجمع بن حارثة ، وحذيفة بن اسيد ، رضي الله عنهم اجمعين .

فيجب على كل مسلم ان يصدق بذلك ، وان يعتقد بما اخبره الرسول صلى

الله عليه وسلم ، وما اجمع عليه المسلمون ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يظلمه . كما قال القاضي عياض :

( نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق ، وصحيح عند اهل السنة

للاحاديث الصحيحة في ذلك ، وليس في العقل ولا في الشرع ما يظلمه ، فوجب اثباته . وانكر ذلك بعض المعتزلة ، ومن واقفهم ، وزعموا ان الاحاديث مردودة

بقوله تعالى : " وخاتم النبيين " ، " ١ " وقوله صلى الله عليه وسلم " لا نبي بعدي " واجماع المسلمين انه لا نبي بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وان شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لا تنسخ .

وهذا الاستدلال فاسد ، لانه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام

انه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولا في هذه الاحاديث ولا في غيرها شي من هذا

---

= بشرح النووي ( ٢ : ١٨٩ ) ، وصحيح الترمذي ( ٩ : ٧٦ ) /

وسنن ابن ماجه المجلد الثاني كتاب الفتن .

والفتح الرباني ( ٢ : ١٤٣ ) للساعاتي ، مطبعة الفتح الرباني .

الطبعة الاولى .

١ - سورة الاحزاب اية ( ٤٠ ) .

بل نصت هذه الاحاديث انه ينزل حكماً مقسطاً يحكم بشرعنا ، ويحيي من امور شرعنا  
ما هجوه الناس ) \* ١ \*

ويجب ايضاً على كل مسلم ان يعتقد بما اخبر به القران من ان عيسى عليه  
السلام لم يقتله اليهود ، ولم يصلب ، وانما رفعه الله اليه ، وانه لن يموت حتى  
ينزل قبل قيام الساعة ، كما مر .

قال الله تعالى : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله  
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من  
علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً وان من  
اهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً " \* ٢ \*

فانظر الى قوله تعالى " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " .  
وفي تفسير قوله تعالى " وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته " .  
تجد ان عيسى عليه السلام لم يموت ، ولم يصلب ، وسوف يؤمن به اهل الكتاب من  
يهود ونصارى على انه عبد لله ، كما جاء في القران ، وهذا الايمان به سيكون  
قبل موته عند نزوله من السماء .

قال الامام ابن كثير :

( قال ابن جرير : واولى هذه الاقوال بالصحة القول الاول ، وهو انه لا يبقى  
اخذ من اهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام الا امن به قبل موت عيسى عليه  
السلام .

ولا شك ان هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح لانه المقصود من سياق الآي  
في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من  
النصارى الجهلة ذلك .

١ - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٧٥ ، ٧٦ ) .

٢ - سورة النساء ( الايات ١٥٧ - ١٥٩ ) .

فأخبر الله انه لم يكن الامر كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبيه ، وهم لا يشبهون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حي ، وانه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة . فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، فأخبرت هذه الآية الكريمة انه يؤمن به جميع اهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ) . " ١ "

هذا هو مذهب السلف رض الله عنهم في نزول عيسى عليه السلام ، وهو ما يؤمن به ، ونعتقده ، وندعو الناس الى الايمان به .  
وهو يظهر فساد ، وظلال ما حكاه الشيخ محمد عبده عن بعض العلماء

واخذ به ، وسقوط تخريجهم ، السابق .  
فالاحاديث ليست احاديث احاد ، بل متواترة كما مر ، ولا داعي لتأويلها تأويلا يخدعها عن معناها الصحيح . " ٢ "

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ، ما ارد به الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على الشيخ محمد عبده ، بهذا الخصوص ، قال :

( ١ ) اذا تبين لك هذا " ٣ " فلا بد ان تعرض لمسألتين تتعلقان بهذا الصدد ، تكشف فيهما عن وجه الحقيقة العلمية التي لا ينهني ان يصار الى غيرها .  
المسألة الاولى :

=====

ان بعض الكاتبيين من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده انكروا ان يكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قد رفع بجسده الى السماء ، قالوا : وانما هو ارتفاع

- ١ - تفسير ابن كثير ( ١ : ٥٧٧ ) .
- ٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٣١٦ ، ٣٣٢ - ٣٣٩ ) .
- ٣ - المقصود رفع عيسى عليه السلام حيا الى السماء بروحه وجسده ، ثم نزوله الى الارض قرب قيام الساعة .

الروح او الدرجة ، ومن ثم فانهم انكروا نزوله الى الارض ايضا قرب قيام الساعة .  
وقد كتب في ذلك الشيخ " محمود شلتوت " مقالا في مجلة " الرسالة " عدد

( ٤٦٢ ) اعقبه بكتابة مقالات اخرى في نفس المبحث ، وكان الذي انتهى اليه  
في مقالاته تلك هو : تأويل الايات الواردة والاعراض عن الاحاديث الكثيرة الثابتة

زاعما انها احاديث احاد لا يصلح ان يقام عليها الاعتقاد .

ولعلك قد قرأت ما كتبناه عن موقف المعلم والعقل من المعجزة في بحث

النبوات ، ووقفت اذ ذاك على قصة المدرسة التي قامت تنكر المعجزة لدور ان تنكر

الدين صراحة ، كما وقفت على سر انبعاث تلك المدرسة ، والظروف المكونة

لها . " ١ "

فاذا ذكرت ما قد قلناه اذ ذاك فاعلم ان انكار نزول عيسى عليه الصلاة

والسلام رغم ما ثبت في ذلك من الادلة القاطعة ليس الا صدى طبيعيا من اصداء

تلك المدرسة وثمرتها تتفق كل الاتفاق مع مبادئها .

بيد ان كلا من الاضطراب والتخبط الاعمي اللذين لا يبالون ان يقع فيهما

دعاة تلك المدرسة ، واتباعها يتمثل في محاولة التوفيق بين التمسك بالاسلام ،

والتمسك بانكار الخوارق والمعجزات . ونحن لا نشك في انها محاولة من حيث

الظاهر فحسب ، اتقاء لغضب المسلمين ، وتدرجا في التسلل الى موضع العقيدة

من قلوبهم .

فهذا التخبط في محاولة التوفيق ، هو الذي جعل واحدا مثل الشيخ " شلتوت "

لا يبالون ان يكذب سبعين حديثا مع روايتها ، وان يخطئ عامة المفسرين لكتاب

الله منذ عصر الصحابة الى بزوغ مدرسة استاذه — في سبيل ان تسلم له عقيدة انكار

الخوارق والمعجزات .

والاعجب من ذلك ان يكذب الاحاديث بدون شاهد ، او صورة شاهد ،  
على الكذب ، وان يخطي المفسرين بدون شاهد ، او صورة شاهد على الخطأ ،  
نعم ثمة شاهد واحد ، هو شذوذ تلك الشذمة التي قامت - لاسباب ودوافع  
معروفة " ١ " - تنكر الخواق والمعجزات .  
فهذا هو الشاهد الذي يسوغ امتلاخ نصوص السنة ، ودلالات الكتاب من  
جذورها ، والاعراض عنها جملة وتفصيلا .  
اما السنة ، فقد قلنا لك بعضا يسيرا منها . وقد وقفت على دلالتها  
الصريحة التي لا تقبل اى قيل وقال حولها .  
واما الكتاب فقد قلنا لك من آياته آيتين " ٢ " كل منهما ذو دلالة واضحة  
على المعنى الذى اخذ به عامة المفسرين ، والصحابة الكرام .  
غير ان هذه الشذمة تركز كل اهتمامها على تأويل اية الرفع ، وجرها الى  
معنى الرفع بالروح او رفع الدرجة ، تصورا منها بأن طلاء التأويل اذا تماسك على  
نصوص الرفع ، فانه يتماسك بعد ذلك بكل سهولة على نصوص النزول ، وهيهات  
ان يتم لهم ذلك .  
واكثر ما يتعلقون به في هذا الصدد كلمة " متوفيك " من قوله تعالى " ان  
قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومظهرك من الذين كفروا " " ٣ " ،

---

١ - هي تخلص الفكر الديني من كل حقيقة غيبية غير داخلية في قوالب العلم  
الحديث لمواكبة النهضة العلمية الاوروبية / انظر : كبرى اليقينييات  
الكونية ص ٢٣٦ ، ٢٤٠ .

٢ - الاية الاولى من سورة النساء ( ١٥٧ - ١٥٩ ) .

الاية الثانية من سورة الزخرف ( ٥٧ - ٦١ ) .

٣ - سورة ال عمران اية ( ٥٥ ) .

منهم بأن " متوفيك " مرادفة ( لميتك ) ولم يقل احد من علماء اللغة ذلك •

بل التوفي معناه : اخذ الشيء وقبضه تماما • ومرادفة الاستيفاء •

تقول : استوفيت حقي ، وتوفيته اي قبضته كاملا •

اما الاماتة التي هي اخذ الروح ، فهي نوع من انواع التوفي الذي

يشملها ، وغيرها •

وانما سرى الوهم الى هؤلاء من كثرة استعمال عامة الناس هذه الكلمة بمعنى

الموت فقط ، وغفلت عن معناها الاصلي في اللغة •

ولو رجح هؤلاء الى اللغة لراوا ان التعبير بالتوفي عن الموت يأتي في الدرجة

الثانية من الدلالة اللغوية ، كما يقول العلامة " مصطفى صبري " ولذلك نص

" الزمخشري " في كتابه اساس البلاغة على ان التعبير بالوفاة عن الموت من المجاز •

والذي ينفي احتمال المجاز في " متوفيك " في هذه الاية ، دلالة الاية

الاخري التي لا مجال للتأويل فيها :

يقول الله عز وجل في سورة النساء : " وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن

مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي

شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان

الله عزيزا حكيما " • " ١ "

فاما عقل العاقل الذي يفهم الكلام العربي عن طريق القواعد العربية ،

ودلالاتها اللغوية ، فهو يفهم من قوله تعالى " وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه "

ان الله عز وجل اخفى نبيه عنهم بأن رفعه الى سمائه ، فلم يقصوا منه على شيء •

يقتلونه او يصلبونه •

يدلك على هذا المعنى الفاظ الاية ، ودلالاتها اللغوية ، وضورة التقابل

الذي ينبغي ان يكون بين ما قبل " بل " وبعدها •

فليس لك ان تقول ، وانت عربي : لست جائعا بل انا مضطجع ،  
وانما تقول : لست جليئما بل انا شبعان .  
وليس لك ان تقول : ما مات خالد بل هو رجل صالح ، وانما تقول :  
بل هو حي .  
وليس لك ان تقول : ما قتل الامير بل هو ذو درجة عالية عند الله .  
لان كونه ذا درجة عالية عند الله ، لا ينافي ان يقتل .  
وانما تأتي " بل " لابطال ما قبلها بدليل ما بعدها .  
لا جرم اذا ، ان معنى الاية : ما قتلته اليهود كما زعموا ، بل ان الله  
استلبه من بينهم ورفعهم الى السماء .  
ولكن الشيخ " شلتوت " يأتى الا ان يكون المعنى : ما قتلوه ، بل  
رفع الله درجته اليه ، وذلك رغم ان القواعد العربية ودلالاتها ، ورغم ان  
العرب ، والمفسرين كلهم .  
ولك ان تسأل امثال الشيخ " شلتوت " وهم يذهبون في تفسير الاية هذا  
المذهب : فما معنى " اليه " في الاية ما دام ان الرفع هو رفع الدرجة ؟  
هل المعنى ان الله جعله الها مثله ؟  
اذ لا معنى لقولك : ان الله رفع مقام فلان اليه ، الا انه قد جعله في  
مرتبته ؟

ثم ما معنى تقييد رفع الدرجة بحال قصد الصلب او القتل ؟  
لولم يكن مرفوع الدرجة قبل ذلك ؟  
اسئلة لا جواب عليها ، الا استجرار الكلام ، والتأويل التي لا معنى لها ،  
خدمة لما استقر في نفوسهم من مرض انكار الخوارق والمعجزات .  
ورحم الله من ابداع المثل القائل : بأن رجلا نظرا الى حمار يافع فاشتبه  
لحمه ، فالتفت الى من حوله قائلا : ما شبه اننيه بأذني الارب . " ١ "

١ - يروى بعض علماء الازهر ، ممن كانوا يلازمون الشيخ " محمود شلتوت " في =

## المسألة الثانية :

=====

ذلك الخوض السخيف ، الذي خاضته فئة ، طاب لها ان تبيع عقلمها

لمخطط انكليزي ، مكشوف .

فقد قام قائمها يزعم ان الذي وعد الله بظهوره في الارض هو مثيل عيسى

وليس بعيسى نفسه ، وانه انما يظهر في الارض دون ان ينزل من السماء ،

وانه هو ذلك المثيل الذي وعد الله بظهوره ، فهو المسيح الموعود ، ثم راح

يزعم انه نبي ورسول مستقل ، مؤيد بتشريع ، ثم صاغ لنفسه وحيا كالقران ،

ومضى يخلق لنفسه معجزات ، يزعم انها مؤيدات له ، وابتنى لنفسه مسجدا

في بلدة (قاديان) ، وسماه المسجد الاقصى ، وسمى بلدته : " مكة

المسيح " ، وجعل قبيرة سماها " قبيرة الجنة " . من دفن فيها فهو من اهل

الجنة ، وسمى ازواجه امهات المؤمنين ، وراح يجمع من حوله الشيعة والاتباع

بكل حيلة ووسيلة ، والاستعمار البريطاني من ورائه يدفعه ، ويفذيه ، ثم

اعطى ان ظواهر الكتاب والسنة مصروفة الى الاستمارات ، والكنايات ، والمجاز ،

فاخذ يحرف كما يشاء في شرح الكتاب والسنة ، واحكامهما .

وكان من جملة هديه في ذلك ان الجهاد موضوع ومنسوخ ، خاصة بالنسبة

للانكليز ، وذلك لموقفهم النبيل من المسلمين ، وحسن رعايتهم لهم .

ولم يزل على حاله تلك يدعي النبوة ويكذب على الله وانبيائه ، ويضع

نفسه للناس موضع المسيح عيسى بن مريم ، الى ان رماه قضاء الله تعالى بالهزيمة ٢ "

---

= اخريات ايامه . اذ كان يعاني في بيته من شلل في جسمه ، يروون بانه احرق

جميع ما كان يحتفظ به من الكتب والاوراق التي سجل فيها بعض الآراء الشاذة ،

وفي مقدمتها مسألة عيسى بن مريم عليه السلام .

واشهدهم بانه تاب الى الله من الاعتقاد بها ، وانه قد رجح الى عقيدة

جمهور المسلمين اهل السنة والجماعة .

/ انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٤ ، الهامش .

١ - داء الكوليرا .



ومات في بيت الخلا ، ساقطاً على وجهه في اتساح حالة ، واقبح منظر ،  
وكانت موته هذه عبرة لاولى الابصار .  
ذلك هو غلام احمد القادياني ، الذي ولد عام ١٢٥٢ هـ ، ومات  
عام ١٣٢٦ هـ ) . ا هـ

( السادسة ) : يا جوج وما جوج .

=====

وقد سبق بيان هذه الامارة في الحديث الذي رواه النوايس بن سمعان ،  
السابق كما جاءت الاشارة اليها في قوله تعالى :  
حتى اذا فتحت يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد  
الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا  
ظالمين " ١ " .

فهم امة كبيرة من الناس ، لا يعلم عددهم الا الله ، ينسلون من كل  
حدب ، فينشرون الخراب والدمار والفساد ، في الارض على نحو مذهل ،  
ونطريقة مرمجة . ويوجهون سهامهم نحو السماء كما ورد في الحديث السابق .  
هذا ما يجب ان نؤمن به . اما علم ما وراء ذلك من التفاصيل المتعلقة  
بصفاتهم ، وكيفياتهم ، وتفصيل اخبارهم ، فلا مطمح - في باب العقيدة - في  
اعتماد شيء من ذلك . بل ان معظم ما ورد من تفصيل اخبارهم وصفاتهم واشكال  
جسومهم فانما تناقله الناس عن طريق احاديث واهية او منكرة او باطلة " ٢ " .  
وخير من الخوض في ذلك ان نقف عند حدود الدلالة القطعية التي ثبتت  
بصريح السنة والقران .

---

١ - سورة الانبياء الايات ( ٩٦ - ٩٧ ) .  
٢ - انظر : كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٣٧ .

فقد ورد في القرآن أيضا قوله تعالى :

" ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا ، قالوا يا ذا القرنين ان يا جوج وما جوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال اتوني افخ عليه قطرا فما استطاعوا ان يظهروا وما استطاعوا له شها قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يمشون في بعض وفتح في الصور فجمعناهم جمعا " ١

وما ورد في ذكورهم من الاحاديث أيضا :

أ - ما اخرجه الشيخان عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما ، فزعا يقول : " لا اله الا الله ، ويل للمرب من شرقد اقترب . فتح اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذه " - وحلق باصبعية الابهام والتي تليها - قالت زينب ابنة جحش : يا رسول الله افنهلك وفينا الصالحون ؟

قال : نعم اذا كثر الخبث " ٢

ب - ما اخرجه الامام مسلم من حديث النوامس بن سحمان الذي تقدم ذكره ، وفيه خبر الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وذكر يا جوج وما جوج حيث قال صلى الله عليه وسلم :

" ويصعد الله يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون ، فيمراوا عليهم على بحيرة " طبرية " ٣ " فيشربون ما فيها ، ويمر اخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " ٤

- 
- ١ - سورة الكهف الايات ( ٩٢ - ٩٩ ) . وانظر : تفسير هذه الايات في ظلال القرآن ( ٥ : ٤١١ - ٤١٣ ) .
  - ٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١٣ : ٩١ ) .
  - ٣ - تقع امام مدينة طبرية ، شمال فلسطين المحتلة ، يمر بها نهر الاردن .
  - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٨ : ٦٨ ) .

وهناك احاديث صحيحة ذكرت يا جوج وما جوج ( ومجموع النصوص الواردة  
بذكرهم يفيد العلم اليقيني بظهور هذه الامة المفسدة في اواخر عمر هذه الدنيا فكان  
لا بد للمؤمن من تصديق ما ورد به القران ، والخبر الصحيح من امرهم .  
واما تحديد الزمن الذي تظهر فيه هذه الامة والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم  
واوصافهم ، ومكان وجودهم قبل ظهورهم فكل هذا من امور الغيب التي لا يعلمها الا  
الله تعالى ) " ١ " .

ويقول الشهيد سيد قطب :

( وعد ، فمن يا جوج وما جوج ؟ واين هم ؟ وماذا كان من امرهم ؟

وماذا سيكون ؟ ...

كل هذه اسئلة تصعب الاجابة عليها على وجه التحقيق . فنحن لا نعرف

عنهم الا ما ورد في القران وفي بعض الاثر الصحيح ) " ٢ " .

( السابعة ) : خسف بالمشرق .

( الثامنة ) : خسف بالمغرب .

( التاسعة ) : خسف بجزيرة العرب .

وهي خسوف ارضية تحدث في هذه الاماكن من الارض " ٣ " .

( العاشرة ) : نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم .

---

١ - انظر : فتح القدير للشوكاني ( ٣ : ٣١٢ ) ، / وانظر في ظلال القران

( ٥ : ٤١١ - ٤١٣ ) / وانظر كتاب الايمان ص ٨٣ .

٢ - في ظلال القران ، سيد قطب ( ٥ : ٤١٣ ) .

٣ - انظر : العقيدة الاسلامية واسسها ، للاستاذ عبد الرحمن جيثك

( ٢ : ٣٣٧ ) .

وهذه الامارة هي اخر الامارات ، وتكون قبيل قيام الساعة ، ومكان محشر  
الناس الذي تسوقهم النار اليه ، ارض الشام . وقد ثبت ذلك في عدة  
احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم . " ١ "

الى هنا . نكون قد اثينا على بيان وايضاح مذهب السلف في الساعة ،  
واشراطها ، وراينا كيف يؤول الشيخ محمد عبده اثنتين من هذه الايات :  
( نزول عيسى عليه السلام ، وظهور الدجال ) . ويسكت عن بقية اشراط  
الساعة .

تلك التي كنا نحب ان نعرف ما عند الشيخ محمد عبده فيها ، فلمله اكتفى  
بالسكوت عنها ، اذ يبدو ان الشيخ محمد عبده كان يفضل السكوت في كثير  
من المسائل على الكلام . . . . خاصة فيما يتعلق بالغيب . والله اعلم .

الامر الثالث : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثه .

=====

ويندرج تحت هذا ، الايمان بالبعث ، والحشر ، والعرض على الله ،  
والحساب ، والجزاء ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، واحوال  
الجنة والنار وما اعد الله لاهلها اجمالا وتفصيلا . " ١ "  
ومعنى اجمالا وتفصيلا : اى انه لا يتحقق الايمان بهذا الامر ، ولا  
يكون تاما ، وكاملا الا بشيئين :

( الاول ) : ان يؤمن المعبد بهذا ، بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الادنى

لتحصيل هذا الركن ، من اركان الايمان .

( الثاني ) : ان يؤمن بكل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من

هذه الاحداث التي تكون بعد البعث ، والتي وردت بها

الايات الكريمة ، والاحاديث الصحيحة .

وانذكر فيما يلي اهم ما وردت به الايات ، والاحاديث من هذه الاحداث ،

وابين مذهب الشيخ محمد عبده في كل واحدة على حدة ، وانقد ما يستحق النقد

منه ، مع بيان مذهب السلف ، وجمهور العلماء - اهل السنة والجماعة -

في هذا الامر .

١ - بداية يوم القيامة .

=====

مذهب الشيخ محمد عبده :-

يرى الشيخ محمد عبده ان يوم القيامة ممتد من تكوير الشمس ،

---

١ - انظر كتاب : الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية ، الطبعة

وما بعده ، الى ان يرى اهل الجنة ، الجنة ، واهل النار النار .<sup>١</sup>  
ويرى ايضا : ان هذا الكون بما فيه يؤول الى الخراب ، وتحول  
مادته الى مادة سديمية ، تشبه الدخان .  
يقول الشيخ محمد عبده :

( اذا وقعت الواقعة ، وقرعت القارعة ، وكورت الشمس <sup>٢</sup> ،  
وتناثرت الكواكب ، وانثقت السماء شقا ، ورجت الارض رجاء ، وسست الجبال  
بسا ، فكانت اولا كالصهن المنفوش ، ثم صارت هباء منبثا ، فان مادة  
هذا الكون تعود كما كانت قبل التكوين : اي مادة سديمية ، وهي ما عبر عنه  
في بدء التكوين بالدخان ) .<sup>٣</sup>

ثم استشهد الشيخ محمد عبده على خراب هذا العالم بتوقعات علماء  
الهيئة الخرييين ، قال :

( وان كثيرا من علماء الهيئة الخرييين ، ليتوقعون خراب هذا العالم  
بقارعة تحدث من اصطدام بعض الكواكب ببعض ، بحيث يظل الجذب العام الذي  
قام به هذا النظام وهو في معنى ما ورد من تشقق السماء بالغمام ، وهذا المعنى  
لم يكن يخطر ببال احد على عهد نزول القران ) .<sup>٤</sup>

ثم عدد الشيخ محمد عبده الحوادث التي تقع من اول يوم القيامة على ما هو  
مذكور في سورتى : التكوير ، والانفطار ، على النحو التالي :

- 
- ١ - انظر : تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة ( ٥ : ٣٣٩ ) .
  - ٢ - قال ابن عباس : يعني اظلمت ، او قيل ذهبت يعني ذهب ضوءها ،  
واضمطت .
  - وقال ابن كثير : جمع بعضها الى بعض ثم لفت فربى بها /
  - / انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦٠٤ ) .
  - ٣ - تفسير المنار ( ٢ : ٢٦٤ ) .
  - ٤ - نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

( اولا ) :

===== تكوير الشمس : وتكويرها دهورتها وسقوطها ، وذلك عند خراب

العالم الذى يعيش فيه الحي حياته الدنيا ، فان علمه الاخر ، الذى

ينقلب اليه لا يبقى فيه شيء من هذه الاجرام . فالشمس تسقط ويمحى

• ضوءها

( ثانيا ) :

===== انكدار النجوم : وهو تناثرها وانقراضها حتى تذهب ، ويمحى

• لاء لاؤها

( ثالثا ) :

===== تسيير الجبال : وهذا يكون عند الرجفة التي تزلزل الارض ،

فقطع اوصالها ، وتفصل منها اجبالها ، فتسير هذوفة في الفضاء

وقد تمر على الرؤوس من السحاب

يقول الشيخ محمد عبده عن الموعد الذى تقع فيه هذه الحوادث :

( وهذا الحوادث تقع متى جاء الاجل ، واقتضت الحكمة الالهية

ان تخرب الارض ، ويتبدل نظام هذا الكون الحاضر ، بالنظام الذى يستقر عليه

امره بعد ذلك الاضطراب ) . " ١ "

وفي سورة الانفطار عود الى التذكير باليوم الاخر ، فسرنا الشيخ محمد عبده

كما يلي :

قال : ( ذكر الله اليوم الاخر ببعض ما يحدث فيه من عظام الامور ، كما

من علينا بمثل هذا التذكير في السورة السابقة فقال تعالى " اذا السماء انفطرت " . " ٢ "

---

١ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٣٦ ) .

٢ — سورة الانفطار اية ( ١ ) .

اي : انشقت .

وجاء في سورة الفرقان قوله تعالى : " ويوم تشقق السماء بالغمام " ٢ " ،  
وانشقاق السماء ، انصداع نظامها ، فلا يبقى امرها ، فيها ، من الكواكب على ما نراه  
اليوم ، فيخرب العالم بأسره ، ولذلك عقب انشقاق السماء بما هو من لوازمه ،  
حيث قال تعالى : " واذ الكواكب انتشرت " ٢ " ، اي سقطت فبادت .

فاذا كان ذلك ، اضطربت الارض ايضا ، وزلزلت زلزلا شديدا ،  
ووقع الخلل في جميع اجزائها ، فتفجر البحار ، وتزول الحواجز بينها ، فيختلط  
عذبها بمالحها ، بل تفيض على الارض حتى يصير سطح الارض ماء لحظات من  
الزمان . وذلك قوله تعالى في سورة التكويد : " واذ البحار سجرت " ٣ " ،

اي ملئت ، وفاض منها الماء على التأويل الاول .

وقد يصح اجراء ما هنا على التأويل الثاني ، وذلك :

انه بعد ان تفجر البحار ، ويفيض ماؤها تظهر النار ، وتأخذ

مكان الماء بعد ان يتحول الى بخار . . . .

واذا وقع ذلك انقلب باطن الارض الى ظاهرها ، فلا ريب في ان تبعثر

القبور - اي يظهر ما كان قد خفي من بقايا اجساد الموتى - وبعد ذلك يكون

بعث الاموات ، واحياؤهم في النشأة الاخرة ) . " ٤ "

١ - سورة الفرقان آية ( ٢٥ ) .

٢ - سورة الانفطار آية ( ٢ ) .

٣ - سورة التكويد آية ( ٦ ) .

٤ - تفسير جزء عم ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٤٦ ) .



والشيخ محمد عبده ، يذكر بعض أسماء يوم القيامة ، فيقول :

أ : يوم الفصل :

قال : ( وهو يوم القيامة ، يظهر فيه الحق ، وينكشف الستار عن

القلوب ، والالتباس عن الميرون ، فيفصل بين الحق

والباطل ) . " ١ "

ب : اليوم الموعود :

قال : ( واليوم الموعود هو يوم القيامة ، لان الله وعد به ، ولما

نصل اليه ) . " ٢ "

ج : الفاشية :

قال : ( هي الداهية التي تغشى الناس بشدائد ها ، وتغمرهم

اهوالها ، والمراد منها هنا " ٣ " يوم القيامة ) . " ٤ "

د : الصاخة :

هـ : القارعة :

و : الطامة الكبرى :

قال : ( والصاخة ههنا " ٥ " - كالقارعة في سورتها - هي الحادثة

العظمى التي عبر عنها ، بالطامة الكبرى ، يكون نذيرها ذلك الصوت الهائل

الذى يحدث من تخريب الكون ، ووقوع بعض اجرامه على بعض ، ولكون هذه الحادثة

تأتي بذلك الصوت المفزع سميت : صاخة ، وقارعة .

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣١٢ ) .

٢ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٧٤ ) .

٣ - اى في قوله تعالى " هل اتاك حديث الفاشية " / سورة الفاشية اية (١)

٤ - المصدر السابق ( ٥ : ٣٩١ ) .

٥ - اى في قوله تعالى " فاذا جاءت الصاخة " / سورة عيس اية (٣٣) .

او انها سميت صاخة : لانها بما تأتي به من ذلك الصوت تمنع الاذان ،  
اي تصمها " ١ " ، فلا تسمع النفوس شيئا في ذلك الوقت الا ما تتلدى به وتدعى  
الى الحياة والنشور ) " ٢ " .  
يقول الشيخ محمد عبده :

( وهذه الاسماء كلها اسما للقيامة المطلق ، يوم ينكشف للاواح  
مشهد الجبروت الاعظم ، فيشغل كل نفس ما يصيها من هيبة الجلال الالهي ) " ٣ " .  
هذا هو مذهب الشيخ محمد عبده في بداية اليوم الاخر - يوم القيامة -  
واني ارى ان مذهبه هذا ، لا غبار عليه ، ولا شيء يورد عليه ، وهو  
مذهب السلف - رضي الله عنهم - وجمهور العلماء ، وهو ما تؤمن به ، وما  
يجب على الجميع ان يؤمن به .

وحاصل ما يؤمن به السلف في هذا الامر : هو ما اخبر به الله عز وجل  
في القران الكريم ، ولا سيما في سوتى التكوير ، والانفطار ، بكل ما يحدث في  
اخر يوم من ايام الدنيا ، وهدء اليوم الاخر ، وهو ما يدل عليه مجموع الايات الكريمة  
من ان اليوم الاخر يبدأ باحداث تفسير عام شامل في هذا الكون الواسع ، فتفتق  
السماء ، وتتناثر النجوم ، وتتصادم الكواكب ، وتتفتت الارض ، وتزول الجبال  
ويخرب كل شيء ، ويدمر كل شيء ، فلا يعرف الناس شيئا مما كانوا يصرفون  
في هذا الوجود . " ٤ " .

- 
- ١ - الصخ هو الضرب بالحديد على الحديد ، وصخ الصخرة وصخيخها : صوتها  
اذا ضربتها بحجر او غيره ، من باب رد / انظر : مختار الصحاح ص ٣٥٧ .
  - ٢ - تفسير جزء عم ، السابق ( ٥ : ٣٣١ ) .
  - ٣ - نفس المصدر ، ونفس الصفحة .
  - ٤ - انظر : - مجموع الفتاوى ( ٥ : ٥٦٤ ) ، ( ١٩ : ١٠١ ) .  
- فتح الباري ( ١١ : ٣١٣ ) .  
- العقائد الاسلامية ص ٢٥٩ .  
- العقيدة الاسلامية ، واسمها ( ٢ : ٣٤٢ ) .

قال الله تعالى :

" يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وهزوا لله الواحد القهار " ١

وهكون هذا بعد النفخة الاولى مباشرة ، التي ينفخها الملك " اسرافيل " بلمر

وهه ، فيصعق كل من في السموات والأرض الا ما شاء الله تعالى .

وقال الله تعالى :

" ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا ما شاء الله " ٢

وقال تعالى :

" فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة

فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهبى يومئذ واهية " ٣

وفي الاحاديث الصحيحة ما يدل على مثل هذا :

فقد روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : اين ملوك الأرض " ٤

وبالجملة :

فالشيخ محمد عبده يؤمن بما يؤمن به السلف الصالح - رضوان الله

عليهم - في هذا الموضوع ، وهو موافق لهم جملة وتفصيلا ، من غير ان يؤول

شيئا من ذلك او يرده ، فجزاه الله خيرا ، وجزى السلف فيما قالوه خيرا الجزاء .

١ - سورة ابراهيم اية ( ٤٨ ) .

٢ - سورة الزمر اية ( ٦٨ ) .

٣ - سورة الحاقة الايات ( ١٣ - ١٦ ) .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ١١ : ٣١٣ ) .

٢ - البعث والحشر :

=====

مذهب الشيخ محمد عبده في حقيقة البعث :- هو الايمان باعادة الحياة

ثانية الى الاموات على اثر النفخة الثانية المشار اليها في قوله تعالى :

" يوم ترحف الراجفة تتبجها الرادفة " م " ١ "

قال الشيخ محمد عبده : ( هذا هو يوم البعث : وهو بعث الاموات واحياؤهم

في النشأة الاخرة ) .

كيفية البعث :

===== للشيخ محمد عبده رأيان في الكيفية التي يكون طيها البعث :

هما :-

( الرأي الاول ) :

===== اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا .

يقول في تفسير قوله تعالى : " واذ النفوس زوجت " ٢ " ه : اى زوجت

الارواح بأبدانها ، وهي النشأة الاخرة .

وفي الاية ما يشعر بأن النفوس كانت باقية من يوم الموت الممتد الى يوم

المعاد ، وانما تتزوج بالبدن بعد ان كانت منفردة عنه . " ٣ " ه .

---

١ - سورة النازعات الايات ( ٦ - ٧ ) .

الراجفة : هي النفخة الاولى . والرادفة هي النفخة الثانية . هكذا

ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما / انظر فتح الباري شرح صحيح البخارى

( ١ : ٣١٠ ) .

٢ - سورة التكويد اية ( ٧ ) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ ) .

( الرأي الثاني ) :

فيه اشارة الى ان المعاد انما يكون يبحث الارواح فقط . دون اطادتها

الى الاجساد التي منها خرجت ،

وقد عرض لهذا الامر محقق كتاب " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة

والكلاميين " ، فقال :

( وقبل ان نسوق ما قاله الشيخ محمد عبده في مسألة البحث الجسماني

تعليقا على رأى زميليه " ١ " ، نسوق رأى هذين الزميلين اولا ، فان رأى الشيخ محمد

عبده - وهو تعليق - لا يفهم الا بعد فهم الفكرة التي كان هو تعليقا عليها .

قال العضد : ( والمعاد ) .

قال الجلال : ( اى الجسماني ، فانه المتبادر عند اطلاق اهل الشرع :

ان هو الذى يجب الاعتقاد به ، ويكفر من انكره . )

قال العضد : ( حق ) .

قال الجلال : ( باجماع اهل الملل الثلاث ، وشهادة نصوص القرآن في

المواضع المتعددة ، بحيث لا تقبل التأويل .

كقوله تعالى : " اولم يرا الانسان انما خلقناه من نطفة فاذا هو

خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل

يحييها الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم " . " ٢ "

قال المفسرون : نزلت هذه الاية في ابي بن خلف " ٣ " ، خصم النبي صلى

---

١ - عند الدين الايجي صاحب المواقف ، وجلال الدين الدواني .

٢ - سورة يس من الايات ( ٧٧ - ٧٩ ) .

٣ - كان من اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وايداء له ،

لم يسلم ، وبقي على كفره حتى مات ، وسيخفه الله ويدخله النار .

كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم .

الله عليه وسلم ، واتاه بمعظم قدره اولى ، قبضه ، ففتته بيده ،

وقال :-

يا محمد ... اتروى الله يحيى هذا بمه ما رم ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : " نعم وبيعتك ويدخلك النار " .

وهذا مما يقطع عرق التأويل بالكلية .

ولذلك قال الامام : الانصاف انه لا يمكن الجمع بين الايمان بما جاء به

النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين انكار الحشر الجسماني .

قلت : ولا الجمع بين القول بقدم العالم ، على ما يقول به الفلاسفة ،

وبين الحشر الجسماني ايضا ، لان النفوس الناطقة على هذا التقدير غير

متناهية ، فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، في امكنة غير

متناهية ، وقد ثبت تناهي الابدان بالبرهان ، واهراقهم ( ا هـ )

وهنا يشرح الشيخ محمد عبده عبارة الجلال الدواني قائلا :

( اى لا يمكن الجمع بين القول بقدم العالم ، على ما بينه الفلاسفة

من الاستدلال على قدم الانواع وبين الحشر الجسماني ، لان النفوس الناطقة التي هي

نوع من انواع العالم تكون غير متناهية على هذا التقدير - اى تحدى قدم النوع -

فيستدعي حشرها جميعا ابدانا غير متناهية ، حيث لا يمكن تعلق نفسين او ازيد

ببدن ، بل تعلق نفسين او ازيد ببदन واحد ، لا يكون معه بد من ابدان غير

متناهية ، فان النفوس على هذا لا تحيطها مراتب العدد ، والابدان غير المتناهية

تفتقر الى امتداد غير متناه .

وقد قام البرهان على بطلان عدم تناهي الابدان ، وقرأهم عليه .

اى الفلاسفة القائلون بقدم العالم لا يمكنهم القول بالحشر الجسماني ،

فيحتتم منهم انكاره ، ومنكره كافر ، فهم كفار ( ا هـ )

والى هنا ينتهي الشيخ محمد عبده من شرح وعرض عبارة الجلال الدواني ،

ثم يعلق عليها قائلا :

( واقول ) :

اولا : اعجب لهذا المحقق ، كيف نسب هذا القول للفلاسفة على الاطلاق ، مع ان منهم من صرح بنفي لزوم قدم النوع ، كالشيخ الرئيس " ١ " ، واحتج على ذلك في كثير من كتبه ، وتبعه على ذلك الجم الغفير منهم .

والذين يتوهم من كلامهم القول بالقدم النوعي لم يكن صرحا في اقوالهم .

وثانيا : حيث صرحوا بثبوت الحشر الجسماني ، وصرحوا بقدم الانواع -

على ما زعمه - فهم بالحشر مؤمنون .

وما لزمه عليهم لازم مذهب ، ولازم المذهب ليس بمذهب كما هو مشهور .

وثالثا : لم لا يصح الجمع بين القولين مع جواز ان يجعل النص من قبيل

المتشابه الذي لا مجال للرأى فيه ، ولا يعلم معناه .

فمن بحشر جسماني لا يعلم ما معناه ، وما كلفيته ، بل كما اراده

القائل اجمالا ، كما في سائر التشابهات ، او يدخله التأويل بوجه ما .

وواعجبا . . . . . كيف ان الشارح فيما تقدم - في مسألة الوعد

والوعد - قد جعل جميع الاخبار انشآت ، للتهديد والتوعيب ، ثم جاء ههنا

وسد باب التأويل كأنه العالم يحكم ما يريد .

ورايها : ان هذا الشارح قال في رسالته " الزوراء " بقدم العالم

بالشخص فضلا عن النوع .

فكيف ما غله التكلم بمثل هذا الكلام في هذا الكتاب ؟

فان قال : لكل مقام مقال . فالحكماء مثل هذه المقالة ( ١٠ هـ ٢ " )

يقول المحقق :

( وفيما قاله الشيخ محمد عبده في هذه النقاط الاربع مجال لتعقيب ،

وسأعقب على كل واحدة منها ، ولكن تمشيا مع الغرض الذي من اجله سقت هذه

١ - ابن سينا ، وقد مرت ترجمته .

٢ - محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٠٦ - ٦٠٨ ) .

النصوص ابدا في التعقيب بالنقطتين : الثانية والثالثة ، لابين ان الشيخ محمد  
عده قد ارفع العقل على ان يتجاوز طوره ، واقحمه في مضائق لا سبيل له الى  
التخلص منها .

لقد رأى الاستاذ الامام انه لا بأس على الفلاسفة ان يقولوا بتقديم الانواع ،  
وان يقولوا تبعا لذلك ، بأن النفوس الانسانية قد وجد منها عدد غير متناه ،  
وان هذا العدد غير المتناهي موجود الان ، لان المجردات لا تفتى عندهم ،  
لا بأس على الفلاسفة — عند الاستاذ الامام — ان يقولوا بكل ذلك ، ما داموا  
قد صرحوا بحشر الاجساد .

واذا كان يلزم القول بقدم النفوس ، حاجتها الى مادة غير متناهية يصاغ منها  
اجسام بعدد هذه النفوس غير المتناهية ، وحاجتها ايضا الى امكنة غير متناهية ،  
ضرورة ان الاجسام غير المتناهية تتطلب امكنة غير متناهية .

واذا كانت هذه اللوازم محالة ، لان المادة متناهية فلا يمكن ان تفي  
باجسام لنفوس غير متناهية ، ولان الامكنة غير المتناهية ، مستحيلة الوجود لان  
الابعاد متناهية .

واستحالة هذه اللوازم تعني استحالة حشر اجساد لهذه النفوس غير  
المتناهية . فليس يضير الفلاسفة شيء من جراء هذه اللوازم المقتضية لانكار حشر  
الاجساد ، لان الفلاسفة لم يصرحوا بها ، وانما لزمت مذاهبهم في قدم النوع  
الانساني ولازم المذهب ليس بمذهب .

فمذاهبهم قدم النوع الانساني فقط لا يلزم منه انكار حشر الاجساد .  
ثم اهم — مع ذلك — مصرحون بحشر الاجساد فلا يضير عليهم .  
هذا هو بيان النقطة الثانية .

ولا بأس بمجارات الاستاذ الامام على هذا الرأي ، فقد جرى على السنة العلماء  
ان لازم المذهب ليس بمذهب ، وان يك في النفس من ذلك شيء فانه اذا كان هذا  
اللازم بيانا ، تدركه النفس لاول وهلة فكيف لا يكون مذاهبا ؟ ومعيد ان يقال :



ان امثال ابن سينا والفارابي وابن رشد لم يدركوا ان قدم النوع الانساني يعني وجود نفوس غير متناهية ، وان حشرها في اجسام يستدعي مادة تفي بعددها غير المتناهي .

ولا اقف مع هذه النقطة اكثر من ذلك ، فانها ليست بيت القصيد في الموضوع ، بل انتقل الى النقطة التالية التي يخطوبها الاستاذ الامام خطوة اجرا من سابقتها .

انه فيما سبق — كما رأينا — يلتزم — بلسان الفلاسفة — القول بقدم العالم ويتبرأ من لازمه الذي هو انكار حشر الاجساد متذرا بأمرين :

• اولهما : ان لازم المذهب ليس بمذهب .

• وثانيهما : انهم مصرحون بحشر الاجساد .

وخلاصة ذلك : انهم مؤمنون بقدم العالم فقط دون لازمه ، ومؤمنون بحشر

الاجساد .

اما في هذه النقطة ، فيلتزم الاستاذ الامام — بلسان الفلاسفة — ما يلزم القول بقدم العالم وهو عدم حشر الاجساد بالاضافة الى ايمانهم في نفس الوقت بحشر الاجساد .

واذا بدا ان هذا جمع بين التقيضين فلا ستاذ الامام يفك الجبهة بان يجعل حشر الاجساد المنفي هو الحشر الذي يفهم من دلالة هذه الالفاظ بحسب اوضاع اللغة المصرية اى المعنى الحقيقي لهذه الالفاظ ويجعل الحشر المثبت امرا غير محدد المعنى وغير مفهوم .

( فنوء من بحشر جسماني لا تعلم كيفيته ولا يعلم معناه ) في الوقت الذي

ننفي فيه حشرا جسمانيا نعلم معناه .

وكيف ذلك ؟ الا يكون نفي الحشر الجسماني بمعناه المحدد المعروف ،

مقتضيا لان يكون الحشر الجسماني الذي نوء من به شيئا اخر غيرهما يناله ، متنافيا

معهم ، فماذا عساه يكون ؟ انه مهما يكن امره ليس حشرا جسمانيا بالمعنى

المعروف . واذ كان الاستاذ الامام يطلب منا ان لا نحدد معنى الحشر الجسماني الذي تقتضينا النصوص الايمان به ، فلا مناص لنا من ان نحدد به عن الحشر الجسماني الذي يفهم من هذه الالفاظ . لان الحشر الجسماني الذي نفهمه ونعرفه باطل ، ضرورة ان القول بقدم النوع الانساني يستلزم فيه ، فهو شيء غير الحشر الجسماني ، وان سمي بأنه حشر جسماني .  
وهذا من الشيخ محمد عبده موقف ، لا احمده له ، لانه اما ان يكون

تلاجبا بالالفاظ او تلاجبا بالمقل نفسه .

فلا ايمان بالالفاظ لا يعرف معناها ، كيف يكون ؟ انه يتأدى الى الايمان

بأننا اخبرنا بهذه الالفاظ ، وحسب .

ثم كيف يطلب اليها الاستاذ الامام ان ( نؤمن بحشر جسماني لا تعلم

كيفية ولا يعلم معناه ) وهو قد صرفنا عن ان نريد منه الحشر الجسماني الذي

استلزم فيه . القول بقدم النوع الانساني ، وعدم كفاية المادة المتناهية للوفاء

باجساد لا رواح غير متناهية .

ان !الصرف عن هذا المعنى المعروف ، تحديد في الجملة للمعنى الذي طلب

اليها ان لا نحدده بوجه من الوجوه .

قد يقال : ان الشيخ محمد عبده حين طلب اليها ان ( نؤمن بحشر

جسماني لا يفهم معناه ) لم يفعل سوى ما فعله السلف حين كانوا يقولون :

( نحن نؤمن بوجه لله ويد لله واستواء لله لا نعلم معناها ) .

واى عيب على الفلاسفة ان يتهجوا منهج السلف ؟

نعم لقائل ان يقول ذلك ، ولكن لعله لا يصعب ادراك ما بين المنهجين

من فوق . ان السلف همهم الاول والاخير ، هو فهم النصوص ، فما وجدوه منها

صالحا لاجرائه على مفاده الظاهر ابقوه على ظاهره وفهموا منه هذا الظاهر .

وما وجدوا ظاهره غير صالح ، لمخالفته نصا اخر محكما ، اولان العقل

لا يقر هذا الظاهر ابوا ان يبقوه على ظاهره ، وصرّفوه عنه لا الى معنى بالذات بل

الى معنى يكلون تحديده الى الله تعالى .

هذا منهج السلف يقوم على الاحتياط ، والتسليم ، والتفويض ،  
اما منهج الفلاسفة الاسلاميين • فانهم يحجون وراء عقولهم ولا يلبون على شيء اخر  
، فكل ما اشار به العقل عليهم ، فهو مقبول ، وما عداه مرفوض •  
ثم اذا انتهوا الى نتيجة عادوا فنظروا في النصوص القرآنية التي تتحدث عن  
موضوعات بحثهم ، فان وجدوها على وفاق معهم ، قبلوها ، وان وجدوها على  
خلاف مع ما انتهوا اليه صرفوها عن ظاهرها بالتأويل ، وحملوها على المعنى الذى  
انتهى اليه بحثهم ، وهذا هو التأويل • وغالب الامر عندهم جار على هذا  
النحو •

وربما كما هو الحال في هذه الجزئية التي معنا ، بناء على تصوير الشيخ  
محمد عبده لمذهبههم — يصرفون ما يخالف نتائج ابحاثهم عن ظاهره ، ولا يهتمون  
بتحديده معناه بل يتكرونه غامضا ، او — كما يريد الاستاذ الامام ان يقول —  
مفوضا الى الله •

ولعلمهم لا يلجؤون الى هذا اللون من التأويل — الذى يريد ان يجعله  
الاستاذ الامام تفويضا على نحو ما كان يصنع السلف — الا حين يصيهم ان يحمله على  
معنى محدد • فمادامسى يستطيع الفيلسوف ان يفهم تصريحات القران في امر البحث  
القرآني ؟ ماذا عساه يستطيع ان يؤول قول الرسول صلى الله عليه وسلم :  
لابي بن خلف : " نعم ويبعثك ويدخلك النار " جوابا لقوله له : اترى  
الله يحيي هذه بعد ما رمى ، ويدهه قطعة عظم بالية ، يعركها بيده فتساقط  
قطعا قطعا ؟ بم يؤول الفيلسوف هذا ؟ وهو قد انتهى الى ان بعث هذه  
الاجسام مستحيل • ضرورة ان قدم النوع الانساني الذى يقوله يتطلب مادة غير  
مناهية ، وامكنة غير محدودة ؟

وان لا سبيل الى صرف هذا الامر الواضح عن ظاهره ذلك الذى كان موضع  
جدال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ابي بن خلف ، والذى نزل فيه  
قول قرآني واضح محدد وهو قول الله تعالى :

"ضرب لنا مثلا ونسي خلقه" قال من يحيى العظام وهي رميم قل  
يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عظيم "١٠" .  
فالوسيلة الوحيدة المتميزة عليهم في هذه الحال هي ادعاء ان هذا من  
المتشابه الذي لا يدرك مراد الله منه ، الا الله وحده ، واما ظاهره فهذا  
غير مراد .

ولهذا لجأ الفلاسفة - فيما يرى الاستاذ الامام - الى هذه الحيلة  
ولجؤوا هم مرة او مرتين الى منهج السلف لا يجعلهم سلفيين .  
والا فلو كانوا سلفيين حقا ، فلماذا لم يكن ديه نهم التفويض ، في  
كل ما يمنع من ظاهره مانع ، لماذا صرفوا كثيرا من الايات عن ظواهرها الى معان  
اخرى محددة ، دون ان يفوضوا فيها كما يفوض السلف ؟ ان التفويض عند  
السلف منهج وعند ابن سينا ضرورة .  
والدليل على ان الاستاذ الامام ، لم يكن جادا في مطولته الدفاع عن  
الفلاسفة :

تارة : بأنهم قد لزمهم انكار البحث الجسماني ولم يصرحوا به ولازم المذهب ليس  
بمذهب .

وتارة : بأنه على فرض انهم صرحوا ، بنفيه ، فهم قد صرحوا باثباته ولا مانع من  
الجمع بين القولين بأنه يجعل تصريحهم باثباته متابعة للايات القرآنية على ان  
تكون الايات القرآنية من قبيل المتشابه ، فيكون البحث الذي صرح الفلاسفة باثباته ،  
بعثا غير مفهوم المعنى والكيف ، فلا يتعارض اثباته على هذا الوجه مع نفيه على  
وجه محدد .

امران :

اولهما : ان الفلاسفة لم يلزمهم القول بانكار البحث الجسماني ولكنهم صرحوا به تصريحاً ،

وهالك قول ابن سينا في كتابه "رسالة اصحوية في امر المعاد" \* ١ \*  
( لكننا نبين بيانا بزهاننا انه لا يمكن ان تعود النفوس بعد الموت الى

البدن ، البتة ) \* ٢ \*

وثانیهما :

ان ابن سينا لم يعترف بان هناك بعثا جسمانيا اصلا ، لا بمعنى مفهوم

ولا بمعنى غير مفهوم وانما كان قد قسم البحث ، في كتابيه "النجاة" ،

"الشفاء" - الى روحاني وجسماني فقال فيهما بنص واحد :

( يجب ان تعلم ان المعاد منه يقبول من الشرع ، ولا طريق الى اثباته

الا من طريق الشريعة ، وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند الموت ،

وخيرات البدن وشروبه معلومة لا تحتاج الى ان تعلم ) .

فليس معنى ذلك ان ابن سينا يعترف بان هناك بعثا جسمانيا ، بل

كل ما يفيد هذا النص ان الشريعة قد اخبرت به ، وليس بلازم عند ابن سينا

ان كل ما اخبرت به الشريعة يكون كما اخبرت به .

يقول ابن سينا نفسه من ذلك في "النجاة" :

( وكذلك يجب عليه - اي على النبي - ان يقرر عندهم - اي البشر -

امر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة

والشقاوة امثالا ، مما يفهمونه ويتصورونه واما الحق في ذلك فلا يلوح لهم منه

الا امرا مجملا ) .

نالبحث الجسماني الذي يتحدث عنه القران ليس له - عند ابن سينا -

معنى مفهوم ، ولا معنى غير مفهوم ، ولكنه مجرد تمثيل ، لتفهم العامة ،

وزيدنا ابن سينا تصريحاً بهذا المعنى في كتابه المخصص لبحث مسألة البعث

١ - تحقيق الدكتور سليمان دنيا ، نشر دار الفكر العربي .

٢ - انظر : كتاب محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ١ : ١٧ ) نقلا

عن "رسالة اصحويه في امر المعاد" ص ٨٩ .

” رسالة اضحويه في امر المعاد ” حيث يقول :

( فظاهر من هذا كله ان الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ،  
مقرا ما لا يفهمونه الى افهامهم بالتشبيه والتمثيل ، ولو كان غير ذلك لما اغنت  
الشرائع البتة وكيف يكون ظاهر الشرع حجة في هذا الباب ، ولو فرضنا الامور الاخروية  
روحانية بعيدة عن ادراك بداية الازهان ، لحقيقتها ، لم يكن سبيل الشرائع  
في الدعوة اليها ، والتحدير عنها منها بالدلالة عليها ، بل بالتصبير عنها بوجوه  
من التمثيلات المقررة الى الافهام ، فكيف يكون وجود شيء حجة على وجود شيء )  
اخر ولو لم يكن الشيء الاخر على الحالة المفروضة ، لكان الشيء الاول على حالته ) .

فليس هناك اذن بحث جسماني البتة ، وانما هو تصوير وتمثيل ،  
فليس هناك اذن تفويض ولا تشابه ، ولا مشابهة لموقف السلف ، وانما هو دفاع  
عن الفلاسفة وعن غرور العقل بما لا يبرر له ) .

نكتفي بهذا القدر من كلام الاستاذ سليمان دنيا ، فهو المطلوب ،  
اما مناقشته للشيخ محمد عبده في باقي النقاط الاربعة التي ذكرها الشيخ محمد عبده  
في مناقشته : الجلال الدواني فلا حاجة بنا اليها ، لبعدها عن جوهر المسألة .  
اذن هذا هو رأي الشيخ محمد عبده في مسألة البحث والحشر الجسماني  
كما فهمه الاستاذ سليمان دنيا .

وقد مر بنا تصريحه الصريح بالبحث الجسماني ، في تفسير جزء عم عند آية  
” وانا النفوس زوجت ” ( اي زوجت الارواح بأبدانها وهي النشأة الاخرة ) .  
هذان عرضان لمسألة واحدة في موضعين مختلفين :

• احدهما : صريح واضح

• والاخر : رمز وشارة

ففي ضوء ما مضى هل يفهم القول الصريح على أنه رأي الحق في المسألة .  
وفهم الرمز والاشارة على انه ترضية للفلاسفة او تمويض للعقل ، وسويبه الى  
شاو لا ييلغه ، واقحامه في مضائق لا يقوى على سلوكها ؟ ؟  
او العكس وهو ان يفهم القول الصريح على انه ترضية للخير - وفي هذه المرة -  
هم السلف وجمهور المسلمين .

وفهم الرمز والاشارة - على انهما رأي الحق في المسألة ؟  
والذي استطيع ان اقله : ان ذلك موقف غير واضح من الشيخ محمد عبده .  
كنا نحب ان نعرف رايه القطعي في المسألة ، اهو مع الفلاسفة المنكرين للبعث  
الجسماني ام مع السلف وجمهور المسلمين المتهئين له ، المعتقدين به ؟ ،  
ام انه سلك مسلكا جمع فيه بين مذهب السلف في وجوب الاحتياط والتسليم والتفويض  
فيما يتعلق بحالم الغيب من غير بحث عن حقيقته ، والوقوف عند ظاهر النص ،  
وبين مذهب الفلاسفة في قبول ما يشير به العقل عليهم لا يلوون على شيء اخر ،  
وصرف النصوص عن ظاهرها بالتاويل وحملها على المعنى الذي يشير به العقل عليهم  
وهذا هو التاويل ؟ ومذهب الفلاسفة باطل لمخالفة النصوص وتاويل البحث ، وادعاء  
ان النصوص من المتشابه الذي لا يدرك مراد الله منه الا الله وحده ، مرفوض لانه  
لا سبيل الى صرف النصوص الواضحة عن ظواهرها ، ولا سبيل الى القول انها من  
قبيل المتشابه لانها ايضا واضحة ومحددة ومفهومة .

فيقي مذهب السلف في مسألة البحث والحشروهاك ما قالوه :  
ان المولى سبحانه وتعالى ، يأمر بالنفخة الثانية ، فتعود الحياة  
على اثرها الى الاموات فيبعثون روحا وجسدا تماما كما كانوا في الدنيا ، وهذا هو  
يوم البحث ، فيخرج الله الناس من قبورهم احياء فيقول الكفار والمنافقون :  
" يا ويلنا من بعثنا من مردنا " ١ .  
ويقول المؤمنون " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " ٢ .

١ - سورة يس اية ( ٥٢ ) .

٢ - سورة يس اية ( ٥٢ ) .

يقول شرف مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :-  
( وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم  
وامر المعاد للارواح والاجساد ، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك :  
بيانا في غاية التمام والكمال ) \* ١ \*

وسئل رحمه الله :

هل اهل الجنة يأكلون ويشربون وينكحون بتلذذ كالدنيا ، وهل تبحث  
الاجسام بعينها ؟

فأجاب :

( اما اهل الجنة فيأكلون ويشربون وينكحون متنعمين بذلك باجماع المسلمون  
، كما نطق به الكتاب والسنة ، وانما ينكر ذلك من ينكره من اليهود والنصارى  
، وهذه الاجساد هي التي تبحث كما نطق به الكتاب والسنة ) ١٠١ هـ \* ٢ \*  
ويقول رحمه الله في موضع اخر :

( والاعادة التي اخبر الله بها هي الاعادة المعقولة في هذا الخطاب ،  
وهي الاعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وهي التي يدل عليها لفظ الاعادة  
والمعاد هو الاول بعينه .

وان كان بين لوازم الاعادة ولوازم البهامة فرق ، فذلك الفرق لا يمنع ان يكون  
قد اعيد الاول ليس الجسد الثاني مابنا للاول من كل وجه ، كما زعم بعضهم ،  
ولا ان النشأة الثانية كالاولى من كل وجه ، كما ظن بعضهم ، وكما انه سبحانه  
خلق الانسان ولم يكن شيئا ، كذلك يعيده بعد ان لم يكن شيئا ) \* ٣ \*

١ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ٤ : ٣١٤ )

٢ - نفس المصدر ( ٤ : ٣١٦ )

٣ - مجموع الفتاوى ( ١٧ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ) / وانظر المواقف للايجي

( ٢ : ٤٤٢ ) / وانظر سعد الدين التافازاني على العقائد النسفية ص ٤٠٠ .



يقول الشيخ سيد سابق :

( ويبدأ اليوم الاخر بالبعث : وهو اعادة الانسان روحا وجسدا كما كان في الدنيا ، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الانسان معرفة هذه النشأة الاخرى لانها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الاولى ) .

• ويكون الحشر بعد بعث الخلائق

والحشر هو سوقهم الى الموقف ، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارا

لفصل القضاء بينهم .

ينقل الشيخ رشيد رضا عن الشيخ محمد عبده في معنى الحشر الى الله

تعالى :

( انه ليس لله تعالى مكان يحصره فيحشر الناس ويساقون اليه ،

ولكن الانسان يخفل في هذه الدار عن الله فينسى هيئته وجلاله ، وينصرف عن استشعار عظمته وسلطانه ، لان شغاله يدفع المكاره عن نفسه ، وجلب اللذائذ والرغائب لها ،

واما ذلك اليوم الذي يحشر له الناس فلا اشتغال فيه بتقويم بنية ولا التمتع بلذة ، ولا مدافعة عدو ، ولا مقاومة مكروه ، ولا بتربية نفس ولا تنزيه حس ، وانما يستقبل فيه كل احد ما يلاقه من الله تعالى جزاء على عمله ، ولا يشغله عنه شيء فيكون بذلك راجعا عن كل شيء كان فيه الى الله تعالى محشورا مع سائر الناس اليه لا يشغله عنه شيء ) " ٢ "

ويتولى الملائكة مهمة الحشر ، فتسوق الناس الى الموقف العظيم وحالهم كما

خلقوا اول مرة حفاة عراة غير متململين ولا مكتمسين ، غرلا غير مختننين ...

فقد صح عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، انها قالت :

١ - العقائد الاسلامية ، لسيد سابق ( ٢٦٢ ، ٢٦٣ ) .

٢ - انظر : تفسير المنار ( ٤ : ١٨٩ ) .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا ."

قلت : يا رسول الله : ينظر بعضهم الى بعض ؟

قال صلى الله عليه وسلم : يا عائشة : الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض .<sup>(١)</sup>

وروى ابن عباس رضي الله عنهما قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

" يا ايها الناس انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا ."

ثم قال :

" كما بدأنا اول خلقي نعیده وعدا علينا انا كنا فاعلين . . . الى اخر الاية ."

ثم قال :

" الا وان اول الخلائق يكس يوم القيامة ابراهيم ، الاوانه يجاء برجال من

امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب اصحابي ، فيقال : انك لا

تدرى ما احدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح " ٢ " وكنت عليهم شهيدا

ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ."

فيقال : ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم " ٣ "

وفي الموقف يصيب الناس كرب شديد ، وترى الناس سكارى وما هم

بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد . - اي من شدة ما هم فيه -

فقد روى القداد بن الاسود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قال :

---

١ - متفق عليه : انظر فتح الباري ( ١١ : ٣٢٥ ) ، وانظر : صحيح

مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ١٩٢ ) .

٢ - هو عيسى عليه السلام .

٣ - انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ٨ : ٢٣٠ ) .

"تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كققدار ميل" ١ ،  
فيكون الناس على قدار اعمالهم في العرق ، : فمنهم من يكون الى كعبه ،  
ومنهم من يكون الى ركبتيه ، ومنهم من يكون الى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق  
الجاما " و اشار صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه " ٢ " .  
وفي اثناء ذلك يكون اناس في ظل الله تحت عرشه ، كما ورد في حديث  
ابي هريرة رضي الله عنه ، وحديث ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ،  
فعنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
" سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل الا ظله : الامام العادل ،  
وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في  
الله ، اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ،  
نقال : اني اخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم بيئته ما  
تفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه " ٣ " .  
والناس يختلفون يوم الموقف اختلافا كبيرا حسب اعمالهم ، فالذين صلحت  
عقائدهم واعمالهم ، وزكت نفوسهم يكونون اكمل اجسادا وارواحا ، وغيرهم  
يكونون ناقص اجسادا وارواحا " ٤ " .  
فمن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
" يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ،  
وصنف على وجوههم " .

- 
- ١ - قال سليم بن عامر راوى الحديث عن القداد : - فوالله ما ادري ما يعني بالميل : امسافة الارض ، ام الميل الذي يكتحل به العين .  
/ انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ١٩٦ ) .
  - ٢ - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٧ : ١٩٦ ) .
  - ٣ - انظر : صحيح البخارى بحاشية السندی ( ١ : ١٢٠ ) ، الطبعة الاولى ، المطبعة العثمانية ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .  
وانظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ٧ : ١٢٠ ) / والسنن الكبرى للبيهقي ( ١٠ : ٨٧ ) .
  - ٤ - انظر : العقائد الاسلامية ، سيد سابق ص ٢٦٦ .

قيل : يا رسول الله : كيف يمشون على وجوههم ؟  
قال : ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم .  
اما انهم يتقون بوجوههم كل حداب " ١ " وشوك " ٢ "  
وما اعدل ان يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة في صور الذر ، تطوءهم  
الناس لهوانهم على الله عز وجل " ٣ "  
وصدق الله العظيم اذ يقول :  
" ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخروهم ليوم تشخص فيه  
الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء " ٤ "  
نعوذ بالله من هول الموقف ، ونعوذ بالله ان نكون من الظالمين . . .

- 
- ١ — الحدب : ما ارتفع من الارض .
  - ٢ — رواه الترمذى .
  - ٣ — انظر : في ذلك تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام  
( ٥ : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ) .
  - ٤ — سورة ابراهيم الايات ( ٤٣ — ٤٥ ) .

٣ - الشفاعة والحسوس

=====

أ :- الشفاعة :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الشفاعة من التشابهات التي استأثر الله بعلمها ،  
ولم يبينها .

ولذلك لا يبحث عنها ، لان علمها مرجعه النقل المحض بأسانيد  
صحيحة ، ولا مجال للرأى فيه .

وقد نسب الشيخ محمد عبده هذا الرأى الى السلف " ١ " ، ضوان

الله عليهم .

ونسب الى الخلف قولهم ان المراد بالشفاعة : دعا يستجيبه الله تعالى .

تفصيل كلام الشيخ محمد عبده :

=====

ذكر الشيخ محمد عبده ان في القران الكريم ايات ناطقة بنفي الشفاعة

مطلقا ، كقوله تعالى ، في وصف يوم القيامة :

" لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة " " ٢ "

وايات اخرى ناطقة بنفي منفعة الشفاعة كقوله تعالى ،

" فما تنفصم شفاعة الشافعين " " ٣ "

وايات تقيد النفي بمثل قوله تعالى : " الا باذنه " " ٤ " ، وقوله تعالى :

-----

١ - السلف على خلافه لان النقل ثابت ، والاسانيد صحيحة ، فلماذا لا

يقولون بها ؟ وسترى بعد قليل مذهب السلف في الشفاعة .

٢ - سورة البقرة اية ( ٢٥٤ ) .

٣ - سورة المدثر اية ( ٤٨ ) .

٤ - سورة البقرة اية ( ٢٥٥ ) .

" ١٠٠ " الا لمن ارتضى

وذكر الشيخ محمد عبده ان الناس في هذه الايات فريقان :

فريق يحكم الثاني بالاول ، " ٢ " .

واخر يرى انه لا منافاة بينهما ، فحتاج الى حمل احدهما على الاخر ، لان مثل هذا الاستثناء - اي الاستثناء بالاذن والمشية - معهود في اسلوب القران في مقام النفي القطعي للشعاربان ذلك باذنه ومشيته عز وجل ، كقوله تعالى :

" سقرتك فلا تنسى الا ما شاء الله " . " ٣ " .

وقوله تعالى : " خالد بن فيما ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك " . " ٤ " .

وهنا يتساءل الشيخ محمد عبده ، قائلًا :-

( فليس في القران نص قطعي في وقوع الشفاعة ، ولكن ورد الحديث

بإثباتها ، فما معناها ؟ ) " ٥ " .

ويشرح في الاجابة ، فيقول :-

( الشفاعة المعروفة عند الناس هي ان يحمل الشافع المشفوع عنده على

فعل او ترك كان اراد غيره - حكم به ام لا - فلا تتحقق الشفاعة الا بترك الارادة

وفسخها لاجل الشفيح .

فأما الحاكم المادل فانه لا يقبل الشفاعة الا اذا تخير علمه بما كان اراده ،

او حكم به ، كأن كان أخطأ ثم عرف الصواب ورأى أن المصلحة او العدل في خلاف

ما كان يريد ، أو حكم به .

- 
- ١ - سورة الانبياء آية ( ٢٨ ) .
  - ٢ - لم يفصح الشيخ محمد عبده عن هذا الرأي .
  - ٣ - سورة الاطى آية ( ٦ ) .
  - ٤ - سورة هود آية ( ١٠٧ ) .
  - ٥ - انظر : تفسير المنار ( ١ : ٣٠٧ ) .

واما الحاكم المستبد الظالم فانه يقبل شفاعة المشرمين عنده في الشيء وهو عالم بأنه ظلم وان العدل في خلافه ، ولكنه يفضل مصلحة ارتباطه بالشافع المقرب منه ، على العدالة .

وكل من النوعين محال على الله تعالى لان ارادته تعالى على حسب علمه ،

وعلمه ازلي لا يتغير ) . " ١ " .

قال الشيخ رشيد : قال شيخنا :-

( فما ورد في اثبات الشفاعة يكون على هذا من المتشابهات ، وفيه يقضي مذهب السلف بالتفويض والتسليم ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء يوم القيامة ، عبر عنها بهذه العبارة " الشفاعة " ، ولا نحيط بحقيقتها ، مع تنزيه الله جل جلاله عن المعروف من معنى الشفاعة في لسان التخاطب العرفي .

واما مذهب الخلف في التأويل : فلنا ان نحمل الشفاعة فيه على انها

دعاء يستجيبه الله تعالى .

والاحاديث الواردة في الشفاعة تدل على هذا . . . .

ففي رواية الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد يوم

القيامة ويشني على الله تعالى بثناء يلهمه يومئذ ، فيقال له :

" ارفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع " .

وليس في الشفاعة بهذا المعنى ان الله سبحانه يرجع عن ارادة كان ارادها ،

لاجل الشافع ، وانما هي اظهار كرامة للشافع بتنفيذ الارادة الازلية عقيب دعائه .

وليس فيها ايضا ما يقوى غرور المفسرين الذين يتهاونون بأوامر الدين ونواهي

اعتمادا على شفاعة الشافعين ، بل فيه ان الامر كله لله . ( . " ٢ " .

١ - انظر : نفس المصدر ونفس الصفحة .

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ ) .

وهنا يقف الشيخ محمد عبده مع الاحاديث الصحيحة الواردة في "الشفاعة"  
فيثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويوفق بين الايات والاحاديث :  
بأن "الاذن" الوارد في قوله تعالى : "الا ياذنه" واقع .  
وهو "ان نبينا صلى الله عليه وسلم يشفع في فصل القضاء" ، فيفتح باب  
الشفاعة ، فيدخل فيه غيره من الشفعاء كالانبياء والاصفياء . . . .  
يقول الشيخ محمد عبده :

( والله تعالى يأذن لمن يشاء ويطلع على علمه باستحقاق الشفاعة  
من يشاء كما علم من الاستثناء ) " ١ "



” تقويم كلام الشيخ محمد عبده ” :

=====

لم يوضح الشيخ محمد عبده مذهب السلف في الشفاعة ، واكتفى بالقول :  
ان السلف رضوان الله عليهم في مسألة الشفاعة ، يفوضون علم حقيقتها الى الله  
سبحانه وتعالى ، وانها مزية يختص الله بها من يشاء من عباده يوم القيامة .  
ونسب الشيخ محمد عبده الى الخلف القول بالتأويل ! اى تأويل  
الشفاعة ، بحملها على الدعاء الذى يفعل الله تعالى عقبه ما سبق في علمه الازلي  
ان سيفعله ، مع القطع بأن الشافع لم يغير شيئا من علمه ، ولم يحدث تأثيرا  
ما في ارادته تعالى ، وبذلك تظهر كرامة الله تعالى لعبده ، بما اوقع الفعل  
عقب دعائه .

واقول :

لم يوفق الشيخ محمد عبده في بيان مذهب السلف في مسألة الشفاعة ،  
وما نسبه الى الخلف هو في الحقيقة كلام السلف ، وبه فسر الشفاعة شيخ  
الاسلام ابن تيمية رحمه الله من غير تأويل .

واني احتكم والشيخ محمد عبده الى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، نفسه ،  
وهو مقرر مذهب السلف ، والكاتب بقلمهم . . . .

واليك مذهب السلف في مسألة الشفاعة كما قرره شيخ الاسلام :

يقول رحمه الله :

( اجمع المسلمون على ان النبي صلى الله عليه وسلم ، يشفع للمخلوق يوم  
القيامة ، بعد ان يسأله الناس ذلك ، وبعد ان يأذن الله له في الشفاعة .  
ثم ان اهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله  
عليهم اجمعين ،

واستفاضت به السنن من انه صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكباثر من امته ،

ويشفع ايضا لعموم الخلق .

فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها ، لا يشركه فيها احد ،  
وشفاعات يشركه فيها غيره من الانبياء والصالحين •  
لكن ماله فيها افضل مما لغيره ، فانه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ،  
واكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين  
ما يضيق هذا الموضوع عن بسطه ، ومن ذلك :  
" القام المحمود الذي يفبطه به الاولون والآخرين " •  
واحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها في الصحيحين احاديث متعددة ،  
وفي السنن والمسانيد ما يكثر عدده ( ٠٠٠ ) •  
هذا ما قاله شيخ الاسلام احمد بن تيمية رحمه الله تعالى ، في مجموع  
الفتاوى ، في المجلد الاول ، صفحة ٣١٣ ، ٣١٤ • وهو كلام مختصر  
مجمل ، وشرحه في نفس المجلد صفحة ١١٦ — ١٢٠ ، وفي مواضع اخرى من  
كتابه سندكرها باذن الله تعالى •  
وهناك ما شرحه به :-

يقول :

( ومن ذهب سلف الامة واثمتها وسائر اهل السنة والجماعة : اثبات الشفاعة  
لاهل الكبائر ، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مقال ذرة من ايمان •  
وايضا : فالاحاديث المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الشفاعة ،  
فيها :- استشفاع اهل الموقف ليقضى بينهم ، وفيهم المؤمن والكافر •  
وهذا فيه نوع شفاعة للكفار •

وايضا : ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب انه قال :  
يا رسول الله : هل نفعت ابا طالب بشي ؟ فانه كان يحوطك ،  
ويغضب لك •

قال : " نعم • هو في ضحضاح من نار ، ولولا انا لكان في الدرك الاسفل  
من النار " •

وعن عبد الله بن الحارث قال :

سمعت العباس يقول :

قلت يا رسول الله : ان ابا طالب كان يحوطك وينصرك ، فهل نفعه ذلك ؟

قال : " نعم " . وجدتته في غمرات من نار ، فأخرجته الى ضحاح " .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، ذكر عنده عمه " ابو طالب " فقال :

" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجمل في ضحاح من النار

يلغ كعبيه ، يخلي منه دماغه " .

فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في احد الكفار ان يخفف عنه العذاب ،

بل في ان يجعله اهون اهل النار عذابا ، . . . .

والشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس ، عند الاطلاق ، وهي

ان يشفع الشفيع الى غيره ابتداء ، فيقبل شفاعته .

فاما اذا اذن له في ان يشفع ، فيشفع ، لم يكن مستقلا بالشفاعة ، بل

يكون مطيعا له اى تابعه في الشفاعة ، وتكون شفاعته مقبولة ، ويكون الامر

كله للامر المسؤول .

وقد ثبت بنص القوان في غير اية : ان احدا لا يشفع عنده الا باذنه ،

كما قال تعالى :

" من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه " . " ١ "

وقال تعالى : " ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له " . " ٢ "

وقال تعالى : " ولا يشفعون الا لمن ارتضى " . " ٣ "

١ - سورة البقرة اية ( ٢٥٥ ) .

٢ - سورة سبأ اية ( ٢٣ ) .

٣ - سورة الانبياء اية ( ٢٨ ) .

وامثال ذلك •

والذى يبين ان هذه هي الشفاعة المنفية انه قال تعالى :  
" وانذره الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا

شفيع لهم يتقون " • " ١ "

وقال تعالى : " الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى

على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع " • " ٢ "

فأخبر انه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع ( ٥١ هـ

وقال رحمه الله في موضع اخر : " ٣ "

( وله صلى الله عليه وسلم - في القيامة - ثلاث شفاعات :-

اما الشفاعة الاولى : فيشفع في اهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد ان تتراجع

الانبياء : ادم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن

• مريم ، عن الشفاعة حتى تنتهي اليه •

واما الشفاعة الثانية : فيشفع في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة •

• وهاتان الشفاعتان خاصتان له •

واما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار •

وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصديقين ،

• وغيرهم •

• فيشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها ان يخرج منها •

• ويخرج الله تعالى من النار اقواما بخير شفاعة ، بل بفضله ورحمته •

• ويبقى في الجنة ممن دخلها من اهل الدنيا ، فينشي الله لها اقواما فيدخلهم الجنة (

٥١ هـ

١ - سورة الانعام اية ( ٥١ ) •

٢ - سورة السجدة اية ( ٤ ) •

٣ - انظر : مجموع الفتاوى ( ٣ : ١٤٧ ، ١٤٨ ) •

واليك النص التالي من كلام شيخ الاسلام ، وفيه يحمل معنى الشفاعة على

الدعاء المستجاب ، له صلى الله عليه وسلم :

يقول رحمه الله تعالى :

( وهو صلى الله عليه وسلم ، شفيع الخلائق ، صاحب المقام المحمود ،

الذي يخبطه به الاولون ، والآخرين ،

فهو اعظم الشفعاء قدرا ، واعلاهم جاها عند الله تعالى ، وقد قال

تعالى عن موسى :

" وكان عند الله وجيها " . " ١ "

وقال تعالى عن المسيح :

" وجيها في الدنيا والاخرة " . " ٢ "

ومحمد صلى الله عليه وسلم ، اعظم جاها من جميع الانبياء والمرسلين ،

لكن شفاعته ودعاؤه ، انما ينتفع به من شفعه له الرسول ودعا له ،

فمن دعا له الرسول ، وشفعه له ، توسل الى الله بشفاعته ودعاؤه ،

كما كان اصحابه يتوسلون الى الله بدعاؤه وشفاعته ، وكما يتوسل الناس يوم القيامة

الى الله تبارك وتعالى ، بدعاؤه وشفاعته صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما ) . " ٣ "

ويقول ايضا :

( واما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدن باتفاق المسلمين ،

وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ، ورفع الدرجات ، متفق عليها

بين المسلمين .

وقد قيل ان بعض اهل البدعة ينكرها .

واما شفاعته لاهل الذنوب من امته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم

١ - سورة الاحزاب اية ( ٦٩ ) .

٢ - سورة ال عمران اية ( ٤٥ ) .

٣ - مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ١ : ١٤٣ ) .

باحسان ، وسائر ائمة المسلمين الاربعة ، وغيرهم ،  
وانكرها كثير من اهل البدع من الخوارج " ١ " ، والمعتزلة ، والزيدية " ٢ " .  
وقال هؤلاء : من يدخل النار لا يخرج منها ، لا بشفاعة ، ولا غيرها .  
وعند هؤلاء ما ثم الا من يدخل الجنة فلا يدخل النار ، ومن يدخل النار ،  
فلا يدخل الجنة . ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب .  
واما الصحابة ، والتابعون لهم باحسان ، وسائر الائمة كالأربعة وغيرهم ،  
فيقرون بما تواترت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم : ان الله  
يخرج من النار قوما بعد ان يعذبهم الله ما شاء ان يعذبهم ، ويخرجهم بشفاعة  
محمد صلى الله عليه وسلم ، ويخرج اخرين بشفاعة غيره ، ويخرج قوما بلا شفاعة " ٣ " .  
ومعد :

فهذا هو كلام مقرر السلف - رضي الله عنهم - وقد تبين منه صحة ما  
ذكرت ، وهو : ان مذهب السلف في الشفاعة : ثبوتها لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، وغيره من الانبياء ، والصالحين يوم الكرب العظيم .  
وانما تكون بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن اذن الله له بها .  
واستجابة الله لهم حسبما سبق في علمه الازلي كرامة لهم واستحقاقا .  
وقد ادرك الشيخ رشيد رضا هذا المعنى عن السلف - رضي الله عنهم -  
فتدارك خطأ استاذه ، فعقب على كلامه ، وذكر ان هذا هو مذهب شيخ الاسلام

---

١ - هم الذين خرجوا على الامام علي رضي الله عنه ، بعد حادثة التحكيم ،  
بينه وبين معاوية رضي الله عنه ، وقد قاتلهم الامام علي وقضى على معظمهم .  
٢ - من فرق الشيعة ، ينتسبون الى الامام زيد بن علي رضي الله عنه ، وهم  
اقرب فرق الشيعة الى اهل السنة ، واغلبهم يسكن ارض اليمن من الجزيرة  
العربية .

٣ - مجموع الفتاوى ( ١ : ١٤٨ ، ١٤٩ ) .

ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وبه فسر الشفاعة . " ١ "   
 وعلى الجملة : فان الشفاعة - عند السلف - يقصد بها سؤال الله الخير   
 للناس يوم الموقف العظيم ، اذا اشتد الامر بالناس ، وعظم بهم الكرب ، فهي   
 نوع من انواع الدعاء المستجاب .   
 واولها الشفاعة العظمى ، ولا تكون الا لنبينا ، وسيدنا الحبيب محمد   
 صلى الله عليه وسلم . فانه يسأل الله سبحانه ان يقضي بين الخلق ، ويعجل   
 لهم فصل القضاء ليستريحوا من هول الموقف ، فيستجيب الله له ، فيفبطه   
 الاولون ، والآخرين ، ويظهر بذلك فضله على العالمين ، وهذا هو المقام   
 المحمود الذي وعد به في قول الحق سبحانه وتعالى :

" ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا " . " ٢ "   
 الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم ،

قال :

" ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن ، فبينما   
 هم كذلك ، استغاثوا بادم ، فيقول : لست بصاحب ذلك .

ثم يموسى فيقول كذلك .

ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشي حتى   
 يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا ، يحمده اهل الجمع   
 كلهم " . " ٣ "

- 
- ١ - انظر: تفسير المنار ( ٣ : ٣٣ ) .
  - ٢ - سورة الاسراء اية ( ٧٩ ) .
  - ٣ - رواه ابو داود والحاكم . وقد رويت احاديث الشفاعة عن جمهور من الصحابة : منهم ما رواه البخارى ومسلم عن انس بن مالك : انظر البخارى ( ١١ : ٨٢ ) ، باب لكل نبي دعوة . وقد وصله مسلم رقم ( ٢٠٠ ) في الايمان : باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم ، دعوات الشفاعة لامته .

وقد وردت احاديث كثيرة بهذا المعنى ، تفيد بمجموعها ثبوت الشفاعة  
لنبينا صلى الله عليه وسلم يوم الموقف العظيم . " ١ "   
وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات " ٢ " ، فهي مشروطة " بالاذن " من  
الله عز وجل ، وان تكون لمن ارتضى الله ان يشفع له ، ولا يرتضى الله

- 
- = ومنهم جابر بن عبد الله ، وابو هريرة ، وعوف بن مالك ، وعن حذيفة بن  
اليمان ، وابي سعيد الخدري ، وابي بن كعب .  
انظر سنن الترمذى رقم ٣١٤٧ .  
وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ - ٢٥٤ .  
وانظر شرح العقيدة الواسطية ص ١٢٨ .  
والعقائد الاسلامية ، لسيد سابق ص ٢٦٧ .  
وصحيح مسلم بشرح النورى ( ٣ : ٥٤ - ٧٧ ) .
- ١ - انظر كتاب : جامع الاصول في احاديث الرسول ، لابن الاثير الجزرى ،  
( ١٠ : ٤٧٥ - ٤٩٠ ) .
- ٢ - ذكر شارح العقيدة الطحاوية ثمانية انواع للشفاعة : منها ما هو متفق عليه بين  
الامة ، ومنها ما خالف فيه المعتزلة وغيرهم . . . .
- النوع الاول : الشفاعة الاولى ، وهي العظمى الخاصة بنبيينا محمد صلى الله  
عليه وسلم ، دون سائر اخوانه من الانبياء والمرسلين .
- النوع الثانى : شفاعة صلى الله عليه وسلم في اقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم  
فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة .
- النوع الثالث : شفاعة صلى الله عليه وسلم في اقوام اخرين قد امر بهم الى  
النار ، ان لا يدخلوها .
- النوع الرابع : شفاعة صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها  
فوق ما كان يقتضيه ثواب اعمالهم .
- النوع الخامس : الشفاعة في اقوام ان يدخلوا الجنة بغير حساب .
- النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عن يستحقه .
- النوع السابع : شفاعة ان يؤمن لجميع المؤمنين ان يدخلوا الجنة =



الشفاعة الا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الالهي . " ١ " .  
اسأل الله ان تكون ممن يشفع لهم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، يوم  
الموقف العظيم ، وان تكون من الذين ينعم الله عليهم بعفوه ورضاه ، امين .

- 
- = النوع الثامن : شفاعته في اهل الكبائر من امته ممن دخل النار ،  
فيخرجون منها ، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة  
والنبيون ، والمؤمنون ايضا .  
انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ - ٢٥٨ / والعقائد  
الاسلامية ص ٢٦٧ ، ٢٩١ ،  
والاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .  
ومجموع الفتاوى ( ١ : ١٤٣ - ١٤٩ ) ، ( ٣ : ١٤٧ ) ،  
( ٥ : ٣٠٩ ) ، ( ١١ : ١٨٤ ، ١٨٥ (٢) ) ،  
( ١٦ : ١٩٥ ، ١٩٦ ) .  
١- انظر العقائد الاسلامية ص ٢٦٨ .  
وانظر كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ص ٢٤٢ .

ب : - " الحوض " :

=====

واما الحوض فهو مكرومة من الله تعالى ، لنبيه ، تفضل الله به عليه وعلى

امته صلى الله عليه وسلم .

وقد نص عليه البيان القراني في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر فصل

لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " ١

روى مسلم عن انس رضي الله عنه قال :-

" بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا في المسجد ، اذ اغفي

اغفاءة ثم رفع رأسه مبتسما .

قلنا : ما اضحكك يا رسول الله ؟

قال : لقد انزلت علي انفا سورة ، قدراً : بسم الله الرحمن الرحيم ،

" انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر " .

ثم قال : اتدرون ما الكوثر ؟

قلنا : الله ورسوله اعلم .

قال : فانه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه

امتي يوم القيامة ، انيته عدد النجوم في السماء ، فيختلج المبد منهم ،

فأقول : رب انه من امتي ، فيقول : انك لا تدري ما احدث بعدك . " ٢ " .

وحاصله : ان ماء الحوض والكوثر شيء واحد كما نص عليه هذا الحديث ،

وان اصله في الجنة . فما كان جارياً منه في الجنة فهو ماء الكوثر ، وما انصب

---

١ - سورة الكوثر ، مكية واياتها ثلاث ، نزلت بعد العاديات .

٢ - الحديث صحيح على شرط مسلم ، انظر المسند ( ٣ : ١٠٢ ) .

منه في خارج الجنة فهو ماء الحوض ، وهو الذي يريده المؤمنون الثابتون على دين الله ، قبل دخولهم الجنة ، ويكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فرطاً لهم عنده .

وانا انما سقت هذه المقدمة ، لاني لم اجد للشيخ محمد عبده قولاً في الحوض ، ووجدت له رأياً في معنى الكوثر الوارد ذكره في السورة ، يخالف فيه نص الحديث السابق ، عن انس رضي الله عنه .

واليك نص كلام الشيخ محمد عبده :

يقول :

” فاذا جرينا على ان الكوثر هو النبوة او العلم او الحكمة او نور

القلب ، - وهو الهدى والرشاد - كان المعنى : ان الذي اعطيناك من هذه المواهب هو الكثير الذي لا يكثره شيء ، وان استقله الضعفاء ، او استخف به الاعداء .

واي كثير يعد كثيراً بالنسبة الى الهدى والرشاد ومعرفة طريق السعادة ؟

أليس الهدى منبج القوة والعزة ، وهو الذي يحفظهما بعد حصولهما ؟

اذ القوة والمال - اذا لم تكن معهما الهداية التي تقيم صاحبها على الطريق المستقيم

- لا بقاء لهما ، وصيرهما الى الزوال ، وصير كثرتهما الى قلة .

وكما قال سيدنا علي رضي الله عنه : ” العلم يحفظك وانت تحفظ المال ” .

ولا سبيل الى حفظ المال الا بالعلم .

والجهل والضلال مضيعة كل شيء من جاءه او مال .

وعلى ان الكوثر هو الخير الدنيوي والاخروي يكون المراد :-

ان هؤلاء المستعجلين بالسيئة يظنون انك في قل وضعف ، وان اغنياءهم

واقوياءهم في عز ونبعة ، ولا يعلمون اننا قد اعطيناك من الخير الذي يعظم في نفوسهم

١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

- وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٦٢ .

مما لا يعرفون ، ومن الخير المدخر لك في الخيب مما لا يدركون ، شيئا كثيرا لا  
تحد كثرته •

واما ان هناك نهرا في الجنة اسمه الكوثر ، وان الله اعطاه نبيه ،  
فلا يفهم من معنى الآية ، بل الذي يدل عليه سياق السورة ، وموضع نزولها هو  
الذي بيناه من احد القولين •

والاول - وهو النبوة وما في معناها - ارجح •

اما الاعتقاد بوجود هذا النهر في الجنة ، فموقوف على تواتر الاخبار التي  
وردت به ، وقد ذهب جماعة الى انها متواترة المعنى ، فيجب الاعتقاد بوجود  
النهر على وجه عام دون تفصيل اوصافه لكثرة الخلاف فيها ...  
وبالجملة : فخير وجود النهر من الاخبار الغيبية ، لا يجوز الاعتقاد به  
الا بعد التيقن انه ورد عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فاننا وصلت فيه الى  
اليقين الذي لا يجوز عندك تبذله ، وكان علمك بصدوره عنه - عليه السلام -  
كعلمك بوجود مكة او المدينة قبل ان تراهما ، فاعتقد به ، والا ففوض الامر الى الله ،  
قل : لا اعلم • والله اعلم ( ١٠١ هـ ) " ١ "

هذا هو كلام الشيخ محمد عبده في الكوثر ، اما الحوض فلم يتعرض له ،  
وهو من الاخبار الغيبية ، التي ورد الخبر فيها عن المعصوم صلى الله عليه وسلم •  
والواقع ان الشيخ محمد عبده في جريانه على ان الكوثر هو النبوة او الخير  
الكثير ، كان مسبقا الى هذا الراى ، وقد سبقه اليه كثير من ائمة المفسرين  
المشهورين • " ٢ "

- 
- ١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤ ) •
  - ٢ - انظر : فتح القدير ( ٥ : ٥٠٢ ) •
  - وانظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦٨٣ ) •

- قد قال ابوبكر بن عياش : هو كثرة الاصحاب والامة .  
• وقال عكرمة : الكوثر ، النبوة .  
• وقال الحسن : هو القرآن .  
• وقال الحسن بن الفضل : هو تفسير القرآن ، وتخفيف الشرائع .  
• وقال ابن كيسان : هو الايثار .  
• وقيل : هو الاسلام ، وقيل : لا اله الا الله ، وقيل : الشفاعة ،  
• وقيل : رفعة الذكر ، وقيل : نور القلب ، وقيل : المعجزات ، وقيل :  
• اجابة الدعوة ، وقيل : الفقه في الدين ، وقيل : الصلوات الخمس .  
وهذا الذي ذهب اليه الشيخ محمد عبده في معنى الكوثر ، ونسبه الى  
كثير من المفسرين ، اقرب الى المعنى اللغوي :  
اذ الكوثر في اللغة : فعمل . من الكثرة . وصف به للمبالغة في الكثرة ،  
مثل النوفل من النفل ، والجوهر من الجهر .  
والعرب تسمي كل شي كثير في العدد او القدر او الخطر ، كوثرًا .  
ومنه قول الشاعر :  
قد تارتقح الموت حتى تكوثرًا .<sup>١</sup>  
والكوثر من الرجال : السيد الكثير الخير . والكوثر من الغبار الكثير .<sup>٢</sup>  
وقيل لاعرابية رجح ابنها من السفر : بم رجح ابنك ؟ قالت : بكوثر .  
وقال الكميث :  
وانت كثير يا ابن مروان طيب  
وكان ابوك ابن الحقائل كوثرًا  
فيكون المعنى على هذا :

١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦٨٣ ) .

٢ - انظر مختار الصحاح ، للرازي ص ٥٦٤ .

انا اعطيتك يا محمد الخير الكثير البالغ في الكثرة الى الغاية .

قال البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهم ، انه قال في الكوثر : هو الخير الذي اعطاه الله اياه .

قال ابويشور : قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : الكوثر :

الخيار الكثير .

وهذا التفسير يعم النهر وغيره ، لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ، ومن ذلك النهر . كما قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد رضي الله عنهم اجمعين . \* ١ \*

وايضا فان الشيخ محمد عبده قد تجاهل اكثر كلام المفسرين ، واهل

الحديث ، في ان الكوثر نهر في الجنة .

فقد ذهب اكثر المفسرين - كما حكاه الواحدى - الى ان الكوثر نهر في

الجنة .

وقيل : هو حوض النبي صلى الله عليه وسلم في الموقف العظيم ، قاله عطاء .

ومن الذين قالوا انه نهر في الجنة ، ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

واسامة بن زيد ، وانس بن مالك ، وابن عباس في احد قوليه .

وهؤلاء من اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومفهم المراد

من كلامه " ٣ " .

وقد اخرج ابن ابي شيبة واحمد وابوداود ، والنسائي وابن جرير وابو يعين

- 
- ١ - انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦٨٣ ) .
  - ٢ - انظر فتح القدير ، للشوكاني ( ٥ : ٥٠٣ ) .
  - ٣ - انظر حادى الارواح الى بلاد الافراح ، لابن القيم ص ١٢٣ وما بعدها .

المنذروا بن مردويه ، والبيهقي في سننه ، عن انس قال :  
اغني رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفائة ، فرفع رأسه مبتسماً ،

فقال :

" انه انزل علي انفا سورة " اقرأ : ( بسم الله الرحمن الرحيم : انا

اعطيناك الكوثر ) ، حتى ختمها .

قال : " هل تدرون ما الكوثر " ؟

قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير ترد عليه امتي يوم القيامة

... الى اخر الحديث . فقد سبق ذكره ، وقد اخرج مسلم في صحيحه

عن انس رضى الله عنه .

واخرج البخارى ومسلم ، وغيرهما عن انس ، قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

" دخلت الجنة ، فاذا انا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي الى

ما يجرى فيه الماء ، فاذا مسك اذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال :

هذا الكوثر الذى اعطاكه الله ."

وقد روى انس رضى الله عنه من طرق ، كلها صريحة بأن الكوثر هو النهر

الذى في الجنة .

واخرج ابن ابي شيبة ، والبخارى ، وابن جرير ، وابن مردويه عن ام

المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، انها سئلت عن قوله تعالى " انا اعطيناك الكوثر "

قالت : هو نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم في بطن الجنة .

واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه نهر في الجنة .

واخرج الطبراني في الاوسط عن حذيفة في قوله تعالى : " انا اعطيناك الكوثر "

قال : نهر في الجنة . وحسن السيوطي اسناده .

واخرج ابن جرير وابن مردويه عن اسامة بن زيد مرفوعاً : " انه قيل لرسول الله

صلى الله عليه وسلم :

انك اعطيت نهرا في الجنة يدعى الكوثر ؟

قال : اجل ، وارضه يا قوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ " ١ " .

قال الامام الشوكاني رحمه الله في " فتح القدير " :

( فهذه الاحاديث تدل على ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة ، فيتعين

المصير اليها ، وعدم التحويل على غيرها ، وان كان معنى الكوثر هو الخير الكثير في

لغة العرب . فمن فسر به بما هو اعم مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

فهو تفسير ناظر الى المعنى اللغوي . . . .

وهذا التفسير من جبر الامة - ابن عباس رضي الله عنهما - ناظر الى المعنى

اللغوي كما عرفناك ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فسر به فيما صح

عنه انه النهر الذي في الجنة ، واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ) " ٢ " .

والرأى عندي : ان الكوثر هو النهر الذي في الجنة ، عليه خير كثير .

وليس المراد الخير الكثير ومنه النهر الذي في الجنة .

لان الرسول صلى الله عليه وسلم ، صرح بهذا في حديث انس .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هو نهر اعطانيه ربي في الجنة عليه

خير كثير " .

والكوثر هو اصل الحوض ، وهو يصب فيه ، واصله في الجنة ، فما كان

جاريا داخل الجنة فهو الكوثر ، والماء المنصب خارجها ينصب في الحوض ،

وهو الذي ترد عليه امة محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم القيامة ، في الموقف .

---

١ - انظر مجموع هذه الاحاديث في جامع الاصول في احاديث الرسول

( ١٠ : ٤٦١ - ٤٧٤ ) وفي الصحيحين .

٢ - فتح القدير ( ٥ : ٥٠٤ ) .



اقول : هذا ما يجب على المؤمن اعتقاده ، فان الاحاديث الواردة فيه تبلغ حد التواتر ، رواها من الصحابة اكثر من ثلاثين صحابيا . " ١ "

ويكون اول من يرده محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ترده بعده امته ، ولا يصل اليه كافر ، ولا من فعل الكبائر . " ٢ "

قال صلى الله عليه وسلم : " انا فرطكم على الحوض " ٣ " ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظم ابدا ، وليردن علي اقوام اعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انهم امتي . فيقال : انك لا تدري ما عملوا بعدك ؟ فأقول : سحقا ، سحقا لمن يدل بعدي . " ٤ " .

وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم : خرج يوما فصلى على اهل احد صلاته على الميت ، ثم انصرف الى المنبر فقال : " اني فرط لكم وانا شهيد عليكم ، والله لانظر الى حوضي الان ، واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض ، او مفاتيح الارض ، واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ، ولكن اخاف ان تتنافسوا فيها . " ٥ " .

واخرج البخاري ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

- 
- ١ - انظر شرح المفيدة الطحاوية ص ٢٥٠ / وشرح المفيدة الواسطية ص ١١٥
  - ٢ - انظر الدين الخالص ( ١ : ١١١ ) .
  - ٣ - الفرط : هو من يتقدم الواردة ليرتاد لهم الماء ، ويهيئ لهم الارسان والدلاء ، والمعنى انا متقدمكم وسابقكم الى الحوض / انظر مختار الصحاح ص ٤٩٩ .
  - ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٥ : ٥٣ ، ٥٤ ) .
  - ٥ - متفق عليه ، انظر صحيح البخاري كتاب الجنائز / صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٥ : ٧٥ ) .

" اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ اناس دوني ،  
فأقول : يارب مني ومن امتي ، فيقال : اما شمعت ما عملوا بعدك ، والله ما  
برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم " ١ " ٠ "

هذا ، وعلى المؤمن ايضا ان يؤمن بما ورد في صفة الحوض على لسان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الاحاديث من غير تأويل . . .  
قال شارح الطحاوية :

( والذي يتلخص من الاحاديث الواردة في صفة الحوض :

انه حوض عظيم ، ومورد كريم ، يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ،  
الذي هو اشد بياضا من اللبن ، وابرد من الثلج ، واحلى من العسل ، واطيب  
ريحا من المسك ، وهو في غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه  
مسيرة شهر .

وفي بعض الاحاديث : انه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع ، وانه  
ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ، ويشمر الوان الجواهر  
، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء .

وقد ورد في احاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا صلى الله عليه  
وسلم اعظمها واحلاها واكثرها واردا " ٢ " ٠ جعلنا الله منهم بفضلهم وكرمه ) " ٣ " ٠

- 
- ١ - صحيح مسلم بشرح النووي ( ١٥ : ٥٥ ) .  
٢ - حسن ، الخرجه الترمذي ( ٢ : ٦٧ ) ، طبع الهند وقال غريب ، ثم ذكر  
انه ورد مرسلا وقال : " هو اصح " ، ورواه الطبراني ايضا كما في " المجمع " ( ١٠ : ٣٦٣ ) ، وقال : " وفيه مروان بن جعفر السمرى وثقه ابن ابي  
حاتم ، وقال الازدي : يتكلمون فيه ، وبقية رجاله ثقات " .  
قال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني " ثم وجدت ما يقوى الحديث ،  
فخرجه في الصحيحة ( ١٥٨٩ ) .  
/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ .  
٣ - شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ ، ٢٥٢ /  
وانظر العقائد الاسلامية ص ٢٨١ .

ومن الاحاديث الواردة في صفة الحوض ، ما اخرج به البخارى عن عبد الله

ابن عمرو رضي الله عنهما انه قال :-

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه ابيض من اللبن ، وريحه اطيب من المسك ، وكيزانه " ١ " كنجوم السماء " ، من شرب منها فلا يظلم ابدا " ٢ " .

اقول :

هذا غيض من فيض من الاحاديث الصحيحة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه

وسلم ، في ذكر حوضه ، وقد بلغت حد التواتر . فيجب ان نصدق بها ، والتصديق بالحوض من الايمان . . . .

نقل النووى رحمه الله عن عياض قوله :

( احاديث الحوض صحيحة ، والايمان به فرض ، والتصديق به

من الايمان . وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه . . . .

وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة : فذكره مسلم من رواية ابن

عمرو بن العاص ، وعائشة ، وام سلمة ، وعقبة بن عامر ، وابن مسعود ،

وحذيفة ، وحارثة بن وهب ، وابي ذر ، وثوبان وانس ، وجابر بن سمرة ،

ورواه غير مسلم ، من رواية ابى بكر الصديق ، وزيد بن ارقم ، وابي امامة

وعبد الله بن زيد ، وابي برة ، وسويد بن جبلة ، والزهراء بن عازب ،

واسماء بنت ابى بكر ، وخولة بنت قيس . . . .

وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا ) " ٣ " .

١ - اى انيته وباريقه .

٢ - انظر فتح البارى ( ١١ : ٣٩٦ - ٣٩٨ ) / صحيح مسلم بشرح

النووى ( ١٥ : ٥٥ ) .

٣ - انظر صحيح مسلم بشرح النووى ( ١٥ : ٥٣ ) .

هذا ، وقد ورد في بعض الاحاديث ان لكل نبي حوضا ، وان حوض نبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم ، اعظمها ، واحلاها ، واكثرها واردا . . . . " ١ " .  
جعلنا الله ممن يردده ، بفضلته وكرمه ، آمين .

- 
- ١ - انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ / والاسئلة والاجوبة الاصلية ص  
٢٦٩ / والعقائد الاسلامية ص ٢٨١ .  
وحديث " ان لكل نبي حوضا ترده امته ، وانهم ليتباهون ايهم اكثر  
واردة " .  
اخرجه الترمذى من طريقين :  
الاول : عن سمرة بن جندب رضي الله عنه رقم ٢٤٤٥ ، واسناده  
ضعيف .  
وقال الترمذى هذا حديث غريب .  
الثاني : عن الحسن البصرى . قال الترمذى : وقد روى الاشعث بن  
عبد الملك .  
هذا الحديث عن الحسن بن النبي صلى الله عليه وسلم ، مرسل .  
ولم يذكر فيه عن سمرة ، وهو اصح .  
انظر جامع الاصول ( ١٠ : ٤٦٧ ) ، تحقيق عبد القادر  
الأرتاؤوط .

٤ - العرض ، الحساب ، الجزاء

=====

ويعنى بالعرض ، عرض الناس على الله ، يوم الدين .  
وبالحساب ، توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على  
اعتقاداتهم واقوالهم واعمالهم خيرا كانت او شرا .  
وبالجزاء ، مجازاة العباد على اعمالهم واقوالهم ومعتقداتهم ، بعد  
محاكمة رابنية عادلة ، لهم ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر . " ١ "

" رأى الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء " :

=====

أ : رأيه في العرض :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الانسان اذا مات لقي الله عز وجل كما يلاقي  
الغائب من يقدم عليه ، وهناك بعد البعث ، يوم الموقف العظيم ، يتحقق  
هذا اللقاء لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل يوم القيامة ، وهي مرحلة :  
الحساب العادل ، والجزاء العادل . . . . .

يقول الشيخ محمد عبده :-

( وهناك لقاء الله ، فان الموت يكشف عن الروح فطاء الخفلة ، ويجلو

لها وجه الحق ، فتعرف من الله ما كانت تنكره ، فقد لقيته كما يلاقي الغائب

من يقدم هو عليه . وما بعد الموت من رجعة الا يوم البعث ، يوم يقوم الناس للعرض

على ملك يوم الدين . كما قال تعالى :

" يومئذ تعرضون لا تخفي منكم خافية " ١

وهناك يرتفع الالتباس ، ويعرف كل عامل ما جراه عمله ( ٢ )

ب : رايه في الحساب :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الحساب يكون بعد البحث والعرض ، يقول :-

( وبعد البحث يكون الشروع في الحساب ) ٣

وان الشيخ محمد عبده في مسألة الحساب يجمع بين التفويض والتأويل ،  
على الطريقة التي وضعها لنفسه ، وهي : الجمع بين طريق السلف والخلف ،  
كما سبق .

فهو يؤمن بالحساب ، وهذا لا خلاف فيه ، وان الحساب يكون  
بالكتب والصحف ، وهي كتب و صحف مما استأثر الله بعلم حقيقتها . . . .  
يقول :-

( وهذه الكتب التي تكتب فيها اعمال المجهين او اعمال الابرار مما  
استأثر الله بعلم حقيقته . . . .

وليس علينا منها من أوراق أو أخشاب أو معادن آخر أو من أرواح غير  
اجسام ، كل ذلك مما لا حاجة الى البحث فيه لاستكمال الايمان ، وقد  
يكشفه الله للمصطفين من عباده . . . . " ٤

والكتابة هنا على النحو الذي يليق بتنزيه الله تعالى ، وهو اعلى من

---

١ - سورة الحاقة اية ( ١٨ ) .

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٦٨ ) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٦٨ ) .

٤ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٣٨ ) .

كتابتنا التي نعرفها ، واشد منها ضبطا ، لكنا لا نكلف بالبحث عنها ،  
فذلك مما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله . . . " ١ "

والصحف التي تنشر يوم القيامة بعد البحث ، هي صحف الاعمال .  
والذي يجب علينا اعتقاده ان اعمال العباد تظهر لهم ثابتة مهيئة لا يرتابون  
فيها يوم الجزاء ، ويعبر عن معنى ذلك الثبوت والبيان ، بنشر صحف الاعمال .  
اما كون الصحف على مثال الاوراق التي نكتب عليها في الدنيا ، او على  
مثال اللوح ، او ما يشبه ذلك ، مما جرى استعماله للكتابة عليه ، فذلك  
مما لم يصل علمنا اليه ، ولن يصل اليه بمجرد العقل ، ولم يرو عن المعصوم  
صلى الله عليه وسلم ، فيه نص قاطع ( " ٢ " )

لكن الشيخ محمد عبده ، يذهب الى تقرير التمثيل والتصوير في كيفية  
ايتاء الكتاب " باليمين " او " اليسار " او " وراء الظهر " على وجه يليق بكتاب  
الله ، وحكمته الباهرة ، كما يرى هو ،  
واليك شرح الاية الكريمة ، وهي قوله تعالى من قائل : " فاما من اوتي  
كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " " ٣ " ، لكي نقف من شرحه على  
ما ذهب اليه .

يقول :-

( واما الكلام في ايتاء الكتاب باليمين او وراء الظهر ، فاليك ما يليق منه  
بكتاب الله ، وحكمته الباهرة :

---

١ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٥٩ ) .

٢ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٣٨ ) .

٣ - سورة الانشقاق اية ( ٨ ) .

- اليمين تذكر في كتاب الله عبارة عن القوة ، او اليمين ، او الخير .  
قال الله تعالى : " واقبل بعضهم على بعض يتسائلون . قالوا انكم كنتم  
تأتوننا عن اليمين . قالوا بل لم تكونوا مؤمنين " ١ " .  
قال صاحب الكشاف : بعد ان ذكر شرف اليمين وما يناط بها من الاعمال :  
" واستعيرت لجهة الخير وجانبه ، فقيل : اتاه عن اليمين — اي  
من قبل الخير وناحيته — فصدده عنه واضله " ١٠١ هـ " ٢ " .  
وقال البيضاوي : " عن اقوى الوجوه وايمنها ، او عن الدين والخير " ١٠١ هـ " ٣ " .  
وجاء في الكشاف ايضا : " وجاء في بعض التفاسير : من اتاه الشيطان من جهة  
اليمين ، اتاه من قبل الدين ، فليس عليه الحق . ومن اتاه من جهة الشمال ،  
اتاه من قبل الشهوات ، ومن اتاه من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيامة  
والثواب والعقاب . ومن اتاه من خلفه ، وخوفه الفقر على نفسه ، وعلى من  
يخلف بعده ، فلم يصل رحما ، ولم يؤد زكاة " ١٠١ هـ " ٤ " .  
وقال تعالى في سورة الحاقة : " ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين " ٥ " .  
: اي لو ادعى علينا شيئا لم نقله ، لقتلناه صبرا .  
قال البيضاوي : " وهو تصوير لاهلاكه بأفطح مما يفعله الملوك بمن يخضبون عليه .  
وقيل : اليمين بمعنى القوة " ١٠١ هـ " ٦ " .  
وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى : " فراغ عليهم ضربا باليمين " ٧ " .

- 
- ١ — سورة الصافات الايات ( ٢٧ — ٢٩ ) .
  - ٢ — تفسير الكشاف للزمخشري ( ٣ : ٣٣٨ ) .
  - ٣ — تفسير البيضاوي ص ٦٢٠ .
  - ٤ — تفسير الكشاف ( ٣ : ٣٣٩ ) .
  - ٥ — سورة الحاقة الايات ( ٤٤ : ٤٥ ) .
  - ٦ — تفسير البيضاوي ص ٧٨٦ و ٧٨٧ .
  - ٧ — سورة الصافات اية ( ٩٣ ) .



١٠ : تقييده باليمين ، للدلالة على قوته ، لان قوة الاله تستدعي قوة الفعل "١٠ هـ

فانما استعملت اليمين لتمثيل القوة ، قابلتها اليسار والشمال ، في

تصوير الضعف ، وكذلك يقال في الخير والشر ، وما يقابلهما .

ثم ، مما لا يحتاج الى بيان ، ان اليمين هنا الة الاخذ لا الة الاعطاء ،

لانها مضافة الى ضمير العبد ، فيكون المعنى : فاما من اوتي كتابه فاخذه او تناوله بيمينه ، فكأنه يقول : فاما من عرض عليه كتابه ، وقدم اليه سجل اعماله ، فتناوله بيمينه ، فأمره كيت وكيت .

ومن يتناول شيئاً بيمينه ، يكون قد توجه اليه بعزمه ، واندفع نحوه بقوة

نفسه ، بخلاف من يتناول ما يعطاه ، يأخذ بيساره ، فان مد اليسار اليه دليل

كراهته له ، واطهر في الدلالة على الكراهة والنفور مما يعرض عليه ان يستدبره ، ويعرض عنه ، فيكون وراء ظهره .

فمعنى اية الحاقة ، والاية التي نحن بصدد ها : فاما من عرض عليه

كتابه ، وقدم اليه ليأخذه ، فاندفع اليه بعزيمة نفسه ، لشعوره بأنه

مستودع الصالحات ، وسجل البر والمكرمات ، فشأنه كذا .

واما من قدم اليه كتابه ، وعرض عليه عمله ، فخزيت نفسه ، وخارت

عزمته ، فمد اليه يساره لعله لا يستطيع ضبطه ، فيسقط منه ، فلا يرى ما

فيه ، او يعرض عنه ، فيوليه ظهره ، لشعوره بأنه ديوان السيئات وسسجين

المخازي ، فأمره كيت وكيت .

ويرشد الى ذلك ما ورد في التفصيل في سورة الحاقة ، فانه تعالى يقول :

" فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه اني ظننت اني ملق

حسابيه " . " ٢ "

١ — تفسير البيضاوي ص ٦٢٣ .

٢ — سورة الحاقة الايات ( ١٩ — ٢٠ ) .

• ودعوة الناس الى القراءة دليل الفرح والنشاط وقوة العزيمة .  
" واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابه ولم ادرا  
حسابه ياليتها كانت القاضية ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه " ١٠٠ "  
وهذا قول المخدول الكاره لما عرض عليه ( ١٠١ هـ

وحاصل كلام الشيخ محمد عبده في الحساب هو النتيجة التالية ، التي  
سجلها بقلمه ، وهي قوله :-

( فايتاء الكتاب باليمين أو اليسار أو وراء الظهر ، تمثيل وتصوير لحالة

المطلع على اعماله في ذلك اليوم :

فمن الناس ، من اذا كشف له عمله ، ابتهج واستبشر — وهو التناول

• باليمين

ومنهم من اذا تكشفت له سوابق اعماله ، عجب وسر ، واعرض عنها وادبر ،

وتمنى لو لم تكشف له — وهذا هو التناول باليسار او من وراء الظهر .

وهذا اتفق المعنيان في الايتين ، ولم تنق حاجة الى الجمع بين

الشمال ، ووراء الظهر ، باختراع معنى لا يليق بكتاب الله تعالى ، كما

جرى عليه كثير من المفسرين ( ١٠١ هـ " ٢ "

ج : رايه في الجزاء :

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان في اليوم الاخر وقت جزاء ، فيجزى الله عباده

، او يجازيهم على ما كسبوا في الحياة الدنيا ، من اقوال وافعال ، بالخير او الشر .

١ — سورة الحاقة الايات ( ٢٥ — ٢٩ ) .

٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٦٨ — ٣٧٠ ) .

وهذا الوقت هو المسمى بـ " يوم الدين " ، في قوله تعالى :

" مالك يوم الدين " . " ١ "

ويوم الدين هذا ، يوم امتاز عن سائر الايام ، لانه اليوم الذي يلقي

فيه كل عامل جزاء عمله ، ويوفى حسابه .

قال الشيخ محمد عبده : " ٢ "

( وفي ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العاملين جزاءه كاملا لا يظلم شيئا

منه ، كما قال تعالى : " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا

يره " . " ٣ "

" تقويم كلام الشيخ محمد عبده " :

=====

والى هنا ينتهي كلام الشيخ محمد عبده في العرض والحساب والجزاء .

واذا اردنا ان نحكم على كلامه في العرض والجزاء ، فانا نقول : هو

عين كلام السلف رضي الله عنهم .

اما الحساب : فهو مع السلف ايضا في وجوب الايمان به ، وتفويض كفيته

الى علم المحاسب ، وهو الله سبحانه وتعالى .

لكن الشيخ محمد عبده ، يؤول معنى ايتاء الكتاب باليمين او الشمال ،

او من وراء الظهر ، ويقرر انها تمثيل ، وتصوير لحالة المطلق على اعماله في ذلك

اليوم ، مقتديا في ذلك بكلام بعض المفسرين من الخلف كالزمخشري والبيضاوي .

وما ذهب اليه الشيخ محمد عبده ، وسلك فيه مسلك بعض المفسرين من

تأويل اليمين ، والشمال . . . الخ ، بعيد عن مذهب السلف ، الذين قالوا ،

---

١ - سورة الفاتحة اية ( ٤ ) .

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٥٥ ) .

٣ - سورة الزلزلة الايات ( ٧ - ٨ ) .

نؤمن بالحساب والكتاب ، وباليمين والشمال ، ومن وراء الظهر كما وردت في  
القران ، وفي احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نزيد ولا ننقص ،  
ولا نؤول ، ولا نسأل عن حقيقة ما ورد .

فذلك مما نؤمن به ، ونكل علم حقيقته الى الله .

ومثل هذا قالوا في العرض والجزاء .

ونحن الان بسبيل عرض كلامهم حسب ماورد في كتب التفسير ، والحديث

، والاصول ، عن : العرض والحساب والجزاء يوم القيامة ، وفي ذلك كفاية

لطالب العلم ، وغنى عن التأويل من اجل التقرب الى الازهان .

وما وسع الصحابة - رضي الله عنهم - في فهم مثل هذه الامور يسعنا ،

وفيه الغنى واليه المرجع والمنتهى .

" ايمان السلف بالعرض والحساب والجزاء " :

=====

قال السلف - رضي الله عنهم - : ونؤمن بالجزاء ، وقبله العرض

فالحساب .

ونؤمن ان الجزاء يكون بعد محاكمة رابطة عادلة ، يعرض فيها الناس

على الله ، لا تخفى منهم خافية ، وتقام في هذه المحكمة الالهية جميع الحجج

، والبراهين سواء كانت لهم او عليهم ، ويسمح لهم بالاطلاع على اعمالهم ،

وقراءة صحفهم . وهو منتهى العدل والحكمة .

قال الطحاوي : ( ونؤمن بالبعث وجزاء الاعمال يوم القيامة ، والعرض والحساب

وقراءة الكتاب ، والثواب والمقاب . . . ) " ١ " .

فأما البحث فقد سبق الحديث عنه .

وأما العرض : فقد دل عليه الكتاب والسنة :

أما الكتاب : فقوله تعالى : " فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي

يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون

لا تخفى منكم خافية " . " ١ "

وقوله تعالى : " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة

بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا " . " ٢ "

وقوله تعالى : " يوم تبدل الأرض غير الأرض وحزوا لله الواحد القهار "

فمجموع هذه الآيات ، تفيد البروز والعرض على الله ، بل في كل آية

منها نص صريح ، ودليل قاطع على العرض على الله يوم القيامة .

وأما السنة : فمن عدى بن حاتم رضي الله عنه أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال :

" ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ،

ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع

منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة " . " ٤ "

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك " ، فقلت : يا رسول الله :

أليس قد قال الله : " فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش

الحساب يوم القيامة إلا عذب " . " ٥ "

١ - سورة الحاقة الآيات ( ١٥ - ١٨ ) .

٢ - سورة الكهف آية ( ٤٨ ) .

٣ - سورة إبراهيم آية ( ٤٨ ) .

٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١١ : ٣٤٠ ) .

٥ - صحيح البخاري ( ١١ : ١٣٨ ) / وانظر مختصر تفسير ابن كثير

( ٣ : ٦١٩ ) .

فهذان الحديثان فيهما ان الكلام مع الله ، وابرار الاعمال ، واطهارها ،  
والمحاسبة السهلة اليسيرة التي لا نقاش فيها . . . كل ذلك يدخل في معنى العرض  
على الله يوم القيامة .

قال الامام الشوكاني : ( وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما  
لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالاعمال ) . " ١ "

وقال الامام ابن كثير : ( تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى  
عليه شيء من اموركم بل هو عالم بالسرائر والظواهر والضمائر ) . " ٢ "

ونقل الامام ابن كثير قول امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :  
" حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا ،

فانه اخف عليكم في الحساب غدا ، وتزينوا للعرض الاكبر " . " ٣ "

ومما تجدر الاشارة اليه ، انه ورد في بعض الاحاديث ان الناس يعرضون  
يوم القيامة ثلاث عرضات :

- اثنتان في الجدل والمعاذير ، وواحدة في نشر الصحف وتطايرها .
- روى الامام احمد والترمذي وابو بكر بن ابي الدنيا عن الحسن قال :
- سمعت ابا موسى الاشعري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- " يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : فعرضتان جدال ، ومعاذير  
، وعرضة تطاير الصحف ، فمن اوتي كتابه بيمينه وحوسب حسابا يسيرا دخل  
الجنة ، ومن اوتي كتابه بشماله ، دخل النار " . " ٤ "

---

١ - فتح القدير ( ٥ : ٢٨٢ ) .  
٢ - مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٥٤٣ ) .  
٣ - نفس المصدر ونفس الصفحة .  
٤ - أخرجه الامام احمد والترمذي ، وعبد الله بن حميد ، وابن ماجه ،  
وابن ابي حاتم وابن مردويه .  
انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٥٤٣ ) / وفتح القدير  
( ٥ : ٢٨٣ ) / وشرح المعقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ .

وهذا الحديث حكم عليه العلماء بالضعف " ١ " .  
ولعل في كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه " وتزينوا للمعرض الاكبر "  
ما يقوى الحديث ، فيكون المعرض الاصغر : الجدال والمعاندير .  
والمعرض الاكبر : عضة تطاير الصحف في الايدي ، فأخذ بيمينه ، واخذ  
بشماله - والله اعلم .

اما الحساب : فيبدأ باستلام الصحف والكتب وقراءتها ، والتعرف  
على ما فيها من اعمال واقوال ومعتقدات ، فيعرفون ما لهم وما عليهم ، وهذا حق  
يؤمن السلف به ، ويوجبون الايمان به . ومن انكره كفر .  
قال الله تعالى : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا  
وينقلب الى اهله مسرورا ، واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى  
سعيра " . " ٢ "

وقال تعالى : " فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقروا كتابيه " . " ٣ "  
وقال تعالى : " واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه " . " ٤ "

---

١ - قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني : حديث ضعيف لان  
الحسن البصري مدلس ، وقد عنعنه ، وهذه علة . وان ثبت سماعه من  
ابي هريرة وابي موسى ، فان ثبوت مطلق السماع لا يغني في رواية  
المدلس حتى يصرح بالتحديث كما هو مقرر في " المصطلح " ، الا اذا  
ثبتت رواية الكتاب التي فيها التصريح بسماع الحسن من ابي موسى .  
/ انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ ، الهامش .

٢ - سورة الانشقاق الايات ( ٧ - ١٢ ) .

٣ - سورة الحاقة اية ( ١٩ ) .

٤ - سورة الحاقة اية اية ( ٢٥ ) .

قال تعالى : " واذا الصحف نشرت " ١ •

وقال تعالى : " ووضح الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا

مال هذا الكتاب لا يفاد رصغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا

يظلم ربك احدا " ٢ •

وقال تعالى : " ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون " ٣ •

فهذه الايات ، وغيرها ، يفهم منها ان الكتاب هو الذى كتبه الحفظة

على الانسان ، وهي الصحف ، وهي التي يقرأها العباد • ٤ •

والدليل على هذا ما سبق في بحث الملائكة ان من اصنافهم صنفا موكلون

بكتابه اعمال الانسان واقواله ، وهم الحافظون الكرام الكاتبون ، الذين قال

الله عنهم : " وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون " ٥ •

وقال تعالى : " هذا كتابنا ينطق بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " ٦ •

فما يستنسخه هؤلاء الكرام ينطق بالحق ، ويقروه العباد يوم الحساب •

ثم ان الناس في الحساب متفاوتون :

١ : فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا اى سهلا بلا تعسير " ٧ • اى لا

يحق عليه جميع دقائق اعماله •

---

١ — سورة التكوير اية ( ١٠ ) •

٢ — سورة الكهف اية ( ٤٩ ) •

٣ — سورة المؤمنون اية ( ٦٢ ) •

٤ — انظر : فتح القدير ( ٥ : ٢٨٤ ) •

٥ — سورة الانفطار الايات ( ١٠ — ١٢ ) •

٦ — سورة الجاثية اية ( ٢٩ ) •

٧ — انظر مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦١٩ ) •



قال الشوكاني : ( لا مناقشة فيه ) .

ونقل عن مقاتل قوله : لانها تفقر ذنوبه ولا يحاسب بها .

ونقل ايضا كلام بعض المفسرين ، قال :

قال المفسرون : هو ان تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله فهو

الحساب اليسير ( " ١ " )

٢ : ومنهم من يناقش الحساب فيسأل عن كل صغيرة وكبيرة ، ويطالب بالعدر

والحجة ، فلا يقبل منه عذرا ولا حجة ، فيهلك مع الهالكين ، ويفتضح بين

الخلايق بسيئات اعماله .

قال تعالى : " وان كان مثقال حبة من خردل اثيئا بها وكفى بنا حاسبين " ( " ٢ " )

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم

افناه ؟ وعن عمله فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من اين اكتسبه ؟ وفيما انفق ؟

وعن جسمه فيم ابلاه ؟ " ( " ٣ " )

٣ : ومنهم من يعفى من الحساب ، فيدخل الجنة من غير حساب ، تفضلا وكرما

من الله ، وهذه هي الزمرة الاولى ، كما ذكر الامام ابن القيم رحمه الله

، وثبت في الكتب الصحاح .

فقد ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب ، عن

ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : —

١ — انظر فتح القدير ( ٥ : ٤٠٦ ، ٤٠٧ ) .

٢ — سورة الانبياء اية ( ٤٧ ) .

٣ — اخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح : / انظر سنن الترمذي

بشرح ابن العربي ( ١ : ٢٥٣ ) .

٤ — انظر حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ وما بعدها .

” ويدخل الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا تضي وجوههم اضاءة القمر  
ليلة البدر ” .

فقام عكاشة بن محصن الاسدي ، قال : يا رسول الله : ادع الله  
ان يجعلني منهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم .  
فقام رجل من الانصار فقال : يا رسول الله : ادع الله ان يجعلني منهم ،  
فقال : سبقك بها عكاشة ” . ١

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، قال : ” ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا من غير حساب ، او سبعمائة  
الف ، اخذ بعضهم بيمض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة ، وجوههم على صورة  
القمر ليلة البدر ” . ٢

قال الامام ابن القيم رحمه الله فـ

( فهذه هي الزمرة الاولى ، وهم يدخلونها بخير حساب ) . ٣

— اللهم اجعلنا منهم بفضلك وكرمك يا الله —

٤ — ومنهم من يخلو الله به ، ويقرره بذنوبه ، ويستتر عليه ، ولا يناقشه  
الحساب ، رحمة به . . . وهي النجوى ” . ٤

ورد انه قيل لابن عمر رضي الله عنهما : كيف سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، يقول في النجوى ؟

- 
- ١ — متفق عليه .
  - ٢ — متفق عليه .
  - ٣ — انظر حادي الارواح الى بلاد الافراح ص ٨٨ .
  - ٤ — يعني مناجاة الله لمعبده المؤمن في الآخرة .

قال : سمعته يقول : " يدنو احدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه ،

فيقول : اعلمت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

ويقول : اعلمت كذا ، وكذا ؟ فيقول : نعم .

فيقرره ثم يقول : اني سترت عليك في الدنيا ، واني اغفرها لك اليوم . ثم

يعطى صحيفة حسناته .

واما الكفار : فينادى على رؤوس الاشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم .

الا لعنة الله على الظالمين " ١ " .

واما كيفية الحساب : فالسلف يؤمنون بما ورد في القران ، وبما ثبت في

السنة ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا يكلفون انفسهم البحث والسؤال عما ورد .

فهم يؤمنون بأخذ العباد صحائفهم وكتبهم من غير تأويل " ٢ " ، كما قال

الله تعالى :

" وكل انسان الزمناه طائفة في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه

منشورا اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا " ٣ " .

والمراد بهذه الصحف التي يقرأها الناس : الكتب التي كتبت فيها

الملائكة اعمالهم في الحياة الدنيا . " ٤ " .

ويكون اخذها باليد اليمنى للمحسنين ، او اليسرى او من وراء الظهر ،

لغير المحسنين . . . . كل ذلك على الحقيقة من غير تأويل ، كما قال المفسرون من

السلف .

---

١ — متفق عليه . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١٣ : ٤٠٧ ، ٤٠٨ ) .

٢ — انظر مجموع الفتاوى ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ( ٣ : ١٤٦ ) .

٣ — سورة الاسراء الايات ( ١٣ — ١٤ ) .

٤ — انظر شرح البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢١٢ ، ابراهيم البيجوري

فقد ذكروا في تفسير قوله تعالى : " واما من اوتي كتابه وراء ظهره " ٠ " ١ )

، اقوالا : " ٢ "

قال الكلبي : ( لان يمينه مقلولة الى عنقه ، وتكون يده اليسرى خلفه ) .  
وقال قتادة ومقاتل : ( تفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده ، وتخرج من  
ظهره ، فيأخذ كتابه كذلك ) .

قال الامام ابن كثير : ( اى بشماله من وراء ظهره ، تشنى يده الى ورائه ،  
ويعطى كتابه بها كذلك ) . " ٣ "

وورد ان الله سبحانه يشهد على المباد الارض بما حدث على ظهرها ،

قال الله تعالى في سورة الزلزلة : " يومئذ تحدث اخبارها " ٠ " ٤ "

فعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

" يومئذ تحدث اخبارها " ، قال : —

اتدرون ما اخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم .

قال : فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها ، ان

تقول : عمل كذا وكذا ، يوم كذا وكذا ، قال : فهذه اخبارها .

وورد ايضا بانه يكون في هذا الحساب شهادة الاعضاء على ما فعله العبد ،

قال تعالى : " ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤوها

شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعطون وقالوا لجلودهم لم

شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه

ترجعون وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن

١ — سورة الانشقاق اية ( ١٠ ) .

٢ — انظر : فتح القدير ، للشوكاني ( ٥ : ٤٠٧ ) .

٣ — مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٦١٩ ) .

٤ — سورة الزلزلة اية ( ٤ ) .

ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون " ١ " ٠

قال السبكي رحمه الله :

( واعلم انه سيشهد على العاصي احد عشر شاهدا في هذا اليوم

المشهدود : اللسان ، والايدي ، والارجل ، والسمع ، والبصر ،  
والجلد ، والارض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال )<sup>٢</sup>

وساق على ذلك عددا من الايات والاحاديث .

وحاصل ذلك انه يشهد على العباد جميع من يستشهدهم الله عليهم . وان الايدي

التي تنطق يوم القيامة لا يعجزها ان تأخذ كتابها باليمين او الشمال او من وراء

الظهر ، باذن الله ، والله على كل شيء قدير .

ثم يأتي الجزاء ، فيجزى الله العباد ، ويجازيهم بمقتضى عدله .

قال تعالى : " يومئذ يوفيههم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين " ٣

والدين الحق هو الجزاء الحق ، كما ذكر شراح العقيدة الطحاوية " ٤ " ،

وكما فسر الشيخ محمد عبده " يوم الدين " في سورة الفاتحة . " ٥ "

وقال تعالى : " من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا

يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون " ٦ " ٠

---

١ — سورة فصلت الايات ( ١٩ — ٢٢ ) .

٢ — الدين الخالص ، لمحمود خطاب السبكي ، ( ١ : ١٠٥ ) .

٣ — سورة النور اية ( ٢٥ ) .

٤ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٥ .

٥ — انظر تفسير المنار ( ١ : ٥٥ ) .

٦ — سورة القصص اية ( ٨٤ ) .

وحسينا في بيان هذا الامر قول الحق جل وعلا : " ولله ملك السموات  
والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل امة جاثية كل امة  
تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا  
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون " • " ١ " •  
صدق الله العظيم •

---

١ - سورة الجاثية الايات ( ٢٧ - ٢٩ ) •

٥ - " الميزان والوزن "

=====

الميزان : هو عبارة عما يعرف به مقادير الاعمال \* " ١ "

والوزن : لاطهار مقادير الاعمال ليكون الجزاء بحسبها \* " ٢ "

" رأى الشيخ محمد عبده في الميزان " :

=====

يرى الشيخ محمد عبده انه لم يرد في القران الا كلمة " الميزان " ،  
وهو بمعنى تقدير الله الاعمال وما تستحقه من الجزاء يوم القيامة ، وذلك انما يكون  
على حسب ما يعلم لا على طريقة ما نعلم .

ولهذا ، ( فعلينا ان نفوض الامر فيه الى الله سبحانه وتعالى مع  
الايمان به ) \* " ٣ "

ويرى الشيخ محمد عبده ايضا ، ان الكلام في الميزان ، وان له  
لسانا وكفتين . . . الخ ، جراءة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن  
المعصوم صلى الله عليه وسلم .

ويكتفي الشيخ محمد عبده ان يفهم من الميزان ما يراه كافيا في الايمان ،  
ويكل علم ما عداه الى الله سبحانه وتعالى .

واليك ما فهمه الشيخ محمد عبده في الميزان والوزن :-

يقول في تفسير قوله تعالى " فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية " \* " ٤ " :

- 
- ١ - انظر كتاب : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٢٢ ) .
  - ٢ - انظر : شرح المفيدة الطحاوية ص ٤٧٢ .
  - ٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٤٩٣ ) .
  - ٤ - سورة القارة الايات ( ٦ - ٧ ) .

: ( ثقل ميزانك : اى كان لك قدر وقيمة ، كآئك اذا وضعت

في كفة ميزان كان لك بها رجحان .

وانما يكون المقدار والقيمة لاهل الاعمال الصالحة ، والفضائل الراجحة ،

فهو لاهلهم يجزون بالنعيم الدائم ( ٠٠٠ ) .

ومثل هذا يقول في تفسير قوله تعالى : " واما من خفيت موازينه فانه

هاوية " ١ " :

: ( خف ميزانك : سقطت قيمتك ، فكأنك لست بشيء حتى لو وضعت في

كفة ميزان لم ترجح بك عند اختها ) .

ويستشهد الشيخ محمد عبده على رايه هذا ، بالقران ،

يقول : ( وهذا المعنى قد صرح به القران في قوله تعالى : " فجهت

اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " ) . " ٢ " .

هذا ما وسع الشيخ محمد عبده في فهم الميزان والوزن ، وما عداه ،

فعلمه موكل الى الله سبحانه ، وهذا القدر — فيما يرى الشيخ محمد عبده —

كاف في الايمان .

ويتعجب الشيخ محمد عبده ، مما قاله بعض المفسرين ، وعلما الحديث

من السلف في وصف الميزان " ٣ " ، فيقول : —

( ومن عجيب ما قاله بعض المفسرين : " انه ميزان بلسان وكفتين كأطباق

السموات والارض ، ولا يعلم ما هيته الا الله " .

فماذا بقي من ما هيته بعد لسانه وكفتيه حتى يفوض العلم فيه الى

الله ؟ ) .

---

١ — سورة القارة الايات ( ٨ — ٩ ) .

٢ — سورة الكهف اية ( ١٠٥ ) .

٣ — سيأتي عما قريب بان الله .



ويصف الشيخ محمد عبده هؤلاء المفسرين بالجرأة على غيب الله بخير نص صحيح ، فيقول :-

( والكلام فيه جرأة على غيب الله بخير نص صريح متواتر عن المعصوم

صلى الله عليه وسلم ) .

والشيخ محمد عبده ، لا يعترف بهذا الميزان ، وينكره لعدة اسباب :-

منها :-

- ١ - ما ذكره قبل قليل وهو عدم وجود نص صريح متواتر يثبت هذا .
- ٢ - لان المعاني والمعقولات ، لا توزن بذلك الميزان الذي له كفه ولسان ، كالميزان الذي اخترعه البشر .
- ٣ - ان هذا الميزان انما هو معيار للانتقال الجسمانية ، والاوزان المحسوسة ، فكيف توزن به الاقوال والاعمال ، والاعتقادات ؟ . . . ؟

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده :-

( أيأبي عالم الخيب والشهادة ان يستعمل في وزن المعاني والمعقولات

الا ذلك الميزان الذي اخترعه بعض البشر قبل ان يبلغ بهم العلم ما بلغ بأهل

العصر الحاضر وما سيلنخ بأهل العصور المقبلة ؟

على ان جميع ما اخترع البشر وما يبتكرون - مهما دق ولطف - انما هو

معيار للانتقال الجسمانية والاوزان المحسوسة .

وهلا يكون الالقي بالقام الالهي ان يكون ميزان المعاني المعقولة لديه

اسمى واعلى من ان يكون على نمط ما يستعمله البشر مهما ارتقت المعارف وسمت بهم

المعلوم ؟ ) . . . " ١ "

---

١ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٤٩٢ ، ٤٩٣ ) .

” نقد كلام الشيخ محمد عبده ” :

=====

واني ارى ان الشيخ محمد عبده ، لم يغير من طريقته التي سار عليها

شيئا ولم يبعد عن منهجه في فهم الحقائق الخبيبية ، قيد انملة .

فهو يزعم انه على طريقة السلف في تفويض علم الماهية الى الله سبحانه

وتعالى ، ومع الخلف في فهم ما يمكن فهمه منها للانتفاع به حتى يصح اعتقاده .

وقد قلنا — فيما مضى — ان الجمع بين الطريقتين غير ممكن ، لكن ،

قد يلتقي مذهب السلف ، ومذهب الخلف في نقاط محددة ، وهذا لا يعني

انهما شيء واحد ، او يمكن الجمع بينهما .

ثم ان الشيخ محمد عبده في بعض الاحيان لا يقف عند التقاء المذاهبين ،

بل يذهب مذهبها اخر مغايرا ، كما سبق في بحث الملائكة .

وهو هنا ، يؤول معنى الميزان الوارد في سورة القارعة ، بالقيمة والقدر

، ويستشهد على ذلك باية سورة الكهف ” فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ” .

اقول : هذه الاية الكريمة ، وان صح القول بأن معناها : لا يكون

لهم عندنا قدر ، ولا نعبأ بهم ” ١ ” ، الا ان بعض العلماء يفسرها بقوله :

لا يقيم لهم ميزان توزن به اعمالهم ، لان ذلك انما يكون لاهل الحسنات والسيئات

من الموحدين ، وهو لاهل الحسنات لهم ” ٢ ” .

وايضا : فان جمهور المفسرين ، واهل الحديث ، وعلماء اللغة ، لا

يقرون هذا الراى ، ولهم راى اخر ، على اختلاف فيما بينهم في كيفية هذا الوزن ،

الحاصل يوم القيامة .

---

١ — انظر فتح القدير ( ٣ : ٣١٦ ) .

٢ — نفس المصدر ونفس الصفحة .

وهذه هي بعض اقوالهم :-

- أ : — قيل المراد بالوزن : وزن صحائف اعمال العباد بالميزان وزنا حقيقيا .  
قال الشوكاني : هذا هو الصحيح ، وهو الذي قامت عليه الادلة . " ١ "
- ب : — وقيل : توزن نفس الاعمال ، وان كانت اعراضا فان الله يقبلها يوم  
القيامة اجساما .
- ج : — وقيل : تجعل الحسنات اجساما نورانية ، والسيئات اجساما ظلمانية " ٢ "
- د : — وقيل : الميزان الكتاب الذي فيه اعمال الخلق .
- هـ : — وقيل الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء . وذكرهما من باب ضرب  
المثل كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا .
- قال الزجاج : هذا سائغ من جهة اللسان . " ٣ "
- ومعد :

فاني ارى ان اولى الطرق بالاتجاه ، طريق السلف رضي الله عنهم ،  
واني ارى رايبهم في الوزن والميزان ، لانه راى مني على الاسانيد الصحيحة .  
والاولى ان نتبع ما جاء في الاسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
فقد جاء في الاخبار الصحيحة انه ميزان حقيقي له كفتان ولسان ، وان  
الله سبحانه وتعالى ، يحول اعمال العباد الى اجسام لها ثقل ، فتوضع الحسنات  
في كفة ، والسيئات في كفة . . . . .  
قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :-  
( ان الله سبحانه يزن الحسنات والسيئات . وعلى هذا دل الكتاب والسنة .  
وهو معنى الوزن ) . " ٤ "

١ — نفس المصدر ( ٢ : ١٩٠ ) .

٢ — انظر : محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ( ٢ : ٦٢٣ ) .

٣ — انظر : فتح القدير ( ٢ : ١٩٠ ) .

٤ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ( ١٤ : ٤٩ ) .

والذى دل عليه الكتاب ، ما سبق من الايات ، الوارد قيها ذكر الميزان

• والوزن

والذى دلت عليه السنة ، وهو راي السلف في الوزن والميزان — ،

ما يلي :-

أ — روى الامام احمد رضي الله عنه ، من حديث ابي عبد الرحمن ، قال :

سمعت عبد الله بن عمرو يقول :- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

" ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ،

فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له :-

اتنكر من هذا شيئا ؟ اظلمتك كتبتي الحافظون ؟ •

قال : لا ، يارب •

فيقول : بلى ، ان لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم اليوم عليك •

فتخرج له بطاقة فيها : اشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا

عبده ورسوله •

فيقول : احضروه •

فيقول : يارب : وما هذه البطاقة مع هذا السجلات ؟

فيقال : انك لا تظلم •

قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة •

قال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يتحمل شيء " بسم الله الرحمن

الرحيم " • " ١ "

---

١ — صحيح ، صححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وحسنه

الترمذي •

انظر مسند الامام احمد ( ٢ : ٢١٣ ) • وذكره الالباني في سلسلة

الاحاديث الصحيحة ، ص ١٣٥ •

- ب : روى البخارى ، قوله صلى الله عليه وسلم :
- " كلمتان خفيفتان على اللسان ، حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان :
- سبحان الله وحده ، سبحان الله العظيم " . " ١ "
- ج : روى مسلم عن ابي مالك الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
- " الظهور شطر الايمان ، والحمد لله تلاء الميزان " . " ٢ "
- والدليل على ان الله سبحانه وتعالى يقب الاعراض اجساما ، ما جاء في الخبر الصحيح ، وهو :
- أ : — روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : —
- " يؤتى بالموت كمشا اخر ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا اهل الجنة : فيشرئبون وينظرون ، ويقال : يا اهل النار : فيشرئبون وينظرون ويرون ان قد جاء الفرج ، فيذبح ، ويقال : خلود لا موت " . " ٣ "
- ب : — وجاء في الخبر الصحيح ايضا : " ان البقرة وال عمران يأتیان يوم القيامة كأنهما غمامتان او غيابتان او فرقان " ٤ " من طير صواف .
- ج : — وثبت في الصحيح انه يأتي القران في صورة شاب شاحب اللون ، ونحو ذلك .

- 
- ١ — متفق عليه .
- ٢ — صحيح . : انظر رياض الصالحين ص ٣٤ ، ٣٥ .
- ٣ — اخرج في المسند ( ٢ : ٤٢٣ ) ، بسند صحيح .
- ٤ — لعلها : فرقان .



وقال كل ما شاء ، وتركوا الشرع خلف ظهورهم ، وليتهم جاؤا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ، ويتحد قبولهم لها ، بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه ، ويوافق ما يذهب اليه : هو او من هو تابع له . فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبيهم .

يعرف هذا كل منصف ، ومن انكره فليصف فهمه وعقله من شوائب التعصب والتمذهب ، فانه ان فعل ذلك اسفر الصبح لعينيه ) . " ١ " .  
وامن بما امن به الصحابة والتابعون لهم باحسان الى يوم الدين .

٦ - الصراط والمزور عليه

=====

اصل الصراط : الطريق ، ويلفظ بالسین ايضا ، فيقال : الصراط ،

واشتقاقه من سرط ای ابتلع ، وبابه : فهم .

وقيل : سمي بذلك لانه يستقرط المسابلة ای ( المارة ) : ای

يبتلعهم .

والصراط لغة في الصراط . " ١ "

والصراط في لسان الشرع يطلق على معنيين :

( احدهما ) : وهو المنهج الذي شرعه الله وامرهم باتباعه والالتزام به ،

وهو المراد من الاية الكريمة : " وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل

فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون " . " ٢ "

وقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " . " ٣ "

وهذا يكون في الحياة الدنيا .

( ثانيهما ) : الجسر المنصوب على متن جهنم للمزور عليه الى الجنة يوم القيامة ،

ويرده الاولون ، والآخرين على اختلاف مذاهبيهم ، واضرابهم ، ويكون مزورهم

عليه بحسب اعمالهم ، وتفاوت درجاتهم .

فيكون ادق من الشعرة واحد من السيف تحت قدمي الكافر ، فيترنج من

فوقه ، ثم يهوى في النار .

اما المؤمن فينهبسط عرشا تحت قدميه ، فيمر من فوقه مسرعا الى ما اعدده

الله له من النعيم في الجنة . " ٤ "

---

١ - انظر مختار الصحاح للرازي ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

٢ - سورة الانعام اية ( ١٥٣ ) .

٣ - سورة الفاتحة اية ( ٦ ) .

٤ - انظر : الاسئلة والاجوبة الاصولية ص ٢٧٠ / وانظر العقائد الاسلامية

ص ٢٨٢ ، / وانظر كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٥٧ .



وهذا الصراط يكون في الآخرة ، واليه تشير الآية الكريمة :  
” وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا  
ونذر الظالمين فيها جثيا ” . ” ١ ”

وقد فسر العلماء الورود بانه المرور على الصراط ، ومنهم عبد الله بن  
مسعود ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد رضي الله عنهم . ” ٢ ”  
وما تكلم عنه الشيخ محمد عبده هو المعنى الاول ، وهو الصراط بمعنى  
المنهج الحق او الدين الحق ، او جملة ما يوصل الانسان الى سعادته في الدنيا  
، والآخرة كما هو مبين في الهامش . ” ٣ ”

- 
- ١ - سورة مريم الايات ( ٧١ - ٧٢ ) .
  - ٢ - انظر : مختصر تفسير ابن كثير ( ٣ : ٤٦١ ) / وفتح القدير  
( ٣ : ٣٤٤ ) / وشرح الطحاوية ص ٤٧١ .
  - ٣ - قال الشيخ محمد عبده :  
( الصراط : هو الطريق المستقيم : ضد المموج . وليس المراد بمقابل  
المستقيم المموج ذا التمعج ، والتمازج ، بل المراد كل ما فيه انحراف  
عن الغاية التي يجب ان ينتهي اليها .  
والمستقيم في عرف الهندسة : اقرب موصل بين طرفين ، وهذا المعنى  
لازم للمعنى اللغوي ، كما هو ظاهر بالبداهة .  
وانما قلنا : ان المراد بمقابل المستقيم كل ما فيه انحراف ، لان كل  
من يميل وينحرف عن الجادة يكون اضل عن الغاية ممن يسير عليها في خط ذي  
تمازج . لان هذا الاخير قد يصل الى الغاية بعد زمن طويل ، ولكن الاول  
لا يصل اليها قط ، بل يزداد بعدا كلما اوغل في السير ، وانهمك فيه ،  
وقد قالوا : ان المراد بالصراط المستقيم : الدين او الحق او العدل ،  
او الحدود .  
ونحن نقول : انه : جملة ما يوصلنا الى سعادتي الدنيا والآخرة ،  
من عقائد واداب واحكام وتعاليم .  
لم سمي الموصل الى السعادة من ذلك صراطا وطريقا ؟

اما المعنى الثاني فلم اجد للشيخ محمد عبده كلاما فيه ، فقد عاجلته  
المنية قبل ان يكمل تفسير القران الكريم ، وان كان يغلب على الظن انه مع السلف  
في فهم الاية الكريمة ، والايمان بالصراط كما وردت به الاخبار عن المعصوم صلى  
الله عليه وسلم ، من غير بحث عن طههته ، لان ذلك مما استأثر الله بحمله ،  
ولو كان في المعرفة بها فائدة لبينها الله سبحانه وتعالى .

وانما قلت هذا بناء على القاعدة التي وضعها الشيخ محمد عبده وسار على

اساسها في فهم الامور الخبيثة من غير جهد ، وعناء .

ولانه لو حصل واول الشيخ محمد عبده ، معنى الصراط ، وحمله على معنى  
من المعاني المفيدة - كما يرى - لنقل ذلك عنه ، وتناقلته الايدي بالكتابة ،  
كما كان بالنسبة لتاويل الدجال ، والملائكة ، والجن ، والميزان . . .  
الى اخر ما ذكرنا سابقا .

ولما لم يحصل هذا اكتفينا بالقول انه مع السلف - من باب حسن الظن -

في فهم معنى الصراط ، من غير زيادة ولا نقصان . لانه المذهب الاسلامي ،  
والله اعلم .

---

= خذ الحق مثلا وهو الاعتقاد الصحيح بالله وبالنهضة وماحوال الكون  
والناس ، تجد معنى الصراط فيه واضحا ، لان السبيل او الصراط هو ما  
اسلكه واسير فيه لبلوغ الغاية التي اقصد ها ، كذلك الحق الذي يبين لي  
الواقع في العقيدة الصحيحة هو كالجادة بين السبل المتفرقة المضلة ، فالطريق  
الواضح للحس يشبهه الحق للعقل والنفس ، سير حسي ، وسير معنوي ،  
كذلك اذا اعتبرت المعنى في الحدود والاحكام اتجده واضحا . . .  
قسمت احكام الاعمال الى واجب ومندوب ومباح ومحرم ومكروه فكان ههنا  
صريحا لنا من تمييز الخير من الشر ، بانفسنا واجتهادنا ، فبيان الاحكام  
بالهداية الكبرى وهي الدين كالتاريخ الواضح يسلك بالعمل .  
ومع هذا نجد الشهوات تتلاعب بالاحكام ، وترجمها الى اهوائها كما  
يصرف السفهاء عقولهم وخواصهم قيما يرد بهم ، وهذا التلاعب بالدين انما  
يصدر من علمائه ) .

وهذا هو مذهب السلف في الصراط :

يوئمن السلف رضي الله عنهم انه يكون بعد العرض والحساب والميزان  
والجزاء ، انصراف الناس من الموقف العظيم ، ليمروا فوق الجسر الممتد على ظهر  
جهنم ، وهو الصراط .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

( والصراط منصوب على متن جهنم — وهو الجسر الذي بين الجنة والنار —

يمر الناس عليه على قدر اعمالهم ، فمنهم من يمر كالمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق  
الخطاف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر  
كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشي مشيا ، ومنهم من يزحف  
زحفا ، ومنهم من يخطف فيلقي في جهنم ، فان الجسر عليه كالليب تخطف  
الناس بأعمالهم ، فمن مر على الصراط دخل الجنة ، فاذا عبروا عليه وقفوا على  
قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذبوا ، ونقوا اذن  
لهم في دخول الجنة ) . " ١ "

والمور على الصراط يكون عاما لجميع الناس : مؤمنهم ، وكافرهم ، ومن  
يحاسب ، ومن يعفى من الحساب ، ويدخل في ذلك الانبياء والصديقون  
والشهداء .

واول من يمر عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وامته . " ٢ "

ومن استقام على الصراط الذي هو بالمعنى الاول ، استقام على هذا الصراط .  
قال الامام الغزالي في " الاحياء " :

( فمن استقام على الصراط المستقيم ، خف على صراط الاخرة ، ونجا ،

ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا ، واثقل ظهره بالاوزار ، وعصى تعثر في اول قدم

١ — مجموع الفتاوى ( ٣ : ١٤٦ ، ١٤٧ ) .

٢ — انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ٣ : ١٧ ) .

من الصراط وتردى ) " ١ "

وقال الدكتور البوطي :

( واعلم ان هذا الصراط انما هو تجسيد لمعنى الصراط الذي الزم الله به

عباده في الدنيا ، فمن ضيق على نفسه سبل العيش والحياة حتى لا يخرج عن صراط

الله ، ومنهجه الذي امر باتباعه ، اتسع امامه الصراط الممتد على متن جهنم ،

ومن وسع على نفسه سبل العيش والحياة في الدنيا فتجاوز حدود الله واحكامه ،

ضاق عليه ذلك الصراط غدا ) " ٢ "

هذا ، والاحاديث الواردة في ذكر " الصراط " والمرور عليه كثيرة " ٣ "

، اذكر منها :-

أ : - عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون " ٤ " في رؤية القمر

ليلة البدر ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فانكم ترونه كذلك . يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول : من كان

يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس ، الشمس ، ويتبع

من كان يعبد القمر ، القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت " ٥ " ،

١ - احياء علوم الدين ، للبخاري ( ٤ : ٥٢٤ ) .

٢ - كبرى اليقينيات الكونية ص ٣٥٨ .

٣ - انظر : شرح الطحاوية ص ٤٧٠ / وشرح الواسطية ص ١٢٦ .

/ صحيح البخاري ( ١١ : ٣٦٥ ) / صحيح مسلم بشرح النووي

( ٣ : ١٧ ) .

٤ - اي تشكون .

٥ - الطواغوت : كل ما عبد من دون الله تعالى ، وتجاوز حده .

الطواغيت • وتبقي هذه الامة فيها مناققوها " ١ " ، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : نعوذ بالله منك " ٢ " ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فاذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون ، فيقول : انا ربكم ، فيقولون : انت ربنا ، فيتبعونه ، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون انا وامتي اول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم ، سلم •

وفي جهنم " ٣ " كلاب " ٤ " مثل شوك السعدان " ٥ " ، هل رأيتم

السعدان ؟

- ١ — قال النووي : قال العلماء : انما بقوا في زمرة المؤمنين لانهم كانوا في الدنيا مستترين بهم ، فيتسترون بهم ايضا في الآخرة ، ويسلكون مسلكهم ، ويدخلون في جفنتهم ، ويتبعونهم ، ويمشون في نورهم حتى يضرب الله بينهم بصور ويندب عنهم نور المؤمنين ، حتى يكون مقرهم الدرك الاسفل من النار • / انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ٣ : ١٩ ) • وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٩ •
- ٢ — قال الامام ابن حجر : قال القرطبي في تأويل ذلك : هو مقام هائل يضحن الله به عباده ليميز الخبيث من الطيب ، وذلك انه لما بقي المناقون مختلطين بالمؤمنين زاعمين انهم منهم ظانين ان ذلك يجوز في ذلك الوقت كما جاز في الدنيا امتحنهم الله بان اتاهم بصورة هائلة قالت للجميع : انا ربكم ، فاجابه المؤمنون بانكار ذلك لما سبق لهم من معرفته سبحانه ، وانه منزه عن صفات هذه الصورة ، فلهذا قالوا : نعوذ بالله منك ، لا نشرك بالله شيئا •
- انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١١ : ٣٨٠ ، ٣٨١ ) •
- ٣ — ورد في لفظ البخاري " وه " اي في الجسر المنسوب على جهنم •
- ٤ — جمع كلوب بفتح الكاف ، وضم اللام المشددة ، وهو حديدة مكوفة الرأس ، مديبته •
- ٥ — نبت معروف في الصحراء ، له شوك عظيم من كل الجوانب •

قالوا : نعم يا رسول الله •

قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير انه ما يعلم ما قدر عظمها الا الله •  
تخطف الناس باعمالهم " ١ " • فمنهم المؤمن بقي بعمله " ٢ " ، ومنهم المجازى  
حتى ينجى " ٣ " • ١٠١ هـ

ويفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ،  
ويحال بينهم بسور يمنهم من الوصول اليهم بعد ان كانوا يستترون بهم ، ويمشون  
في نورهم ، فيصلون الى الظلمة دون الجسر ، فيهبون في الدرك الاسفل من النار ،  
وفي ذلك يكون مقرهم •

قالت عائشة رضي الله عنها : -

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اين يكون الناس يوم تهدل الارض

غير الارض ، والسماوات ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " هم في الظلمة دون الجسر " • " ١٤ " •

وحاصله : ان جميع الناس يمرون يوم القيامة ، فوق الصراط حسب

اعمالهم ، وينجي الله المؤمنين من عباده ، ويهلك الظالمين ، فاذا عبر المؤمنون

الصراط ، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص الله من بعضهم البعض ،

فاذا انتهوا ، اذن لهم في دخول الجنة •

روى البخارى رحمه الله عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ، عن

---

١ - اى بسبب اعمالهم ، ويجوز ان يكون المعنى : تخطفهم بحسب اعمالهم •

: انظر صحيح مسلم بشرح النووي ( ٣ : ٢١ ) •

٢ - واللفظ عند البخارى : ( فمنهم الموق بعمله ومنهم المخردل ) ، والموق :

الهالك ، والمخردل : اى المقطع او المصروع •

٣ - اخرجه البخارى ومسلم ، واللفظ لمسلم ، وهو جزء من حديث طويل •

/ انظر صحيح البخارى ( ١١ : ٣٦٧ ) • / صحيح مسلم بشرح

النوى ( ٣ : ١٧ ) •

٤ - رواه مسلم ( ١ : ١٧٣ ) • وفي حديث سبق قال : ( فوق الصراط ) •

النبي صلى الله عليه وسلم ، انه قال :  
" يخلص المؤمنون من النار ، فيجسسون على قنطرة بين الجنة والنار  
فيقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وتقوا اذن لهم  
في دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لا احد هم اهدى بمنزله في الجنة منه  
بمنزله كان في الدنيا " . " ١ " .  
قال الامام النووى :

( ولقد اجمع السلف على اثبات الصراط ، وهو جسر على متن جهنم ،  
يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم ، والاخرون يسقطون  
فيها ، اعادنا الله الكريم منها ) . " ٢ " .  
اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، وارزقنا حسن الانابة اليه في حياتنا  
الدنيا ، واحسن احوالنا فوق الصراط ، وارزقنا حسن المرور عليه يوم القيامة ،  
واعذنا من النار ، وادخلنا الجنة بفضلك وكرمك يا رب العالمين .

- 
- ١ - فتح البارى شرح صحيح البخارى ( ١١ : ٣٣٦ ) .
  - ٢ - نقله عن النووى ، صاحب كتاب العقيدة الاسلامية واسسها ، الاستاذ  
عبد الرحمن جبنكة الميداني ( ٢ : ٣٥٤ ) .

٧ — الجنة والنار والخلود في كل منهما

=====

الجنة : هي دار اولياء الله ، وما فيها من النعيم القيم لهم .  
والنار : هي دار اعداء الله ، وما فيها من انواع العذاب لهم . " ١ "  
ونعرض رأى الشيخ محمد عبده في هذه المسألة ، ثم نقده ما يستحق  
النقد منه ، على ضوء الكتاب والسنة ، ونبين مذهب السلف — رضوان الله عليهم  
— ونذكر نقاط الاتفاق والافتراق بين رأى الشيخ محمد عبده ، ورأى السلف . . .

" رأى الشيخ محمد عبده "

=====

وقبل ان اذكر ما قاله الشيخ محمد عبده في " الجنة والنار " ، اشير

الى ان ما ورد عنه في هذا الموضوع رايان :

( الاول ) : نقله مستر " بلنت " — صديق الشيخ محمد عبده —

ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهو في هذا الراى ينكر العذاب الابدى في الآخرة .

( الثاني ) : نقله السيد رشيد رضا — تلميذ الشيخ محمد عبده —

ونسبه الى الشيخ محمد عبده . وهو في هذا الراى يؤمن بالجنة والنار ،

والخلود الابدى .

بالاضافة الى ما كتبه الشيخ محمد عبده بخط يده في تفسير جزء عم ،

يصرح فيه بوجود الجنة والنار وما اعد الله لاهلها . . .

واليك ماورد عنه مفصلا :



( أولا ) : نقل مستر بلنت في مذكراته عن يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٣م  
بلندن ، ونقلته مجلة " كوكب الشرق " في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢م  
ميلادية ، ونقله الشيخ محمد عمارة ضمن الاعمال الكاملة للاستاذ الامام ( ٢ : ٤٦٥ )  
عن الشيخ محمد عبده ، قوله :

( في الحياة الآخرة ، حالة سعيدة وأخرى شقية ، ولكن على أى صورة  
تكون السعادة ويكون الشقاء ؟ فهذا ما لا علم لي به ، على اني لا اعتقد  
بالعذاب الابدى ) ٥١هـ

لقد رأى الشيخ محمد عبده - ان صح النقل عنه - انه لا بأس عليه  
ان يعترف في الحياة الآخرة بوجود حالتين يؤهل اليهط الناس : الاولى سعيدة ،  
والثانية شقية ، من غير معرفة الحالة التي تكون فيها السعادة ويكون فيها الشقاء .  
هذا في الوقت الذي لا يؤمن فيه الشيخ محمد عبده بالعذاب الابدى في

الآخرة .

وسأعقب على هذا الراى ، بعد ان اسوق راية الثاني في الموضوع ،

الراى الثاني :

=====

يبرز من خلال ما ورد له من نصوص ، منها ما هو مسطر بقلمه -

كتفسير " جزء عم " ، المنسوب اليه ، ومنها ما هو وارد في " تفسير المنار "

للشيخ محمد رشيد رضا ، معزوا اليه ، ومنسوبا له .

واليك بيان ذلك :

أ : - بعض النصوص الواردة فيها لفظ الجنة ، ولفظ النار ، معا :

قال : ( وليس بعد الدنيا من موطن الا الجنة ، جعلنا الله من

اهلها بالتوفيق للتقوى . او النار ، نعوذ بالله منها ، وما يقرب اليها من قول

وعمل ) ٥١هـ .

وقال : ( ورد لفظ الجنة والجنات كثيرا في مقابلة النار ، والجنة في اللغة البستان ، والجنات جمعها ، وليس المراد بهما مفهومهما اللغوي فقط وإنما هما دارا الخلود في النشأة الآخرة .

فالجنة دار الأبرار والمؤمنين ، والنار دار الفجار والفاسقين ، فنوع من بهما بالغيب ، ولا نبحث في حقيقة أمرهما ، ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئا لأن عالم الغيب لا يجري فيه القياس ) . " ١ "

وقال : ( فاعلم ان هناك جنة ونارا ، وان من الناس من يلقي في تلك ومنهم من يدخل في هذه . . . حتى لا يكاد يدخل احد الجنة الا بعد ان يكون زحزح عما كان صائرا اليه من السقوط في النار ) . " ٢ "

ب :- بعض النصوص الواردة في الجنة :

قال : ( الجنة هي دار النعيم في الآخرة ، وسميت بهذا الاسم من الاجتنان وهو الستر . لتكاثف اشجارها ، وتظليلها بالتفاف اغصانها ) . " ٣ "

وقال : ( المراد منها ههنا دار النعيم في الحياة الآخرة ) . " ٤ "

وقال : ( والجنة دار الثواب كما هو معروف ) . " ٥ "

وقال : ( ولا بد ان يكون اهل الثواب في دار النعيم ) . " ٦ "

- 
- ١ - تفسير المنار ( ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ ) .
  - ٢ - تفسير المنار ( ٤ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ) .
  - ٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٣٩٣ ) .
  - ٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٤٧٨ ) .
  - ٥ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٣٩ ) .
  - ٦ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٤٩ ) .

ج :- بعض النصوص الواردة في النار :

قال : ( النار هي موطن عذاب الآخرة ، نوؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذي أخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها ، ولا نقول أنها شبيهة بنار الدنيا ، ولا أنها غير شبيهة بها ، وإنما نثبت لها جميع الأوصاف التي وصفها الله تعالى بها ) " ١ " .

وقال : ( " ويصلى سعيرا " " ٢ " يقاسي حر نار شديدة الاحتراق ) " ٣ " .

وقال : ( الجحيم : جهنم التي يعاقب بالعذاب فيها أهل الكفر

والطغيان ، وتسعيرها إيقادها إيقادا شديدا ) " ٤ " .

وقال : ( فالعذاب الذي أعد لهم في جهنم هو عذاب الحريق ) " ٥ " .

وقال : ( وصف النار بالكبرى لأنها نار تلك الدار الآخرة ، وهي أشد

أيلاما لمن يعذبون بها من هذه النار التي نعرفها فتلك أكبر

من هذه ) " ٦ " .

وقال : ( وتلك النار الحارة لا نعرف كنهها ولا كيفية إيقادها ، ولكننا

نوؤمن بها وأن عمال السوء ، وحلفاء الباطل يصلونها ) " ٧ " .

وقال : ( " تصلى نارا حامية " " ٨ " : هي نار ملتهبة يهوى فيها

ليلقي جزاء ما قدم من عمل ) " ٩ " .

---

١ - تفسير المنار ( ١ : ١٩٧ ) .

٢ - سورة الانشقاق آية ( ١٢ ) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الأعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٣٦٨ ) .

٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الأعمال الكاملة للإمام ( ٥ : ٣٣٨ ) .

٥ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٧٦ ) .

٦ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٨٩ ) .

٧ - نفس المصدر ( ٥ : ٣٩٢ ) .

٨ - سورة الفاشية آية ( ٤ ) .

٩ - المصدر السابق ( ٥ : ٤٩٤ ) .

وقال : ( وهي نار يجب علينا الايمان بها ، ولكن لا ينبغي لنا البحث في حقيقتها لانها من امور الآخرة التي استأثر الله بعلم حقائقها وانما هي عذاب اليم " لمن يصلها ) " ١ " .

وقال : ( نار جهنم هي دار العذاب في الآخرة ، وهي نار يجب علينا الايمان بها ، والتصديق باب العذاب فيها اشد من العذاب في نار الدنيا ، كما يجب علينا ان لا نبحث في حقيقتها ، ولا بم تتقد ، ولا اين يكون موضعها ، فذلك مما لا يمكن لمقولنا ان تصل اليه ) " ٢ " .

وقال : ( ان دار العذاب ثابتة لا ريب فيها ، وترونها بأعينكم ، فاجعلوا صورة عذابها حاضرة في اذهانكم فتكون منبهة لكم الى ما هو خير لكم مما تلهون ) " ٣ " .

وقال : ( " سيصلى ناراً ذات لهب " " ٤ " : المراد من هذه النار : نار الآخرة التي لا يعلم حقيقتها الا الله ) " ٥ " .

د : - بعض النصوص الواردة في الخلود :

قال : ( " وهم فيها خالدون " " ٦ " : الخلود في اللغة طول المكث . ومن كلامهم : خلد في السجن كما في " الاساس " " ٧ " . وفي الشرع : الدوام

١ - نفس المصدر ( ٥ : ٤٢٩ ) .

٢ - نفس المصدر ( ٥ : ٤٧٧ ) .

٣ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٤٩٧ ) .

٤ - سورة المسد اية ( ٣ ) .

٥ - المصدر السابق ( ٥ : ٥٥٦ ) .

٦ - سورة البقرة اية ( ٢٥ ) .

٧ - اساس البلاغة للزمخشري .

الابدى اى لا يخرجون منها ولا هي تفتى بهم ، فيزولوا بزوالها ، وانما هي

حياة ابدية لانهاية لها ) . " ١ "

" ٢ "

وقال : ( " خالدون فيها " : اى لا يخرجون منها ابدا ) .

وهذا في الحديث عن نار جهنم .

وقال : ( وانها دار الخلد اى ان من دخلها من اهلها لا يخرج

منها ابدا ) . " ٣ "

ه : - وعن اللذة في الجنة :

قال : ( فلا بد ان يكون الاكل والشرب هناك على ما ورد لحكمة

اخرى ، او هو لتحصيل لذة لا نعرفها لانها من احوال عالم الغيب ، وانما نؤمن

بما ورد ، ونفوض امر حقيقته وحكمته الى الله ) . " ٤ "

وقال : ( ونحن نعلم ان الحكمة في لذة الازواج بالمصاحبة الزوجية

المخصصة هي التناسل ، وانما النوع ، ولم يرد ان في الاخرة تناسلا ،

فلا بد ان تكون لذة المصاحبة الزوجية هناك اعلى وحكمتها اسى ) . " ٥ "

وقال بعد ان فسر نعيم الجنة وبين بعضها من انواعه كالاكل ، والشرب

والنظر الى الله . . . الخ .

( كل هذه الانواع من النعم التي ذكرت في الايات ، مما ترغب فيه

النفوس وتتسابق اليه الهمم ، لهذا حفز الله بها عرائم المحسنين ليزدادوا احسانا ،

١ - تفسير المنار ( ١ : ٢٣٤ ) .

٢ - تفسير جزء عم ، السابق ( ٥ : ٥٢٤ ) .

٣ - نفس المصدر ( ٥ : ٤٧٨ ) .

٤ - تفسير المنار ( ١ : ٢٣٣ ) .

٥ - تفسير المنار ( ١ : ٢٣٤ ) .

وليطمح فيها السواقف على اول الطريق فيلزم الجادة الواضحة ويدع المعوجة ،  
الملتبسة ، ويسلك سبيل السابقين ، وليرد بها من جار على النهج ، وبقية على  
الصراط المستقيم .

هذا والمفهوم منها ما يشبه ما نحن فيه ، فما ظنك بها لو كانت ارقى  
واكمل واعلى وافضل ، وانه لا يدانيها شي . مما نعده في الدنيا الا في الاسم  
اوضرب من الشبه البعيد كما هو حقيقة امرها والحق في شأنها ) . " ١ "

و : وعن العذاب يقول :

( ان جهنم قد قدرها الله مرصادا واحدا يرصدون فيه للعذاب ،  
وهي مرجعهم الذي ينتهون اليه ، وانهم سيقمون فيها مددا طويلا ، مجدبين ،  
معدمين لا يجدون شيئا من النعيم والراحة ، ولا يدوقون فيها روحا ينفس عنهم حر  
جهنم ، ولا يدوقون من الشراب الا الماء الحار والصديد الذي يسيل من ابدانهم  
جزءا . يوافق اعمالهم ، لانهم كانوا لا ينتظرون يوم الحساب ، ولذلك اقترفوا  
السيئات ، واتوا قبائح الاعمال ، وكذبوا بالدلائل ، التي اقامها الله على صدق  
رسله ، تكذبا اشد تكذيب ، وقد احصى الله كل شي في كتاب علمه ، فلم  
ينب عنه شي . مما صدر منهم ، وسيوفيهم جزءا . ما صنعوا وستكون كلمته العالية  
ان يقول لهم : ذوقوا فلن تزيدكم الا عذابا ) . " ٢ "

ويقول : ( " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " )  
: يعني كلما ظفوا انهم نضجوا واحترقوا وانتهوا الى الهلاك اعطيناهم قوة جديدة من

١ - تفسير جزء عم ، السابق ( ٥ : ٣٦٠ ، ٣٦١ ) .

٢ - نفس المصدر ( ٥ : ٣١٣ ) .

٣ - سورة النساء اية ( ٥٦ ) .

الحياة بحيث ظنوا انهم الان حدثوا ووجدوا ، فيكون المقصود دوام العذاب وعدم انقطاعه ( " ١ " )

ويقول : ( وقد جاء في الكتاب الكريم " ولا طعام الا من غسلين " ٢ " )  
والغسلين ما شأنه ان يغسل عن الابدان كالقيح والصديد ونحوهما .

وفي سورة الواقعة : " ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من

زقوم " ٣ " الى اخر الايات .

وفي الدخان : " ان شجرة الزقوم طعام الاثيم " ٤ " .

وفي الصافات : " اذ لك خير نزل انا شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة

لظالمين انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلحها

كأنه رؤوس الشياطين فانهم لا يكون منها فطالون منها

البطون " ٥ " .

فهذا كله يدل على ان طعام اهل النار شي يوافق النشأة الاخرة ،

وقد عبر الله عنه بالمبارات المختلفة ، وكلها مما يصور في اذهاننا بشاعته وخبثه

لتنفر منه نفوسنا وتطلب كل وسيلة للفرار منه فتبعد بذلك عن العقائد الفاسدة

والاعمال الخاسرة ( " ٦ " هـ .

ز : - رأيه في الجنة التي هبط منها ادم عليه السلام .

يرى الشيخ محمد عبده ان الجنة التي هبط منها ادم ، بستان من

---

١ - تفسير المنار ، الجزء الخامس ، تفسير اية ( ٥٩ ) من سورة النساء .

٢ - سورة الحاقة اية ( ٣٦ ) .

٣ - سورة الواقعة اية ( ٥٢ ) .

٤ - سورة الدخان اية ( ٤٣ ) .

٥ - سورة الصافات اية ( ٦٢ ) .

٦ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٣٩٣ ) .

- البساتين ، كان ادم وزوجه مضمين فيها ، من غير تعيين المكان ولا البحث عنه .
  - لانه لو كان في ذلك فائدة لوصل الينا علمه ، وان الشجرة التي نهاهما من الاكل منها شجرة مخصوصة ، وان الشيطان ظلمهما بسوسسته في صدورهما ، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم الى ضده ، ثم ان ادم تاب الى الله من معصيته هذه فقبله الله ، ثم جعل سمادة هذا النوع باتباع هدى الله ، وشقاءه بتركه .
- يقول الشيخ محمد عبده :

( وهذا التفسير تنحل اشكالات كثيرة ، وهي :-

- ١ - ان الله خلق ادم في الارض ليكون هو ونسله خليفة فيها ، فالخلافة مقصودة ملهم بالذات ، فلا يصح ان تكون عقوبة عارضة .
  - ٢ - انه لم يذكر انه بعد خلقه في الارض عرج به الى السماء ، ولو حصل لذكر ، لانه امر عظيم .
  - ٣ - ان الجنة الموعود بها لا يدخلها الا المؤمنون المقنون ، فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون ؟
  - ٤ - انها ليست محلا للتكليف .
  - ٥ - انه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها .
  - ٦ - انه لا يقع فيها العصيان .
- وبالجملة : ان الاوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها ، لا تنطبق على ما كان في جنة ادم ، ومنه : كون عطاياها غير مجدود ولا مقطوع ، وغير ذلك ) . ٢٠١ هـ

١ - انظر تفسير المنار ( ١ : ٢٧٧ ) .

٢ - تفسير المنار ( ١ : ٢٧٧ ) .



وقد أيد الشيخ رشيد رضا هذا الرأي ، قال :

( وقد كان ظهري عند كتابة تفسير الآيات شيء آخر لم يذكره الاستاذ

الإمام ، ولم أراه في كتب التفسير وهو ان القول بأن آدم سكن جنة الآخرة

يقضي ان تكون الآخرة هي الدار الأولى ، والدنيا • فتكون التسمية للدارين

غير صحيحة ، وينافي أيضا كون الجنة دار ثواب يدخلها المقنون جزاء بما كانوا

يعملون ، كما ورد في الآيات الكثيرة ) • " ١ "

ومعد :

فهذه النصوص تفيد بجملتها أن رأى الشيخ محمد عبده في الجنة

والنار ، هو الايمان بهما ، وانهما مخلوقتان خلقهما الله عز وجل ثوابا لمن

اطاع ، وعقابا لمن عصى ، وانهما مخلوقتان الى الابد ، لا تفنيان ولا تهيدان •

والان ، وعد ان تبين لنا هذا نقول :

أليس من حقنا ان نعجب من الراى الاول الذى ساقه هذا المستشرق

" بلنت " ونسبه الى الشيخ محمد عبده ، ونقله الكاتب " محمد عمارة " ضمن

اعمال الشيخ محمد عبده ؟ •

بل أليس من حقنا ان نستنكره ، ونشجبه ، ونكذب ذلك الكافر

" بلنت " الذى يريد ان يدخل على الرجل الكذب في دينه وعقيدته ؟ •

ثم اين يكون هذا الراى — المنسوب الى الشيخ محمد عبده — مع هذه

النصوص القاهرة للشيخ محمد عبده ، التي سطرها بقلمه او نقلها عنه تلميذه

القرب اليه ، وايهما تصدق : السيد رشيد رضا " المسلم " او مستر بلنت

" الكافر " ؟ •

وهل تصدق صاحب الدار ومالكها ام السارق المتلصص عليها ؟  
اما العقل والعلم والكرامة والحق فيقول كل ذلك : ان الذى يصدق هو  
مالك الدار — اعني الشيخ محمد عبده ، والشيخ رشيد رضا — .  
واما الجهل والهوان والباطل فيقول كل ذلك : بل الذى يصدق هو  
اللمس المحتمل المستحل لساحة الدار ، — اعني مستربلنت — .  
لا شك ان المدعو مستربلنت قد اقتضى على صديقه ، وبالغ في الكذب عليه  
، والا لتعارض كلام الشيخ محمد عبده السابق — الذى ذكره " بلنت " ،  
واللاحق الذى ورد عنه وعن تلميذه ،  
وهنا نقول :

ليس عيبا ان يرى الرجل الراى فيخالفه غدا ، فان المعصوم من

عصم الله تعالى ، وكل ابن ادم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .  
فان الراى الذى قيل ان الشيخ محمد عبده يؤمن به وهو الذى ذكره  
" بلنت " ، وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده ينكر العذاب الابدى " . وقد  
سبق الراى الاخر الذى سطره الشيخ محمد عبده بقلمه ، ونقله ترجمان افكاره  
— السيد رشيد — في مناره . وملخصه : " ان الشيخ محمد عبده يؤمن بالجنة  
والنار ويخلودهما الى الابد — باذن الله — " .

واللاحق مقدم على السابق ، لانه يعنى ابطاله والرجوع عنه .

فبناء على ما مضى استطيع ان اتقول :

ان الشيخ محمد عبده مع السلف في هذا الموضوع — بل هو واحد منهم —  
يؤمن بالجنة والنار ، وانهما مخلوقتان ، لا تفنيان ولا تبيدان ، فان الله سبحانه  
وتعالى خلقهما قبل الخلق ، وخلق لهما اهلا ، واعد هما للثواب والعقاب .  
وهذا بيان مذهب السلف باختصار في حقيقة الجنة ، وحقيقة النار ،  
وحقيقة الخلود في كل منهما اعرضه ليظهر صدق ما قلناه ، وصحة مذهب الشيخ محمد  
عبده الاعتقادى في الجنة والنار والخلود فيهما ، بعد ان سقنا النصوص الصريحة

الواضحة في هذا الموضوع .

وهاك ما قاله السلف ، باختصار :

( اولا ) : " الجنة " :

=====

كلام السلف - رضي الله عنهم - في حقيقة الجنة ، وما اليها . . .

كلام طويل جدا ، فابن القيم رحمه الله الف كتابا في ذكر الجنة ونعيمها ودرجاتها

واهلها ، واحوالهم فيها . . . الى اخر ما فيها مما اعده الله لمن يدخلها - سماه

" حادي الارواح الى بلاد افراح " ١ ، لم يترك شاردة ولا واردة الا ضمنها

هذا الكتاب ، فجزاه الله عنا خيرا الجزاء .

وشيخ الاسلام الامام احمد بن تيمية - في مجموع الفتاوى - تكلم عن الجنة

في مواطن متعددة ، ذكر فيها وجود الجنة وبقائها ٢ ، ونعيمها والتلذذ فيها ،

وان الجنة درجات والناس يتفاوتون فيها . ٤

ولا مجال هنا لوصف نعيم الجنة . فحديث ذلك يطول ، ولا يكاد يفي

بالاحاطة بها .

وحاصل كلام السلف كما ورد عند شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتلميذه الامام

ابن القيم - رحمهما الله تعالى - هو :

الايمان بوجود الجنة ، وانها مخلوقة ، خلقها الله عز وجل ثوابا لمن

خافه ، واتقاه ، وانها مخلوقة قبل الخلق ، ولا تزال موجودة الى الان ،

وانها باقية الى الابد ، لا تفنى ولا تبديد .

---

١ - انظر : حادي الارواح الى بلاد الافراح ، دار الكتب العلمية - بيروت ،

لبنان ، توزيع دار الباز - مكة المكرمة ، يقع في ٢٩٦ صفحة .

٢ - انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ( ١٨ : ٣٠٧ ) .

٣ - انظر : نفس المصدر ( ٤ : ٣١١ - ٣٢٩ ) .

٤ - انظر : نفس المصدر ( ١١ : ١٨٨ - ١٩٠ ) .

وان الجنة فيها من النعم ما لا يملحه الا الله .  
وقد اكره الله من ذكر نعميها ، في القران الكريم ، نذكر من هذه الايات :  
قوله تعالى : " ان المتقين في جنات وعيون اخذين ما اتاهم ربهم انهم  
كانوا قبل ذلك محسنين " ١ .

وقوله تعالى : " وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل اواب  
حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها  
بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤون فيها ولد ينم مزيد " ٢ .

وقوله تعالى : " جزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا  
يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت  
قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب كانت  
قواريرا ، قواريرا من فضة قدرها تقديرا ويسقون فيها  
كاسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا  
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا  
منثورا واذا رايتهم رايت نعيمان وملكا كبيرا عليهم ثياب  
سندس خضر واستبق وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم  
شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا " ٣ .

وقوله تعالى : " ان المتقين في مقام امين في جنات وعيون يلبسون من  
سندس واستبق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون  
فيها بكل فاكهة امنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة -

١ - سورة الذاريات ، الايات ( ١٥ - ١٦ ) .

٢ - سورة السجدة ، الايات ( ٣١ - ٣٥ ) .

٣ - سورة الانسان ، الايات ( ١٢ - ٢٢ ) .

الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم " ١ " .  
وقوله تعالى : " ان المقيمين في جنات ونعيم فاكهين بما اتاهم ربهم

وقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون متكئين على سرر  
مصنوفة وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتمهم ذريتهم بايمان الحقناهمهم ذريتهم  
وما التناهم من علمهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين وامددناهم بفاكهة ولحم  
ما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ايطوف عليهم فلما ان لهم  
كانهم لو لوء مكنون " ٢ " .

وايضا فان الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان كثيرا ما يحدث  
عنها ، ويبشر العاملين بها ، ويكي العبد قوله صلى الله عليه وسلم  
في وصف الجنة ، في الحديث القدسي " ٣ " ، يقول الله تعالى :  
" اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب  
بشر فاقروا ان شئتم " فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا  
يعملون " ٤ " .

واما الجنة التي هي من ادم فقد اختلف العلماء — من اهل السنة ،  
وغيرهم — فيها :

هل هي البستان او المكان الذي تظله الاشجار من كل جانب كما هو معلوم  
لدينا ؟ ام هي دار الخلود في الآخرة ؟ ، على ثلاثة اقوال : — " ٥ " .

- 
- ١ — سورة الدخان ، الايات ( ٥١ — ٥٧ ) .
  - ٢ — سورة الطور ، الايات ( ١٧ — ٢٤ ) .
  - ٣ — فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٢٤٧ ) .
  - ٤ — سورة السجدة ، اية ( ١٧ ) .
  - ٥ — انظر الخلاف حول هذه المسألة في :  
تفسير البحر المحيط ، لابي حيان التوحيدى ( ١ : ١٥٥ — ١٥٧ ) =

(الاول ) : ان المراد بها بستان من البساتين او غيضة من الغياض

كان ادم عليه السلام ، وزوجة منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها ، وهي في موضع عال من الارض .

واليه ذهب المحققون من اهل السنة كالامام " ابو حنيفة " " ١ " ، والامام

" ابو منصور الماتريدي " .

ونقله ابن الخطيب عن ابي القاسم البلخي ، وابي مسلم الاصبهاني " ٢ "

وابن عيينة ، وابن قتيبة ، ويحكي عن ابن عباس ، وعن وهب بن منبه " ٣ "

( الثاني ) : انها جنة الخلد . واختاره ابو عيسى الرماني في

تفسيره .

ثم قال : والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل واكثر اصحابنا

وهو قول ابي علي وشيخنا ابي بكر وعليه اهل التفسير " ٤ "

وهو ايضا قول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

قال : ( والجنة التي اسكنها ادم وزوجته عند سلف الامة ، واهل

السنة والجماعة : هي جنة الخلد .

---

= ( ٤ : ٢٧٤ ، ٢٨١ ) ، طبعة القاهرة الاولى ١٣٢٨ هـ .  
والكشاف للزمخشري ( ١ : ٤٥ ، ٢٥٩ - ٢٦٢ ) ، طبعة  
القاهرة ١٣٠٧ هـ .

ومدارك التنزيل وحقائق التاويل للنسفي ( ١ : ٣٤ ) .

وتفسير البيضاوي ص ٢٦ .

١ - انظر حادي الارواح ، لابن القيم ص ١٩ .

٢ - انظر نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

٣ - انظر نفس المصدر ص ٢٠ .

٤ - انظر نفس المصدر ص ١٩ .

ومن قال انها جنة في الارض ، بأرض الهند ، او بأرض جدة ، او غير ذلك ، فهو من المتفلسفة والملحدين او من اخوانهم المتكلمين المبتدعين ، فان هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة .  
والكتاب والسنة يردان هذا القول ، وسلف الامة وائمتها متفقون على بطلان هذا القول ( ١ ) .

( الثالث ) : التوقف .

واختاره ابن الخطيب . وحجته : ان الكل ممكن ، والادلة متعارضة ، فوجب التوقف ، وترك القطع .  
اقول :-

اثار الفريق الاول اشكالات ، قيماً لو كانت الجنة هي دار الخلود .  
واجاب الفريق الثاني عن هذه الاشكالات .  
وتوقف البعض ، وقال : ان السكوت عن الكلام في هذا افضل .  
ولكل من الفريقين اشكالات ، واجوبة . اطلال في بيانها الامام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه السابق " حادي الارواح " من صفحة ( ١٩ - ٣٥ ) . ولم يرحح ابن القيم اراها ، وان كان يفهم من سياق كلامه انه مع شيخه في انها جنة الخلد .

لان ابن القيم ، ساق حجج من اختار انها جنة الخلد التي يدخلها الناس - المؤمنون - يوم القيامة ، وجوابهم عما احتج به منازعهم في صورة التقرير لهذا المذهب ، والتأييد له . والله اعلم .

والذي اراه - ولا اجزم به - ان الاشكالات التي اوردها الفريق الاول ، عقلية . وان الادلة التي اعتمد عليها الفريق الثاني ، عقلية وصحيحة ، رواها مسلم عن ابي هريرة ، وعن حذيفة ، وابي موسى الاشعري ، وسعيد بن

جبير ، وابن عباس ، وله طرق عنه كثيرة ، وفي بعضها :  
" كان آدم قال لربه ان عساه : رب ان اتيت ، واصلحت .  
فقال له ربه : اني راجعك الى الجنة " .

وهؤلاء - رضي الله عنهم - نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
قلا صحيحا .

ولا يصار الى العقل بوجود النقل الصحيح ، ويسعدنا ما وسع الصحابة رضي  
الله عنهم . ان فهموا انها جنة الخلد ، ولم يستفسروا عنها من رسول الله صلى  
الله عليه وسلم .

ولو كانت على الارض لورد في ذلك اخبار ، واخبار . ولكنه الذي فطر  
الله عليه المؤمنين جميعا ، ولم يخطر بقلهم سواه ، والله اعلم بالصواب .

( ثانيا ) : " النار " .

=====

وكما يؤمن السلف رضي الله عنهم ، بوجود الجنة ، يؤمنون بوجود النار  
، وانها مخلوقة من مخلوقات الله اعداها لعقاب العصاة ، وانها مخلوقة قبل  
الخلق ولا تزال وانها باقية الى الابد ، لا تنفى ولا تبعد .  
ولا مجال هنا ايضا لوصف احوال النار وعذابها ، فحديث ذلك يطول .  
واكتفي بذكر بعض الايات القرآنية ، في ذلك :

قال تعالى : " يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها  
الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما  
يؤمنون " . ( ١ )

وقال تعالى : " يوم نقول لجهنم اهل امثالك وتقول هل من مؤيد " . ( ٢ )

---

١ - سورة التحريم ، آية ( ٦ ) .

٢ - سورة ق ، آية ( ٣٠ ) .



ومن الاحاديث اذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم " ٠ " ١ "

ومما يكون من تحاور ، وتخاطب بين اهل الجنة واهل النار ، اذ كبر

قول الحق تبارك وتعالى :

" ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا

حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فان مؤمن بينهم ان لعنتا الله على

الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويفنونها عوجا وهم بالآخرة كافرون " ٠ " ٢ "

وقوله تعالى :

" ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او

مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين " ٠ " ٣ "

( ثالثا ) : " خلود الجنة والنار " ٠

=====

ان خلود الجنة وبقاء نعيمها ، وخلود النار وبقاء عذابها ، امر ثابت لا

شك فيه ، وهو قول جمهور الائمة من السلف والخلف ، وهو ما يعلم بالضرورة

ان الله سبحانه وتعالى قرره ، وان الرسول طيه السلام اخبر به " ٠ " ٤ "

هذه حقيقة لا يمارى فيها الا معطل ولا يكابر فيها الا فاسق كافر .

---

١ — فتح الباري شرح صحيح البخارى ( ٦ : ٢٥٦ ) ، والموطأ ص ٦١٤ ٠

٢ — سورة الاعراف ، الايات ( ٤٤ — ٤٥ ) ٠

٣ — سورة الاعراف ، اية ( ٥٠ ) ٠

٤ — انظر شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٨٠ وما بعدها ٠ /

وانظر العقائد الاسلامية ص ٣٠١ ٠

والآيات التي توضح هذه الحقيقة في كتاب الله كثيرة ، وفي السنة ما

يوكدها مما لا يدع مجالاً لمتشكك أو سبيلاً لمعاند .

ومما ورد من الآيات :

قوله تعالى : " ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات

الفرديس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولا " . " ١ "

وقوله تعالى : " ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم

وهم فيه ملبسون " . " ٢ "

" ٣ "

وقوله تعالى : " ونادوا يا مالك ليقتلنا ربك قال انكم ما تكونون "

وقوله تعالى : " ان المتقين في جنات وهم يدخلونها بسلام

آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب

وما هم منها بمخرجين " . " ٤ "

وهذه النصوص وغيرها تفيد بقاء الجنة والنار ، وبقاء من فيهما .

أما السنة :

فقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : -

" من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت " . " ٥ "

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم :

١ - سورة الكهف ، الآيات ( ١٠٧ - ١٠٨ ) .

٢ - سورة الزخرف ، الآيات ( ٧٤ - ٧٥ ) .

٣ - سورة الزخرف ، آية ( ٧٧ ) .

٤ - سورة الحجر ، الآيات ( ٤٥ - ٤٨ ) .

٥ - الحديث صحيح ، رواه مسلم ، انظر هامش صفحة ٤٨٢ من شرح

المقيدة الطحاوية .

" اذا صار اهل الجنة الى الجنة ، واهل النار الى النار . جيء  
بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا اهل  
الجنة لا موت ، يا اهل النار لا موت ، فيزداد اهل الجنة فرحا الى  
فرحهم ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم " . " ١ "

وظاهر الحديث يفيد معنى الخلود في كل من الجنة والنار ، بأوجز  
عبارة ، وابلغ اسلوب .

ولا تعارض بين هذه النصوص وبين غيرها مما قد يوهم المعارضة ،  
لان هذا كلام الله ، ولا تعارض بين كلامه سبحانه . وهو ما اجمع  
عليه العلماء من السلف والخلف ، وما اتفق عليه المسلمون ، واهل الحق  
جميعا .

” الخاتمة ”

الخاتمة - نسال الله حسننها -

=====

خاتمة هذه الرسالة ، تشتمل على موقف الشيخ " محمد عبده " ، من

القضيتين التاليتين :

القضية الاول ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد ، في الامور

والمسائل الاعتقادية " .

القضية الثانية ، هي :

" رأى الشيخ " محمد عبده " في الدعوة الى الله ، والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، وما يتبع ذلك من ذم البدع والخرافات " .

١ : رأى الشيخ " محمد عبده " في حجية خبر الواحد في

الاستدلال على المعائد

=====

يرى الشيخ " محمد عبده " انه يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر المتواتر " ١ " • اما اخبار الاحاد " ٢ " فلا يطعن في ايمان المرء عدم التصديق بها •

١ — تنقسم السنة باعتبار طريقة وصولها اليها الى متواتر واحاد • وزاد الحنفية قسما ثالثا هو المستفيض او المشهور • فاما المتواتر فهو في اللغة مجيء الواحد بعد الواحد بفترة بينهما • وهو ما خوذ من الوتر • وفي الاصطلاح خبر جمع يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب لكثرتهم او ثقتهم • عن امر محسوس او عن جمع مثلهم الى ان ينتهي الى محسوس من مشاهدة او سماع • وهنا ينتهي الخبر الى السماع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ومشاهدة افعاله واقاراره •

ويتضح من هذا التعريف ان هناك شروطا اربعة لابد من تحققها في

الحديث المتواتر :

اولها : ان يكون رواته عالمين بما اخبروا به وجازمين • غير مجازفين ولا ظانين •

وثانيها : ان يكون علمهم مستندا الى شيء محسوس كمشاهدة او سماع •

وثالثها : ان يبلغ عددهم الى مبلغ يمنع في العادة تواطؤهم على الكذب •

ورابعها : ان يستمر العدد المعتبر في كل الطبقات • اى في اوله

واوسطه واخره •

والتواتر قد يكون باللفظ • وقد يكون بالمعنى • وهو بنوعيه

يفيد القطع واليقين بصدق الخبر ووضوحه • ولا خلاف بين العلماء في ذلك •

٢ — واما حديث الاحاد فهو كل حديث لم يجمع شروط التواتر السابقة • وقد

يتفرد به واحد فيسمى غريبا • وقد يرويه اثنان فاكثر فيسمى عزيزا • =

يقول الشيخ محمد عبده : ( يجب ان يقتصر في الاعتقاد على ما هو صريح في الخبر ،  
ولا تجوز الزيادة على ما هو قطعي بظني . وشرط صحة الاعتقاد ان لا يكون فيه شيء  
يمس التنزيه وعلو المقام الالهي عن مشابهة المخلوقين .

فان ورد ما يوهم ظاهرة ذلك في المتواتر وجب صرفه عن الظاهر اما  
بتسليم لله في العلم بمعناه من اعتقاد ان الظاهر غير مراد ، او تاويل تقوم عليه  
القرائن المقبولة .

اما اخبار الاحاد فانه يجب الايمان بما ورد فيها على من بلغته وصدق  
بصحة روايتها ، اما من لم يبلغه الخبر ، او بلغه وعرضت له شبهة في صحته ،  
وهو ليس من المتواتر فلا يطعن في ايمانه عدم التصديق به .  
والاصل في جميع ذلك : ان من انكر شيئا وهو يعلم ان النبي صلى الله  
عليه وسلم حدث به او قرره فقد طعن في صدق الرسالة وكذب بها ، ويلحق به  
من اهل في العلم بما تواتر عنه ، وعلم انه من الدين بالضرورة ، وهو ما في الكتاب  
وقليل من السنة في العمل ) . " ١ "

---

= وقد يستفيض بان يرويه جماعة فيكون مشهورا او مستفيضا ، وعلى هذا فلا  
يفيد وصفه بانه حديث احاد انه مروى عن واحد دائما  
واما المشهور والمستفيض فهو قسم من خبر الاحاد على الصحيح ،  
خلافًا للحنفية الذين جعلوه قسما قائما بنفسه .  
/ انظر رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ص ١٤ .  
محمد ناصر الدين الالباني .  
١ - رسالة التوحيد ص ١٦٠ .

والحديث المتواتر — عند الشيخ محمد عبده — هو رواية خبر عن شهود من جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة • وايتة قهر النفس على اليقين بما جاء فيه • ويرى الشيخ محمد عبده ان هذا النوع من الاخبار ، لا نزاع بين العقلاء في انه يحصل اليقين بالمخبر به • "١"

ولكن التواتر — في نظر الشيخ محمد عبده — لا يصح ان يكون برأى جماعة ، او برأى اخرين :

( فحد التواتر هو ما تراه في القران : تعرفه طبقة يوء من تواطؤ كل منها على الكذب الى ان وصل اليك لا تنكره فرقة من فرق المسلمين قاطبة • "٢"

فهذا التواتر هو الذي يوجب اليقين وليس الامر كذلك في احاديث الاحاد ) •

ويقول الشيخ محمد عبده : ( والاحاد لا يوءخذ في باب العقائد ••• على ان الحديث الذي يصل اليها من طريق الاحاد ، انما يحصل الظن عند من صح عنده ، اما من قامت له الادلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة • وعلى اى حال ، فلنا ، بل علينا ، ان نفوض الامر في الحديث ولا نحكمه في عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب ، وبدليل العقل ) • "٣"

الى هنا وينتهي رأى الشيخ محمد عبده في حديث خبر الواحد ، وحاصله ان خبر الواحد ليس حجة في المسائل الاعتقادية ، وان كان حجة في الاحكام الشرعية لان العقيدة لا تثبت الا بالدليل القطعي ، بالاية او الحديث المتواتر تواترا حقيقيا ، ان كان هذا الدليل لا يحتمل التأويل • وان احاديث الاحاد

- 
- ١ — انظر : الاعمال الكاملة للامام ( ٣ : ٤١٨ ، ٤١٩ ) •
  - ٢ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٥٤٣ ، ٥٤٤ ) •
  - ٣ — تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام ( ٥ : ٥٦٨ ) •



لا تفيد العلم وانها لا تثبت بها عقيدة " ١ " مناقشة ، ونقض هذا الرأي :

=====

اقول : ليس في وسعي ان اتجاهل ما قاله الشيخ محمد عبده ، وهو الاصل الذي عناه بقوله : والاحاد لا يؤخذ في باب العقائد . . . . . لانه فكرة خاطئة ظهرت عند بعض علماء الكلام المسلمين منذ قرون طويلة . . . . . وراى خطيرا اخذ به عدد من علماء الاحول المتأخرين ، وتبناه حديثا طائفة من الكتاب والدعاة المسلمين . . . . .

هذا الرأي — لا صحة له عند كثير من علماء المسلمين ، وقد كتب في الرد عليه كثير من الحلما قديما وحديثا :

ومن اهم الردود ما كتبه الامام ابن القيم في كتاب : مختصر الصواعق المرسله " والامام ابن حزم في كتاب " الاحكام في اصول الاحكام " .  
والمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في " رسائل الدعوة السلفية " .  
الرسالة الثالثة : " الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام " ، والرسالة الخامسة : " وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين " .  
وقد جمعوا في كتبهم ما تيسر لهم جمعه من البراهين القاطعة ، والادلة الناصعة على فساد هذا الرأي الشاذ ، وقد نقض الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، دعوى عدم الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة بعشرين وجها ، جمعها في الرسالة الخامسة ، ضمن رسائل الدعوة السلفية .

---

١ — وما ينبغي ان ينتبه له ان المراد بحديث الاحاد الحديث الصحيح ، ولو جاء من عدة طرق صحيحة ، لكنها لم تبلغ درجة التواتر ، فمثل هذا الحديث يردّه الشيخ محمد عبده ولا يقبله في العقيدة .

واني ارى ان الشيخ محمد عبده قد سبقه الى رفض الاحتجاج بخبر الواحد  
كثيرون من علماء المسلمين ، بغض النظر عن المصدر الاساسي لهذا الرفض هو من  
المحتزلة ام من الجهمية ...

لكن طبيعة البحث ، تقتضي الرد على هؤلاء ، وبيان الحقيقة ،  
وان كنا نعلم انه قد قال به بعض المتقدمين من علماء الكلام .

وقبل ان اسوق كلام السلف ، وجمهور العلماء في هذه المسألة ، اسوق  
شبهة عرضت لاصحاب هذا الراى الشاذ ، واذكر رد العلماء عليها ...

شبهة وجوابها : " ١ "

===== يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : ( لقد عرضت لهم

— اي الذين يقولون ان حديث الاحاد لا تثبت به عقيدة — شبهة ، ثم صارت

لديهم عقيدة وهي ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن ، ويعنون به الظن

الراجع طبعا ، والظن الراجع يجب الحمل به في الاحكام اتفقا ، ولا يجوز

الاخذ به عندهم في الاخبار الغيبية ، والمسائل العلمية ، وهي المراد

بالعقيدة .

ونحن لو سلمنا لهم جدلا بقولهم : ( ان حديث الاحاد لا يفيد الا الظن )

على اطلاقه ، فاننا نسألهم : من اين لكم هذا التفريق ، وما الدليل على انه لا

يجوز الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة ؟

لقد رأينا بعض المعاصرين يستدلون على ذلك بقوله تعالى في المشركين :

" ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس " ٢ " ، وقوله سبحانه : " ان الظن

لا يفتني من الحق شيئا " ٣ " ، ونحو ذلك من الايات التي يذم الله تعالى فيها

---

١ — عن رسالة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للشيخ ناصر الدين

الالباني ص ٤٦ ، ٤٧ .

٢ — سورة النجم ، آية ( ٢٣ ) .

٣ — سورة الانعام ، آية ( ١١٦ ) .

المشركين على اتباعهم الظن •

وفات هؤلاء المستدلين ان الظن المذكور في هذه الايات ليس المراد به

الظن الغالب الذي يفيد خبر الاحاد ، والواجب الاخذ به اتفاقا ، وانما هو

الشك الذي هو الخرص ، فقد جاء في " النهاية " و " اللسان " وغيرهما من كتب

اللغة : " الظن : الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به " •

فهذا هو الظن الذي نعه الله تعالى على المشركين • وما يؤيد ذلك

قوله تعالى فيهم : ( ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ) " ١ " ، فجعل

الظن هو الخرص الذي هو مجرد الحذر والتخمين •

ولو كان الظن المضي على المشركين في هذه الايات هو الظن الغالب

كما زعم اولئك المستدلون لم يجز الاخذ به في الاحكام ايضا ، وذلك لسببين اثنين :

الاول : ان الله انكره عليهم انكارا مطلقا ولم يخصه بالمقيدة دون الاحكام •

والاخر : انه تعالى صرح في بعض الايات ان الظن الذي انكره على المشركين ،

يشمل القول به في الاحكام ايضا ، فاسمع الى قوله تعالى الصريح في ذلك :

( سيقول الذين اشرکوا لو شاء الله ما اشرکنا ولا ابواننا ( فهذا عقيدة ) ولا حرمتنا

من شيء ) ( وهذا حكم ) كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل

عندكم من علم فتخرجوه لنا ؟ ان تتبعون الا الظن وان اتم الا تخرصون ) " ٢ " •

ويفسرها قوله تعالى : ( قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبخي

بغير الحق ، وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا

تعلمون ) • " ٣ "

١ - سورة الانعام ، اية ( ١١٦ ) ، وسورة يونس ، اية ( ٦٦ ) •

٢ - سورة الانعام ، اية ( ١٤٨ ) •

٣ - سورة الاعراف ، اية ( ٣٣ ) •

فثبت مما تقدم ان الظن الذي لا يجوز الاخذ به انما هو الظن اللغوي المراد  
المرادف للخص والتخمين ، والقول بغير علم ، وانه يحرم الحكم به في الاحكام  
كما يحرم الاخذ به في العقائد ولا فرق .

وانا كان الامر كذلك فقد سلم لنا القول المتقدم : ان كل الايات والاحاديث  
المتقدمة " ١ " الدالة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الاحكام تدل ايضا  
بعمومها وشمولها على وجوب الاخذ به في العقائد ايضا ، والحق ان التفريق  
بين العقيدة والاحكام في وجوب الاخذ فيها بحديث الاحاد فلسفة دخيلة في  
الاسلام ، لا يعرفها السلف الصالح ولا ائمة الامة الذين يقلدهم جماهير  
المسلمين في العصر الحاضر ( ١٠١ هـ )

رأى السلف في حجية خبر الواحد :

=====

يرى السلف رضي الله عنهم انه يجب الايمان بكل ما ثبت عن المعصوم صلى  
الله عليه وسلم ، سواء اكان خبرا متواترا ام خبرا احادا ، من غير تفريق بينهما .  
وخبر الواحد عندهم احد طرق المعرفة ، ويفيد العلم اليقيني ، ويوجب  
الحمل ، وهو قول الامام احمد كما ذكر ابن ابي موسى " ٢ " ، وسار على ذلك  
اتباع الامام احمد ، ومقرروا مذهب السلف ، حيث استدلوا على وجوب الاخذ  
بحديث الاحاد في العقيدة بأدلة من القران والسنة :

- 
- ١ — سيأتي بعضها في كلام السلف ، بعد قليل باذن الله .
  - ٢ — هو محمد بن احمد بن ابي موسى ابو علي الهاشمي ، القاضي ، كان  
عالي القدر ، سمي الذكر ، ومقربا عند القادر بالله ، والقائم  
بامر الله ، صنف " الارشاد " في المذهب الحنيلي ولد سنة ٣٤٥ هـ  
وتوفي سنة ٤٢٨ هـ / ٠ / انظر طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى — مطبعة  
السنة المحمدية القاهرة ( ٢ : ١٨٢ — ١٨٦ ) .

الدليل الاول :

=====  
قوله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله

امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم " ٠ " ١ "

وقوله تعالى : " قل اطعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين " ٠ " ٢ "

هذه الايات وامثالها تفيد ان طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة ،

وان طاعة الله واجبة " ومن يطع الرسول فقد اطاع الله " ٠ " ٣ "

وايضا تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر به واجب ،

لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ٠ " ٤ "

فهذه الايات وغيرها التي تامر بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم ،

فيما اخبر به ، وطاعته فيما امر به ، ليس فيها ما يفرق بين ما هو متواتر ،

وما هو خبر احاد ، فمتى صح الخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجب

الاخذ به ، والايمان بما جاء فيه .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله : ( ان الرسول صلى الله عليه وسلم موضح وشاح

لدين الله ، وانه اوتي القران ومثله معه ، وان الله قد امرنا بطاعته ومحبته ،

وتمهدنا بما بلغه ووضحه ، واذا فما وضحه الرسول صلى الله عليه وسلم وبلغه من

امور الدين لا بد وان يكون محفوظا بحفظ الله تعالى ، لاننا لو جوزنا على بيان

الرسول صلى الله عليه وسلم الكذب والخلط والسهو دون دليل يبين ذلك ،

لادى الامرالى سقوط ضمان الله تعالى ، وكفالتة بحفظ دينه ، وليس المراد

---

= وانظر كتاب : المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل ،

تاليف علي بن محمد بن علي المصروف بابن اللحام ، حققه وقدم له الدكتور

محمد مظهر بقا ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٨٣ .

١- سورة الاحزاب ، اية ( ٣٥ ) .

٢- سورة ال عمران ، اية ( ٣٢ ) .

٣- سورة النساء ، اية ( ٨٠ ) .

٤- سورة الحشر ، اية ( ٧ ) .

بذلك دعوى عصمة الرواة ، بل المراد ان الراوي اذا كذب او غلط او سها ،  
فلا بد من ان يقوم دليل على ذلك ، وان يكون في الامة من يعرف كذبه وغلطه  
حتى يتم حفظ الله تعالى لحججه وادلته ، ولا يلتبس الحق بالباطل .

وايضا فاننا لو جوزنا الكذب على خبر الرسول والخلط فيه لادى ذلك الى

بطلان حجة الله تعالى على عباده . ان في استطاعة كل من احتج عليه بسنة تبين

القران وتفسره ان يرد ذلك باسم انه من اخبار الاحاد التي لا تفيد العلم ، ولا  
يحتج بها ، وذلك يبطل الانتفاع بنصوص القران ، وتسقط حجة الله على العباد .<sup>١</sup>

#### الدليل الثاني :

===== قوله تعالى : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " .<sup>٢</sup>

وجه الاستدلال : هذه الآية نص في ان خبر الاحاد حجة في التبليغ

عقيدة واحكاما . ذلك ان الله تعالى حذى المؤمنين على ان ينفر طائفة منهم الى النبي

صلى الله عليه وسلم ليتعلموا منه دينهم ويتفقهوا فيه . ولا شك ان ذلك يشمل

المقائد والاحكام ، بل المقائد اهم من الاحكام .

و ( الطائفة ) في لغة العرب تقع على الواحد فما فوق .

قال ابن حجر : ( وهذا مصير منه الى ان لفظ " طائفة " يتناول الواحد

فما فوقه ، ولا يختص بعدد معين ) .<sup>٣</sup>

وذكر ابن حجر ان هذا منقول عن ابن عباس وغيره كالنخعي ومجاهد ،

رضي الله عنهم .

---

١ - مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة ( ٢ : ٣٨٠ ) .

٢ - سورة التوبة ، آية ( ١٢٢ ) .

٣ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ( ١٣ : ٢٣٤ ) .

الدليل الثالث :

=====  
قوله تعالى : " ولا تحف ما ليس لك به علم " ٠ " ١ "

اي لا تتبعه ، ولا تعمل به ، ومن المعلوم ان المسلمين لم يزالوا من عهد الصحابة يقفون اخبار الاحاد ، ويعملون بها ، ويثبتون بها الامور الغيبية ، والحقائق الاعتقادية مثل بدء الخلق واشراط الساعة ، بل ويثبتون بها الله تعالى الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما ، ولا تثبت عقيدة لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وائمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في " مختصر الصواعق " ٢ " ، وهذا مما لا يقوله مسلم ٠ " ٣ "

الدليل الرابع :

=====  
قوله تعالى : " يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بغيرها فتبينوا " ٤ "

وفي القراءة الاخرى " فتثبتوا " فانها تدل على ان المدل اذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به ، وانه لا يجب التثبت بل يؤخذ به حالا ، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى : " ٥ "

( وهذا يدل على الجزم بقبول خبر الواحد ، وانه لا يحتاج الى التثبت ، ولو كان خبره لا يفيد العلم لامر بالتثبت حتى يحصل العلم ، وما يدل عليه ايضا ان السلف الصالح وائمة الاسلام لم يزالوا يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه

---

١ - سورة الاسراء ، آية ( ٣٦ ) .

٢ - انظر مختصر الصواعق ( ٢ : ٣٩٦ ) .

٣ - من كلام الشيخ ناصر الدين الالباني في الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٠ .

٤ - سورة الحجرات ، آية ( ٦ ) .

٥ - انظر اعلام الموقعين ( ٢ : ٣٩٤ ) .

وسلم كذا ، وفعل كذا ، وامر بكذا ، ونهى عن كذا ، وهذا معلوم في كلامهم بالضرورة . وفي " صحيح البخاري " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في عدة مواضع . وكثير من احاديث الصحابة يقول فيها احد هم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما سمعته من صحابي غيره . وهذه شهادة من القائل ، وجزم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نسب اليه من قول او فعل ، فلو كان خبر الواحد لا يفيد العلم لكان شاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم .  
الدليل الخامس :

===== سنة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه تدل على الاخذ بخبر

#### • الاحاد

فقد استدلل السلف وجمهور العلماء على قبول خبر الواحد ، بانه قد كثر جدا قبوله والعمل به في الصحابة والتابعين ، عملاً شائعاً من غير تكبير ، يحصل به اجماعهم عليه عادة وقطعا . " ٢ " فنبه :

أ : - قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما جاءته " الجدة " تطلب ميراثها ، :  
( مالك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شيئاً ، فارجمي حتى اسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاها السدس . فقال ابوبكر : هل

---

١ - نقله الالباني في الرسالة الثالثة : الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام

ص ٥٠ و ٥١ .

٢ - انظر : الرسالة للامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ احمد

محمد شاكر طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٤٠ م / ١٣٥٠ هـ ،

ص ٤٠١ ، ٤٣٥ ، ٤٥٢ .

وانظر : اصول السرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق : =



معك غيرك ؟ فقال محمد بن مسلمة مثله • فانفذه لها ابو بكر ) • " ١ "

ب : — استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه في " الجنين " • فقال المغيرة :

قضى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم " بخره " : عبد اوامة •

فقال عمر : لتاتين بمن يشهد معك • فشهد له محمد بن مسلمة • " ٢ "

ج : — كان عمر رضي الله عنه لا يورث المرأة من دية زوجها حتى اخبره الضحك

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه ان يورث امرأة " اشيم " • " ٣ "

من دية زوجها • " ٤ "

= ابو الوفا الافغاني • مطابيح دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٧٢ هـ ( ١ : ٣٢٢ ) •

وانظر : المستصفي من علم الاصول • للبخاري • الطهفة الاولى

( ١ : ١٤٨ ) •

وانظر : فواتح الرحموت • لعبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري

شرح مسلم الثبوت لابن عبد الشكور • مطبوع بهامش المستصفي ( ٢ : ١٣٢ ) •

وانظر : كشف الاسرار عن اصول البزدوى لعلاء الدين عبد العزيز البخاري

مطبعة الدار سعادت باستنبول سنة ١٣٠٨ هـ ( ٢ : ٣٧١ — ٣٧٨ ) •

١ — رواه الخمسة الا النسائي • وصححه الترمذي • ورواه مالك في الموطأ

( ٢ : ٥١٣ ) • واحمد في المسند ( ٥ : ٣٢٧ ) • وابو داود في السنن

( ٢ : ١٠٩ ) • وفي سنن ابن ماجه ( ٢ : ٩١٠ ) • وسنن الداربي

( ٢ : ٣٥٩ ) • وانظر نيل الاوطار ( ٦ : ٦٧ ) •

٢ — متفق عليه : صحيح البخاري ( ٤ : ١٩٣ ) • صحيح مسلم

( ٣ : ١٣٠٩ ) • سنن ابي داود ( ٢ : ٤٩٧ ) • سنن النسائي

( ٨ : ٤٢ ) • سنن ابن ماجه ( ٢ : ٨٨٢ ) • الموطأ ( ٢ : ٨٥٥ )

• سنن الداربي ( ٢ : ١٩٦ ) •

٣ — هو اشيم الضبابي • قتل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم خطأ • وهو

صحابي مسلم •

انظر / الاصابة ( ١ : ٥٢ ) • والاستيعاب ( ١ : ١١٥ ) •

٤ — رواه مالك في الموطأ ( ٢ : ٨٦٦ ) • واحمد ( ٣ : ٤٥٢ ) •

وسنن ابي داود ( ٢ : ١١٧ ) • وسنن ابن ماجه ( ٢ : ٨٨٣ ) • وسنن

الداربي ( ٢ : ٣٧٧ ) •

د : — وعن ابن عمر ان سمعا حدثه : ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين • فسأل ابن عمر اباه عنه • فقال نعم اذا حدثك سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا تسأل عن غيره • " ١ "

هـ : — عن عبد الله بن عمر قال :

" بينما الناس بقية في صلاة الصبح اذ جاءهم ات • فقال : ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن • وقد امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها • وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة •

فهذا نص على ان الصحابة رضي الله عنهم قبلوا خبر الواحد في نسخ ما كان مقطوعا عندهم من وجوب استقبال بيت المقدس • فتركوا ذلك واستقبلوا الكعبة لخبره • فلولا انه حجة عندهم ما خالفوا به المقطوع عندهم من القبلة الاولى •

قال ابن القيم : ( ولم يفكر طيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم • بل شكروا على ذلك ) • " ٣ "

والاحاديث السابقة نصت على قبول خبر الواحد : وهو في الحديث الاول

والثاني المخيرة • وفي الثالث الضحك • وفي الرابع سعد • وايضا تواتر انه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الاحاد الى النواحي لتبليغ الاحكام • وهذا يعم العقيدة وغيرها •

١ — انظر : صحيح البخارى ( ١ : ٤٩ ) •

٢ — انظر : صحيح البخارى ( ١ : ٨٢ ) • وصحيح مسلم ( ١ : ٣٧٥ )

والموطأ ( ١ : ١٩٥ ) •

٣ — نقله الشيخ ناصر الدين الالباني ولم يبين اسم الكتاب الذى اخذ عنه •

انظر : الرسالة الثالثة من سلسلة الدعوة السلفية ص ٥٣ •

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة الي اليمن يعلمهم السنة

والاسلام - كماورد - " ١ " وبعث عليا رضي الله عنه ، في موسم الحج الي

" منى " ليعلن سيادة الاسلام في الجزيرة العربية " ٢ " وبعث معاذ بن جبل ،

وابا موسى الاشعري وبعث واحدا واحدا الي الملوك والروما يدعوهم الي الاسلام ،

واكتفى بذلك في الزام الحجة وتبليغ الدعوة .

فلولم يقع العلم بخبر الواحد في امور الدين الاصلية والفرعية ، لم يقتصر

صلى الله عليه وسلم على ارسال الواحد من اصحابه .

يقول الشيخ ناصر الدين الالباني : ( وما الا رب فيه ان هو لاه كانوا

يعلمون الذين ارسلوا اليهم العقائد في جملة ما يعلمونهم ، فلولم تكن الحجة

قائمة بهم عليهم لم يعيّنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم افرادا ، لانه بعث

يقتضه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا معنى قول الامام الشافعي في

" الرسالة " ص ( ٤١٢ ) :

" وهو صلى الله عليه وسلم لا يبعث بامر ، الا والحجة للمبعوث اليهم

وعليهم قائمة بقبول خبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان قادرا على

ان يبعث اليهم فيشاققهم ، او يبعث اليهم عددا ، فبعث واحدا يعرفونه

بالصدق " ( ٣ )

هذه بعض ادلة السلف رضي الله عنهم التي تدل على الاخذ بخبر الاحاد ،

وتدل ايضا دلالة قاطعة على عدم التفرقة بين حديث الاحاد في العقيدة والاحكام ،

وانه حجة قائمة في كل ذلك .

---

١ - اخرجه مسلم ( ٢ : ٢٩ ) ورواه البخاري مختصرا .

٢ - النظر : سيرة ابن هشام ( ٣ : ٢٠٠ ) ، والنظر : الرحيق المختوم

ص ٤٠٥ .

٣ - الرسالة الثالثة من رسائل الدعوة السلفية ص ٥٣ .

وانا ذاكر الان بعض اقوالهم التي تدل على ما قرروا من وجوب الاخذ بحديث  
الاحاد في الاعتقادات والمعاملات ، وانه يفيد العلم واليقين في كثير من الاحيان ،  
من ذلك الاحاديث التي تلقتها الامة بالقبول . . . .

قال الطحاوي رحمه الله : ( وجميع ما صح عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، من الشرع والبيان كله حق ) . " ١ "

قال شارح الطحاوية : " يشير الشيخ رحمه الله بذلك الى الرد على  
الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بان الاخبار قسماً :  
متواتر ، واحاد .

فالمتواتر وان كان قطعي السند لكنه غير قطعي الدلالة ، فان الادلة  
اللفظية لا تفيد اليقين ، ولهذا قدموا في دلالة القران على الصفات . قالوا :  
والاحاد لا تفيد العلم ، ولا يحتج بها من جهة طريقها ، ولا من جهة متنها ،  
فسدوا على القلوب معرفة الرب تعالى واسماؤه وصفاته وافعاله من جهة الرسول ،  
واحالوا الناس على قضايا وهمية ، وهدموا خيالية ، سموها قواطع عقلية ، وبراھين  
يقينية ، وهي في التحقيق " كسراب بقيعة يحسبها الظمان ماء حتى اذا جاءه لم  
يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب " . " ٢ "

ومن العجب انهم قدموها على نصوص الوحي ، وعزلوا لاجلها النصوص  
فأفترت قلوبهم من الاهداء بالنصوص ، ولم يظفروا بالمقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة  
السليمة ، والنصوص النهوية ، ولو حكموا نصوص الوحي لفازوا بالمقول الصحيح  
الموافق للفطرة السليمة . . . .

١ — شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٣ .

٢ — سورة النور ، آية ( ٣٩ ) .

وطريق اهل السنة ان لا يعد لوا عن النص الصحيح ، ولا يعارضوه بمعقول ،  
ولا قول فلان ، كما اشار اليه الشيخ رحمه الله ، وكما قال البخاري رحمه الله :  
” سمعت الحميدى يقول : كما عند الشافعي رحمه الله ، فاته رجل  
فسأله عن مسألة ، فقال : قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذا  
وكذا .”

فقال رجل للشافعي : ما تقول انت ؟  
فقال : سبحان الله تراني في كنيسة تراني في بيعة تراني على وسطي  
زنار ؟ اقول لك : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانت تقول :  
ما تقول انت ؟ ”

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير . وقال تعالى : ” وما كان لمؤمن ولا  
مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ” . ” ١ ”  
وخبر الواحد اذا تعلقته الامة بالقبول عملا به وتصديقا له يفيد العلم  
اليقيني عند جماهير الامة . وهو احد قسمي المتواتر ، ولم يكن بين سلف الامة في  
ذلك نزاع ” . ” ٢ ”

اذ ” ان الخبر اذا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلقته  
الامة بالقبول فانه يوجب العلم فيما سبيله العلم . . . والقول الذي يذكر ان خبر  
الواحد لا يفيد العلم بحال ، ولا يد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شي  
اخرجه القدرة والمعتزلة ” . ” ٣ ”

١ — سورة الاحزاب ، اية ( ٣٦ ) .

٢ — شرح الطحاوية ص ٣٩٨ — ٤٠٠ .

٣ — انظر كتاب : في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ص ٣٠ ، نقلا  
عن كتاب : ” الانتصار لاهل الحديث ” لابن السمعاني

ص ١٦٠ .

قال الامام الشوكاني : " وقال احمد بن حنبل : ان خبر الواحد يفيد بنفسه العلم .

وحكاه ابن حزم في " الاحكام " عن داود الظاهري ، والحسين بن علي الكرابيسي والحارث المحاسبي . وقال : وبه تقول . وحكاه ابن خويز منداد عن مالك بن انس ، واختاره واطال في تقريره . ونقل عن القفال انه يوجب العلم الظاهر ، واستدلوا على القول بانه يفيد العلم نطقا انه يجب العمل به ، وبين صاحب " كشف الاسرار " ان الامام احمد قال : ان خبر الواحد يفيد العلم ضرورة . وقال داود : انه يفيد العلم استدلالا ( ١ ) . قال القاضي " ابو يعلى " : هذا المذهب .

قال ابو الخطاب : هذا ظاهر كلام اصحابنا ، واختاره ابن الزاغوني ، والشيخ تقي الدين ، وقال : " الذي عليه الاصوليون من اصحاب ابي حنيفة ، والشافعي ، واحمد ، ان خبر الواحد اذا تلقته الامة بالقبول تصديقا له ، وعلا به يوجب العلم ، الا فرقة قليلة من اهل الكلام انكروا ذلك " . وهذا ذكره ابو اسحق ، وابو الطيب ، وذكره عبد الوهاب وامثاله من المالكية ، والسرخسي وامثاله من الحنفية ، وهو الذي عليه اكثر الفقهاء واهل الحديث ، والسلف ، واكثر الاشعرية وغيرهم .

قال ابن الصلاح : ما اسنده البخاري ومسلم : " العلم اليقيني النظرى واقبحه خلافا لقول من نفى ذلك محتجا بانه لا يفيد في امله الا الظن ، وانما تلقته الامة بالقبول لانه يجب عليهم العمل بالظن والظن قد يخطئ " . ( ٢ )

---

١ - انظر كتاب : شرح الكوكب المنير المسقى بمختصر التحرير في اصول الفقه ، تأليف محمد بن احمد الفتوحى الحنبلى المعروف بابن التجار تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ، والدكتور نزيه حماد ، ( ٢ : ٣٤٨ ) .

٢ - مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٤ ، تصوير دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

ويقول ابن الصلاح : وقد كنت اميل الى هذا ، واحسبه قولاً ثم بان لي  
ان المذهب الذي اخترناه اولاً هو الصحيح لان ظن من هو معصوم من الخطأ لا  
يخطئ ، والامة في اجمعها معصومة من الخطأ . ١٠ هـ  
وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على العمل بأحاديث الاحاد في اصول  
الديانات .

وقال الامام احمد : لا تتعدى القران والحديث .  
وقال ابن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة ان اخبار الاحاد المثلثة بالقبول  
تصلح لاثبات اصول الديانات وذكره القاضي " ابو يعلى " في مقدمة " المجرى " ،  
والشيخ تقي الدين في عقيدته .  
قال ابن القاص : لا خلاف بين اهل الفقه في قبول خبر الاحاد " ١ " .  
١٠ هـ

وقال الامام ابن القيم : ( قال شيخ الاسلام ابن تيمية : فهذا يفيد العلم  
اليقيني عند جماهير امة محمد صلى الله عليه وسلم لكن الاولين والآخرين ، اما  
السلف ، فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ، واما الخلف ، فهذا مذهب الفقهاء  
الكبار من اصحاب الائمة الاربعة ، والمسألة منقولة في كتب الحنفية والمالكية  
والشافعية والحنبلية ) . " ٢ " .

وبالجملة فادلة القران ، والسنة ، وعمل الصحابة والتابعين ، واقوال العلماء  
تدل دلالة قاطعة على وجوب الاخذ بحديث الاحاد في الخبريات العملية  
( العقيدة ) ، كما هو في الطلبات العملية .

---

١ — عن كتاب شرح الكوكب المنير لابن النجار ص ٣٤٩ — ٣٦١ بتصريف .  
٢ — انظر : رسالة الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام ، للالباني ص  
٥٨ ، نقلاً عن مختصر الصواعق ( ٢ : ٣٧٣ ) .

لذلك يجب على كل مؤمن بالله ، ومصداق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان يؤمن بكل حديث ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان في العقائد او الاحكام ، وسواء اكان متواترا ام احادا ، استجابة لقوله تعالى " وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " . ١

ومما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من العقائد الاسلامية ، اذكر :

- ١ - شفاعته صلى الله عليه وسلم العظيم في المحشر .
- ٢ - شفاعته صلى الله عليه وسلم لاهل الباطن من امته .
- ٣ - معجزاته صلى الله عليه وسلم كلها ما عدا القران ، ومنها معجزة الشقاق القمري . . . .
- ٤ - الاحاديث التي تتحدث عن صفة الملائكة والجن ، والجنة والنار وانهما مخلوقتان .
- ٥ - الايمان بسؤال منكرو وكبير .
- ٦ - الايمان بخذاب القبر .
- ٧ - الايمان بالميزان ذي الكفتين يوم القيامة .
- ٨ - الايمان بالصراط .
- ٩ - الايمان بخوضه صلى الله عليه وسلم وان من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا .
- ١٠ - دخول سبعين الفا من امته الجنة بخير حساب .
- ١١ - الايمان بان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة .
- ١٢ - الايمان بمجموع اشراط الساعة كخروج المهدي ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج الدجال ، وخروج دابة الارض من موضعها . . . .



هذه بعض المقائد الاسلامية الصحيحة التي ثبتت عن المصوم صلى الله عليه وسلم ، وتلقتها الامة بالقبول . . . . . يجب علينا تصديقها والايمان بها ، ولا يحق لاحد ان ينكرها او يشكك فيها ، او يؤولها ، لان من يفعل ذلك يتجرأ على قائلها - وهو المصوم صلى الله عليه وسلم - ، جرأة بما لا تحمد عقباة .

ومعد :

فهذا هو رأي السلف في حجية خبر الواحد في امور العقيدة ، نختاره ، وندين الله به ، ويسمنا ما اوسع سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، ومن اعتقد خلاف هذا فقد بني عقيدته على الوهم والخيال ، وانشغل عن الحديث الصحيح بأراء الرجال .

ب : - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر -

=====

قال تعالى : " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون " . " ا " صدق الله العظيم .

ان ما قاله الشيخ " محمد عبده " ، في معنى هذه الاية الكريمة ،

قاعدة مكيمة للدعاة الى الله ، واصل شريف يرجح اليه عند تفريق الاهداء ،

واختلاف الآراء .

وهو على قلته ، واجماله ، استوفى عناصر البحث ، وخصائمه . . .

بهمة طالية ، ونظرة متفحصة ثاقبة ، وفكر مستنير . . . الامر الذي يدل على

الواقع المولم الذي كان يعيش فيه ، والطاجة الاكيدة الى العمل بهذا الاصل

في مجتمع تغيرت مفاهيم<sup>فيه</sup> الناس ، وتصوراتهم عن الاسلام الذي هو دين الله

للناس كافة .

وليس يلزم ان اسوق ما قاله الشيخ محمد عبده ، كلمة ، كلمة . . .

ولكنني استطيع ان اخص ما قال ، واجمع العناصر الرئيسية للموضوع ،

واضعها بين يدي القارئ - خاصة الدعاة - وشرحها من وجهة نظر

قائلها ، واطق عليها - ان كانت هناك حاجة - وهذا هو المناسب للمقام .

يتناول البحث في قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ستة

عناصر ، هي :-

أ : الاعتصام بحبل الله وحدة الامة ، وجامعتها .

ب : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حفاظ الجامعة ، وسياج الوحدة .

- ح : مراتب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •  
د : ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير : الامة بالمعروف  
الناهية عن المنكر •  
هـ : ما تنقسم به الوحدة الاسلامية •  
و : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستدعي الحرب على البدع والخرافات •

الشيخ :

=====

أ : الاعتصام بحبل الله ووحدة الامة وجامعتها •

=====

يرى الشيخ محمد عبده ان الاعتصام بحبل الله هو الطريق الوحيد  
لتكوين الامة الواحدة ، وضمان قيامها ، وصدر حياثها •  
وان الاعتصام بحبل الله يعنى الاحتكام الى كتاب الله في جميع شؤون الامة  
الدينية منها ، والاخوية •  
يقول الشيخ محمد عبده :

( ومن القواعد المسلمة انه لا تقوم لقوم قائمة ، الا اذا كان لهم  
جامعة تضمهم ، ووجدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض فيكونون بذلك امة حية ،  
كانها جسد واحد ، كما ورد في الحديث الشريف :  
" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى  
منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " • " ١ "  
وحديث : " المؤمن من المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " • " ٢ "

- ١ - رواه مسلم • ورواه احمد بن حنبل في المسند •  
٢ - متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم • ورواه ايضا الترمذى والنسائى •

فاذا كانت الجامعة الموحدة للامة ، هي مصدر حياتها سواء اكانت مؤمنة  
ام كافرة ، فلا شك ان المؤمنين اولى بالوحدة من غيرهم ، لانهم يعتقدون ان لهم  
الها واحدا يرجعون في جميع شؤنهم الى حكمه الذي يعلو جميع الاهواء ، ويحول  
دون التفرق والخلاف . بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الامم من  
الجمعيات حتى البيوت والعائلات ) " ١ "

نعم ، انه لا حياة لامتنا الاسلامية ، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة الا  
بالرجوع الى الله ، والرجوع الى الله له طريق واحد ، واحد لا سواه ، انه  
الرجوع الى تحكيم كتاب الله ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيه تفتح  
مفاتيح القلوب البشرية ، وبه الشفاء من كل داء . . . . " ٢ "

ب : - حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

=====

ويرى الشيخ محمد عبده ان لكل جامعة وكل وحدة حفاظا يحفظها ،  
وسياجا يوحد ها .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي ارشدت اليه الاية الكريمة  
هو حفاظ الجامعة وسياج الوحدة .

والمعروف ، يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة .

والمنكر ، ضده . وهو ما انكرته العقول والطباع والسليمة .

والمرشد الى ذلك مع سلامة الفطرة ، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه

وسلم .

نعم . ومن يقرأ التاريخ الاسلامي ، يجد صدق ذلك ، فط من امة امرت بالمعروف

---

١ - تفسير المنار ( ٤٣ : ٢٦ ) .

٢ - انظر : مقدمة الظلال ، لسيد قطب . الجزء الاول .

ونهي عن المنكر ، الا دامت ، ودام عزها ، وما من امة فشا فيها المنكر الا اخذها

• الله وانزلها •

فالامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر هو حفاظ الامة الاسلامية ، وسياج

• وحدتها •

ج : — المراتب العملية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر •

=====

ويرى الشيخ محمد عبده ان للدعوة الى الخير مراتب :

المرتبة الاولى : هي دعوة سائر الامم الى دين الله وهو الاسلام •

المرتبة الثانية : هي دعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير ، واعتناهم بالمعروف

• ونهيهم عن المنكر •

وهذه المرتبة — الثانية — لها طريقان :

( احدهما ) : الدعوة العامة الكلية ، كالتدريس في المساجد ، والقاء الخطب

• والمواظ •

وانما يقوم على هذا الطريق خواص الامة — اى العلماء — وهم

المشار اليهم بقوله تعالى : " فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في

الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " • " ١ "

والطريق الثاني : الدعوة الخاصة ، وهي ما يكون بين الافراد ، بعضهم مع بعض ،

ويستوى في هذا الطريق الدارس وغير الدارس • كل حسب علمه ، وطاقته ،

وهذه الطريق اشار اليها القران الكريم في سورة " العصر " •

قال تعالى : " والمصران الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " • " ٢ "

---

١ — سورة التوبة ، اية ( ١٢٢ ) •

٢ — سورة العصر ، الايات ( ١ — ٣ ) •

اقول : نعم •

فلوان المسلمين سلكوا هذا الطريق ، وعموا دعوتهم ، وتجنبوا الخلاف فيما بينهم ، وانتشرت دعوة الاسلام ، واستقام على الحق خلق كثير • ولقد كان لنا في السلف الصالح اسوة حسنة — بمد الرسول صلى الله عليه وسلم — ان يقول قائلهم " ١ " ، في احدى الممارك الاسلامية •:

( انما ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والاخرة ) • وايضا : فلوان افراد الامة تناصحوا فيما بينهم ، ودعوا الى الله وامروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، لمكن الله لهم في الارض ، واسخ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة • ومن عليهم بنعمة الامن والرخاء • وهذه تكاد تكون مقودة في عالمنا الاسلامي اليوم •

يقول الشيخ محمد عبده : ( يجب على الامة الانكار على فاعل المنكر من افرادها ، وتغييره او النهي عنه ، لئلا يفشو فيها فيصير خلقا من اخلاقها او عادة من عاداتها ، فتستحق عقوبته في الدنيا — كالضعف والفقر وقد الاستقلال — كما تستحق عقوبته في الاخرة ، بما دنس نفوسها ) • " ٢ "

وقال : ( ان ما نحن فيه من سوء الحال اثر تفريط كبير ، تمادى في زمن طويل بمد ما عظم التساهل في ترك التناصح ، وبطل رد ما يتنازع فيه المسلمون الى الله ورسوله اى الى كتاب الله وسنة رسوله ، وخوت القلوب من احترام الدين ، حتى لم يعد له سلطان على الارادة ، بل صار كل شخص اسير هواه ، ومتى امس الناس هكذا — لا دين ولا مروءة ولا ادب — فأي فرق بين الطائفة منهم ، والقطيع من المعز او البقر ج ؟ ) • " ٣ "

- 
- ١ — روى بن عامر ، حين دخل على رستم قائد جيش الفرس في معركة القادسية •
  - ٢ — تفسير المنار ( ٤ : ٢٦٣ ) •
  - ٣ — تفسير المنار ( ٤ : ٣٠ ) •

يقول رشيد : عند هذا سأل سائل عن قوله تعالى : " يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " . " ١ " . فأجاب " ٢ " :  
( ان هذا بعد القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أى ان الانسان لا يضره ضلال غيره اذا هو امره ونهاه ، فانه لا يكون مهتديا مع تركه لهذه الفريضة .

ثم قال : من المعجب ان بعض الناس اشتروا لهذه الفريضة شرطا ، لم يأذن به الله ، ولم ينزله في كتابه ، وهو انه : لا يأمر وينهي الا من كان مؤتمرا ، ومنتهيا .

وقال : ويشترط بعضهم للوجوب شرطا اخر ، وهو الامن على النفس . " ٣ "

---

١ — سورة المائدة ، آية ( ١٠٥ ) .

٢ — ان هذه الشبهة التي سئل عنها الشيخ محمد عبده ، قديمة عرضت للناس

زمن ابي بكر رضي الله عنه ، فقد روى اهل الحديث من طريق قيس بن حازم قال : قام ابو بكر خطيبا ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انكم تقرون هذه الآية " يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم " ، وانكم تقعونها غير موضعها ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اذا رأى الناس المنكر فلم يخبروه اوشك ان يعمهم الله بعقاب " .

ولابن مردويه عن ابن عباس قال :

قعد ابو بكر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سعى خليفة رسول الله ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه ، من منبره ، ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الآية . . . . ثم فسرها فكان تفسيره لها ان قال :

نعم ليس من قوم يحمل قبيهم ، دنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يخبروه ولم ينكروه الا حق على الله ان يعمهم بالقوية جميعا ، ثم لا يستجاب لهم ، ثم ادخل اصبعه في اذنيه فقال : ان لا اكون سمعته من الحبيب صمنا .

انظر تفسير المنار ( ٤ : ٣١ ) .

٣ — انظر : تفسير المنار ( ٤ : ٣٠ ) .

ويرد الشيخ محمد عبده على هؤلاء بقوله :

( وكان ينبغي ان يقولوا : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يدعو بالحكمة والوعظة الحسنة حتى لا ينفرد الناس او لا يحطهم على ايدائه ، فان الله يقول ، انه لا نجاة للناس الا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ولم يشترط في ذلك شرطاً ) . " ١ "

قال رشيد : ثم قال الاستاذ الاطام ما حصله :

( جملة القول ان الدعوة الى الخير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم كما تدل عليه الآية في ظاهرها المتبادر ، وغيرها من الايات كقوله تعالى " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " ( " ٢ " ) كذلك عمل الرسول صلى الله عليه وسلم ، واصحابه رضي الله عنهم ) . " ٣ "

د : — ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير من امور .

=====

قال الشيخ محمد عبده " ٤ " : ( نذكر ما يجب ان تكون عليه الامة الداعية الى الخير ، الأمرة بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، اى القائمة بالواجبات التي هي قوام الوحدة وحفاظها ، فان اعمالها لا تتم الا بأمر كثيرة منها :

١ — العلم التام بما يدعون اليه : ان اول ما يجب على هؤلاء الهداية العلم بالقران ، والعلم بالسنة ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وسلف الامة الصالح ، والقدر الكافي من الاحكام . فهذا شيء من البيان ، وهو في نفسه يحتاج الى بيان ، وتفصيل اهمه :

---

١ — انظر نفس المصدر ( ٤ : ٣٢ ) .

٢ — سورة المائدة ، آية ( ٧٩ ) .

٣ — انظر المصدر السابق ( ٤ : ٣٥ ) .

٤ — بتصرف : انظر تفسير المنار ( ٤ : ٣٨ — ٥ ) .



ان العلم بالقران انما فيه قبل كل شيء الى كونه هدى وعبرة وموعظة على نحو تفسيرنا هذا ، وكذلك السنة ، وما صح من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسيرته . وينظر في هذا ايضا الى الفرق بين ما تواتر عملا ، وما صح سندا وما ليس كذلك .

٢ - العلم بحال من توجه الدعوة اليهم : في شؤونهم واستعدادهم ، وطبائع بلادهم واخلاقهم ، او ما يعبر عنه في عرف العصر بحالهم الاجتماعية . وقد روى ان من اسباب ارتضاء الصحابة بخلافة ابي بكر ، كونه انساب العرب ، وليس معنى كونه اعلم بالانساب انه كان عنده كتاب : " بخر الانساب " يراجع فيه ، وانما معناه انه كان اعلمهم باحوال قبائل العرب وموطنها ، وتاريخ كل قبيلة ، وسابق ايامها واخلاقها ، كالشجاعة ، والجبن ، والامانة ، والخيانة ، ومكانها من الضعف والقوة ، والغنى والفقر ، وما كان اقدامه - مع لينه وسهولة خلقه التي يعرفها له كل احد حتى الافرنج - على حرب اهل الردة ، الا لهذا العلم الذي كان به على بصيرة ، فلم يهيب ولم يخف ، وقد خاف " عمرو واحجم على شدته المعروفة على الكافرين والمنافقين . حتى قال ابو بكر : ( والله لو منعوني عقالا مما كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه ) . فهذه قوة العلم ، لا قوة الجهل .

٣ - : مناشيء علم التاريخ العام : ليعرف الفساد في العقائد والاخلاق والعمادات فينبون الدعوة على اصل صحيح ويعرفون كيف تنهض الحجة ويبلغ الكلام غايته من التأثير ، وكيف يمكن نقل هؤلاء المدعويين من حال الى حال . ولهذا كان القران مطوياً بعبر التاريخ .

٤ - علم تقويم البلدان : ليعد الدعوة لكل بلاد منها عدتها اذا ارادوا السفر اليها . وقد كان الصحابة رضي الله عنهم اعلم اهل زمانهم بالتاريخ ، وما يسمى الان : بتقويم البلدان ، والجغرافية ، ولذلك اقدموا على الفتوح ومحاربة الامم فانتصروا عليهم بالعلم لا بالجهل ، فلو كانوا يجهلون مسالك بلادهم وطرقها ومواقع

المياه وما يصلح موقعا للقتال منها ، لهلكوا ، وكان الجهل اول اسباب هلاكهم ،  
ومن قرأ ما حفظ من خطبهم وكتبهم التي كانوا يتراسلون بها ، ومحاوراتهم في تدبير  
الاعمال يظهر له ذلك بأجلى بيان .

ومن الناس من ينفر من التاريخ ، وتقويم البلدان ، الذى هو فرع من فروعهم ،  
وما اضر هؤلاء الا بانفسهم وامتهم فقد قطعوا الصلة بينهم وبين القدوة الصالحة  
من سلفهم ، حتى صار اكثر المسلمين الا يعرفون مبدء الاسلام ، ولا كيفية نشأته ،  
ولا كيف انتسبوا اليه .

فالتاريخ يعرف الانسان بنفسه من حيث هو متدين ان كان له دين ، او  
من حيث هو انسان ان كان من نبي الانسان .

وما اضر بالفقه شيء كالجهد بالتاريخ ، لاننا لو حفظنا تاريخ الناس ومنه  
عاداتهم ، وعرفهم ، ومضالحهم في البلاد التي كان فيها المجتهدون الواضعون  
لهذا الفقه ، لكنا نعرف من اسباب خلافهم ومدارك اقوالهم ما لا نعرفه اليوم ،  
فما كان ذلك الخلاف جزافا ولا عبثا .

الم تر ان الشافعي رضي الله عنه وضع بعد مجيئه الى مصر مذهبها جديدا  
غير المذهب القديم الذى كان عليه ايام لم يكن خبيرا بغير الحجاز والعراق . . .  
وكذلك كان ما خالف به " ابو يوسف " استاذ " ابا حنيفة " مما يرجع  
الكثير منه الى ما اختبره من حال الناس في مضالحهم وعرفهم ومنافعهم .

فبالله : كيف ينتسب امرؤ الى امام ويستغل بعلم مذهبه وهو لا يعرف  
تاريخه وتاريخ عصره .

وجملة القول : ان الجاهل بالتاريخ لا يصلح ان يكون فردا من الامة الداعية  
الى الاسلام ، الامرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر في الامور العامة الذى يرجسي  
قبوله .

٥ - علم النفس : وهو يساوى علم التاريخ في المكانة ، والفائدة .  
اي العلم الباحث عن قوى النفس ، وتصرفها في علومها ، وتأثير علومها في  
اعمالها الادارية .

مثال ذلك ان الاصل ان يكون العمل تابعا للعلم ، ولكن كثيرا من الناس

يعتقدون ان عمل كذا ضار ، ويأتونه ، وعمل كذا نافع ، ويتركونه .

فما هو السبب في ذلك ؟ وهل يحسن دعوة هؤلاء الى الخير واقتناعهم بترك

الشر من لا يعرف لماذا تركوا الخير واقتروا الشر ؟

فهذه المعرفة هي من علم النفس الذي يؤخذ منه ان من العلم ما يكون صفة

للنفس حاكمة على ارادتها ، مصرفة لها في اعمالها ، ومنها ما هو صورة تعرض للذهن

لا اثر لها في الارادة ، فلا تهتم على العمل ، وانما يكون مظهره القول احيانا .

ولا تظنوا ان الصحابة لم يكن عندهم شيء من هذا العلم ان لم يكونوا

يدرسونه في الكتب ، ويتلقونه عن المعلمين . فانكم اذا قرأتم التاريخ وعرفتم كيف

كانوا يتجادلون في الحرب ، في مواقع الخطب بمجرد الفطوة التي يعبرون عنها

امكنكم ان تعرفوا مكانهم منه .

نعم ان الانسان في كل زمن يحتاج الى نوع من طرق التعليم فير ما كان في

الزمن الذي قبله ، فالحقيقة واحدة ، قد تختلف طرق العلم بها باختلاف الزمان

والمكان والاحوال .

٦ - علم الاخلاق : وهو العلم الذي يبحث في الفضائل وكيفية تربية المرء عليها ،

وعن الرذائل ، وطرق توقيه منها ، وهو ضروري ، وما ولد فيه من الايات

والاحاديث ، واثار الصحابة والتابعين يعني بشهرته واستفاضته عن اطالة الكلام فيه .

٧ - علم السياسة : وليس المراد السياسة الشرعية التي كتب فيها ابن تيمية

وغيره . فهذه على ضرورتها داخلة في علم الكتاب والسنة والاحكام .

وانما المراد العلم بحال دول العصر وعلاقاتها وطرق سعيها . . . .

والسياسة بهذا المعنى لم تكن في عصر الصحابة .

٨ - العلم بالفنون والعلوم : المتداولة في الامم التي توجه اليها الدعوة ولو

بقدر ما يفهم به الدعاة ، وما يورد على الدين من شبهات تلك العلوم ، والجواب

عنها يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة .

٩ - المعرفة بالطل والنحل ، ومذاهب الامم فيها ، ليتيسر للدعاة ،

بيان ما فيها من الباطل ، فان لم يتبين له بطلان ما هو عليه ، لا يلتفت الى الحق الذي عليه غيره ، وان دعاة اليه .

١٠ - العلم بلغات الامم التي تراد دعوتها :

وقد ورد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بعض الصحابة ، بتعلم اللغة العبرانية لاجل اليهود ، الذين كانوا مجاورين له على انهم كانوا قد استعربوا .

فما كانت معرفة لغتهم الاصلية الا مزيد كمال في الفهم عنهم ، ومعرفة حقيقة

شأنهم .

ولا يقال ان الامة التي تولف للدعوة للاسلام يمكنها ان تستغني عن تعلم

لغات الامم بالترجمين من غير المسلمين . فانها ان ظفرت بالمشرح الاجنبي الامين

لا يتيسر لها ان تفهمه من حقيقة الدين عند الترجمة ما يفهمه العالم المسلم . وانما

يلجأ الى مثل ذلك عند الضرورة اذا امكن تاليف جمعية للدعوة ، فالواجب ان يكون

فيها من المسلمين العارفين باللغات ما يكفيها الحاجة الى ترجمة الاجنبي ، كما

تفعل جمعيات الدعوة الى النصرانية ، فان افرادا منها يتعلمون لغات جميع الامم .

هـ : - تصدع الوحدة الاسلامية :

=====

التفرق والاختلاف هما مادة تقويض البناء الاسلامي ، وتصدعه ، بل نفسه

من اساسه . لذلك نهى الله تعالى عنهما مباشرة بعد الاية الكريمة السابقة الداعية

الى تكوين الامة الداعية الى الخير ، فقال تعالى : " ولا تكونوا كالذين تفرقوا

واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " . " ١ " .

قال الشيخ محمد عبده : ( ان هذه الاية كالدليل على انه يجب ان تكون

وجهة الامة الداعية ، الامرة ، الناهية ، واحدة . لان الذين سبقوهم ما افلحوا

لعدم وحدتهم ، كانه يقول : لا يمكن ان تكون فيكم امة للدعوة والامر والنهي الا

اذا اجتمعت على مقصد واحد • فالترتيب في الايات طبيعي • ان من البديهي ان المتفقين في المقصد لا يختلفون اختلافا ضارا بنا فيه • وانما يقع الاختلاف بعد التفرق في المقاصد • والتباين في الالهواء يذهب كل الى تأييد مقصده • وارضاء هواه فيه • والاختلاف في الراى لاجل تأييد المقصد المتفق عليه لا يضر • بل ينفع وهو طبيعي ( لا مندوحة عنه ) • " ١ "

وقال الشيخ محمد عبده في شرح قوله تعالى " واولئك لهم عذاب عظيم " • " ٢ " ( اما عذاب الدنيا فهو ان المتفرقين المختلفين الذين اتبعوا الهواء هم • وحكموا في دينهم اراءهم • يكون باسهم بينهم شديدا • فيشقى بعضهم ببعض ثم يتلون بالامم الطامعة في الضعفاء فتذيقهم الخزي والنكال وتسلبهم عزة الاستقلال • واما عذاب الآخرة فقد بين الله في كتابه انه اشد من عذاب الدنيا وابقى ) • " ٣ "

قال رشيد : وفي هذا المقام اورد الاستاذ الامام هذا السؤال :

هل قام المسلمون بذلك الامر " ولتكن منكم امة " • وانتهوا عن هذا النهي

" ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا " ؟

وجعل ذلك مجالا لتفكير طلاب العلم •

واما جوابه هو فكما نقلنا لك عن الامام الرازى " ٤ " •

والامر ظاهر في نفسه • وفي الوعد والوعيد المذكورين آنفا •

١ - تفسير المنار ( ٤ : ٤٨ ) •

٢ - سورة ال عمران • اية ( ١٠٥ ) •

٣ - تفسير المنار ( ٤ : ٥١ ) •

٤ - قال الرازى : ان الله تعالى لما امر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وذلك مما لا يتم الا اذا كان الامر بالمعروف نادرا على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتخالفين • ولا تحصل هذه القدرة الا اذا حصلت الالفة والمحبة بين اهل الحق والدين • لاجرم حذرهم تعالى من الفرقة والاختلاف لكي لا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف • وعلى هذا الوجه تكون هذه الاية من تتمه الاية السابقة ) • وهي قوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " • • • •

انظر : مجلة المنار المجلد العاشر • الجزء العاشر ص ٧٢٢ ٧٢٣ • شوال

وإذا كان لا يزال في ظمأ اليوم — هكذا — منا من يقول ويعتقد ان المسلمين في فلاح وفوز ، فقد علم سائر المسلمين من جميع الطبقات في اكثر البلاد انهم قد فقدوا عزهم واستقلالهم وانهم معذبون بما فقدوا ، وما يتوقعون ان يفقدوا مما بقي لهم .

وان اذكيا شعوبهم يسأل بعضهم بعضا على بعد الدار وقربه عن طريق علاج الداء ، قبل الايداء ، والتماس الشفاء ، قبل الاشفاء ، والعلاج بين ايديهم فمتى يصرون ، والطبيب يناديهم فأني يسمعون ؟ عسى ان يكون ذلك قريبا . " ١ "

و : ذم البدع والخرافات :

=====

وجه الشيخ محمد عبده ، نقدا عنيفا الى اصحاب البدع المذمومة ، والاهام المنشرة . من المسلمين ، خاصة ما استحدث منها في اخريات القرن التاسع عشر .

وهذا موقف احمده للشيخ محمد عبده ، لان الامة الاسلامية بفعل عوامل متعددة منها : الانحطاط الفكري ، وابعد عن القران ، وترك السنة ، انحرفت عن خط سير الاسلام الصحيح ، فاقبلت موازينها ، وتخيرت مفاهيمها وصارت امة على غير امة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسان حالهم يقول : " انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على اثارهم مهتدون " ، " ٢ " كما اذكر الله في حق المشركين . يقول الشيخ محمد عبده : ( ان الذين يستمعون باصحاب القبور على قضاء حوائجهم ، وتيسر امورهم ، وشفاء امراضهم ، ونماء حرثهم وزرعهم ، وهلاك اعدائهم ، وغير ذلك من المصالح . عن صراط التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون ) . " ٣ "

- 
- ١ — مجلة المنار المجلد العاشر ، الجزء العاشر ص ٧٢٥ ، شوال ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
  - ٢ — سورة الزخرف ، آية ( ٢٢ ) .
  - ٣ — تفسير المنار ، الجزء الاول ، عند تفسير آية " اياك نعبد واياك نستعين " .

هذا في حق من يستعين بأهل القبور ، فكيف بخيرهم من أهل البدع او

الضلال ؟

يقول : ( ولو اردنا ان نسرده ما وقع فيه المسلمون من الضلال في العقائد الاصلية بسبب البدع التي عرضت على دين الاسلام لطال القيام ، واحتيج الى وضع مجلدات في وجوه الضلال ، ومن اشنعها اثرا ، واشدها ضررا خوض رؤساء الفوق منهم في مسائل القضاء والقدر ، والاختيار والجزء ، وتحقيق الوعد والوعيد ، وتهوين مخالفة الله على نفوس العبيد ) . " ١ "

والحق يقال :

ان موقف الشيخ محمد عبده من البدع والخرافات ، والضلال الذي وقع فيه بعض الناس ، من الجهال ، شبهه بموقف شيخ الاسلام ابن تيمية من بعض البدع التي انتشرت في عهده - كبدع الصوفية -

لذلك فان الشيخ محمد عبده يكون مع الحركة السلفية التي انتشرت في بعض البلدان العربية ، كالحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، والحركة السنوسية التي انتشرت في ليبيا - من المغرب العربي - وهما حركتان اصلاحيتان ، استوحيت كل حركة مذهبها الاصلاحى من مواقف واراى شيخ الاسلام ابن تيمية الذى كان يستمد اقواله من المذهب الحنبلى في معظم احواله . " ٢ "

وزيادة في الايضاح ، نستمع الى الشيخ محمد عبده ، وهو يتحدث عن المبتدعة في دين الاسلام . . . .

يقول عند تفسيره " ولا الضالين " من سورة الفاتحة :

( القسم الثالث : من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها ، بدون نظري

ادلتها ولا وقوف على اصولها ، فاتبعوا اهواءهم في فهم ما جاء به من اصول العقائد ،

١ - تفسير المنار ( ١ : ٧٠ ) .

٢ - انظر كتاب : اتجاهات التفسير في العصر الحديث ، للمحتسب ص ١٦٢ .

وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين ، ومنهم المبتدعون في دين الاسلام . وهم المنحرفون في اعتقادهم كما تدل عليه جملة القران ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر الاول ، ففرقوا الامة الى مشارق ، يخص بمائها الوارد ، ولا يرتوى منها الشارب ، واني اشير الى طرف من اثارهم في الناس :

ياتي الرجل الى دوائر القضاء ، فيستحلف بالله العظيم ، او بالمصحف الكريم ، وهو كلام الله القديم انه ما فعل كذا ، فيحلف ، وعلامة الكذب بادية على وجهه ، فيأتيه المستحلف من طريق اخر ويحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد لهم الولاية ، فيتخبر لونه ، وتضطرب اركانه ، ثم يرجع في قسمه ويقول الحق . ويقربانه ما حلف اولا انه لم يفعله تكريما للاسم ذلك الشيخ وخوفا منه ان يسلب عنه نعمة ، ارحل به نعمة ، اذا حلف باسمه كاذبا .

فهذا ضلال في اصول العقيدة ، يرجع الى الضلال في الايمان بالله تعالى ، وما يجب له من الوحدانية في الافعال ) . " ١ "

ونستمع اليه ايضا وهو يفسر قول الحق تبارك وتعالى : " ولئن اتبعت

اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين " . " ٢ "

لنرى كيف يحمل على العلماء الذين يجارون اهل البدع والاهواء ، ولا يتكرونها

عليهم ، وهم المطالبون في الدرجة الاولى بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

والايمان بالله وحده ، واخلاص العبادة له ، وترك الانداد ، والشركاء .

يقول : ( هذا الخطاب بهذا الوعيد لا على الناس مقاما عند الله تعالى ،

هو اشد وعيدا لغيره ممن يتبع الهوى ، ويحاول استرضاء الناس بمجاراتهم على ما هم

١ - تفسير المنار ( ١ : ٢٠ )

٢ - سورة البقرة ، آية ( ١٤٥ ) .



عليه من الباطل ، فانه افرد به بالخطاب مع ان المراد به امته .  
تقرأ هذا التشديد والوعيد ، ونسمة من القارئين ، ولا نؤدجر عن اتباع  
اهواء الناس ، ومجاراتهم على بدعهم وخلاواتهم ، حتى انك ترى الذين  
يشكون من هذه البدع والاهواء ، ويعترفون ببعد ها عن الدين ، يجارون اهلها  
عليها ، ويمارجونهم فيها ، وانما قيل لهم في ذلك ، قالوا : ماذا نعمل ؟  
ما في اليد حيلة ، العامة على ، اخر الزمان وامثال هذه الكلمات هي جيوش  
الباطل تؤيده وتمكنه في الارض حتى يحل باهله البلاء ويكونوا من الهالكين ) .  
ونختم الكلام بحديث له في موضع اخر من تفسيره ، ينقد فيه اعمال مدعي  
التصوف مثل : احياء الموالد ، وما يقال فيها ، وما ينفق فيها من اموال في  
غير سبيل الله ، وما يكون من منكرات ومحظورات ، والعلماء في مقدمة الحضور لا  
ينكرون من ذلك شيئا ، بل يعتبرون ذلك من الاعمال الشريفة التي تقام باسم  
صاحب المولد عليه السلام ، وهو عليه السلام منهم ومن اعمالهم براء . . . . .  
يقول الشيخ محمد عبده : " ٢ "

( ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان ، وصارت رسومهم

اشبه بالمعاصي والاهواء من رسوم الذين افسدوا التصوف من قبلهم .  
واظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها " الموالد " .  
ومن العجيب ان تبج الفقهاء في استحسانها الاغنياء ، فصاروا يبذلون فيها  
الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا  
هذا الطل لنشرط او ازالة منكر او اعانة منكب ، لضوا به واخلوا ، ولا يرون ما  
يكون فيها من المنكرات منافيا للتقرب الى الله تعالى ، كأن كرامة الشيخ الذي  
يحتفلون بمولده تبيح المحظورات ، وتحل للناس التماون على المنكرات .

١ - تفسير المنار ( ٢ : ١٨ ) .

٢ - تفسير المنار ( ٢ : ٧٤ ) وما بعد ها .

فالموائد اسواق الفسوق ، فيها خيام للمواهر ، وحانات للخمر ، ومراقص  
يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المهتكتات ، الكاسيات العاريات ، ومواضع  
اخرى لضرب من الفحش في القول والفعل ، يقصد بها اضحاك الناس ، وبعض  
هذه الموائد يكون في المقابر ، ويرى كبار مشايخ الازهر يتخطون هذا كله لحضور  
موائد الاغنياء في السرايا والقباب العظيمة التي يضيئونها ، وينصبون فيها الموائد  
المرفوعة ، ويوقدون الشموع الكثيرة ، احتفالاً باسم صاحب المولد ، ويهني بعضهم  
بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم .

لقد حدث ان بعض كبار الشيوخ في الازهر ، دعوني للمشاء عند احد  
المحتفلين ، فأبيت اجابة الدعوة في ذلك ، فقلت : انني لا احب ان اكثر  
سواد الفاسقين . فان هذه الموائد كلها مكرات . ثم قلت لشيخ صديق ، صاحب  
الدعوة : كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد ؟ قال : اربعمائة جنيه .  
قلت : لا شك ان هذا في سبيل الشيطان . فلو كلمت صاحبك ان يجعل ذلك  
لجماعة من " المجاورين " يذكرونه بخير ، ويدعون له .

فأجاب ذلك الشيخ قائلاً : ان الكون يلزم ان يكون فيه من هذا وهذا .  
فقلت : هذا الذي اريد ، فان كوننا ليس فيه الا هذه النققات في الطرق المذمومة  
فأحب ان ينفق صاحبك على نشر علم الدين ، ليكون بعض الانفاق عندنا في الخير ،  
ويبقى للموائد اغنياء كثيرون .

قال الشيخ حينئذ : اما قرأت حكاية " الشعراني " مع " الزمار " . ان  
راى شيخاً كبيراً ينفخ في الزمار ، والناس يتفرجون عليه ، فاعترض عليه في سره ،  
فما كان من الشيخ الا ان قال : يا محمد الوهاب : اتريد ان ينقص ملك ربك مؤمار ؟  
فعلم الشعراني انه من اولياء الله تعالى : ثم تركي المشايخ بعد سرد الحكاية  
وذهبوا الى المولد .

فليتظر الناظرون الى اين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد اهلهم بخير فهم  
ولا مراعاة شرع . اتخذوا الشيوخ اندادا ، وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء

الحوائح وشفاء المرضى ، وسعة الرزق ، بعد ان كانت للعبرة ، وتذكر القهوة ،  
وصارت الحكايات الملققة ناسخة فعلا بما ورد من الامري بالمعروف ، والنهي عن المنكر ،  
والتعاون عن الخير ، ونتيجة ذلك كله ان المسلمين رغبوا عما شرع الله الى ما  
توهموا انه يرضي غيرهم ممن اتخذوهم اندادا له وصاروا كالا باخيين في الغالب .  
فلا عجب اذا عم فيهم الجهل ، واستحوذ عليهم الضعف ، وحرهم ما وعد الله  
المؤمنين من النصر ، لانهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين .  
ولم يكن في القرن الاول شي من هذه التقاليد والاعمال التي نحن عليها ،  
بل ولا في الثاني ، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة ، وانما سرت الينا بالتقليد  
او المدوى من الامم الاخرى . ان راي قومنا عندهم امثال هذه الاحتفالات  
فظنوا انهم اذا عملوا مثلها ، يكون لديهم عظمة ، وشأن في نفوس تلك الامم .  
فهذا النوع من اتخاذ الانداد كان من اهم اسباب تاخر المسلمين ، وسقوطهم فيما  
سقطوا فيه .

وهناك نوع اخر لم يكن اثره في الفتك بهم اضعف من اثر الاول ، وهو ترك  
الاهتداء بالكتاب والسنة ، واستبدال اموال الناس بهما ، فلو دخل في الاسلام رجل  
طقله ، لحار لا يدري من اين يأخذ ، ولا على اي المذاهب والكتب في الاصول  
والفروع يعتمد ، ولصعب علينا اقتناؤه بان هذا هو الدين القيم دون سواه ، اوبان  
هذه المذاهب كلها على اختلافها شي واحد .

ولو وقفنا عند حدود القران وما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من  
الهدى ، لسهل علينا ان نفهم ما الحنيفية السمحة ، التي لا حرج فيها ولا عسر ،  
وما الدين الخالص الذي لا عوج فيه ولا خلف ؟ ولكننا اذا نظرنا في اقوال الفقهاء ،  
وتشعبها ، وخلافاتهم وظللها ، فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض . ان  
نجد بعضها يحجج عليه بحديث صحيح ، وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ، ولكنه  
غير معتمد عندهم ، بل يقولون فيه : المدرك قوى ، ولا يفتى به .  
ولماذا ، لان فلانا قال : نقول رجل من رجال كثيرين جدا نجعل تاريخ اكثرهم

يكفي لترك السنة الصحيحة ، وان ظهران المصلحة فيما جاء تبه السنة . وهذا  
قطعت الصلة بين ما نحن فيه ، وبين اصل الدين وبينوعه .

ونحن لا نطمعن في اولئك القائلين ، او المرشحين . سواء منهم من كان

تاريخه معروفا لنا ومن كان غير معروف ، بل نحسن فيهم الظن ونقول :

انهم قالوا بما وصل اليه علمهم ، ولم يجعلوا انفسهم شارعين ، بل باحثين .

وانا نسترشد بكلامهم على انهم دالون وبيّنون لا على انهم شارعون ، بل نقول : انه

يجب على ذي الدين ان ينظر دائما الى كتابه حتى لا يختلط ولا يشتبه عليه شيء

من احكامه ، ولا يجوز لاحد ان يرجع في عقائده وعبادته الا الى الله تعالى ،

فان كانت هناك واسطة ، فهي واسطة الدلالة والتبليغ والتبيين لما نزل الله ،

وتطبيقه على ما نزل لاجله من حياة الروح والكمال الانساني .

فيجب علينا ان نعتقد بان الحكم لله تعالى وحده ، لا يؤخذ الذين

عن غيره كما يجب علينا ان نعتقد بان لا فعل لغيره تعالى ، فلا نطلب شيئا الا منه ،

وطلبنا منه يكون بالاخذ بالاسباب التي وضعها وهدانا اليها ، فان جهلنا او

عجزنا فاننا نلجأ الى قدرته ، ونستمد عنايته وجده ، وهذا تكون موحدين

مخلصين له الدين كما امرنا في كتابه المبين ، ومن خرج عن هذا كان من مشخذي

الانذار ، " ومن يضل الله فما له من هاد " . " ١ " .

---

١ - سورة غافر ، اية ( ٣٣ ) ، وسورة الرعد ، اية ( ٣٣ ) .

وسورة الزمر ، اية ( ٢٣ ) ، ٢٦ ) .

x x x

وفي ختام هذا البحث ، لا ادعي انني اثبت بكل شيء ، او بما عجز  
عنه غيري ، ولا ازمع انني قد بلغت فيه مرتبة الكمال ، فالكمال لله وحده ،  
والنقص صفة البشر وانا من البشر ، فان الانسان قد يرى الراى اليوم فيخالفه غدا ،  
ومتعني لو قدم او اخر ، او زاد او انقص ، ...

فكم من قائل يقول : لو اني قدمت هذا لكان احسن ، ولو اخرت هذا  
لكان افضل ، ولو حذفتم ذلك لكان اجمل ، ولو اضفت ذلك لكان اكمل ...

ففاية ما اقول : انني لم ال جهدا ، ولم ادخر وسعا ، فقد بذلت  
كل ما في وسعي ، وسهرت الليالي الطوال ، وحاولت جهدي باحثا مستقصيا لان  
اخرج هذا الموضوع على احسن ما يمكن ان يكون عليه .

فان انا وفقت الى ذلك فهو من عند الله ، وهو ما قصدت اليه ،  
وان قصرت ، فعزائي ان الكمال لله وحده .

وسبحان ربي ، هل كنت الا بشرا ، وهذا لله ، اطلب  
المعلم ، و فوق كل ذي علم عليم . . .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله  
رب العالمين ...

المراجع

=====

( مرتبة حسب حروف الهجاء )

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الابانة عن اصول الديانة .  
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحاق .  
مطبوعات الجامعة الاسلامية ، سنة ١٩٧٥ م .
- ٣ - ابن حزم وموقفه من الالهيات . رسالة دكتوراه اعداد الطالب احمد  
الناصر الحمد ، اشراف الاستاذ عبد العزيز عبيد . جامعة ام القرى ،  
مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، مطبوعة على الالة الكاتبة .
- ٤ - اتجاهات التفسير في العصر الحديث .  
المحتسب ، الدكتور عبد المجيد عبد السلام .  
الكتاب الاول ، دار الفكر ، الطبعة الاولى سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٥ - الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر .  
حسين ، محمد محمد حسين .  
القاهرة ، المطبعة النموذجية ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨٢ هـ .
- ٦ - الاتقان في علوم القرآن .  
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي .  
الطبعة الثالثة ، القاهرة ، مكتبة البابي الحلبي ، ١٣٧١ هـ -  
١٩٥١ م .
- ٧ - اثار الزعيم سعد زغلول .  
الجزيري ، محمد ابراهيم الجزيري .  
مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م .

- ٨ — احمد لطفي السيد ، ( استاذ الجيل ) •  
نجار ، الدكتور حسين فوزي النجار •  
المؤسسة المصرية العامة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة •
- ٩ — احياء علوم الدين •  
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي •  
دار المعرفة للطباعة والنشر — بيروت ، لبنان •
- ١٠ — الايمين في اصول الدين •  
الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد • تحقيق محمد مصطفى ابو الملا ،  
يطلب من مكتبة الجندي •
- ١١ — الاسعون النووية ضمن مجموعة الحديث النجدية •  
النووي ، محي الدين ابوزكريا يحيى بن شرف النووي •  
القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٧٥ هـ •
- ١٢ — ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم •  
العمادي ، القاضي ، ابي السعود محمد العمادي الحنفي • تحقيق  
عبد القادر احمد عطا ، مطبعة السعادة ، مكتبة الرياض الحديثة •
- ١٣ — اساس التقديس في علم الكلام •  
الرازي : محمد بن عمر الرازي •  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بصره ، ١٣٥٤ هـ — ١٩٣٥ م •
- ١٤ — الاسئلة والاجوبة الاصولية على العقيدة الواسطية •  
تأليف عبد العزيز محمد السلطان •  
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالملكة العربية  
السعودية ، الرياض ، الطبعة العاشرة ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م •
- ١٥ — الاسئلة والاجوبة الفقهية المقرونة بالادلة الشرعية •  
تأليف عبد العزيز محمد السلطان •  
من مطبوعات رئاسة ادارات البحوث والافتاء والدعوة والارشاد بالملكة العربية  
السعودية ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م •

- ١٦ - اسرار الماسونية ، او السر المصون في شيعة الفرسيون  
• للاب لويس شيخو  
• دار منشورات البصرى ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
- ١٧ - الاسلام والتجديد  
• تأليف تشارلز ادمز ، ترجمة عباس محمود  
• مطبعة الاعتماد ، ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م
- ١٨ - الاسلام والحضارة الغربية  
• للدكتور محمد محمد حسين  
• بيروت ، دار الارشاد ، ١٩٦٩ م
- ١٩ - الاصابة في تمييز الصحابة  
• المسقلاني ، احمد بن حجر المسقلاني  
• مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٢٨ هـ ، الناشر مكتبة  
• المثني ببغداد
- ٢٠ - اصول الدين  
• البغدادي ، عبد القاهر البغدادي  
• مطبعة الدولة ، استانبول ، الطبعة الاولى ، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م
- ٢١ - اصول الدين الاسلامي  
• لمحمد علي ناصر ، المكتبة المصرية ، صيدا - بيروت
- ٢٢ - اصول السرخسي  
• سرخسي ، لابي بكر محمد بن سهل السرخسي ، تحقيق ابو الوفا  
• الافغاني  
• مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، سنة ١٣٧٢ هـ ، نشر لجنة  
• احياء المعارف النعمانية بحيدرآباد ، الهند
- ٢٣ - اصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوى  
• الدكتور محمد فهمي حجازي  
• الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤ م



- ٢٤ — اصول الايمان •
- تأليف الامام ابي عبد الله محمد بن عبد الوهاب •  
موجود ضمن مجموعة الحديث ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة •
- ٢٥ — اضواء البيان في تفسير القرآن بالقران •  
الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي •  
الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠ هـ — ١٩٧٩ م •
- ٢٦ — اعجاز القرآن •  
البياتلاني ، الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب ، شرح وتعليق  
محمد عبد المنعم الخفاجي • الطبعة الاولى ، مكتبة ومطبعة  
محمد علي اصبح واولاده ، سنة ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م •
- ٢٧ — اعجاز القرآن ، او الاعجاز في دراسات السابقين •  
لمحمد الكريم الخطيب • الكتاب الاول ، الطبعة الثانية ، دار  
المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م •
- ٢٨ — اعجاز القرآن ، المسمى معتك الاقربان في اعجاز القرآن •  
السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ، تحقيق علي  
محمد اليحيوى ، دار الفكر العربي •
- ٢٩ — الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق •  
للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي •  
دار المعارف ، بمصر •
- ٣٠ — الاعجاز العددي للقران الكريم •  
نوفل ، عبد الزق نوفل ، مطبوعات الشعب •
- ٣١ — الاعجاز الغني في القران •  
لعمر السلافي • نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله •
- ٣٢ — الاعلام •  
الزركلي ، خير الدين الزركلي •  
مطبعة كوستا توماس وشركاه ، الظاهر بالقاهرة ١٣٧٣ هـ •

- ٣٣ - اعلام النبوة •  
الماوردي ، علي بن محمد ، مراجعة طه عبد الرؤوف •  
القاهرة مكتبة الكليات الازهرية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •
- ٣٤ - الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني •  
• جمع وتحقيق محمد عمارة •  
• دار الكاتب العربي للطباعة والنشر •
- ٣٥ - الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي •  
• دراسة وتحقيق محمد عمارة •  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٣ م •
- ٣٦ - الاعمال الكاملة للاستاذ الامام محمد عبده •  
• جمعها وحققها وقدم لها محمد عمارة •  
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت •
- ٣٧ - افاتة اللهفان من مزايد الشيطان •  
• تحقيق محمد سيد كيلاني •  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م •
- ٣٨ - افراح الروح •  
• قطب ، سيد قطب • الدار العلمية بيروت •
- ٣٩ - الافصاح عن معاني الصحاح •  
• ليحيى بن محمد بن هبيرة • المؤسسة السعودية بالرياض •
- ٤٠ - الله بين الفطرة والدليل •  
• بقلم الشيخ محمد حسن ال ياسين •  
منشورات المكتب المالي للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة  
١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •
- ٤١ - الله في العقيدة الاسلامية •  
• للشهيد حسن البنا • الطبعة الثانية •

- ٤٢ - الله يتجلى في عصر العلم •  
تأليف نخبة من العلماء الاوربيين ، اشرف على تحريره جون كلوفر ،  
ترجمة الدمرداش عبد الحميد سرحان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ،  
دار احياء الكتب المصرية • ١٩٦١م •
- ٤٣ - الامام محمد عبده •  
تأليف عبد الحليم الجندى ، سلسلة اعلام الاسلام ، دار المعارف  
بمصر •
- ٤٤ - الانسان ذلك المجهول •  
تأليف الكسيس كارل ، تعريب شفيق اسعد فريد ، بيروت ، ١٩٧٤م •
- ٤٥ - الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به •  
الباقلائي ، ابوبكر محمد بن الطيب ، تحقيق زاهد الكوثري •  
الطبعة الثانية ، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م •
- ٤٦ - الايمان •  
ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم ، تصحيح وتعليق محمد  
خليل هراس ، دار الطباعة المحمدية •
- ٤٧ - الايمان • اركانه ، حقيقته ، نواقضه •  
الدكتور محمد نعيم ياسين •  
الطبعة الاولى ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م •
- ٤٨ - الايمان بالملائكة عليهم السلام •  
بقلم عبد الله سراج الدين •  
ومعه بحث مختصر حول عالم الجن •  
الطبعة الاولى ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢م •
- ٤٩ - الايمان بين الايات القرآنية والحقائق العلمية •  
للدكتور عبد السلام داود العبادى •  
الطبعة الاولى ، سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م •

- ٥٠ - البحر المحيط • تفسير البحر المحيط •  
ابو حيان ، محمد بن يوسف ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الفكر  
للطباعة والنشر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •  
الناشر مكتبة ومطابع النهضة الحديثة الرياض •
- ٥١ - بحوث كتابية ، للاستاذ سليمان دنيا •  
لم تنشر بعد •
- ٥٢ - بدائع الفوائد •  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر ، المعروف بابن قيم الجوزية •  
دار الطباعة المنيرية ، بيروت ، لبنان •
- ٥٣ - البداية والنهاية •  
ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي •  
الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م ، مكتبة المعارف ، بيروت •
- ٥٤ - البرهان في علوم القرآن •  
الزركشي ، محمد بن عبد الله الزركشي •  
مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر •
- ٥٥ - بصائر نوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز •  
الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي • تحقيق  
الاستاذ محمد علي النجار ، طبعة القاهرة ١٣٨٣ هـ ، يشرف على  
اصدارها محمد توفيق عويضة ، الناشر نخبة احياء التراث الاسلامي •
- ٥٦ - بلاغة القرآن •  
لمحمد الخضر حسين • اشرف على طبعه ونشره علي الرضا التونسي  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •
- ٥٧ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية • او نقض تأسيس الجهمية •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم ، شيخ الاسلام • تصحيح وتكميل  
محمد بن عبد الرحمن بن قاسم • مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ، الطبعة  
الاولى ١٣٩١ هـ •

- ٥٨ - بينات المعجزة الخالدة •  
لحسن ضياء الدين عتر ، دارالنصر ، سوريا ، حلب ، الطبعة  
الاولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م •
- ٥٩ - تاج العروس من جواهر القاموس •  
الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي •  
المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٠٦ هـ ، دارمكتبة الحياة ،  
بيروت ، لبنان •
- ٦٠ - تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده •  
تأليف محمد رشيد رضا • الطبعة الاولى ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م •
- ٦١ - تاريخ الشعوب الاسلامية •  
تأليف كارل بروكلمان ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ، ومنير  
البعليكي ، الطبعة السادسة ، دارالعلم للملادين ، بيروت •
- ٦٢ - تاريخ المذاهب الاسلامية •  
ابوزهرة ، الشيخ محمد ابوزهرة • دارالفكر العربي •
- ٦٣ - تاريخ مصرفي عهد اسماعيل •  
تأليف الياس الايوبي ، مطبعة دارالكتب المصنوية ، القاهرة •  
١٣٤٣ هـ - ١٩٢٣ م •
- ٦٤ - التبيان في اقسام القرآن •  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر • تصحيح طه يوسف شاهين ، دار  
الطباعة المحمدية بالازهر الشريف •
- ٦٥ - التبيان في شرح الديوان •  
المتنبي ، ابو الطيب ، تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الابيارى ،  
عبد الحفيظ شلي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، مصر  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م •

- ٦٦ - التبيان في علوم القرآن •  
الصابوني ، محمد علي ، الطبعة الثانية •
- ٦٧ - تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي •  
السيوطي ، جمال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي •  
دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ٢ ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٦٨ - تراجم الاعلام المعاصرين في العالم الاسلامي •  
بقلم انور الجندي ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٠ م •
- ٦٩ - تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر •  
تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت •
- ٧٠ - تربية المرأة والحجاب •  
لمحمد طلعت حرب ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١ م •
- ٧١ - ترتيب قاموس المحيط على طريقة المصباح المنير و اساس البلاغة •  
للمطاهر احمد الزواوي •  
بيروت ، دار الكتب العلمية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٧٢ - التصوير الفني في القرآن •  
قطب ، سيد ، طبعة دار الشروق بيروت ، القاهرة •
- ٧٣ - تطور الرواية العربية الحديثة في مصر •  
تأليف الدكتور عبد المحسن طه بدر •  
دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية •
- ٧٤ - تفسير جزء عم ، ضمن الاعمال الكاملة للامام محمد عبده •  
للشيخ محمد عبده •
- ٧٥ - تفسير الجلالين للقران العظيم •  
جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، و جلال الدين محمد  
بن احمد المطي •  
الطبعة الثالثة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي  
و اولاده بمصر •

- ٧٦ - تفسير سورة الفاتحة ، وست سور من خواتيم القرآن •  
لرشيد رضا ، مطبعة المنار ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٥٣ هـ •
- ٧٧ - تفسير القرآن العظيم ، الشهير بتفسير ابن كثير •  
ابو الفداء ، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي •  
دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ -  
١٩٧٠ م •
- ٧٨ - التفسير الكبير •  
الرازي ، ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي الملقب بالفخر  
الرازي •  
الطبعة الاولى ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م • المطبعة البهية المصرية  
بميدان الازهر ، بصر •
- ٧٩ - تفسير المنار •  
محمد رشيد رضا • الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م ، دار  
المنار •
- ٨٠ - تفسير النسفي •  
ابو حفص ، عمر بن محمد •  
دار احياء الكتب العربية ، عيس البابي الحلبي وشركاه •
- ٨١ - التفسير ورجاله •  
تاليف محمد الفاضل بن عاشور •  
الطبعة الثانية ، دار الكتب الشريفة ، تونس •
- ٨٢ - التفسير والمفسرون •  
للشيخ محمد حسين الذهبي •  
الطبعة الاولى ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢ م ، دار الكتب الحديثة •
- ٨٣ - التفكير الفلسفي في الاسلام •  
لعبد الحليم محمود • الطبعة الثانية ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ ، مطرم  
الطبع والنشر • المكتبة الانجلو المصرية •

- ٨٤ — تلميس ابليس ، او نقض العلم والعلماء •  
ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي • تحقيق خير الدين  
علي •  
بيروت ، دار الوحي العربي •
- ٨٥ — التنبهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من الباحث المنيفة •  
تأليف عبد الرحمن الناصر السعدي • وعليها منتخبات من تقارير الشيخ  
عبد العزيز بن باز • نشر عبد الرحمن بن رويشد ، سليمان بن حماد •
- ٨٦ — تهذيب التهذيب •  
العسقلاني ، احمد بن محمد بن حجر العسقلاني •  
الطبعة الاولى ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، ١٩٦٦ م •
- ٨٧ — التوحيد •  
الماتريدي ، ابو منصور الماتريدي • تحقيق الدكتور فتح الله خليفة •  
طبعة دار المشرق ، بيروت ، لبنان •
- ٨٨ — تيسير الوصول الى جامع الاصول من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم •  
الشياني ، ابن الديبع الشيباني • مطبعة مصطفى البابي الحلبي •
- ٨٩ — ثلاث رسائل في اعجاز القرآن •  
الروائي ، الخطابي ، عبد القاهر الجرجاني • حققها وعلق عليها  
محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سعد ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ  
— ١٩٦٨ م • دار المعارف بصر •
- ٩٠ — الثقافة الاسلامية •  
تأليف نخبة من العلماء المسلمين • تقديم الدكتور راشد بن راجح الشريف •  
جامعة ام القرى • مكة المكرمة • المستوى الثاني •
- ٩١ — الثورة المرابية والاحتلال الانجليزي •  
لعبد الرحمن الرافعي •  
مكتبة النهضة المرابية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٩ م •



- ٩٢ — الجامع لاحكام القران •  
القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي •  
مطبعة دار الكتب المصرية •
- ٩٣ — جامع الاصول في احاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم •  
الجزري ، ابن الاثير الجزري ، تحقيق عبد القادر الرناؤوط •  
الطبعة الاولى ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٩٤ — جامع البيان عن تاويل القران •  
الطبري ، محمد بن جرير • تحقيق وتخرير محمود شاكر • دار  
المعارف مصر •  
ومطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت — لبنان •
- ٩٥ — جذور الهلاك •  
للاستاذ عبد الله التل • دار الارشاد بيروت • الطبعة الاولى  
١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م •
- ٩٦ — المجلس الانيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس •  
تأليف محمد احمد حسنين البولاقي •  
مطبعة المعارف الاهلية ، ١٣١٧ هـ — ١٨٩٩ م •
- ٩٧ — جمال الدين الافقاني • تاريخه ورسائله وجماله •  
تأليف محمود ابورية •  
اصدار المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م •
- ٩٨ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم • مطابع المجد التجارية •
- ٩٩ — حادي الارواح الى بلاد الافراح •  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر • تصحيح محمود حسن ربيع •  
الطبعة الرابعة ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م • مطبعة محمد طي الصبح واولاده •

- ١٠٠ — حاشية الشهاب على البيضاوي ، المسقى عناية القاضي وكفاية الرازي  
• على تفسير البيضاوي
- احمد بن محمد الشهاب ، المكتبة الاسلامية ، دار صادر ، بيروت .
- ١٠١ — حاضر العالم الاسلامي  
• تاليف لوثروب ستودارد الامريكى ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج  
نويهض ، دار الفكر للطباعة والنشر .
- ١٠٢ — حديث عيسى بن هشام  
• محمد ابراهيم المويلحي ، مطبعة مصر ، الطبعة الرابعة .
- ١٠٣ — حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر  
• تاليف جاك تاجر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٤٥م .
- ١٠٤ — حول خصائص القرآن  
• تاليف محمد بن علوى المالكي ، الطبعة الاولى ، ١٤٠١ هـ .
- ١٠٥ — حياة محمد صلى الله عليه وسلم  
• لمحمد حسين هيكل ، تقرير الشيخ محمد مصطفى المراغي  
الطبعة الثالثة عشر ، ١٩٦٨م ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة .
- ١٠٦ — خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم  
• ابوزهرة ، محمد ابوزهرة ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م ، دار الفكر  
العربي .
- ١٠٧ — خاطرات جمال الدين الافغاني  
• تاليف محمد باشا المخزومي ، الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥م .
- ١٠٨ — خلق افعال العباد والرد على الجهمية واصحاب التعطيل  
• البخارى ، محمد بن اسماعيل البخارى  
مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٣٨٩ هـ .
- ١٠٩ — دائرة المعارف الاسلامية  
• لجماعة من المستشرقين ، نقلها الى العربية محمد ثابت الفندى  
انتشارات جهان — طهران ، بوذر جمهرى .

- ١١٠ - دستور الاخلاق في القرآن •  
الاستاذ محمد عبد الله دراز ، تعريب وتحقيق وتعليق ، الدكتور  
عبد الصبور شاهين ، مراجعة الدكتور السيد محمد بدوي •  
١١١ - مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية • الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م •  
١١١ - دلائل الاعجاز •  
الجرجاني ، عبد القاهر الجرجاني ، تعليق وشرح محمد عبد المنعم  
خفاجي •  
القاهرة ، مكتبة القاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م •  
١١٢ - دلائل النبوة •  
البيهقي ، احمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق عبد الرحمن  
محمد عثمان •  
المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م •  
١١٣ - دواء القلوب والابدان من وساوس الشيطان •  
تأليف الشيخ عبد الله بن محمد بن الخليلي • مكة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م •  
١١٤ - الدين - بحوث مهيأة لدراسة تاريخ الاديان •  
دراز ، محمد عبد الله دراز •  
مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م •  
١١٥ - الدين الخالص •  
السبكي ، محمود خطاب السبكي •  
الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م •  
١١٦ - الدين في مواجهة العلم •  
خان ، وحيد الدين خان • ترجمة ظفر الاسلام خان ، مراجعة  
عبد الحليم عويس •  
الطبعة الثالثة ، المختار الاسلامي ، القاهرة •

- ١١٧ — رائد الفكر المصري محمد عبده •  
تأليف عثمان امين ، الطبعة الثانية •
- ١١٨ — الرحيق المختوم •  
تأليف ، صفي الرحمن المباركفوري •  
الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ، مكة المكرمة •
- ١١٩ — الرد على المنطقيين •  
ابن تيمية ، تقي الدين ابي العباس احمد بن تيمية الحراني •  
طبعة بومباي ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨ م •
- ١٢٠ — رسائل الدعوة السلفية ، وجوب الاخذ بحديث الاحاد في العقيدة  
والرد على شبه المخالفين • الرسالة الخامسة • لمحمد ناصر الدين  
الالباني •
- ١٢١ — رسائل الدعوة السلفية • الحديث حجة بنفسه في العقائد والاحكام •  
الرسالة الثالثة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠ هـ لمحمد ناصر الدين  
الالباني •
- ١٢٢ — الرسالة •  
الشافعي ، الامام محمد بن ادريس الشافعي ، تحقيق الاستاذ  
احمد محمد شاكر •  
طبع مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٠ م •
- ١٢٣ — رسالة الارادة والامر •  
ضمن مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية •
- ١٢٤ — رسالة التوحيد •  
الامام محمد عبده التركماني ، القاهرة مكتبة الجامعة الازهرية  
١٣٨٦ هـ / ١٩٥٦ م •

- ١٢٥ — الرسالة التدمرية • مجمل اعتقاد السلف •  
ابن تيمية • شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم • تحقيق زهير  
الشاويش •  
المكتب الاسلامي • بيروت • دمشق • الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ  
بيروت •
- ١٢٦ — رسالة القضاء والقدر •  
ضمن مجموعة الرسائل الكبرى • لابن تيمية •  
١٢٧ — رشيد رضا صاحب المنار عصره وحياته ومصادر ثقافته •  
تأليف الدكتور احمد الشراصي •  
١٢٨ — رفاة رافع الطهطاوى •  
تأليف الدكتور جلال الدين الشيبان •  
دار المعارف بمصر • سلسلة نوابغ الفكر المصري • ١٩٧٠ م •  
١٢٩ — روح البيان •  
البرسوى • الشيخ اسماعيل حقي البرسوى •  
دار سعادت • مطبعة عثمانية ١٣٣٠ هـ • مطبعة دار الفكر •  
١٣٠ — روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني •  
الالوسي • محمود بن عبد الله الالوسي •  
دار الطباعة المنيرية • بيروت • لبنان •  
١٣١ — الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية •  
لزيد بن عبد العزيز بن فياض • المطبعة اليوسفية • الطبعة الثانية  
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •  
١٣٢ — رؤية الله •  
رسالة ما جستير مقدمة من الطالب احمد الناصر الحمد • اشرف  
الاستاذ عوض الله جاد حجازى • عام ١٣٩٧ هـ • مطبوعة على الالة  
الكاتبة •

- ١٣٣ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .  
النووي ، الامام الحافظ ابي زكريا محيي الدين يحيى النووي .  
تحقيق محيي الدين الجراح .
- ١٣٤ - زاد المعاد .  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية .  
المطبعة المصرية ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٢٨ م .
- ١٣٥ - زعماء الاصلاح في العصر الحديث .  
تأليف احمد امين . مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ،  
١٩٧٦ م .
- ١٣٦ - سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية .  
تأليف عبد الخالق لاشين ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .
- ١٣٧ - سنن الترمذى ، الجامع الصحيح .  
الترمذى ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى . تحقيق  
احمد محمد شاكر ،  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، الطبعة الاولى ١٣٥٦ هـ -  
١٩٣٧ م .
- ١٣٨ - سنن ابي داود .  
الازدى ، سليمان بن الاشعث بن اسحق الازدى . تعليق الشيخ  
احمد سعد علي ،  
مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، الطبعة الاولى .
- ١٣٩ - سنن ابن ماجه .  
القزويني ، الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني .  
مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، دار احياء الكتب العربية ،  
١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

- ١٤٠ — سنن الداربي •  
الداربي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام  
الداربي •  
دار احياء السنة النبوية الشريفة •
- ١٤١ — سنن النسائي •  
النسائي ، ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن بحر بن  
سنان النسائي •  
المطبعة المصرية بالازهر ، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر •
- ١٤٢ — السنن الكبرى •  
البيهقي ، احمد بن الحسين البيهقي •  
مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند •
- ١٤٣ — سيد قطب الشهيد الحي •  
بقلم صلاح عبد الفتاح الخالدي • الناشر مكتبة الاقصى — عمان —  
الاردن ، الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م •
- ١٤٤ — سيرة ابن اسحق المسماة بكتاب الصفتا والمبعث والمغازي •  
محمد بن اسحق بن يسار ، تحقيق وتعليق محمد حميد الله ،  
تقديم الاستاذ محمد الفاسي • معهد الدراسات والابحاث للتعريب •
- ١٤٥ — السيرة النبوية •  
ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تقديم طه  
عبد الرؤوف •
- ١٤٦ — السيرة النبوية •  
ابن كثير ، للامام ابي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ،  
تحقيق مصطفى عبد الواحد •
- ١٤٧ — السيرة النبوية •  
الندوي ، ابو الحسن الندوي • الطبعة الاولى ، دار الشروق •

- ١٤٨ — السيرة النبوية •  
ابو شهبة ، الدكتور محمد محمد ابو شهبة ، دار الطباعة المحمدية  
١٩٧٠م •
- ١٤٩ — شامل في اصول الدين •  
الجويني ، ابو محمد ، والد امام الحرمين الجويني ، تحقيق الدكتور  
علي سامي النشار ، وفيصل بدير عون ، وسهير محمد مختار ،  
دار المعارف بالاسكندرية •
- ١٥٠ — الشخصية الاسلامية •  
النهائي ، الشيخ تقي الدين النهائي • الجزء الاول ،  
مطبعة دار السياسة بيروت •
- ١٥١ — شرح الاصول الخمسة •  
للقاضي عبد الجبار بن احمد ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان •  
الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م مطبعة الاستقلال الكبرى •
- ١٥٢ — شرح حديث النزول •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •  
المكتب الاسلامي ، الطبعة الخامسة ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •
- ١٥٣ — شرح البيجوري على الجوهرة • تحفة المرید علی جوهرة التوحيد •  
البيجوري ، ابراهيم البيجوري ، المطابع الاميرة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م •
- ١٥٤ — شرح العقيدة الاصفهانية •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني دمشقي •  
تقديم حسنين محمد مخلوف ، دار الكتب الحديثة ، الطبعة الاولى •
- ١٥٥ — شرح العقيدة الطحاوية •  
الحنفي ، ابن ابي المزعلي بن علي الحنفي ، حققها وراجمها  
جماعة من العلماء ، خرج احاديثها محمد ناصر الدين الالباني •  
التوضيح بقلم زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، الطبعة السادسة ،  
١٤٠٠ هـ — بيروت — دمشق •



- ١٥٦ - شرح العقيدة الواسطية •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية • شرح محمد خليل هراس ،  
مراجعة الشيخ عبد الرزاق عفيفي •
- ١٥٧ - شرح قصيدة ابن القيم •  
الشرقي ، احمد بن ابراهيم بن عيسى الشرقي ، المكتب الاسلامي ،  
الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م •
- ١٥٨ - شرح الكوكب المنير ، المسمى بمختصر التحرير ، او المختبر المبتكر  
شرح المختصر في اصول الفقه •  
تأليف محمد بن احمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي  
المعروف بابن النجار ، تحقيق الدكتور محمد الزحيلي ،  
والدكتور نزيه حماد •
- ١٥٩ - شرح المواظف في علم الكلام •  
الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ،  
تحقيق الدكتور احمد المهدي ، مكتبة الازهر ، دار المحامي للطباعة •
- ١٦٠ - شرح المواهب اللدنية •  
الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني •  
المطبعة الميرية الازهرية ، بمصر •
- ١٦١ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب •  
ابن العماد الحنبلي ، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت ،  
لبنان •
- ١٦٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى •  
للقاضي عياض ، المطبعة العثمانية ١٣١٢ هـ •
- ١٦٣ - صحيح البخاري •  
البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري •  
طبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م •

- ١٦٤ — صحيح البخارى بحاشية السندى •  
المطبعة العثمانية ، الطبعة الاولى ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م •
- ١٦٥ — صحيح مسلم بشرح النووي •  
النوى ، يحيى بن مرى الحازمي الشافعي النوى •  
المطبعة المصرية ومكتبتها ، ١٣٤٩ هـ •
- ١٦٦ — صحيح مسلم •  
النيسابورى ، ابو الحسن بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى •  
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت —  
لبنان ، الطبعة الاولى ١٣٧٥ هـ •
- ١٦٧ — صورة المرأة في الرواية المعاصرة •  
تأليف الدكتور طه وادى • مركز كتب الشرق الاوسط ، ١٩٧٣ م •
- ١٦٨ — صيد الخاطر •  
ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزى •  
مراجعة وتعليق الشيخ علي الطنطاوى ، تحقيق ناجي طنطاوى •  
دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ١٦٩ — طبقات الحفاظ •  
السيوطي ، عبد الرحمن بن الي بكر السيوطي ، تحقيق علي محمد عمر •  
مكتبة وهبه ، القاهرة ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م •
- ١٧٠ — طبقات الحنابلة •  
لابن ابي عمير ، ابي الحسين • مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة •
- ١٧١ — الطب محراب الايمان •  
جلبي ، خالص جلبي •  
دار الكتب العربية ، بيروت ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ١٧٢ — عبقرية العرب في العلم والفلسفة •  
فروخ ، عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، المكتبة العلمية ، بيروت •  
١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م •

- ١٧٣ — عقري الاصلاح والتعليم الامم محمد عبده •  
العقاد ، عباس محمود العقاد •  
دارالكتاب العربي ، بيروت — لبنان •
- ١٧٤ — العدالة الاجتماعية في الاسلام •  
قطب ، سيد قطب • دارالشرق ، بيروت ، القاهرة  
١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ١٧٥ — العروة الوثقى •  
تأليف جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمد عبده •  
الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ — ١٩٧٠ م ، دارالكتاب العربي ،  
بيروت •
- ١٧٦ — العقائد الاسلامية •  
سابق ، سيد سابق ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م •  
دارالنصر للطباعة •
- ١٧٧ — العقائد النسفية •  
النسفي ، عمر بن محمد النسفي • مطبعة ونشر مكتبة المثني ببغداد •
- ١٧٨ — العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية •  
النهباني ، يوسف بن اسماعيل النهباني •
- ١٧٩ — العقيدة الاسلامية واسسها •  
حبنكة ، الاستاذ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني •  
الطبعة الثانية ، ١٣٦٩ هـ — ١٩٧٩ م ، دارالقلم ، دمشق ،  
بيروت •
- ١٨٠ — عقيدة المسلم •  
الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي •
- ١٨١ — على مائدة القوان مع المفسرين والكتاب •  
احمد محمد جمال ، الطبعة الثانية ، دارالفكر — بيروت •

- ١٨٢ — العلمانية نشأتها ، وتطورها ، واثارها في الحياة الاسلامية المعاصرة •  
الحوالي ، سفر عبد الرحمن •  
دارمكة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م •
- ١٨٣ — العلم يدعو الى الايمان •  
تأليف كريس موريسون ، ترجمة محمد صالح فلكي ، تصدير احمد حسن  
الباقوري ،  
تقديم احمد زكي ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، نيويورك ،  
مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م •
- ١٨٤ — غاية المرام في علم الكلام •  
الامدى ، سيف الدين الامدى ، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف ،  
القاهرة ، ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م •
- ١٨٥ — الفتح الرباني •  
الساعاتي ، احمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي •  
الطبعة الاولى ، مطبعة الفتح الرباني •
- ١٨٦ — فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير •  
الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني • شركة مكتبة ومطبعة  
مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر — الطبعة الثالثة ١٣٨٣ هـ •
- ١٨٧ — الفرق بين الفرق •  
البغدادي ، صدر الاسلام الاصولي عبد القادر بن طاهر محمد  
البغدادي الاسفرائيني ،  
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر مكتبة ومطبعة محمد علي  
اصبيح واولاده بميدان الازهر ، مطبعة المدني ، القاهرة •
- ١٨٨ — الفصل في الملل والاهواء والنحل •  
ابن حزم ، الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري •  
الناشر مكتبة المثنى ببغداد •

١٨٩ — الفطرة والعقيدة الاسلامية — رسالة ماجستير اعداد حافظ محمد الجمبري

• اشرف الاستاذ محمد يوسف الشيخ جامعة ام القرى ، مكة المكرمة

١٣٦٩ هـ ، ١٩٧٩ م •

١٩٠ — الفقه الاكبر •

ابو حنيفة ، النعمان بن ثابت • بشرح عبد الكريم تنان •

نشر وتوزيع مكتبة الفزالي ، ومكتبة ابن الفارض ، حماة •

١٩١ — الفقه الاكبر في التوحيد •

الشافعي ، محمد بن ادريس الشافعي • الطبعة الاولى ، المطبعة

الادبية بالازكية •

١٩٢ — الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي •

البهي ، الدكتور محمد البهي •

الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ م •

١٩٣ — الفهرست •

ابن النديم ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت —

لبنان •

١٩٤ — فواتح الرحوت •

للعلامة عبد العلي محمد بن نظام الدين الانصاري ، شرح مسلم

الثبوت للعلامة محب الله بن عبد الشكور • الطبعة الاولى ، بالمطبعة

الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ •

١٩٥ — فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة •

الفزالي ، ابو حامد الفزالي ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا ،

مطبعة البابي الحلبي ١٩٦١ م •

١٩٦ — في ظلال القرآن •

قطب ، سيد قطب • الطبعة الخامسة ١٣٨٦ — ١٩٧٦ م •

والطبعة الثامنة •

- ١٩٧ — في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة •  
للدكتور محمد احمد خفاجي ، الطبعة الاولى ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م •
- ١٩٨ — القادياني والقاديانية •  
دراسة وتحليل ابو الحسن الندوي •  
الدار السعودية للنشر ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م •
- ١٩٩ — قاسم امين •  
تأليف ماهر حسن فهمي ، مطبعة مصر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي •
- ٢٠٠ — القاموس المحيط •  
الفيروز ابادي ، محمد بن يعقوب الفيروز ابادي • مؤسسة الحلبي  
وشركاه ، القاهرة •
- ٢٠١ — القرآن العظيم هدايته واعجازه في اقوال المفسرين •  
عرجون ، محمد الصادق عرجون •  
دارالاتحاد العربي للطباعة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م • مكتبة  
الكلبيات الازهرية •
- ٢٠٢ — القرآن الكريم ، دراسة •  
ابوالخشب ، ابراهيم علي ابوالخشب ، دار الفكر العربي •
- ٢٠٣ — القرامطة •  
ابن الجوزي ، الامام عبد الرحمن بن الجوزي • تحقيق محمد الصباغ •  
المكتب الاسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م •  
بيروت ، دمشق •
- ٢٠٤ — قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقران •  
الجسر ، الشيخ نديم الجسر •  
المكتب الاسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت — لبنان ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٢٠٥ — قصة الديانات •  
مظهر ، سليمان مظهر ، الوطن العربي •

- ٢٠٦ — قصص الانبياء • — لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب —  
النجار ، عهد الوهاب النجار •  
مطبعة المدني القاهرة ، ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م ، الناشر  
مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع •
- ٢٠٧ — قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر •  
اعداد ، عادل محمد محفوظ ابو عمشة • اشراف الاستاذ السعيد  
السيد عبادة •  
رسالة دكتوراه ، مطبوعة على الالة الكاتبة ، ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م •
- ٢٠٨ — كبرى اليقينيات الكونية •  
الهوتي ، الدكتور محمد سعيد رمضان الهوتي •  
الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع •
- ٢٠٩ — كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل •  
ابن خزيمة ، محمد بن اسحق بن خزيمة ، راجعه وعلق عليه محمد  
خليل هواس • دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ، ١٣٩٨ هـ —  
١٩٧٨ م •
- ٢١٠ — الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في وجوه التأويل ، وهو تفسير  
القران الكريم •  
الزمخشري ، محمود بن عمر الزمخشري •  
مطبعة الاستقامة ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٣ م •
- ٢١١ — كشف الاسرار عن اصول فخر الاسلام البيهقي •  
البخارى ، علاء الدين عهد العزيز بن احمد البخارى •  
مطبعة دار سعادت ، باستانبول ، ١٣٠٨ هـ •
- ٢١٢ — لباب التأويل في معاني التنزيل ، تفسير الخارن •  
البغدادي ، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي •  
يطلب من المكتبة التجارية بمصر •

- ٢١٣ — لسان العرب •  
ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور •  
طبعة مصورة عن بولاق ، مطابع كونستانس ماس وشركاه ، المؤسسة  
المصرية العامة للتأليف والنشر •
- ٢١٤ — لسان الميزان •  
العسقلاني ، احمد بن حجر العسقلاني ، منشورات الاعلمي للمطبوعات ،  
بيروت — لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ — ١٩٧١ م •
- ٢١٥ — للكون اله •  
الشهابي ، عبد العزيز كامل الشهابي •  
دار الاعتصام ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢١٦ — اللع •  
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، صححه وقدم له  
الدكتور حموده غرابية ، مطبعة مهر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٥٥ م •
- ٢١٧ — ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين •  
الندوي ، ابو الحسن الندوي ، مطابع علي بن علي ، الدوحة ،  
الطبعة العاشرة ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م •
- ٢١٨ — مباحث في علوم القرآن •  
الدكتور صبحي الصالح ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين ،  
بيروت •
- ٢١٩ — مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا •  
دار الشهاب القاهرة •
- ٢٢٠ — مجموعة الرسائل والمسائل •  
ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •
- ٢٢١ — مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية •  
ابن تيمية ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحلیم • جمع وترتيب  
عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، الطبعة  
الاولى ١٣٨١ هـ •



- ٢٢٢ — محاضرات في مقارنة الاديان •  
ابوزهرة ، الامام محمد ابوزهرة ، مطبعة يوسف ، القاهرة •
- ٢٢٣ — المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة علم •  
الجندي ، انور الجندي •  
مطبعة الرسالة ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م •
- ٢٢٤ — محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم •  
رضا ، محمد رضا ، مطبعة عيسى البابي الحلبي •
- ٢٢٥ — محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين •  
تحقيق وتقديم الاستاذ سليمان دنيا • دار احياء الكتب العربية ،  
الطبعة الاولى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م • عيسى البابي الحلبي وشركاه •
- ٢٢٦ — محيط المحيط •  
بستاني ، بطرس البستاني ، لبنان ، مؤسسة جواد للطباعة •
- ٢٢٧ — مختار الصحاح •  
الرازي ، محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي •  
دار الكتاب العربي ، بيروت — لبنان ، الطبعة الاولى ١٩٦٧ م •
- ٢٢٨ — مختصر تفسير ابن كثير •  
اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني •  
دار القرآن الكريم ، بيروت — لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠١ هـ •
- ٢٢٩ — مختصر الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة • مختصر الموصلي  
تحقيق محمد حامد الققي ، وعد الرزاق حمزه ، مكة المكرمة ١٣٤٨ هـ •
- ٢٣٠ — المختصر في اصول الفقه على مذهب الامام احمد بن حنبل •  
ابن اللحام ، علي بن محمد بن علي بن عباس بن شيخان البغلي ثم  
الدمشقي الحنبلي •  
علاء الدين \* ابو الحسن المعروف بابن اللحام •  
حقيقه وقدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور محمد مظهربقا ،  
١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م •

- ٢٣١ - مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد و اياك نستعين •  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزويي الدمشقي الشهير  
بابن القيم •  
دار الفكر العربي ، مطبعة انصار السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م •
- ٢٣٢ - مذاهب الاسلاميين •  
الدكتور عبد الرحمن بدوي ، دار الملايين ، بيروت - لبنان •
- ٢٣٣ - المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها •  
عميرة ، عبد الرحمن عميرة ، الطبعة الاولى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م •
- ٢٣٤ - مذكرات قليني فهي •  
الطبعة الثانية ، القاهرة •
- ٢٣٥ - مذكرات محمد فريد •  
حققه الدكتور رؤوف عباس حامد •  
مطبعة الجبلاوي ، نشر طالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٥ م • القسم الاول •
- ٢٣٦ - مذكراتي في نصف قرن •  
تأليف احمد شفيق باشا • الجزء الاول ، مطبعة مصر ، الطبعة  
الاولى ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م •
- ٢٣٧ - المرأة المسلمة •  
تأليف محمد فريد وجدى ، مطبعة الترقى ، الطبعة الاولى ، ١٣١٩ هـ  
- ١٩٠١ م •
- ٢٣٨ - المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم •  
حجازى ، عوض الله جاد حجازى •  
الطبعة الرابعة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر ، القاهرة •
- ٢٣٩ - المستدرك •  
الحاكم ، محمد بن عبد الله النيسابورى المشهور بالحاكم •  
مطابع النصر الحديثة •

- ٢٤٠ — المستصفي من علم الاصول • وبهامشه فواتح الرحموت •  
الغزالي ، ابو حامد الغزالي ، محمد بن محمد • الطبعة الاولى  
بالمطبعة الاميرية ببولاق ، ١٣٢٢ هـ •
- ٢٤١ — المسرحية في الادب العربي الحديث •  
تأليف الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الثانية  
١٩٦٧ م •
- ٢٤٢ — المسند •  
الشياني ، الامام احمد بن محمد بن حنبل الشياني •  
المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دار صادر بيروت لبنان •
- ٢٤٣ — مشكلات الجيل في ضوء الاسلام •  
المجنوب ، محمد المجنوب •  
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢٤٤ — المصطلحات الاربعة بين المودودي ومحمد عبده •  
الجبري ، عبد المتعال الجبري •  
دار الاعتصام ، الطبعة الثانية •
- ٢٤٥ — مع المصطفى صلى الله عليه وسلم •  
بنت الشاطي ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن — بنت الشاطي •  
دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٢ م •
- ٢٤٦ — مع القران الكريم •  
الحوفي ، الدكتور احمد محمد الحوفي ، دار النهضة للطباعة والنشر ،  
مصر •
- ٢٤٧ — المعتمد في اصول الدين •  
ابو يعلى ، محمد بن الحسين بن خلف الحنبلي ، تحقيق الدكتور  
وديع زيدان حداد ، دار المشرق ، بيروت — لبنان •

- ٢٤٨ - المعجزة الكبرى القرآن •  
ابوزهرة ، الشيخ محمد ابوزهرة ، دار الفكر العربي •
- ٢٤٩ - المعجم الكبير •  
مجمع اللغة العربية ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٠م •
- ٢٥٠ - المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي •  
رتبه ونظمه جماعة من المستشرقين • ( ونسك ) •  
مكتبة بريل في مدينة ليدن ، ١٩٣٦م •
- ٢٥١ - المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم •  
وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت •
- ٢٥٢ - المعجم الوسيط •  
اخراج ابراهيم مصطفى ، اشرف على لبعه عبد السلام هارون •
- ٢٥٣ - المعني في ابواب التوحيد والعدل •  
للقاضي عبد الجبار ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى حطبي ، والدكتور  
ابو الوفا الخنيزي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر •
- ٢٥٤ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة •  
ابن القيم ، محمد بن ابي بكر بن ايوب الزري الدمشقي • ابن قيم  
الجوزية •  
طبعة القاهرة ١٣٢٣هـ •
- ٢٥٥ - المفردات في غريب القرآن • او مفردات الراغب •  
الاصفهاني ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني •  
تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مصطفى الهادي الحلبي بمصر  
١٣٨١هـ - ١٩٦١م •
- ٢٥٦ - مقارنة الاديان •  
شلي ، الدكتور احمد شلي •  
الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢م ، مكتبة النهضة ، القاهرة •

- ٢٥٧ — مقاصد الطالبين ، وشرحه •  
التافتازاني ، سعد الدين التافتازاني ، دارالطبعة العامة ١٢٧٧ هـ •
- ٢٥٨ — مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين •  
الاشعري ، علي بن اسماعيل بن اسحق الاشعري ، تحقيق محمد  
محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م •
- ٢٥٩ — مقاومة السودان الحديث للغزو والتسلط •  
الدكتور مكي شبكية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٢ م •
- ٢٦٠ — مقدمة ابن خلدون •  
ابن خلدون ، العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون •  
مطبعة التقدم بمصر ، ١٣٢٩ هـ •
- ٢٦١ — مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث •  
ابن الصلاح ، للعلامة ابي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري •  
تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م •
- ٢٦٢ — الطل والنحل •  
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن احمد الشهرستاني •  
طبعة دارالاتحاد العربي ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م • الناشر مكتبة المثنى  
بيгдаاد •
- ٢٦٣ — مناقب الامام احمد بن حنبل •  
ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي •  
الطبعة الثانية ، منشورات دارالافتاى الجديدة ، بيروت •
- ٢٦٤ — مناهج الادلة في عقائد الملة •  
ابن رشد ، ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد ، مع مقدمة محمود قاسم  
وتحقيقه ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية •
- ٢٦٥ — مناهج المفسرين •  
تأليف الدكتور منيع عبد الحليم محمود • الطبعة الاولى ، ١٩٧٨ م •

- ٢٦٦ — مناهل العرفان •  
الزرقاني ، محمد عبد العظيم الزرقاني •  
الطبعة الثالثة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر •
- ٢٦٧ — من روائع القرآن ، تأملات علمية رادبية في كتاب الله عز وجل •  
البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي • مكتبة القاربي •
- ٢٦٨ — من زعماء الاصلاح محمد عبده •  
تأليف احمد امين • مؤسسة الخانجي بالقاهرة ، ١٩٦٠م •
- ٢٦٩ — منهاج المسلم •  
الجزائري ، ابو بكر جابر الجزائري • الطبعة الثامنة •
- ٢٧٠ — منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات •  
الشنقيطي ، محمد الامين الجكني الشنقيطي • طبع في مؤسسة مكة  
للطباعة والاعلام • توزيع الجامعة الاسلامية ، المدينة المنورة •
- ٢٧١ — المهدوية في السودان •  
تأليف ب. م. هولت ، ترجمة الدكتور جميل عبيد ، دار الفكر العربي •
- ٢٧٢ — موافقة صحيح المنقول لصريح المنقول •  
ابن تيمية ، شيخ الاسلام ابي العباس احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •  
تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ومحمد حامد الققي •  
مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١م •
- ٢٧٣ — المواقف •  
الايجي ، محمد الدين عبد الرحمن بن احمد الايجي •  
الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ — ١١٠٧م ، مطبعة السعادة بجوار محافظة  
مصر •
- ٢٧٤ — الموسوعة العربية الميسرة •  
ريحاني ، البرت ریحاني ، وآخرون من الاساتذة •  
دار الشعب ، القاهرة ، ومؤسسة فرنكلين ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م •

٢٧٥ — الموطأ •

الامام مالك • ابو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن ابي عامر  
الاصبحي المدني • تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي • مطبعة عيسى  
البابي الحلبي وشركاه • دار احياء الكتب العربية • ١٣٧٠هـ — ١٩٥١م •

٢٧٦ — موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعجابه المرسلين •

تأليف مصطفى صبري •

المكتبة الاسلامية ١٣٦٩هـ — ١٩٥٠م •

٢٧٧ — ميزان الاعتدال في نقد الرجال •

الذهبي • شمس الدين محمد بن احمد عثمان الذهبي • تحقيق علي

محمد الهجاوي •

الطبعة الاولى • دار المعرفة للطباعة والنشر • ١٣٨٢هـ — ١٩٦٣م •

بيروت — لبنان •

٢٧٨ — النبأ العظيم — نظرات جديدة في القرآن •

درازة • محمد عبد الله درازة •

الطبعة الثالثة • ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م • دار القلم • الكويت •

٢٧٩ — النبوات •

ابن تيمية • احمد بن عبد الحلیم بن تيمية • مكتبة الرياض الحديثة •

٢٨٠ — نبوة محمد في القرآن •

عمر • الدكتور حسن ضياء الدين عمر •

الطبعة الاولى • دار النصر • حلب • سوريا •

٢٨١ — النبوة والانبياء •

الصابوني • الشيخ محمد علي الصابوني • الطبعة الثانية • ١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م •

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م •

٢٨٢ — النبوة والانبياء في ضوء القرآن •

الندوي • ابو الحسن الندوي • الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ — ١٩٧٤م •

المختار الاسلامي للطباعة والنشر •

- ٢٨٣ - النجاة •  
ابن سينا ، أبو طي ، الحسين بن عبد الله بن سينا •  
الطبعة الثانية ، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م •
- ٢٨٤ - نحو القرآن •  
البهي ، الدكتور محمد البهي ، الطبعة الاولى ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م •  
مكتبة وهبة •
- ٢٨٥ - نظرات في القرآن •  
الغزالي ، الشيخ محمد الغزالي ، الطبعة الرابعة ، ١٣٨٣ هـ -  
١٩٦٣ م ، دار الكتب الحديثة •
- ٢٨٦ - نقض اوهام المادية الجدلية ( الديالكتيكية ) •  
البوطي ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي •  
دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م •
- ٢٨٧ - نقض المنطق •  
ابن تيمية ، احمد بن عبد الحلیم بن تيمية •  
مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م •
- ٢٨٨ - النكت في اعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن •  
الروماني ، ابو الحسن علي الروماني •
- ٢٨٩ - نهاية الاقدام في علم الكلام •  
الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر احمد الشهرستاني ،  
حرره وصححه الفرد خيوم •
- ٢٩٠ - نهج البلاغة •  
وهو مجموع ما اختاره الشريف ابي الحسن محمد الرضي ابي الحسن  
الموسوي من كلام امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب رضي الله  
عنه ، شرح الاستاذ محمد عمده ، اشرف على طبعه وزاد في شرحه  
عبد العزيز سيد الاهل ، منشورات مكتبة الاندلس ، بيروت - لبنان ،  
١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م •



- ٢٩١ — الوايل الصيب ورافع الكلم الطيب ، او الكلم الطيب والعمل الصالح .  
ابن القيم ، محمد ابن ابي بكر بن ايوب . حققه وعلق عليه الشيخ  
اسماعيل بن محمد الانصاري ، نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث والافتاء  
والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية . الرياض .
- ٢٩٢ — الوحي المحمدي ،  
رضا ، محمد رشيد رضا ، الدليفة السادسة ، ١٣٢٥ هـ مطبعة  
نهضة مصر .
- ٢٩٣ — الوحي والملائكة في اليهودية والمسيحية والاسلام .  
تأليف المهندس احمد عبد الوهاب ، الطبعة الاولى ، دار النهضة  
العربية .
- ٢٩٤ — وفيات الاعيان وانها ابناء الزمان .  
ابن خلكان ، احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان ، تحقيق الدكتور  
احسان عباس .  
دار صادر بيروت .

قائمة بأسماء الدوريات ومكان صدورها وتاريخها

=====

- ٢٩٥ — مجلة المنار ، محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٨٩٨م — ١٣١٥ هـ .
- ٢٩٦ — مجلة فتاة الشرق ، لبيب هاشم ، القاهرة ١٦ ١٩٠٦م .
- ٢٩٧ — مجلة المجتمع الاسلامي ، تصدرها جمعية الاصلاح الاجتماعي ،
- الكويت .
- ٢٩٨ — مجلة القطف ، يعقوب صوف وفارس النمر ، القاهرة ١٨٧٦م .
- ٢٩٩ — مجلة المصرية ، هدى شعراوي ، القاهرة ١٩٣٧م .
- ٣٠٠ — مجلة الاعتصام ، احمد عيسى عاشور ، القاهرة ١٩٣٩م .
- ٣٠١ — مجلة انيس الجليس ، الكسندرة افرينو ، الاسكندرية ١٨٩٨م .
- ٣٠٢ — مجلة الضياء ، ابراهيم اليازجي ، القاهرة ١٨٩٨م .
- ٣٠٣ — مجلة المؤيد ، الشيخ علي يوسف ، القاهرة ١٨٨٩م .
- ٣٠٤ — مجلة اللواء ، مصطفى كامل ، القاهرة ١٩٠٠م .

=====

فهرس الموضوعات

=====

رقم الصفحة	الموضوع
=====	=====
١	شكر وتقدير
٩ - ٢	القدمة
<b>الباب الاول</b>	
=====	
١٠ - ١٤٨	الشيخ " محمد عبده " عصره وحياته ومصادر ثقافته . ( الفصل الاول )
١١ - ٣١	عصره وا هم مظاهر الحياة فيه .
١٤ - ١٧	الحياة السياسية والاقتصادية
١٨ - ٢٤	الحياة الثقافية والادبية
٢٥ - ٢٩	الحياة الدينية والاجتماعية
٣٠ - ٣١	عصر الضعف الاسلامي العام ( الفصل الثاني )
٣٢ - ٦١	اطوار حياته
٣٢ - ٤٦	الطور الاول : مولده ونشأته وتعلمه
٤٧ - ٦١	الطور الثاني : طور حياته العملية ( الفصل الثالث )
٦٢ - ٧٠	شخصيته واخلاقه
٦٣ - ٦٦	الصورة الاولى
٦٦ - ٧٠	الصورة الثانية

( الفصل الرابع )

- ١١٦ - ٧١ شيوخه وتلاميذه  
٩٤ - ٧٣ أ - شيوخه  
٧٨ - ٧٣ ١ - د رويش بن خضر  
٨٢ - ٧٩ ٢ - محمد عيش  
٩٤ - ٨٣ ٣ - جمال الدين الافغاني  
١١٦ - ٩٥ ب - تلاميذه  
١٠١ - ٩٧ ١ - محمد رشيد رضا  
١٠٥ - ١٠٢ ٢ - محمد مصطفى المواقفي  
١٠٨ - ١٠٦ ٣ - مصطفى عبد الرازقي  
١١٠ - ١٠٩ ٤ - احمد لطفي السيد  
١١٦ - ١١٠ ٥ - قاسم امين  
١١٦ ٦ - سعد زغلول

( الفصل الخامس )

- ١٣٤ - ١١٧ • ثقافة الشيخ " محمد عبده " ومواهبه واثاره  
١٢٣ - ١١٧ المبحث الاول : مصادر ثقافته  
١٢٨ - ١٢٤ • المبحث الثاني : مواهبه  
١٣٤ - ١٢٩ • المبحث الثالث : تراثه الادبي والفكري

( الفصل السادس )

- ١٤٨ - ١٣٥ • مذهبه في الاصلاح ومنهجه في الدعوة والبحث  
١٣٩ - ١٣٧ • اولاً : اهداف تفكيره  
١٤٨ - ١٣٩ • ثانياً : جوانب تفكيره  
١٤٠ ١ - الجانب القومي والوطني  
١٤٢ - ١٤١ • ٢ - الجانب الاجتماعي  
١٤٣ - ١٤٢ • ٣ - الجانب التربوي  
١٤٨ - ١٤٣ • ٤ - الجانب العقدي

الباب الثاني

=====

- ٤٤٨ - ١٤٩ الالهيات في فكر الشيخ " محمد عبده "
- ١٥٢ - ١٥٠ تعريف الالهيات
- ( الفصل الاول )
- ١٦٥ - ١٥٣ أ - رأى " الشيخ محمد عبده " في معرفة الله تعالى
- ١٧١ - ١٦٦ . رأى المختار في هذا الموضوع
- ١٨٣ - ١٧٢ ب - رأى " الشيخ محمد عبده " في اثبات وجوده تعالى
- ١٧٤ - ١٧٢ الطريق الاول
- ١٧٦ - ١٧٤ الطريق الثاني
- ٢٠٧ - ١٨٤ رأى المختار في الاستدلال على الباري سبحانه
- ١٩٤ - ١٨٦ المسلك الاول ، الرد على من انحرف فطرهم
- ٢٠٢ - ١٩٥ المسلك الثاني : العناية الالهية بما يرى في العالم
- ٢٠٧ - ٢٠٣ آيات قرآنية تجمع بين المسلكين
- ( الفصل الثاني )
- ٢٣٣ - ٢٠٨ وحدانية الله تعالى
- ٢١٠ - ٢٠٩ رأى الشيخ " محمد عبده " العقلي في اثبات الوحدة
- ٢١٥ - ٢١٠ رأى الشيخ " محمد عبده " الشرعي في اثبات اله واحد
- ٢٢٩ - ٢١٦ مناقشة رأى الشيخ " محمد عبده " في الوجدانية
- ٢٣٣ - ٢٣٠ المعنى الاجمالي للتوحيد عند السلف
- ( الفصل الثالث )
- ٣٨٩ - ٢٣٤ صفات الله تعالى وكمالاته
- ٢٣٨ - ٢٣٤ تمهيد
- ٢٤٢ - ٢٣٩ العلاقة بين الذات والصفات

- ٢٦٠ - ٢٤٣ مذهب السلف في الصفات
- ٢٥١ - ٢٤٨ ١ - صفات الله قديمة
- ٢٥٢ - ٢٥١ ٢ - صفات الله قائمة بذاته
- ٢٦٠ - ٢٥٢ ٣ - صفات الله زائدة عن ذاته
- تقويم كلام الشيخ محمد عبده في العلاقة بين الذات
- ٢٦٤ - ٢٦١ الالهية وصفاتها •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الحياة " وبيان
- ٢٧٠ - ٢٦٥ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " العلم " وبيان مذهب
- ٢٧٨ - ٢٧١ السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الارادة " وبيان
- ٢٨٨ - ٢٧٩ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " القدرة " وبيان
- ٢٩٨ - ٢٨٩ مذهب السلف •
- رأى الشيخ محمد عبده في صفة " الكلال " وبيان
- ٣١٨ - ٢٩٩ مذهب السلف
- رأى الشيخ محمد عبده في صفتي " السمع والبصر "
- ٣٣٣ - ٣١٩ وبيان مذهب السلف •
- ٣٨٩ - ٣٣٤ الصفات الخيرية
- ٣٤٠ - ٣٣٤ تمهيد
- ٣٤٣ - ٣٤١ موقف الشيخ " محمد عبده " من الصفات الخيرية •
- ٣٤٧ - ٣٤٤ • موقف السلف من التأويل ✓
- ٣٥٦ - ٣٤٩ ✓ صفة الاستواء له تعالى ✓
- ٣٦٠ - ٣٥٧ ✓ صفة النزول له تعالى ✓

٣٦٥ - ٣٦٦	✓ صفة الوجه له تعالى
٣٧٠ - ٣٦٦	✓ صفة العين له تعالى
٣٧٥ - ٣٧١	✓ صفة اليد له تعالى
٣٧٩ - ٣٧٦	✓ صفة الاصابع له تعالى
٣٨٥ - ٣٨٢	✓ صفة القدم او الرجل له تعالى
٣٨٩ - ٣٨٦	✓ صفة المجبة وصفة البغض له تعالى
	( الفصل الرابع )
٤٤٨ - ٣٩٠	افعال الله تعالى
٣٩٩ - ٣٩٠	المبحث الاول : تحليل افعال الله تعالى
٤١٤ - ٤٠٠	المبحث الثاني : خلق افعال العباد
٤١٨ - ٤١٥	المبحث الثالث : حسن الافعال وقبحها .
٤٢٦ - ٤١٩	المبحث الرابع : القضاء والقدر
٤٤٨ - ٤٢٧	المبحث الخامس : جواز رؤيته تعالى في الآخرة .

### الباب الثالث

=====

٦١٦ - ٤٤٩	( النهايات )
٤٥١ - ٤٥٠	تمهيد
	( الفصل الاول )
٤٧٩ - ٤٥٢	النبي والرسول
٤٥٣ - ٤٥٢	كلام الشيخ محمد عبده في النبي والرسول
٤٥٧ - ٤٥٣	الراى في كلام الشيخ محمد عبده
٤٦٦ - ٤٥٧	مذهب السلف في النبوة والرسالة
٤٦٨ - ٤٦٧	راى الشيخ محمد عبده في صفات الانبياء .

٤٧٢ — ٤٦٨ مناقشة رأى الشيخ محمد عبده ، وتقرير مذهب السلف في صفات الانبياء

٤٧٩ — ٤٧٢ مسألة سحر النبي صلى الله عليه وسلم . ✓

( الفصل الثاني )

٥٠٧ — ٤٨٠ حاجة البشر الى الرسالة

٤٨٤ — ٤٨١ معتقد الشيخ محمد عبده في وجه الحاجة الى الرسالة

٤٨٣ — ٤٨١ المسلك الاول : خلود النفس وحياتها بعد الموت

٤٨٤ — ٤٨٣ المسلك الثاني : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة

٥٠٧ — ٤٨٥ معتقد السلف في وجه الحاجة الى الرسالة .

٥٠٠ — ٤٨٦ المسلك الاول : خلود النفس وحياتها بعد الموت

المسلك الثاني :

٥٠٣ — ٥٠٠ أ : حاجة الانسان الى العيش مع جماعة

٥٠٧ — ٥٠٤ ب : ايمان الانسان بمجزه .

( الفصل الثالث )

٥١٧ — ٥٠٨ الوحي وامكانه

٥٠٩ — ٥٠٨ تعريف الوحي عند الشيخ محمد عبده

٥١٠ — ٥٠٩ امكان حصول الوحي

٥١٢ — ٥١٠ رأى الشيخ محمد عبده في وقوع الوحي

٥١٧ — ٥١٣ النظر في مذهب الشيخ محمد عبده بخصوص الوحي وامكانه

( الفصل الرابع )

٥٢٦ — ٥١٨ وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام

٥١٩ — ٥١٨ كلام الشيخ محمد عبده في وظيفة الرسل عليهم السلام

٥٢١ — ٥١٩ النظر في كلام الشيخ محمد عبده بخصوص وظيفة الرسل

٥٢٦ — ٥٢٢ عود على بدء .



( الفصل الخامس )

- ٦١٦ - ٥٢٧ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقران معجزة الاسلام الخالدة
- ٥٣١ - ٥٢٧ أ : رأى الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٥٣٥ - ٥٣٢ ب : رأى الشيخ محمد عبده في القران معجزة الاسلام الخالدة .
- وقفة مع كلام الشيخ محمد عبده في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
- ٥٤١ - ٥٣٦ ومعجزة القران الكريم
- ٥٤٤ - ٥٤٢ معنى المعجزة
- ٥٤٧ - ٥٤٥ شروطها
- ٥٥١ - ٥٤٨ امكانها
- ٥٥٤ - ٥٥٢ دلالتها
- ٥٥٦ - ٥٥٤ الفرق بين المعجزة وبين الكرامة
- ٥٥٨ - ٥٥٦ الفرق بين المعجزة وبين السحر
- ٥٦٠ - ٥٥٨ الفرق بين المعجزة وبين المتكشف العلمي
- ٥٨٢ - ٥٦٢ كلام السلف في القران - معجزة الاسلام الخالدة
- ٥٦٥ - ٥٦٢ ١ - حقيقة المعجزة القرآنية
- ٥٧٦ - ٥٦٦ ٢ - مظاهر الاعجاز في القران الكريم
- ٥٨٢ - ٥٧٦ رأى الشيخ محمد عبده ، والرأى المختار
- بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي ورد ذكرها في القران
- ٥٨٩ - ٥٨٣ والسنة .
- ٦١٦ - ٥٩٠ موقف الشيخ محمد عبده من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم

الباب الرابع

=====

- ٨٧٩ - ٦١٧ ( السمعيات )
- ٦١٩ تمهيد
- ٧١٦ - ٦٢٠ اولا - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة والجن

- ٦٢٩ - ٦٢٠ أ - رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة
- ٦٥٧ - ٦٣٠ وقفة مع رأى الشيخ محمد عبده في الملائكة •
- ٦٧٥ - ٦٥٨ رأى السلف والخلف في الملائكة
- ٦٦١ - ٦٥٨ وجودهم
- ٦٦٧ - ٦٦٢ صفاتهم الخلقية
- ٦٧٥ - ٦٦٨ اصنافهم ووظائفهم
- ٦٨٠ - ٦٧٦ ب - رأى الشيخ محمد عبده في الجن
- ٦٨١ - ٦٨٠ تعقيب
- ٦٩٨ - ٦٨١ رأى السلف وجمهور العلماء في الجن
- ٦٨٢ - ٦٨١ وجوب الاعتقاد بوجودهم
- ٦٨٣ - ٦٨٢ خلق الجن
- ٦٩٢ - ٦٨٣ صفاتهم الخلقية
- ٦٩٨ - ٦٩٣ بلوغ دعوة الرسل لعالم الجن ومطالبتهم بالتكاليف الشرعية
- ٧١٦ - ٦٩٩ علاقة الجن مع الانس وموقف الشيطان من الانسان
- ٧٠٣ - ٦٩٩ أ علاقة الجن مع الانس
- ٧١٦ - ٧٠٣ ب: موقف الشيطان من الانسان
- ٧٠٧ - ٧٠٣ الوجه الاول : عداوة الشيطان للانسان
- ٧١٦ - ٧٠٧ الوجه الثاني : التحصن والتحرز من وساوس الشيطان
- ٧٣٦ - ٧١٧ ثانيا : موقف الشيخ محمد عبده من اليوم الاخر •
- ٧٢٧ - ٧١٧ الامر الاول : ما يتعلق بالموت
- ٧٣٠ - ٧٢٨ أ : فتنة القبر وسؤال الملكين
- ٧٣٦ - ٧٣١ ب: عذاب القبر ونعيمه
- ٧٢٦ - ٧٢٧ الامر الثاني : ما يتعلق بالساعة واشراطها
- ٧٤٠ - ٧٣٧ رأى الشيخ محمد عبده

٧٤٦ - ٧٤٠	مناقشة رأى الشيخ محمد عبده وتقرير مذهب السلف
٧٧٦ - ٧٤٧	اشارات الساعة
٧٥١	١ - الدخان
٧٥٨ - ٧٥٢	٢ - الدجال
٧٦٠ - ٧٥٩	٣ - الدابة
٧٦٢ - ٧٦١	٤ - طلوع الشمس من مغربها
٧٧٣ - ٧٦٢	٥ - نزول عيسى بن مريم عليه السلام
٧٧٥ - ٧٧٣	٦ - يأجوج ومأجوج
٧٧٥	٧ - خسف بالمشق
٧٧٥	٨ - خسف بالمغرب
٧٧٥	٩ - خسف بجزيرة العرب
٧٧٦ - ٧٧٥	١٠ - نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم
٧٧٦	الخلاصة
٨٧٩ - ٧٧٧	الامر الثالث : ما يتعلق بيوم القيامة واحداثها
٧٨٣ - ٧٧٧	اولا : بداية يوم القيامة
٧٩٥ - ٧٨٤	ثانيا : البعث والحشر
٨٠٠ - ٧٩٥	مذهب السلف في البعث والحشر
٨٢٤ - ٨٠١	ثالثا : الشفاعة والحوض
٨٠٤ - ٨٠١	أ : الشفاعة
٨١٣ - ٨٠٥	تقويم كلام الشيخ محمد عبده في الشفاعة
٨٢٤ - ٨١٤	ب - الحوض
٨٤٢ - ٨٢٥	رابعا : العرض والحساب والجزاء
٨٢٦ - ٨٢٥	أ : رأى الشيخ محمد عبده في العرض
٨٣٠ - ٨٢٦	ب : رأى الشيخ محمد عبده في الحساب

- ٨٣١ — ٨٣٠ ج : رأى الشيخ محمد عبده في الجزء
- ٨٣٢ — ٨٣١ تقويم كلام الشيخ محمد عبده
- ٨٤٢ — ٨٣٢ ايمان السلف بالعرض والحساب والجزاء
- ٨٥١ — ٨٤٣ خامسا : الميزان والوزن
- ٨٤٥ — ٨٤٣ رأى الشيخ محمد عبده في الميزان
- ٨٥١ — ٨٤٦ نقد رأى الشيخ محمد عبده في الميزان
- ٨٥٩ — ٨٥٢ سادسا : الصراط والمرور عليه
- ٨٥٤ — ٨٥٢ رأى الشيخ محمد عبده في الصراط
- ٨٥٩ — ٨٥٥ مذهب السلف في الصراط
- ٨٧٩ — ٨٦٠ سابعا : الجنة والنار والخلود في كل منهما
- ٨٦٩ — ٨٦٠ رأى الشيخ محمد عبده في الجنة والنار
- ٨٧٠ — ٨٦٩ مناقشة هذا الرأى
- ٨٧٩ — ٨٧١ مذهب السلف في الجنة والنار
- ٨٧٥ — ٨٧١ أ : مذ هبهم في الجنة
- ٨٧٧ — ٨٧٦ ب : مذ هبهم في النار
- ٨٧٩ — ٨٧٧ ج : خلود الجنة والنار
- ٩٢١ — ٨٨٠ (الخاتمة)
- أ : رأى الشيخ محمد عبده في حجية خبر الواحد في
- ٨٨٤ — ٨٨٢ الاستدلال على العقائد •
- ٨٨٨ — ٨٨٥ مناقشة ونقض هذا الرأى
- ٩٠١ — ٨٨٨ رأى السلف في حجية خبر الواحد
- ٩٢١ — ٩٠٢ ب : قاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر •
- ٩٥٨ — ٩٢٢ فهرس المصادر والمراجع العامة والدوريات
- ٩٦٨ — ٩٥٩ فهرس الموضوعات